



شهد ملحت

تراب أمشير

(عواقب الحب)

"يُدعى فخر ..

وهي جهاد ..

غريب كم يُكملا بعضهما البعض ..

؛فعلبك بالفخر بعد الجهاد ،حتى وإن لم تخرج منتصرًا

وعليك بالجهاد لتستشعر لذّة الفخر ..

ولكن، ليس بالضروري أن كلّ ما يندمج مع بعضه ينجح ..

فالحياة ليست عادلة، وستصوّب كل التحديات التي تهدد

استقرار هذا التكامل

تُرَاب أمشير لا يتوقف على أي حال ..

وعاجلاً أم آجلاً ستواجهه أثناء رحلتك ..

هذا إن لم تكن قد اصطحبته معك منذ بداية الطريق بالفعل !!

• تراب أمشير •

شهد مدحت

الفصل الأول {عائلة تليد}

لم تتزع إصبعها عن الجرس للحظة واحدة، ويدها الأخرى تدق الباب بعنف واستمرار لتخلق ضحياً مصحوباً بصوتها المزعج وهي تناديه :
_ مروان .. افتح يامروان بسرعة فى موضوع مهم

تحول الباب بيدها إلى طبله وبدأت بإصدار ألحان متراقصة، إلى أن توقفت فجأة عندما فتح الباب وظهر من خلفه شاب لم يلبث مكانه وسرعان ماتقدم إليها يجذبها من شعرها إلى الداخل بعنف ..

كان يبدو عليه النعاس وشعره غير مرتب من أثر النوم .. صاح بوجهها وهو يهز رأسها بعنف من خلال خصلاتها المقيدة بين أصابعه :

_ انا مش قولتلك مية مرة ياغازية الموالد انتِ لما تيجي متخبطيش بالطريقة دى بدل ما اكسر الباب فوق دماغك !!

صرخت بعناد وهى تحاول التحرر من قبضته :
_ اوعى يا حطوف ايدك ثقيلة !

شد قبضته عليها أكثر مهدداً إياها بتحذير :
_ بصى بقى عشان انا جبت أخرى منك .. مرة تانية لو سمعتك بتخبطى كدا أقسم بالله لاربطك فى السرير تلت ايام من غير أكل

شهقت بصدمة مبالغ فيها وكأنها أخذت صدمة حياتها ،
وقبل أن تنطق أسكتها هو سريعًا :
_وكلمة تانية هيبقى من غير شرب .. ايه رأيك بقى؟

_ياخى خلاص بقى ابعدها ايدك بتوجعنى، اوعى!
استطاعت فك شعرها من يده أخيرًا، وعدلت ملابسها
التي تكونت من بنطال من الجينز الكحلى وقميص
بسيط أبيض اللون، لم تكن فتاة ذات جسد منحوت أو
مثالى كعارضات الأزياء أو ما شابهه ، بل كانت تكتسب
بعض الوزن ;ليس بالمحوظ تمامًا أو المضر
بصحتها ، ومع ذلك لم تفقد تناسق جسدها ورشاقتها
..

رفعت يدها تعيد تنظيم خصلاتها التي تناثرت بفعل يد
هذا الأحمق، حيث كان شعرها طويلًا ذو لون أسود
;كلون عينيها الواسعة والمزينة بأهداب كثيفة طبيعية
.. بشرتها القمحية يظهر عليها بعض مساحيق

التجميل أولهم كان الكحل المحيط بحدقتيها وبعض
الحُمرة بخديها ، وشفتيها المنتفختين تلمعان بفعل
زبدة الكاكاو الشفافة ..

ورغم بعض العيوب كالتى تصيب بشرة أى فتاة ;من
بعض المسام الواسعة والقليل من الهالات ، فقد تمتع
وجهها بجمال خاص ;لا يجعلها فاتنة أو جاذبة
للانتباه ، ولكن جمال هادئ يكمن فى بساطتها
اللامتناهية ..

تركها مروان وتوجّه إلى الحمام هاتفاً باختناق وعدم
اهتمام :

_ايه اللي حدفك عليا دلوقتي؟

لم تعتقه ولم تسمح له بالتمتع ببعض الخصوصية
وركضت من خلفه :

_ على فكرة انت مينفعش تمام دلوقتى احنا الضهر !

وقفت عند باب الحمام وتطلعت له وهو يميل بجذعه
على الحوض يغمض عينه ويغسل وجهه ، ثم كشفت
عن سبب مجيئها دون مقدمات :

_ مروان انا عايزة راجل !

عقد حاجبيه بعدم فهم وفتح عينه ونظر لها بدرامية :
_ليه بس يابنتى هو اخوكى قصر معاكى فى حاجة؟!!

_ لا انا عايزة راجل يحبني

أبعد نظره عنها وهز رأسه باقتناع مردفًا بسخرية :

_ لا في دي عندك حق ، انا مش بطيقك بصراحة

_يامروان انا مبهرش

قرب وجهه من المرأة التي تعلى الحوض وهو
يتفحصه ;حيث كانت ملامحه تقترب منها إلى حد ما
،ولكن بلامح رجولية أكثر وعينين أضيق منها ..
حك لحيته الكثيفة بأنامله وهو يقول بتفكير :

دقني عايزة تخفّ شوية صح؟

مدت يدها وضربته ف كتفه بعنف :

انا مش بتكلم دلوقتي؟

سحب المنشفة المعلقة بالجانب و رد ضاحكًا
باستخفاف :

ما انتِ شكك شاربة جاز وجاية تطلعي صراصيرك
عليها

تابع بصوت مكتوم بعض الشئ عندما أخفى وجهه
بالمنشفة ليجففه :

**_ راجل ايه ده اللي عايزاه يحبك يا جهاد ؟ انت
هرموناتك طفحت ولا ايه!**

**وضع المنشفة بمكانها ثم خرج ، فتحركت " جهاد "
وراءه تلاحقه مثل ظله، إلى أن استقر بالمطبخ
فقفزت تجلس على رخام المطبخ وهي تقول :**

**_ النهاردة كنت قاعدة انا واصحابي مع بعض وعرفنا
ان خلود اتخطبت ..
وصاحت باستنكار :**

_ بقى البت المقشفة دي تتخطب!؟!

**التقط كوبًا وبدأ بتحضير بعض القهوة ، وقسمات
وجهه لا يبدو عليها سوى الملل وعدم الاهتمام ..
بينما واصلت هي :**

لا واويه؟ ، الواد دكتور وطويل وشعره ناعم وزيّ القمر .. مفيهوش غلطة يامروان مفيهوش غلطة !

ثم أضافت :

بذمتك خلود دي تستاهل تاخد دكتور؟ .. وانا؟! ، انا اللى احلى منها بمية مرة ابقى قاعدة كدا بطولي؟!

أجابها بلامبالاة دون أن ينظر لها :

تعديل بسيط .. خلود احلى منك !

بدا على وجهها النفور ولوت شفتيها باستهجان :

كل ده مش طبيعي على فكرة ، دى هارية وشها ميكاب وبلاوى ، وبعدين انا

لُجم لسانها وانقطعت كلماتها بانتفاضة أصابتها فجأة

عندما صفع الكوب على الرخامة بجانبها قويا

،لنتوقف عن ثرثرتها وتسبح له الفرصة للتكلم ،
وقال بتبرُّم :

_وانتِ بقى عايزة واحد يحبك عشان فعلا نفسك
تتحبي؟ ، ولا عشان غيرانة من خلود وعايزة تقلديها
وخلص؟

صاحت باشمئزاز :

_انا اغير من دي؟!؟

طالعتها بجانب عينيه باستنكار :

_عليًا انا بردو؟

جعل صوته رفيعًا ليقلدّ صوتها الأنثوى ويتحدث
بتهمك :

_البت دى جابت بلوزة غالية؟ لا انا عايزة الأعلى
منها .. فلانة جابت شنطة ؟ لا انا عايزة الأحلى منها

عاد لصوته الطبيعي وانقلبت سخريته إلى السأم و
الاختناق :

_ وكل ده عشان مش عايزة تبانى أقل من حد وتبقي
البت الجامدة اللي محدش قدها فى القعدة ، وانا بحط
البُلغة فى بوى وبسكت ... إنما ده بنى آدم ، اجيب
زيه ازاي؟

_ لا زيه ايه؟ انا عايزة احسن منه

زفر بيأس من حماقتها ثم هتف ببعظ :
_ انتِ إنسانة سطحية وبقرة !

_ اخلص! ، هتتصرف ولّا اتصرف انا؟

مط شفّتيه بعدم اقتناع وهو يلتقط زجاجة المياه ، ثم
قال بشئ من السخرية وهو ينزع الغطاء عن الزجاجاة
:

_وعايزاه دكتور بردو ولا محامى؟

ردت بتقرز :

_محامي ايه ده!

صاح فجأة بسخط :

_ومالهم المحامين ياطنط!؟

ردت ضاحكة :

_سوري ، جت فيك؟

حدجها بكل قرف ثم رفع الزجاجاة على فاه ليشرب
منها ، بينما تحدثت هي :

_ انا عايزاه business man ! "رجل أعمال"

أبعد الزجاجاة عن شفثيه فجأة وبصق ما تجرعه
عندما شعر بأنه سيقف بحلقه ، ثم نظر لها وهو
يمسح فمه بظهر يده :

_ ده بأماراة ايه يابنت الشحاتين ! .. انتِ فاكراة نفسك
سفيرة ولا ايه!؟

_ لعلمك انت متعرفش قدراتي أبدا ، ده انا أوقع أتخنه
راجل كدا

هتفت بجملتها الأخيرة تزامناً مع طرقعة أصابعها
تعبيراً عن سهولة الأمر عليها ، ثم تابعت ضاحكة
بحماس :

_المهم انت هترشح لى مين؟

*

*

*

ارتفعت أصوات إحدى الأغاني الأجنبية من غرفته
،دون مراعاة لأى ممن يمكث معه فى المنزل ..

انتهى من إغلاق آخر زر من أزرار قميصه الأبيض
;تاركًا أول ثلاثة مفتوحين ، التقط فرشاته وبدأ
بتمشيط شعره البنى أمام المرآة وهو يردد الكلمات
مع الأغنية ..

يتمتع بجسد طويل ورياضي ،ويتحلّى بملامح حادة
قليلاً مع بشرة حنطية وعينين مميزتين تأخذان لونا

بنياً فاتحاً ، بالإضافة للحية كثيفة إلى حد ما ومهذبة
بعناية ..

صاح صوت دقات فوق باب غرفته قاطعته عن تكملة
استعداداته للنزول ، فتوجه إلى الباب وفتحته ولم
يظهر عليه أى اهتمام ؛ فلم تكن سوى خادمتهم الشابة
"حنان" ، تقف وهي تضع يداً على أذنيها
بسبب انزعاجها من الصوت المرتفع ، وقالت بصوت
عال قليلا ليسمعه :

فخر بيه ! ، بسمة هانم بتقول لحضرتك لو ينفع
توطي الصوت شوية بعد اذنك

لم ينبس بكلمة ولم يظهر عليه أى رد فعل واكتفى
بإيماءة بسيطة ؛ غادرت بعدها حنان وأغلق الباب ..

توجّه إلى هاتفه المتصل بتلك السماعات العالية
المتسببة بهذه الضجّة ، ورفع الصوت أكثر فأكثر
.....!

*

*

*

وسط ساحة القيلا الواسعة، كانت تشغل "بسمة"
إحدى المقاعد ..

ترتدى فستاناً أسود اللون ضيقاً مكتمل الأكمام يصل
لركبتيها مباشرة فيكشف عن ساقها ، يتبق لها سنة
واحدة لتتم الأربعين من عمرها ، تتميز بشعر بنى
طويل يصل حتى آخر ظهرها ، ووجه مليء بالكثير
من مستحضرات التجميل ولا تصيبه تعبيرات سوى
الحدة والمقت ، وكان الابتسامة ستنقص من جمالها
أو ستأخذ من نقودها شيئاً ..

رفعت عينيها عن هاتفها بعدما كانت تتصفح فور
انتباهها للصوت الذي ارتفع أكثر ، فلم يأخذ الأمر
منها كثيرًا لتدرك أنه يعاندها .. ؛ليست المرة الأولى
على أي حال ..

نفخت بكل حنق واختناق ، وهي تعلم جيدًا أنه لن
يستمتع لأحد وسيغلقها وقتما يرغب هو وحسب ...

*

*

*

انتهى فخر واستعد للمغادرة ، فكان آخر شيء فعله قبل
ترك الغرفة هو وضع الهاتف بجيب بنطاله ذو اللون
الرمادي ، بعد أن قام بفصله عن السماعات وإيقاف
الأغاني ..

وقع بصره على دفترٍ ما يعتلى سطح المكتب ، فقرر
اصطحابه معه وأخذه بيده ثم اتجه إلى الخارج ..

كان دفترًا أنيقًا وفخمًا يتعلق به القلم من الجانب ،
غلافه من الخشب ومحفورًا عليه بخط صغير ومميز
في أعلى الزاوية اسمه مزينًا بالتشكيل .. ;حيث كان
اسمه الأول مرسومًا من أسفله اسم العائلة :

" فخر "

تليد "

وكانه يضع عليه بطاقة تعريفية تؤكد امتلاكه لهذا
الدفتر وعدم التهاون مع أى أحد قد يلمسه دون إذنه

...

.

.

.

سار بالرواق بضع خطوات ، ثم توقف عند رؤية أخيه
"زياد" الذى يصغره بخمس سنوات يخرج من
غرفته ممسكًا بكوب من "الشاي بالحليب" ، فلم
يتابع زياد طريقه هو الآخر واستند بجانب جسده على
الباب يطالعه بلامبالاة ..

كانت ملامحه أكثر حدة قليلًا عن فخر ، بسبب ملامح
البرود التى لا تترك وجهه أبدا ، وأعينه السوداء
القائمة .. شعره الأسود أطول من أخيه بقليل ، فيتركه
حرًا ؛ لا يقيده باتجاه واحد بالمشط كما يفعل فخر ..
ويحتفظ بلحية خفيفة ؛ ليس لحبه بها بل من كسله
لحلاقتها ..

وقف فخر أمامه قائلاً :

_ صباح الخير ياسفيه يامراهق

_صباح النور ياوغد يافاسق.

أجابهُ ببساطة و بدون أخذ وقت للتفكير فى الرد ؛فقد
تعود كلاهما على سب بعضهما بنفس الكلمات كل يوم

..

ثم ارتشف القليل من مشروبه ،قبل ان يستمع لسؤاله

:

_اختك فين؟

أجاب زياد بلا أدنى اكتراث :

_ولا اعرف ... مريم دى ضيفة هنا ، محدش بيعرف
عنها حاجة

_وانت مروحتش الشركة ليه؟

_روح وجيت

رد فخر باستتكار :

_بمزاجك هو!

أجابه ببرود :

_اكيد بمزاجي ،مش شركة ابويا؟!!

_خّليك كدا بعشوائيتك دي لحد ما يطردك في يوم ..

هتف زياد بعدم اهتمام :

_فكك خّينا في الأهم .. انت رايق دلوقتي؟

قلب عينيه من حوله بتفكير ثم أعاد بصره له مجيبًا :

_طالما لسة مشوفتش وش بسمة يبقى اه رايق

_كويس ، عشان هقول حاجة تعكنن عليك مزاجك.

رد فخر باستياء :

_طب ليه تستتاني ابقى مبسوط عشان تضايقتي؟ ليه
الوحاشة دي يعنى؟

_ماهو انت لو أصلا متضايق وجيت انا قولت حاجة
تضايقتك اكثر هتروح ترمي نفسك من فوق .. ف لازم
تبقى مبسوط عشان لما اقول الخبر الوحش تكتفي
بتكشيرة وقلبة بوزك اللي محدش بيطبقها دي ..

استعجله فخر بملل :

_خلّص ، بطل فلسفة

_عمتك جاية تتغدى معنا بكرة

أردف بجملته بعدم اكتراث وأكمل مشروبه بكل سلام
، بينما ضم فخر قبضته وأغمض عينيه بقوة وكأنه
أخذ منه ضربة موجعة ، ثم هتف بأسى :
_ياريتك شربتي شاي بلبن ولا قولتلي كدا ..

تطلع له زياد بمنتهى الضجر ورفع الكوب لشفتيه
ببطء، وتعمد إصدار صوت احتسائه للمشروب ليثير
غيظه، في حين لم يظهر على فخر رد فعل سوى
مبادلتة نفس نظرات الملل ، إلى أن هتف زياد :

_الشاي بلبن هو اللي مش هيرضى يتشرب من
أمثالك يا أرعن يا عديم الذوق ..

*

*

*

هبط فخر على الدرج بعد انتهائه من المشاغبة مع أخيه ، وهو يرتدى ساعة يد بمعصمه الأيسر .. وقعت حدقتيه على بسمه التي نهضت فور شعورها بنزوله ، فتمهلت خطواته قليلاً وتمتم مع نفسه بسأم :

_ هي اصطباحة عنب ..

أخذ آخر درجة وتحدث بحب ساخر ، وهو يتجه ناحيتها ، رافعاً يديه فى الهواء وكأنه يستعد لاحتضانها بحنان :

_ مرحباً يا أجمل من رأت عيني !

أنزل ذراعيه ووقف أمامها متابعاً ببرود :

_ العركة على ايه النهاردة؟

حدجته بحاجب مرفوع دون الآخر وعقدت ذراعيها
ببعضهما ، فزفر بملل واحتفظ ببروده كما هو وهو
يقول :

_بصي يامرات ابويا انا رأبي تخلعي عشان انا قرفان
ومش فى المود النهاردة ..

_انا مش بلعب معاك يابن عامر !!
طرحت جملتها بكل حدة ، فحدقها بلامبالاة وهى تتابع
:

_الواد اللى اسمه عز ده جالك ومستنيك ف الجنيئة ..

ثم استطردت بصرامة :

_وتانى مرة لما تحب تجيب حد البيت تبليغنى الأول ..
ومن حقى اوافق أو ارفض كمان ، وانت هتتحترم
قرارى وتنفذه غصب عنك

رفع حاجبيه باستهزاء تام ، ثم قال بسكينة واضحة
وهو يربت على ذراعها باستخفاف :

_روحي شوفي حد قدك تشاكلي فيه ياسمسم عشان
انا مش لذيز زي ما انتِ فاكرة ..

رفعت يدها لياقته وجذبتة إليها بخفة وهي تخاطبه
بحدة أكبر من ذي قبل ، ونبرة منخفضة مليئة بالغل :

_متخلّيش احطك في دماغي يافخر ، انت متعرفنيش
!

لم تفارق السخرية وجهه مطلقاً ، رغم غضبه
المدفون ورغبته بقتلها الآن لمجرد تجرؤها على
إمساكه من ملابسه هكذا .. ؛ ولكنه يعلم أن بروده

واحتقاره لقيمتها هو أفضل طريقة تجعلها تحترق
وتشتعل حتى توشك على إطلاق الدخان من أذنيها ..

أخفض عينيه ليدها للحظات ، ثم رفع رأسه مجددًا
ونزع يدها عنه على مهل وهو يقول بابتسامة
مستهزئة نجحت في استفزازها :

_أيدك بس عشان القميص لسة مغسول ..

عدل من وضع قميصه وهو يقول :

_أولًا ، عز ده يبقى ابن خالي .. يعنى يجي فى أى
وقت هو يحبه ان شالله بعد نص الليل

واستطرد ببرود مضاعف :

ثانياً .. البيت ده بيتنا ، يعنى حتى لو جينا رقاصة
هنا ميخصكيش ، انت مالكيش هنا غير اوضتك اللي
احنا هنطردك منها قريب ، ف متعدّيش حدودك

لم ينتظر رؤية رد فعلها ؛ فهو متأكد منه على أى حال
، وسار إلى الخارج ، تاركًا إياها تتأكل من الغضب
والغيظ

*

*

*

فوق المقعد الذى يتوسط حديقة المنزل ، كان يجلس
" عز " يتفحص أحد مواقع التواصل الاجتماعي بعدم
حماس ..

شابًا يافعًا يعمل كطبيب بإحدى المستشفيات الخاصة ،
يتمتع بلامح هادئة وشخصية رزينة ، صدح صوته
بتذمر عند مجيء ابن عمته :

__ ساعة عشان تيجى !

جلس فخر متسائلًا :

__ مستني بقالك كتير؟

أجاب عز بتأفف :

__ اه بصراحة كتير اوى

__ مش مهم

تابع بغرور واختناق :

انا تستتوني تلت ايام عادى .. كفاية انى باجي على
نفسى عشان اتعامل مع مناظر كوا الشنيعة البائسة

قلب عز عينيه بالأرجاء بملل وتمسك بالصمت ؛فقد
تعود على طريقة حديثه تلك ولم يعد يهتم بالرد عليه
..

هو على علم أنه لا يقصده حتى .. ولكن صيغة الجمع
لطالما لازمت لسانه ،قاصداً الاعتراض على الجميع
فى أن واحد ؛يضم معه من أخطأ ومن لم يفعل ؛فمن
فعل شيئاً قيماً ليستحق عليه الاستثناء من الأساس!؟

وضع فخر دفتره على الطاولة الصغيرة القابعة أمامه
، فلاحظه عز وأردف باهتمام وهو يبتسم بترقب :
كتبت حاجة جديدة صح؟

ضحك بهدوء واوماً بإيجاب ، فصاح عز :

_طب ماتقول من بدرى .. ورّينى يلا

تقدم بجسده قليلاً ليمسك بدفتره ، فتحه وتخطى بضع صفحات حتى وصل للصفحة المقصودة ثم أراها لعز ، فأخذه عز وبدأ بقراءة المكتوب :

"كنت تشعر وكأن فؤادك سيقفز من بين أضلعك

بمجرد رؤيتها

والآن بتّ تمزق عقلك لقتل ذكرياتك بصحبتها .."

ظهر الإعجاب على وجهه كثيراً وارتسمت عليه ابتسامة واسعة وهو يقول باطراء :

_ايوة ياعم ياجامد !

تغير وجهه فجأة ورفع عينيه عن الدفتر ليصيح بذهول :

انت فرکشت مع حنين؟!

ولم ينتظر منه ردًا ، بل أمسك برسغه الأيمن ليجبره
على رفع يده قليلًا ، ونظر لدبسته الفضية المعلقة
بإصبع البنصر تعلن عن ارتباطه بإحداهن ، فتابع :

لا لسة .. او مال مالك؟ ، كان في جو قديم ولا ايه؟

كل هذا وفخر يحملق به بكل ملل ، إلى أن تحدث :

للمرة الخمسية يا عز هقول لك مش كل حاجة
بكتبها تبقى شرط بتعبر عني أو عشتها ، انا بكتبها
عشان حابب الموضوع مش اكثر .. مقتبسة من
تجارب الناس مش من تجاربي انا ، متبقاش بهيمة!

ضحك عز ببلاهة ، ثم طرح عليه اقتراحًا صغيرًا :

طب ماتشيرها على الفيسبوك يمكن تعمل شهرة

أجاب وهو ينتشل منه الدفتر :
_ لا انا بحب احتفظ بيها مع نفسى ..

تطفل على الحديث صوت أنثوي اقترب منهما يقول
بمشاغبة :

_ ينفع اضايقكوا شوية؟

تطلعا لها الاثنان ، فقال فخر ضاحكًا :
_ انتِ براحتك ..

بينما لم تتحرك عيني عز من عليها ، ولم يشعر
بابتسامته الشغوفة التي غزت محياه ..

كل مرة يراها تبدو كأول مرة ،فلا يمل من تفصيل
جمال عينيها ذات اللون الأزرق ، ووجهها الأبيض
ذو الملامح البريئة والهادئة التي تُظهرها وكأنها في
التاسعة عشر مثلاً ،وليست شابة على وشك إتمام
الثلاثين !

شعرها الواصل حتى كتفيها تتجمع ألوان خصلاته بين
لونه البنى الفاتح عند الجذور فقط ويتلون باقيه
بصبغة من لون أصفر ذهبي ،يزداد لمعانه مع أشعة
الشمس ،ليضاعف درجات جمالها أكثر مما هو عليه
..

انتبه لها وهي تلقى عليه السلام بابتسامة صافية :
_ازيك يا عَزْ؟

او ما بهدوء مبتسماً :

_ الحمد لله ، ازيك انتِ يا مريم؟

أجابت بخفوت :

_ تمام الحمد لله.

ثم التفتت لأخيها عندما سألتها :

_ انتِ نازلة ولا جاية ولا ايه ظروفك انتِ؟

_ لا نازلة .. ماتخلكِ جدع وتعالى وصلني

_ يلا ياماما اتكلى على الله

_ يعنى يبقى معاك عربية وتسبب اختك تتركب

مواصلات !

رد فخر بلا أى اهتمام :

_ اه عادى ، يلا مع الف سلامة

_ والله العظيم انت واطي و زيزو اجدع منك ، ده
وصلنى امبارح من غير ما اتكلم حتى و ...

ابتلعت كلماتها فجأة وأشاحت بنظرها بعيداً ، عندما
أيقنت أنها وَشَت بأخيها الأصغر وستقع فى ورطة مع
كلٍ منهما على حدى ..

نهض فخر على مهل ووقف بجانبها ، ومد رأسه لها
قليلاً لينظر لها بطرف عينيه ، ويكرر ما وقع على
مسامعه للتو :

_ وصلتك امبارح؟

حاول إنقاذ الموقف بأى كذبة بيضاء ، وأسرعت
تقول:

_ اه وصلني مَشى

شعرت به يمسكها من ثيابها من الخلف كالأرنب
الصغير ، وهو يهتف بحدة :

_ انتوا خدتوا عربيتي من ورايا !!

حاول عز كتم ضحكاته ، بينما ردت مريم بقلق من
نبرته التى تعلم أنه سيتبعها صراخ وعصبية ؛ فحبه
لسيارته يتخطى اهتمامه بأى شئ آخر ، بل ويتخطى
إخوته شخصيًا :

_ ده كان مشوار صغير والله ، محصلهاش حاجة
متخافش

وده هيخايني اسيبك يعنى؟؟ ، اقسم بالله ما هحك لا
انت ولا الكلب اللي فوق ده ..

صاحت فجأة وهى تنظر من خلفه :

لا يا عزم تضر بوش ده اخويا بردو !!

جديتها الشديدة فى الدفاع عنه جعلته يصدقها ويلتفت
من خلفه ، بينما لم يكن عز قد تحرك من مجلسه ولو
سنتيمتر واحد وراح يتطلع من حوله باستفهام ، إلى
أن رآها تركض هاربة بعيداً ، فصاح فخر مهدداً :

هتروحي فين؟ ، ده احنا في نفس البيت يا حمارة
، كدا كدا هجيبك

*

*

*

بمكتب أنيق يتعلّق عند بابه لافتة تعريفية عن هوية
صاحبه :

"المحامي مروان نصر"

لم يكن جالساً بغرفة مكتبه الخاصة ، بل كان يمكث
بصالة الاستقبال الفارغة ، حيث انتهت مواعيد
وغادرت سكرتيرته ؛ فقد تخطت الساعة العاشرة
مساءً ، وظل وحده لبعض الوقت في هدوء تام يعبث
بهاتفه المحمول ، ولكن لم يدم الهدوء طويلاً وحلّ
الصداع والإزعاج بقدم جهاد من الباب المفتوح
وهو تصيح بتذمر :

طالما خلّصت شغلك ماتجيلي البيت ، مفرهضني لحد
المكتب ليه!

طالعتها مفسراً بملل :

_عشان انا مش فايق لك ومشوار بيتك بعيد .. انا
مصدع وهطلع من هنا على أوضتى على طول

اقتربت منه حتى شاركته الجلوس على الأريكة
بجواره وهى تقول :

_طب ايه؟

_بعثت لك صور واتساب شوفيهم

فتحت هاتفها ومن ثم التطبيق والمحادثة الخاصة
بينهما ، فكانت الرسائل عبارة عن اربع صور لأربع
رجال مختلفين ، فصاحت قائلة :

_انت لحقت تجيبهم؟!

مش محتاجة ،كلها من ع الفيسبوك .. دعبت وانا
قاع النهاردة ونقيت دول

ردت وهى تفحص الصور :

تستاهل بوسة والله

فتحت أول صورة وظهر عليها الإعجاب قائلة :

حلو ده .. اسمه ايه؟

ادم بسيونى ، ٢٢ سنة بس ميبانش عليه إنه أصغر
منك يعنى .. وابوه صاحب شركة استيراد وتصدير
ومرتاح

أمعنت النظر بصورته قليلا ثم قالت :

بس تحسه طري كدا شوية

نظرت له تقول بنبرة حالمة :

_ انا عايذة واحد كاريزما .. جسم كدا طول بعرض
وتقيل وراسي ، واحد لما الناس تشوفنى ماشية جنبه
يقولوا دى اتعرفت عليه ازاي ..

أعدت بصرها إلى الهاتف لتنتقل للصورة التالية
وغلبها التبرم بوضوح قائلة :

_ بجد؟! ، جاييلى واحد قد ابويا !؟

_ بس رجل اعمال زى ما طلبتي

ردت باستنكار :

_ ايه الغباوة بتاعتك دى !؟

_يابت العواجيز دول احسن حاجة والله ، مخهم طاقق
ومش هتتعبي عشان تخليه يحبك ، و هيموت بسرعة
وتورثيه كمان ويبقى معاكى فلوس كتير

أسرعت توقفه عن الحديث ،موضحة :

_ايه ده ايه ده مين قال إني عايزة اتجوز أصلا؟! ،
احنا هنبقى اصحاب بس مش اكثر ، انا نفسى اعرف
ناس نضيفة شوية بدل الأشكال اللي حواليا دي ،
عايزة اجرّب صحوبية الناس بتوع ايجيبت دول
عاملة ازاي ..

حوّلت إلى الصورة التالية فجذبت اهتمامها قليلاً
وأسرعت تقول :

_استنى مين ده؟

كانت صورة لا ينظر بها للكاميرا مباشرة ،بل نظره
يتوجه إلى الجانب مغطياً عينيه بنظارات شمسية
،يضم هاتفه بإحدى يديه ويدس الأخرى بجيب بنطاله

ذو اللون الكحلى ،حيث كان يرتدي معه قميصًا أبيض
اللون مفتوحًا منه أول زرّين ،تعتليه سترة رسمية
أنيقة من اللون السماوى ، وتقع من خلفه سيارة
فخمة ذات لون أسود لامع ..

نظر إلى الصورة ليحدد هويته ثم أجابها :
_ ده ياستي فخر تليد

كرمشت وجهها بتعجب واستنكار :

_ اسمه فخر؟؟ وابوه اسمه تليد؟؟؟

_ لا مش ابوه ده اسم العيلة

_ كمان!؟؟

سألها بعدم فهم :

انتِ ايه مشكلتك؟

اسم فخر ده اقدم من تليد بكثير

تطلع من حوله بملل ثم قال :

على فكرة تليد ده موجود من زمان مش جديد، بس
احنا اللي اكتشفناه متأخر

ثم أردف بغضب وهو يدفعها من رأسها :

وبعدين انتِ مالِ أهلك ماتخليكي في المهم!

ردت له الضربة بشكل أقوى بلكمة عنيفة تقول
بتحذير :

متمدش إيدك عليا

صاح وهو يمسكها من شعرها وهمّ بالعراك معها :

لا ده انت مش لاقية حد يربّيكي بقى!

وشرع الأخوان بشجار ملئ بالصفع والشد واللكم
وكلاً منهما يعاند مع الآخر مصرًا أن ينتهى هو بآخر
ضربة قبل أن يتملّص من يده ويهرب بعيدًا , كأطفال لا
يتعدون السبع سنوات لا يقدر أحدهما على التنازل أو
التغاضي عن الأمر

*

*

*

بنفس الوقت بمنزل آل تليد ..

.

تحركت سيدة بسيطة تبدو في منتصف الأربعينات
برشاقة في رواق المنزل ، قصيرة بعض الشيء
ويظهر عليها الطيبة والسماحة من وجهها البشوش
..

وصلت عند الغرفة المقصودة وطرقت فوق الباب ، ثم
انتظرت حتى صدح صوته يأذن بالدخول ويبدو على
نبرته العصبية والضيق ، ففتحت الباب بهدوء وهي
تقول :

فاضي يا بشمهندس؟

ابتلعت باقي كلماتها قبل أن تتفوه بها واعتراها
الذهول مما رأت ؛ فكان زياد ومريم كلاهما يشغل
كرسيًا خشبيًا مقيدًا به بإحكام وبجواران بعضهما ،
حيث يسود وجه مريم التوسل والتذمر ، بينما لا
ينتاب زياد سوى اللامبالاة وعدم الاهتمام ..

طالعتها مريم متصنعة البراعة وهتفت بنبرة مسكينة :
_طنط سحر الحقينى ، شوفتى فخر بيعمل فينا ايه!

نظرت "سحر" لفخر الواقف بالجوار لا يظهر عليه
الاكتر اثار بلطافة أخته المخادعة ، وصاحت بدهشة :
_ايه يابني اللى انت عامله فى اخواتك ده !!

كان يمسك قلمًا بيده اليمنى ، فأشار به على زياد وهو
يجيبها :

_الصعلوك اللى قاعد قدامك ده سرق العربية من
ورايا والهانم اتسترت عليه

هتف زياد بملل :

_كأنها أول مرة يعنى

صاح فخر فجأة ، جعله ينتفض من ارتفاع صوته :
_ ماعشان كدا انت مربوط ، عشان جبت آخرى منك!

استسمحته سحر بنبرة ليّنة :

_ فكهم يابنى معلى مينفعش كدا دول اخواتك بردو

التفت لها موجهًا لها سؤال مباشر :

_ انتِ بقالك قد ايه شغالة معانا ياست سحر؟

تحركت عينيها فى الأرجاء قليلا بتفكير ثم قالت :

_ يجى اكثر من ٢٠ سنة

_ ٢٢ سنة .. بقالك معانا ٢٢ سنة ، عمرك شوفتى

الجحش ده بيستأذن منى فى حاجة قبل مايعملها؟ وانا

اخوه الكبير كمان ولازم يحترمنى!

_هيقرفنا بقى عشان فرق خمس سنين عُمي!
أردف زياد بجملته مع نفسه بمنتهى الضجر ، بينما
استكمل فخر مخاطبته لخادمتهم العريزة سحر :
_بالذمة ليا حق افش غيظي ولا لآ؟

قبل أن ترد سحر بشئ ، صرخت مريم به بضيق :
_هو فيها ايه لما اختك تتعلم السواقة يعنى؟ هو انا
غريبة؟! عيب اللي بتعمله ده على فكرة

ارتفع حاجبيه بذهول ، فى حين همهم زياد بيأس :
_ياغبية يا ام لسان فالت !

صاح فخر مخاطبًا زياد بغضب :
_بتعلمها على عربيتي كمان !!

نظرت مريم لزياد قائلة بتعجب :

ايه ده هو ميعرفش؟

أجابها زياد بسأم :

لحد من تلت ثوانى اه

أعادت بصرها لفخر تطالعه بقلق ومن داخلها تلعن
فمها الذى لا يستطع التكتم على أى شئ ، ومن ثم
ارتجف جسدها بفزع من صوته الذى ارتفع فجأة
بحنق وتوعد :

ده انتوا مش هتطلعوا من هنا النهاردة !

تحدثت سحر لتوقفه عن مواصلة غضبه بقولها :

طب انا كنت طالعة عشان اقول لك ان والدك عايزك
تحت .. انزل شوفه الاول وبعدين تعالاهم

اوما بعد صمت دام للحظات ، وقبل ان يترك الغرفة
عاد يحذرها قائلاً :

لو فكيتيهم هربطهم تانى وهربطك معاهم ...

*

*

*

يجلس بمنتصف الأريكة ، واضعاً قدمًا فوق الأخرى
ويتطلع ببعض الأوراق من خلف عويناته بتركيز ..
رجلاً في منتصف الخمسينات من عمره ، خط الزمن
بضع تجاعيد فوق وجهه وتلون شعره بالأبيض ،
ومع ذلك يحتفظ بجسد رياضي متوازن ..

رفع عينيه من أسفل نظاراته دون تحريك رأسه ،
يطالع ولده وهو يخطى آخر درجة من السلم ، ثم سار
ناحيته واضعاً يديه فى جيوبه يتساءل رغم يقينه من
ماهية الأمر :

خير يا عامر بيه؟

ترك " عامر " ورقه على الطاولة مصحوباً بعويناته
التي نزعها عن عينيه ، ثم وقف وخاطبه بصرامة
ودون أى مقدمات :

ممكن اعرف حصل ايه مع بسمة بالظبط؟

ظهرت بسمة عند بداية الدرج وتابعت الحوار من
الأعلى بانصات ..

رد فخر بلامبالاة :

_ على حسب هي قالتك ايه

_ هو انا المفروض اقول كام مرة إنك تحترم كلامك
وتراقب اسلوبك وانت بتتكلم معاها؟! ، هفضل اعلمك
زى العيّل الصغير ولا ايه!؟!

تطلع من حوله بتأييب ضمير ساخر ، ثم رد ببرود :

_ وليه متقولش إنها هي مثلا اللي بتتفنن عشان
تخرّجنى عن شعورى وبعدين ترجع تتقمص وتعمل
قدامك غلبانة ومظلومة؟

هتف عامر بصوت خشن ونبرة مهددة :

_ اتكلم بأدب يا فخر !

التزم فخر السكوت وطالعه بنظرات جامدة لا تبالى
بهذا الحديث من بدايته حتى آخر حرف به ، إلى أن
استمع لمواصلة والده فى التحدث :

انت هتطلع تعتذرلها دلوقتى ،وبعدين هيبقى لينا
كلام تانى ..

لم يظهر على وجهه أى رد فعل بعد سماع هذا الأمر
؛الذى يقسم إن حبسوا روحه بزجاجة ضيقة حتى
يموت مختنقا ،فلن يفعلها ..

رفع رأسه قليلاً إلى الدرج الذى تقف هى عند أوله
مبتسمة بانتصار ؛ظناً أنها استطاعت كسر غروره
،وبدون أى مجهود ؛فقط بمجرد أمر من والده ..

أعاد نظره لأبيه ووضع يديه خلف ظهره على مهل
، ثم أجاب بنبرة صخرية باردة :

_حضرتك عارفتي لما بغلط بعذر على طول

تابع مشيراً صوبها :

_بس دي بالذات الغلط في حقها صح واستاهل اتكرم
عليه كمان

ثم أضاف بابتسامة مستفزة يرسلها إليها أثناء
مراقبتها للموقف ، وقد رسم البراءة على وجهه وهو
يرفع يديه في الهواء وكأنه يدافع عن نفسه ، متحدثاً
عن نفسه بصيغة المجهول :

_فخر مغلّطش في حد يافندم ، لا شتم ولا هزاً ولا
حتى على صوته .. هي محروقة من كلمتين سمعتهم
دي مشكلتها بقى!

حدجه والده قائلاً بحنق :

_ انت بتتحداني؟!_

_ لا عاش ولا كان يا عامر بيه ..

أردف جملته بسخرية مختفية خلف نبرته الثلجية ، ثم
أنهى حديثه قائلاً :

_ انا هختصر عليك وعليا ..

أى محاولة هتعملها معايا هتفشل .. حتى لو قررت
تطردني من البيت هتفضل النتيجة صفر ، فبلاها
حوار آخرته مسدودة من أولها .. عمت مساءً !

ترك تحيته الأخيرة بمنتهى البرود ، قبل أن يترك
المكان ويتوجه إلى خارج المنزل ؛ لاستشاق بعض
الهواء النظيف ، بعدما تعكر صفوه بسيرة تلك المرأة

، ومن خلفه بسمة تحرق بطيفه بعصية مكتومة ، قبل
أن تتحرك وتذهب إلى غرفتها

يتبع..

الفصل الثاني {العمة الملعوننة}

فتح مروان باب الشقة بالمفتاح ولم يحظ بالتقاط
أنفاسه حتى ؛فقد وقفت أمه فوق رأسه ،تطالعه
بحاجب مرفوع وذراعين منعدين وتعبيرات حادة
توحى بأنها على وشك افتعال مشاجرة ما ..

منذ أن انتهى من تجهيز شقته التي حضرها بحجة
الزواج فيها _وهو في الحقيقة أخذها لرغبته في
امتلاك منزل بإسمه والعيش به وحيداً ينعم فيه

بالهدوء وصفاء الرأس_ ، أصبح يزور والدته كل
يوم تقريبًا ; رغم يقينه بأنها ستعكر مزاجه بالشريط
الذي تنصه على مسامعه كلما علمت أنه يتواصل مع
أخته ..

ولكنها فى النهاية والدته وهو ابنها الوحيد الذى تضع
أملها به ، فلن يخذلها ويتركها وحدها ، ولا يمانع أن
يعصر على نفسه بعض الليمون الحامض ليتحمل
كلامها ، ثم يخرجها من أذنه الأخرى بنفس الثانية
كالعادة ..

زفر بمنتهى الملل وأغلق الباب ، ثم اقترب منها بضع
خطوات قائلاً :
_استر يارب ..

طرحت "صابرين" سؤالها باستنكار :

لسة فاكر تجيلي دلوقتي؟

أجاب بابتسامة واسعة توضح سخريته :

الشغل يا امي ، الشغل

وقابلت جهاد ، مش كدا؟

أسرع يجيب ؛كونه قد حضر الإجابة مسبقاً لتأكده عن
ظهر قلب أنه سيسمع هذا السؤال :

اه اه .. قابلت جهاد و قعدت معها ف بيتها وشربنا
عصير واتكلمنا ، ولو هتبدأي معايا الخناقة دي
هرجع شقتي ، انا لسة مقلعتش جزمتي حتى .. انا
جيت لك عشان اشوفك ونقعد هاديين شوية بس لو
هسمع كلام مش على هوايا همشي ..

طالعه بتعجب لبرهة وهي تردد بنبرة حنونة :

كل ده عشان خايفة عليك؟

تتهد بضيق و ردد بضجر :

هرجع اسمع نفس الجملتين للمرة المليون اهو ..
مش معنى إن امها كانت ضرتك تبقى جهاد وحشة ..
وابويا مكانش مقصر معاكى ف حاجة ولا سابك
عشانها مثلا وراح لها ، انتى بتكرهيا عشان
شاركتك فيه بس ..

صاحت بغلّ :

عشان جهاد هى السبب فى إنه يتجوز امها ! ، هدى
دى كانت مجرد نزوة فى حياته وهتعدى لولا أنها
حملت واضطر يتجوزها وبقت أمر واقع علينا ..

رد ضاحكًا بمنتهى التهكم :

ياسلام ! , ياسلام ع البساطة اللي بتتكلمى بيها ..
اللى انت بتتكلمى فيه ده اسمه زنا مش نزوة ! ، و
دى مش غلطة عادية دى كارثة ، انتِ كل اللي
مضايقتك إنه اتجوزها عليكى بس .. يعنى لو كان
سابها لحالها ومتجوزهاش مكانش هيبقى عندك أى
مشكلة تكلمى معاه وتعديله عملته عادى كأنها غلطة
سهلة ..

ثم تابع :

مع إنك المفروض تفرحى ان ابويا كان فيه بذرة
نضيفة وشوية ضمير خلّوه يصلح غلطته وميهدلش
الطفل اللي جاى .. إنما انتِ حتى مفكرتيش تغلّطيه
ومغلّطة هدى بس , مع إنهم هما الاتنين غلطانين
نفس الغلط بنفس النسبة بالظبط ..

ردت بغضوب مكتوم :

هي اللى ضحكت عليه ولقت عليه لحد ماسمع
كلامها

أجابها ببرود :

معتقدش ان ابويا كان عنده خمس سنين عشان
يمشى ورا حد ..

ثم افترض قائلا :

وحتى لو كان الغلط على هدى بس وهو اتضحك
عليه ماشى .. جهاد بقى ذنبها ايه؟ ، هل كان ليها يد
ف كل ده؟!!

لم ينتظرها أن ترد على سؤاله وأجاب هو على نفسه
:

لا .. يبقى ترجعى تفكرى فى أسباب كرهك المبالغ
فيه ده

كانت على وشك الرد فأوقفها فورًا :
_النقاش لو طوّل عن كذا هلف وشى وامشى !

أطلقت زفيرًا بعصبية طفيفة ، ثم استجمعت هدوؤها
سريعًا وقالت :

_خلاص تعالى اقعد

*

*

*

وقف فخر بإحدى زوايا صالة الألعاب الرياضية
،مستمرًا فى التدريب على رياضة الملاكمة .. وجهه
منقبض بغضب عارم ؛حتما سيفجره بوجه أى أحد
يمسه ولو بكلمة صغيرة ..

لكماته تزداد قوة كلما تضاعف غضبه المدفون
بداخله ،مع زيادة حبات العرق على وجهه ورقبته
،يرتدى قميصًا قطنيًا أسود اللون بنصف أكمام يوضح
عضلات جسده البارزة ،وينطالًا رياضيًا من نفس
اللون ..

وعلى مقعد بالقرب منه كان يجلس عز بصحبة زياد
الذي أمسى يشاهد أخيه بهدوء وهو يتناول شطيرة
صغيرة ويلتزم السكوت ، بينما هتف عز وهو يدرك
سبب عصبيته الواضحة :

خلاص يا فخر عروقتك هتطق ،ماتهدى شوية

لم يجبه فخر واستمر بعمله ،ليستمع له يتحدث مجددًا
:

اسمع انا عارف إنك بتكرهها بس هي متستاهلش
اللى انت عامله فى نفسك ده ، ماتكبر دماغك ياعم

صمت فخر محتفظًا بلامحه المتجهمة ، ثم تكلم
محدثًا نفسه بصوت سمعه الاثنان :

_بسمة هي المظلومة .. هي الملاك البرئ .. , دايمًا
واقف في صفها ، عمره مانصفنى

صك على أسنانه من قوة الغيظ وتضاعف عنفه في
الضرب :

_دايمًا فخر اللى وحش .. فخر اللى وحش !

تتهد عز بهمّ ، قبل أن يدير رأسه لزياد الجالس في
سلام يأكل شطيرته بصمت ، فهتف باستنكار :

_مانقول حاجة

_سيبه هو هيفيِّص ويسكت لوحده

أطلق جملته بلا أى اكرات و عاد يستكمل طعامه بتأنٍ
ولامبالاة ..

صدر صوت فخر من جديد دون أى انتباه لهما ؛ فقط
يخرج القليل مما يطبق على أنفاسه بسبب والده
وزوجته :

أقل كلمة بيحاسبني عليها ، عشان ايه؟ ، عشان
بوقفها عند حدها قبل ماتصدق نفسها ومحدث يعرف
يلمها بعد كدا !

وأضاف :

نغور احنا فى أى مصيبة ، المهم هى تبقى
مبسوطة ومحدث يزعلها ..

تفاقت سرعة ضرباته ، فأمسى يسدد لكمة مع كل
كلمة يلفظها :

الطماعة التافهة تربية المواشى اللى جابها من
الشارع وعملها ريسة علينا !

بان التعجب على وجه عز قليلاً وهو يبدل نظراته بين
كلا الأخوين ..

يرافقهما منذ الصغر ولا يزال لا يستوعب هذا التضاد
الكبير بينهما .. فالأول أقل كلمة تجعله يثور ويجن
جنونه إلى أن تفلت أعصابه حتى يوشك على فتح
رأس أحدهم أو تحطيم ضلوعه ، فى حين أن الأخ
الأصغر لو رأى غرفته تحترق فأقصى رد فعل
سيصدر منه ، هو ببساطة الابتعاد عن الحريق
والذهاب لتناول بعض التسالى والمكسرات حتى
ينطفئ الحريق وحده ثم يعود ...

ركز نظره على فخر الذى توقف ومسح جبهته برسغه
،يحاول استعادة هدوءه قدر المستطاع .. توجه إليهما

وهو يخلع قفازات اللعبة وجلس بجانب عز ، ليصبح
عز يتوسطهما ، وقد مد له زجاجة المياه وهو يقول :
_ روق خلاص هدى نفسك ..

أخذ فخر الزجاجة وشرب منها القليل ، وفور إبعادها
عن شفثيه وقعت من يده لإرادياً .. فتقدم عز سريعاً
يرفعها بعدما انسكب منها القليل ، بينما نظر فخر ليد
يتطلع لارتجافها الواضح ، ثم ضمّ قبضته ووضعها
بجانبيه وهو يزفر بملل ؛ فهذه ليست أول مرة ؛ طالما
لازمته تلك الرعشة كلما ترك الغضب يسيطر عليه ..
فأدار رأسه لعز يقول :

_ عز انا اتخنقت .. انت مش دكتور؟! ماتشوف لى حل
يا اخى ، لحد امتى أخفّ حاجة هتقع من ايدي كدا ؟!

_ كام مرة قولتلك إن دى حالة نفسية مش جسدية؟!!

نفخ قويا باختناق وأشاح بنظره عنه وهو يتمم
بصوت يغزوه الضجر :

بدأنا بقى !

فى حين أكمل عز حديثه الممل بالنسبة لفخر :

وعلاجها مش بـ أدوية ، علاجها إنك تبطل العصبية
الزيادة دى .. انت بنفسك واخذ بالك أنها مبتحصلش
إلا لما تحرق دمك ، اهدى على نفسك بقى شوية ، كل
حاجة واخدها على أعصابك ليه؟

ثم أشار على زياد قائلا :

ما تتعلم منه حاجة

نظر فخر لأخيه ، فابتسم زياد ورفع يده يشير له
بالسلام بضحكة بلهاء مليئة بالبرود .. فرمقه بقرف
، ثم عاد ينظر لابن خاله وهو يقول :

ولعلمك بقي ، طول ما انت كدا الحالة هتزيد وهتعود
عليك بالسلب أكثر ومش هتتحسن ولا تتطور ولا
هتشوف يوم عدل

هتف زياد معقبًا :

ماناقص تقول له هتموت بكرة !

رد عز بسخط :

اعمل له ايه ، ماهو عنيد ومبيسمعش الكلام

أجابه فخر بحنق :

انت فاكر إنه بمزاجي يعنى؟ انا نفسي رايحة لحرقة

الدم والفرهضة دي؟

رد عز :

معلش حاول ، الضغط الأوقر اللي بتعمله على
أعصابك ده هيضرك ،مش بس هيزود حالة إيدك ، ده
هيفرقع دماغك بدرى ..

ردد زياد مقاطعًا حديثهم :

طب احنا المفروض نهزها ونقوم عشان الجيم
خلاص بيقل .. شوفولكوا خرابة تانية تكملوا فيها يلا

*

*

*

صباح اليوم التالى ، بالقرب من مبنى الشركة
الخاصة بآل (تليد) ، وعلى مسافة صغيرة منه كانت
تقف جهاد بصحبة مروان تراقب المكان من بعيد ،

بينما وقف مروان فى عالم آخر يلقي ابتسامات
ونظرات مشاكسة لآى فتاة تمر من جانبه ، فلم ينتبه
لجهاد وهى تتكلم :

شكله مش جاى النهاردة ولا ايه؟

استدارت له لتراه يغمز لفتاةٍ ما سارت بجواره ،
فسدنت له ضربة قوية بكتفه ، شعر على أثرها بأن
ذراعه انفك من مفصله ، فالتفت لها صائحًا بسخط :

انتِ متربية فى زريبة !!

بتعمل ايه يا حيوان انت؟

رد بملل :

اهو بنحاول نستفيد م الوقفة العقيمة دى.

ضربته بنفس موضع الضربة السابقة مجددًا :

_ اتهدّ يابتاع النسوان يازباله ، انا مش جيباك نعلّق
البنات هنا

دفعها من رأسها بقوة وهو يجيب بسخرية :
_ لا طبعا ، جاين نعلّق ابن صاحب الشركة ..!

هتفت بسخط وهى تدلّك رأسها بألم :
_ ايدك تجيب ارتجاج يخربيتك!

تطلع من حوله بضجر ثم قال :
_ بقول لك ايه يلا نمشى

_ لا نمشى ايه؟ ، انت مش لما سألت الأمن قال لك
بيجي الساعة ٩ ؟

_ايوة بس مش بيجي كل يوم ، عشان هو مش شغال
فيها أصلاً .. والساعة دلوقتي ٩ وربع اهو يبقى مش
جاي النهاردة

_طب نستنى خمس دقائق بس ، يمكن سگته عَصَلَجِت
معاه ولا حاجة

صاح باستنكار :

_عصَلَجِت! ، انتِ هتروحي تكلمى الراجل تقويله
عصَلَجِت!؟

ضحكت ببلاهة وعادت تنظر تجاه باب الشركة مجددًا
تراقب الوضع الذي لم يتغير ، ثم عادت تسأله عندما
تذكرت شيئًا ما :

_طب هو الأمن قال لك ايه عليه؟

كل الصفات اللى هتسندك فى الحوار ، جدع وطيب
وابن اصول ومبيتأخرش لو حد احتاج مساعدة ..

ثم أضاف :

بس خلقه ضيق ومعدوش صبر ، ف تختصرى معاه
كدا ومتماطليش بدل ما يسكعك قلمين ..

مش مشكلة ، اى حاجة مش هتبقى مشكلة طالما
"مبيتأخرش عن المساعدة" دى موجودة ، هو ده
الأهم

مد كفه لها قائلا :

ايدك بقى على ٢٠٠ جنيه

اكفهر وجهها فجأة وهتفت بصوت غليظ ، وكأنه
سيأخذ قطعة من جلدها :

بتوع ايه ياخويا!؟!

_اللى خدهم الأمن عشان ينطق ، انا مش هتسحل
معاكى فى الشمس واخسر فلوس كمان

ردت بتأفف :

_طب خلاص هبقى اذّهالك

_دلوقتى يامحتالة !

عادت تنظر صوب الشركة لترى سيارة سوداء تستقر
أمام المبنى ، وترجل منها شابين أحدهما هو الشخص
المنتظر .. فأسرعت تقول :

_جه يامروان جه

.

.

•
أغلق زياد باب السيارة وهو يقول :
_فالح تتكلم على سواقتي وانت لعبة العربيات حتى ما
تعرف تسلك فيها !

تحرك فخر من أمام السيارة حتى وقف بجانبه وهو
يقول :

_اخرس يالا وقول شكرا ، مش كفاية بوصلك كل
شوية وانت متستاهلش أصلا ؟!

صدح صوت رنين هاتفه يقاطع مشاجرتهما قبل أن
تبدأ ، فأخرجه من جيبه ونظر بإسم المتصل..
تطفل عليه زياد ومدّ بصره فى الشاشة ثم وسرعان
ما ارتسمت عليه ضحكة عابثة وهو ينكره بجانبه :
_ايوة يافوقا !

انتفض فخر من فعلته ثم ضربه بذراعه بعنف :

_ غور من خلقتى قبل ما اطبق لك وشك!

لم تختفِ ضحكات زياد وغمز له وهو يستعد للدخول:

_ هسبقك يا عم ماشى ..

تركه واتجه إلى الشركة ، تاركًا إياه يجيب على

الهاتف وحده :

_ ايوة يا حنين ازيك؟ ...

.
. .
. .

راقبته جهاد بتعمق والتعجب يبدو على وجهها وهي

تفصل بعينيها مظهره وملابسه وسيارته ، ثم رددت

مخاطبة أخيها :

_ الواد شكله نضيف اوى يامروان .. ده انا لو قربت

منه هيفتكرنى متسوّلة !

•
•
معتقدش هعرف انزل النهاردة ياحنين ، لو عرفت
أفك من عمتي هكلمك .. معرفتش يبقى بكرة

ظهر على وجهه الملل وهز رأسه بالإيجاب :
_ايوة جاية النهاردة على الغدا ..

صمت قليلا يستمع إليها ثم أرفف بهدوء غير متناسب
مع جملته :

_لو مدخلتش فيها القسم هي وبنتها بعد ما اغزهم اه
هنتقابل ان شاء الله

ضحك بخفة ثم قال :

_ماشى هكلمك تاني ونشوف سلام

أغلق مكالمته ثم دس الهاتف بجيبه ، واستعد للحاق
بأخيه ولكن توقف على صوت أنثوى رقيق يهتف من
خلفه :

لو سمحت ..

استدار لها ملقيًا عليها نظرة عفوية سريعة .. لا يبدو
عليها أنها من نفس الطبقة التي ينتمي لها ؛ بل تتضح
عليها بساطتها من ملابسها التي تكونت من بنطال
قماشي أسود اللون وبلوزة أنيقة من اللون الأحمر
القاتم ، مع التزامها ببعض الأكسسوارات الذهبية حول
عنقها ، ومع ذلك لم يتخلّى مظهرها عن بعض الأناقة
والجمال الهادئ ..

لاحظ عدم مبالغتها في تلوين وجهها بمستحضرات
التجميل ، وشعرها الأسود المنسدل خلف ظهرها تقيد
منه خصلتين من الجانب الأيمن بديوس شعر ذهبي ..

رد عليها بانتباه :

_اؤمري؟

وقفت جهاد أمامه وأعدت خصلة وهمية من شعرها
خلف أذنها :

_حضرتك استاذ فخر تليد صح؟

.

.

بالقرب منهم وخلف شجيرة صغيرة وقف مروان
ليستمع إلى الحوار بوضوح ..

.

.

او ما بتأكد قائلًا :

_ايوة مين حضرتك؟

_ انا جهاد نصر .. حضرتك متعرفنيش خالص ، وانا
والله مكنتش عايزة ادخل معاك فى حوار زي ده
واحرجك واحرج نفسي بس ما باليد حيلة للأسف
ومعنديش أمل غيرك ..

تطلع لها باستفهام و رد بصوت هادئ ومهدب :
_ ممكن توضّحي شوية؟

استرسلت قائلة :

_ بص .. انا جيت الشركة عشان اقدم فيها على
وظيفة ، بس هما مرضوش يقابلوني ولا يدخلوني
حتى .. وعاملوني بطريقة وحشة جدا كمان ، وده
حازر في نفسي اوي الصّراحة

ضاقت عينيه قليلاً بعدم فهم، ونبس متعجباً :

حَ ايه!

.

.

ضرب مروان جبهته بيأس من غيابها المتوقع ..

فأسرعت هي توضح :

**ق.قصدى يعني مآثر فيا ، يعني حضرتك احنا كلنا
ولاد تسعة وهما معاملتهم كانت وحشة اوي معايا،
ولا كاني هخطف حد من عيالهم**

رد بشئ من الاستعجال :

ايوة يعني حضرتك عايزة مني ايه دلوقتي!

شعرت بأن صبره بدأ ينفذ فتحدثت مباشرة :

_ انا بس كنت عايزاك تساعدني ..

_ اساعدك في ايه بالضبط؟

_ تخليهم يقابلوني

رد فخر ببديهية متعجباً منها :

_ حضرتك في موقع للشركة بتقدمي عليه وهما لو

مهتمين بيديوكي معاد لل interview ! "مقابلة"

حدفته دون رد فعل للحظات ومن داخلها تود شتمه
لمحادثتها كأنها خرقاء ولا تعلم شئ كهذا ، ومع ذلك
وضحت له بأدب بالغ :

_ حضرتك انا مش عبيطة ولا جاهلة انا اكيد عارفة

كل ده ، بس الرد بياخد فترة طويلة وانا محتاجة

الشغل في أسرع وقت .. انت مش فاهم الموضوع

مهم ازاي

هتف فخر بفهم مدرِّكًا هدفها من الحديث :
_يعنى انتِ عايزاني اتوسّطلك.

أجابت بالنفى :

_لا طبعا انا عارفة إنك متعرفنيش ولا فى بيننا أي
عشم يخلينى اطلب ده منك ، وانا مش عايزاك تضمن
لي الشغلانة خالص .. انا بس طالبة إنهم يقابلوني ..
اورّيهم ورقى وخبرتي ولو معجبهمش خلاص همشي
زى ماجيت

ثم أضافت لتشجعه على قبول طلبها :

_انا والله شاطرة جدا ومش اول مرة اشتغل ، انا
عارفة كل حاجة

تسرّع فى الرد لينهى الحديث بقوله :

_طيب خلاص حاضر ، تعالي بكرة وانا هقول لهم
يقابلوكي .. تمام كدا؟

ارتفع حاجبيها بذهول وصاحت بعدم تصديق :

_بجد !!!

بينما اوما هو ببساطة قائلًا بلامبالاة :

_اه عادي

بدت على وجهها ضحكة واسعة وهى ترد بامتنان :

_انا متشكرة اوى اوى انت جميلك ده هيفضل على
راسي طول حياتي ، لو طلبت مني أى خدمة انا
هعملها على طول والله ، بجد شكرا جدا

ابتسم برضا عن نفسه عندما شعر من لهفتها فى
الحديث أنه أحدث فرقًا جبارًا لها ، بمجرد كلمة

سيتركها لإدارة الشركة وحسب .. ثم استأذن منها
بهدوء قبل أن يغادر :

__ عن إذنك

اومات بالقبول تاركة له ابتسامة صغيرة ، وظلت
مراقبة إياه حتى اختفى بالداخل .. ضمت قبضتها
وحرّكت مرفقها لأسفل تعبيرًا عن انتصارها وفرحتها
بتحقيق مبتغاها ، ثم انتبعت لمروان الذي أتى ووقف
بجانبيها واضعًا يديه بجيوبه ووجهه يسوده الإحباط
والازدراء :

__ وتقول لي هيفتكرني متسولة؟ ، انتِ متسولة فعلا

كانت على وشك الرد ولكن لم يعطها الفرصة وصاح
بوجهها فجأة ، مما جعلها تأخذ خطوة للوراء عفويًا
بفرع :

انتِ بتشحتي الشغلانة !!

أمسكها من ملابسها ليجذبها إليه ويبيده الأخرى قام
بطرقة أصابعه مقلداً إياها بصوت ساخر :

ده انا أوقع اتخنه راجل كدااا

ثم عاد لصوته الساخط متابعاً :

وايه حازر دي! ، انتِ جاية منين انتِ؟!

اوعى ايدك انت مش فاهم حاجة ، هي المسكنة دي
اللى بتجيب مع الرجالة

ترك ملابسها وألقها بدفعة عنيفة ، قائلا باشمنزاز :

ياشيخة أبو اللى يمشي وراكي تانى !

*

*

*

بأحد الأوراق الخاصة بالشركة ، حيث يشغلها العديد
من المكاتب التي يتردد بينها الموظفين باستمرار ،
كان من بينهم يسير شاب مميز يبدو بأواخر
الثلاثينات تقريبًا .. خطواته ثابتة يبدو عليها تحديده
لوجهته تمامًا ، طويل البنية وعريض المنكبين ،
شعره قصير بعض الشيء وحليق الذقن ويرتدي
ملابس رسمية ..

وصل للمكتب المقصود وطرق فوقه مرة ثم دلف دون
انتظار الإذن ليرى زياد واقفًا بالقرب من المكتب ،
فابتسم له قائلاً بسخرية :

ما لسة بدري !

_حلّ عن نفوخي بقي

ردد زياد بملل وهو يجلس على طرف المكتب دون
الاكترات بالورق الذي وقع على أثره ، فاقترب منه
الشاب وهو يقول بتحذير :

**_أولا انت لازم تتكلم مع مديرِك بطريقة لائقة عن كدا
، ثانيا انت عارف ابوك موصيني عليك ازاي ف لازم
اقرفك طبعاً**

رد زياد ضاحكاً :

_حازم انت تتاحتك عدت أقصى ليقل بجد

ضحك "حازم" وهو يقف بجانبه ثم قال :

**_طب لعلمك يا استاذ زيزو انت ابوك مركز معاك
اليومين دول وانا اللي بقول له ده بيشتغل ، لمّ نفسك**

شوية بقى لحد ما يطلعك من دماغه عشان انا مش
هداري عليك كثير

أجابه زياد باختناق :

_بقولك ايه عايزين تفصلوني افصلوني، انا مش
ناقص صداع

وكزه حازم بذراعه قائلاً :

_قوم طيب شوف شغلك وبطل دلع ، قوم ...

*

*

*

سمح عامر بالدخول لمن طرق فوق الباب ، أثناء
جلوسه بمكتبه الواسع الفخم يتطلع بحاسوبه
المحمول ..

دلف فخر وتقدم بضع خطوات ،حتى استقر على أحد
الكرسيين المقابلين للمكتب وهو يستمع لسؤال والده
المتهم :

_اخوك المحروس جه ولا مستني اللي يروح يشيله
من على السرير؟

_لا جه ، وعلى فكرة هو مش مقصر فى حاجة ، حتى
وهو مش هنا بيخلص اللي عليه من البيت .. روق
بالك عليه شوية

رفع عينيه عن شاشة الحاسوب متسائلًا :

_وحضرتك منورنى هنا ليه؟

_فراغ

طرح إجابته بكل لامبالاة ، فتنهد والده بملل ثم أضاف
سؤالاً آخر :
_ عايز كام؟

_ انا جبت سيرة الفلوس دلوقتي؟

_ وانت بتيجي هنا إلا عشان تاخذها؟!!

صح فخر كلمته بوضوح :

_ بستلفها ! .. انا بستلفها يا عامر بيه مش باخذها ،
فرق شاسع بين الكلمتين

_ بس انا مطلبتش تردها

_ وانا مش عايز حد له عليا جمایل

_جمائل ايه يابنى! انا ابوك مش واحد غريب، وأكيد
مش همّنّ عليك بيها يعنى

اعتلته ابتسامة مفعمة بالسخرية ثم أجاب :

_شايف في كلامك نبرة حنيّة كدا مش لايقة عليك
يا عامر بيه ! ، بلاش منها عشان دي مبتصلّحش
حاجة، بالعكس بتزوّد الطينة بلّة

تبادل معه النظرات الباردة وعينيه تحديق بخاصته
بثبات، قاصداً التأكيد على كل كلمة قالها ..

نظراته غريبة ..

جامدة..

لا تحمل أى لمحة من ملامح المحبة أو الودّ ..

ما الذى يمكن أن يفعله أب حتى يصل الأمر بولده أن
يناديه برسمية كالغريباء ، وليس بـ "أبى" !

أشاح بنظره بعيداً والتقط قلمًا من فوق المكتب وبدأ
يعبث به ، يفك غطاءه ويغلقه باستمرار متحدثًا
بضجر:

ـ ناهد هانم اخت سعادتك جاية على الغدا النهاردة ،
ياريت تحاول تيجى بدرى عشان تقعد معاها

أشار له بالقلم ليلفت انتباهه ويركز على أهمية
كلماته:

ـ انا لسة بعمل بأصلى ومبرضاش اخرجها
ومقابلهاش ، بس انا مش هستحملها اكثر من نص
ساعة ..!

أطلق عامر زفيرًا عنيفًا بملل ثم قال :
ـ تحت أمرك يا بشمهندس فخر .. حاجة تانى؟

_ لا شكرا

_ ممكن زى مايحترم رأيك تكبر ابوك انت مرة وتسمع
كلامه بقى؟

لم يأخذ فخر وقتًا لفهم مقصده وأجابه باستهجان :
_ اه قصدك على حوار بسمه؟ انا كنت فاكرك نسيت
خلاص

_ حتى لو شايف نفسك مش غلطان بردو تحترم ابوك
طالما قال كلمة

_ على عيني وعلى راسي يافندم بس انا عمرى ما
هقف قدام الست دى واقول انا آسف أبدا ، ولو فيها
موتى !

اتكأ على جملته الأخيرة بإصرار يوحى بجدية كلماته ،
ثم نهض دون إضافة أى حرف آخر وغادر المكتب

.....

*

*

*

عند حلول وقت العصر ، بأحد المقاهى الكبيرة
والمميزة ، اجتمع بعض الأصدقاء سويًا يتبادلون
الأحاديث المختلفة وصوت ضحكاتهم يصدح فى
المكان ..

من بينهم كانت مريم ، تستمع أكثر مما تتكلم ..
مشاركتها فى الحديث كانت ضئيلة ولكن ضحكاتها
المميزة لم تترك محياها ..

وقعت أنظارها على ذلك الشاب الجالس أمامها
يطالعها بابتسامة صغيرة ، فردتها له بأخرى خجولة
وهي تشيح بنظرها عنه ..

بضع ثوان ووصلتها رسالة على هاتفها ،ففتحتها
وقرأت محتواها بعينها ، ثم رفعت حدقتها لذلك
الشاب مجددًا وهي تضحك بتردد ، فشجعها هو على
اتخاذ قرارها وأشار برأسه نحو الخارج ..

لحق بها بعدما سبقته هي أولاً ، ليتحدثا وحدهما بعيدًا
عن أصدقائهما .. فنظرت له ضاحكة :

في ايه؟!_

وقف "إياد" أمامها وتطلع لها بعينه البنيتين ، حيث
كان طوله متقارب لطولها وجسده أعرض منها بقليل

، حليق الذقن وشعره مجعد ، وقال يفسر طلبه
لرؤيتها بالخارج وحدها :

_مش عارف اتم عليك ، أى كلمة هقولهاك كلهم
هيبقوا مركزين معانا

طالعه بضحكة عابثة وهى تقول بصوتها الناعم :
_وانت عندك سر يعنى؟ ماتتكلم عادى

أجابها بنبرة رقيقة :

_انتِ عارفة إنك بالنسبة لى مش زيهم ، وفى حاجات
كثير فعلا هما ميعرفوهاش انتِ بس اللى عارفها

غلبتها ابتسامة واسعة بمجرد تلقيها ذلك الشعور
بأنها مميزة عن الآخرين ، ثم قالت :

_طب وانت عايز تقول ايه دلوقتى؟

غمز لها بمشاكسة :

_ممكن مثلا شكلك حلو النهاردة

ردت ضاحكة ؛

_انت كل شوية بتقول كدا

_ما انتِ اللى كل مرة بتبقى أحلى

أخفقت رأسها مبتسمة بخجل ثم تطلعت من حولها
قليلاً قبل أن تستمع له يقول :

_ماتيجي نفكس لهم ونروح نلف فى أى حته لوحدنا
كدا

قبل أن تجيبه بشئ أتت فكرة ببالها فجأة ، فصاحت
بسرعة :

_هى الساعة كام !!

نظر بساعة يده ثم أجاب :

_ ء ونص ،ليه؟

_ يانهار أبيض انا نسيت

ضربت جبهتها بقوة وهى تلعن ذاكرتها ، ثم أسرع
تقول :

_ عمتى زمانها جت ، انا لازم امشى

همّت بالرحيل ، فأوقفها إيد من ذراعها وهو يقول :

_ استنى بس ، هو فى حاجة حصلت ولا ايه !

_ لا لا بس احنا لو مقابلنهابش بابا بيعمل معانا مشكلة

..

أردفت بآخر جملة بعجلة ، قبل أن تهول بعيدًا :

_ لازم امشي يا إيد معلىش ، هبقى اكلمك ، سلام

*

*

*

هتفت جهاد بكلماتها وهي تجلس بجانبه على الأريكة
التي تتوسط ساحة شقته ، فأمسى يراقب ثرثرتها
المتتالية بقدر ضئيل من الاهتمام ، وهو يحتسى
مشروبًا ساخنًا :

_اسمه فخر عامر تليد ، عنده ٢٩ سنة وخريج
هندسة معمارى وعنده أخ واخت ، مريم اكبر منه
بسنة وخريجة ألسن ، وزياد ٢٤ سنة خريج تجارة
إنجليزي وشغال ف شركة ابوه ..

ثم تابعت دون فاصل :

_فخر بقى طلع خاطب واحدة اسمها حنين ، عندها
٢٧ سنة زى ، وخريجة فنون جميلة .. أمه متوفية
وابوه عنده ٥٦ سنة ، متجوز واحدة اسمها بسمة من
خمس سنين .. وبالمناسبة أم فخر ماتت من خمس
سنين بردو , راجل واطى معندوش أصل

ثم أضافت تحت أنظار مروان المندھشة من معرفتها
بكل هذه المعلومات :

_وأقرب صاحب ليه عز ابن خاله ، وده دكتور بقى
ف مستشفى نضيفة وكبيرة ، وابو عز اللي هو خال
فخر ده بيعتبره كدا ابوه التانى وبيشاركه ف كل حاجة
تقريباً ، على عكس عامر ابوه مش قريب منه
ومبيتكلمش عنه خالص .. شكله متبرّى منه

صاح مروان مقاطعاً إياها :

_انتِ اييه! ، بالراحة يامًا ! ، انتِ عرفتى كل ده ازاي

_سهرت امبارح ع الاكونتات بتاعتهم كلها فصصت
أبوها

احتملت نبرته بعض الجدية وهو يقول :

_طب دلوقتي ممكن نفكر شوية ف دماغك المشقلبة
دى؟ ، انتِ ضامنة منين إنك تتقبلي فى الشركة؟

_ولا ضامنة ولا حاجة ، لو متقبلتش هشوف طريقة
تانية اقابله بيها

_وحتى لو اتقبلتى هتستفيدي ايه؟ ، قولتلك هو
مبيشتغلش فى الشركة

_بس بيجى كل شوية ، ومهما كان دى بردو خطوة
كبيرة .. وحتى لو فشلت معاه ادينى كسبت الشغلانة ،
انا كدا كدا بدور على شغل من ساعة ما سبت الشركة
الى كنت فيها .. ادعيلى بس اتقبل

صوح رنين هاتفه ، فأخرجه من جيبه وأجاب بضحكة
عريضة :

_ايه يالولو .. عاملة ايه يا حبيبتى وحشانى
طالعه جهاد باستخفاف ورفعت حاجبها بسخرية ،
بينما واصل هو مكالمته :

_خلاص شوية كدا وهجيك ... اجهزى واستتيني لما
ارن عليكى سلام

سألته بنبرة مستحقرة :
_لمياء؟

_لميس

_دى جت امتى دى؟

أجاب بلامبالاة :

لسة عارفها أول امبارح

تطلعت له بشكّ قائلة بخبت :

انت ايه حكايتك مع كل النسوان دي يالا!

لا متبصليش كدا انا مش منحدر للدرجة دي ، ده
بس تضيع وقت .. خروجة حلوة .. ناكل ونلف سوا
،بتاع .. كدا بس أخرى .. انا مش زى ابويا ولا هبقى
أبدا

تغير وجه جهاد كثيرًا وكساها الضيق وأشاحت
بنظرها بعيدًا ، عندما أحست أن الإهانة طالت والدتها
أيضًا ؛ فهي تعلم تمام المعرفة أن أمها فعلت ذلك
برغبتها وخطأها يتساوى مع خطأ والدها تمامًا ..

،والاثنين معًا يشعروها بالخزي كلما تذكرت هذا الأمر
المشين ;حتى وهى ليس لها يد بالأمر برمته ..

أسرع مروان يبرر بندم عمّا بدر منه :

_ جهاد انا مقصدش حاجة والله العظيم ما اقصد
حاجة خالص .. انا اسف

أجابته بخفوت متصنعة عدم الاهتمام :

_ خلاص يامروان خلاص

بينما لم يلبث هو مكانه واقترب من أخته الصغرى
يقبل رأسها بحنان :

_ انا آسف ،ربنا يعلم إنى ما اقصد حاجة بجد ،حقك
عليا

ربتت على ذراعه مبتسمة ابتسامة باهتة :

خلاص والله عادى انا عارفة .. قوم انت شوف
مشوارك وانا هرّوح عشان الحق اجهّز ال C.V
بتاعى لبكرة

*

*

*

فتحت الخادمة "حنان" باب المنزل لمريم التى دلفت
وابتسمت لها ببشاشة ثم توجهت إلى ساحة المنزل
التى اجتمع بها أخويها مع عمّتها وابنتها ياسمين ..

كانت العمّة "ناهد" ذات جسد رشيق ونشيط رغم
اكتسابها وزناً ملحوظاً، حيث شارفت على الخمسين
عاماً .. وجهها المزين ببعض مساحيق التجميل يتخذ
ملامح حادة تقترب من ملامح أخيها عامر ولكن

أجمل .. وتربط شعرها إلى الخلف بتسريحة عالية
تعطٍ حجمًا أكبر قليلًا لرأسها ..

أما ابنتها فكانت فتاة نحيلة الجسد بعض الشيء ،
شعرها بنى طويل ، و تكاد ملامح وجهها تختفى كليًا
بسبب مستحضرات التجميل الكثيرة التي غطتها ..
تلتزم بكامل سكوتها ولا تشارك بأى حديث سوى إن
كان الكلام موجّه لها بعينها ..

رسمت مريم ابتسامة صغيرة على محياها وهى
تحبيهم :

___ مساء الخير ، اتأخرت؟

لترد عمتها بصوت مسموع :

___ كنتِ فين يا حبيبتي احنا اتغدينا وخلصنا ..

بادرت بعُذرها وهي تستعد للجلوس :
_ معلى الوقت سرقني والطريق كان زحمة

ولكن لم تكذ تقترب من مقعدها حتى منعها ناهد
بقولها :

_ تعالى يا حبيبتى اقعدى جنبى ، هتقعدى بعيد ليه
تعالى

أقلت مريم نظرة سريعة على أخويها الجالسين جوار
بعضهما على الأريكة ، فيشاهد فخر الأوضاع بصمت
وملل واضح ، بينما يحتسى زياد مشروب الشاي
بالحليب كما يحب ، ويتطلع لما يحدث باستمتاع وبرود
وكأنه يشاهد فيلماً ..

لم ترغب بذلك ولكنها لا تملك سوى أن تخضع لطلبها
..

ليس لأنها مجبرة على احترامها ؛كونها عمته ،بقدر
محاولتها تجنب ماتفعله هذه السيدة عندما يرفض أحد
ما رغبته ؛فعلها تبدأ بوصلة طويلة من الزجر
والتذمر واللوم ،كقط مزعج لا يفعل شيئاً سوى
التسبب بالصداع ..

جلست مريم بجانب عمته فوق الأريكة العريضة ،
فأصبحت ناهد تتوسط ابنتها وابنة أخيها .. أحاطت
ظهرها وهي تمعن النظر بجسدها وتقول :
_مالك يا حبيبتي خسيتي كدا ليه؟ ، ماتاكلي شوية
عشان تعرفي تصلبي طولك كدا

حركت مقلتيها بالأرجاء وضمت شفتيها بحيرة ؛أى
رد يجب التفوه به على هذا ، ثم أعادت النظر لها
عندما تابعت بضحكة متحمسة :

_ اصل انا عندى ليكى عريس .. ومش اى عريس ،
ده واحد لقطه وابن ناس ، بس حاولى تتلمي شوية
عشان وشك يرد فيه الروح بدل ما هو تعبان كدا

أجابتها مريم بأدب :

_ ياطنط حضرتك كل شوية بتجيبي لى عريس وانا
بقول لك بردو انى مش هتجوز كدا ..

نهرتها ناهد قائلة :

_ اومال هتجوزى ازاي يا حبيبتي! ، انتى بقيتى ٣٠
سنة خلاص هتقعدى ايه اكر من كدا؟!!

ظهر الضيق على وجه مريم من حديث عمتها ، هل
تتعامل معها الآن على أنها بضاعة يجب بيعها قبل أن
تفسد أم ماذا !

أَلَقْتُ نَظْرَهَا إِلَى فِخْرٍ تَطَالَعَهُ بِنَظَرَاتٍ مُسْتَعِثَّةٍ ، لِيَفْعَلَ
شَيْئًا يَنْقِذُهَا مِنْ بَرَاثِنِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ ، فَلَمْ يَتَأَخَّرْ فِخْرٌ
عَنْهَا وَأَسْرَعَ يَقُولُ :

__ مَرِيْمٌ مُمْكِنٌ تَعْمَلِي لِي فَنَجَانٌ قَهْوَةٌ؟

نَهَضَتْ عَلَى الْفُورِ وَكَأَنَّهَا وَجَدَتْ طُوقَ النِّجَاةِ :
__ حَالًا ..

لِتَصِيحِ الْعَمَةَ بِاعْتِرَاضٍ :

__ أَوْ مَالِ الْخِدَامِيْنَ بِيَعْمَلُوا إِلَيْهِ لَمَّا تَطَلَّبَ مِنْ مَرِيْمٍ؟

أَجَابَ فِخْرٌ بِابْتِسَامَةٍ بَارِدَةٍ :

__ أَصْلِي بِحُبِّهَا مِنْ أَيْدِيهَا هِيَ ..

نَظَرَ لِأَخْتِهِ مُتَابِعًا :

يلا يلا روى ، اعلمها بمزاج كدا

ابتعدت مريم عن ناهد وولت معطية ظهرها لها وهى
تتظر لأخيها بامتتان ، بينما ابتسم هو وأرسل لها
غمزة لم يلحظها أحد ، فأرسلت له قبلة على الهواء
قبل أن تترك الساحة وتذهب ، كطير تحرر من القفص

..

صوّبت ناهد نظرها لزياد وقالت بابتسامة واسعة :
وانت اخبارك ايه يازيزو واخبار شغلك؟

أجاب بردّ مقتصر :

ماشى الحال

ربتت على قدم ابنتها بجانبها وهى تتظر له قائلة :

**شوفت ياسمين احلوت ازاي! ، بقالها كتير بتروح
الجيم عشان تظبك جسمها وبتاكل healthy food
بس "أكل صحى"**

**لم يرد زياد بشئ واكتفى بابتسامه بسيطة موجّهة
لابنة عمته ، فبادلته ياسمين الابتسامه بأخرى
مرتبكة قليلاً ..**

**لم تخرج ابتسامته سوى للمجاملة فقط ولم يظهر
عليه أدنى اهتمام بكلمات عمته ، فهو على علم تام
بمحاولاتها المستميتة فى تزويج ابنتها من أحد ولدى
أخيها ..**

**وعندما غلبها اليأس من فخر الذى أعلن خطبته
رسمياً منذ بضعة أشهر ، انتقلت فوراً إلى الأخ
الأصغر تحاول كسبه إلى صفّها ، فعادت ناهد تواصل
ثرثرتها :**

مقطعة نفسها في المذاكرة يا حبيبتى ، ناوية تخلص
آخر سنة دى بامتياز زى السنين اللى فاتت إن شاء
الله ..

أردف زياد باقتضاب :
ربنا معاكي

ردت بخفوت بصوت لم يكد يظهر :
يارب ..

تحول بصر ناهد إلى فخر وقد تبدلت ابتسامتها
بنظرات غير راضية :

وانت اخبارك ايه يافخر؟ ، عامل ايه مع خطيبتك؟
او ما بعدم اهتمام :
الحمد لله

_مبسوط معاها؟

لم تتغير ملامحه وأجاب بنفس الرد السابق :

_الحمد لله

كان يود أن يتمكّن اختصاره في الحديث بجعلها
تصمت وتجد شيئاً آخر تعبت معه ، ولكنها استرسلت
بعدم رضا :

_بينى وبينك انا مش مرتاحة للبنت دى خالص ومش
نازلالى من زور .. مالهاش قبول ومش مريحة كدا

أردف فخر بلامبالاة :

_لا تسير الحياة على أهوائنا دوماً ..

أصرت ناهد على رأيها :

_بس انا متأكدة بقى أنها طمعانة فيك و فى فلوس ابوك

لم يمنع زياد نفسه من الرد عليها ، فتحدث هو بدلاً من أخيه :

_اللى طمعانين فينا كتير ياعمتى! ومنهم ناس قرييين مننا كمان .. بس متقلقش احنا بنعرف نتعامل

سألته رافعة أحد حاجبيها :

_قصدك ايه يابن تليد !

ارتفع حاجبيه ببراعة مصطنعة :

_ولا اقصد أى حاجة .. اللى على راسه بطحة بيحسس عليها, وانتى طالما مفيش على راسك حاجة خلاص هتركزى فى الكلام ليه؟

حدجته للحظات بصمت ، تطالع ابتسامته المستفزة
وهو يواصل تجرع مشروبه بسلام ، ثم قالت :

_ابوك لو كان كلف نفسه يربيك خمس دقائق بس
كانت هتفرق كثير

أجابها بمنتهى الرضا محتفظاً ببروده كما هو :

_كويس إنه معملهاش ..

يتبع..

الفصل الثالث {أسمته فخر}

كانت العمة ناهد على وشك التعقيب على أسلوب ابن
اخيها المستفز في التحدث ، إلا أنها صمتت عندما
أخذ انتباهها أصوات كعب حذاء بسمة العالى وهو
يصدح بأرجاء المنزل ..

ابتسم زياد دون أن ينظر ناحيتها وتمتم بصوت
متحمس لم يسمعه سوى فخر :
_هتولع !

سارت بسمة صوب باب القِلا بجسدها الممشوق
صاحب المعالم المحددة من قِبل فستانها الضيق ذو
اللون الكحلى ، تثنى أحد أذرعها لتعلق عليه حقيبة
اليد خاصتها .. تزين وجهها ببعض مساحيق التجميل
وتترك شعرها الطويل منسدلاً خلف ظهرها ..
توقفت لتلقِ التحية بعجرفة واضحة :

مساء الخير

قابلتها ناهد بنظرات مليئة بالحنق وهي ترد :

لسة فاكرة تتكرمي وتنزلي دلوقتي؟

فردت بسمة قاصدة إثارة غيظها :

انا نازلة عشان خارجة مش عشان اشارك في

التجمع اللذيذ بتاعكوا ده

انتِ متليقيش بقعدتنا أصلا يابنت البلطجية و ردّ

السجون

ضحك زياد مع نفسه ضحكات مكتومة ثم استمر

باحتساء مشروبه أثناء المشاهدة بمتعة ولذة .. بينما

أمسى فخر يردد بصره بين الاثنتان ، فكلّما تكلمت

واحدة ينظر إليها ، دون إظهار أى اهتمام ..

اكفّر وجه بسمه بغضب ومع ذلك احتفظت ببرودها :
_متزوديش أكثر من كدا بدل ماتندمي يا ناهد

رنت ضحكات ناهد المرتفعة فى الأنحاء بكل استخفاف
واستهزاء ، ثم قلت ضحكها تدريجياً حتى تبقت منه
ابتسامة مستهجنة وهى تردد :

_الله يرحمك يا أمينة ! .. جاز لو كنت لسة عايشة
مكناش قابلنا المناظر دي

تطلع الأخوان لبعضهما عند سماع اسم والدتهما
بنظرات صامته تحمل الكثير فى طياتها ، ولكن لا
يظهر أى شئ منها سوى السكوت .. ، فى حين علا
صوت بسمه تقول بسخرية :

_ لا وانتِ كنتِ بتحبي امينة اوى !
أجابت ناهد بلامبالاة :

_ولا بحبها ولا بحبك ، بس على الاقل امينة كانت فى
حالتها مش سيمّ زيك ..

نفخت بسمة ثم هتفت آخر جملة باستفزاز قبل أن
تغادر :

_انا مش هحرق اعصابي عليك ، خليك قاعدة تاكلي
فى نفسك كدا ..

رحلت غير مبالية بأى كلمة تقولها ناهد، وصفعت
الباب من خلفها ..

نظر زياد لأخيه بحزن على فشل تحقق الأحداث
المنتظرة ، وهتف بتأفف :

_ممسكوش فى بعض ليه!؟!

*

*

*

أمينة ذات القلب الطيب والوجه البشوش ..

كانت فتاة جميلة قلبًا وقلبًا ، تشبه البدر في تمامه ،
عينيها ذات لون أزرق صافى وتتميز ببشرة بيضاء
وملامح هادئة ورثتها لابنتها بتفاصيلها ..

قبل مكوّتهم بهذه الفيلا الكبيرة ، كان هناك قبلها شقة
واسعة مفروشة بأفخم الأثاث والستائر ..

وبإحدى الغرف الخاصة بها كانت تقف أمام المراة
تمشط شعرها الطويل ، حيث أخذ لونا بنيا ذو درجة
فاتحة كثيرا اقتربت إلى لون العسل ..

عينيها مركزة على انعكاسها ، تحديقًا على بطنها
الممتدة للأمام تعلن عن اقتراب قدوم طفلها إلى الدنيا
بعد ثلاثة شهور تقريبًا ..

استمعت لبيكاء طفلتها ذات العشرة أشهر التي
استقيظت للتو ، فتركت فرشاتها وراحت إلى السرير
لتحملها بهدوء وهي تقول :

_ايه يامريوم صحيتى بسرعة كدا ليه؟ ملحقتاش

دعت الطفلة عينيها بنعاس وهي تستند على كتف
والدتها ، فربتت على ظهرها بلطف ، ثم التفتت لباب
الغرفة الذى فُتح فجأة دون أى دقة صغيرة حتى
، وراقبت زوجها يدلف دون أن ينظر لها وقد بدأ
بتبديل ملابسه ، فتسائلت بتردد :

_فى حاجة ياعامر؟

أطلق لها أمرًا دون التكرم بنظرة صغيرة ناحيتها :

_ابويا برا روى اعمله حاجة يشربها

تحركت إلى الخارج بصحبة طفلتها المستقرة على
كتفها ، وسارت بالرواق حتى وصلت لساحة الشقة ،
فابتسم لها حماها وسرعان ما تحمس كثيرًا عند رؤية
حفيدته وراح يأخذها فورًا ، فتركها له وهى تقول
بضحكة واسعة :

_ازى حضرتك ياعمى؟

أجاب وهو يداعب الصغيرة بأنامله :

_ازيك انتِ ياست البنات ، أخبارك ايه انتِ والكتكوتة
دى؟

_الحمد لله كويسين

لم تهتم الصغيرة بأى شئ سوى بتكملة نومها
، فاستقرت رأسها على كتفه وشرع النعاس يغلبها
تدريجياً ، ليهتف جدها قائلاً :
_بتنام عشان تعبت من النوم

ضحكت أمينة ثم قالت :
_تشرب ايه؟

_اشرب ايه بس خلىنا فى المهم ، عرفتى الجاى
هيبقى بينك ولا أزرق؟

اتسعت ضحكتها واومات بهدوء :
_أزرق إن شاء الله

_اتاكدتي امتى؟

_ من تلت ايام كدا .. روجت و عملت سونار و اتأكدت

سألها باهتمام :

_ لوحدك؟

زمت شفيتها بحزن وهي تؤمى بإيجاب ، فقال
بإحباط:

_ ولا حتى قال حاجة لما قولتيله إنه ولد؟

ضحكت بتهكم وهي تجيب :

_ هتفرق ايه ولد ولا بنت وهو الحمل كله مش فارق
معاه أصلا؟!؟

نظر فى الفراغ بحنق متممًا :

_انسان غبى ، عمره ما قدر قيمة اللي فى ايده

أعاد نظره لوجهها المهموم ، فرسم ضحكة صغيرة
على وجهه وتحدث محاولاً إخراجها من حزنها :

_قولي لى طيب ، هتسميه ايه؟

اتسعت ابتسامتها بهدوء شديد وهى تجيب بحب :

_فخر!

أردفت مؤكدة :

_فخر تلّيد ..

وهيبقى فخر عيلة تلّيد فعلا مش مجرد اسم وخلص

..

أردفت بعزم :

_ انا هعمل كل حاجة اقدر عليها عشان اربيه هو
ومريم صح لحد ما اسمع الناس بتضرب بيهم المثل ..

هطلّعه انسان طموح وناجح .. محدش يقدر يهزه ولا
يخوّفه بالساهل

قادر ياخد حقه وميسبش حاجة تأثر عليه وتوقّفه
مكانه ..

هخلّيه بيكره الظلم وميقبلش على نفسه وضع مش
عايزه ولا يقبل يشوف حد بيتظلم ويسكت ..

تابعت وهى تعنى كل كلمة تخرج من بين شفّتها :

_ هطلّعه جدع وحنين وبيخاف على اخته وامه ،
وهعلمه يوم مايتجوز يبقى فاهم الأول ازاي بينى
أسرة هادية ويشيل مسؤوليتهم كويس ..

التمعت عينيها بتأثر واضح مردفة :

_عايزة مراته تشكر ربنا كل يوم إنها كانت من نصيبه ، مش تلعن اليوم اللي شافته فيه !!

أدرك تمامًا ما ترمى إليه من آخر جملة ..

يبدو أن عامر نجح بجدارة في سلب نورها وسعادتها ،
حتى أصبحت تمقت بقاءها معه ..

فهم أن اختصار كل ما قالته ، هو فقط ألا يصبح طفلها
مثل والده

*

*

*

بالوقت الحالى ، حيث أتى المساء ..

يجلس بسيارته أمام إحدى البنايات ، فى انتظارها ..
نظر بشاشة هاتفه ليتصل بها ، ثم التفت لها وهى
تقفز بجانبه وعلى وجهها ضحكة واسعة ، فضحك
فخر وهو يقول :

_ كنت لسة برنّ ، كل ده بتلبسي الكوتشى؟
ضحكت خطيبته "حنين" وقالت :

_ رباطه كان متعقد وكنت بفكه عشان اعرف البسُه

كانت فتاة ذات ملامح بريئة وابتسامة مميزة ، شعرها
أسود اللون وقصير بالكاد يصل لمنتصف رقبتها
، وعينيها ذات لون رمادى باهر ..

تطلعت له مطولاً بحب جارف ثم قالت بنبرة خجولة :

_ وحشتنى

لاحت ابتسامة صغيرة على ثغره ، ثم أدار المحرك
وهو يقول بهدوء :

_حابة تروحي فين؟ انا مفكرتش في حاجة

_انا مش عارفة بردو ، شوف المكان اللي بترتاح له
ونروحه عادى

أشعل المصاييح ثم تحرك فى طريقه ، فبدأت هى
ببعض الدردشة لكسر الصمت :

_اليوم مشى كويس مع عمك النهاردة؟

أجابها بكل لامبالاة :

_زى مايمشى كل مرة ، تمسك كل واحد فينا تنفضه
وبعدين تخش على بسمة ، يقعدوا يناقروا فى بعض
شوية ، وخلص الزيارة خلصت

وبابك مجاش؟

جه فى الآخر بعد ما ناهد فصلت شحن

ضحكت من طريقته الجادة فى الرد ثم قالت :

المهم تكون مش متضايق دلوقتى

سيبك منى ، اخبارك ايه انت؟

كان سؤالاً عادياً جداً ; لا تعلم لمَ قد يجعلها تبتسم بهذه
البلاهة ، ولكن عقلها يترجم هذا لاهتمام بأخبارها
وحياتها ، فردت قائلة :

انا تمام , انت عارف انا عايشة لوحدى ف معنديش
اكشن كثير فى حياتى ..

ثم تساءلت هي :

_ عملت ايه فى موضوع الشغل صحيح؟

رد بيأس :

_ مفيش جديد والله ، لسة بشوف مكتب كويس زى
اللى كنت شغال فيه ، بس مفيش حاجة مناسبة ..

ووقت ما بلاقى يا إما بترفض يا إما يبقى محدوف فى
آخر بلاد المسلمين ..

ضحكت وهى تربت على ذراعه :

_ متقلقش ، بكرة إن شاء الله ربنا هيكرمك جدا ، انا
بدعيلك والله

تطلع لها بجانب عينيه بابتسامة ممتنة ثم أعاد بصره
لطريقه

*

*

*

دلفت ناهد لشقتها بصحبة ابنتها التي أخذت خطوات
متسارعة إلى غرفتها دون النطق بكلمة واحدة ..
وأغلق باب الشقة ،تزامناً مع صفع ياسمين لباب
غرفتها .. فلم تبال أمها وزفرت بملل وهي تأخذ
كرسيًا ما وتجلس لتخلع حذاءها ..

.

.

بالداخل ،تحديدًا أمام المرآة كانت واقفة ياسمين
تمسح كل تلك المواد التجميلية التي لطخت وجهها
؛فتأخذ كل منديل تبلله بمنتج إزالة المكياج ثم تمسح
به وجهها ، حتى يمتلئ المنديل بهذه المستحضرات
،فتأخذ آخر وتعيد الكرة ..

إلى أن عادت ملامحها لطبيعتها ، واتضح كم كانت
تمتلك ملامح بديعة لا تحتاج لكل هذا الهراء ، بل على

العكس كان يخفى جمالها ولا يبرزه كما تتخيل والدتها
..

نعم والدتها ، فقد كانت مجبرة على وضع هذه
الترهات ؛ظناً أنها هكذا ستجذب ابن خالها لها ..

نظرت لانعكاسها بنظرات اختلطت بين الإجهاد
والتقرز ..

تعيش شخصية لا تشبهها ، مقيدة بصورة لا تعبر
عنها ..

فقط لأن والدتها تريد ذلك ..

كل القرارات تعود لوالدتها وحياتها تسير على نهجها
وقوانينها فقط ..

لا تحظى بفرصة الاختيار حتى فى ملابسها ..

أضحت ضعيفة الشخصية ، لا تستطيع اتخاذ قرار أو حتى إبداء رأيها فى أى أمر ..

أصبحت لعبة بيد أمها ..

بل ولعبة رخيصة تود بيعها الآن لصاحب المال الذى ستجنى منه أكبر مكسب

*

*

عند حلول الصباح ..

.

كان يجلس حازم بمكتبه الخاص يتحدث بالهاتف وهو
يقول بتأفف مازح :

_ يا مَيّ انتِ مش لاقية حاجة تعملوها؟ ماتقعدى ف
البيت شوية!

أتاه صوت زوجته "مَيّ" تقول :

_ ماهو بودى مراحش المدرسة وانا بزهدق يا حازم
،خلّينى استغلّ اليوم واروح لبابا شوية ، ابقى عدّي
بعد الشغل خدنا بقى

استجاب لطلبها بقوله :

_ حاضر , ابقى سلميلى عليه وعلى عز بردو

بابا ماشى ، عز لا عشان مش طيقاه ، ولو قابلت
فخر و زياد و لاد عمى ابقى سخنهم عليه خليهم
يضر بوه

ارتفعت ضحكاته وهو يجيب :

كنت طيبة عن كدا قبل ماتجوز يا حبيبتى ، ايه اللى
حصل!

بطلت خلاص ، خافوا منى بقى

قاطع مكالمته صوت طرقات على باب مكتبه ، فسمح
بالدخول ثم أنهى المكالمة مع زوجته وقال :

هبقى اكلمك تانى ، سلام

دلفت مساعدته وقالت بعد إغلاقه للهاتف :

مستر حازم ، فى واحدة اسمها جهاد نصر بتقول
إنها جاية تعمل interview "مقابلة" للشغل

طالعتها باستغراب وقال :
_ احنا مطلبناش موظفين أصلا

_ اه بس هي بتقول إنها جاية من طرف فخر بيه

تضاعف التعجب على وجهه وهو يقول :
_ من غير ما يقول لى !

هزت الفتاة منكبها بعدم معرفة ، فقال :
_ دخلها طيب ..

خرجت الفتاة بينما تناول هو هاتفه واستدار بالكرسى
;حيث كان يصحب المقعد عجلات صغيرة تساعده

على التحرك بسهولة ، ليلتفت للنافذة الكبيرة القابعة
خلف مكتبه ويقم باتصاله ..

كانت الغرفة مظلمة بالكامل ، عن طريق ستائر تحجب
أشعة الشمس .. حتى أنار ضوء الهاتف حيزًا صغيرًا
منها وصدح صوت رنينه ليقلق منامه ..

تململ فخر على أثره بضيق واستلقى على جانبه ليمد
يده للكومود ويكتم صوته أولاً ثم يرى المتصل لاحقاً
؛فالأصوات العالية في الصباح تخرجه عن شعوره ..

فتح عينًا واحدة دون الأخرى بنعاس ليقراً اسم
المتصل ، ثم عاد يغمضها مجدداً وأجاب بصوت
ناعس :

_اظريني ياكروان ..

_ازيك يافخر؟

_لو حاجة أقل من "الشركة بتولع" هقتلك

ضحك حازم وهو يقول ساخرًا :

_عذرًا يا بروفيسور بس انا اكيد مش هتصل عشان
اقول ازيك بس ..

ثم تحدث مباشرةً :

_انت باعت لى واحدة اسمها جهاد نصر تشتغل هنا؟

سأله بعدم تركيز بنفس صوته المتحشرج :

_جهاد مين؟

أجاب حازم باستنكار :

_ انا اللي هعرف؟!!

رد بنفاد صبر :

_ معرفش جهادات انا ، متتصلش تانى ..

فتح عينيه عندما تذكر وتحرك ليصبح نائمًا على
ظهره بدلًا من تمدده على جانبه وقال :

_ استنى استنى ، كان فى واحدة اه كانت عايزة تشتغل

_ وانت كدا بتدى مواعيد من دماغك؟ مش تسألنى ولا
تبلغنى قبلها يابنى !

_ ياعم متكبرش الموضوع ، شوفها ع السريع
وخلص ، لقيتها هتفكك حطها فى أى حته وخلصنا
، متعملش قصة

خلاف خلاف روح اتتيل امشى ..

أغلق المكالمة وعاد بكرسيه كما كمان فرآها تقف
أمامه ..

ابتسمت له بهدوء ، فى حين لما يقابلها سوى
بالجمود وهو يقول :

اتفضلي اقعدى

جلست على الكرسى المقابل له ، ودارت عينيها من
حولها بقليل من التوتر قبل أن يهتف هو بلامبالاة بعد
هذه الوصلة القصيرة من الصمت :

احنا هناخد صورة ولا ايه؟ ، ورقك يلا انا ورايا
شغل !

انتفضت من مكانها لتتقدم له ملفها بسرعة ، ثم عادت
لمقعدها وأمست تراقبه بصمت منتظرة تعليقه

*

*

كان يعم الهدوء على غرفة عز أثناء نومه العميق
،الى أن عكّره صوت طفل مزعج وثب على جسده
فجأة :

_ خالو عز قوم انا جيت

استيقظ عز بغتة من صوته المفاجئ مع عنفه فى
القفز على جسده ، فأصبح الطفل نائمًا فوقه وهو
يتابع ضاحكًا :

_ خالو ياكسلان

فتح عز أعيته بضيق شديد ونظر لابن أخته المشاغب
البالغ من العمر سبع سنوات .. ثم أبعدته عنه وجعله
يجاوره على السرير وهو يقول بسخط :

_ انت معندكش مدرسة تروحها ياض ولا ايه؟؟

أجاب الصغير بمرح :

_ لا ماما غيبتي

_ عشان تيجي تقرفني طبعاً

خمن عز السبب بسخرية وهو ينهض حتى أخذ وضع
الجلوس ولامست قدميه الأرض ، فلم يلبث الفتى حتى
قفز على ظهر خاله وتعلق برقبته كقرد مجنون حتى
كاد يخنقه ...

.

.

خرج عز إلى ساحة المنزل وهو يحمل الطفل تحت
ذراعه الأيمن كالسلة الصغيرة ، بينما كانت تتعالى

ضحكاته الطفولية باستمتاع بوضعية الطيران في
الهواء هكذا ..

صاح عز بتذمر فور رؤية أخته جالسة مع والده :
_ايه اللي جابك يابت ! انتِ مش كنتِ لسة هنا
امبارح؟

كانت مي فتاة ذات جمال بسيط يكمن في عينيها
البنيتين وبشرتها الخمرية ووجنتيها المتوردتين ،
ذات عمر يناهز الرابعة والثلاثون ،حيث تكبر أخاها
"عز" بعامين ، ترتدي بنطالاً قماشياً واسعاً أزرق
اللون وبلوزة سوداء أنيقة ،تتماشى مع حجابها
المهندم وحقيبة اليد القابعة بجانبها ..

شهقت ميّ بصدمة من وقاحته ثم ردت بعناد :
_انا آجى لبابا وقت ما أحب.

ألقى عز بالصبيّ على الأريكة وهو يرد باستنكار :
_ مش ٩ الصبح!

أخذ مقعدًا وهو يدعك عينيه من آثار النعاس ، وآذانه
منتبهة لبقايا الضحك البادية على ابن اخته قبل أن
يترك الأريكة ويتجه له من جديد وكأنه مغناطيسًا
يجذبه إليه عنوة ..

نظرت ميّ إلى والدها قائلة بسخط :

_ شايف يا بابا معاملة ابنك ليا؟ ، آخذ ابني وامشي
يعنى ولا ايه؟

لم يكن الأب قد انتهى من ضحكاته بعد وهو يجيب :

_ لا يا حبيبتي ، انتِ عارفاه بيحب يغيظك .. ده بيموت
فى عبدالله والله

كان الصغير "عبدالله" يحاول التعلّق بظهر خاله
ويمسك برقبتة، بينما كان يمنعه عز وهو يقول بتأفف

بطل تلزيق يالا قبل ما امدّ ايدى عليك!

صاحت مى باحتجاج :

متكلمش مع بودى كدا !

فأردف عز باختناق :

بقول لك ايه .. بعد كدا لما تيجى ابقي اتصلى الأول

نظر والدهما "رؤوف" إليه وهو يقول :

يابنى بالراحة شوية

ولكنه لم ينصت إليه ،وارتفع صوته بصراخ اقوى :
_طيّرت النوم من عيني الله يقلّ بختها هي وبودها ! ،
عندى نبطشية بالليل انا ،كنت عايز الحقلي ساعتين
قبل ما اتعكّ فى المستشفى .. اروح انام فى الشارع
عشان اطفش منكوا ولا اعمل ايه يعنى؟! ماتشوفوا
حاجة اعملوها برا البيت بقى شوية
طالعتة مى بغيظ وهى تقول :
_ ده انت بتطردنا كمان !

ثم نظرت لوالدها الذى سبقها هو قبل أن يسمع منها
شيئاً آخر :

_ملحقتش اربيه ...

*

*

*

أغلق حازم الملف قبل أن تتشابك أصابع يديه ببعضها
وهو يُسند ذراعيه على المكتب ويقول :

_انتِ معاكى خبرة تلت سنين وده مبدئياً كويس
عشان انا مش عايز مبتدئين .. وبالنسبة للكورسات
الكثير اللى واخداها ده شئ يشجعنى اقبل توظيفك
،بس مش كل اللى واخذ كورسات طبعا بيبقى فعلاً
فاهمها وبيعرف ينفذها عملى ..ف بالتالى انا هكتب
اسمك بالقلم الرصاص ،وهتشتغلى هنا شهر ،
عجبتينى هدوس على اسمك بالجاف وتبقى معانا
رسمى ، معجبتينى هقول لك مع السلامة

ظهرت ابتسامة واسعة على وجهها وهى تهتف
بعينين متسعيتين بذهول :

_يعنى انا اشتغلت !!

أجابها بملل :

مؤقتًا

نهضت وأخذت ملفها وهى تهتف بامتتان بالغ :
انا متشكرة جدا جدا ، اوعدك مش هتتدم والله .. إن شاء الله هبقى أحسن من اللى متوقعه منى كمان ، حقيقى شكرا

*

*

توقفت السيدة سحر فى المطبخ الواسع بصحبة حنان
التي انتهت لتوها من تحضير القهوة ثم نظرت لسحر
تقول :

معلش ياست سحر ودّى القهوة دى لعامر بيه
عشان بسمة هانم عايزانى ..

اعترضت سحر قائلة :

_ لا استتّى يا حنان ادى انت القهوة لعامر بيه وانا
هشوف بسمه هانم

_ ليه يعنى؟

_ اسمعي الكلام بس ..

حدقتها حنان بفضول وهى تقول :

_ ماتحكي لى ياست سحر عادى , انا من ساعة ما
اشتغلت هنا وانا ملاحظه إنك مبتحبيش تتعاملى مع
عامر بيه خالص .. ماله عمل لك ايه؟

ردت دون إبداء أسباب :

_ معملّيش حاجة يا حنان ، بس الراجل ده انا مش
بطيقه وأول ما ببص فى وشه بتضايق .. انا الحاجة
الوحيدة اللى مخليانى مكمله شغل هنا همّا ولاده بس

_طب ليه؟

ردت سحر بملل :

_عشان معاشره و عارفة أصله يا حبيبتى ، وكل اللي
اقدر اقولهوك إنه راجل جاحد ومش طيب زى ما انتِ
متخيلاه

تفاهم فضولها كثيرا وقالت :

_لا انا كدا لازم افهم بقى ، ماتحكيلي ياست سحر بالله
عليك

بينما أغلقت سمر الحديث برمته :

_روحي شوفي شغلك احسن يا حنان ...

*

*

*

دلفت جهاد من باب المكتب بخطوات حماسية
وابتسامة لا تستطيع مفارقة محياها ، نظرت
لمساعدته الجالسة خلف مكتب صغير وقالت :

_ازيك يادينا؟

تطلعت لها "دينا" وردت بابتسامة واسعة :

_ازيك يا آنسة جهاد اخبارك ايه؟

_الحمد لله ، مروان جوا؟

.

.

بداخل غرفة مكتبه ، كان يعيد ظهر الكرسي إلى الخلف قليلاً وقدميه تعتلى سطح المكتب وهو يتحدث فى الهاتف بنبرة لينة وهادئة تمامًا مع إحدى الفتيات .. حتى باغته اقتحامها للمكتب فانتفض جسده بفرع وأخفض قدميه أرضاً وهو يعنفها بسخط :

_ايه الغباوة دي!

_مروان مروان مروان مش هتصدق يامروان

كررت إسمه أكثر من مرة من فرط الحماس وهى تهرول ناحيته بسرور يكاد ينفجر من رأسها ، بينما عاد هو لمكالمته ليغلق معها الخط بعد إلقاء التحية ، ثم التفت لها بعصبية :

_ارغي

انتقلت في الشركة يامروان ، انت متخيل جهاد
بتشغل في شركة تليد بحالها؟! .. انا مش مصدقة
نفسى ، أول مرة احس ان الكورسات جابت فايده
حقيقية بجد بدل الشركة التعبانة بتاعة زمان دى ،
الحمد لله تعبى مراحش هدر .. انا مبسوطه مبسوطه
مبسوطه حاسة ان قلبى هيقف

كانت تتحدث بسرعة شديدة ،حتى تداخل الكلام
ببعضه ولم يستطع تمييز نصف ما قالت ، ولكن المهم
انه علم ملخص كل هذه الثرثرة وهى أنها "تم قبولها
بالعمل"

ابتسم من سعادتها الشديدة الواضحة عليها وقال :
مبروك يا جهاد الف مبروك يا حبيبتى ، ربنا يكتبك
فيه الخير يارب

صمت قليلاً ثم تساءل :

_الخطوة الجاية ايه بقى؟

ردت ببعض اللامبالاة :

_هستنى لما اشوفه فى الشركة وقت مايجى بقى

_وهتقوليله ايه؟

_هشكره على الشغلانة

_وبعدھا؟

أردفت بحيرة :

_مش عارفة بصراحة ،لسة بفكر ..

تحدث مروان بجدية وهدوء :

_طب بصى بقى وحطى الكلام ده فى دماغك كويس ..

اوعى اوعى اوعى اوعى تبقي fake يا جهاد .. لو عايزاه

ينتبه لك فعلا متمثلش ، مفيش حد بيحب يقرب من

حد بيمثل ويتصنع ..

متغيريش شخصيتك ولا لبسك ولا طريقة كلامك
خليكى طول الوقت واثقة من نفسك وعاشة بطبيعتك
وعفويتك ، متحاوليش تجذبي انتباهه ليكى عشان
هيبان عليك وهيبقى شكك متكلف ورخيص ومش
هيهتم يتكلم معاكى حتى ..

وختم كلماته بتأكيد :

_ببساطة خليكى جهاد نفسها الى انا عارفها .. لا
أكثر ولا أقل ... فاهمة؟

حركت رأسها بضع مرات بفهم وابتسمت بهدوء

*

*

أتى المساء حينما دلف زياد إلى غرفة مريم دون استئذان؛ قاصداً مباغتتها بدخول يشبه اقتحام الشرطة ، وقد نجح بالفعل وانتفضت مريم بخفة وهي تجلس فوق فراشها وتضع حاسوبها المحمول على قدميها ، فالتفتت له وصاحت بسخط :
_ايه الدخلة دي يا حيوان !!

اقترب منها زياد وجلس على الكومود المجاور للفراش وهو يقول :
_بتعملي ايه؟

_وانت مالك ياغنت؟

تقدم وانتشل الحاسوب من أمامها فجأة وابتعد عنها بضع خطوات ، قبل أن تنهض سريعاً وتمسكه من دُبُر

ثيابه لتحبط محاولته للهرب ثم جذبت حاسوبها منه
بعنف وهى تصيح بضيق :
_ يا اخى بطل برود ، غور!

تجاهلته وعادت للسريير وجلست عليه تتابع ماكانت
تفعل ،

فلم يدعها وشأنها واقترب منها يبعثر شعرها ويضع
خصلاتها على وجهها لتحجب عنها الرؤية ، فثارت
أعصابها وصرخت فجأة بعصية قبل أن تدفعه بعنف
إلى الباب :

_ اطلع برا بقى بطل تناحة ..

بينما أمسى هو يضحك بانتصار عندما شعر بنجاح
محاولاته فى إغاضتها ..

دخل فخر من باب الغرفة المفتوح متسائلاً بقلق :

_ في ايه؟ ايه الزعيق ده؟

نظرت له بلهفة وكأنه منقذها :

_ الحمد لله إنك جيت ، لمّ الزبالة ده من هنا وطلّعه برا
اوضتى قبل ما اتهورّ عليه

تقدم زياد خطوة ولم يُقبل على التالية عندما منعه
فخر وهو يقول :

_ بس يازيزو كفاية عبط خلاص!

أزاحه للوراء ثم نظر لاخته قائلاً :

_ نعتذر على الإزعاج يا مدام نُفّخة

رمقته باشمئزاز ، بينما ضحك زياد وسبقه إلى
الخارج ثم تبعه فخر مبادلاً إياه الضحك ، وقد أمسك
مقبض الباب استعداداً لغلاقه ثم أطفأ عليها الضوء قبل
أن يغلق الباب ، ليتركها في الظلام ، فأصبحت شاشة
الحاسوب فقط هي ماتتير الغرفة ، ونفخت بملل
مهممة بعصبية مكتومة :

_جوز حمير ..

*

*

*

أتى الصباح الأهم بالنسبة لجهاد ; فلم يفارقها
الحماس منذ لحظة استيقاظها حتى وصولها إلى
مكتبها في عملها الجديد ..

كانت الغرفة مشتركة مع بضع موظفين آخرين
،فألقت التحية بابتسامة عريضة :

_صباح الخير

ردوا عليها بعدم اهتمام،فقط بمجاملة ،ولكن لم تبال
كثيرًا وأبصرت مكتبًا واحدًا لا يشغله أحد فأيقنت أنه
مكتبها وسارت ناحيته وجلست من خلفه وأمست
تحديق به طويلاً ،وكأنها ستوشك على احتضانه بعد
قليل ..

استمعت لصاحبة المكتب المجاور لها تقول ببشاشة :

_ازيك؟

رفعت جهاد عينيها لها بانتباه و ردت بحفاوة :

_الحمد لله ازيك انت؟

_ تمام ..

ثم عرّفت عن نفسها :

_ انا رانيا

اتسعت ابتسامه جهاد أكثر وأفصحت عن اسمها

أيضا:

_ جهاد

ابتسمت رانيا وسألتها :

_ اول يوم صح؟

هزت رأسها بإيجاب ، فأردفت رانيا تكشف عن كيفية

معرفتها بذلك :

_باين عليكى متشجعة على الشغل ... يارب متغيريش
رأيك بس

هتفت جملتها الأخيرة بمزاح ، فضحكت جهاد وقالت:

_انا مكنتش اتخيل اشتغل هنا أبدا ، فَ لا متهيألى
هغير رأى متأخر شوية ...

*

*

*

نهضت مريم لتفتح باب غرفتها لمن طرق عليه بضع
مرات ، فلم تكن سوى صديقتها التى كانت تنتظر
حضورها منذ الصباح ، ولم تترك لها وقتًا لتدخل بل
جذبتها بعنف إلى الداخل من قوة حماسها ، ثم أغلقت
الباب وهى تستمع لها :

_ايه يابنتى فى ايه؟

وقفت مريم أمامها بعينين تلمعان بسعادة وهتفت فوراً
:

_ إياد قال انه بيحبني يارنا ..!

تعجبت "رنا" كثيراً و رددت بعدم تصديق :

_ من امتي؟!

_ بعتهالي واتساب بالليل وانا شوفتها لما صحيت

ردت رنا ضاحكة :

_ يخربيتك وقعته ازاي ده؟

ثم أتبعته جملتها بسؤال فضولي :

_ انتِ قولتيله ايه؟

_مردتش ، انا مفتحتش الرسالة أصلا ، انا شوفتها
من برا بس .. ومن ساعة ماقريتها وانا عمالة الف
ف الأوضة زى العبيطة

غمزت لها رنا قائلة :

_انتِ كنتِ مستنياها منه اوى كدا !؟!

غلبتها الحيرة وتهدت قبل أن تجيب :

_بصى انا منكرش انى مشدودة له ، شخصيته لذينة
وكلامه حلو .. محسنى انى مهمة ومش زى
الباقيين ودى اكر حاجة كان نفسى فيها .. بس مش
معنى كدا انى بثق فيه مية فى المية

_طب ما هو جابلك من الآخر واعترفك اهو

_ده مش كفاية عشان اثق فيه برود

قلبت رنا عينيها بالأرجاء قليلا ثم أردفت بيقين
، وكأنها معلومة مؤكدة لا جدال فيها :

_ هو عموماً مفيش حاجة كفاية عشان تثقي في راجل
أصلا

وافقتها مريم بإحباط :

_ مكديتيش والله

و أضافت باشمنزاز :

_ ده انا اثق في التعابين ومثقش في راجل ..

صمتت رنا للحظة ثم صاحت :

_ بس مش يمكن يطلع بيحبك بجد؟!!

ـ ماهو عشان كدا جيياكى تفكرى معايا اردّ اقول ايه ،
انا مش هقفل الباب و فى نفس الوقت مش هقول له
وانا كمان بحبك مثلا لا أكيد مش هقول كدا ..

ـ ادّيله ستىكر

طرحت رنا ردها بجديّة ، فنهرتها مريم :
ـ ستىكر ايه يابقرة انت!

ـ بصى بصى عشان نتأكد من نيته قوليله هتقابل بابا
امتى ، هما بيتلسعوا لما يسمعوها .. لو اتحجج يبقى
عيّل مش جد وتفكك منه

ثم طرحت سؤالاً ساخرًا :

ـ ولا انتى معقدة من الجواز أصلا ؟ ، اه خلاص
افتكرت

أجابتها مريم بحيرة :

_بصى .. انا معنديش مانع نتخطب ونقرب من بعض
اكثر شوية

شردت عينيها بالفراغ مواصلة :

_بس هل بقى هيعرف يخلينى اتظمن لدرجة انى اقبل
خطوة الجواز؟ ، الله اعلم ...

*

*

*

أفاق فخر تدريجيًا بعد نوم عميق استمر لساعات
عديدة ، غرفته كالعادة مظلمة ، لم ينيرها سوى
ضوء خفيف قادم من باب الغرفة المفتوح ..

شعر بلمسات ناعمة تداعب وجنتيه ، لم يستوعبها
بسرعة لسيطرة النعاس عليه ، ومن ثم أيقظه عقله
أخيرًا وأجبره على العودة إلى الواقع .. فشرع بفتح
عينيه بانزعاج واتضحت صورة وجهها أمامه وهي
تجلس بجانبه مباشرة ، فأطلق شهقة فزعة انتفض
جسده على أثرها لينهض بسرعة ، هاتفًا باندعاش :

انتِ بتعملي ايه هنا !!

يتبع..

الفصل الرابع {عُقدة}

كانت تجلس حنين على طرف الفراش ، مرتدية بنطالاً
قماشياً من اللون الأسود وقميصاً أبيض تعتليه سترة
من الجينز الأزرق ، فضحكت من ردة فعله المذعورة
وقالت :

في ايه بالراحة ، انا كنت عايزة اصحيك بس

أبعد غطاءه عنه ونهض بعجلة معاتبًا إياها بضيق :
ازای تُخشی اوضتي كدا يا حنين؟؟

وقفت وهي تقول بلامبالاة :
_انا جيت وسألت عليك قالولي اطلعي صحّيه

أجابها بحدة :
_لا متسمعش كلامهم تاني بعد اذنك

تعجبت من نبرته معها و ردتّ بهدوء :
_انا آسفة مكنتش فاكرة انّ وجودي هيضايقك

تتهد على مهل ثم أوضح لها بنبرة حازت على الهدوء
وبعض اللطف :

_مش قصدي كدا يا حنين ، بس وجودك هنا مش صح
.. احنا لسة مخطوبين ولسة فى حدود متسمحش لحد
فيينا يدخل أوضة التاني ..

هزت رأسها بتفهم مكررة اعتذارها :
_انا آسفة.

ابتسم لها ابتسامة صغيرة وربت على يدها وهو
يقول:

_خلاص مش مهم ، روحى استيني لحد ما اغير
هدومى وانزل لك

اومات بإيجاب وقالت :

_ماشى انا هروح اسلم على مريم ، لما تخلص تعالى
عندها ...

*

*

طرق "رؤوف" باب غرفة ابنه قبل دخوله ، ثم دلف
ورآه يتجهز للنزول ، فقال :

_مش هتفطر يا عز؟

أجاب عز بعدما دس محفظته بجيبه الخلفى ، ثم فتح
هاتفه وبدأ بتفحصه :

_هبقى أكل أى حاجة فى المستشفى

_طب ليه؟ انا محضّره أصلا مش هتتأخر

لم يجبه عز , وملامحه مصوبة لشاشة الهاتف بتركيز
..ولم ينتبه لحاجبيه المنعقدين بضيق ، قبل أن يقرر
إغلاق الهاتف وهو يطلق زفيرًا عصبياً ..

لاحظه والده فقال :

_مالك؟

صمت عز مطولاً ثم سأله بعدم اهتمام :
_ انت بتشوف الصور اللي مريم بتنزلها status؟

قطب رؤوف حاجبيه بعدم فهم :

_ ده ايه ده؟

ترجم عز كلمته الانجليزية قائلاً :

_ حالة يعنى .. الحالات اللي بتنزل على الواتساب
والفيسبوك دي

هز رأسه بفهم وهو يقول :

_ اه اه .. لا مش دايمًا يعني ، ايه مالها؟

_ شوفت إياد اللي بتنزل معاه صور كل شوية؟!!

رد رؤوف بلامبالاة :

_ ماهى بتنزّل صور مع كل اللي تعرفهم

_ بس إياد اكر ، إياد استثناء عندها ..

طالعه رؤوف بطرف عينيه بشكّ :

_ انت غيران ولا ايه؟

تجهم وجهه وأجاب بجمود :

_ بابا انا قفّلت الحوار ده !

بينما ضحك رؤوف ضحكة جانبية مستنكرة :

_ ميبانش عليك

أوضح عز :

انا بتكلم عشان دى بنت عمتي ومصلحتها تهمنى ،
والواد ده انا مش مرتاح له وشايفه قريب منها بزيادة

لم تتغير نظرات رؤوف لولده ؛فهو يعلمه أكثر من
نفسه ، ثم أردف بشئ من اللامبالاة :

مكانش صح إنكوا تفضلوا تتعاملوا مع بعض بعد ما
اتقدمت لها ورفضتك يا عز !

تكدّر وجهه وأشاح بنظره بضيق ، واستطرد والده
يذكره بالماضى :

انت صارحتها وهى قالتك مش هشوفك اكثر من
اخويا اللى اتربيت معاه ،والموضوع فى ساعتها
اتدفن بالنسبة لها وكملت فى معاملتها معاك زيّ
الاول ، لكن انت مبيتساش ومش هتنسى .. حتى بعد
ما عدى سنتين على الحكاية دى

أردف عز :

_ انا مش عايز اخسر ولاد عمتي

_ يا بنى مانت بردو مش هتتحرك خطوة ولا هتطلعها
من دماغك طول مانت بتشوفها وتكلم معاها .. انت
بتهلك نفسك وانت مش حاسس!

استعد عز للمغادرة وأنهى الحديث بقوله :

_ خلاص يا بابا انا اتأخرت وللازم امشي دلوقتي ...
سلام

*

*

*

هبط على الدرج برفقة حنين وهو يستمع لتحمسها
فى الحديث عن أحد الأماكن التى لم تجربها من قبل
وتقترح عليه الذهاب ، ومن ثم ختمت قائلة :

بس هو بعيد شوية .. بس يستاهل انا اصحابي كلهم
شكروا فيه

أوقفها عن الحديث عند تخطيه آخر درجة :

حاضر يا حنين حاضر ، نروح عادى ، زى ماتحبي

توقف عند رؤيته زوجة أبيه واقفة على مسافة قريبة
منه ، فتوقفت حنين معه وتطلعت لنظراتها البغيضة
الموجهة إليهما ، فاعتراها التعجب وأدارت رأسها
لخطيبها تحاول فهم شئ ، إلا أنها لم تجد منه رد فعل
سوى ملل مختلط بالحدة واللامبالاة ..

اقتربت بسمة خطوتين وهى تقول ساخرة :

يارب تكونوا اتبسطتوا فوق

لم تفهم حنين ماترمى إليه هذه المرأة , بينما فهمها
فخر جيداً ، والتزم بالبرود وهو يتساءل بابتسامة
واسعة :

من قلبك؟

ضحكت بتهكم وتوقفت أمامه مباشرة وتابعت :

انا ميخصنيش اللى انت بتعمله طول ما هو بعيد عننا
، لكن البيت ده محترم يابن عامر! مش مكان لقذارتك
وقرفك ..

وتابعت تلوى شفيتها باستنكار :

اومال لو كنتوا كتبتوا الكتاب كنتوا هتعملوا ايه؟
جحظت عيني حنين بصدمة واستشاطت غضباً مما
تتهمها به وصاحت بحنق :

_ ايه اللى بتقوليه ده ، ازاي تتكلمى كدا أصلا؟!

رفع فخر يده أمامها ليوقفها عن الحديث :

_ ششش ، استنى

أعاد بصره لبسمة ولم يستغنى عن بروده ، رغم أنه
ليس من شيمه ، ولكنه يصر على تقمصه معها
بحرفية ؛ ليقينه أنها سيعمها السرور والارتياح إن
نجحت بإثارة غضبه ، وهذا ما سيود أن يُقتل ولا
يمنحها إياه ..

_ محدش داس لك على طرف يامرات ابويا .. انا بعمل
اللى انا عايزه فى بيتنا ، ولو عايز اجيب سبعين
واحدة فى اوضتي غير حنين هعمل كدا ومش
هتمنعيني ..

عقدت ذراعيها وردت بعناد وخطرسة :

بطل تعيش الدور بقى يا فخر ..

قاطعها قبل أن تواصل حديثها مصححًا :

مهندس فخر ! .. اسمها "مهندس فخر"

لم تبالِ مطلقًا واستطردت حديثها :

انت عارف كويس انى مش ضيفة هنا ومركزي هنا
أعلى منك .. البيت ده بيت جوزى ، يعنى بيتي انا قبل
ما يبقى بيتك ..

وعشان انت عارف انى أهم منك وقيمتى أكبر منك
بتعمل الشويتين دول .. يا فخر!

اتكأت على كلمتها الأخيرة بوضوح لتبرز عنادها ..

ارتسمت على وجهه ضحكة واسعة لا توحى إلا
بالاستخفاف ، ثم طالعها من أعلى لأسفل وهو يرد
بكل سخرية واستهانة :

مضحك كيف يظن النحاس الصدى نفسه ذهبًا !

ارتفع حاجبها بدهشة من كلامه ، وسرعان ما اعتلى
الغيظ قسماتها أثناء متابعته :

شوفيك حظيرة تلمك .. اوعي!

أطلق كلمته الأخيرة وهو يزيحها من أمامه ، جاذبًا
معه حنين بيده الأخرى .. وخرج من المنزل ؛ على
يقين بأنه نجح باستفزازها وإغصابها

*

*

*

خرجا كلاهما من باب المنزل صوب سيارته المصطفة
جانباً قرب بوابة القيلا .. فهتف فخر وهو يتطلع
لوجهها المنقبض من الغضب :
_ فكك منها يا حنين دي مخها تعبان

_ انا عمري ماسمحت لحد يتكلم عنى بالشكل ده نص
كلمة ، وانت واقف تقول لها ممكن اجيب بنات غير
حنين! ، والله!؟!

ضحك من نبرتها الساخطة وقال :

_ يابت انا بغيظها بس ، هو انا هعمل كدا بجد!؟!

تمت بصوت مسموع وهى تتجه إلى باب المقعد
المجاور للسائق :

_عكنت عليا اليوم منها لله ..

رد فخر وهو يفتح باب السيارة :

_غيرك بيتعكنن عليه كل يوم مش يوم واحد ، قولى
الحمد لله

ركبت حنين بمكانها ،بينما توقف فخر قبل ركوبه
عندما لفتت نظره بقع صغيرة على جانب الزجاج أثر
فضلات بعض الطيور ، فنفخ بعصبية وركب مكانه
ليفتح صندوقاً صغيراً تابعاً للسيارة يتوسط المقعدين
،وأخرج منه منديلاً قماشياً مخصصاً للسيارة فقط ..
ثم التقط زجاجة مياه صغيرة قبل أن يترجل ويقرب
من موضع الاتساخ ويشرع بمسحها فوراً .. وحنين
تراقبه بصمت ...

سكب القليل من المياه على الزجاج ،ثم بدأ بمسحه
بإتقان شديد ،حتى لا يتبق منه ولو أثراً ضئيلاً ..

مال على الزجاج وأطلق عليه زفيرًا من فمه ، ليخرج
بخار أتبعه بمسح آثاره حتى أضحى الزجاج يتلألأ
تحت نور الشمس ، فاعتلته ابتسامة مرتاحة وهز
رأسه بنظرة إعجاب وفخر ، ثم ربت عليها قبل أن
يركب بمقعده ؛ وكأنها فتاته المدللة أو ما شابهه

*

*

*

فى المساء ، حيث سكون الليل المريح ..

أو من المفترض أن يكون مريح ولكن كان لزيد رأى
آخر ، حيث قرر الشجار مع أحدهم لمجرد أنه اصطدم
به دون قصد ..

كان من الممكن أن يتغاضى عن الأمر لو اعتذر
الشاب ومضى فى طريقه ,ولكنّه لم يفعل ، ونهره
قائلا :

ما تفتّح شوية!

وبالطبع لا يتحمل زياد أدنى توبيخ من أى أحد ،
فصاح بسخط :

انا بردو اللى افتّح ولاء انت اللى ادّيت عينيك أجازة
النهاردة!؟

رد الشاب بسخرية :

ده انت لذيذ اوى

وغبي كمان !

لم يُطل زياد الحديث نهائياً ، ولم يلبث حتى ألحق
جملته بلكمة قوية سددها بوجهه ، تبعها الكثير من

الأصوات العالية والضرب بين الشابين واجتماع
الناس من حولهم لفض الاشتباك ...

*

*

كان يجلس مروان فوق الأريكة الخاصة بمنزل والدته
وهو ينشغل بإرسال بعض الرسائل الكتابية لإحدى
الفتيات اللواتي يتكسع معهن ..

ضحك بخفة بعد قراءة رسالة منها ثم باشر بالرد ،
إلى أن قاطعت والدته هذه المحادثة بخروجها وهي
تحمل صينية يعتليها كوبين من خليط الفاكهة وهي
تقول بابتسامة حفية :

عملتك الكوكتيل اللي بتحبه ..

نظر لها و ردّ بابتسامة شاكرة :

تسلم إيدك ياست الكل

جلست بالقرب منه على أحد الكراسي وهي تقول :

احكيلى عملت ايه النهاردة؟

أغلق الهاتف وتركه جانباً ثم تقدم بجذعه لأخذ كوبه
وهو يقول :

والله ولا أى حاجة ، جاتلى قضية خلع بس .. هو ده
الجديد

انا بقى عندى الجديد

التمعت عينيها بحماس واضح وهي تهتف بجملتها ،
بينما رد مروان قلقاً من صحّة شكوكه :

مش مريحة الجملة دى

ضحكت صابرين وقالت :

_ اصبر واسمع

ولكنه لم يمنحها فرصة للتحدث وأعرب عن شكّه
الأقرب لليقين :

_ عروسة؟

هزت رأسها بإعجاب ساخر :

_ نبيه

_ مش محتاجة نباهة عشان انا هارشك يامًا وعارف
الضحكة اللي بيجي بعدها "فلانة الجميلة الأخلاق
اللى مفيش منها اتنين" وبلا بلا بلا

_ يابنى انت مبتكأفش نفسك تشوفها حتى

_ عشان انا عارف إنهم هيطلعوا أى كلام

صاحت بسخط :

_ وده عرفته منين من غير ما تقابلهم!؟!

_ عشان رأيك محفوظ ومعروف يا صابرين .. مفيش
عروسة بترضي عنها إلا وكانت واحدة هبلة مالهاش
شخصية ولا ليها رأى وهتجوز عشان تشتغل زى
جموسة فى ساقية وخلص

_ ماهي دي اللى هتريحك يا عبيط

توجه مروان بالرفض :

_ انا عايز زوجة مش خدامة يا ماما .. انا بقالي اكثر
من خمس سنين عايش لوحدي والحمد لله مش نطع
وبخدم نفسي

وأضاف :

_ انا محتاج شريكة .. وشريكة ابقى بحبها لدرجة
انى لما اروح شغلي ابقى عايز اخلصه بسرعة
مخصوص عشان ارجع اشوفها .. وده عمرى
ماحسيت إنه هيجصل مع واحدة من اللى بتختاريهم

_ ياسيدى انا معنديش أى مشكلة مع اى واحدة ،المهم
تتجوز وخلص ..

وواصلت بحالمية ورجاء :

_ نفسي اشوفك عريس واشوف ولادك بقى يا حبيبي ..
انت بقيت ٣٣ سنة والعمر بيجرى واحنا مش حاسين

_متستعجلش ياماما ، كل حاجة بتيجي ف وقتها

.....

*

*

*

كان يجلس زياد فوق فراشه يعطى ظهره لباب الغرفة ،
يتطلع لشاشة حاسوبه المحمول ويضع سماعات
كبيرة حول أذنه ..

دلف فخر إلى الغرفة دون سابق إنذار وهو يقول :

_زيزو مشوفتش الشاحن بتاعى؟

لم يبعد زياد أنظاره عن الحاسوب ، ولم ينتبه لوجود أخيه من الأساس إلا عندما سمعه يصيح بقوة :

زيرو !!

نزع السماعات عن أذنه واستدار مجيبًا :

انت هنا من امتي؟

قبل أن يكرر فخر سؤاله ابتلع كلماته فجأة عندما انعقدا حاجبيه بتعجب من وجه أخيه الذي يظهر عليه آثار كدمة قوية بجانب وجهه الأيسر .. ولكن لم يظهر عليه القلق على الإطلاق ، بل فقط الفضول ، فقد اعتاد على ولع أخيه الجامح بالمشاكل والمنزاعات ؛ إمّا افتعال عراك هو بطله ، أو خلق مناوشات بين أي اثنين دون التدخل بها ، ويقف فقط بالجوار يشاهدها بمنتهى الاستمتاع ..

سأل فخر بعدم اهتمام وسخرية :

_ اتخانقت فى مين المرّة دى؟

أجاب زياد بلامبالاة :

_ واحد معرفوش ، معملّيش حاجة بس انا مسكت فيه
قصد

_ متوقع طبعا .. بص انا بطلت اتكلم خلاص عشان
الكلام مش هيجيب نتيجة

ثم أردف بموضوعه الأساسى :

_ انا مش لاقى الشاحن بتاعى دلوقتى ، فينّه؟

رد زياد وهو يغلق الحاسوب :

_معرفةش ، شوف مريم

_محدث غيرك بياخد الشاحن بتاعى

وضع زياد الحاسوب مع السماعة على الكومود وهو
يقول :

_لو خدته هقول .. دور تانى

ثم أتبع جملته بطلب صغير :

_بقولك ايه ماتوصلنى الشركة بكرة

_انت سوقت فيها بقى!

ردد زياد باستنكار :

يعنى انت وراك ايه؟

زفر فخر بملل ثم أجاب باستسلام :

حاضر ، لو صحيت ..

ابتسم زياد ثم قال :

طب يلا مع السلامة انا هنام خلاص وقتك خلص

ضحك فخر بخفة ، واستعد زياد لأخذ وضع النوم وراح يغطى جسده بغطاء خفيف ، وقبل أن يتمدد بكامل جسده على السرير خرجت منه شهقة عفوية بفرع عندما انطفأ النور بفعل فخر ، فأسرع فخر يفتحه من جديد معتذراً منه :

معلى معلى نسيت والله

تطلع له زياد بحاجبين منعقدين بضيق وزفر باختناق واضح ، ثم استلقى على جانبه مولياً ظهره له ، ورفع الغطاء حتى وجهه ..

تتهد فخر بحزن وتحركت شفثيه بنية التحدث ولكنه تراجع وربط لسانه قبل أن يعلو صوته وقرر الخروج ..

سمع زياد صوت إغلاق الباب وخيم الصمت على الغرفة تمامًا ، لا يزال وجهه محتفظاً بعبوسه فأصبحت ملامحه أكثر حدة عن المعتاد ، شردت عينيه في اللاشئ ، وعاد به عقله إلى ذكريات قديمة يحفظها عن ظهر قلب وكأنها البارحة ...:

أوصد عامر باب الغرفة بعد خروجه منها ، دون أى مبالاة بهذا النحيب الطفولي الذي تركه بالداخل يبكي بحرقة وخوف .. بينما حاولت أمينة اعتراضه وهى تقول بعدم استيعاب :

_حرام عليك يا عامر ايه اللي بتعمله ده !

_انا عارف هربّي عيالي ازاي .. اطلعي انتِ منها

كان فخر ذو العشر سنوات يقف بآخر الرواق بصحبة
أخته يتطلعان لما يحدث بارتعاب ومقت ..

صدح صوت أمينة بكل ما بداخلها من غضب :

_تربيهم ايه؟! ، هي دي التربية بتاعتك؟؟ ، حابس
طفل خمس سنين ف الضلّمة!! ، دي مش تربية ده
افتري !

نظر لها بجمود وقسوة :

_لسانك لو طول هتبقي انتِ والاتنين التانيين في
أوضة تانية ..

حاولت تليين نبرتها أثناء استماعها لبكاء ابنها
بالداخل يفتت قلبها :

_الله يخليك يا عامر طّعه ، لو عايز أى حاجة مني
هعملهاك بس افتح الباب ارجوك

تطلع لعينيها عن قرب يهتف بغلظة وخشونة :
_انا لو عايز منك أى حاجة هخليكِ تعملها كدا كدا يا
أمينة .. !

تحرك تاركًا إياها ، فعاد الطفلان للخلف يحاولان
الاختباء منه قدر المستطاع ، حتى أوشكا على دفن
أنفسهما بالستارة ..

اقتربت أمينة من الباب تطرق فوقه بضع مرات لتلفت
انتباهه :

_ زيزو حبيبي اهدى خالص انا موجودة ، متخافش
مفيش حاجة عادى ..

هتف الصغير بصوت مرتعد من وسط بكاء مرير :

_ النور هنا بايظ ياماما

أدمعت عينيها مهمة بهمّ :
_ انا عارفة ..

تمالكت نفسها سريعًا ورفعت صوتها إلى مستواه
المسموع :

_ متقلقش انا هطلعك والله بس متعيطش كدا عشان
خاطري، اهدى انا مش هروح في حنة

.

•
شعور قوى بالراحة أصاب الطفلين بمجرد خروج
والدهما من المنزل ، فتحركا بحرية ركضاً إلى
والدتهما .. وقد صاحت مريم بقلق :

زیزو انت كویس؟

•
•
كان يلتصق جسد زياد الصغير بالباب بشكل قوى
ويتعمد عدم النظر مطلقاً إلى ساحة الغرفة ، فقط
ينظر إلى خط النور الذى يتسلل من فتحة الباب ، وقد
بدأ بكاءه يهدأ قليلاً ولكن لم يماثله الخوف ، بل أمسى
يزداد بمرور الوقت ..

حاولت أمينة الخروج بأى حل ولو فاشل حتى ،
وقالت :

شوف الشباك اللى عندك طيب مفتوح؟

رددت مع نفسها بيأس :

_ ده ع المنور أصلا مش بيحب نور ، بس ممكن
يفرق وخلص

شعرت بيديها مقيدة لا تقوى على التصرف، عادت
تحادثه بشكل هادئ حتى تبث له الطمأنينة والسكينة :

_ انا مش عايزاك تخاف يا حبيبي ، انا لو عرفت
المفتاح فين هطلعك على طول ، ومش هسكت والله ..
بس لحد ما اتصرف انا عايزاك تهدي ومتفكرش فى
أى حاجة غير الحاجات اللى بتحبها بس .. غمض
عينك وفكر فى كل حاجة حلوة لحد ما تنام .. خلاص؟
، احنا موجودين ورا الباب اهو مش هنسيبك ...

.
.
.

قطع شروده فيما مضى وأغض جفنيه ليترد هذه
الذكريات من رأسه ، ثم غطى وجهه بذراعه لينام
؛ فالنوم لطالما كان أفضل حل للغياب عن الواقع
وتوقف العقل عن التفكير تمامًا ..

كثيرًا ما كان يحاول التحكم برهبته القوية من الظلام
وأن يقنع نفسه أن كل شيء على مايرام ، إلا أنه يفشل
ويتملكه الشعور بالخوف رغمًا عنه بمجرد حلول
سواد العتمة .. ؛ فقد ارتبطت طفولته بأيام عديدة كان
يُعاقب بها بالحبس فى الظلام ؛ حتى مع أتفه الأخطاء
التي يقترفها ، فكانت تراوده تخيلات مخيفة ليست
واقعية ولكن كونه طفلًا كان يصدقها ، فيظل الرعب
يحفر آثاره على قلبه الصغير حتى تصبح دقائق مؤلمة
..

يجزم أنه لو لم تكن والدته تخيم أمام باب الغرفة كلما
تعرض لهذا العقاب وكيف كانت تتبادل معه الحديث

حتى تشغله وتُطمئنُه قليلاً، لكان توقف قلبه ومات
حينها من الذعر ..

مرّ الزمن وأدرك أن أوهامه الخيالية لم تكن لتحدث
، ومع ذلك لم يتقلص ارتعاده من الظلام يوماً

*

*

*

صباح اليوم التالي ..

كانت تسير جهاد بأحد أروقة الشركة ، إلى أن توقفت
عندما وقع بصرها على الباب الذي دلف منه فخر
برفقة أخيه وهما يتبادلان الحديث ، فغلبتها الحيرة
قليلاً؛ أتذهب لمحادثته أم لا .. وبعد ثوان من التفكير

حسنت قرارها وسارت من خلفهم ، ونادت بصوت
رقيق :

_فخر بيه ..

توقفا الاثنان واستدارا لصاحبة الصوت الواقفة على
مسافة بعيدة قليلاً تطالعه ببعض التوتر ، فارتفع
حاجبي زياد بإعجاب ثم خاطب أخيه عابثاً :

_لحقت تلعب بديك يافوقاً؟

وكزه بذراعه وهو يقول ضاحكاً بسخافة :

_هقول لحنين

رد فخر بخفوت وهو يطالعه بصرامة :

_اخرس ياسفيه يامراهق

_ يلا ياوغد يافاسق ! .. ده انت طلعت مقضيها

دفعه فخر من وجهه ، ثم تركه واقترب منها يومى
بانتباه قبل أن يفطن قبولها بالعمل ويعلق :

_ مبروك ع الشغلانة

أردفت مبتسمة بحماس :

_ ايه ده انت فاكرنى؟

رد ضاحكًا :

_ مش هلحق انسى يعنى ..

ثم قال بعملية :

_ خير؟

ولا حاجة ، انا بس كنت عايزة اشكرك ، انا لولاك
مكانش زمانى موجودة هنا ، انا شايلالك الجميل بجد
ومستعدة ارده ف اى وقت ..

انا معملتش حاجة عادى .. ربنا يوفقك ان شاء الله

ابتسمت بنعومة واومات بامتنان ثم تحركت مبتعدة
عنه لتعود إلى عملها ، بينما استدار فخر ليجد أخيه
يقف مكانه يراقب من بعيد وتلوح ابتسامته الواسعة
البلهاء على وجهه وهو يقول غامزًا له :

زوقك مش وحش بردو !

زفر فخر بملل من تصرفات أخيه الصبيانية وفضل
الصمت وعدم الخوض معه بحوار تافه كهذا

*

*

*

دلف مروان إلى غرفة مكتبه وهو يمسك بكوب من
القهوة المخففة "نسكافيه" , ويده الأخرى تمسك
بالهاتف ليحدث أخته من خلاله :

_ انا دلوقتى مش مجمع انتى عايزة ايه .. انا لما
جبتك صورة فخر مكنتش أعرف انه خاطب أصلا
بس لما عرفت سكتت عشان قولتيلى إنك مش عايزة
غير أنه يبقى صديق ..

كانت جالسة بمكتبها عندما أجابته بصوت منخفض :
_ ايوه ما ده اللى أقصده فعلا

جلس على كرسيه خلف مكتبه وأردف :

اومال ليه كنتى بتقوليلى إنك عايزة رجل اعمال
عشان يحط على خطيب خلود؟ معنى كدا انك عايزة
تتخطبى .. ، وأكيد مش هينفع تعملى كدا وهو خاطب

أسندت ذراعها على المكتب وهى تجيب :

انا فعلا ده اللى كان ف دماغى ساعتها ، بس لما
رجعت فكرت لقيتتى هدخل في حوارات انا مش قدها
.. وانا مش عايزة اعلق حد بيا وانا عارفة انى مش
داخلة جد , لكن انا هعرفه كاصحاب ولما اقرب منه
هاكدله كدا أكثر من مرة عشان دماغه متفكرش ف
حاجة ناحيتى .. أكيد مش هخرب عليه هو وخطيبته
يعنى يامروان!

وهتستفادى ايه من علاقة الصداقة دى بقى؟

أجابت ضاحكة :

ما هُمّا لما يشوفونى معاه مش هيتأكدوا إذا كانت
صداقة ولا لا

أردف بفهم وظهر الملل بنبرته :

شغل إثارة جدل يعنى !

ثم تابع :

طب على فكرة انا بقولهاك اهو انا مش مقتنع
بالعبط ده كله من أوله لآخره ، وانتى واحدة ناقصة
خلى بالك

ارتفع حاجبيها باندهاش وصاحت :

انا !!

ايوة طبعا ، كل اللى فارق معاكى الناس تشوف قد
ايه انتى جامدة ومش سهلة وبتعرفى ناس من طبقات
عالية

ردت باستنكار :

هو انا عشان عايزة اتعرف على ناس نضيفة شوية
ابقى ناقصة !

لا ، لما تبقى عايزة الناس تشوفك معاه هو اللي
نقص ..

قاطع حديثهم دقائق خفيفة على باب مكتبه ، فأنهى
المكالمة بعد قول جملة قصيرة :

"غورى دلوقتى"

ثم أغلق الخط بوجهها قبل أن يسمح بدخول مساعدته
"دينا" إلى المكتب ، وسمعها تقول برسمية :

مستر مروان ، فى واحدة برا عايزة تقابل حضرتك

أجاب بعدم اهتمام :

_والواحدة دي مالهاش اسم ولا ايه؟

لم يكد يأخذ منها ردًا حتى تفاجأ بفتاة دخلت دون سابق إنذار وهي تهتف بصوت مرتفع :

_مروان اخبارك ايه بقالى كتير بكلمك مبردش عليا

اتسعت عينيه باندهاش ، ولكن حاول عدم لفت نظر مساعده له ، فنهض وهو يقول :

_روحي يادينا خلاص ..

استجابت له وخرجت من المكتب ، وفور إغلاقها للباب استدار مروان من خلف المكتب وهو يقول بعصبية :

_ايه اللى جابك هنا انتى !

كانت فتاة ذات جسد رفيع وشعر قصير ووجه مستدير
مزين بالقليل من مساحيق التجميل وترتدى ملابس
أنيقة بعض الشيء ، وقد عاتبته بدلال يضم لمحة
سخرية :

_ اخس عليك ، ده بدل ماتقول لى وحشتينى يا عزة
ياحبيبتى؟

صاح بصرامة :

_ انتى هتهزرى!! ، انتى عرفتى عنوان مكتبى منين
أصلا؟!

أجابت " عزة " بلامبالاة :

_ اللى يسأل ميتوهش ياحبيبتى ، وانا بقالى كتير بدور
عليك وانت مبردش عليا .. لـ تكون ناوى تعمل
بأصلك الواطى وتركننى ع الرف؟!

قلب عينيه من حوله بملل ، بينما واصلت هي في
الصياح :

_ لا يابابا فوق ، انا مش زى العرر اللي تعرفهم !
متخلفيش اوريك الوش التانى

_ هو انا وعدتك بحاجة يابت انتي؟ هو رمى جنت
وخلص؟؟

ردت باستنكار وازدراء :

_ او مال كل الأشعار وكلام الأغاني اللي مكنتش بتعدّي
يوم إلا لما تصدعني بيه كان ايه؟

_ عبط

طرح رده بكل لامبالاة ثم اوما بتأكيد مردفاً :
_ الغزل في السحنة دي أكيد مش هيبقى غير عبط

صاحت بضجر ونظرات حانقة :

_ بقولك ايه يامروان ، أقسم بالله انت لو متعدلتش
معايا انا هعلمك درس عمرك ما هتتساه وهتزعل مني
رمقها بكل لامبالاة و ردد بملل :

_ انا الدرس الوحيد اللي اتعلمته اني لما اعرف واحدة
مقولهاش اسمي الحقيقي ...

*

*

*

بعد مرور ثلاثة أسابيع تقريباً في صباح يوم مشرق ..

دخلت جهاد من باب الشركة ،دون ان تنتبه لتلك
الموظفة الواقفة أعلى الدرج تحديقها بتركيز ؛ حيث
كان يقبع السلم بأخر ساحة الشركة فيصل إلى رواق
الطابق الثاني المكشوف للجميع ،حيث يصحبه سورًا
قصيرًا من الزجاج الأبيض ..

من يقف بهذا الطابق يظهر له الطابق الأرضي بأكمله
،ومن يقف بالأرضي يظهر له كل من يمر بالطابق
الثاني أيضا ..

نزلت الفتاة على السلم مسرعة إلى أن قابلت جهاد
عند آخر السلم ولم تتركها تأخذ درجة واحدة ،
طالعتها بنظرات غير مريحة ،جعلت جهاد تعود
للوراء بريبة ، فقالت الفتاة بنبرة حادة :

_ على فين يا حبيبتى!

رمقتها بتعجب و أجابت ببديهية :

ايه ياتسنيم؟ طالعة مكتبي

ارتفع صوت "تسنيم" متعمدة لفت نظر الجميع لها :

لا مفيش مكتبي خلاص تاني ، احنا م الآخر مش
عايزينك معانا

ذُهلّت جهاد من أسلوبها الفظ و ردت بسخط اختلط
بالسخرية :

هو انتى بقيتى المديره هنا ولا ايه؟

ارتفع صوتها أكثر فأكثر حتى تصوبت كل الأنظار
عليها :

لا بس محدش مننا هيجب تبقى معانا ولا المدير
نفسه بعد اللي عرفناه عنك ..

.

.

بالتابق الثانى توقف زياد بين حازم وفخر الذى
صادف وجوده حاضرًا فى ذلك الوقت ، وراقبوا الفتاة
ذات الصوت المرتفع وهى تفتعل الجلبة والهرج ..

صاحت تسنيم بجفاء وصوت افتقر للأدب والإحساس:

واحدة م الشارع جاية عاملة فيها بنت ناس وف
الآخر هتطلع شمال زى أمها بالظبط !!

جحظت عيني جهاد بصدمة مما قالت ، تزامناً مع
اندهاش جميع من حولهم ، وقد تعالت همهمات خافتة
بينهم لم تستجمع جهاد منها ولو جملة واحدة ،
ولكنها على بقين بالطبع أنها ليست لصالحها ..

تابعت تسنيم بكل جبروت واحتملت نبرتها الكثير من
السخرية والاستحغار :

_ مش امك بردو كانت حامل فيكى قبل ماتتجوز!؟

تسمر جسدها تمامًا ، كمن سكب عليه ماءً مثلجًا في
ليالي الشتاء القارصة ، في حين واصلت تسنيم
حديثها بقسوة قاتلة :

_ بس الشركة دي بقى يا حبيبتى مبيشتغلش فيها غير
الناس المحترمة ولاد الناس وبس ، ومش هنسمح إن
سمعتها تبوظ عشان الرخاص اللي زيك

أضافت دون أى اعتبار لمشاعرها بقدر ذرة :

_ ولو عندك شوية دم احسن لك تروحي تتلمى ع اللي
شبهك ومتقديش وسط ناس مش من مقامك ..

توقف عقلها عن التفكير من فرط الصدمة ، شعرت
بأطرافها قد توقفت عن التحرك ..

ارتفع خفقان قلبها بشدة ،مما جعل أنفاسها تتعالى
حتى أضحت تلفظها بصعوبة وكأنها تختنق ..

مقدار الانكسار والخزي بتلك اللحظة كان مؤلماً
لدرجة أنه يكفي لجعلها تقسم حتى نهاية عمرها أنها
استمعت لصوت تهشم قلبها إلى أشلاء كالزجاج
الهش ..

لم تتركز أنظار فخر إلا عليها ، يراقب أدق تفاصيلها
حتى ارتعاشة شفثيها اللاإرادية ولمعان عينيها التي
تصارع لكبت دموعها ..

يرفض كل هذا الهراء من أوله ،وينتظر منها أن
تتحدث وترد اعتبارها من تلك الرعناء ؛فحتى وإن

كان هذا الحديث صحيحًا فلا يحق لأحد التشهير بها
هكذا ..

ولكنها لم تفعل ما يترقبه منها ولم تنطق بحرف واحد
..

أقلت نظرة عابرة على هذه الواقعة عاقدة ذراعيها
وترمقها بحاجب مرفوع بتبجح ..

تماسكها رغم مواجهتها لأكثر ما يهز كيائها
، وإصرارها على ألا تجش بالبكاء أمام الجميع ،
كانت تستحق عليه جائزة تقديرية ..

انسدلت دمة صغيرة على وجنتها ؛ أيقنت من بعدها
أن مقلتيها لن تتوقف مهما حاولت منعها ، فلم تلجأ
سوى للهروب من بين أنظارهم التي تنهشها دون
رحمة .. ؛ فتعمدت عدم النظر بوجه أي أحد مطلقًا

،وتراجعت خطوتين ،لحقتهما بالمغادرة إلى الخارج
بخطوات متسارعة

كان فخر وزيد قد هبطا إلى الأسفل مسبقًا ، فوقعت
عينيهما على الباب وهو يُغلق من خلفها .. فلم يمكث
فخر بموضعه وشارف على التحرك لولا يد أخيه التي
منعته يقول :

__استنى هتعمل ايه؟

همهم دون أن ينظر له وقد أفلت من يده وتوجه إلى
الخارج :

__اللى بيحصل ده غلط .. غلط خالص

راقبه زيد حتى اختفى عن ناظريه ، قبل أن يصدح
صوت حازم فى المكان بصرامة :

هنقف نتفرج على بعض ولا ايه؟! ، كل واحد يشوف حاله يلا ومش عايز اسمع لت وعجن كثير !!

شرع الجميع بالالتفات إلى عملهم فورًا بمجرد تلقيهم الأمر ، فيما بينهم تسنيم التي اقتربت من السلم ورات أنظار زياد معلقة بها حتى توقفت بالقرب منه وعقدت حاجبها بقلق من نظراته الجامدة ، إلى أن خاطبها بقرف لا يخلو من نبرته الباردة والساخرة :

ايه اللي عملتية ده ياصفرا !

يتبع..

الفصل الخامس {لحظة انكسار و ردّ اعتبار}

تسير على جانب الطريق بتيه وضياع .. تمر العديد
من السيارات بجانبها باستمرار ..

خطواتها مشتتة وطريقها مجهول ، لا تدرى إلى أين
تتوجه ، فقط كل ماتسعى إليه الآن هو الابتعاد قدر
المستطاع ..

تتهمر عبراتها دون توقف منذ بداية الطريق ، حتى
أصابتها شهقات لا إرادية لا يسمع صوتها أحد إلا هي

ذلك الكحل الذى اعتادت تزيين عينيها به لم يعد
يزينها ، بل يلطخها بعشوائية ..

لم يتبق إنشأً بوجنتيها لم تلمسه الدموع حتى أصبح
وجهها يتلأأ بفعل ضوء الشمس ، فقد انفجرت ببكاء
مرير ؛ وكأنها كانت تدخر دموعها على مدار شهور
وأفرجت عنها فى لحظة واحدة ..

تعب جسدها رغم عدم سيرها مسافة طويلة على
الإطلاق ، يبدو أن إجهادها النفسى هيمن على
عضلاتها حتى أنهكها ، فلم تقاوم كثيرًا واستسلمت
للوضع واستقرت على الرصيف ..

أخفت وجهها بين يديها وارتفع صوت بكاءها رغمًا
عنها ، فشلت كل محاولاتها فى كتمه حتى لا تجذب
الناس إليها ، ولكنها بالفعل لا تستطيع !..

•
"قومي لو سمحتي"

صوتًا مريحًا وهادئًا للغاية اخترق آذانها يحثها على
النهوض برجاء ..

أبعدت يديها عن وجهها فكان أول ما وقع عليه نظرها
هو أقدام أحدهم تقف أمامها مباشرة ، فرفعت رأسها
على مهل حتى تقابلت عينيها الباكية بخاصته الهادئة
، وقد تكوّن ظلّ جسده عليها فحجب عنها أشعة
الشمس ..

رمشت أكثر من مرة بعدم استيعاب ، هل هذا هو أم
أن الشمس التي تصطدم أشعتها بظهره تُضعف
بصرها؟

استطاعت رؤية ابتسامته المميزة تعطي محياه وهو
يمدّ لها يد العون ويقول بنبرة ساحرة أجبرتها على
تصديقه :

"انا فى صفك "

ظلت تحدقه بعينيها المتورمتين بصمت تام ؛وعقلها
لايزال مذهولاً من وجوده ، بينما هز هو رأسه بخفة
وحرّك أصابع كفه الممدود بتشجيع ..

مسحت دموعها بظهر يدها اليسرى ثم وبيدها
الأخرى استجابت له وتعلقت بيده ليساعدها على
النهوض ..

•
•
بأحد المقاعد القابعة بالشارع بالقرب من بعض
الأشجار الخضراء ، كانت تجلس وحدها عندما
تحدثت بالهاتف مع أخيها وأنهت المكالمة بقولها :
_ لا خليك مكانك انا جاية .. لما آجي هحكلك كل حاجة
بالتفصيل .. انا كويسة والله ، شوية وهبقى عندك ..
سلام

بعد إغلاق المكالمة التفتت لـ فخر وهو يجلس بجانبها
، بعدما اشترى زجاجة مياه صغيرة وعلبة مناديل ..

أعطى الاثنتين لها وهو يقول بهدوء :

_اتفضلي

أخذتهما "جهاد" على مهل وشكرته بخفوت ..
أخرجت منديلاً تمسح به آثار الكحل من حول عينيها
ولم تضيف كلمة أخرى ..

خيم الصمت لثوان ..

تطلع لها بجانب عينيها ثم وجه بصره إلى الشارع
مجدداً ، يبحث عما يجب قوله ، إلى أن خاطبته بسؤال
صغير :

_هو حضرتك جيت ورايا ليه؟

نظر لها وأجاب بهدوء :

عشان انا مش خروف ماشى ورا القطيع بتاعه من
غير ما يفكر ، ومتعلمتش اصدق أى كلمة اسمعها
وخلص ..

بعض نسمات الهواء اصطدمت بشعرها الأسود
فحركته باتجاه الرياح بخفة .. قبل أن يستأنف حديثه:

بصى انا مش من حقى طبعا اسألك إذا كان ده
حقيقى ولا لا .. بس حتى لو اه ف انا مقتنع إن كثير
اوى مبيطلعوش زى اهاليهم ف حاجة ، وهيبقى ظلم
لو خدناكي بذنبهم..

التزمت بصمتها كما هى وتطلعت من حولها بحيرة ،
فتساءل :

ليه مردتيش عليها؟

ركزت أنظارها عليه بعينين ينبعث منها الترح
والخيبة :

_تراهنتي لو كان في واحد بس هيصدقني ؟

_انا كنت هصدقك!

راقب عينيها المرتكزة عليه دون رد فعل واضح ،
على عكس داخلها الملى بالذهول تحاول استيعاب
كيف يستطيع هدهدة الأمور بهذه السهولة !
هى بالفعل لم تكن لتحتاج أكثر من تلك الجملة حتى
يهدأ بالها وتشعر بالقليل من الراحة وبعض الثقة ..

انتبهت لمواصلته فى الحديث يقول :

بِسِ انا لقيتك مبتكلميش ، خوفت اتكلم انا الاقيني
شجعتهم على الكلام ويتفتح بينهم نقاش مين مصدق
ومين لا ، وتسمعى منهم كلام وحش يضايك اكثر ..
حملقت به مطولاً بتعجب من فرط لطافته تلك وكيف
يضع حساب لمشاعرها حتى من أقل كلمة ، وهو حتى
لا يعرفها ..

تابع حديثه بسؤال فضولى قليلاً :

هو انتِ كان فى بينك وبين البنت دى مشكلة ولا
حاجة؟

ردت نافية :

معرفة هاش غير اسم بس ، ومعرفة عرفت الكلام
ده منين ، انا من اول ما اشتغلت متعاملتش معاها
أصلاً

شعرت بالدموع ترقرت بعينيها حتى عادت تفيض
من جديد واهتز صوتها كثيرًا وهي تردف بشجن
وبكاء :

_ انا مش هسامحها أبدا ، والله ما هسامحها .. ربنا
يجازيها على قد ما وَّجعتِ قلبي ، انا عمرى ماحسيت بـ
كسرة نفس وحشة اوى كدا ..

غطت عينيها بكفها الأيمن تخفى دموعها المنسالة
كالنهر ، وقد علت شهقاتها من جديد ، تحت أنظاره
المتعاطفة معها بوضوح وحيرته فى كيفية التخفيف
عنها ..

استجمعت نفسها سريعًا وأبعدت يدها عن عينيها ،
أخذت شهيقًا عميقًا تنعش به رئتيها ثم زفرته على
مهل ، خرج صوتها مبوحًا بعض الشيء وهي تمسح
وجهها من آثار الدموع :

_ بما انها كدا كدا خربت ..

أعادت بصرها له متابعة :

_ لو عندك فضول تعرف انا ممكن اقول ..

_ لو انتِ اللى عايزة تفضفضي انا ممكن اسمع.

بادر بردّه الطيب بابتسامه جانبية بسيطة ، محتفظًا
بنظراته الهادئة و ..

حسنًا ، من الأفضل أن يتوقف الآن قبل أن تقع بحب
رقته البالغة هذه ..

.

تتهدت مطولًا ثم بدأت تتحدث بشئ من الإيجاز :

_ابويا قبل مايعرف امي كان متجوز طنط صابرين
وكان مخلف منها مروان .. بعدها قابل امي وحبوا
بعض ..

أخفضت رأسها أرضاً متابعة بحزن :
_بس مشيوا ورا شيطانهم للاسف ولغوا عقلهم ..

ترددت عينيها في الأنحاء قليلاً ثم قالت :
_حملت فيا بعدها ، وابويا الحمد لله مطلعش ندل
واتجوزها ..

نظرت له بعينين دامعتين وأردفت بتفانٍ :
_بس هي مش زي ما انتوا فاكرين والله ، دي فضلت
طول عمرها ندمانة .. هي بنفسها اللي علمتني الصح
من الغلط وربتني كويس عشان اطلع احسن منها

تحررت دموعها مردفة بضعف :

_ انا مكنتش استاهل كدا ، ولا ليّا ذنب عشان
تفضحنى بالطريقة البشعة دى ..

ضم شفتيه بحيرة ، وعم الصمت لبضع لحظات حتى
نهضت وهى تنهى الحوار :

_ متشكرة اوى على اهتمام حضرتك ، انا لازم امشى
دلوقتي

وقف هو الآخر وقال :

_ ومش هتيجي الشركة بكرة؟

ردت بمنتهى السخرية والإحباط :

_ آجى فين يافخر بيه؟ ، انا زمانى حديث الساحة
دلوقتي

**_ايوة بس انتِ معملتيش حاجة غلط ،ليه متجيش
وانتِ عارفة كدا ؟**

سكتت للحظة ابتسمت فيها بمرارة وأجابت :

_عشان هما مش عارفين زى ..

**تطلع لعينيها الصادقة للمرة الأخيرة قبل أن تستدير
وتغادر بعيدًا ،تحت مراقبته لطيفها بنظرات ثابتة لا
تحمل رد فعل ملحوظ**

*

*

*

جلس مروان على أقرب كرسي له وبدأ بهز قدمه
اليمنى بحركة انفعالية سريعة ، وهو يتطلع بشاشة
هاتفه انتظارًا لأي اتصال منها ..

استمع لصوت الجرس فنهض فورًا وهرب إليه
ليفتحه لها ..

لم يقتضى الأمر منه كثيرًا ليتأكد من تحطمها ووهنها
،وقد خارت قوتها وأشهرت خضوعها للألم ببكاء
صدح صدها عاليًا وهي تقترب منه لترتمي بأحضانها
بانهيار ..

احتواها بهدوء وأحاطها بذراعيه قويًا ، وهو يستمع
لنحيبها المكتوم بعدما دفنت رأسها بصدرة ..

تركت العنان لحزنها واستمرت ببكاء هستيري
تحدثت من بينه بصوت ضعيف ومضطرب غير
واضح من قوة البكاء :

انا اتفضحت يامروان

أمسى يمسد فوق شعرها بحنان وهو يهمس لها
بهدوء :

انتِ معملتيش حاجة .. صدقيني انتِ مالكيش دعوة
بحاجة

أدار رأسه قليلاً ليقبل رأسها بلطف ، ثم تطلع من
حوله بهمّ وضيق على حالتها ، مستمرًا بالتربيت
عليها حتى تهدأ ..

لم يتوقف عن التمسك بها ، بل بات يشدد ذراعيه حول
جسدها المرتعش أكثر ؛ ليؤكد وجوده بجانبها وعزمه

على عدم تركها إلا عندما تستجمع نفسها وتغمرها
بعض السكينة ...

همس بصوت خافت جوار أذنها بهدوء :

تقعدى معايا النهاردة؟

لم يسمع منها إجابة ولكنه شعر بإيماءة رأسها
بالقبول؛ فأخر ماتتمناه الآن هو مكوثها وحدها ودفن
حزنها مع نفسها دون وجود من يخبرها أن كل شئ
سيكون على يرام ،حتى لو لم يكن

*

*

كان فخر قد عاد إلى الشركة وأول موظف قابله
بطريقه سأله عن المكتب الذى كانت تعمل به جهاد ،

ثم توجه إليه فور علمه بموقعه ،وسار صوبه حتى
دلف ورأى زميلتها "رانيا" جالسة على مكتبها يغزو
القلق وجهها وتحاول الاتصال بأحدٍ ما ولكنه لا يجيب
..

نهضت فور ملاحظتها لدخوله واومات باحترام :
_ اهلا يابشهندس فخر اتفضل

اقترب فخر منها خطوتين وقال :
_ انتِ كنتى صاحبة جهاد؟

هزت رأسها بإيجاب مجيبة :

_ مكنّاش اصحاب اوى ، بس هى بنت طيبة والله حرام
الى حصل ده ، تسنيم دى سوسة وقليلة الأصل من
زمان اصلا انا عارفاها

لم يعقب على كلامها وأفصح عن هدفه مباشرة :
_ معاكى رقمها يعنى؟

أردفت بغباء :
_ تسنيم؟

أجاب بحنق :
_ لا جهاد طبعا هعمل ايه بـ تسنيم انا !

ردت رانيا بفهم :
_ اه اه معايا , انا كنت لسة بكلمها دلوقتى أصلا بس
مبتردش .. هو حضرتك عايزه ليه؟

طالعتها بجمود بالغ ورفع حاجباً دون الآخر ، وقد
أعربت نظراته عن قول "ما شأنك" دون أن ينطقها ،

فارتبكت من حدة ملامحه وابتلعت ريقها ببعض
التوتر ، ثم حممت وقالت :
_سجل عندك يافندم ..

هتف بملل وهو يفتح هاتفه :

_اطربنى ياكروان !

*

*

*

بمساء نفس ذلك اليوم ..

.

ظهر السرور على وجه صابرين بعدما فتحت الباب
ورأت ولدها هو الطارق ، فهتفت بترحيب :

تعالى يا حبيبي ادخل ..

دلف مروان بملامح جامدة وتطلع من حوله قليلا ثم
نظر لها عندما وقفت أمامه مباشرة تقول بابتسامة
صغيرة :

هتتعشّي معايا؟

لم تتغير ملامحه ولا نظراته المريبة الموجهة ناحيتها
، حتى شعرت بالقلق منه وتغيرت تعابير وجهها إلى
التعجب ، فأردف مروان قبل أن يسمع منها أي
تساؤلات :

هسألك سؤال واضح وصريح يا امي وياريت منلفش
وندور على بعض ..

تفاهم القلق عليها وطالعه بريية ، فقال :

_ انتِ ليكي علاقة باللى حصل لجهاد؟

_ وهو ايه اللي حصل لجهاد؟

هدر بصوت أجش :

_ ماما !

تصنعت التعجب وقالت :

_ فى ايه يامروان انا مش فاهمة

أردف مروان بيقين وخرج صوته غاضبًا :

_ لا انتِ فاهمة كل حاجة ..

محدثش كان يعرف موضوع امها ده غيرى انا وانتِ

بس يا امى! , عمرنا ما اتكلمنا فيه مع حد حتى اللي

بنثق فيهم ..

ثم تابع بغضب أكبر:

وَيَصَادَفُ إِنْ الْحِكَايَةَ دَى تَحْصَلْ بَعْدَ مَا حَكَيْتَكَ
وَسَطَ الْكَلَامِ أَنَّهَا اشْتَعَلَتْ وَمَبْسُوطَةٌ ، وَ بِمَا إِنَّكَ طَبْعًا
بَتَكْرَهِي تَشُوفِيهَا مَبْسُوطَةٌ قَوْلْتِي تَخْسَرِيهَا شَغْلَهَا ،
وَمَشْ كَدَا وَبَسْ لَا .. دَى تَمْشِي مِنْ هُنَاكَ وَ وَرَاهَا
أَلُوفَاتٌ بِيَجِيبُوا فِ سِيرَتِهَا !

ظَلَّتْ تَحْمَلِقُ بِكُلِّ الْأَرْجَاءِ عَدَا النَّظْرَ لِعَيْنِيهِ بِشَكْلِ
مَطُولٍ ؛ لِعَلْمِهَا بَعْدَ امْتِلَاكِهَا الْجُرْأَةَ الْكَافِيَةَ لِمُوَاجَهَةِ
نَظْرَاتِ وَلَدِهَا الْمُوَبَّخَةِ وَالْمَحْبُطَةِ ..

بَيْنَمَا ظَلَّتْ أَعْيُنُهُ مَعْلُوقَةً بِهَا مُتَحَدِّثًا بَعْدَ اسْتِيعَابِ :

_ انا عمرى ما كان هيجى ف خيالى إنك توصلى
للمستوى ده أبدا .. بقى انا ادردش معاكى بكلمتين
تروحي تعملى كدا؟ ، قلبك طاوعك ازاي!؟

حاولت التبرير قائلة :

_ مروان يا حبيبي اقعد وهشرح لك ..

لم يمنحها الفرصة وتابع عتابه بأسى وحزن :

_ مفكرتيش إنى هشك فيكى خالص؟ ، مفكرتيش
نظرتي ليكى بعد ما اعرف هتبقى ازاي؟ ، علاقتك
بابنك كلها مفرقتش معاكى على قد ما فارق معاكى
تقهرىها وتبوظى حياتها ! ، حتى لو هتعملى حاجز
بينى وبينك مكانش مهم عندك

التمعت عينيه بتأثر شديد ، وأردف بصوت مهزوز
أثر خيبته من خروج هكذا تصرف من والدته :

كنت فاكرك أحسن من كدا يا امي

التمعت عينيها بحزن شديد وقالت :

مروان انا عشان بحبك عملت كدا

فلتت أعصابه من غضبه وصرخ بعصبية :

ده بـ انهي منطق !!

صاحت هي أيضًا في المقابل قائلة بانفعال :

البنيت دى مش زى مانت فاكر وافتح عينك شوية !

، مش هيطولك غير الضرر طول مانت جنبها .. انت

مش عارف تشوف كويس عشان طلعت لقيت ابوك

بيقرّبك منها بالعافية ..

لكن البذرة الفاسدة مش هتطلع نبتة صالحة يامروان.

هز رأسه بفهم ساخر :

ـ طبعا البذرة الفاسدة دي اللي هي هدى بس ، إنما
أبويا ملاك برئ معملش حاجة ..

نفخت بضيق وأشاحت بنظرها بعيداً ..

ساد الصمت بضع ثوان ، حتى سألها مروان بجمود :

ـ عرفتيتها منين البت اللي اشترتها عشان تعمل
النمرة الزبالة دي!

أخفضت رأسها أرضاً مجيبة بتردد :

ـ وصلت لولد غلبان كدا بيقدم لهم الشاي والقهوة
، وخليته يتكلم عن الموظفين اللي يبان عليهم أنهم
بتاع مصلحتهم واكثر واحدة قال عليها كانت تسنيم

ضحك مروان بمنتهى السخرية وقال :
_راضيتها كويس ها؟ .. الله اكبر كانت مراعية
ضميرها اوى فى الحوار ، مسابتش فار صغير إلا
وعرف ..

_هى اللى كبرت الموضوع ، انا كنت قايلها تضايقها
بالكلام بس ، مأكدتش عليها تعمل لها فضيحة يعنى

رفع يديه فى الهواء بإحباط وهو يضحك بتهكم وعدم
تصديق ، لم يجد ما يرد به فأنزل يديه وهو يزفر
بيأس قائلاً آخر ما عنده :

_انتِ عملتي حيلة بيننا هتخلىنى مفكرش احكيك أى
حاجة تانى ، ولا حتى ابص لك بنفس نظرتى ليكى
بتاعة زمان

*

*

*

سار فخر بساحة منزله حتى وصل لغرفة المكتب الخاصة بوالده وطرق على الباب مرتين ثم انتظر حتى أتى رده من الداخل يسمح له بالدخول ، ففتح الباب ودلف ، ليجد والده يجلس خلف مكتبه وتشاركه زوجته "بسمة" بالجلوس على أحد الكرسيين المقابلين للمكتب ..

قال عامر :

تعالى يا فخر ..

أغلق الباب ثم أخذ خطواته تجاه المكتب حتى شغل الكرسي الآخر المقابل لبسمة ، ولم يعرها أى انتباه أو حتى نظرة خاطفة ، وخاطب والده ببرود :

_أكيد عرفت حوار جهاد اللي اشتغلت في الشركة من شهر وبعدين مشيت النهاردة ..

رد عامر بلا أي اهتمام :

_ممم .. مكانش بيان عليها إنها أي كلام والله ، كان شغلها حلو

أردف فخر مباشرةً :

_البنيت دي هترجع الشركة تاني ..

تساءل عامر بتعجب :

_ده ليه؟

_عشان تسنيم عملت كدا مخصوص عشان تمشيها م الشركة ومعرفش السبب وميهمنيش ، كل اللي اقدر اقوله إن البنيت دي مظلومة ومينفعش تمشي

ردت بسمه باستتكار :

وانت ايه اللي مخليّك متأكد كدا أنها مظلومة؟

رمقها بجانب عينيه بحدة قوية أشارت بعدم قبوله
لأى تدخل منها .. ثم أعاد نظره لوالده وتابع :

هل عند حضرتك أى اعتراض؟

رد عامر بعدم اكتراث :

وانا ايه اللي يخليّنى اتمسك بالبنت دى يعنى؟

عشان هي معملتش حاجة تستاهل إنها تخسر شغلها
.. ، ده غير ان تسنيم عملت كدا عشان جهاد متكملش
ف الشركة ،وانا مش عايز قلبها الاسود يفرح إنها
حققت مُرادها ..

رد عامر باعتراض :

_ولما آلاف الموظفين يشوفونى رجعتها تانى؟! ..
مش هيبطلوا كلام وسمعة الشركة هتتهز ومش بعيد
نخسر هيبتنا كمان .. وده كله عشان قبلت وجود
واحدة شمال أقل قلم ف الشركة أنصف منها !

ارتفع حاجبيه بذهول وهدر بسخط :

_ازاى سهل عليك تقول كلمة زى دى على واحدة
بنت من غير إثبات !

_وتسليم هتكذب ليه؟

_عشان واحدة مش سالكة وغلاوية ، ودى اللى فعلا
لازم تمشى مش جهاد

شاركت بسمة في الحديث باستخفاف وسخرية :

_والله شكلها هتطلع أنيل م اللي قالتة تسنيم كمان
ومش بعيد تكون بتأجر بالليلة زي أمها

اتسعت عيني فخر من كلماتها القبيحة وبدل نظره
بينهما بعدم استيعاب صائحا بغضب :

_انتوا ازاي بتتكلّموا على سمعة بنت بالطريقة دي
عادي كدا !! ، عيب عليكموا ده ذنب مش سهل على
فكرة، اللي بتعملوه ده عيب وأكبر عيب !

منع لسانه عن تكملة توبيخه ونفخ بعصبية ؛ فما
فائدة الكلام مع اثنين انقطع الإحساس عنهما منذ
زمن !؟

حاول اختصار الحديث وقال :

_لو شايل همّ الموظفين وكلامهم ف انا هعرف
اسكتهم واردم الموضوع ده خالص ، حاجة تانى؟

لم يكد عامر يباشر بالرد ،حتى سبقته بسمة تقول :

_شكل البنت دى تهملك اوى ..

حدقها فخر بنفس نظراته الصارمة وهى تواصل :

_بس بلاش تبقى واثق ف نفسك كدا بدل ماتتدم ف
الآخر

لاحت ابتسامه واسعه على ثغره مليئة بالسخرية
وأردف بأسلوب لطيف لا يتناسب مع محتوى جملته :

_رأيك لا ينتمى إلا لسلة المهملات ياعزيزتى ..

لاحظ ملامحها التي انقلبت إلى الغيظ بوضوح ،
فابتسم باستفزاز قبل أن ينهض ويتجه إلى الخارج

.....

*

*

*

صعد فخر لغرفته الواسعة وأغلق الباب من خلفه بيده
اليسرى ، ويده اليمنى مشغولة بثمرة من فاكهته
المفضلة؛ التفاح الأحمر ، حيث ينقصها قضة كان قد
أكلها مسبقاً ..

أخذ مقعده التابع لمكتبه القابع بإحدى زوايا الغرفة ..
نظر لدفتره الأنيق يتسطح المكتب ، فقرّبه إليه بهدوء
، ثم فتحه ..

نبش بين صفحاته قليلاً على مهل ،حتى وصل إلى
صفحة بيضاء جديدة ..

سحب القلم المعلق بالدفتر ؛حيث كان قلماً فخماً ذو
لون أسود ومميز .. وضغط أعلاه ليخرج سن القلم ثم
شرع بكتابة بعض الكلمات بخط بديع ومنظم :

"يحاكموك بقسوة حتى يوشكوا على رجمك بالطوب
، لمجرد أن خطاياهم لم يكتشف أحدٌ بعدُ مقدار
ماتحتويه من الدنس"

*

*

*

بناهار اليوم التالي ..

•
خرج مروان من غرفته بعد استيقاظه من النوم مباشرة ، وهو يفرك رأسه بملل ، مما أزداد خصلاته بعثرة أكثر مما هي عليه ..

وقع بصره على جهاد الجالسة أمام التلفاز وتسلى مشاهدتها بأكل بعض المكسرات ، فلم ينطق بحرف ولم يلقي تحية صغيرة حتى ، وسار إلى أقرب كرسي وجلس ، فأسند رأسه للخلف وأغمض عينيه ..
فصاحت جهاد تقول :

_ انت طالع تكمل هنا؟ ، الساعة داخلة على ١ الظهر

_ شششش

لم يعطها ردًا سوى ذلك ليُسكتها ، ولم يحرك ساكنًا وظل كما هو ، بينما نهضت وهي تقول :

_ انا هعمل نسكافيه ، عايز؟

ضم أصابع يده ورفع إبهامه فقط ،تعبيرًا عن الموافقة ، ولم ينبس بكلمة ..

.
.
.

بالمكتب الخاص بزياد التابع للشركة ، كان يجلس فخر بصحبة أخيه الذي أمسى يتناول بعض الشطائر بتلذذ ، قبل أن يشتمته عن استمتاعه صوت فخر المحتج :

بطل أكل شوية وركز معايا !

نظر له زياد بلامبالاة وقال :

ماتيجى ننزل حجز كورة بالليل؟

صاح فخر بحنق :
_مش وقت تناحتك

رد زياد بتأفف :
_يا عم متقرفنيش بقى ،ماقولتلك كلمها ..

_وافرض فهمتى غلط وافكرتتى بتمحس فيها ولا
حاجة؟

_لما تعرف أنك بتساعدها فعلا مش هتفهم غلط ..

ثم صاح بتفخيم وتعظيم :

وَبَعْدِينَ هِي تَطُول الْمَهْنَدِس فخر تَلِيد بِنَفْسِهِ يَبِص
لَهَا !

طالعه فخر بلا أي اكرتات للحظات ، وقال :

مباجيش بالتطيل انا ، ومش هديك العربية لو كتبتلى
قصايد ..

رسم زياد البراءة على وجهه وهو يقول :

والله مشوار صغير

ولا هتلمس المفتاح أصلاً

تخلى وجهه عن هذه الملامح البريئة فجأة وحل
مكانها الملل ، ثم التقط شطيرته وتمتم مع نفسه قبل
أن يأخذ منها قضة :

_وربنا ل آخدها من وراه.

.

.

التقطت كوبًا فارغًا بيدها لتضع به مشروبها، وبيدها الأخرى أخرجت هاتفها من جيبها عندما صدح رنينه .. فنظرت للرقم المجهول ، ثم أجابت بعدم اهتمام :

_الو؟

_الو .. ايوة يا آنسة جهاد ، معاكى المهندس فخر تليد

صعق جسدها بمجرد سماع اسمه :

_مين !!

وبنفس لحظة الانتفاضة العفوية التى أصابتها كان الكوب قد وقع منها أرضًا فتحطم وصدح صوته يفصلها عن ذهولها ...

•
•
تطلع فخر لأخيه وهو يضع الهاتف بعيدًا عن أذنه
؛ بعد تشغيل مكبر الصوت ، وظهر عليه التعجب من
أصوات التكسير فردد باستفهام :

__ أنسة جهاد؟

ولكن لم تصله أى إجابة ، فعلق زياد بلا أى مبالاة :

__ اتشلت ولا ايه

•
•
فى حين كانت جهاد تركض إلى الخارج ، غير مبالية
بالكوب المهشم الآن.. حتى وصلت لأخيها وجذبتة من
ثيابه للأمام تجبره على النهوض ، ففتح عينيه بفرع

وقبل أن ينهر فعلتها أشارت له بالصمت ثم أشارت
على الهاتف ليصب تركيزه عليه ..

فتحت مكبر الصوت ، فكان أول ما سمعه مروان هو
تساؤله :

_ أنسة جهاد انتى كويسة؟؟

سارعت بالرد :

_ اه اه انا تمام

_ آسف لو اتصلت ف وقت مش مناسب ، وبعذر طبعاً
انى فاجئتك كدا وخذت رقمك من غير إذنك ، بس ...

قاطعته جهاد قبل أن يتابع ، تخفف عنه الإحراج :

_ لا لا ميهمكش مفيش مشكلة خالص ، حضرتك
براحتك

طب عموما انا مش هطوّل عليكى ، انا كنت هقول
لك تيجى الشركة بكرة ..

وأضاف قبل أن يستمع لأى كلمة منها :

وعارف هتقولى ايه كويس .. بس صدقيني انا
مكنتش هقول لك كدا لو عارف إن فى حد هيضايقتك ،
انتى هترجعى شغلك عادى جدا والحكاية دى هتتمسح
وتتدفن خالص ولا كأنها حصلت أصلاً

تساءلت بعدم فهم :

ازاى حضرتك؟

اسمعى كلامى بس وروحي

فرك مروان عينيه _ الـ شبه مغلقة _ بنعاس ، قبل أن
يسمعتها تبادر بالرفض :

_ لا لا مش هقدر يافخر بيه ،مش هينفع

_ انا هبقى فى انتظارك بنفسى وهتشوفى انا قصدى
ايه .. و لو لقيتى نفسك مش مرتاحة ابقى امشى
براحتك

ترددت حدقتها فى الأنحاء قليلاً ، ثم قالت باستسلام :
_ خلاص حاضر تحت أمرك

_ اكيد؟

_ ماشى هاجى بكرة إن شاء الله

_ تمام ، مع السلامة ..

أغلقت المكالمة والدهشة لم تفارق وجهها لبرهة ..
ومن ثم شقت السعادة محياها بكل معالمها ، و أشرق
وجهها بالأمل والحماس وهي تتحدث بابتسامة
عريضة :

_شوفت مهتم بيا ازاي يامروان! ، دور على رقمي
وجابه وكلمني وكمان عايز يرجعني الشغل .. شكلي
صعبت عليه ، الواد مؤدب اوى وجدع وبيتأسف
وكلامه حلو .. انا اختياري كان صح م البداية ، بردو
انا ليا نظرة ف الرجالة .. تفكر عمل ايه عشان يبقى
واثق من نفسه كدا وهو بيقول لي ارجعي؟

طالعها مروان دون ذرة تركيز متسائلًا بضياع :

_هو مين ؟

.

•
_ هي البت دي تهمك؟

تساعل زياد بفضول وترتسم ابتسامة عابثة على وجهه ، فأجاب فخر بجدية :

_ لو ده كان حصل مع اى واحدة غيرها كنت هعمل معاها نفس الكلام بردو ..

صمت قليلاً ثم استطرد :

_ انت مشوفتهاش كانت مقهورة ازاي وهي بتتكلم ..
حسيت من كلامها ان الحكاية دي عاملة لها عقدة من زمان ، والجهل منتشر للأسف واكيد شافت كتير بسبب موضوع أهلها ده .. حقها بردو تشوف حد مش بيحملها الذنب ده ومش بيقلل منها بسبب حاجة هي معملتهاش أصلاً ..

لوى زياد شفّتيه بحيرة ثم حرّك رأسه باقتناع ، ثم
قال :

_طب وبعدين؟ ، هتدفن الموضوع ازاي زي
ماقولتلها في التليفون!؟

ابتسم فخر بسكينة عارمة واوما بثقة :

_حضر الشاي بلبن بتاعك واقعد اتفرج ..

*

*

*

كانت تسير "تسنيم" بأحد أروقة الشركة ، إلى أن
كبحت خطواتها بتفاجؤ عندما ظهر أمامها يرمقها
بملامح جامدة , فابتسمت بهدوء وقالت :

_في حاجة يامستر فخر؟

صح لها ذلك اللقب بتبئيه :

_مهندس! .. مهندس فخر

ثم أردف :

_ ده أولًا ..

تابع بحدة قوية ونبرة مخيفة :

_ثانياً بقى انتى هتنزلى معايا دلوقتى وهتسمعى الكلام من سُكات ، عشان لو كترتى معايا هضرك وانتى عارفة انى اقدر اعمل كدا ..

عادت للخلف خطوة بريية وتساءلت بتوتر :

_هو فى ايه؟

طرح سؤاله بحدة عارمة :

**_ عايز اعرف عرفتى منين حكاية جهاد وكان غرضك
ايه بالظبط**

- .
- .
- .

**هبط من فوق الدرج برفقة تسنيم ، وارتفع صدى
صوته فى الساحة حتى يصل للجميع ، توافقاً مع
تصفيقه عاليًا ثلاث مرات لي جذب انتباههم له :**

_ كله يركز معايا ويبص لى هنا !

**سار بضع خطوات حتى توسط الساحة ليبقى على
مستوى أنظار الجميع ورفع يده يطرق أصابعه هاتفاً
بتأكيد :**

_ سيب اللى ف ايدك انت وهو واسمعوا الكلام ده
عشان مش هعيده تانى ..

استدار من خلفه لينظر لتسنيم الواقفة عند آخر الدرج
وهى تحرك عينيها فى كل الأرجاء بارتباك .. فارتفع
صوته بصلاية وثبات :

_ انا جايب نجمة الحفلة بنفسها تقول لكوا اللى نسيت
تقوله ساعة ما عملت بليلة مالهش داعى واتهمت
زميلتكوا جهاد بكلام مش تمام ..

ثم تابع بصوت أعلى قليلاً ، تحت أنظار أخيه وصديقه
حازم الواقفين بالأعلى يراقبونه :

_ الأنسة المحترمة خدت كلام من حد شايل من جهاد
وجت كبته قدامنا عادى .. ، اللى اعرفه أنه من

الاخلاق لو سمعت كلام مش حلو عن حد حتى لو كان
صح مروحش احكيه وانشر الموضوع .. عشان يوم
ما الزمن يدور و اقع ف موقف مشابه الاقى اللى يكتم
على حواراتى بردو

تطلع لها ووجه السؤال لها قبل الجميع :
صح ولا لا؟!

أخفضت رأسها بخجل وهزت رأسها إيجاباً بصمت ،
بينما تابع فخر بحدة وصرامة :

_جهد هترجع الشركة بكرة ! ، وأى حد هيبصلها
مجرد بصة بس مش حلوة يعمل حسابيه يدور على
شغل تانى .. وده مش تخويف ده هيحصل فعلياً
،واللى ميعرفنيش يسأل اللى يعرف ويفهم منه لأى
درجة بقصد الكلام اللى بقوله بالحرف !

أنهى خطابه للجميع ثم التفت لتسنيم واقترب منها
بضع خطوات وخاطبها ببرود :

_ نسيت اقولك إن طريقك معانا شطب لحد كدا .. عدى
خدى بقية حسابك وورينا جمال خطوتك

طالعه بذهول شديد وخفق قلبها بصدمة ، بينما
أضاف هو ، وجميع الموظفين يستمعون له بوضوح :
_ اللي هيسوا سمعة الشركة دي فعلاً هو انتى .. والله
اعلم مين الموظف اللي هيقع ف ايدك المرة الجاية

حاولت التحدث ولكنه لم يعطها المجال لقول حرف
واحد ، وأردف بحسم :

_ لو نص مكاسب الشركة بتيجى من وراكى لوحدك
بردو مستغنيين عنك ..

تابع قاصداً إهانتها :

_ احنا مبنشغلش ناس معندهاش مبادئ وأى حد
معدى يقدر يشتريها بالسهولة دى.

*

*

أتى اليوم التالى ، وصباح يوم مفعم بالقلق والتردد
بالنسبة لها ..

طوال طريقها حتى وقفت أمام بوابة الشركة ، لم
يتركها الشعور بالارتباك ورغبتها فى التراجع ، ولكن
عقلها يعود ليذكرها أنها أعطته كلمة وأنه ليس من
الأدب أن تتركه ينتظرها _ كما قال _ ولا تظهر ..

ظلت واقفة ، وتدور عينيها المحددة بالكحل الأسود
من حولها ، تفكر هل ينتظرها بالداخل فتدخل أم
تنتظر هي حتى يخرج من نفسه ليستكشف وجودها..

ولم تساورها الحيرة لوقت طويل ؛فقد توقفت سيارته
على جانب الرصيف الذي تقف هي أعلاه ، ثم ترجل
منها ورسم ابتسامته الهادئة على محياه ، فبادلته
إياها عندما اقترب منها ووقف أمامها يقول :

كنت فاكرك مش هتيجي

غلبتها ابتسامة جانبية قائلة :

مش بتفق على حاجة مش هنفذها

ابتسم بتقدير ثم سألها :

واقفة بقالك كتير؟

_ لا خالص ، هما تلت دقائق بس

_ وليه مدخلتيش؟

لوت شفتيها بحيرة ثم أجابت بإحباط :

_ انا مش مقتنعة بوقفتي هنا أصلا

أردف بابتسامة صغيرة وهو يسبقها إلى الداخل :

_ طب تعالى تعالى

ظلت مكانها للحظة قبل أن تتهد باستسلام وتلحق به

دلف إلى الداخل بثبات وثقة، على عكس خطواتها
المتردة التي تتبعه ورأسها منخفضة قليلاً ، تلقى
نظرات خاطفة على جميع من حولها بتوجس ، ولكن
ياللعجب لم يلتفت لها أحد! ، مثلها مثل أى شخص
يدخل إلى الشركة لا يثير الانتباه ..

كساها التعجب بشدة ، وتشجعت على رفع رأسها قليلاً
وأطالت نظراتها حولها بعض الشيء وكأنها تتأكد مما
تراه ، الجميع منهمك بعمله ومن يقع نظره عليها لا
يظهر عليه رد فعل من الردود التي كانت تترقبها ، بل
جميعها نظرات عادية وحسب .. بل وهناك من يبتسم
لها بهدوء ثم يعود لمواصلة عمله

تضاعف الذهول عليها أثناء صعودها على السلم من
خلفه .. إلى ان وصل لوجهته أمام مكتبها ثم توقف و
استدار لها قائلاً :
_ ده مكتبك صح؟

اومات بتأكيد ثم سألته بدهشة واضحة :
_ هو حضرتك عملت ايه؟

أجاب بهدوءه المعهود :

_متشغليش بالك ، المهم إنك هترجعي تاني وتكملی
زی الأول وخالص الحكاية دی اتمحت خالص
،متفكریش تاني ..

تساءلت بفضول :

_طب وتسنيم؟

_مشيت

هتفت بدهشة :

_مشيت !!

فأجاب بعدم اكتر اثار :

_كان المفروض تمشی من زمان أساسا, سيبيك منها

تابع محرکًا رأسه بنفس ابتسامته الهادئة المميزة :
_حمدلله ع السلامة

تحركت مقلتيها بالأرجاء بعدم استيعاب ، تحاول
البحث عن شئ يوفى حق مافعله لأجلها ، ارتكزت
عينيها عليه وأردفت بامتنان شديد :

_انا مش هبالغ لو قولت إنك احبييتنى من جديد حرفيا

لاحت ابتسامه واسعه على ثغرها ،متابعة :

_انا طول حياتى محدش عمل معايا قد اللى عملته ده
والله ، عمرى ما هنسى أفضالك أبدا ، انا لحد ما يبقى
عندى احفاد هقعد احكى فخر بيه عمل معايا ايه ..
كلمة شكرا دى قليلة جدا جدا ..

اتسعت ابتسامتها أكثر ورددت بنبرة أوضحت كم
تخرج كلمتها من قلبها :

_متشكرة بجد يافخر بيه

ابتسم بمجاملة قبل أن يصحح لها كلمتها التي سمعها
منها كثيرًا ولم يرض عنها، فقرر عدم السكوت هذه
المرّة وقال بهدوء :

_مهندس فخر .. خيّها مهندس فخر

غلبتها ضحكة ناعمة أظهرت أسنانها ثم أومأت
بإيجاب :

_شكرا يا بشمهندس فخر

_فى الخدمة يا أنسة جهاد

ضحكت بهدوء من أسلوبه المرح ،تزامناً مع ابتسامة
صغيرة تلوح على وجهه بوضوح ..

"لم تنتهِ القصة كما ظننت ..

بل بدأت للتوّ ! ♥ "؟"

يتبع..

اسمحو لى بإخباركم أننا لانزال فى مرحلة الاستعداد
وقصتنا لم تبدأ بعد ..

تنتظركم أحداث قوية وتشويق أقوى فى الفصول

القادمة، ترقبوا ♥

الفصل السادس {عصفورًا عاجزًا}

يأتي المساء في الغالب مع الراحة والهدوء , إلا في منزل آل تليد ;حيث يكثر هناك الضجيج والجلبة والأصوات العالية .. فإن كنت من محبي المناوشات والمجادلات والصخب ، فهذا بالفعل هو مكانك المثالي

...

.

دلف فخر من باب المنزل على صوت ضجة عالية نبتت من اشتباك عمته مع زوجة أبيه , فتطلع بملل للسيدتين وهما يتبادلان السباب والإهانة ويحاولان ضرب بعضهما ، إلا أن الفتيات يمنعن ذلك ;فتتمسك ياسمين بوالدتها ، وتحاول مريم مع الخادمة حنان إيقاف بسمة وتهدة الأمور ..

لم يظهر عليه أي اكتراث ونفخ بكل ضجر ؛فقد تعود على هذه المشاحنات منذ أن أضاعت بسمة المنزل بطلتها المشؤومة ..

وقع نظره على أخيه الواقف بعيداً عن هذا القتال ،
يكتفى بالمشاهدة فقط وهو يحتسى كوباً من "الشاي
بالحليب" ، وضحكة عريضة تعلو محياه لا تتناسب
أبداً مع الأجواء المشتعلة بين أفراد العائلة ، وكأنه
يشاهد فيلماً كوميدياً ..

اقترب منه فخر حتى وقف بجانبه مباشرةً وسأله
بلامبالاة :

بقالهم كثير؟

نظر له زياد وأجاب :

دقيقة ويزهقوا .. خد سلى نفسك

أردف بجملة الأخيرة وهو يُخرج بعضًا من الفول
السوداني من جيبه ويعطها له ، فأخذه فخر وأكل
واحدة ثم قال :

_مين اللي بدأ؟

رد زياد بنفس ابتسامته الواسعة وهو يتطلع لهذا
الشجار بحماس :

_انا سخّنتهم على بعض

ارتفع حاجبيه بدهشة وتطلع له بتوبيخ :

_يخربيتك! ، هي ناقصاك!؟ ، ما هما كارهين بعض
خلقة

.

.

صاحت مريم فجأة بنفاذ صبر :

كفاية بقى كدا !!

نظرت لعمتها مردفة :

طنط انتِ ست أرقى من إنك تخشى فى خناق تافه

زى ده !

ثم استدرات لبسمة فورًا وقالت :

اقعدى يابسمة لو سمحتى

هدأت العمة "ناهد" قليلًا بعد سماع تبجيل مريم لها ،
لتنسب أنها بالفعل أرقى من هذه الخرقاء .. بينما
جلست بسمة بعدما رمقتها بمقت ، وزفرت بعصبية ..

جلست ياسمين بجانب والدتها ، قبل أن تخاطب مريم

خادمتهم :

حنان هاتيلهم مائة بعد اذنك

اومات بطاعة وغابت إلى الداخل ، ثم تحدثت مريم
بهدوء :

مفیش حاجة مستاهلة اللى بتعملوه مع بعض ده ،
انتوا مش أطفال !

تفاجؤوا جميعًا بانقطاع الكهرباء وانطفأت جميع
الأنوار ،

فكان أول رد فعل عفوى خرج من زياد عند شعوره
بالخوف هو التمسك بذراع أخيه بقوة ، فسارع فخر
بوضع كفه الآخر فوق يده المتشبثة به بارتعاد
، ليربت عليها ويهمس له بأمن وهدوء :

متخافش ، متخافش انا معاك .. مفیش حاجة انا
جنبك اهو

•
صاح صوت ناهد تقول باشمئزاز :
_النور قطع على وشك أول ما نزلتني من فوق

وبالطبع لم تتجاهلها بسمة أو تتنازل و ردت بحق :

_وليه مش عشان شرفتينا بـ آدمك الحلو؟!!

•
لم تتراخي قبضة زياد عن ساعد أخيه ، بل أمسى
يضغط عليه دون وعى ، وقد شعر فخر بارتجافة يده
على معصمه حتى شارف على هز ذراعه معه بأكمله
، فشد فخر يده على يد زياد يؤكد له بطمأنه :

أهدى يازيزو كل حاجة تمام والله متقلقش

أخرج فخر هاتفه من جيبه وأشعل كشافه وصوّبه
ناحية أخيه ، فرأى مشروبه وهو يُرج بين أصابعه
بسبب ارتعاشة جسده اللاإرادية ، فقال وهو يمد له
الهاتف :

خد اهو خلى الموبايل في ايدك ، وهات الكباية دي
قبل ما تقع منك ..

نزع يده المتمسكة به على مهل ليضع بها الهاتف ،
فاستسلم له زياد بتردد ، ثم التقط فخر منه الكوب قبل
أن يسمعه يقول بصوت خافت ومضطرب لم يسمعه
أحد سواه :

متروحش فى حتة

أصبح ضوء الهاتف يتردد بعض الشيء بسبب اهتزاز
يده ، فأحاط فخر وجه أخيه بكفيه لينظر له عن قرب
؛ يبت له بعض الاسترخاء ويهتف بتأكيد :

مش هروح فى أى حته والله .. انا موجود اتظن

ثم أضاف قائلاً :

انا قبل ما ادخل شوفتهم بيعملوا صيانة للسلوك
العمومية برا ، وأكد ده هياثر هنا شوية بس والنور
هيرجع على طول ، متقلقش الموضوع مش هيطول

.

.

انتبها لذلك الجدل الجديد الذى بدأ بين بسمة وناهد
سابقاً بالكلمات البغيضة ، فكانت تهتف بسمة
باستهانة :

_ انتِ واحدة معدّتش عليكى ريحة الأدب أصلا

ردت ناهد باستصغار وازدراء :

_ على آخر الزمن تربية الشوارع هى اللى هتيجى
تعلمنى الأدب كمان !

_ لا انا ممكن اقوم اعلمك واورىكى فعلا

هتفت ناهد بتحدٍ :

_ تعالى ياختى ورينى وشوفى انا هورىكى ايه قصاها

حاولت ياسمين إسكات والدتها بالهمس لها بخفوت ،
وقد كانت تُشعل كشاف هاتفها للإنارة :

_ ماما خلاص كبرى دماغك منها

أحقتها مريم بجملة وجّهتها للجميع :

__ياجماعة انتوا متعبتوش! ، مش طبيعي السيناريو
الى ماشى بقاله خمس سنين ده!!
نظرت لأخويها الواقفين على مسافة منها وقالت :
__فخر احنا مش كان عندنا كشاف كبير كدا راح فين!

أجابها بعدم اهتمام :
__بايظ ، انت لسة فاكرة؟

لم تكن ترى ملامحهما بوضوح ، ولم تحتاج لذلك
للتأكد من فرع أخيها ، فتساءلت باهتمام وقلق :

__زيزو انت تمام؟

ابتلع ريقه وحاول إخراج صوته ثابتًا ، مجيبًا
باقتضاب:

عادت الكهرباء واشتعلت الأضواء من جديد ، وحينها فقط انطلق منه زفيرًا طويلًا مرتاحًا ، عندما بدأ هلعه يتلاشى فورًا ..

نظر لفخر ورأى عينيه تتفحصه بتساؤل عن حاله الآن ، فأوماً بهدوء ثم أعطاه هاتفه وهو يقول :

__ انا هطلع اشمّ هوا برا شوية

.
. .
. .

توقف على بُعد ملحوظ من باب المنزل ، أخذ شهيقًا عميقًا ثم أخرجته على مهل ؛محاولة لتهدئة أعصابه قليلًا بعد شعوره بأنها على وشك الانفجار أو ما شابه

.. ثم أعاد الكرة مجدداً ،ومسّد شعره ذو الخصلات
المموجة إلى الخلف حتى استقرت يديه خلف رقبته ..

انتبه لصوت أحد يحمم من ورائه ،فاستدار بجذعه
ليجدها ابنة عمته القصيرة والنحيفة ،ذات الوجه
الملئ بالمستحضرات التجميلية حتى أوشت على
منافسة الجوكر أو المهرجين ..

اقتربت منه بتردد ملحوظ وهتفت بأدب لم يخلو من
التوتر :

ممكن اتكلم معاك دقيقة؟

لم يهتم إطلاقاً ولم يبد عليه رد فعل ، فقد كان متأكدًا
أنها ستبدأ بخلق أي أحاديث تافهة لتقرّبه منها
وتجذبه إليها _ أو هكذا كان يظن _ ..

زاد توترها من صمته ،ولكنها أصرت على ألا تتراجع ،وتوقفت بجانبه تنفى مايتوقعه ،وكأنها قرأت أفكاره:

انا مش جاية ابهرك بيا ولا احسك قد ايه انا بنت
مفيش منى وهتخسر كتير لو ضيعتنى من ايدك ،وكل
العبط ده

رفعت عينيها له لفرق الطول الواضح بينهما ؛فقد
كانت رأسها بالكاد تصل لمنتصف صدره ، وظهر
الحزن بصوتها الرقيق وهى تقول :

انا مش راضية عن كل ده يازياد .. مفيش أى حاجة
بعملها انا بمزاجى ، حياتى ماشية بدماغ ماما مش
بدماغى انا ،وانا مبعرفش أعارضها ولا اقول رأى
حتى .. انا مجبرة اسمع الكلام وبس

صمتت قليلاً ثم أردفت بضعف :

مَـمـا مـش سـهـلـة وانا مـش قـدّـها .. ولو عنـدت فيـها
مـمـكـن حـرـفـيـاً تـفـتـح دـمـاغـي مـش مـجـرـد تـعـبـير و خـلـاص
لو رـفـضـت لـها طـلـب بـتـحـرم مـن النـزول لـأى مـكان حـتى
لـلـجـامـعـة و المـوبـايل كـمان بـتـاخـده ، و بـقـعد بـالـأيـام بـتـذل
عـلـيـها عـشـان تـحـن عـلـيا و تـدـينـي إـعـفا ! ، حـتى لو
عـنـدي اـمـتـحـان مـش هـيـفـرق مـعـاها أـسـقـط عـلى قـد
مـا يـفـرق مـعـاها تـكـسر مـنـاخـيرى و تـجـيـبـها الأـرض

غلبه التعجب لو هلة قبل أن يرفع حاجبيه بلامبالاة
؛ فماذا سيتوقع من "أخت والده" غير هذه
التصرفات؟

أعاد توجيه بصره عليها عندما أضافت واغرورقت
عينيها بالدموع عند تذكر والدها :

_ انت عارف بابا الله يرحمه صح؟ ، فاكر قد ايه كان
راجل نفسه عزيزة وعمره ما بص حاجة غيره؟ ..
انا اتربيت على ايده مش على ايد امي واتعلمت منه
كويس يعنى ايه قناعة و مبصش حاجة غيرى
دعت عينيها قبل أن تخونها الدموع وتظهر أمامه ،
ولكنه لم يستلزم رؤيتها للتأكد من تعاستها الواضحة
كقرص الشمس :

_ انت عارف؟ لو ماما كانت عرفت تخلى فخر يتقدم
لى كنت انا اللي هرفض

قلبت عينيها من حولها بلامبالاة متابعة بسخرية :
_ طبعا مكانتش هتدينى فرصة انطق بحرف أصلا بس
كنت هتكلم مع فخر من وراها واقول له يرجع فى
كلامه

ابتسمت بمرارة ،مضيفة :

_انت مش متخيل انا كنت مبسوفة قد ايه لما خطب
يازياد ! ، حسيت إني ارتاحت أخيرا من الضغط اللي
كانت عامله عليا وإن الموضوع اتقفل .. مكنتش
فاكرة أنها هتفكر فى الأخ التانى

أردفت جملتها الأخيرة بتهكم ، وساد الصمت من
الطرفين يوزعان أنظارهما من حولهما بتردد ، إلى
أن عادت تتحدث من جديد بنفس صوتها المهزوز :

_انا بقالي كتير ساكتة ومكنتش عايزة اتكلم أصلا ..

تأثرت بمجرد تفكيرها بحديثها التالى ولم تستطع كبت
دموعها عن النزول ، وتابعت بصوت ملئ بالبكاء
والشجن :

_بس انا تعبت من نظراتكوا ليا على انى قليلة
ورخيصة ..

بروح البيت بقعد افكر بصّاتكوا ليا واقعد اعيط
وادعي ربنا يخلّصنى من الهمّ ده !

أطال النظر لوجهها الحزين ودموعها التى تحاول
إيقافها ، فبدأت هى بمسحها بأناملها وحاولت
استجماع رباطة جأشها سريعاً ..

يطالعتها بتعاطف مختلط بالتعجب والحيرة ؛كيف لهذه
التى يظنها عقرباً لادغاً ليست إلا عصفوراً عاجزاً
غير قادر على الخروج من القفص!

تحدثت بعد لملمة أعصابها وقالت بثبات :

_بص انا مش مستتية حتى انك تصدقنى ومتوقعة
كمان تفتكرها محاولة كدابة عشان اطلع قدامك غلبانة
وعلى نياتى وتتشجع تقرب منى ، بس انا مكنتش
قادرة اسكت ، حتى لو مصدقتش مش مهم ، انا مهم
عندى انى اتكلمت و طلعت اللى بقاله كتير كاتم على
نفسى ..

ثم أضافت :

_انا عارفة إنكوا مبتحبوش ماما ولا بتحبونى ، بس
انا عايزاك تعرف انى مش زيها، ولو ابويا كان
عايش كان عرف يوقف المهزلة دى ، بس انا لوحدى
مش هعرف ..

رفعت منكيها بقلة حيلة ويأس :

انا مكنتش عايزة غير إنا نبقى اصحاب زى ما
انتوا وولاد خالكوا اصحاب كدا ، كنت حابة علاقتنا
تبقى أخوية وخفيفة ، وقت ما نحتاج لبعض نبقى
موجودين ووقت ماتحصل لكوا حاجة حلوة ابقى اول
واحدة تفرح لكوا ..

والله ما عايزة اكر من كدا يازياد ، ماما هى اللى
مصرة تقلبها وتبوظها ...

استمعا الاثنان لصوت والدتها تنادىها أثناء خروجها
من المنزل ، فألقت إليه آخر نظرة قبل أن تهرول
بعيداً عنه وتتجه لوالدتها التى سارت إلى البوابة
تتذمر وتلعن مجيئها هنا ؛ يبدو أنها لم تكف عن
الشجار مع بسمة حتى نفذ صبرها فقررت المغادرة ..

لم تبعد أنظار زياد عنها أثناء خروجها مع والدتها
حتى اختفت عن عينيه ، فظلت عينيه تدور من حوله
بحيرة قبل أن يتهد بهم ويعود إلى الداخل

*

*

يوم جديد ، في وضح النهار حيث قاربت الساعة
الثالثة عصرًا ..

ارتدى عز بجسده المنهك عند أقرب مقعد رآه أمامه
في أحد ممرات المشفى ، وترك معطفه الطبي الأبيض
على قدميه وزفر بإرهاق واضح ؛ فيبدو أن العمل
اليوم كان مضاعفًا ..

فتح هاتفه يتفحصه قليلًا ، فوجد العديد من الرسائل
من مختلف الأصدقاء على حساب التواصل الاجتماعي
"واتساب" .

لم يهتم بالرد على أى منهم_ بما فيهم أخته_ مثل ما
اهتم برسالة ابنة عمته "مريم" ،حيث أرسلت له
صورة كوميدية لأخيها زياد وهو يأكل بنهم وعلقت
عليها :

"جموسة بتاكل"

ضحك بقوة حتى اهتز جسده من أثر الضحك ،ثم
استعد للرد عليها ;وبالطبع لم يكن ليكتفى بإرسال
بعض الوجوه التعبيرية التي تعبر عن الضحك وحسب
، فهي لا ترأسله من نفسها هكذا كل يوم ،وبالطبع
سيستغل الفرصة ويخلق معها حديثاً ولو صغيراً حتى
؛فمن أفضل من مريم ليخلق معه حديثاً؟

كتب لها رسالة نصية مازحة :

"لو عرف إنك بعنتيها لحد مش بعيد يكسر الموبايل
على دماغك ، ده بلطجي"

ثم خرج من المحادثة وأخذ نظرة على الحالات التي
ينشرها الأصدقاء ، وأيضاً لم يبال إطلاقاً بأى حالة إلا
بخاصتها .. ففتحها ليرى صورة لها وهي تقف
بالقرب من بعض الأشجار والورود وضحكتها البريئة
تزين محياها ، خصلات شعرها الذهبية تلمع بفعل
ضوء الشمس وزرقتها ضاقت قليلاً من وسع
ضحكتها التي تتسبب في إذابة قلبه في كل مرة يراها
..

تقريباً لم يكن يشعر بابتسامته التي تعلوه وهو يحدق
بصورتها بحب جارف يفيض من عينيه ..

عينيه التي لم تعد ترى مخلوقاً أجمل منها ، ولا تكفّ
عن مقارنة الجميع بها ; وبالطبع الجميع أمامها
يخسر بجدارة ..

أفاق من شروده على ضربة خفيفة من صديقه على
كتفه وهو يقول عابثًا :

_ غريب الحب مين فاهمه

نظر له عز بملل وقال :

_ عايز ايه يا حسن!؟

صاح حسن باستنكار :

_ انت بتحب جلد الذات ولا ايه؟

أوقفه عز قبل أن يتابع توبيخه المزعج :

_ انا مش فايق لك خالص على فكرة

جلس حسن بجانبه وهو يقول بهدوء :

_يابنى انا خايف عليك والله ، عايزك تفوق لحياتك
شوية

ثم أضاف :

_ما اللى خلق مريم خلق مليون غيرها

كرر عز جملته بتأكيد ولكن أضاف عليها توضيحًا
مهمًا :

_ "اللى خلق مريم خلق مليون غيرها بس محدش
فيهم زى مريم"

رد حسن باعتراض :

_ انت اللى مش عايز تشوف حد زيها ، مع إنك لو
بصيت هتلاقى الأحسن منها كمان

غلبته ابتسامة جانبية حملت بعض السخرية ، ثم
أجابه بكل هدوء :
_ عارف؟

صمت للحظات معدودة واتسعت ابتسامته أكثر مردفًا:
_ "مريم هي الدليل الحيّ على وجود المثالية"

ارتفع حاجبي حسن بذهول ؛أل هذا الحد يقع بغرامها
لدرجة أن عينيه لا ترى بها شيئاً سيئاً قط؟!
بينما واصل عز بهيام :

_ رغم كل العقد والكلايع اللي جواها إلا إني مش
بعرف اشوف فيها عيب واحد .. بالعكس، انا كل ما
بشوفها بحبها أكثر ما كنت بحبها فى المرة اللي قبلها

تطلع حسن من حوله بيأس ثم قال :

انت شكك وصلت للقاع ومحدث هيعرف يجيبك
خلاص ...

*

*

*

خرج زياد من المنزل إلى ساحة القيلا متجهاً إلى فخر
الواقف بجوار سيارته التي تغطت بالصابون ليقوم
بغسلها ،مرتدياً قميصاً قطنياً أبيض اللون بنصف
أكمام وبنظارة قطنياً رمادياً أطرافه مشمرة قليلاً ..

مساء الأنااس

ردد زياد تحيته بمرح، بينما أجاب فخر دون النظر له

اهو مسازى وشك

فتغيرت قسّمات وجه زياد الى الملل ولم يجبه بشئ ،
ثم هتف بالأهم :

مكلمتش عز؟

رد فخر باقتضاب :

لأ

هتف زياد وهو يمك بهاتف أخيه :

طب انا هكلمه من عندك عشان رصيدي خلص ،
قول ال password.

ردد فخر كلمة السر الخاصة بهاتفه وهو منهمك
بالعمل :

ست اصفار

نظر زياد بالهاتف ، وهو يعلّق بجديّة وكأنه لا يسخر
منه :

_ مش صعب شوية ده يامعلم؟

فتح قائمة الاتصال وبحث بها ، إلى أن وجد اسمًا أثار
استغرابه قليلًا ونطقه بصوت مسموع :

_ "جهد اللي عاملة مشكلة فى الشركة مع تسنيم"

نظر له ضاحكًا :

_ انت مسميها كدا بجد !

رد فخر مبادلاً إياه الضحك :

عشان افكرها

هتف "فخر" برده ثم مال بجذعه ليلتقط خرطوم
المياه ويبدأ بشطف السيارة ، أثناء مكالمة "زياد"
المختصرة مع ابن خاله "عز" ليسأله إن كان سيتنزه
معهم اليوم أم لا ، والتي أغلقها ثم ألحقها بمكالمة
أخرى لصديقهم "حازم" ، ولكن أجابته زوجته بدلاً
منه لتبلغه أنه نائم ، قبل أن ينتهي من المكالمة
ويسأله فخر :

عز جاى؟

لا ، فاقد الشغف.

وحازم؟

فاقد الوعى

_وانت؟

_فاقد حنان

أشاح فخر بيده بعدم اهتمام بعد حوارهما السريع
هذا:

_بتقول ايه انت بس!

بينما ضحك زياد وهو يقول :

_والله الواحد نفسه يرتبط يافوقاً

ثم استعد للردشة قائلاً :

_ ماتحكيلى بما إنك خاطب .. حلوة الدنيا ولا ايه؟

_ولا أى بتتجان

طرح فخر إجابته بكل لامبالاة بعد ترك الخرطوم أرضاً ،
بينما صاح زياد باستنكار :

__ايه ده يعنى ايه!

بدأ بتجفيف السيارة بقماشة نظيفة وهو يقول :
__والله يابنى ولا حاجة ، بينى وبينك ساعات بحس
انى اتسرعت فى خطوة الخطوبة دى

ثم تابع وهو يستمر بعمله ، دون توجيه بصره إليه :

__حين جدعة وطيبة وكل حاجة ، المشكلة فى انا

استدار من خلف السيارة ليكمل تجفيفها ، مستأنفاً :

المفروض لما تبقى خاطب بتقعد فترة الخطوبة دي
متحمس وتعد الأيام عشان تبقى مع خطيبتك فى بيت
واحد وتعيشوا سوا باقى عمركوا والكلام الكثير ده

توقف عن عمله ونظر له يقول بأسى :

بس انا مش حاسس كدا مع حنين.

ثم عاد لمتابعة التنظيف ،متابعًا :

بس بقول لما نقرب من بعض أكثر أكيد الوضع
هيتغير شوية

هتف زياد بعدم اهتمام :

عز قال لك قبل ماتخطبها إنك مبتحبهاش وانت اللى
أنكرت

صمت قليلاً ثم أضاف :

_ احنا كلنا عارفين انت خطبتها ليه بس انت الوحيد
اللى عايز تعمل نفسك مش واخذ بالك

تطلع له فخر باستنكار قائلاً :

_ ليه بقى؟

_ سببين .. أولهم إن حنين بتحبك وانت تقريباً قولت
تجبر بخاطرها عشان صعبت عليك ، ثانياً عشان
تخلص من زنّ عمّك وتسكّتها شوية ..

رد فخر وهو يراه يقترب منه بضع خطوات :

_ بس حنين مش وحشة

توقف زياد بجانبه مباشرة وأجاب :

_محدث قال وحشة ، بس الحب مش بالعافية
_بس انا لو اتجوزت واحدة بتحبني أكيد هعيش
مرتاح معاها و ده أهم من ائى أكون بحبها

هز زياد كتفه بلامبالاة مجيبًا :

_او تتخفق منها بعد أول سنة و لا سنتين وتطلقها في
الآخر

تطلع فخر من حوله بتفكير وزفر بحيرة ، وقد أصابه
شعور جامح بهمّ كبير يُثقل كاهله ..

أفاق من شروده فورًا عند شعوره باقتراب أخيه
للسيارة واستعداده للاستناد عليها بيده ،فأمسك
برسغه سريعًا قبل أن يلمس السيارة وهتف بتحذير :

_ايدك والعربية !

تصنع زياد البراءة في ردّه :
_مغسولة وربنا

رد فخر وهو يزيح يده بعيداً :
_بردو لا

تتهد زياد بضجر ثم عاد لجديته في حديثه التالي :

_طب اسمع، انا عايز ياسمين تيجى معانا

طالعه فخر بتعجب اختلط باللااكثرات وقال :

_لسة بتفكر في الكلام اللي قالتة؟

_بصراحة اه ، حاسس إننا المفروض نديها فرصة

ثم استأنف قائلاً :

_____ انا لما فكرت شوية لقيت أن كل كلمة قالتها طالعة
من قلبها فعلا ، ياسمين كل ما بتيجي عندنا بتفضل
ساكته خالص لحد ماتمشي يافخر وانت لاحظت ده ،
عمرى ما شوفتها بتحاول تقرب مننا أو تلفت نظرنا
ولو حتى بنظرة .. احنا ممكن نكون كل ده ظالمينها
وواخدينها بذنب أمها

حرك فخر مقلتيه من حوله بتفكير وقال بشرود :
_____ ممكن فعلا ..

أعاد نظره له قائلاً بعزم :

_____ خلاص كلمها قول لها احنا عازمينك على الغدا فى
النادى

*

*

_ خلاص يازيزو هجيلكوا على هناك .. وكلم ميّ
تصحي حازم بالعافية ويجوا ، وشوف عز تاني بردو
..... يلا سلام

أغلقت مريم الهاتف ثم التفتت لإياد الجالس بصحبتها
بأحد الأماكن العامة المفتوحة ، وسردت له قبل أن
يسألها :

_ فخر وزيزو هيروحوا النادي وهيستونى اتغدى
معاهم ..

تساءل بحزن :

_ ليه كدا ! ، يعنى هتقومي تمشي دلوقتى؟!!

لا لسة فخر هيعدى على حنين وبعدين هيروح
لبابا الشركة الأول ، لسة قدامنا وقت يعنى

ابتسم بهدوء واوما بحماس :

طب كويس اوى

ابتسمت بسرور من لهفته على قضاء الوقت معها ،
قبل أن تستمع إليه يقول بتردد :

انا سمعتك بتتكلّمى على عزّ عشان يجى ، مش ده
اللى قولتيلى إنه كان عايز يتجوزك زمان؟

شعرت من نبرته بلمحة غيرة ، فردت ببساطة :

ايوة بس ده ابن خالى ومتربيين سوا ، وغير كدا
القصة دى اتقفلت من زمان خلاص

_حتى لو اتقفلت بردو أكيد مبقاش يبص لك على إنك
اخته زى الأول ، وزيادة قربك منه مش هتبقى فى
صالحك

انعقدا حاجبيها بعدم فهم :

_يعنى ايه؟

_انا قصدى بس إنه كان المفروض أصلا بعد ما
اكتشفتى أنه مش شايفك اخته تختصرى فى علاقتك
معاه ، عشان ممكن يبقى فى منه قلق ..

وأضاف :

_ده مش بعيد لو عرف انى هتقدم لك قريب يعمل فى
حاجة

ردت ضاحكة :

_لا لا مش للدرجة دي ، عز متربى وغلبان مش بتاع
الحركات دي .. وهو بنفسه أكد لي ان الموضوع
اتقفل ، متقلقش

*

*

*

دلف حازم إلى غرفة نومه الواسعة وهو يعطّق
المنشفة حول رقبته بعد انتهاءه من تجفيف وجهه ،
وقد كان شعره مبعثرًا قليلًا ولا يزال يبدو عليه أثر
النعاس ..

وقع نظره على الشرفة المفتوحة وزوجته مَيّ تقف
بها لتتشر بعض الملابس المغسولة ، وهاتفها

محشورًا بين أذنها وحجابها لتحدث والدها من خلاله ، فاستمع لصوتها وهي تقول :

طَب ما انت مش هتتعب فى حاجة يابابا ، احنا هناخدك بالعربية ونرجعك لحد باب البيت

.

.

جلس "رؤوف" على الأريكة الخاصة بشقته وهو يجيب :

والله انا النهاردة صاحى بدرى ومصدع وعايذ انام ، هبقى آجى مرة تانية عادى

.

.

وقف حازم من خلفها متسائلًا :

القميمص الكحلى فين يامى؟

أجابته وهي تهتم بالتقاط بنطالًا وتعلقه على الحبال :

_ على الشماعة اللي ورا الباب

ثم عادت لمكالمتها وهي تضع المشابك بالثياب :
_ طب بص يا بابا لحد ماتتأم شوية هنكون احنا خلصنا
مشوارنا وهجيبك معايا غدا ، متعملش انت حاجة

.
.

_ مالوش لازمة يابنتي على ايه المصاريف دي؟

_ احنا كدا كدا هنتغدى برا ، مش أكلك هو اللي هيزنق
يعنى

.
.

وقف الصغير عبدالله بجانب قدمها وهو يقول :

_ ماما مش لاقى التشيرت الجديد بتاعى

_ في الرف التانى يابودى روح شوفه تانى

غادر عبدالله إلى الخارج ، فتابعت مى مخاطبة
والدها:

_ وبعدين يابابا مينفعلش كل يوم تقف تعمل أكل ،
صحتك ياحبيبي خاف عليها شوية متجيش على نفسك
كدا

رد رؤوف عابتًا :

_ انتِ فاكراى عجزت يابت ولا ايه؟

ضحكت مى ، قبل أن تستمع لصوت حازم من خلفها :

_ الساعة الفضى فين يامى؟

أول درج فى التسريحة

.

.

هتف رؤوف ضاحكًا بعد سماع كل هذا عبر الهاتف :

ذاكرتك بقت قوية الله اكبر

ضحكت وأجابت :

مش بيتى وانا اللى برتبه بإيدى؟

.

التفتت لصوت ولدها يباغتها فجأة :

ياماما مش لاقيه !

التفتت له وقالت :

انا متأكدة إنه فى الرف التانى

مش لاقى حاجة

ولو جيت جيبته دلوقتي؟

أجابها الصغير بتحد :

هدّيكى نص مصروفي

أردفت بسخرية :

ياسلام على الثروة اللي هتغرّقني!

علّقت آخر قطعة من الملابس على الحبال ثم تركت الشرفة واتجهت إلى الخارج بصحبة ابنها ، تاركة زوجها يغلق أزرار قميصه أمام المرأة ، وهي تكمل الحديث مع والدها بتذمر :

_وهو مين غيرى هيحفظ البيت؟ هو فى حد هيرتبه
معايا؟ انا عايشة مع جوز بهائم بعلفهم وانيمهم بس

ارتفع حاجبى حازم ونظر تجاهها بدهشة ، بينما
تابعت هى مغادرة الغرفة :

_لا لا ده انا هيجى عليا يوم واطفش من البيت ده
ومحدث يعرف لى طريق ... يبقى يشوف له جارية
بقى !

*

*

*

سارت جهاد بالطابق الثانى للشركة، بعد انتهاءها من
مشاكسة العامل المسؤول عن تحضير القهوة
والمشروبات , فأصرت على أخذ كوب من الشاى
يخص زميلة لها ولكنها أخبرت العامل بأن يذهب

ويخبر زميلتها أنها هي من أخذته ، فتبادل معها الضحك قبل أن يذهب بطريقه ، بينما ارتشفت القليل من الكوب أثناء توزيع بصرها على الساحة في الأسفل ، حتى توقفت مقلتها على الفتاة التي دلفت من باب الشركة ؛ تبدو مألوفة لها ولكنها على يقين أنها لم ترها في العمل ، بل بمكان آخر

توجهت "حنين" إلى السلم ، حيث كانت ترتدي بنطالاً من الجينز وسترة من اللون البيج يعتليها رداء خفيف يتطاير من خلفها أثناء صعودها إلى الأعلى ..

استطاعت جهاد تذكرها فوراً ؛ فقد كانت ممن فحصت حسابهم على مواقع التواصل الاجتماعي أثناء استكشافها محيط فخر ..

فخر؟

مرحى !

هاهو يدلف من باب الشركة وهو يحادث أحدًا ما على الهاتف ويتوجه إلى السلم ، فتطلعت من حولها بسرعة تحاول التفكير بشئ ما إلى أن وقع بصرها على زميل لها يسير بجانبها ممسكًا ببعض الأوراق ، فأوقفته سريعًا وهي تقول :

_استنى استنى .. انت هتودى الورق ده فين؟

طالعتها بتعجب وأجاب :

_حامد هيستلم الشغل ده بدل مجدى

انتشلت منه الورق وهي تقول :

_عنك هوديه انا

ولم تترك له المجال لقول حرف واحد ؛حيث ركضت
واختفت من أمامه سريعًا ،تاركة إياه فى حيرة من
أمره ...

أبعد الهاتف عن أذنه بعد انتهاء المكالمة وواصل
صعوده وهو يركز عينيه بالشاشة ، وعلى عكس
اتجاهه كانت تهبط هى ركضًا متصنعة انشغالها
بالورق ..

لم تكن تنوى سوى ارتطام بسيط يوقفه فقط ليراها
وتبادله حديثًا قصيرًا ، ولكن لم يحدث ما عزمت عليه
بالتحديد ، بل أتى الاصطدام قويًا ،مما تسبب بتعثر
الاثنتين معًا ، فتشبث بدرابزين السلم قبل أن يقع
،وبنفس الوقت التقطت يده الأخرى جسدها حينما
فقدت توازنها والتفت ذراعه حول خصرها عفويًا ..

نظرت لعينيه البنيتين بعينين جاحظتين من الصدمة
مما حدث بهذه السرعة ، ولُجم لسانها تمامًا فلم

تستطع إخراج حرفاً واحداً ، فى حين اعتلته هو
ضحكة جانبية وهو يطالع حدقتها المزينة بالكحل
،ويقول :

__ مش ننزل بالراحة ولا ايه؟

تورّدت وجنتيها من الخجل حتى أوشكت على التعرق
بغزارة ، وابتعدت للخلف ، تزامناً مع إبعاد يده عنها ..
حاولت تجميع كلماتها ومقلتيها تدور من حولها
بارتباك :

__ انا آسفة , انا آسفة جدا بجد .. انا كنت مستعجلة
بس شوية معلىش

اتسعت عينيها قبل إكمال اعتذاراتها وشهقت عند
رؤية بعض من الورق مفرّق على الدرج والبعض
الآخر تطاير إلى الأسفل حتى وقع على الأرض ..
كانت على وشك الانخفاض لتجمعه ولكنه أوقفها
فوراً:

استنّى خليكي

أخذ هو تلك المهمة ،ونزل الدرجات التي كان يقبع
فوقها الورق ،ومال بجذعه ليقوم بملمة الأوراق
كلها ،ثم نزل تلك الدرجات ليأت بالباقي من الأسفل ،
حتى جمعها سوياً ثم صعد إليها مجدداً وسمعها تقول:
تعبت نفسك ليه حضرتك؟ انا كان ممكن المّه عادى

أجاب وهو يمدّ لها الأوراق :

_ مينفعش تنزلى تلمّى حاجة من على الأرض واللى
رايح واللى جاى يتفرج عليك ، طالما فى رجالة
حواليكى المفروض واحد منهم ينزل يجيبهاك هو ،
ولو معملهاش اشميه وقوليله يجيبها

ضحكت وضمت الورق لصدرها وهى تقول :
_ انت چنتل جدا والله يافخر بيه ، شكرا جدا

تذكرت وأسرعت تقول قبل أن تسمعه يعدّل على
كلمتها ، رافعة سبابتها بانتباه :

_ بشمهندس فخر!

ضحك بقوة حتى ظهرت أسنانه البيضاء ، ثم قال :
_ شاطرة ، بتتعلمي بسرعة

اومات بغرور مازح ثم هتفت ضاحكة :

_ عن إذتك ..

ابتعدت من أمامه سريعًا وأخذت خطواتها على الدرج للأسفل ، وقد استعد هو للطلوع ، توافقًا مع وقوع نظره على حنين الواقفة أعلى الدرج ، تطالعه بوجه جامد وحاجب مرفوع وتعقد ذراعيها ببعضهما ؛ يبدو أنها رأتهما وتتملكها الغيرة بجنون الآن

يتبع..

الفصل السابع {ذهب إلى منزلها}

وقف أمامها وأسرع يتحدث قبل أن تهتف بكلمة :

_ من غير ماتبدأى خناقة على الفاضى ! ، انا ماليش
علاقة بيها

طالعه حنين بغضب مكتوم :

_ والله؟ ، متهزرش معايا وقول لى مين دى بالظبط!

_ مجرد موظفة فى الشركة وبس يا حنين

صاحت فجأة:

_ بأمارة إنك واقف تضحك معاها صح؟

_ وطفى صوتك متلمّيش الناس حوالىكى

أنصتت لأمره ولكن لم تتوقف عن التثرثرة :

_ متضحكش عليا ، انت شكك عارفها من قبل كدا

أجاب فخر بلا اهتمام :

_عارفها زى ما عارف كل الموظفين ، مفيش حاجة
مختلفة ناحيتها

حدجته بعدم تصديق وزفرت بعصبية ، فضحك وهو
يقول :

_متقديش تتفخى وتفشى ، والله بجد انا معرفهاش
، انتِ عارفانى مبكديش .. فكي الدنيا بقى ده احنا لسة
مبدأناش اليوم

تتهدت بملل ثم قالت :

_طب ادخل شوف باباك ، انا سلمت عليه وهروح
الحمام لحد ما تخلص

_ماشى .. ابقى اطلعى على العربية على طول ، أنا
مش هطول

*

*

*

وقف زياد أمام بوابة الجامعة ، واضعًا يديه فى جيوب
بنطاله الجينز ذو اللون البيج والذى صاحبه قميصًا
شبابيًا بنصف كمّين يبرز عضلات ذراعيه ومنكبيه
العريضين ، يضيق عينيه قليلاً تأثرًا من أشعة
الشمس التى تعم الشوارع ..

خرجت ياسمين من البوابة بجسدها الهزيل المستور
ببنطال قماشى واسع أسود اللون وبلوزة كحلية
مكتملة الأكمام .. وتعلق حقيبة الظهر على كتفها
الأيمن ، وشعرها البنى مفروداً تلملمه خلف أذنيها ..

التقط بصرها ابن خالها الواقف على مسافة منها ،
فأصدرت شهقة خفيفة عفويًا ، وأسرعت تبعد وجهها
عن مرمى نظره وحررت شعرها من خلف أذنيها
لينزل على جانبي وجهها يخفيه ، وهي تسارع
بخطواتها هربًا ؛ ولم تدري أنه كان يراقب كل
محاولاتها الخرقاء في التخفي عنه بضحكة واضحة
على محياه ..

كانت تهرول بخطوات ثابتة وتخفض رأسها أرضًا ،
إلى أن شهقت بفرع عند شعورها بيد أمسكت بذراعها
أوقفتها عنوة ، ثم ألحقت بصوته المتعجب :

انتِ عليكي أحكام ولا ايه؟

رفعت عينيها له ؛لقصر قامتها مقارنةً بجسده الطويل
وسألته :

_ انت بتعمل ايه هنا؟

_ عدّيت عليكى فى البيت لقيت أمك بتقول لى إنك فى الكلية وهتخلّصى الساعة ٥ ، ف جيت استنيتك ..

_ ليه فى ايه؟

أجاب وهو يرفع كتفيه بغرور مازح :

_ معزومة على الغدا مع زياد تليد بنفسه ، انتِ عارفة طبعا مش اى حد مسموح له ياكل معايا كدا عادى ، بس هتنازل واتواضع واكل معاكى ، عدّى الجمائل

تساءلت أثناء ضحكاتهما من أسلوبه المرح :

_ ده بجد؟

_ او مال؟

_ليه؟

_عادى يعنى

صمتت قليلاً; وفكرت أيفعل ذلك لأنه أشفق عليها بعد
ما أخبرته به ، فظهر عليها عدم الرضا وهتفت :

_زياد انت ...

كان يعلم ماستقوله فقطعها سريعاً لينه الحديث قبل
أن يبدأ وصح لها الاسم :

_زيزو .. كلهم بيقولولى زيزو ، ويلا عشان متأخرين

سبقها وتحرك فأجبرت على اللحاق بخطواته وهي
تقول :

_ استنى بس ، انا لازم ابغّ ماما

أجاب وهو مستمر في السير :

_ هي عرفت متقلّيش

_ ايوة بس انا مش جاهزة اخرج في حتة ، ومبحبش
المفاجآت دي على فكرة

_ متكبريش الموضوع انا مش واخذك الساحل !

توقف فجأة فوقفت معه فوراً لتنتبه لسؤاله المفاجئ :

_ انتِ مكنتيش عايزانى اشوفك ليه؟

توترت قليلاً وأخفضت رأسها بشئ من الخجل وقد
نطقت ردها بارتباك بسيط :

_ يعني ، مكنتش عايزاك تشوفنى وانا شكلى مبهدل
كدا

_ مبهدل؟ ، دى أحلى مرة شوفتك فيها !

رفعت رأسها عند سماع جملته التى قالها باستنكار و
بنبرة عادية وكأنه يخبرها معلومة عامة ، تطلعت
لعينيه اللامبالية وخرج التساؤل من بين شفثيها
تلقائياً بعدم فهم :

_ ايه ده؟!!

أعاد زياد حديثه ,ولكن بشكل منفر بعض الشئ :

ده أحسن منظر قابلتيني بيه من زمان .. ده انا
معرفتكيش! ، انتِ لولا الحركات العبيطة اللي عملتها
دي مكنتش عرفتك.

تغير وجهها من كلماته الغبية التي يطلقها بوجه
الآخرين دون تفكير كعادته ، وصاحت بحنق :

قصدك انّ انا عبيطة؟

ضحك مجيبًا :

لا لا مش كدا .. بس يعنى أنا لما اشوف واحدة
بتحاول تستخبي أول ماشافتني يبقى اكيد انتِ

أشاحت بنظرها بعيدًا بعدما طالعتہ بطرف عينيها بعدم
اهتمام .. ولم تلبث حتى انتبهت له مجددًا عندما
تحدث :

اول مرة اشوفك من غير ميكاب ..

متحطيش القرف ده تانى ، شكك أحلى بكثير من غيره
على فكرة .. ، مش لازم تدهنى وشك ألوان عشان
تحلوى ، انتِ أصلاً حلوة .. و كذا كذا مكنتيش بتحلووى
لما بتحطيه أساسًا ، انتِ كنتِ شبه أراجوزات السيرك

أمست محدقة به بدهشة وعدم استيعاب ؛ أهذا إطراء
أم توبيخ أم تهكم ..

خرجت عن حيرتها وسألته بتعجب :

هو انا المفروض افرح ولا اكشر دلوقتي؟

*

*

اجتمع الأصدقاء بأحد الأندية الترفيهية الواسعة
والمزينة بالكثير من الزرع الاخضر المريح للأعين ..

كان يجلس فخر بصحبة خطيبته حنين وابن خاله عز
الذى أسند وجهه على كفه بملل وراح يغمض عينيه
بنعاس واضح ، ولكن لم يهنأ بحالة الخمول هذه
وتلقى ضربة قوية بمنكبه على بغتة من يد ابن عمته
الجالس بجانبه ، فنظر له صائحا بسخط :
_كتفى اتخلع !

ردد فخر باستنكار :

_انا جايبك تمام هنا؟

يعنى انت عشان عواظلى وقاعد فى البيت خلاص
افتكرت كله زيك؟ , انا منمتش من امبارح

تتشقلب وتفوق بالعافية ،مفيش سراير هنا
لم تكف حنين عن الضحك وهى تراقبهما بصمت ..

بضع ثوان وانتبهوا الثلاثة لمريم وهى على مقربة
منهم تركض خلف إحدى القطط وتناديها عن طريق :
"بسبسبس"

لتحثها على المجئ ، ولكن توقفت عندما فقدت الأمل
أن تستجيب القطّة لها ، وشرعت بالضحك وهى
تقترب منهم قبل أن تأخذ مقعداً وتستمع لأخيها يقول:

مش مكسوفة من نفسك وانتِ شحطة كدا وبتجرى
ورا القطط !

أردفت مريم بعناد :
_ ملكش دعوة يابايخ

.
.
توقفت سيارة حازم عند وصوله لوجهته ولكن لم
تتوقف ثرثرة زوجته مى التى تجاوره ، تحت مراقبة
ولدهما الجالس فى الخلف يطالعهما بانتباه ..

_ لا ماهو انت ياتقول سبب مقتع يا تسكت ، لكن تقول
لى لا وخلص دى متنفعش معايا

أجابها حازم بحنق :

_ قولتلك مش برتاحلها يامى ،مش برتاح لها ! ،
ماعندك اصحاب كثير ،اشمعنا نرجس دى اللى بتحبي
تروحي معاها فى كل حته؟

عشان نرجس أقرب صاحبة ليا يا حازم ومينفعش
تجبرنى اقطع علاقتى بيها

انا مش بتحكم فيك وخلاص يامى ، انا خايف عليك
.. البت دى مش سالكة وانا عارف بقول لك ايه
ايوة ليه بقى؟ شوقتها عملت ايه؟

هتف حازم بنفاذ صبر :

انا قولت مفيش نزول معاها النهاردة وشطبنا على
كدا ، ومتناقشنيش تانى!

لم يعطها فرصة للجدال وترجل من السيارة منادياً
ابنه :

يلا يا عبدالله

ألقى عبدالله نظرة على والدته التي نفخت بعصبية
وهي تعيد طرف حجابها على كتفها ثم تنزل ،توافقاً
مع نزول الصغير قبل أن يغلق الباب ويرفع عينيه
لوالده يقول بحنق :

_ارتاحت وزعلتها؟ ، مش هتعمل لنا أكل بكرة

•
سار زياد بصحبة ياسمين على جانب الطريق ولمحا
حازم وولده وهما يستعدان ليلحقا بمى التي سبقتهم
إلى الداخل ، ولكن توقفا عندما صاح الصغير عند
رؤيته :

_زيزو !

ركض إليه بحماس فضحك زياد وفتح أذرعته على
مصرعها حتى يتسنى له الدخول بأحضانه ومال
بجذعه قليلاً ليصل لمستواه :

_ وحشتني ياقلب زيزو ، أخبارك ايه؟

_ كويس الحمد لله

اعتدل زياد ونظر لياسمين يعرفه عليها :

_ دي ياسمين بنت عمتي

تطلع لها الصغير بجانب عينيه بشك ، ثم سأله بريية:

_ أمان؟

ضحك زياد واوماً بتأكيد :

_ أمان

ابتسم عبدالله بسلام ورفع يده الصغيرة ببراءة ليسلم
عليها وهو يقول :

_ازيك؟ انا عبدالله حازم حميد ، عندى ٧ سنين وبحب
الجوافة والموز بلبن

ارتفعت ضحكات ياسمين من أسلوبه الطفولى المرح
،وظالعته بحب من لطافته وسلّمت عليه ،ثم عرّفت
عن نفسها بنفس الطريقة :

_انا ياسمين محمد خليل ، عندى ٢٢ سنة ، وبحب
الجوافة والموز بلبن بردو

اتسعت عينيه بحماس :

_بجد!

استدار لوالده الذى كان قد وقف بجانبه مسبقاً ،
وقال:

_بابا هاتلنا موز بلبن انا وياسمين النهاردة

ضحك حازم وهو يداعب شعره الناعم بأنامله :
_عنيا حاضر ..

رفع رأسه لينظر لها ويلقى التحية :
_ازيك انا حازم

ابتسمت بهدوء :

_اهلا بحضرتك ..

.

.

•
دخلوا إلى النادي ، حيث كانا زياد وياسمين يتأخران
عن حازم وولده بضع خطوات ، وقد همست له
بتوتر:

متأكد إنهم مش هيتضايقوا من وجودي؟

ليه انتِ خطفالهم عيّل؟

اتجه حازم بصحبة ابنه إلى البقية الجالسين
بانتظارهم ، فأخذ مقعده بجانب زوجته وبجانبه الآخر
يجلس فخر ، الذي هرول إليه عبدالله يحتضنه
بحماس:

خالو فخر وحشتني

•
رددت ياسمين بتعجب :

خالو؟

ففسر لها زياد وقال :

_ماهو مي تبقي بنت خالي.. واحنا وولاد خالي
متربيين سوا واخوات بالظبط ف عودته تقول له خالو
..

_وليه مقالّكش خالو زي فخر؟

_مبلعهاش ، انا أتفه من الكلمة دي ..

أنهى جملته ثم صاح عند وقوفه مباشرة أمام
المنضدة التي يلتفون حولها جميعاً وقال :

_ مساء الأنااس يا جماعة ، دي ياسمين بنت عمتي
لمن لا يعلم

أردفت مي بترحيب :

_ اهلا يا ياسمين ، انا مى ..

تابعت وهى تربت على كتف زوجها :

_ و ده راجلى

مال فخر على اذن حازم يسأله بهمس :

_ دى تريقة؟

حرك حازم رأسه بالنفى :

_ لا لا

فضحك فخر :

_ تبقى راضية عنك

_ جدا !

عرّف زياد ياسمين عليهم وهو يقول :
_ دى حنين انتِ عارفاها طبعاً ، و دى ..
صمت عندما نظر لأخته ، فتخطاها قائلاً بعدم اهتمام :
_ لا معرفهاش دى

ضحكت ياسمين ثم انتبهت له عندما واصل :
_ وده دكتور عز ابن خالى.. و دى مى أخته ، وده
حازم صاحبنا وبيتنطط علينا كل شوية عشان مدير
الشركة ، فاكرونا مش هنعرف نمشييه منها عادى ..
وجوز مى فى نفس الوقت ، انا اللى عرفتهم على
بعض

اعترض فخر قائلاً :
_ على فكرة ده كان انا

رد زياد :

_ انت كنت صاحب الفكرة بس

_ لا انا اللي كنت برتب الصدف اللي تجمعهم ببعض
بردو

استنكره زياد صائحا :

_ انا اللي كنت برتبها يا حبيبي ، انت مكنتش بتتحرك
من مكانك

صاحت ميّ بلامبالاة :

_ استهدوا بالله يا جماعة ، دي كانت صُدف سودا أصلا

ضحكوا جميعًا ، في حين التوت شفتي حازم بملل قبل
أن يلتفت لفخر عندما قال :

قولتلى راضية عنك ها؟

أجاب حازم بتأكيد ساخر :

جدا بقولك!

*

*

مرّت بضعة أيام ، حتى أتى صباح يوم جديد ..
توجه فخر إلى السلم الخاص بالشركة ، فتوقف على
صوت أنثوى يناديه من خلفه :

صباح الخير يامستر فخر

استدار وهو يصحّح كلمتها بملل :

_ مهندس فخر !

ضحكت الموظفة "رانيا" بهدوء وردت :

**_ مهندس فخر تمام ، انا بس كنت هعتذر لحضرتك
عشان اتأخرت امبارح**

سأل بعدم فهم :

_ تعذريلى انا ليه؟

**_ محمد زميلى قال لى إنك بتتضايق من تأخير
الموظفين**

عقد حاجبيه بتعجب ثم قال :

اكيد هو اتلعبط ، انا مبهتغلش هنا عشان اتضايق
وَلَا متضايقش، ميخصنيش أصلا

أوضحت سبب غيابها رغم عدم تساؤله عن الأمر :

والله انا مش عادتى اتأخر ، بس جهاد عيانة اوى
وانا كان لازم ازورها ، فده اللي أخرنى شوية بس

سألها بانتباه :

جهاد؟ ، دى اللي حصلت معاها مشكلة مع تسنيم
قبل كدا؟

اه هو مفيش جهاد ف الشركة غيرها أساسا

تساءل بفضول :

_ عيانة مالها؟

_ عندها انفلونزا صعبة ومبتقومش من ع السرير ..
حبيبتي صعبانة عليا مش قادرة تجيب كباية الماية
لنفسها حتى

ثم استأنفت قائلة :

_ بيني وبين حضرتك يعنى ، جهاد مالهاش أصحاب
خالص واهلها متوفيين ف بتصعب عليا بصراحة ،
اكيد حضرتك عارف لو الواحد لوحده وكمات تعبان
بتبقى ثقيلة ازاي

حرك رأسه بمجراة :

_ اه طبعا ، ربنا يشفيها يارب

_ ايه رأيك تروح تزورها!؟

قطب حاجبيه بتعجب شديد من سؤالها الغريب ،
فتابعت :

_ لو حضرتك فاضى ممكن تزورها عادى .. دى
هتطير م الفرحة لو عملتها ، خصوصا إنها متعتبرش
غريبة اوى عن حضرتك بردو ، انت وقفت جنبها
وساعدتها ورجعتها الشغل ..

ولو شافتك زورتها بنفسك مش بعيد تخف في وقتها
من الفرحة وتيجى الشركة بكرة

_ ايوة بس احنا مش قريبين زى مانتى فاكرة كدا
لدرجة انى اروح بيتها !

_ مفيهاش حاجة هى أخوها موجود مش هتقعد معاها
لوحك ، وبعدين انت رايح ونيتك خير عشان تجبر

بخاطرھا وتاخذ ثواب زيارتك لمريض ، انت ممكن
تكون شايف الموضوع بسيط بس بالنسبة لجهاد
هتبقى حاجة ضخمة جدا .. انا محدش غيرى زارھا
من ساعة ما تعبت من اربع ايام ، وياعيني اتفتحت
قدامى بالعياط من الزعل أن محدش بيسأل عليها ولو
بتليفون حتى ..

صمت مطولاً يفكر ، ثم أجاب بتردد :

انا معنديش مشكلة أكيد اجبر بخاطرھا زى
ما بتقولى ، بس شكلى هيبقى ايه وانا رايح لها بيتھا
كدا !؟

صدقنى ھى مش هيجى ف دماغھا حاجة غير إن
فخر بيه بنفسه بيزورها وموجود ف بيتھا ، ده يوم
المنى لأى حد يافندم ، انت متعرفش مقام حضرتك ولا
إيه ! .. ولما تشوفھا بنفسك وتشوف هترحب بيك
وتتبسط ازاي هتفهم انا بقول لك ايه

زاغت عينيه فى كل الاتجاهات بحيرة وتفكير ، ثم مط
شفتيه محرکًا كتفيه بلامبالاة :

_ ماشى *

*

*

*

سار برواق الشقة ممسكًا بكوب من المشروب
الساخن ويقلّبه بمعلقة صغيرة ، إلى أن وصل إلى
غرفتها ودلف قائلاً :

_ عملتك ينسون اهو ، ياكش يطمر

كانت جالسة فوق الفراش تسند ظهرها عند مقدمة
السرير وتضم ركبتيها لصدرها قليلاً ، نظرت له
بوجهها الباهت وردت بصوت متعب :

قولتك مبحبش البتاع ده

معلش ده عشان تخفى ..

أردف بجملته وهو يمدده لها ولكنه توقف وعاد يبعده
عندما شعر أنها على وشك العطس ، وبالفعل عطست
وأخذت تمسح أنفها بمنديل ورقي تضمه بيدها ..

عاد يعطيه لها فأخذته على مضض واشتمت رائحته ،
فأبعدته عنها وهي تقول :

لا لا بجد مش هشرب البتاع ده

بطلى دلع بقى!

استمعا لصوت جرس الباب , فنهض مروان متوجهًا
إلى الخارج ليفتح الباب ، فى حين انتظرتة هى
واستمعت لصوت الباب يتبعه أصوات لضيفين لم
تميزها ،ومن ثم ترحيب مروان الشديد بهما ..

لم تمر دقيقة حتى عاد مروان إليها ,وبرفقته فخر
وأخته من خلفه .. فما ان وقعت عينيها عليه حتى
جحظتا بصدمة عارمة واهتز جسدها بانتفاضة لا
إرادية من فرط الذهول ،فتحرك معها المشروب
الساخن وخرجت منه بضع قطرات لتستقر على يديها
،لتجعلها تفيق من اندهاشها وتتأوه بسببها ، فاقترب
منها عفويًا ليلتقط منها الكوب قبل أن يجعلها الألم
تتركه يقع بأكمله على جسدها :

بالراحة خلى بالك !

نظر لعلبة المناديل التي تعلى الكومود فسحب منها
منديلاً وأعطاه لها ، ثم ترك الكوب بجانب المناديل ..
مسحت آثار المشروب من يدها بالمنديل وهي تبتسم
بتوتر وعدم تصديق :

_ هو حضرتك في بيتي بجد ولا ده حلم ولا ايه؟

كان مروان قد وضع كرسيين لهما يجاوران السرير ،
فجلسا وهتف فخر :

_ عرفت إنك عيانة ومبتجيش الشركة بقالك اربع ايام
.. الف سلامة

واصلت البسمة في الاتساع على محياها وقد التمعت
عينيها بسعادة غامرة أنارت وجهها رغم وهنه :

_ معقول جاى بنفسك لحد هنا عشان تقول لى الف
سلامة؟! انا مش عارفة اقول لك ايه بجد ربنا يخليك
انت جدع جدا والله

ابتسم بامتنان ثم أشار لمريم وهو يقول :

_دى مريم اختى

نظرت لها بترحيب بالغ :

_يا اهلا بيكى منورة ، قمر ماشاء الله ربنا يحميكى

ضحكت مريم من هذا الإطراء البسيط و ردت :

_انتى اللى جميلة ، شكرا

نظرت جهاد لأخيها :

_مروان ..

ولكنه أوقفها قبل أن تتفوه بما تريد وهتف أثناء

خروجه خارج الغرفة :

_اتنين مانجا حالاً!

ليتحدث فخر :

_مالوش لازمة احنا هنمشى على طول

_لا طبعا مينفعش لازم تشرّبوا وتاكلوا كمان ، هو انا
كل يوم هشوف فخر بيه بيزورنى ولا ايه؟

حرك رأسه بعدم رضا :

_بيه بردو؟

تذكرت فورًا وأسرعت تعدّل اللقب ضاحكة :

_بشمهندس ! ، بشمهندس فخر ..

تزين محياه بضحكته المميزة التي أظهرت صف
أسنانه البيضاء من وسعها ، بعد طريقها المرححة فى
التحدث

*

*

*

اتجه حازم إلى باب شقته الواسعة ، وفتح الباب
للطارق المنتظر بالخارج بعد رن الجرس ..
لم يظهر عليه أى رد فعل سوى الملل وهتف بترحيب
لم ينبع من قلبه :

اهلاً يا مدام نرجس

ابتسمت "نرجس" ودلفت خطوة إلى الداخل ، كانت
طويلة إلى حد ما وذات جسد ممتلئ قليلاً ، يبدو أنها

ببداية الثلاثين من عمرها ، ينسدل شعرها البنى خلف
ظهرها وتضع بعض مساحيق التجميل وترتدى
ملابس تبرز جسدها إلى حد ما ; بنطالاً قماشياً ضيقاً
وبلوزة خضراء تصل حتى الخصر تكاد تصل لحزام
بنطالها ..

تحدثت بابتسامة لطيفة وهي تقول :

_ازيك يا حازم؟

لم يظهر عليه الرضا عن مناداته بإسمه دون أى
ألقاب ، وكأنهما صديقين ، ولكنه لم يعلق وأجاب
باقتضاب :

_الحمد لله

ثم أتبع رده بمعلومة صغيرة :

_مىّ مش هنا للأسف

_بجد؟ ، راحت فين؟

أجاب بجمود واضح :

_نزلت تجيب طلبات

سألت بفضول :

_وعبدالله معاها؟

**كانت الحقيقة أنه بالفعل معها ولكنه قرر الكذب ليمنع
أي إطالة للحديث، وقال:**

_لا يلعب جوا

اومات بهدوء ثم تساءلت :

_طب هي جاية على طول ولا هتتاخر؟

والله مش عارف ، انا لولا إني نازل دلوقتي كنت
قولتك استتيها بس انا متأخر ولازم اتحرك معلى

لا تمام عادى مفيش مشكلة ، انا هبقى اكلمها بقی

هز رأسه بابتسامة صفراء واستعد لغلاق الباب من
خلفها ، حتى غلبته كل معالم الاختناق بمجرد
مغادرتها ، ونفخ بعصبية وضيق

*

*

نهضت مريم بمجرد نهوض أخيها وهو يقول :

طب نستأذن احنا بقی

صاحت جهاد باعتراض :

_ ايه ده ليه؟؟ ، انتوا ملحقتوش تقعدوا

رد مبتسمًا بهدوء :

_ ادينا شربنا المانجا و عملنا واجبنا ، هنسيبك ترتاحى
بقى

_ لو مواردكوش حاجة مهمة اقعدوا اتغدوا معانا ، انا
مبسوطة بقعدتكو اوى والله

اوماً بابتسامة مجاملة :

_ متشكر يا جهاد فرصة تانية إن شاء الله

_ على فكرة دى مش عزومة مراكية ، انا عايزاكو
تقعدوا بجد .. الأكل مع اللمة بيبقى له طعم تانى وانا

على طول باكل لوحدي ، الحيوان ده بيسيني وياكل
برا مع نفسه

هتفت بجمالها الأخيرة وهي تنظر لأخيها الواقف
جانبا ، والذي هز رأسه بتوعد :
_ حسابنا بعدين ..

التفتت لهما وهما يضحكان بهدوء ، وأصرت على
رأيها :

_ بالله عليكموا تقعدوا بقي ، انا عاملة مكرونة سباجتى
يادوب هحطها الصلصة ومروان هيجبلنا كُفتة
وهننيسط خالص ..
ضحك فخر مجيبًا :

_ ياستى بالهنا والشفاف على قلبك بس احنا ...

قاطعته سريعًا بإصرار :

**_ لا خليها على قلوبنا كلنا واقعدوا ، كلوا على طول
وامشوا مش هعظلكوا كثير إن شاء الله ، ولو
مبتحبوش الكفتة ممكن نجيب أى حاجة انتوا بتحبوها
عادى**

**اعتلته ابتسامه جانبية وهو ينظر لاخته بتفكير ليعرف
رأيها من نظراتها ، فلم يرى منها الرفض ، فعاد ينظر
لجهاد وخضع لطلبها :**

_ ماشى مش هنزعلك ..

**اتسعت عينيها بعدم تصديق و غلبت شفيتها ابتسامه
واسعة بمجرد سماع موافقته ، فخرج مروان سريعاً
وهو يقول :**

_ الحق اجيب الأكل بسرعة قبل ما يغيروا رأيهم

ابتسمت لهما بعد خروجه وقد لاحظ ضحكتها
المسرورة بحق وحماسها الواضح ، كطفلة صغيرة
حققت مبتغاها بشراء لعبة أو ما شابه

.
.
.

توزعت الأطباق على الطاولة بعد انتهاء جهاد من
ملئها بالطعام ، فوضعت أربعة أطباق من المعكرونة
وقد حرصت على إضافة الكمية لضيفها أكثر منها
هي وأخيها ، بالإضافة لطبق يحتوى الخبز ، وطبقين
مسطحين يحملان أصابع الكفتة المزينة بورق

على الناحية اليسرى جلس فخر بجوار مريم ، وعلى
الناحية اليمنى يجلس مروان وبجانبه جهاد مواجهة
تمامًا لفخر وقالت بترحيب :

اعتبروا نفسكوا ف بيتكوا بالظبط ..

أمسك الجميع بشوكته وشرعوا بتناول الطعام بهدوء
..

أخرجت جهاد مشبك للشعر من جيب منامتها الوردية ،
وببيدها الأخرى رفعت شعرها لتربطه به بعشوائية
وعدم اهتمام ؛فقط لتأكل براحة .. وتمردت بضع
خصلات منه انسدت على جانبي وجهها ،ثم شرعت
بالأكل ..

لم تدرك أن شعرها وهو بهذا المظهر جعلها أجمل مما
تبدو عليه فى العادى ..

أو على الأقل كان هذا رأيه الذى احتفظ به لنفسه ولم
يفصح عنه بعد مراقبته لها ؛فهذه أول مرة يرى
شعرها لا ينسال على جانبي وجنتيها كما تصفقه دائماً

، وقد برزت ملامحها المتناسقة أكثر عندما ابتعد
شعرها عن وجهها..

وعينيها ..

عينيها السوداء الواسعة ذات الأهداب الكثيفة .. اعتاد
أن يراها دائما مزينة بالكحل ، إلا هذه المرة رآها دون
أى مستحضرات تجميلية ، وبالعجب كانت لاتزال
تحتفظ بجمالها كما هو ..

حتى مع اختفاء حيويتها من أثر المرض لم تتنازل
عن القليل من جمالها الهادئ ..

لاحظت ثبات يده الممسكة بالشوكة على المنضدة ،
فرفعت عينيها له متسائلة بتردد :

الأكل مش عاجبك؟

أسرع فخر ينفي بتحريك رأسه وأعاد نظره لطبقه :
_ لا لا بالعكس ..

وضع الشوكة فى الطبق استعدادًا للأكل وابتسم
بصفاً متابعًا بهدوء :

_ ده حلو جدا

اتسعت ابتسامتها الجميلة وأومات بإيجاب ثم عادت
تواصل أكلها ، راقبته بظرف عينيها وهو يرفع
المعكرونة لفته ثم أكلها ، وقدبادلها النظر بابتسامة
مختفية نسبيًا خلف مضغ الطعام ، مثلها تمامًا تحرك
فمها لمضغ الأكل أيضًا وابتسمت له بنقاء ..

.

مرت بضع دقائق حتى اندمج الجميع فى الطعام ،
وتعالت أصوات الضحك حينما كان يمسك مروان أحد
أصابع الكفتة بين إصبعى السبابة والإبهام ويحاول
إطعامه لأخته عنوة ، رغم ملئ فمها بالطعام وعدم
قدرته على احتواء المزيد .. ولكنه أصر وهو يقول :
_ يلا يلا عشان تتغذى وتخفى بسرعة

لم تكن لتفلت من يده لو لم تأكله كله ; تحت ضحكات
مريم وفخر .. وانتفخت وجنتيها من كثرة الطعام
وحاولت مضغه على مهل ; يبدو أنها لن تستطع
إفراغ فمها قبل الفجر ..

سألها فخر بقلق مازح :
_ تمام ولا هتفطسى؟

لم تستطع التحدث فرفعت إبهامها ; تخبره بالإشارة
أنها بخير ..

توقفت عن المضغ فجأة وشعرت بأنها على وشك
العطس ، ففهم مروان سريعًا وراح يكتم أنفها :
_ لا لا مينفعش تعطسى دلوقتى !

لم تعطس بفعل حركته وتابعت المضغ ، ثم خرج
صوتها مكتومًا وغير واضحًا ؛ بسبب تقييد لسانها
بالطعام :

_ منك لله !

ارتفعت ضحكاتهم جميعًا ; ولأول مرة يشعر فخر بهذه
الراحة والاندماج مع أحد منذ زمن ..

لأول مرة يستشعر طعامه بهذه اللذة؛ لمرافقته
شخصين مريحين وخفيفا الظل ، وليس والده وزوجة
أبيه وعمته الذين لا يدعون أحداً يهنأ بلقمته ولا
يتركونه إلا بعد أن يتسببوا فى خروجه عن شعوره ..

منزل بسيط وتجمع أبسط ، كان بالنسبة له كافياً
لدهس أى تجمعات أكثر ضخامة وفخامة ، بل ويكفى
لدهس منزله الفاره الذى يمقته ..

يقسم أنه لولا خوفه على إخوته فقط من بيت
المخبولين هذا ، لتركه منذ دهر دون تفكير

.

.

حرّك ذراعه دون شعور بالطبق الزجاجى القابع على طرف الطاولة ،فوق الطبق من حركته وتحطم عند مقابلته للأرضية ..

كان الوضع فى العادة سينتهى باعتذار صغير منه وضحكة ظريفة من الجميع ، ففى النهاية هذا طبق صغير ومعرّض للكسر بأى وقت ..

ولكن بالنسبة لفخر لم يكن الأمر هكذا ، بل بدا وكأنه فعل كارثة .. فقد نهض من مقعده فورًا ليهبط على الأرض ويحاول لم الزجاج ،وهو يردد بشكل متتالٍ ومتوتر :

_____ انا اسف جدا انا آسف بجد مكانش قصدى معلش
والله مخدتش بالى انا آسف

تعجبت جهاد كثيرًا من هلعه البالغ ولم تنتظر مكانها
مثلما وقفا الاثنان الآخران يطالعا بصمت ، فخطت
إليه سريعًا لتجتو أمامه وتوقفه عن جمع الزجاج ثم
تحاول تهدئته :

حصل خير خلاص مفيش مشكلة .. المهم انت
كويس؟ ايدك اتعورت ولا حاجة؟

رفع رأسه لينظر بعينيها القريبة منه ، اجتاحه صمت
تام وهو يحدقها بثبات وعقله شارد بأشياء كثيرة ..

طالعت عينيه التي بدا عليها الاهتزاز والاضطراب ،
فأيقنت أن هناك شيئًا ما يؤثر به ، وليس مجرد شعور
بالذنب لكسر طبق وحسب ..

رسمت ضحكة مريحة تمامًا قصدت بها بث الاطمئنان
له ، و ربتت على كتفه بخفة :

فداك ألف طبق عادى انت مكنتش تقصد ، انا هجيب
المقشاة وهلم الإزاز وخلص ، روق بالك الموضوع
بسيط

شعر بيد أخته من خلفه تلامس كتفه بحنان ، فرفع
رأسه لها ليرى ابتسامتها الآمنة تعلو ثغرها لتبعث له
السكينة قليلاً ، ثم نهض توافقاً مع نهوض جهاد أيضاً
وسألها بصوت متحشرج بعض الشيء :

ممکن ادخل الحمام؟

اه اكيد ، آخر الطرقة على ايدك اليمين ..

اوماً بهدوء ثم توجه إلى الداخل ، تحت نظرات مريم
التي راقبته حتى اختفى داخل دورة المياه .. واستعاد
عقلها ذكريات قديمة لاتزال محفورة برأسها حتى
الآن بتفاصيلها

لم يكن عمره يتعدى السبع سنوات عندما كان يلعب
بالكرة مع أخته ذات الثمانية أعوام فى ساحة المنزل
، بينما كان والدهما يتحدث بالهاتف بالقرب من
النافذة وهو يراقبهما بعدم رضا واختناق ..

ركل فخر الكرة بشكل خاطئ فاتجهت نحو المنضدة
، ووقع من فوقها كوباً زجاجياً وتهشم أرضاً ، مما
أفزع الطفلين وأوقفهما فوراً عن اللعب ..

توتر الصغير كثيراً خوفاً من عواقب فعلته .. ولم يكذب
يلتفت من خلفه ليرى رد فعل والده حتى وجدته بالفعل

ينخفض لمستواه ويجذبه من ثيابه ليقربه منه وهو
يصرخ به بغضب :

عاجبك اللى عملته ده؟!

بدا الخوف على وجهه بوضوح وخرج صوته
المرتجف بصعوبة :

مكانش قصدى والله

ومكانش قصدى دى هتصلح اللى اتكسر؟!

تضاعف ارتبائه من نبرة والده الخشنة ، ولم
يستوعب عقله الصغير لم يحمله ذنبًا تافهًا كهذا ؛ كأنه
إن لم يصلحها لن يُغفر له وسيوصم بالخزى والفشل

..

ماهذا العباء على طفل صغير وكأنه ارتكب جريمة
فادحة؟

دوت صفة قوية على وجهه الضعيف ، فلم تلبث
دموعه حتى راحت تتساقط على وجنتيه بعد تأوه
مرتفع من تلك الضربة..

ارتعدت مريم كثيرًا و علمت أنها لن تستطع فعل شئ
سوى الاستجداد بوالدتها ، فأسرعت تركض إلى
الداخل لتحضرها من غرفتها..

استمر التوبيخ والتعنيف على رأس الطفل بقسوة :
_انا قولتك من الاول مينفمش تلعب كورة هنا صح؟ ،
قولت ولا مقولتش !!

صاح بجملته الأخيرة بصراخ مرعب أخاف الصغير
أكثر مما هو عليه واكتفى بهز رأسه أكثر من مرة
بتوكيد ، إلا أن أباه لم يتجاهل الأمر وسدد له ضربة
غبية أخرى ، وكان هذا الجسد الضئيل سيتحمله ..

_ آخرة العند بتاعك ده كسر رقبتك بعد كدا !!

صاح بجملته الأخيرة ليذب الرعب في قلب ولده حتى
كادت نبضاته القوية ستفجره من الخوف .. وبكاءه
مستمر بلا انقطاع كالشلال ..

لا يعلم إن كانت تأخرت أمه لثانية أخرى ، هل كان
سيظل على قيد الحياة أصلاً أم سيموت رعباً ..

حالت أمينة بين زوجها وطفلها بعدما أبعدت عامر
عنه بكل قوتها ; كانت تراودها رغبة جامحة بالصراخ
بوجهه ، بل وحتى ضربه لإلحاق السوء بابنها ،

ولكنها كانت على يقين أن هذا سيزيد الأمر سوءًا
عليها وعلى أبناءها ، فتحدثت بصوت لين :
_ خلاص يا عامر خلاص انا هعرفه غلظه

وقفت مريم بعيدًا بصحبة أخيها الأصغر ذو عُمر
السننتين ، والذي كان يود التوجه لهم ولكنها تمسكت
به لتمنعه من الانخراط بالأمر ..

صرخ عامر بوجهها غضبًا :

_ لمي عيالك ومش عايز اسمع صوت واحد فيكوا يا
أمينة بدل ما اتغابى عليكوا !!

أغمضت عينيها فزعًا من صوته الجهورى وهى
تشعر بيدي طفلها المختبئ خلفها تقبض على
ملابسها بقوة وارتجاف ، وأسرعت ترد بهدوء :
_ حاضر انا هاخذهم يناموا دلوقتى خلاص

يكون أحسن!

طرح رده وهو يشيح بيده باختناق ويبتعد عنها ..
بينما استدرات هي لولدها وربتت على ظهره بهدوء
وتحته على الدخول :

يلا يا حبيبي تعالى ندخل جوا ..

دلفت إلى الغرفة بصحبة أطفالها وأغلقت الباب من
خلفهم ، ثم أخذت فخر وأجلسته على السرير ثم
جلست بجانبه وبدأت تربت على ظهره ورأسه
وسألته باهتمام :

انت كويس يا فخر؟

كانت عبراته لاتزال تتساقط دون توقف وأطرافه
مستمرة في الارتعاش ، فظهرت معالم إرتعاده

بوضوح وهو يردد بصوت مذبذب ضعيف وشفقتين
مرتجفتان :

_م.مكانش قصدى ، والله مش قصدى

ضمته لصدرها وشرعت تمسد فوق شعره الناعم
بهدهوء و تهمس له باطمئنان :

_انا عارفة يا حبيبي ، معلىش انت عارف بابا عصبى
شوية بس.

وكانها أطلقت له العنان للانفجار فى البكاء بين
أحضانها ، فبمجرد شعوره بالأمان بين يديها أخرج
كل ما يكبته من خوف وتألم من تلك الضربات التى
تلقاها قبل ثوانٍ .. وعلت أصوات بكاءه الطفولية التى
انكتم صوتها قليلاً ؛ لدفن رأسه بصدرها ..

لم تتوقف أمينة عن التريبت على جسده الصغير
المرتعش، والهمس ببعض الكلمات المطمئنة بجانب
أذنه بصوت مريح يبيث له بعض السكينة والهدوء ..

زاغت عينيها من حولها بهمّ وحزن واغرورقت
عينيها بالدموع، ولكنها تحاملت على نفسها ولم
تزرّفها؛ حرصاً على زرع القوة والثبات بأوصال
أطفالها المحيطين بها

تتاثرت بضع قطرات مياه من لحيته بعد انتهاءه من
غسل وجهه ثلاث مرات، ثم أغلق الصنبور ورفع
رأسه قليلاً لينظر لوجهه في انعكاس المرآة بشرود ..

تحركت عينيه لتبصر يده اليمنى عند شعوره
بارتجافتها اللاإرادية؛ تلك الارتجافة العصبية المعتادة
التي تصيبه كلما شعر بالغضب أو التوتر ..

ضم قبضته قوياً محاولاً إيقافها، وأشاح بنظره بعيداً
بملامح متجهمة، وأطلق زفيراً طويلاً بضيق

”ألا يمكن للمرء التمتع ببعض الراحة بعد انتهاء
الألم؟

إلى متى سيستمر الغرق في بحور الماضي دون
وجود طوق نجاة؟”

ثم ترك القلم بعد تدوين كلماته بدفتره ، تاركًا أسئلته
دون إجابة

يتبع..

الفصل الثامن {نزهة في الحيّ الشعبي}

أحاطت نفسها ببطانية خفيفة وهي تجلس على
الأريكة ، ثم أخذت كوبًا من المشروب الساخن من

فوق المنضدة ، ولاتتفك ابتسامتها تظهر فوق ثغرها
حتى أصبحت غير قادرة على إخفاءها ..

لاحظها مروان وهو يجلس أمامها فعقب قائلاً :
_ اتقلي شوية !

انتبهت له "جهاد" وتغيرت قسماتها فوراً إلى
الاشمئزاز ولم تجبه بشئ ، وارتشفت القليل من
مشروبها قبل أن يرتفع صوت رنين هاتفها ، فأخرجته
من جيبها وأجابت :

_ ايوة يارانيا ازيك؟

لم تبال رانيا بسؤالها وطرحت هي سؤالها الأهم :
_ عملتي ايه مع البشهندس يابطة؟

كساها التعجب بوضوح وتساءلت :

_ ايه ده انتِ عرفتي منين!

_ ما انا اللي وديته هناك ياذكية، او مال عرف العنوان
من مين؟

تضاعف الاستغراب أكثر متسائلة :

_ يعني ايه؟ ازاي؟

ردت رانيا بنباهة وثقة :

_ انا ملاحظاكي من زمان ياروحى وانتى كل
ماتشوفيه موجود فى الشركة تقعدى تراقبيه وتلفي
حوالين نفسك .. قولت اعمل فيكي معروف واوديه
لحد عندك , قولتله إنك عيانة وأقورت بقى وقعدت
احكى قد ايه مش قادرة تقومى من على السرير

وبتعيطى ومحدثش بيسأل عليكى ، عشان تصعبى عليه
ويروح لك ..

ثم تابعت فخراً بنفسها :

_ ايه رأيك فيا؟ استاهل تجيبى لى الروچ والسلسلة
الى قولتك عليهم بقى ..

ضحكت جهاد بعنف وهى تقول :

_ يخربيت دماغك يارانيا ، انتِ فاكراى عايزة اعلقه
ولا ايه !

_ او مال ايه؟

_ ده خاطب يارانيا

صاحت رانيا بدهشة :

قولى والله! ، ايه ده انا مكنتش اعرف

عمومًا انا مش بعلقه ولا نيّلة ، انا بس مستجدعاه
بعد اللي عمله معايا مش أكثر

ثم تابعت :

بس بردو عشان حركات الجدعنة دي مش
هستخسر فيكى السلسلة والروج حاضر ، هجيبهم لك
ياستى

*

*

خرجت ياسمين من البوابة الرئيسية للجامعة وهى
تعلق حقيبة الظهر بكتفيها وتمسك فيها بيديها ، كطفلة
فى الصف الثانى الابتدائى تتمسك بحقيبتها لتخفف
حملها قليلًا عن كتفيها الضعيفين .. تجمع شعرها

بأكمله برابطة صغيرة ويظهر الإرهاق على وجهها
بوضوح ..

توقفت عن السير عندما رآته قادمًا نحوها ، فارتسمت
ابتسامة صغيرة على محياها اختلّطت بالتعجب ،
وأحنت رأسها إلى اليمين قليلاً وهي تقول :

_ايه تانى المرّة دى؟

وقف زياد أمامها وهو يقول :

_انا كنت هجيك جوا على فكرة بس مرضوش
يدخلونى

لاحظت كدمة واضحة بجانب فكّه فتساءلت بقلق :

_ايه ده ايه اللي حصل؟

فسر لها ضاحكًا :

ماهما لما مرضوش يدخلونى مسكت ف خناقهم

ارتفع حاجبيها بذهول ، ثم عادت تطالع الكدمة
بتوجس :

طب هي بتوجعك؟ ، فى صيدلية قريبة ممكن نروح
لها

رد ضاحكًا بلا أى اهتمام :

انت قلقانة من دى؟ ، دى بتزغزغ بالنسبة لـ اللى
بشوفه .

اتسعت عينيها باندهاش وسخرية :

ده انت متعود بقى!

أجابها ببساطة :

ده روتين .. بقوم اشرب الشاي بلبين بتاعى وانزل
اشوف هعمل مشاكل مع مين

تساءلت ضاحكة :

وليه تضايق الناس طيب؟

سلو بلدنا كدا

ضحكت من طريقته الجادة فى رده المازح ، ثم
استمعت له وهو يعلّق على موعد انتهاء يومها
الدراسى :

انتوا على طول بتطلعوا الساعة ه كدا؟

هزت رأسها بإيجاب :

_مش دايماً بس غالباً اه

_انتِ آداب مسرح صح؟

_ايوة

ردد باستنكار :

_اومال لو كنتوا طبّ كنتوا خلّصتوا الساعة كام

ابتسمت قائلة :

_طب سيبك وقول لى جيت ليه النهاردة؟

رد بابتسامة عابثة :

لاحظتك ف الخروجة اللى اللى فاتت كنتى مبسوطه
اوى .. مع إنها كانت خروجة عاديه يعنى ،مش
عارف ايه اللى عجبك اوى كدا

اعتلتها ابتسامه واسعه بمجرد تذكيرها بذلك اليوم
وأجابت :

ده كان يوم تحفة ، كلهم بجد كانوا لُذاذ ودمهم
خفيف .. كانوا محسنى انى منهم كدا وواخدين عليا
،محستش انى غريبه وسطهم..

ابتسم بهدوء وهو يتطلع لعينيها التى درات من
حولها بحيرة ،ثم أضافت بتردد :

ويعني .. انا أول مرة ف حياتى اخرج مع شلة
صحاب ف الموضوع بالنسبة لى كان تجربة مختلفة
يعنى ،وحبيتها ..

سألها بشئ من المزاح :

_ انتِ عمرِك ماعملتى شلّة ف المدرسة؟

ردت ضاحكة بعدم اهتمام :

_ ولا مرة .. كل مرحلة كنت بعرف واحدة او اتنين
بالكتير ، ولما المرحلة دى تخلص علاقتنا ببعض
خلاص بتخلص كدا ، معرفش المشكلة فى مين
بالظبط بس انا مفيش حد بيكمل معايا للآخر خالص

راقب ضحكها واستخفافها بالأمر ، ولكنه أدرك أنها
تخفى تأثيرها بالموضوع خلف ضحك ملئ بالمزاح
واللامبالاة فقط ..

ابتسم بتشجيع وهو يقول :

_ طب انا عامة كنت جاى اقول لك إننا خارجين بكرة
بس من غير ولاد خالى ، لو عايزة تيجى ..

غلبتها ابتسامة متحمسة ولكن أسرع بإخفاءها
وقالت بتردد :

لا ماهو مش هينفع اسوق فيها بقى كل شوية
، هيقولوا عليا ايه كل ما آجى الزق فيكوا كدا !

هما مين اللى يقولوا؟! ، محدش خارج أصلا غير
فخر وحنين ومريم بس ، وهما مرحبين متخافيش
، بلاش ال trust issues تبقى لفوق كدا

ضحكت قبل أن تومئ بالقبول وتقول :

خلاص هاجى

*

*

*

فتح مروان باب شقته بعد سماع صوت الجرس ..
لم يظهر عليه أى رد فعل تجاه زيارتها ; فقط ملامح
متخفية صامتة ..

تطلعت له والدته "صابرين" بتوتر مصحوبًا بالعتاب
وهى تقول ، آخذة خطوة للداخل :

__ هانت عليك أمك تسيبها لوحدها كل ده يامروان؟

أشاح بنظره بعيدًا متهدًا بحيرة ثم ترك المجال واتجه
إلى الداخل وهو يقول :

__ خير يا امى؟

استدار من جديد لينظر لها وهي تغلق الباب ثم تقترب
منه بضع خطوات ، طرحت اعتذارها بحزن واضح
ودون أى مقدمات :

__ انا آسفة

وأضافت سريعًا :

__ومش بقول كدا عشان اراضيك وخلص انا معترفة
انى فعلاً غلطت ، ومستعدة أعمل أى حاجة تصلح
غلطتى

سألها بجمود ولامبالاة :

__هتعملي ايه يعنى؟

__اللى انت شايفه ينفع

لم يجبها بشئ والتزم بالصمت ، بينما قللت صابرين
المسافة بينهما وطالعه بقلّة حيلة وشجن :

_ مروان انت ابني الوحيد وغصب عني هغير عليك ،
ولما شوفت جهاد بتاخذك مني كرهتها أكثر وكنت
عايزة اعمل أي حاجة أعاقبها بيها ..

ثم واصلت بحسن نية :

_ بس انا عارفة والله انا زودتها اوى ، ومعديش
مانع خالص اعتذرلها واطلب منها تسامحني لو ده
هيخليك تصفالي ..

أجابها بعدم اهتمام :

_ انا مقولتلهاش حاجة أصلا

صمتت قليلاً تبادلته النظر بحيرة وتفكير ، إلى أن
تحدثت مجدداً:

_ خلاص ايه رأيك اعزمها على الغدا يوم؟ ، زى
حاجة ودّية كدا اكون اعتذرت بيها بشكل غير مباشر

ارتفع حاجبيه باستتكار :

_ انتِ يا صابرين هتعزمى جهاد على الغدا!؟

_ لو ده هيخليك تدينى فرصة تانية اه هعملها

زم شفتيه بحيرة ثم زفر باستسلام واوماً بالموافقة :

_ ماشى يا امى

*

*

"فداك ألف طبق عادى انت مكنتش تقصد"
"المهم انت كويس؟ ايدك اتعورت ولا حاجة؟"

ترددت تلك الجمل على مسامعه أثناء جلوسه بحديقة
المنزل فى ليلة هادئة ذات نسيم خفيف يحرك خصلاته
بهدوء ..

يمسك بدفتره المميز بيُسراه وقلمه الأسود بيده
اليمنى ..

أخذت الابتسامة مجراها إلى شفثيه حينما شرد عقله
فى تلك الكلمات التى استمع لها بصوتها الناعم، ثم
أفاق لنفسه و صوّب بصره على صفحة بيضاء كان قد
فتحها مسبقاً، وبدأ بكتابة بعض الكلمات بخطه المميز:

"تستحق أن تجد مَنْ يحرص على أن يراك على مايرام أولًا، ثم يفكر بلومك أو توبيخك لاحقًا "

رفع عينيه عن ورقته ليطالع ابن خاله الجالس بصحبته منذ مدة ،حيث كان يتفحص هاتفه المحمول بصمت تام ، فجذب فخر انتباهه بصوته :

ساكت ليه؟

رفع "عز" عينيه عن شاشة الهاتف وأجاب بلامبالاة :

اقول ايه؟

أغلق دفتره ثم تركه على المنضدة المنخفضة التي تتوسط جلستهم والتي يعتليها طبق من التفاح الأحمر ، فالتقط واحدة وقضم منها قطعة وقال :

لا ما انا مش جايبك تتفرج عليا

قاطع زياد الحوار واقتحم المقعد المجاور لأخيه وهو
يتذمر مع نفسه بصوت مسموع :

قال بسمة قال ، ده اللي يتمسى بخلقتها لا يشوف
بسمة ولا يشم ريحتها ! .. الله يرحمه اللي سماها كان
عديم البصيرة

تمدد على مقعده بملل وهو يمسك بكوب من الشاي
بالحليب ، فنظر له فخر وقال :

والله انت اكثر واحد عارف انى مبطيقهاش ، بس انا
متأكد إن انت اللي بتجرر شكلكها

اتسعت ضحكة زياد ؛ فخراً بنفسه ، قبل أن يرتشف
القليل من مشروبه ، ثم يقول :

والله مش على طول ، هي بالذات مبحبش آجى
جنبها عشان بتعمل لى صداع .. بس هي اللي
بتضايقتى وانت عارفنى مبعرفش اسكت ، لازم اردّ

بدّل نظره إلى عز وهتف قبل أن يحتسى رشفة
أخرى:

ماله شفيق حبار ده!

ساد الصمت لثوان انتظرا خلالها الأخوان إجابة من
هذا البائس ، إلى أن تحدث عز بشرود :

بقالى فترة كدا بفكر فى حياتنا كدا وقد ايه احنا
مقصرين تجاه كل حاجة حتى نفسنا ، احنا مبنعملش
أى حاجة حرفيا .. ماشيين بروتين واحد وخلص ،
بنرجع م الشغل عشان نروح الشغل وبنروح الشغل

عشان نخسر صحتنا ومجهودنا ونرجع نستنى الصبح
عشان نروح الشغل تانى لحد ما الواحد قَرَّبَ ينهار ..

لوى زياد شفتيه بمثل قبل أن يضربه ببعض من
كلماته الصفيقة المعتادة التي لا تحمل أى إحساس أو
مواساة كاذبة حتى :

_ عز يا حبيبي لو عايز تنهار خذك جنب انهار فيه
براحتك وارجع ، عشان احنا قرفانين لوحدنا ومش
ناقصين فرك

وكزه فخر بقوة قائلاً بضجر :

_ دبش!

ردّ عليه زياد بضربة أقوى على كتفه قائلاً :

_ الشاى بلبن هيتكب يا اعمى!

تمناها فخر مردفًا :

_ياخى ياريت بقى عشان انا لا طايقك ولا طايقه

قرب زياد الكوب من فم أخيه رغم علمه برد فعله
ولكنه ود استفرازه :

_خد دوق

فلم يلبث فخر حتى أبعده ذراعًا فورًا وأشاح بوجهه
بعيدًا :

_ابعد البتاع ده ريحته بتعصبني!

لم يكن عز منتبهاً مع هذه المناوشات بين ولدى عمته
، بل كان عقله يغرق بعيداً وعينيه مرتكزة فى الفراغ
سابقاً بعالم آخر ..

فالتفتا الاثنان له ونظرا له بتعجب بالغ ، ثم صاح زياد
وهو يضربه على ذراعه بقوة :

_ انت مالك النهاردة؟!_

أفاق عز بسبب تألمه من ضربته الغيبة ، ثم استمع
لفخر وهو يقول بجدية :

_ انت كويس يا عز؟_

نفخ عز بحنق وأجاب :

_ مخنوق اوى وجايب أخرى وعايز اضرب أى حد

أجاب زياد بكل ترحيب وهو يستعد للنهوض :

_ ياسلام؟ عينا ليك قوم نتخايق

أمسك فخر بذراعه ليجلسه عنوة وهو يقول بسخط :

_ اخرس يا وش المصايب انت!

صاح عز بتأثر شديد بالأمر :

_ياجماعة ! ، ياجماعة انا مش لاقى وقت لنفسي فعلا ، أيام الكلية كنت مسحول و فى الشغل دلوقتى مسحول ، امتى هتسحل فى حياتى اللى انا عايزة اعيشها بقى؟ انا بقيت ٣٢ سنة ولسة مخدمتس خطوة مهمة فى حياتى ، ولا حتى خطبت ..

ثم نظر لزياد متابعًا سرد أفكاره :

_وبعدين يبدأ معايا الفضول بقى ياترى نصيبي هيطلع مين وهيحصل فين وازاى ..
وأضاف قائلاً :

_تفتكر نصيبك ممكن يقع ف واحدة بتحبك ولا واحدة بتحبها؟

لم تحمل إجابة زياد أى تعبير سوى اللامبالاة والملل :

_ولا عايز حد احبّه ولا عايز حد يحبّني، انا ضد
وجود البشرية كلها أصلًا

خاطبه فخر باستنكار :

_بكرة تقابل الشخص الصح وتغير رأيك

_وانا هعرف منين إنه الشخص الصح؟

_هيبان عليه

_وهضمن منين إنه مش بيمثل عليّا؟

انت المفروض هتس يا عديم المشاعر ! ، ماهو
اكيد مش هتفضل طول حياتك كدا ، لازم تفوق
وتتجوز وتشيل مسؤولية

رد زياد بمنتهى الضجر :

والله انا ما عايز ابقى واحد كبير ولا مسؤول ولا
حياة الكبار دي لازماني أساسًا ، انا عايز اقعد اتفرج
على سبونج بوب واشرب شاى بلبن واسقي فيه
فايش ..

طالعه عز بعدم اهتمام ، ثم نظر لفخر وسأله باهتمام :

صحيح انت اخبار الحالة بتاعة إيدك عاملة ازاي
دلوقتي؟

أجاب فخر :

_____ اهو قَلَّتْ شوية اليومين دول الحمد لله , يارب تفضل
كدا على طول

غلبت زياد ضحكة واسعة عابثة وهو يقول :

_____ طبعا وهى هتحصل له ليه وهو مبسوط ورايق
ورايق ياكل كفتة وسباجتى مع المزة؟

تساءل عز بعدم اهتمام :

_____ هى حنين بتعرف تطبخ أصلا ؟

اتسعت ضحكة زياد أكثر مجيبيًا :

_____ لا حنين مين! ، ده طلع فى واحدة تانية مكمّرها
تحت البلاط واحنا منعرفش

اتسعت عيني عز بدهشة ، قبل أن يسرع فخر
بالتوضيح :

_دى معرفة سطحية والله ، مفيش بينى وبينها حاجة
خالص

خاطب زياد ابن خاله ولم تفارقه ضحكته البلهاء :
_معرفة سطحية وراح اتغدى معاها في البيت ، ما
بالك لو مش سطحية بقى! كان زمانه متجوزها عُرفى

صاح بألم عندما بادر فخر بالرد بيده بدلاً من لسانه
،وسدد له ضربة قوية بكتفه شعر على أثرها أن
عظامه التصقت بفقرات ظهره ، وصرخ بسخط :

_بقرة بترفص !!

انضم للحديث صوت أنثوى جديد يقول بحماس
واضح:

مساء الخير يا جماعة

التفتوا لها الثلاثة ، ليروا مريم وهي تقف برفقة
صديقتها "رنا" ويصاحبهما "إياد" وتستعد
لتعريفهم به ..

نظر لها زياد و رد ضاحكاً ببرود :

مساء الأنااس يا قمر .. مين عود القصب ده؟

حاولا الشابان كتم الضحك ، بينما حدجته مريم بحدة ،
ثم أسرعتا تخاطب إياد بضحكة محرجة :

سيبك منه هو هزاره رخم على طول

عادت تنظر لهم وقالت :

جماعة ده إياد اللى حكيت لكوا عليه

ثم التفتت لإياد وأشارت عليهم :

دول فخر و زيزو اخواتى ، وده عز ابن خالى

رمت رنا السلام للجميع فأجابوها بترحيب ؛فهى
ليست غريبة عنهم وعلى معرفة ببعضهم منذ زمن ..
تبعها إياد وألقى التحية على أخويها ، بينما طال
النظر بينه وبين عز قليلاً ..

نظرات جامدة وحادة من عز أمام نظرات استفزازية
من إياد ؛يقصد بها تأكيد أنه "أنا" الفائز بقلبها
وليس "أنت" !

اوماً بهدوء وهو يقول بابتسامة غير صافية :

أهلا يادكتور عز

بادله عز التحية باقتضاب وبنفس حركة الرأس
البطيئة:

اهلاً

فى حين رددت مريم دون أن تنتبه لتلك النظرات
النارية بينهما :

أياد ورنأ هيتعشّوا معانا النهاردة يافخر ، رنأ انتوا
عارفينها طبعأ ، بس إياد كان عايز يتعرف عليكوأ
وكدا ، او عوا تكونوا كلتوا !

أجابها فخر بالنفى :

_ لآ لسة ..

نظر لإياد بترحيب :

_ تنور وتانس يا استاذ إياد

رسم إياد ابتسامة واسعة وهز رأسه باحترام :

_ متشكر يا استاذ فخر

لم يكذ يتفوه فخر بتعديله لهذا اللقب ،حتى سبقه أخاه
وأخته ينطقان معًا بنفس اللحظة :

_ "مهندس !"

فضحك وحرّك رأسه تعبيرًا عن فخره بهما وكيف
يستطيعا قراءة أفكاره قبل أن يلفظها

*

*

*

صباح يوم جديد ..

خرجت جهاد من مكتب حازم بعد الانتهاء من سماع
نوبة طويلة من الصباح على إتمام العمل ، وأغلقت
الباب خلفها ، وراحت تهمهم مع نفسها بتذمر :

_على طول حارق دمه على الشغل .. شغل شغل شغل
كل شوية شغل ، بينام امتى ده انا مش فاهمة!

فتحت حقيبتها الصغيرة المعلقة بكتفها وأخرجت منه
شطيرة صغيرة وأكلت منها قضة وهي تتطلع من
حولها ومن خلفها ، أخذت خطوة ثم توقفت عن أخذ

الثانية عندما رآته أمامها فجأة ، وقد سألها مبتسماً
عندما قابلها بطريقة :

___ ايه ده ازيك؟ اخبارك ايه دلوقتي؟

لم تكن قد بلعت لقمتها بعد ولم تواصل مضغها حتى
، وظلت تراكمها بجانب فمها فانتفخ الجانب الأيمن
لوجهها دوناً عن الآخر ، زاغت عينيها بجميع
الأتحاء بتوجس قبل أن تقرر إخفاء الشطيرة خلف
ظهرها وهي تقول :

___ معلى معلى انا آسفة

لم يكذب يسألها عن سبب اعتذراها حتى أسرعت تقول:

___ انت جدع و مش هتفتن عليا صح؟

قطب حاجبيه بعدم فهم :

_على ايه مش فاهم

سارعت بابتلاع ما بفمها ثم هتفت :

_بص انا هشرح لك

حرك رأسه بإنصات :

_اطربنى ياكروان

ضحكت بخفة ثم قالت :

_انت داخل لمستر حازم صح؟

_صح

_ وهو طبعا لو شاف حد بياكل ف نص الشغل مش
بعيد يفصله ، صح؟

_ صح

_ ممكن بقى لما تدخل متقولش إني كنت باكل ، والله
انا مش دايمًا بعمل كدا بس انا النهاردة لسة
مفطرتش ومش هقدر استنى لوقت البريك ..

ارتفعت ضحكاته وهو يجيب :

_ انتِ كبرتِ الموضوع كدا ليه ، خلاص حاضر مش
هقول

ثم تساعل بفضول :

_ بس انتِ بتاكلى ايه معلىش عشان فى ريحة غريبة
شوية

أشهرت شطيرتها من خلف ظهرها وهى تقول
ببساطة :

_ولا غريبة ولا حاجة،دى طعمية عادى اهو

رد ضاحكًا :

_الحقيقة انا عمرى ما كلت الطعمية دى وأول مرة
اشم ريحتها أصلا

اتسعت عينيها باندهاش :

_بتهزر !! ، معقول فى واحد مصرى مكلش فول
وطعمية خالص؟!؟

_كلت الفول كام مرة ،بس الطعمية دى بالذات لا

رددت بشئ من السخرية :

_طبعاً ما انتوا بتوع المولتو والجينة الرومي ، مالكووا
انتوا ومال الطعمية

ضاقت عينيه قليلاً بتساؤل :

_هو انا المفروض اسمع الكلام ده؟

أسرعت توضح ضاحكة بارتباك :

_لا لا انا مقصدش استهزاء بيك ولا حاجة متفهمنيش
غلط , مقصدش حاجة بجد

لم يأخذ الأمر على محمل الجد وبادلها الضحك
ببساطة ،مما أراحها قليلاً ونزع عنها توترها ..

التزمت الصمت قليلاً ثم تطلعت لشطيرتها للحظة ثم
عاودت النظر له وعرضت عليه تذوقها :

تجرب؟

ابتسم بخفة وهز رأسه بتردد ، فحركت رأسها
بتشجيع ومدت له الشطيرة الملفوفة ببضع مناديل
ورقية ،وقالت :

دوق دوق هتعبك ..

قلّت المسافة بينهما عندما اقترب منها .. أحاط يدها
بأنامله ليرفعها تجاه شفثيه ويأخذ قضة من الشطيرة
..

لم ينتبه لابتسامتها المتوترة التي اعتلتها عندما
أصابتها قشعريرة خفيفة من ملامسته ليدها ، ولم
يطل الأمر كثيراً بل ترك يدها فور أخذه قطعه ، ثم
مضغ لقمته باستحسان قبل أن يومي برضا :

_حلوَة

ردت ضاحكة بدهشة :

_بجد عجبتك؟

او ما بتأكيد ثم تحدث :

**_انا أصلا بحب الأكل الشعبي ، أى نعم ماكلتوش ف
حياتى غير مرتين بس وانا فى اعدادى، بس فاكر إنه
عجبنى يعنى ..**

ضحكت وقالت :

_وبطّلت دلوقتى ولا ايه؟

لا مش الفكرة ، بس انا معرفش أماكن للأكل ده
يعنى ومحدث من معارفي بيروحها ف مبتجيش
فرصة

صاحت فجأة بحماس :

انا عارفة مكان حلو اوى باكل فيه انا ومروان
كثير..

هدأت من نبرتها المتحمسة و حممت ثم قالت
بهذوء:

ده لو حابب تروح يعنى

ضم شفتيه بتفكير لحظى قبل أن يرد بابتسامة
مُرْحَبَة:

معنديش مشكلة خالص

فغرت عينيها بعدم تصديق هاتفة :

بجد؟! ، هتيجي معايا عادى كدا؟!!
أجاب ضاحكًا بتعجب من دهشتها البالغة :

اه عادى ليه لا؟!

اجتاح وجهها ابتسامة عريضة مفعمة بالحماس
وهزت رأسها أكثر من مرة سريعًا :

تمام ماشى شوف يناسبك امتى

حرك كتفيه قائلًا :

أى وقت مش فارقة ، شوفى انتى

بكرة الساعة ٤ يمشى؟

اوما بالموافقة وهو لايزال يحتفظ بابتسامته الهادئة :

يمشى ...

*

*

*

باليوم التالي ..

جثا زياد على ركبتيه ليفتح آخر درج بمكتبه .. رفع
بعض الأوراق القديمة ليأت من تحتها بشرط به
بعض الحبات "برشام" ، مأخوذاً منه القليل ..

أخرج واحدة من محجرها و وضعها بفمه ، ثم عاد
يخفي الشريط كما كان ، قبل أن يغلق الدرج وينهض

.....

*

*

صف سيارته جانباً ثم ترجل منها واتجه صوب
"جهاد" التي كانت تقف بانتظاره ، ترتدى ملابس
كاجوال ؛ بنطال من الجينز وقميص أنيق من اللون
البنفسجي الفاتح وحذاء رياضي أبيض اللون ..

تترك شعرها الأسود منسدلاً على جانبي وجهها
، وكالعادة لا يضم وجهها الكثير من مستحضرات
التجميل ؛ فقط طلاء شفاه ذو لون خفيف وبعضاً من
حمرة الخدود ، وبالطبع لا تستغنى عن تحديد عينيها
الواسعتين ببعض الكحل ..

_ اتأخرت شوية؟

ردت جهاد :

_ لا ده انا لسة جاية حالاً ..

استدراات وأشارت لجهة معينة وهى تتحدث :

_ بص احنا هنمشى كدا على طول وبعدين هنحود
يمين وبعدين شمال ، همشيك كتير شوية بقى معلىش

أردفت جملتها الأخيرة ضاحكة فأجاب بمرح :

_ مش عجوز انا متخافيش

صممت قليلاً وهي تطالع ملابسه البسيطة التي تكوّنت
من بنطال عادى وقميص شبّابى عادى تماماً ،
فأعادت بصرها لعينيه عندما فهم تساؤلاتها وقال :

اه اه لبسى متغير شوية ، انتِ لما قولتيلي إنّنا
هنروح مكان بسيط حاولت ابقى عادى شوية عشان
ميحسوش أنّى غريب أو متكبر ولا حاجة ..

أجابته بنبرة يبدو بها انقطاع الأمل :

لا متحاولش ، انت لو لبست شوال بطاطس هيبان
إنك نضيف وابن ناس يردو

ارتفعت ضحكاته من أسلوبها ثم أردف بقلة حيلة :

طب اعمل ايه؟ ، ده انا حتى ال perfume
محطتوش ولا حتى لبست الساعة

خير ما فعلت .. احنا المنطقة اللي داخلينها دي اه
ناسها طيبين بس فيهم شوية بلطجية لو شمّوا خبر
إنك ابن رجل أعمال مش هيسيبوك إلا بالفلنة
البيضة!

وضعت يدها على فمها بحرج عند خروج كلمتها
الأخيرة بعفوية :
لامواخذه يعنى ..

ضحك بهدوء ثم ضرب قبضته بصدرة بخفة ؛ تعبيراً
عن القوة :

لا متقلقيش احنا نفوت فى الحديد !
ضحكت واومات بفخر مازح ، ثم هتفت :

طب يلا

*

*

مجموعة تجلس بمقهى شعبي بسيط يلعبون الدومينو
ويحتسون الشاي .. سيدة شارفت على الخمسين تقف
بشرفتها وتعلق ملابسها المغسولة على الحبال لتجف
.. تلك المركبات المسماة "توكتوك" منتشرة
بالمنطقة وتصدح منها أصوات الأغاني الشعبية ..
وبضع أطفال يلعبون الكرة بالجانب ..

كل هذا كان يطالعه فخر بانبهار ؛ نظرًا لمرته الأولى
التي يرى بها هذه الأجواء على أرض الواقع وليس
بالمسلسلات ..

لاحظته جهاد وقاطعته عن شروده بقولها :

__عجبتك الحارة؟

التفت لها مجيبًا بابتسامة واسعة :

_اوى! ، انا عمرى ماتوقعت أشوف مكان زى ده برا
الأفلام والمسلسلات خالص ..

"صباح الخير يا أنسة جهاد"

التفت فخر لهذا العجوز الذى سار من جانبه وهو
يلقى عليها التحية ، فأجابت جهاد :

_صباح النور ياعم أشرف

نظر لها فخر ضاحكًا باندھاش :

_ده انتِ معروفة هنا !

_اصل انا ومروان بنيجى هنا بقالنا سنين ف الناس
عرفونا

كان محافظًا على مواصلة طريقه للأمام كما هو ،
ولكنه توقف بفعل يدها التي جذبتة من ذراعه وهي
تقول ضاحكة :

_سارح على فين؟ وصلنا !

اتجهت لمطعم صغير يبدو عليه البساطة اللامتناهية
ولكن تفوح منه رائحة طعام شهية قادرة على جذب
أى ممن يمر من أمامه ، فسبقت جهاد فخر بخطوة
وهي تنتظر لصاحب المطعم وتقول :

_صباح الخير ياعم رفعت

استقبلها الرجل ببشاشة وترحيب :

_يامرحب ياست البنات ، مش بنشوفك بقالنا كثير
ليه؟

_ معلى بقى مشاغل الحىاة انت عارف

تساءل رفعت باهتمام :

_ او مال فىن المتر؟

_ لا المرة دى مروان مش جاى ، انا جيبالك ضيف
أهم

أردفت بجملتها الأخيرة وهى تربت على كتف فخر
وتخاطب "رفعت" :

_ عايزاك تدلّعه على قد ماتقدر عشان لو عجبه الأكل
هيبقى زبونك

ابتسم فخر عندما نظر رفعت له وهو يهتف بترحيب :

عينا ليكوا ياباشا اتفضلوا ..

*

*

على إحدى المقاهى الشعبية كان يجلس "إياد"
يحتسى كوباً من الشاي وحده ، إلى أن شاركه "عز"
بالجلوس على الكرسي المجاور له ؛حيث يفصل
بينهما المنضدة الصغيرة التى تحمل كوب الشاي
،وقال :

مساء الخير

لم يظهر رد فعل واضح على وجه إياد وحدّقه مطوّلاً
قبل أن تعتليه ابتسامة ساخرة وهو يقول :

دكتور عز بنفسه مشرفنا؟

بادله عز نفس الابتسامة مردفاً :

شوفت؟

سأله إياد :

انت عرفت منين إني هنا؟

براقبك

هتف عز بردّه مباشرة وسريعًا دون لحظة تفكير وهو يطالعه بنظرات مضجرة , فضحك إياد وقال :

على الله يكون الحوار يستاهل تضيع وقتك ده

رمقه عز بحنق للحظات ثم طرح سؤاله فورًا :

انت عايز ايه من مريم؟

اتخذ إياد نفس ضحكته المستهزئة وأجاب :

_يااه يا دكتور ، انت لسة معملتش move on لحد
دلوقتي؟

رفع عز أحد حاجبيه بجمود ، بينما تابع إياد
استخفافه :

_انا عارف إحساس إنك مرفوض ده بيبقى صعب
وميتسشيش ، بس خلاص بقى ده عدى سنتين يعنى ..

رد عز ببرود :

_متستمعلش معايا الأسلوب ده عشان مش هتغاظ
زى مانت متوقع .

ثم تابع :

_مريم تبقى اختى ولو نصيبها وقع فى حد يستاهلها
فعلا هقول لها مبروك وربنا يوفك .. لكن انت؟ انت
عيل مش تمام وانا عارف كويس إنك مبتحبهاش

نطق إِياد بانبهار ساخر :

_ واو ! ، و ده عرفته منين بقى يامنبع الذكاء !؟

_ عشان انا سألت عليك كل اللي يعرفوك يا إِياد ،
وكلهم اجتمعوا على إنك مبتحيش غير مصلحتك

ضحك إِياد ببرود وأجاب :

_ وهتروح تقول كدا لمريم يعنى؟ ، فاكرها هتصدقك؟

ابتسم عز بتهكم وقال :

_ صدقتى مش هتفضل مخدوعة فيك كتير وهتفوق
لنفسها .. وانا بنفسى هساعد فى كدا

ثم أضاف بتحذير :

_خاف انت على نفسك عشان عيلة تلید مش سهلة
وملهمش آخر ، ولو عرفوا إنك بتلف على بنتهم مش
هيعدّوها وهيعملوا فيك أسوأ مما تتخيل

*

*

_عجبك الأكل؟

طرحت جهاد سؤالها وهى تمسح فمها بمنديل وتسير
بجاوره ليعودا إلى الموقع الذى ترك به سيارته ،
فأجابها وهو يمسح يده بمنديل :

_جدا

أردفت بابتسامة صغيرة :

_طب كويس ..

وصلا إلى نفس نقطة تقابلهم وتوقفا ، فعرض عليها
توصيلها :

_ تحبى اوصلك؟

_ لا لا انا كلمت مروان وهيجى ياخذنى ..

وضع إبهامه بجانب شفثيه ليشير لها بتنبيه :
_ فى صلصة هنا.

شرعت تمسحها بمنديلها سريعاً ولكنها أفسدت
الوضع وبرزتها أكثر ؛ فقد كان المنديل تشبع
بالصلصة وتلخ بها مسبقاً ، فوضع آثاره على
وجهها ، مما أضحك فخر بشدة وهو يقترب منها :

_ استنى استنى انتِ بوّظتى الدنيا

رفع منديله هو وبدأ بمسح وجهها ..
تصوّب نظرها على عينيه المرتكزة على الجزء الذى
يمسحه ليس إلا .. فلم يتسنى له الانتباه لعينيها
السوداتين وهى تفصل ملامحه القريبة منها بعمق ..
حدقتيه ذاتا اللون البنى تعامدت عليها أشعة الشمس
فأخذت لون عسلى مميز ، كما أضحت خصلات شعره
البنية لامعة قليلاً بفعل تقابلها مع نور الشمس
ولحيته أصبح لونها أفتح ..

لم يسبق وطال نظرها إلى وجهه عن قرب إلى هذا
الحد ..

وحسناً لتعترف ، هو بالفعل يمتلك ملامح وسيمة
تتضح جاذبيتها أكثر كلما اقتربت منها ..

__بس كدا

عاد للخلف وهو يردد جملته بعد انتهاءه من إزالة
آثار الصلصة ، فهتفت بامتنان :

شكرا

اتسعت ابتسامته وقد ظهر السرور بعينيه ونبرته
كثيرًا :

انا اللى متشكر ياجهاد ، انا اتبسّطت جدا النهاردة
ومش هنسى اليوم ده أبدا ، بجد شكرا

اخترقت الضحكة وجهها حتى وصلت إلى أذنيها ؛ فلم
يُشعرها أحد من قبل أن النزول معها مميز هكذا ..
أجابت بنبرة عابثة مقلّدة طريقته :

فى الخدمة يابشمهندس فخر

تذكر مخاطبتها بنفس الجملة سابقًا وضحك بهدوء
من أسلوبها المرح ...

*

*

*

بعد مرور يومين تقريبًا ..

.

خرج زياد من غرفته يرتدى ساعة اليد خاصته
،واقترب من الدرج استعدادًا للنزول ..

لم يكذ يتخطى أول درجة حتى أوقفه صوت زوجة
أبيه المزعج يناديه ، زفر بملل واستدار لينظر لها
مجيئًا بملل :

_نعم؟

توقفت أمامه مباشرة وسألته :

_رايح فين؟

_يخصك في ايه؟

ردت بهدوء ونبرة تهديدية :

_لما اكلّمك ترد على قد السؤال وباحترام يا زياد !

.

وقف فخر على مسافة قريبة منهم يتابع المشهد
كمتفرج صامت وهو يحتسى مشروباً ساخناً ..

استمع لصوت زياد يقول باختناق وهو يستعد لتركها:

_بقول لك ايه انا مش فايق لك دلوقتي ،فكك منّي.

لم تسمح له بالمغادرة وأمسكته من رسغه بقوة :

_انا مخلصتش كلامي عشان تمشي !

حاول جذب ذراعاه من قبضتها وهو يقول بسخط :
_ ده انتِ نسيتى نفسك خالص! ، اوعي ايدك دى

دفعها للخلف بخفة محاولاً فك معصمه من يدها
، ولكنها أبت تركه وشدت قبضتها عليه أكثر بعناد ..
ومع مقاومة زياد المستمرة ووقوفهما على حافة
السلم تعثرت قدمها وتهاوى جسدها على السلم
بكامله حتى استقرت أرضاً فاقدة وعيها ..
تعلقت أعينهما بها بصمت تام ، لا يبدو عليهما الفرع
؛ فقط القليل من التعجب مع بعض اللامبالاة والتساؤل
..

تحركت رأس كل منهما تجاه الآخر ببطء ليستقر
بصرهما على بعضهما بتفكير ، فردد زياد ببروده
المعتاد :

_ هو احنا فى مشكلة؟

مط فخر شفتيه ورفع كتفيه بعدم معرفة ، فقال زياد :

_ طب ماتنزل تشوفها

_ وانا مالى؟

_ واشمعنا انا بردو؟

_ انت اللى وقّعتها

صاح زياد باستنكار :

_ انت هتلبسنى مصيبة؟! ، هى اللى اتكعبلت

أعاد نظره لتلك المتمددة على الأرضية غارقة في
حالة إغماء تامة بعد إصابة رأسها ، ولم يعبأ حتى
ببقعة الدم الكبيرة التي ظهرت من أسفل رأسها ،
وعاد يخاطب أخيه بكل لامبالاة :

_بص انا عندي فكرة .. احنا نلعب سبت حد واللى
يخسر هو اللى يودّيها المستشفى
او ما فخر بقبول وترك مشروبه على الأرض ثم اتجه
إليه فوراً وهو يمد يده استعداداً للعب :
_موافق ، يلا ..

شرعا الأخوان باللعب بكل بساطة وهدوء ،حتى وقع
الدور على زياد ليضرب يد فخر ،ولكن استطاع فخر
سحب يده بسرعة قبل أن تلمسه ، وسرعان
ما صدحت أصوات ضحكاته الشامتة قبل أن يقول :

شيل يانجم !

زفر زياد بمنتهى الملل ثم هبط من فوق الدرج على
مهل ، إلى أن وصل لها وجثا على ركبتيه بجانبها ،
أمسك بذقنها ليحرك وجهها بتفحص ، ولم يجد منها
أى استجابة .. سمع صوت أخيه فى الأعلى يتساءل
ضاحكًا بترقب :

ها؟ قطعت نفس ولا لسة؟

ليجيبه زياد ساخرًا :

هى دى هتموت بالساهل كدا !؟

عاد ليضرب وجهها بخفة محاولًا إفاقتها :

بسمة؟ ... بسمة انتى ياولية !

رفع رأسه لينظر لفخر قائلاً :

مبتردش يامعلم

أشاح برأسه بعدم اكتراث مجيبًا :

_ إلى الجحيم ..

يتبع..

الفصل التاسع {الحمار المتهور}

فى الماضى قبل أعوام عديدة ..

فتح طفل صغير باب الغرفة بحذر ، ولم يفتحه لآخره بل قصد منفذ كافى لعينيه فقط لينظر من خلاله إلى ما يحدث بالخارج ، عينيه العسليتين الواسعتين لم تخلو من البراعة المعهودة لأى طفل لم يكمل الرابعة

بعد .. ولكن اجتمع معها قلق عارم لا يليق أن يحمل
عنبه صغيرٌ مثله ..

كانت عسلية تراقب والدته وهي تقترب من والده
لتشتم قميصه بأشمزاز من رائحة الكحول التي تفوح
منه ، ثم تعقب بحنق :

لسة بتسهر ولسة بتكذب وفاكرنى عامية عنك وعن
عمايك يا عامر !

أجابها عامر بمنتهى الملل :

اطلعي من نفوخي يا أمينة انا مش فايق لك

هتفت بكل سخرية وازدراء :

هي الرخيصة اللي كنت معاها مكيفتكش ولا ايه؟

طالعتها بعصبية ولم يمنع نفسه من إمساك شعرها
بعنف يقرب من خلاله رأسها له ، مما أفزع الصغير
وجعله يغلق الباب أكثر ؛ خشية أن يظهر لأبيه أنه
يختلس النظر عليهم ، ولكن لم يغلقه تمامًا وظلت
عينيه معلقة بهم ..

صاحت أمينة بقوة رغم ألمها من عنف قبضته على
خصلاتها :

_عايز تعمل كل اللي انت عايزه من غير ما حد يكلمك
ولا يحاسبك , مش عايز حد يقول لك إنك غلطان أبدا

ارتفع صوتها أكثر بغضب :

_المفروض اعرف إنك كل يوم بتسهر مع واحدة
شكل واقعد مكتومة ، مش كدا !؟

اشتدت يده على شعرها أكثر ونطق بصوت جهورى
تخطى مستوى صوتها :

_اه هو كدا ! ، انا لا ضحكت عليكى ولا وعدتك
بحاجة .. انتى اتجوزتيني وانتى عارفة كل حاجة
كويس ، متجيش تعملى فيها مقموصة عشان انا مش
هجرى وراكى واطلب رضاكى مثلا ، انتى ولا حاجة
بالنسبة لى أصلا !

نجحت أخيراً فى التملص من قبضته وابتعدت عنه
خطوة صائحة بسخط :

_ياخى انت ايه! ، عملتلك ايه انا عشان تكرهنى
بالطريقة دى؟! .. بتحاسبنى عشان ابوك أجبرك تتقدم
لى؟! ، طب ما تحاول مرة واحدة تدى نفسك فرصة
تشوفنى مش وحشة زى مانت راسمنى ف خيالك ..
انا مغببتكش على جوازك منى ، انت اللى جيت لحد
عندى برجلك!

رد بتهكم :

_____ كانت غلطة

تتهدت بعصبية مكتومة ثم قالت بهدوء :

_____ خلاص صلّحها يا عامر ، صلّحها وطلقني وانا هاخذ
ولادى الاتنين وامشى من وشك خالص

أجابها بمنتهى السخرية :

_____ لا يا حبيبتي انتى لو اتطلقتى هتمشى بطولك ، مش
هتاخديهم معاكى

_____ ده على أساس إنك بتحبهم ويهموك اوى!

تابعت بصراخ نبع من غضبها ونفاد صبرها :

**_عائز تخليهم معاك عشان تورّيهم من الجحيم اللي
معيشنى فيه !!**

.
.
انتفض جسد "فخر" الصغير على صوت الصفحة
القوية التي طبعها عامر على وجهها ..
سالت دموعه بخوف وجسده يرتجف بشدة أثناء
رؤية والده يفرّغ غيظه وضيقة بضربها وإهانتها ..

أغلق الباب وتكوّر على نفسه خلف الباب ;كلما شعر
بعجزه عن منع ما يحدث تتكاثر دموعه أكثر وأنفاسه
تتسارع لا إرادياً ..

غطّى أذنيه بكفيه وشرع يضغط بكل قوته ليمنع
وصول صوتهما لأذنه ;محاوياً عدم سماع تأوهاتهما
المتألّمة والممتزجة بصوت سبابه لها ولعنه لليوم
الذي تزوجها به

*

*

*

عودة من الماضي إلى الوقت الحاضر ..

تخطت الساعة الثانية صباحًا عندما وقف الأخوين
بالمطبخ الواسع الخاص بالقبلا; فكان يقوم فخر
بإعداد المعكرونة ،بينما يقف زياد بالقرب منه مستندًا
بمرفقه على الرخامة ويده الأخرى يأكل بها خيارة كـ
"تصبيرة" إلى أن ينتهي فخر من تجهيز الطعام ،
وراح يثرثر بشكل متواصل وسريع بعض الشيء :

فأكر البت اللى اسمها دنيا اللى كانت معايا فى
ثانوى؟ شوفتها صدفة من يومين ، مش هتصدق بقت
عاملة ازاي .. انا معرفتهاش هى اللى جت سلمت

عليا وقالتلى انا دنيا ، يالهورى يافخر البت بقت
شاكيراً .. اللى يشوفها دلوقتى مش هيصدق نضارة
طه حسين اللى كانت بتلبسها ولا جزمة ستى اللى
شبه المركب ولا شعرها اللى كانت بتحوّش فيه
الاقلام واللبان .. مش عارف كنت معجب بيها ازاي
ساعتها أصلاً! ،دى المشطة مكانتش بتعدّى من قدام
شعرها

أكل قزمة من الخيارة وتابع أثناء مضغها :
_ لا وايه! اتضربت بسببها كمان ، البت عشان اتكلمت
معاها مرة لمت لى اخواتها وجم ضربونى

ضحك عندما تذكر ، وهو يواصل بتهكم :

_ وانت اول ماشوفتنى عملت حريقة والجدعنة قتلتك
اوى و "يعنى ايه اخويا يتضرب وانا موجود" و

"اقسم بالله ما هسيبهم" وفتحت صدرك اوى ، و
روحنا كلنا علقه احنا الاتنين ف الآخر

ارتفعت ضحكات فخر وهو يقلّب الطعام بملعقة كبيرة
وأجاب :

ـ ما نا لو كنت اعرف إن كل واحد فيهم قدى مرتين
مكنتش اتكلمت !

نظر له وقال :

ـ هات برطمان الصلصة من جنبك

سحب زياد البرطمان من فوق الرخامة وألقاه إليه ،
فسارع فخر بأمساكه ولحسن حظه استطاع التقاطه
قبل أن يقع ، ثم نهره قائلاً :

انت يا عشوائى يا عديم التمييز , افرض وقع و اتكسر
دلوقتى !

لم يتخذ زياد رد فعل سوى البرود و عاد يكمل خيارته
وهو يقول :

خَلَّصَ عشان جعان!

دخلت مريم إلى المطبخ يبدو عليها أثر النعاس وهى
تقول :

ايه الكركبة اللى عاملينها دى؟؟ بتعملوا ايه؟

أجابها زياد بابتسامة عريضة مليئة بالبرود :

بنحتفل عشان بسمة بايتة ف المستشفى النهاردة

صاحت مريم باحتجاج :

انتوا بتهزروا؟! انا مش عارفة انا

ثم نظرت لفخر تسأله بتأفف :

حد يعمل مكرونة الساعة ٢ ونص بالليل؟! كنتوا
فين من بدرى؟

أجاب فخر :

جُعنا دلوقتى ، ننام جعانيين يعنى؟

احتملت نبرتها جدية واضحة وهى تطرح سؤالها :

طب انتوا معرفتوش بسمه حالتها ايه؟

ولكن لم يجيبها زياد سوى باللامبالاة المعتادة خاصته:

ان شاء الله خطيرة ومش هينفع تسيب المستشفى
قبل تلت سنين

عنفته مريم قائلة :

بس يازياد عيب كدا ! ، مهما كان احنا بردو
المفروض نسأل وخلص

تطلع لها فخر بعدم اكتر اث و نطق بحنق :

متقلقيش يا حبيبتى ابوكى بايت معاها .. ده لو كان
واحد فينا كان أكرم حاجة عملها إنه يدفع فلوس
المستشفى ، ومش كلها كمان

قطبت حاجبيها بعدم رضا وقالت :

مش للدرجة دى يافخر ، بابا مهما كان بيحبنا بردو

لوى شفتيه بلامبالاة وهتف قبل أن يعود لتقليب
الطعام :

_الى تشوفيه

ترددت مقلتيها فى الأنحاء بحيرة ،حتى وقع نظرها
على زياد الذى لم يصدر منه أى رد فعل لهذا الحديث
،وأكل آخر قطعة من الخيارة ثم رمى طرفها فى سلّة
القمامة

*

*

صباح اليوم التالى ..

.

بدأت بسمة بفتح عينيها ببطء وظهر منها أنيناً
منخفضاً بألم ، حركت رأسها بتعب إلى أن اتضحت
الصورة أمامها بوضوح تدريجياً ورأت عامر أمامها ،
راقبت ابتسامته البسيطة التى علت محياه وهو يقول:

_حمد لله ع السلامة يا حبيبتى

_عامر.

نظقت اسمه بضعف وتعب ، ولم تلبث حتى بدأت
بزرف الدموع :

_شوفت ولادك عملوا فيا ايه يا عامر !

غلبه التعجب بشدة وقال :

_هو حد منهم زقك من ع السلم!!؟

ردت ساخرة :

_قالولك انى وقعت لوحدى ولا ايه؟

ثم تابعت وهى لاتزال مستمرة بكاءها الكاذب :

_ لا ولادك كدابين ومفتريين يا عامر ، فخر وزياد
الاتنين مستقويين عليا وحاطيتنى فى دماغهم وانا
مش بعمل لهم حاجة
تساعل بعدم فهم :

_ ازاي بس؟ ده زياد هو اللي جابك المستشفى أصلا

صاحت بنبرة حانقة لا تخلو من البراءة المزيفة :

_ عشان يعمل نفسه غلبان قدامك طبعا ومتصدقنيش

تضاعفت العبرات فوق وجنتيها أكثر وهى تردد بيبكاء
مرير أثبت له كم هى مسكينة ومظلومة :

_ عايز تكذبني يا عامر؟ دى آخرتها؟ ، وانا هتبلى
عليهم ليه يعنى؟! ، انت عارف ولادك بيكرهونى ازاي

من ساعة ما شافونى .. انا بقيت اخاف انام ف البيت
ده ل احسن يقتلونى يا عامر ، انا عايشة ف رعب
وانت مش واخذ بالك ومش حاسس بيا أصلاً

إتقانها البارع فى تمثيل البراعة كان قادرًا على إقناع
فخر نفسه بتصديقها رغم يقينه من خبثها ومكرها ..

سارع عامر فى التريبت عليها وهو يقول بهدوء :
_ خلاص يا بسمة اهدى ، محدش يقدر يقرب منك
متقلقيش ، وانا هتكلم معاهم ع اللى حصل ده مش
هسكت ، اهدى انتى بس

*

*

*

صعدت جهاد على الدرج بصحبة مروان ، تأخذ خطوة وتعود اثنتان .. إلى أن توقفت تمامًا و نطقت بتردد :

_مروان انا مش مقتنعة باللى بيحصل ده ، احنا عارفين كويس إن امك مبتحبنيش ، مستحيل تعزمنى ع الغدا كدا إلا لو فى غرض من وراها ، وبصراحة انا مش مرتاحة ...

طالعتها مروان بملل وأجاب :

_انا الطريق كله بغنى ف نفس الكلام ياجهاد ، قولت لك انا كل شوية بتكلم مع ماما عشان تدى لنفسها فرصة تعرفك ، وهى سمعت كلامى وقالت تجرّب ، متكبريش الموضوع بقى!

مطت شفيتها بعدم اقتناع ، فتابع مروان الصعود وهو يمسك بيدها لتصعد معه وهتف بتشجيع :

_تعالى بس متخافيش ..

أوقفته من جديد وسألته بجدية كبيرة :
_ طب انت مجبتليش مورو ليه زى ماقولتلك؟

زفر بملل من طلبها المستمر لنفس نوع الشوكولاتة
كلما رأت وجهه و ردد بتذمر :

_ بصرف على بنت اختى انا ولا ايه مش فاهم!
ثم استطرده :

_ حاضر ، نخلص مشوار الغدا ده وهجيلى انا وانتى
.. يلا اتحركى بقى

.
. .
فتحت صابرين الباب عند وصولهما ، وبالطبع جاهدت
بحرارة لرسم ابتسامة خفيفة وإظهار بعض اللطف
بنبرتها :

_ اهلا وسهلا ، اتفضلى يا جهاد ..

ابتسمت جهاد بتوتر ملحوظ ولم تخطو خطوة إلا بعد
أن سبقها أخيها أولاً، فتحركت من خلفه وألقت السلام
بهدوء :

_ازيك يا طنط؟

ابتسمت صابرين بمجاملة :

_الحمد لله ، ادخلوا يلا اغسلوا ايديكوا على طول
عشان الأكل جاهز

*

*

*

اتجه "رؤوف" إلى باب الشقة وهو يتمم بانزعاج
من الدق المستمر على الباب :

_ايه قلة الزوق دى!

فتح الباب ليتفاجأ بأبنته "مى" تدلف إلى الداخل فوراً
وهى تصيح بانفعال :

_انا اتخنقت! اتخنقت منه ومن عمايله دى !!

تتهد رؤوف بملل وأغلق الباب ثم اتجه إليها وجلس
على الكرسي المقابل للأريكة التي جلست عليها وهي
تهز إحدى قدميها بحركة انفعالية سريعة ، وسأل
باهتمام :

_عبدالله فين؟

_سبتهوله ، خليه يشيل بقى شوية , انا هبات عندك
النهاردة عشان قرفانة منه ومن وشه

هتف رؤوف بحنق :

_ هو انتى هتهدى امتى بقى؟ ، كل ماتختلفى مع
جوزك شوية تمشى من بيتك ولا ايه؟ ماتخليكى
راسية شوية وبطلى تنطيط كتير ع الفاضى

طالعه بحزن وسخط وقالت معاتبة :

_ ايه يابابا؟ خلاص زهقت منى؟! اروح لمين يعنى؟

احتملت نبرته بعض الرزانة والهدوء وأجاب :

_ يا حبيبتى أنا مقصدش كدا ده بيتك انتى عارفة ، بس
مينفمش مع كل مشكلة تسيبى البيت .. اقعدى معاه
واتناقشى ولمى الموضوع فى ساعتها على طول،
بلاش تعرّضيه

_ يابابا حازم دماغه ناشفة وانا مش عارفة اتعامل
معاه ، لحد دلوقتى مش بيقول سبب مقتع لكره

نرجس صاحبتي ، و كل شوية يعترض ويزعق لحد
مايعصبنى

صاح رؤوف بتأفف :

_نرجس تانى؟ احنا مش هنخلص من البت دى بقى!؟!

_حتى انت يا بابا!؟!

_انتى بتدافعى عنها كدا ليه؟ ، انتوا ٩٠٪ من
خلافاتكوا بسبب اللى ماتتسمى دى .. جوزك قال لك
مش مرتاح لها يبقى هو عنده وجهة نظر ، ماتسمى
الكلام ومتقاوحيش !

_لا يابابا انا مش هغدر بصاحبتي وابعدها من غير
أسباب ، وطول ما هو مش عايز يدّينى سبب كافي
مش هسيبها .. وخليه يحرق دمه بقى كل شوية

**_يعنى انتى معندكيش مشكلة علاقتك بجوزك تتوتر
عشان خاطر صاحبتك؟**

أجابت بقلة حيلة وهى تهّم بخلع حجابها :

**_انا بحبه وبحبها يابابا ، وعلاقتى بيها زى علاقته
بفخر وزیاد وعز بالظبط ، هل هيقدر يستغنى عنهم
بسهولة كدا؟**

هتف رؤوف باعتراض :

**_لا معلىش اخواتك میتقارنوش بنرجس ! ، دول
متربيين صح وكلنا عارفين ومتأكدين من أخلاقهم**

_طب ما انا متأكدة من أخلاق نرجس

_ لا يا حبيبتى مفيش حاجة اسمها متأكدة حتى لو
تعرفيها من وانتى ١٠ سنين ، طالما هو عايزك
تبعدى عنها يبقى هو شايف فيها حاجة انتى مش
شايهاها

_ وليه مش بيقول لى عليها بقى!؟

ضمّ شفتيه بتفكير ، ثم قال أول ما ورد على باله :

_ يمكن الحاجة دى هتزعكّك ..

_ ولو يا بابا ! يقول أحسن ما يخبى عليا

أمرها رؤوف بهدوء :

_ طب كلميه وصالحيه

صاحت باستنكار :

_اصالحه !!

_ايوة تصالحيه ، انتى عارفة حازم بيحبك وبيخاف
عليكى ازاي .. وانتى لازم تقدرى ده !

أطلقت زفيرًا طويلًا ثم اومأت باستسلام :

_حاضر ، بس ناكل الأول .. انت معملتش حاجة
صح؟

_لسة

نهضت وهى تقول ضاحكة :

_طب حلو عشان تاكل من إيدى انا ..

ثم سألته :

_ عز جاي؟

_ لا هو هياكل ف المستشفى وبعدها هيعدى على ولاد
عمتك شوية ..

_ خلاص أحسن .. هناكل ايه احنا بقى؟

*

*

*

جلست صابرين عند مقدمة السفارة ، وجلس ولدها
عن يمينها وجهاد عن يسارها ، وشرعوا جميعاً
بالأكل فى صمت ..

ولكن لم يستمر السكوت طويلاً عندما تحدثت صابرين
مخاطبة ابنها :

_صحيح يامروان ، عندي ليك حاجة حلوة

نظر لها مروان و ردّ بكل ملل :

_متقوليش عروسة ارجوكى

ضحكت وضربته على يده بخفة :

_بحبك وانت فاهمنى! ، ايوة هيّ

راقبتهما جهاد وهي تستمع إلى حوارهما بصمت ..

_صدقنى البنت المرة دى مختلفة ، دكتورة صيدلانية

وشيك و بنت ناس ومتربية

ليهتف مروان بتأفف :

_مش هنخلص م السيرة دى يا امى؟

_ لا إله إلا الله! انت عايز تعند فيا ليه يا بنى بس؟

التفتت لجهاد وقالت :

_ اشهدينا انتى طيب ، فى واحد يرفض بنت من غير
مايشوف حتى صورتها !؟

ضحكت جهاد بخفة وأجابت :

_ انتى عارفة دماغه ياطنط محدش فاهم له حاجة

عادت تخاطب مروان قائلة :

_ طب اقول لك فكرة؟ ، انت متروحش البيت ، روح
شوفها فى الصيدلية الأول ، اشترى حاجة وشوفها
بتتعامل ازاي ولو حسيت بقبول نروح لأهلها ، ايه
رأيك؟

زفر مروان بمنتهى الضجر ، فسارعت صابرين
تتوسله :

عشان خاطر يامروان ، انا كل اللي طلباه تديها
فرصة بس ولو مرتاحتش خلاص كله قسمة ونصيب

لا يا امي فكك من الحوار ده بقى

شاركت جهاد فى الحديث بعد صمت طويل ونهرته
قائلة :

ايه هو ده؟ انت هتتك علينا؟! ، بتقول لك عشان
خاطر يامنعهم المشاعر! ماتيجى على نفسك شوية
وراضيها وخلاص

ابتسمت صابرين بامتنان وعادت تنظر لولدها
بحماس وترقب لسماع ماتودّ سماعه ، فحدقها قليلاً
بتفكير ثم تنهد باستسلام وقال :

عشانك بس يا صابرين ، بس مش كل مرة ها؟

كستها الفرحة بشدة وارتسمت على محياها ابتسامة
واسعة بسعادة غامرة وحماس واضح ...

*

*

فى المساء ..

وقف عامر بساحة مكتبه الخاص بمنزله ، واضعاً يديه
خلف ظهره ويأخذ بضع خطوات يميناً وأخرى يساراً
بتفكير ..

كان باب المكتب مفتوحاً ليكشف له ساحة القيلا التى
سار بها فخر متجهاً إلى باب المنزل استعداداً للخروج
، فأوقفه عامر بصوت حاد :

فخر!

توقف فخر ونظر ناحيته بعدم اهتمام ، فسار عامر
إلى الخارج حتى وقف أمامه مباشرة وسأله بصراحة:
_ايه اللي عملته انت واخواتك مع بسمة ده؟

أجابه بلا أى اكتر اث :
_عملنا ايه؟

هتف بحدة :

_بلاش استهبال يا فخر !

تضاعفت السخرية واللامبالاة بنبرته أكثر :

_معلش عرفنى هي قالتك ايه بالظبط عشان اشوف
هقول انا ايه ، عشان القصة تبقى محبوبكة ومرسومة

صح

صمت للحظة فقط قبل أن يقول :
_وَلَا خِلاصَ مَتَّعِشْ نَفْسَكَ انا عارف

ثم قال ببرود :

_بس ازای بتصدقها من قبل ما تسمع مننا الأول؟
مين اللى أوهمك إنها ملاك بجناحات اوى كدا !؟

أجابه والده بضجر :

_متدخلش فى السكة دى بقى يافخر عشان انت
عارف إنه حوار فاشل ومالوش لازمة

ضم شفتيه وهو يمرر عينيه من حوله ، ثم هتف بكل
هدوء :

_طيب .. احنا معملناش حاجة ومراتك هى اللى وقعت
لوحدها من ع السلم ، ياترى مصدقنى دلوقتى ولّا
لازم نبقى احنا الشياطين الشريرة فى الحدوتة؟

_ ماتسيبك من طريقة التريفة دي أحسن؟

_ مصدقنى ولأ لأ !

طرح فخر سؤاله بجمود بالغ ، مُصرًا على أخذ إجابة ، ولكن لم يخرج من عامر رد سوى الصمت ، مما جعل السخرية تتضح على وجهه وهو يقول :

_ متوقع طبعًا ..

أشار بسبابته بجانب رأسه وحركه حركة دائرية وهو يقول :

_ عرفتِ تعمل لك غسيل مخ يا عامر بيه!

ثم تابع :

_ من أول يوم شوفتها فيه وكان باين عليها إنها طمعانة فيك .. مش فاهم مصدقها من انهى اتجاه! ،

لا ومش طمعانة وبس ، دى بتعافر عشان تخليك
تكرهنا ..

أضاف بمنتهى اللامبالاة ولم يُظهر أى تأثر بالأمر
رغم صعوبة نطق هذه الجملة التالية عليه :

_ انا عارف كدا كدا انت بتكرهنا من زمان ، بس هى
عايزة تخليها الضعف ..

عاد لجديته فى الحديث مسترسلاً :

_ عايزاك تشوف ولادك دول مفترين وبييجوا عليها
عشان تتشجع انت تكتب لها حاجة من أملاكك كل
شوية ، لاحسن يا حرام ولادك يأذوها ويرموها ف
الشارع بعد ماتموت فتبقى أمّنت لها مستقبلها ، و فى
نفس الوقت متبقاش سبت لهم حاجة عشان هما كدا
كدا ظلمة وميستاهلوش !

استطرد دون ذرة اكتر اث :

_وانا والله ما فارقة معايا .. انت لو كنت متجوز
واحدة فعلا تستاهل مكانش هيبقى عندي اى مشكلة
لو كتبت كل حاجة باسمها عادى ، احنا اصلا مش
عايزين حاجة

أظلمت عينيه بشرّ وصاح بصوت جهورى مخيف :

_لكن نكرة زى دى متسواش تلاتة ساغ تيجى تكيدنى
وتعلم عليا وتفكر نفسها قادرة عليا، لأ ده انا ادوس
على رقبتها هى واللى يتشدد لها !!

صاح عامر محذراً :

_متتعداش حدودك يافخر !

_ازاى بتكذبنا وانت عارف اننا تربية أمينة؟

لأذ عامر بالصمت عندما سمع سؤال ولده الذى أتبعه
بآخر بنفس النبرة المعاتبة والصارمة :

فأكر أمينة يا عامر بيه؟ ، الست الطاهرة الغالية اللي
بدلتها بحتة سحلية آخرها تقعد فى البلاعات !

أنهى سخريته ثم واصل بحدة :

أمينة عملت كل اللي تقدر عليه عشان نطلع زيها
مش زى حضرتك ، ويمكن ده اللي مخلّيك مش طايقتنا
لحد دلوقتي .. مش قادر تستحمل حاجة من ريحتها
حتى تربيتها لولادها !

اقترب منه خطوة لينظر بعينه عن قرب بثبات ؛ يريه
كيف يعنى كل كلمة يلفظها :

**بس لازم تعترف بـ ده يا عامر بيه ، أمى كانت ست
قيمتها فوق اوى .. أكبر بكتير منا كلنا !**

**ولولا تربيتها دى إحنا كان زماننا راميين الزبالة دى
في الشارع من بدرى ، لكن لسة رغم كل حاجة لازم
نعمل لك اعتبار عشان تربيتنا تجبرنا على كدا ! ..
وانت لازم تبقى بتحمد ربنا كل ليلة إننا اتربينا على
ايدها عشان لو محصلش كان زماننا وحشين معاك
اوى! ، أوحش من أى مدى ممكن يوصل له دماغك !**

طالعه عامر بحاجبين منعدين بتعجب ونطق بحدة :

هو انت بتهددنى!؟

نقى فخر بهدوء :

**إِطْلَاقًا ، انا بوضح لك الصورة بس .. اقعد قعدة مع
نفسك كدا وفكر كثير ، ياترى لو ولادى مطلعوش زى
أمانة كان زمانهم عملوا معايا ايه؟**

**ترك له ابتسامه أخيرة لم تحمل سوى الاستفزاز
مختلطاً بثقته بنفسه ، ثم ترك المكان بأكمله وغادر**

.....

.

.

**خرج من المنزل واتجه إلى سيارته بخطوات منفعلة
ووجه مكفهر يبدو أنه سينفجر بعد قليل ، ما إن
اقترب من السيارة حتى انزلقت مفاتيحه من بين
أصابعه ، فتوقف ونظر ليده التي بدأت بنوبتها
المعتادة كلما أصابه التوتر والضغط؛ ترتجف بشكل
واضح ولا يقدر على إيقافها إلا عندما تقرر هي
الانسحاب ..**

رفع رأسه وأغمض عينيه وهو ينفخ بكل اختناق
;متى سيتخلص من تلك الحالة التي تتسبب في
إغضابه أكثر بمجرد ظهورها !..

مال بجذعه ليلتقط المفاتيح ثم ضغط على مفتاح
السيارة ليفتحها عن بُعد ، ثم ركب واستعد للتحرك

.....

*

*

انتهت سحر من تجهيز فنجال من القهوة ثم نظرت
لحنان المنشغلة بتقطيع بعض الخضار ، فعطّلتها عن
عملها وقالت :

حنان معلىش روحى ادى القهوة لعامر بيه

تطلعت لها حنان بملل :

_تانى ياست سحر؟ ، انتى هتفضلى مستخبية عنه كدا
على طول؟!!

_ياحنان مانا قولتلك بقى مبحبش اشوف الراجل ده ،
روحي انتى وانا هكمل بدالك

سألته حنان بفضول :

_طب بالله عليكى تقولىلى ليه ، والله ما هجيب سيرة
لحد بس انا الفضول هيموتنى ايه اللى يخلّىكى
تكرهيه لدرجة تكرهى تبصى ف وشه كدا؟

زفرت سحر بهمّ وصمتت قليلاً ثم قالت :

ـ انا اشتغلت معاه من ساعة ما كان فخر عنده ٧
سنين وشوفت اللى يخلّيني اتمنى موته مش بس
اكرهه !

ثم استرسلت :

ـ كان مبهدل مراته وولاده بطريقة صعبة اوى ياحنان
، ضرب وإهانة وقلة ادب وزعيق ع الفاضية
والمليان ..

ظهر التأثير بصوتها مردفة :

ـ الله يرحمها أمينة هانم كانت ست أقل كلمة تتقال
عليها إنها ملاك ، لو تعرفى صبرت واستحملت قد ايه
هتقولى دى ست معجزة مش زى باقى البشر العاديين
، عمرها ضاع مع راجل نابه أزرق ميستاهلش
ضفرها ، لا كان بيحبها ولا بيحب ولادها اللى هما من
دمه أصلا .. مكانش بيعتقهم ولا بيعديهم أقل كلمة
تطلع منهم إلا بالضرب وقلة القيمة ..

التمعت عينيها بحزن واضح متابعة :

_ زياد ده بالذات يا حبيبي اكثر واحد شاف كثير .. أقل
غلطة يعملها كان يحبسه ف أوضة ضلمة لحد ما
الواد جاتله عقدة .. لحد دلوقتي ميقدرش ينام والنور
مطفى

التوت شفتيها بهمّ واستطردت :

_ كان الواد يا حبة عيني يقعد يتفخر من العياط
ومكانش بيهز في عامر شعرة بردو ، ولا كأنه ابنه ..
ده لو مش ابنه كان حنّ عليه شوية ، إنما ده واحد
جاحد معدوش قلب

ظهر الذهول على وجه حنان بشدة :

_ معقول ياست سحر؟ للدرجة دى؟! _

**_ واكثر والله ياحنان ، دى نعمة من ربنا إن التلاتة
لسة بصحتهم لحد النهاردة وعارفين يتعاملوا بشكل
طبيعى شوية ..**

بدا النفور على وجه حنان وأردفت بضيق :

**_ ياريتك ماقولتيلى ياست سحر , ده انا كدا هاخذ
بعضى وامشى عشان متعاملش انا كمان مع الراجل
ده**

حذرتها سحر بحدة :

**_ اوعى حد يعرف اللى قولتهولك ياحنان ، ده لو
سمعوا إنى بتكلم كدا هيمرطونى !**

متقلقيش أكيد مش هفتح بوئى واعمل لنا مشاكل ..
هاتى القهوة هاتى

*

*

*

التقط زياد كوب الشاي بالحليب من فوق الكومود
المجاور لفرشه ، تحت أنظار عز التى تراقبه بصمت
يحمل بعض التعجب ..
ارتشف زياد القليل ثم تطلع لابن خاله الجالس بجانبه
وقال :

وبعدين؟

رد عز باستنكار :

انت عايز حاجة تانى أكثر من كدا؟ ، بقول لك فى واحد بيضحك على اختك ، انت مستوعب ولا ايه؟

أجابه زياد بلامبالاة :

ماشى عرفنا واتخضينا وزعلنا .. ها بقى؟ ايه الخطوة العملية؟

معرفش مانا جاى افكر معاك ، انا مرضتتش اقول لفخر عشان عارفه عصبى ومبيستتاش وممكن يعمل تصرف مش محسوب .. قولت أجيلك انت

ردّ زياد بضحكة واسعة ساخرًا :

اختيار ممتاز !

أردف عز بنفاد صبر :

_اقوم امشى طيب ولا ايه؟

_بص انا معنديش حل غير انى اروح اتخانق فيه

همهم عز بصوت مسموع :

_انا مش عارف هتعالج من المرض ده امتى!

ضحك زياد ثم أخذ رشفة من مشروبه قبل أن يقول :

_مريم قالتلى إنه هيروح يقابل ابويا عشان يتقدم لها ،
وابويا مش هيوافق ف خلاص احنا فى السليم

أخفى عز سروره من هذه الكلمات وأظهر فقط
التساؤل وهو يقول :

_وانت متأكد كدا ليه؟

**_عشان انا عارف دماغه ، مش هيجوز بنته لواحد
على قده ، هو لا بيعترف بالحب ولا العبط ده ، معاك
فلوس يامرحب معاكش يبقى "تشرفنا وخذ الباب ف
ايدك"**

**_وانت فاكِر إنه حتى لو اترفض كدا علاقته بيها
اتقطعت؟ ، فاكِر مريم مش هتزن على ابوك لحد ما
يوافق؟**

رد زياد بكل سخريه :

**_وانت فاكِر إن فى حد يقدر على ابويا؟ ، دى لو
قالتله هنتحر هيقول لها عادى اعلمها ،ومش
هيسمع كلامها بردو**

صمت عز قليلاً ودارت عينيه في الأرجاء متسائلاً
بتعجب واستنكار :

_ انا مش فاهم عاجبها فيه ايه!؟

_ لعب على نقطة ضعفها بشطارة !

التفت له عز فور سماع ردّه وطالعه بتساؤل فأوضح
زياد بلامبالاة :

_ مريم لما ملقتش حب واهتمام ف البيت راحت تدور
عليه برا .. اه امي كانت بتحاول تعوّضنا بس ابويا
كان بيحمي كل ده باللي بيعمله ، كبرنا فاكرين
الوحش اكثر م الحلو ..

طبيعي لما تشوف راجل حنين ومهتم بيها ويحب
يكلمها تحبه ..

رمقه عز مطولاً بعينين تلمعان بالحزن والتردد ، ثم
هتف بصوت متحشرج :

وهو انا مكنتش كدا؟

ابتسم زياد بهدوء وأجاب :

انت أحسن من كدا كمان يا عز ! ، هي اللي غبية
ودماغها متركبة غلط

أشاح عز بنظره إلى الفراغ وأطلق تنهيدة طويلة بهمّ
وضيق ، إلى أن استمع له يقول :

تشرّب شاى بلبن؟

صمت عز مطولاً ثم نظر له وأجاب :

_ لا انا عايز اتعشى ، عندكوا ايه؟

*

*

*

بمبنى الشركة فى الساعة العاشرة والنصف مساءً
تقريباً .. ، حيث لا يوجد من الموظفين إلا قلة قليلة
، والأجواء ساكنة جدا ..

من بينهم كانت جهاد التى أُجبرت على الوجود لوقت
إضافى بعد أمر حازم بإتمام العمل المكلفة به قبل الغد
وإلا ستخسر نصف مرتبها ولن يكثرث لأى أعذار ..

يبدو أن هذا الرجل اسم على مسمى بالفعل !

مرّت من أمام باب المكتب الأهم والأكبر فى الشركة
مكتب "عامر" ، وهى تطالع بعض الأوراق التى
تحملها على ذراعها الأيسر ، ويدها الأخرى تمسك
بتلك الشوكولاتة التى طلبتها من أخيها عصر اليوم ،
مغلقة لنصفها فقط ؛ فقد فتحتها وأكلت منها قضمتين
..

كبحت خطواتها فجأة عندما توهمت أن هناك أحد
بداخل المكتب ، فعادت تدقق النظر لتتأكد من صحة ما
رأت ، و بالفعل هناك شخصٌ يقف بثبات وسط الظلام
؛ فقد كانت أضواء المكتب مغلقة ويتسلل إليه ضوء
خافت من الأنوار التى تضىء فى الخارج ..

كان ظهره للباب _ فلم يلاحظ جهاد التى تراقبه من
الخارج _ ووجهه للمكتب يقبّب بين الأوراق التى
تعتليه ؛ ليس بحثاً عن شئ ولكن فقط من الملل ..

اعتراها الفرع والتوتر ، وأسرعت تفكر بأى حل سريع ، إلى أن وقعت عينيها على مزهرية صغيرة تعلى مكتب المساعدة الخاصة بالمكتب ، فأسرعت تمسكها وتركت الشوكولاتة مكانها ، ثم أخذت وضع الاستعداد وشرعت تخطو إلى الداخل بخفة شديدة حتى لا يشعر بها .. ويكسوها القلق بشدة من خروج أى تصرف مفاجئ من هذا _ الذى فى ظنها _ لص متسلل!

غلبت "فخر" حالة قوية من الشرود لم تسمح له بالشعور بخطواتها البطيئة والحذرة من خلفه، إلى أن انقطع شروده بصيحة متألمة خرجت منه عاليًا ، عندما كسرت المزهرية فوق رأسه بكل قوتها ، تبعها خسارة توازنه ووقوعه أرضًا عندما أصابه دوار قاتل و شعر بأن رؤيته تشوشت وأنه على وشك فقدان وعيه !

ما إن استطاعت تحديد هويته، جحظت عينيها عن
آخرها حتى كادت تخرج من محجرها ،وارتفع صوتها
فجأة بذعر :

يانهار اسود !!

أخرست نفسها فورًا قبل أن يسمعها أحد وألقت نظرة
سريعة من حولها تتأكد من عدم وجود أحد ،ثم أعادت
عينيها المرتعدة لهذا المتمدد على ظهره أرضًا يأن
بخفوت ويتحسس رأسه المصابة بوجه منقبض بشدة
من التوجع ..

لم يكن في حالة تسمح له حتى بالنظر إلى وجه
الفاعل ؛فقد تمكن منه الألم لدرجة أنه لم يقوَ على
النهوض ..

تسببت الصدمة في ربط قدمي "جهاد" في موضعها
تمامًا ، فقط تحمق به بعينين مذعورة وأنفاس

متسارعة من التوتر والرعب مما سيفعله بها بعد
فعلتها الحمقاء تلك ..

بالتأكيد لن يقبل بأقل من حبسها بضعة أشهر ؛جراء
غباؤها وتهورها ..

يتبع..

الفصل العاشر {أصدقاء رسمياً}

زاد اتساع عينيها أكثر مما هي عليه بمجرد ملاحظتها
بقع الدم التي لطخت الأرضية ، أفاقت لنفسها سريعاً
وأسرعت تجثو على ركبتيها بجانبه ، وضعت يده
أسفل رأسه لترفعها قليلاً وهي تهتف كلماتها بسرعة
وفزع :

**_فوق فوق بالله عليك اوعى تفصل خليك صاحى
اوعى تغمض عينك ،متودنيش ف دهية !**

نظر لها بصعوبة وبعينين شبه مغلقة فأسرعت تتأكد:

_انت سامعنى؟ شايف حاجة؟

**لم يعطها ردًا واستمرت تأوهاتة المنخفضة ، مما
ضاغف قلقها أكثر .. فراحت تحته على النهوض
وهى تقوم بإسناده ومساعدته :**

**_حاول تقوم طيب ،قوم معايا .. انا آسفة حقك عليا
والله انا مكنتش اعرف إنه انت ...**

.
. .
.

دلفت إلى الحمام الخاص بالمكتب وبحثت بالخزانة الصغيرة المجاورة للحوض لتجد صندوق الإسعافات الأولية، فسحبته فورًا وخرجت إلى "فخر" الجالس على الأريكة يسد جرحه ببضع مناديل ورقية ولا يزال وجهه ينقبض بتوجع واضح ..

أسرعت بالاتجاه إليه وجلست بجانبه وفتحت الصندوق وهي تقول بتوتر :

__ انا اسفة انا آسفة بجد والله ما جه في بالى إن انت اللى واقف ..

رد بخفوت وهو يهمّ بأخذ الصندوق :
__ حصل خير خلاص، هاتى

ولكنها أبت أن يأخذه وقالت :

لا لا انا عملهاك

مش لازم ، انا هتصرف

والله أبدا ، كفاية عملتى السودا ، كمان مش
هساعدك؟

غيرت وضع جلستها فاستندت على ركبتيها لترتفع
وترى إصابته بوضوح ، وقالت :

حوش ايدك بالراحة

استجاب لطلبها وأبعد يده مصحوبة بالمناديل
،فسارعت هى بوضع القطن على رأسه مما أوجعه
قليلاً فاعتذرت فوراً :

اسفة معلىش

سارعت دموعها بالانسِيال على وجهها وهى تقول
،مواصلة عملها :

والله العظيم والله العظيم انا ماكنت أعرف ، انا
افتكرته حرامى .. كنت فاكرة فى حاجة مهمة ف
المكتب وهكون عملت فيكوا جميل عشان منعه
ياخذها .. آسفة والله آسفة

أجابها بعدم اهتمام :

خلاص يا جهاد سمعت "آسفة" دى ستين مرة
خلاص

ولكنها استطردت من جديد :

بذمتك واحد ساعدنى واستجدع معايا أكثر من مرة
ازاى هعمل فيه كدا؟ أكيد مش هقصد أذيته أبدا

لم ينظر إليها ولكنه أدرك بكاءها من صوتها فقال :

_ طب انتى بتعيطى ليه دلوقتى!

_ عشان انت أكيد مش هتسكت و ياهتجبسنى يا
هتطردينى م الشركة ، ومش هلومك والله انا عارفة
إنى بتاعة مشاكل وخنقتك .. بس انا ماليش دعوة،
معرفة كل حاجة بتكلم معايا كدا ليه!

_ طب امسحى دموعك بس وبطللى هبل
اختتم جملته بتأوه خافت ، فأسرعت تقول :
_ معلىش معلىش قربت اخلص خلاص.

وضعت قطنة كبيرة على موضع الجرح ثم قالت :

_ حظ ايدك هنا بس ثوانى

رفع يده على رأسه ووضعها على القطن مباشرة ،
بينما بدأت هي بتجهيز الشاش ونطقت :

ممكن اسألك سؤال؟ .. حوش ايدك واحدة واحدة

أنزل يده فيما بدأت هي بلفّ الشاش حول رأسه ،
فتألم فخر و ردد بحنق :

بالراحة يا جهاد بالراحة !

اسفة والله مخدمتش بالى ..

بادر بسؤاله :

سؤال ايه ده؟

_ هو حضرتك يعنى متعود تيجى الشركة دلوقتى؟

_ لا مش كثير .. بس كنت مخنوق وعايز مكان هادى
اقعد فيه شوية وبعدين امشى

بضع ثوان وانتهدت أخيرا من عملها ، ثم اعتدلت
وجلست وطالعتة بتفحص :

_ لسة بتوجعك؟

رد ضاحكًا :

_ أكيد مخفتش بسرعة كدا

_ حقك عليا، والله لو عايز منى أى تعويض قول عايز
ايه وهعمله حالاً

_ خلاص انا عارف إنك متقصديش ، حصل خير انا
مسامح

ابتسمت بهدوء وسكنها بعض الارتياح ، قبل أن
تسمعه يقول :

_ ممكن اسألك انا بقى, ايه اللي مقعدك هنا لحد
دلوقتي؟

_ متأخر عليا شغل وآخره معايا بكرة ، وحضرتك سيد
العارفين مستر حازم مش بيتهاون فى حاجة

_ بس مينفعش تمشى بالليل لوحدك كدا ، الساعة بقت

١١

ضحكت بقلة حيلة :

_ اعمل ايه بقى؟ لقمة العيش مش سهلة

_ لا لا قومي رّوحى وانا هكّم حازم اقول له إنك
هتكملى بكرة .. هو فى بنات تانى ف الشركة؟

_ اه سهى بس

_ طب روحى قوليلها احنا هنمشى دلوقتى ، وانا
هو صّلكوا عادى

_ لا لا على ايه .. سهى بيتها جنب الشركة على طول
أصلا ، وانا هكلم مروان يجى ياخذنى عادى
غلبها الصمت وشردت عينيها فى الفراغ قليلاً ،
لاحظها فخر وطالعتها بتساؤل للحظات ثم نطق
باهتمام:

_ سرحتى فى ايه؟

أفاقت ونظرت له وحلّت عليها ابتسامة حزينة :

_ انا كل شوية بفكر مروان لو مكانش موجود حياتي
كانت هتبقى عاملة ازاي ، انا ماليش اصحاب غيره
ولا في حد بيحبني ويستحملني غيره .. انا متأكدة إنه
لو مكانش موجود كان زمانى بيعيط كل يوم

اعتلته ابتسامة جانبية صغيرة ، قبل أن تواصل هي :

_ انا عارفة ناس كثير بس كلهم مبيحبونيش
وميتقالش عليهم كلمة صاحب .. يمكن بس عشان
بهزر كثير واخديتنى حاجة تسلى القعدة وخلص ..
لكن تعالى وقت الجد بقى؟ مفيش ولا واحد منهم بيرد
ع التليفون حتى!

لاحظ احتباس الدموع بمقلتيها ، فسألها قائلاً :

_مش يمكن انتى اللى مختارة ناس غلط؟

_أو المشكلة فيا انا !

اهتز صوتها أكثر فى جملتها التالية وازداد لمعان
عينيها بالحزن :

_انا اللى متحبّش.

_ليه بتقولى كدا؟

_عشان انا عارفة نفسى ..

ثم استرسلت بشئ من اللامبالاة :

_ واحدة متهورة ومبتكرش فى كلامها ولا أفعالها ،
عنيدة ولسانها طويل ومبتسمش نصايح حد ، عاملة
زى العيال الصغيرة ومبتعرفش تاخذ قرار صح ..
ماشية ورا دماغها وخلص ومبتحسبش نتايج اللي
بتعمله لحد ما تلبس فى الحيط وتلبس الناس معاها

_ بس ده مش معناه إنك وحشة

ضحكت باستخفاف من الأمر وقالت بعدم اهتمام :

_ وميشجّش حد يحبّنى بردو !

_ لا لا انتى غلطانة ..

قاطعه قبل أن يتابع :

_ أنا أصلا مبقتش اهتم بالموضوع ، لما بفكر بقول
لازم ابص للجانب الحلو ، ايه يعنى قائمة الصحاب

بتاعتى مفيهاش غير اخويا؟ مانا كدا مرتاحة ..
الناس بردو صداع وحواراتهم كثير

لاذ بالصمت واكتفى بمراقبة عينيها التي أصبحت غير
كافية لادخار المزيد من العبرات ، فأفرجت عن واحدة
أخذت طريقها على خدها ، تزامناً مع تحدثها بصوت
متحشرج ومهزوز :

_ انا بس خايفة اموت لوحدى..!

ظهر الحزن بمقلتيه واضحاً وهو يتأمل أعينها الباكية
وواصلت بشجن :

_ خايفة محدش يحضر فرحى لما اتجوز ، أو محدش
يحضر جنازتى ولا ياخذ عزايا ويدعيلى ..

سارعت بمسح دموعها وهى تجبر نفسها على الضحك والمزاح لتخفيف هذه الأجواء الكئيبة قليلاً :

_وانا صغيرة كان نفسى اصاحب قطط وأرانب وكان نفسى يكونوا بيتكلموا عشان نرغى مع بعض كثير ، كانت فى واحدة جارتنا مريياهم وكنت بروح لها كل يوم عشان العب بيهم ..

شعرت بلمسة باطن كفه على يدها تربت عليها بهدوء ، فنظرت لابتسامته الهادئة التى تعتليه واستمعت لصوته المريح يقول بهدوء :

_مستحيل يبقى كلك عيوب يا جهاد ..

ربت عليها مرة أخرى قبل أن يبعد يده ويقول :

_متفكريش كدا تانى .. ده انا حتى من ساعة ما
قابلتك مشوفتش فيكى حاجة وحشة

_عشان انت متعرفنيش ، انت متعاملتش معايا غير
مرتين تلاتة ، مقربتش منى ولا شوفت مواقف معايا
تعرفك شخصيتى من كل جوانبها

_حتى لو معرفكيش انا متأكد ان فيكى ع الأقل حاجة
واحدة حلوة

حركت كتفها بلامبالاة :

_ممكّن ، بس مش هتبقى كفاية عشان حد يتمسك بيا
ويتنازل عن كل العيوب اللى قولتها دى

_انتى ليه نظرتك لنفسك قليلة كدا؟

_انا واقعية ، مش عايزة اخدع نفسى بكلام فاضى

_بس ده مش كلام فاضى ، كل واحد لازم يبقى فيه
الخلو وفيه الوحش .. وانتى فىكى حاجة حلوة ،حتى
لو انتى مش واخدة بالك منها هى بردو موجودة

ردت بحيرة وعدم اقتناع :

_فين دى؟ وليه محدش شافها طيب!؟

صمت قليلاً ثم غلبته ابتسامة هادئة وهو يحنى رأسه
بخفة :

_انا ممكن اشوفها

طالعه بتعجب ، فأوضح قائلاً :

_انا ممكن انضم لقايمة الصحاب بتاعتك لو حاجة

حملت به باندهاش شديد و رددت بعدم استيعاب :

_ انا !!

هز رأسه بالإيجاب مرتين ، فعادت تتسائل مجددًا من
فرط الذهول :

_ انت عايز تصاحبني انا !؟

_ ايه المشكلة؟

دارت عينيها من حولها بعدم استيعاب ، حتى وجدت
نفسها تتسائل عفويًا :

_ ليه؟

أجابها بنفس هدوءه المعهود :

_عشان انا متأكد إن الحلو فيكى كثير ، واللى
مشافهاش هو كان قاصد ميشوفهاش عشان
مبيحبكيش بجد وعايز يحسسك إنك كلك وحشة ..
بس انا عايز اورّيهالك وتشوف فيها بنفسك ، حتى لو
حاسة إنك لوحدك دلوقتي .. بكرة هتلاقى اللى يحبك
فعلاً بكل مشاكلك ، المهم إنك دايمًا تثقى فى نفسك
وتتأكدى إنك زى مافيكى وحش فيكى حلو ، واللى
هيجبك هيجبك بعيوبك قبل مميزاتك

هتفت وعلامات عدم التصديق لاتزال بادية على
قسماتها :

_يعنى حضرتك احنا بجد هنبقى أصحاب كدا عادى؟؟

بينما رد هو ببساطة :

_عادى اه .. وهتبتلك كمان إن فيكى حاجات كثير
حلوة مش حاجة واحدة

لم يترك الذهول إنشاً من وجهها ونطقت بدهشة
واضحة :

_ انت ازای طیب اوی کدا !!؟!

اعتلته ابتسامة واسعة بامتنان ثم ردّ بإجابة لا علاقة
لها بالسؤال :

_ یلا عشان اتأخرتی

ضحكت بإحراج خفيف وقالت وهي تهتمّ بالنهوض :

_ معلش بقى دوشتك

أضافت قبل المغادرة باهتمام :

_ یاریت تروح المستشفى عشان انا مش ضامنة إن
اللى عملته ده كفاية ، وکمان عشان لو فى حاجات
لازم تتعمل تعملها بدل ما الجرح يتفتح تانى ولا حاجة

اوما بهدوء مجيباً :

_حاضر.....

*

*

*

أتى الصباح ولم يرجع فخر إلى المنزل قبل ذلك الوقت ،
فدخل بسيارته عبر البوابة حتى استقرّ بالجوار ..
ترجل منها وأغلقها ثم استعد إلى الدخول ، ولكنه
توقف فجأة وعاد ينظر إلى السيارة عندما لاحظ بقعة
صغيرة بجانب باب مقعد السائق ، فمسحها بيده
سريعاً ومن ثم اعتلته ابتسامة جانبية وهزّ رأسه
برضا عندما اختفت ..

ارتفع صوته منادياً الحارس الخاص بهم :

_صبرى !

لم يتأخر "صبرى" وأجاب فوراً :

_ايوة يافخر بيه ، أوامر

عدّل فخر من كلمته بمثل قبل البدء بأى حوار :

_مهندس ياصبرى ، مهندس مش بيه

ثم أفصح عن أمره مردفاً :

_عايزك بفوطة ناشفة ونضيفة تمسح التراب من
على العربية ..

وشدد على كلمته قائلاً :

**_ نضيفه بمعنى بتلمع يا صبرى ، مش تجيبلى أى قرف
من أى حته وخلص ، إن شالله تشتريها مخصوص
.. اظن كلامى واضح !
ثم أضاف بصرامة :**

**_ وتراعى ضميرك فيها عشان لو لقيت ذرة تراب
عليها هخليك تمسحها بلسانك ! .. واقسم بالله الإزاز
لو لقيته مبصم من إيدك هيتخضم لك اسبوع بحاله ..
مفهوم؟**

اوما بطاعة مجيبًا باحترام :

**_ تحت أمرك يا بشمهندس حاضر .. والى سلامة على
حضرتك**

تعجب فخر من جملة الأخريرة ثم تذكر سريعًا الشاش
الملتف حول رأسه فأجاب باقتضاب قبل أن يذهب إلى
الداخل :

__ الله يسلمك ..

دلف من باب المنزل ووقعت عينيه على خادماتهم
"سحر" وهي تقوم بتنظيف الأثاث ، وما إن نظرت
تجاهه ورأت إصابته حتى شهقت بفرع فأسرع يقول
:

__ خير خير انا تمام متقلقيش

اقتربت منه سريعًا وقالت :

__ سلامتک حصل ايه؟

حادثة صغيرة متشغليش بالك انا كويس

التفتا الاثنان لخطوات زياد على الدرج ،مرتديًا بنطالًا
من الجينز أزرق اللون وقميصًا شبابيًا من اللون
السماوى الفاتح

ما ان وقع نظره على أخيه المصاب، حتى اعتلته
ضحكة عريضة باندهاش صائحا :

ايه ده معقول اتعلمت من اخوك حاجة ؟!

هرول إليه سريعًا وتضاعف الضحك على وجهه وهو
يهتف بحماس :

احكيلى احكيلى عملت ايه .. مش كنت تستنى ابقى
معاك طيب ونتخايق سوا ؟!

نهره فخر باستنكار :

هو انا رايح حفلة يالا ؟! ، انت مخك بيفكر ازاي

أردفت سحر قائلة :
_ انا هحضرلك فطار سريع ماشى؟

نظر لها واوما بامتتان :
_ شكرا ياست سحر
ابتسمت بهدوء وتحركت بعيداً ، قبل أن يتساعل زياد
بفضول :

_ كنت بايت فين امبارح يامعلم؟

_ كنت ف الشركة ، نمت ف مكتب حازم لحد ما جه
صحانى هو

ثم سألته بقرف :

البومة صحيت؟

أجاب زياد :

معرفة بس مشوفتهاش

يارب دايمًا

استعد للتحرك والذهاب لغرفته فأوقفه زياد فجأة بعنف وجذبه من ثيابه إليه ليقربه منه ويهمس له بخفوت شديد :

اسمع !

تطلع له فخر بتعجب ، وتوقع أنه سيقول شيئًا مهمًا ؛ نظرًا لنبرته الجادة وطريقته العنيفة والسريعة في إيقافه ، ولكن لم يحدث ما يترقبه وسمعه يقول :

قول لحنان تجيب لبن عشان جيت اعمل شاي بلبن
النهاردة لقيته خلص

ظهر المثل على وجهه بوضوح ودفعه من وجهه
باشمئزاز :

غور من وشى !

ضحك زياد واتجه إلى الباب بخطوات سريعة ثم أغلق
الباب خلفه ، بينما اتجه فخر إلى السلم وصعد منه
بضع درجات ثم توقف فجأة عندما تحسس جيوبه ولم
يجد مفاتيحه ، فلم يتطلب الأمر منه وقتًا لإدراك فعلة
أخيه المخادعة ، وصك على أسنانه بغيظ قبل أن
يصرخ بأعلى صوته غضبًا :

زياداد !!

وصل صوته الجهورى إلى الخارج ليسمعه زياد ،
فضحك وركض إلى السيارة بسرعة وركبها ثم أدارها
وتحرك بأسرع مايمكنه

*

*

*

عند حلول وقت العصر ..

خرج مروان من إحدى الصيدليات المعروفة وتوجه
إلى جهاد التي كانت فى انتظاره بالخارج ، وتساءلت
بفضول وترقب :

ها؟
_

لم يجيبها سوى بالمثل وقال :

عبيطة ..
_

بدا عليها الإحباط وأردفت :

_ليه ياوش الفقر !

_معرفش هي مدخلتش دماغى ، وأصلاً جو اشوف عروسة فى مكان شغلها وبعدين نشوف فى قبول و لا مفيش وكل الهبل ده مبيدخلش دماغى ومش هعمله تانى

صدح صوت صغير يعلن عن وصول رسالة إلى مروان ، ففتح الهاتف وقرأ الرسالة من الخارج دون فتحها ، والتي اقتصر محتواها على :

"كلمنى عشان عايزة اقابلك النهاردة يامروان ،
النهاردة يعنى النهاردة"

زفر بكل ملل ثم أغلق الهاتف ، فسألته جهاد :

_ايه؟

البِت اللى اسمها عزة دى مصدعانى

ابتسمت بسخرية وقالت :

فاكر انا قولتلك ايه اول ما شوفتها؟ قولتلك البِت دى
مش عبيطة ومش هتعدّيها لما تعرف إنك بتلعب
وبتهزر معاها ..

هتف مروان باستخفاف :

ايه هتعمل ايه يعنى؟

هزت كتفها بلامبالاة :

الله أعلم ، بس متستهونش بيها أوى بردو ..

سيبك منها دلوقتي وخلينا في الأهم ، انا عايز
أعرف انتي ازاي خلّيتي فخر يحب يعمل صداقة مع
منظرك انتي؟

ضربته بكتفه بحنق ، ثم أجابت :

ـ ما نا قولتلك

ـ يعني مش انتي اللي قولتي نبقي اصحاب ؟

ـ لا خالص ، انا بس فضفضت له بكلمتين واتفأجنت
بيه بيقول لي كدا ، انا لحد ما روّحت مكنتش مصدقة
والله ، شكلي صعبت عليه ..

أردف بعدم رضا :

ـ الواد ده باين عليه جدع زيادة عن اللزوم وانتي
خسارة فيكي الكلام ده ، انتي لازم تاخدي على دماغك

وجهت له ضربة كالسابقة ولكن أعنف ,مما جعلته
يرجع للخلف من قوتها ، فردد بحنق :

والله لولا إنا فى الشارع كنت سيّقت بيكى الرصيف

*

*

*

كان يجلس "فخر" على طرف فراشه الذى يتوسط
غرفته الواسعة ، وأمامه يقف "عز" يقوم بمعالجة
جرح رأسه ،وقد بدأ بمسح آثار الدم بقطنة صغيرة
وهو يتحدث باستنكار :

_يعنى واحده ضربتك وفتحت لك دماغك وانت رايح
تقول لها يلا نبقى اصحاب ؟ ، او مال لو قدّمت لك
جاتوه كنت خدتها ع الشقة ولا ايه؟

ردد فخر بعدما ضربه ببطنه بقوة ،مما جعله يميل
للأمام بتوجع :

_لمّ لسانك يازبالة !

اعتدل عز وعاد لعمله وهو يقول بتذمر :

_لولا إنك مريض بس كنت كسرت لك إيدك دى!

مرت بضع ثوان انقضت فى الصمت واستمرار عز
فيما يفعل ، إلى أن تحدث فخر :

_بس ايه المانع يعنى طالما مستلطفها؟! ، اه هى
غبية ومتسرعة بس بردو تحسّها كدا غلبانة وعلى
نياتها ودمها خفيف ومش متكلّفة

شخصيتها بالنسبة لى جديدة وأول مرة أقابلها ، انا
عمرى ما قابلت حد بالبساطة والعفوية دى ..

ثم استطرّد :

_هى لذيذة وبسيطة ف كل حاجة ، فى لبسها
وتصرفاتها وهزارها .. تبان عبيطة من كُتر ماهى
مبتفكرش فى اللى بتعمله بس مش شايفها حاجة
وحشة بصراحة ,بالعكس شايفها دماغ رايقة

ضحك عز و رد عابثًا :

_فين حنين تسمع الكلمتين دول عشان تروح تقتلها
دلوقتى

تغير وجه فخر إلى الملل :

_ انت فصيل و...

انقطعت كلماته بصيحة عالية بألم عند شعوره بسائل
مجهول سكب على جرحه وصاح بحنق :

_ انت عملت ايه ، ايه اللي حطيته ده !!

بينما أجاب عز ضاحكًا :

_ ده مطهر ، معلى هو بيحرق شوية بس مهم

تحامل على نفسه ليتحمل أثناء إتمام عز لفّ الجرح
بإحكام ، ثم استمعاً لدقات خفيفة فوق باب الغرفة ..

أذن فخر بالدخول ، لتدلف خادمتهم الشابة "حنان"
وبين يديها طبق صغير يضم بضع أنواع من الفاكهة
،وهى تقول :

ست سحر بعثالك شوية فاكهة يا بشمهندس

حثها على الاقتراب قائلاً :

لا لا تعالى كدا ..

سارت إليه حتى وقفت بالقرب منه ،فمد يده والتقط
التفاحة الحمراء فقط من الطبق ثم قال :

بس كدا ، خدى الباقي مش عايزه ..

ليسرع عز بأخذ الطبق منها هاتفاً :

_ انا عايزه.

صاح فخر :

_ انت لسة واكل تحت

أمسك عز بثمره من الجوافه وأكل منها قضمه ،
وأجاب ببرود :

_ هاكل تانى.

_ احنا بنصرف عليك ولا ايه؟

_ ده أجر شغلى فى دماغك يا حبيبي

ضحكت حنان بخفة ثم قالت :

_ عن اذنكوا

همّت بالخروج ولكن أوقفها فخر بصوته :

_حنان

تطلعت إليه بانتباه فكشف عما بجعبته بصرامة
شديدة:

_دى تالت مرة وآخر مرة هحدرك تدخلى أوضتى
تانى وانا مش موجود

اعتراها التوتر بعض الشئ وأجابت :

_ ا.انا كنت بنضف بس

_ وانا مطلبتش حد ينضف ، ولو طلبت مش هطلبك
انتى ،وانتى عارفة كدا ..

دارت عينيها يمينا ويسارا باحراج ، قبل أن تنتبه
لمواصلته الحديث :

_حنان انتى بسمة هي اللي جابتك تشتغلى هنا .. وده
معناه إني عمرى ما هتق فيكى ولا هتق بك أصلا ،
وبالتالى ده معناه بردو إني هتلكك عشان امشيكى من
هنا ، ف حاولى متدنيش الفرصة وتجنبينى خالص !

رمشت عينيها عدة مرات بشكل سريع ولم تنتظر
مباشرة بعينه من شعورها بالإحراج ، قبل أن يأمرها
بالخروج :

_يلا اتفضلى شوفى حالك ..

اكتفت بإيماءة خفيفة واستدارت إلى الخارج سريعا
وأغلقت الباب من خلفها ..

نظر له عز وفمه ملئ بالطعام :

_وبتتکلم علی زیاد؟ ده انت دبشک أنیل منه !

أشاح فخر بیده بضجر :

_بلا قرف

سأل عز بفضول :

_انت عرفت منین إنها دخلت وانت مش هنا؟

رفع سبابته مشيراً للساعة المعلقة على الحائط من
خلف عز ، فأدار عز رأسه لينظر صوب إشارته ولم
يفهم فأعاد بصره له متسائلاً :

_ایه؟

أوضح فخر :

_ في كاميرا صغيرة في الساعة

طالعه عز بصمت للحظات قبل أن يتساءل بتعجب :

_ انت حاطط كاميرة مراقبة ف أوضتك؟

أجاب بمنتهى اللامبالاة :

_ عشان لو بسمة قررت تقتلنى وانا نايم ولا حاجة
يبقى فى دليل

شعر عز بأن الطعام وقف بحلقه بمجرد وقوع هذه
الكلمة على مسامعه ونطق بتوجس :

_ ايه !!

ثم صاح بعدم تصديق :
_مش هتوصل للدرجة دي لا !

رمقه فخر بعدم اهتمام وهو يقول :

_انت متعرفهاش زيي يا عز ، النيلة دي متجوزة ابويا
عشان الفلوس وبس ، ومعندهاش مشكلة تخلص من
أى حد يقف قدامها , وانا أبرز المرشحين لمعارضة
طريقها ومستبعدش تحاول تعمل فيا حاجة

حملك به عز بعدم استيعاب :

_ايه ياعم ده! ، انت عايش فين هنا؟!؟

_وكر ! .. عايش فى وكر عصابات

طرح ردّه بملل والتزم الصمت من بعده ، إلى أن
استمع لصوت عز يقول وهو ينظر بالطبق :

مالها الفروالة دي مفعّصة كدا ليه !

*

*

ركض الصغير "عبدالله" إلى والدته بمجرد دخولها
من الباب ، فابتسمت له "مى" واحتضنته بحنان وهي
تقول :

اتأخرت أوى كدا؟

أجاب بحزن وهو يتعلق بذراعيه القصيرين فى رقبتها
ايوة انتى من امبارح وانتى برا البيت

ربتت على ظهره بهدوء مردفة :

_معلش يا حبيبي جدو كان لو حده وكان لازم اقعد معاه
، مش قولتك كدا امبارح فى التليفون؟

تملّص عن أحضانها لينظر لها قائلاً بحزن لم يخلُ من
برائته التي تذيب قلبها :

_خلاص تاخدينى معاكى ياماما متسيينيش هنا

ابتسمت وسارعت بتقبيل وجنته بحنان وهي تقول :

_عنيا ياروح ماما , المرة الجاية هاخداك معايا

صمتت قليلاً ثم تساءلت ضاحكة :

_هى القعدة مع بابا وحشة ولا ايه؟

دخل صوت زوجها بالحوار معلّقا :

_لا وحياتك ده بابا نفسه اللي وحش!

تصوّبت مقلتيها له ثم رفعت رأسها بكبرياء قائلة :
_كويس إنك عارف

ضحك "حازم" واقترب منها حتى وقف بمواجهتها
مباشرةً وسألها عابثًا :
_طالعة من قلبك دي؟

أجابت بعناد :
_من أعماقه

ليسارع عبدالله بالرد قائلاً :
_ليه بس ياماما والله بابا طيب ..

ابتسم حازم ونظر له بفخر :

_ ابن ابوك صحيح

واصل الصغير مضيئاً :

_ مع إنه ساعات بيصدقنا بالزعيق بتاعه

للتغير كلمة حازم فوراً بعد تغير تعبيرات وجهه إلى
الصدمة والتذمر :

_ ابن كلب !

نظر له عبدالله وضحك ، بينما نظر حازم إلى زوجته
وقال :

_ انتى تربيتك فشلت على فكرة

هتفت مى باعتراض :

_ هو ابنى لوحدى ولا ايه؟ ماتعمل انت حاجة

_ لا هو المفروض انتى اللى عليكى تلت اربع
الموضوع لأن انتى اللى قاعدة معاه أكثر منى

_ وانت ليه متقعدش معاه زىي؟

_ عشان بشتغل ، اومال اطفحكوا ازاي؟!

ارتفع صوتها بحنق :

_ انت هتذلنا باللحمة ! ، ماهو واجبك على فكرة انت
مش بتعمل فينا جميل

_ ماشى وانا بعمل واجبى ، اعملى انتى واجبك بردو
زعلانة ليه؟

_ لا يا حبيبي مين قال لك إن تربية العيال على الأم
بس؟

ابتعد عبدالله عنهما واتجه إلى المنضدة ليلتقط الهاتف
من فوقها ويقوم باتصال ، أثناء متابعة الجدل بين
والديه ..

_ انا مقولتش على الأم بس ، انا قولت غالبيتها
عليكى

ردت مَيّ بسخرية :

_ لا نصها بس اللي عليا ونصها عليك .. ولو ائى
مضمنش إنك هتفلح ف النص بتاعك وانت أساسا
مشمّتش التربية ولا تعرفها

اتسعت عينيه باندهاش :

_ انا مش متربى يامى؟!_

_ايوة ، الحركات دى مش هتطلع إلا من واحد مش
متربى

_ لا انا لو مكنتش متربى بجد كنت عملت فيكى البِدع
انتى وابنك !

_ايوة ايوة بان على حقيقتك واطلع بندالتك يلا

انتبه الصغير للطرف الثانى عندما فتح الخط ، وتحدث
بلامبالاة :

_ايوة ياجدو بيتخانقوا اه ،ملحقتش تطلع
الجزمة حتى افتح لها الباب بقى عشان زمانها
رجعالك تانى

*

*

*

فتحت "حنين" باب شقتها لتستقبل خطيبها بابتسامة
واسعة ،ولكنها اختفت فورًا وحلّ مكانها الذعر
وصاحت فجأة :

_ايه ده !!

أسرع "فخر" يوضح بهدوء :

_انا تمام مفيش حاجة

سألت بخوف واهتمام :

_ايه اللي حصل؟

_اتخبطت

_اتخبطت فى ايه؟

_متحطيش فى بالك انا كويس والله

أَلقت نظرة خاطفة على موضع الشاشة تحديداً ثم
عادت تنظر لعينيه تتساءل :

_حصلت امتى ؟

_امبارح بالليل

_وليه مكلمتيش!؟

_ لا بصى انا وقتى ضيق ولازم ارجع البيت بدرى
عشان الست عمى جاية ، ف هتنزل بقى ولا هنضيع
الوقت هنا؟

أردفت بتأفف :

_ يادى الست عمك اللى طلعتلى فى البخت ! انا كل ما
اتلمّ عليك شوية تقول لى عمك جاية

_ اعمل ايه طيب؟ ما لو بمزاجى مكنتش فتحت لها
الباب أصلاً

ضحكت بخفة ويأس ، ثم أردفت باستسلام :

_ طب ثوانى هجيب شنطتى

*

*

*

أتى المساء واجتمعت عائلة (تليد) فى بهو المنزل
الواسع ؛ وبالطبع لم يكن تجمعاً مليئاً بالمحبة ، بل الكل
يخدع الكل ويرسم ضحكات مزيفة ويتسامر دون
صفاء ..

صاحب المنزل الخمسينى يجلس لا يظهر عليه اهتمام
بأى أحد ؛ فقط يشارك لتجنب لوم أخته المزعج
وتوبيخها لعدم استقباله لها ..
وبسمة بجواره تتحدث وتتعامل بطيبة واضحة ؛ لإقناع
زوجها بمدى نقاء قلبها وبراعة روحها الملائكية ..

بالإضافة لناهد التى لا تقم بتلك الزيارات بسبب حبها
لأخيها بالطبع ، بل رغبةً فى تزويج ابنتها لولده
الأصغر ؛ طمعاً فى ثروة أخيها ..

وكالعادة ابنتها الهزيلة تجاورها دون المشاركة في الحديث بحرف واحد ..

أما الإخوان الثلاثة فهم ينضمون لهذا التجمع رغماً عن أنوفهم ؛ فقط لعدم رغبتهم في خوض شجار وتعنيف مطول من أبيهم لعدم استقبال عمتهم ؛ وكان الأمر يهمه حقاً ..

استأذن منهم زياد قائلاً :

عن اذنكوا يا جماعة هروح الحمام ..

وتحرك فوراً مبتعداً عن الجميع ، تاركاً أخاه وأخته يجاوران بعضهما على الأريكة يسليان بعضهما بالهاتف ، فكان فخر يريها بعض المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي ويبادلها الضحك بصمت ؛ غير عابئ بكل ما حوله ..

انتقل إلى معرض الصور ، ثم عاد يريها الشاشة
قائلًا:

اتصورت الصورتين دول من يومين ، اختارى
الأحلى

ترددت عينيها بين الصورتين بتفحص وتركيز وكأنها
ستتخذ اختيارًا مصيريًا ، إلى أن استقرت أخيرًا على
واحدة منهما :

دي

أجابها معترضًا :

والله انتى عامية ، الثانية أحلى

وكزته بمرفقها فى ذراعه قائلة بحنق :

متأخذش رأيى تانى بقى طالما واخذ قرارك من
الأول

.

صدح صوت رنين هاتف ياسمين فأخرجته من جيب
بنطالها ونظرت بإسم المتصل..

دق قلبها فور قراءتها إسمه ، قبل أن يراودها التعجب
عن سبب اتصاله ، فأجابت بخفوت :
_ الو ..

_ اعملى نفسك هتكملى المكالمة برا واطلعي ع
الجنينة

صمتت قليلاً ثم كررت ردها رغم أنها سمعته جيداً :
_ الو؟ ... مش سامعة كويس

ثم نظرت للجميع وقالت :
_معلش عن إذنكوا دقيقة

أوقفتها والدتها قبل أن تذهب :
_مين اللي بيتصل؟

_دى منة زميلتى فى الكلية

_وهو لازم تكلمها برا؟

_الشبكة بس مش كويسة هنا شوية ، متخافيش مش
_هتأخر

اتجهت إلى الخارج بسرعة ; ولم تكن تعلم أنها لم
تغلق الخط بعد ، وأنه لا يزال يستمع إليها ، فتمتم زياد
بمئل بعد سماع حوارها مع والدتها :

ده انتى ولية خنيقة!

.

.

خرجت ياسمين وسارت بضع خطوات إلى الحديقة
الواسعة الخاصة بالمنزل ، حتى وقع نظرها عليه
فاقتربت منه وحطت على وجهها ابتسامتها الرقيقة
التي اندثرت تحت مساحيق التجميل الكثيرة التي
شوهدت براءة ملامحها ونعومتها .. وقالت ضاحكة
بعد وقوفها أمامه مباشرة :

فى ايه؟

أجاب بعدم اهتمام :

_مش برتاح فى الجو العائلى الفكسان ده

تحرك إلى المقعد الواسع الذى يتوسط الحديقة وقال :

_تعالى اقعدى.

استجابت له وجلست بجانبه ، تاركة مسافة ملحوظة
بينهما ..

انكشيت على نفسها قليلاً وألصقت قدميها ببعضهما
من التوتر ؛فهذه أول مرة فى حياتها تجلس معه
بمفردها ..

استمعت له وهو يقول بضحكة خفيفة :

_يعنى حظيتى ميكاب تانى! انتى مصدقتيش لما

قولتلك إنك أحلى من غيره ولا ايه؟

أوضحت بهدوء :

_ لا انا أصلا مش بحبه ، بس ماما بتخليّني احطه
بالعافية

اوما بفهم ثم قال :

_ طب ليه مقولتلهاش زياد قال لى إنه وحش؟

أجابت بإحباط :

_ قولت .. بس مصدقتنيش ، هي عارفة انى بكرهه ف
افتكرتني بحورّ عشان محطّش ..

ضم شفّتيه بعدم رضا قائلاً :

_ امك دى ست weird " غريبة" ودماعها تعبانة

طالعه بتعجب و ردت باستنكار :

_دى امى على فكرة!

_معلش هى الحقيقة بتزعل دايمًا

هتفت بسخط :

_انت ديش ليه؟

رد ضاحكًا :

_خلاص لامواخذه منقصدش

سكتت لبرهة ثم تسائلت :

_طب انت اا ، كنت عايزنى اطلع عشان تسألنى على

الميكاب بس؟

أجاب ببساطة :

_ لا نتكلم شوية عادى ..

حركات كتفها بخفة هاتفة بتعجب :

_ اول مرة يعنى تطلب تتكلم معايا ..

أطال النظر لها قليلاً ثم أجاب :

_ عشان أول مرة اشوفك صح

_ صح ازاي؟

_ على حقيقتك يعنى ..

و استرسل قائلاً :

ياسمين انتى لو مكنتش اتكلمتى معايا وقولتى اللى
جواكى ده كنت هفضل طول الوقت فاكِر إنك زى أمك
..

بس كلامك هو اللى خلانى اديكى فرصة ، وبعد ما
خرجتى معانا مرتين اكتشفت إنك أتفه بكتير من اللى
كنت فاكِره

هتفت باستنكار :

أتفه؟

أوضح قائلاً :

مش قصدى أحقر ، قصدى أقل

تضاعف التعجب على وجهها أكثر مردفة باحتجاج :

أقل ايه يازياد !؟

أسرع يفسر كلماته الغبية :

_مش قصدي قيمتك أقل لا .. يعني انا كنت فاكرك
سوسة وبتاعة لف ودوران بس طلعتي طيبة وغلبانة
.. ده كل اللي اقصده

_طب ماتقول كدا من بدرى ، مش صعبة يعني

أجابها بالضحك وهز رأسه تعبيرًا عن الاعتذار ، ثم
خيم الصمت للحظات قبل أن تتساءل ياسمين باهتمام
:

_طب وانت ايه اللي خلاك تصدق كلامي؟

_عشان انتي طلعتي هبله والشخصية دي استحالة
تعرف تحور

كساها الضجر بشدة بعد سماع رده وقالت بيأس :

_ زياد انت بتبقى كويس لحد ماتفتح بؤك

ضحك وقال :

_ طب خلاص خلاص هقول لك حاجة حلوة هتعجبك

رددت بملل :

_ اتفضل

ظهرت ابتسامة مميزة فوق ملامحه الحادة وقال :

_ انا مبسوط إننا بقينا أصحاب وهحب اساعدك لو
طلبتى أى حاجة منى .. ايه رأيك؟

**ده بجد ولا انت بس بتراضيني بعد العكّ اللي فات
ده؟**

أجاب ضاحكًا :

لا والله بجد

**طال النظر بينهما قليلاً ، ولم تفارق بسمته ثغره ، في
حين بدأت ابتسامتها تغزو محياها تدريجياً حتى
أخفضت نظرها أرضاً بخجل وأجابت بخفوت :**

شكراً ..

**أعدت بصرها إليه تطالعه بامتنان واضح وأكدت على
شكرها قائلة :**

شكراً بجد يا زياد

رد ضاحكًا :

قوتلك كلهم بيقولولى زيزو

اتسعت ابتسامتها الناعمة وأومات بهدوء ثم نطقت
بهذا اللقب الذى يحرص على ألا يناديه أحد به إلا
المقرّبين فقط :

ماشى يازيزو ..

*

*

*

بأحد الشوارع الجانبية الخالية من الناس إلى حدٍ ما

..

لم يكن يضىء الشارع سوى مصباح واحد يقع بأوله ،
وعلى بُعد مسافة صغيرة كان أحدهم ملقى بالجوار
،مستلقٍ على جانبه فاقدًا وعيه تمامًا ..

سار أحدهم بالصدفة في هذا الشارع فرآه ، اعتراه
الذهول بشدة وركض إليه فورًا لعرض المساعدة ،
حرّك جسده ببطء وهدوء ليجعله يتسطح على ظهره ،
وحاول إفاقته ولكن لم يستجب له مطلقًا ..

كان هذا الراقد بالنسبة للشاب شخصًا غريبًا يحتاج
إلى المساعدة وحسب .. ولكنه في الحقيقة كان
مروان !.....

يتبع..

الفصل الحادي عشر {هو والفراشة}

أتى الصباح ومرّ بشكل اعتيادي روتيني على الجميع
إلى أن حلّ المساء الذي قضته ياسمين في محاولاتها
المستمية لإقناع والدتها بالخروج ..

ياماما فيها ايه لو روجت لوحدى؟ انا عارفة طريق
المول وهرف اجيب كل حاجة عادي

هكذا تحدثت وهي تقف بوسط ساحة منزلها ،لتعارض
إصرار والدتها على مرافقتها لشراء بعض الأشياء
؛فلم تسمح لها ناهد يوماً بالاعتماد على نفسها
والنزول وحدها ولو حتى لأقرب الأماكن للمنزل
،وكانها في الخامسة من عمرها ..

ردت ناهد باستنكار قائلة :

_تجيبى ايه؟ انا عارفاكى لو روحتى لوحدك هتنقى
أنيل حاجة وتجيبيها ، ده غير انى قولتلك قبل كدا
نزول لوحدك استحالة يحصل تحت أى ظرف غير
الجامعة ..

تساءلت ياسمين بضيق :

_طب وليه مع اصحابى مرفوض بردو؟

_عشان مش ضامناهم يا حبيبتى وانتى هبله كدا
يعملوا فيكى حاجة

_يعملوا ايه ياماما؟ , ياماما السيناريوهات اللي
بتفكرى فيها دى انسيها شوية ارجوكى .. وبعدين انا
مش هبله زى مانتى فاكرة كدا

_هبله وعبيطه كمان ، هو حد عارفك غير أمك؟
طالعتها ياسمين بعدم استيعاب للحظات ؛ فمن غيرها
السبب فى هذا؟

حتى إن كانت فعلاً بهذه الحماسة التي تظنّها والدتها
، فكل الفضل يعود لمجهودها فى إلغاء شخصيتها
طوال الوقت !..

وليقين ياسمين الشديد بأن والدتها ليست ممن يأخذ
النقاش بصدر رجب ،لم تعقب ولم تقل شيئاً وعادت
لموضوعها الرئيسي ،فطرحت فكرة أتت على بالها
للتو ؛لا تدري إن كانت صائبة أم لا ،ولكنها الوحيدة
التي ستحررها من قيود والدتها ..

_طب لو زياد هيجى معايا هتسيبيني اروح معاه
لوحدى؟

صبت ناهد كامل اهتمامها وتساءلت بتعجب :
_زياد؟!!

اعتراها التوتر قليلاً وهى تجيب :

_اه ، يعنى احنا خرجنا مرتين سوا ومش هيمانع لو
قولتله يجى معايا ، ويردو انتى عارفة لو جه أكيد

الاحسن إننا نبقى لوحدنا عشان ياخذ راحتته ف الكلام
شوية غير ماتبقى معانا ويبقى مربوط بوجودك ف
ميتكلمش براحته يعنى ، مش انتى عايزانا نقرب من
بعض شوية؟

سرعان ما اعتلت ناهد ابتسامة عريضة وأحاطت
ذراعيها بكفيها تربت عليهما بفخر وهى تقول :
_ أخيرا ابتديتى تفكرى فى مصلحتك صح

أنزلت يديها و أومأت بهدوء :

_ لو هيوافق يروح معاكى فعلاً ماشى ، انا أكيد
ضامنة ابن اخويا

شعرت ياسمين بالأمل وكأنها رأت بصيص النور
بآخر النفق المظلم ، وليس عليها فقط سوى الركض
تجاهه ..

لا يهم إن شعرت بالإحراج لطلب المجيء من زياد ،
يكفى أنها لأول مرة ستنزل إلى الشارع بدون أمها
وهذا كل ما يهمها الآن ..

هزت رأسها بحماس وهرولت إلى غرفتها بعد قولها:

__ ماشى هبعته ..

*

*

*

جلس زياد فوق الكرسي الخاص بمكتبه في الشركة ،
ويده اليمنى مشغولة بكوب من الشاي بالحليب واليد
الأخرى تمسك بالهاتف يتفحصه بلا هدف ..

فتح تطبيق التواصل الاجتماعي "واتساب" وبدأ
بمشاهدة بعض الحالات المنشورة من الأصدقاء .. أو
للدقة هو يظهر لهم أنه شاهدها ولكنه في الحقيقة
أسرع يمررها واحدة تلو الأخرى ولم يتوقف إصبعه
عن الضغط السريع المتتال في الشاشة ، لينته منها
دون النظر بأى واحدة ;ولو من باب الفضول حتى ..

عاد لقائمة المحادثات وراح يقلب بها قليلاً حتى لفت
نظره أحد يكتب له ، فأوقف الشاشة وألقى نظرة على
اسم صاحب المحادثة "Yasmine"

ظل يراقب ظهور كلمة "typing" (يكتب ..)
وإختفاءها أكثر من مرة ، لتعلن عن تردها في
الإرسال وعدم استقرارها على الكلمات التي يجب
قولها ..

غلبته ابتسامة جانبية ورفع كوبه لشفتيه يحتسى منه
القليل باستمتاع ، وعينيه لا تفارق الشاشة ؛فضولاً
لمعرفة قرارها الأخير ؛ هل ستفصح عن مبتغاها أم
ستراجع ..

*

*

*

راحت تتردد بساحة غرفتها ذهابًا وإيابًا وهي تحاول
اختيار أسلوب جيد لقول ماتريد .. إلى أن توقفت عن
التحرك وركزت فيما تكتب :

"ازيك يازياد؟ انا كنت نازلة المول اجيب شوية
طلبات ايه رأيك تيجي معايا؟"

لم ترسلها وتطلعت من حولها بتردد وعدم رضا ، ثم عادت تمسح نصفها الأخير لتتغير الرسالة إلى :

"ازيك يازياد؟ انا كنت نازلة المول اجيب شوية طلبات وكدا ، لو مش وراك حاجة وحابب تنزل تشتري حاجة برديو ممكن استنّاك نروح سوا"

ضغطت على زر الإرسال ثم عادت تقرأ رسالتها أكثر من مرة ، فلم تشعر بالرضا عنها أيضاً وهزت رأسها بالنفي مهمة مع نفسها :

لا لا ملزقة وغبية

أسرعت تحدها لتمسحها ولكنها توقفت عندما لاحظت ظهور العلامة الزرقاء تؤكد أنه رآها فاتسعت عينيها قليلاً وفوراً دق قلبها بشكل مربك بل وحتى مؤلم ؛ فكان التوتر ارتفع لذروته من التفكير فيما سيقول وما الفكرة التي أخذها عنها بعد طلب كهذا

زادت ضربات قلبها عندما رآته يكتب ، ولم يأخذ
الأمر وقتًا ، واقتصر رده على :

"اشطأ يلا بينا انا فاضى"

ثم ألحقها برسالة أخرى :
"هدى عليكى كمان نصاية"

ضحكة عريضة احتلت ثغرها بوضوح ; لو رأت مدى
اتساعها لنعنت نفسها بمجنونة أو بلهاء ..
سارعت بالركض إلى الخارج حتى قابلت والدتها
الجالسة على الأريكة وهتفت بحماس :

وافق ياماما

انتبهت لها "ناهد" وقالت :

_ مسمعتكيش بتتكلّمى يعنى

_ لا انا بعنت له واتساب

نهضت ناهد قائلة :

_ ورّينى قال ايه بالظبط؟

فتحت ياسمين هاتفها وأرتها المحادثة , فظهر
السرور على وجه ناهد وأعدت نظرها لها قائلة :

_ لازم بقى تجهزى كويس اوى و ...

أسرعت ياسمين تقاطعها قبل أن تسمع ماتعلمه
بالفعل:

_ماما ماما من فضلك انسى كل ده ، لو عايزانى
اكتسب زياد سيبينى أكسبه بطريقتى ، انا فهمته
وعارفة دماغه

هتفت ناهد باستخفاف واستصغار :

_هتعملى فيها ناصحة ياختى؟ زياد ايه اللى عرفتى
دماغه من مرتين خرجتوا فيها؟!

_ماهو طريقتك دى بردو مش هى اللى هتجيب
صدقينى

_بقولك ايه اسمعى الكلام وانتى ساكتة ومتجادليش
معايا

_طب هقول لك حاجة بس ، انتى عارفة انى بلبس
هدوم عادية ومبخطش حاجة ف وشى وانا رايحة
الجامعة صح؟ ، وأول مرة خرجنا فيها جالى الجامعة

وشاف شكلى كدا ، ومقلش منى بالعكس ده جالى
مرة تانية وخرجنا تانى بنفس شكلى .. ودلوقتى وافق
اهو يجى معايا ، معنى كدا إنه مش كاره شكلى
العادى

_ايوة بس مش بيشدّه بردو

تتهدت ياسمين بإحباط؛ فهى على علم تام بعناد أمها ،
فقالته بهدوء :

_طب خلاص نقسم البلد نصين .. هحط ميكاب عادى
بس مش الكمية اللى بحطها دى ، هحط حاجة خفيفة
بس .. وهلبس حاجة كويسة وشيك بردو بس مش
زى اللى بتختارها ، ماشى؟ عشان خاطر اسمعى
كلامى مرة واحدة وشوفى

التوت شفتى ناهد بعدم اقتناع ولكنها أعلنت الخضوع
بعد نظرات ابنتها الراجية :

لما نشوف

*

*

*

على أحد المقاعد المقابلة لكورنيش النيل ، حيث نسيم
الهواء الخفيف والكثير من الناس الموزعين على
طول الكورنيش بأكمله .. كان يجلس "فخر" وحده
شاردًا ، عينيه مصوبة في اللاشئ ورأسه لا يزال
محاط بالشاش الذى يحكم جرحه ..

يرتدى قميصًا من اللون الكحلى مفتوحًا منه أول ثلاثة
أزرار ، ويصحبه بنطال من الجينز من اللون البيج ،
وساعة يده الأنيقة تلمع بمعصمه الأيسر ..

اخترق خلوته صوت رقيق يقول :

"بتفكر هتنتقم منى ازاي ،مش كدا؟"

التفت لها فور سماعها وضحك بخفة :

لا مش اوى

كانت ترتدى بنطالاً واسعاً من الجينز مع رداء مفتوح
من اللون الأخضر القاتم يصل إلى أعلى ركبتيها
،ويظهر من تحته قميصاً قطنياً أبيض اللون ، تترك
شعرها الأسود الطويل ينسدل على جانبي وجهها
وعينيها كالعادة تتزين بالكحل ..

بادلته "جهاد" الضحك وأردفت بتوجس مازح :

شكلى محتاجة اختفى من وشك اليومين دول

ضحك بهدوء ثم أفسح لها المجال قليلاً وهو يقول :
_تعالى اقعدى ..

غلبتها ابتسامة واسعة واستجابت له وجلست بجانبه
،تاركة مسافة صغيرة بينهما .. وقالت :
_انت متعود تيجى هنا؟

_لا مش دايمًا ، انا جيت الشركة قعدت مع حازم
شوية واخويا المحتال خد عربيتى من ورايا ، فجيت
عشان الكورنيش قريب من الشركة بس ، وبعدين
هاخد اوبر واروح ..

تحدثت هى باسترسال :

_انا بقى باجى هنا كتير ، ولما شوفتك قاعد قولت
آجى أسأل عليك واشوف يعنى روحت المستشفى ولا
لا

رد باطمئنان :

_ انا تمام ، ابن خالى دكتور ، جبته البيت عمل كل
حاجة و خلاص يعنى يومين وهشيل الشاش ده ..

_ الف سلامة عليك ، والله انا ...
قاطعها سريعاً قبل أن تكمل :

_ اوعى تقولى آسفة !

ضحكت بعنف حتى انغلقت حدقتيها من وسع
ضحكتها:

_ انا كنت هقول كدا فعلا

بادلها الضحك مجيباً :

_ ما انا توقعتها من أول ما شوفتك واقفة جنبى أصلا

تبقى من ضحكتها ابتسامة صغيرة فقط على وجهها
وعمّ الصمت لبرهة ، حتى تحدثت من جديد :

_ يعنى حضرتك أكيد تمام؟

قطب حاجبيه بتعجب وطالعها بجانب عينيه :

_ حضرتك؟ ، انتى مش اتفقتى معايا هنبقى اصحاب
ولأ رجعتى فى كلامك!؟

اعتلتها ضحكة واسعة وهى تجيب :

_ لا انا بس متعودتش يعنى ..

ثم هتفت باهتمام :

طب خلاص طالما بقينا اصحاب مش المفروض
تعرفنى عليك شوية؟

أدار جسده ناحيتها قليلاً تعبيراً عن ترحيبه بالأمر
وقال :

اسألى وانا هرد

ردت ضاحكة بهدوء :

لا عادى عرفنى على نفسك بس

أوما بفهم وأجاب :

ماشى ياستى .. انا اسمى فخر عامر تليد ، عندى

٢٩ سنة وخريج هندسة معمارى ، بس حالياً

مبشتغلش .. كنت شغال فى مكتب وسيبته من شهرين

ولسة بشوف مكان جديد .. عايش مع ابويا واخواتى

،وبحب عربيتى والتفاح الأحمر

ضحكت من جملته الأخيرة ثم سألته :

_وايه تانى؟

أجاب بشئ من الامبالاة :

_مش هرسم لك صورة مثالية عنى بقى ، انا عصبى
بغباوة الحقيقة ، وساعات الغضب بيعمينى ويخلينى
اتهور واعمل تصرف اندم عليه بعدين ..

هتفت باندهاش :

_معقول؟ ، ميبانش عليك خالص ،مش لايق مع
الشخصية اللى اتعاملت معاها خالص

رد ضاحكًا :

_ماهو عشان محصلش حاجة تخرّجنى عن شعورى

_ايوة بس انت يعنى طريقتك راسية اوى وبيشع منك
هدوء انا مشوفتش زيه فى حياته أصلا ، مش
متخيلاك وانت متعصب خالص

أردفت جملتها الأخيرة بضحكة صغيرة ، فضحك معها
وهو يقول :

_احسن متخيليش ،مش ببقى حلو خالص بجد
_بس قصاد ده بردو انت فيك مميزات مش فى حد ،
أولهم شهامتك ..
وتابعت ضاحكة :

_انت جدع بشكل يخوّف والله ، اللى هو مش معقول
فى حد ابن اصول للدرجة دى

ضحك بتعجب :

_ليه وانا عملت ايه يعنى؟

لا عملت كثير يا بشمهندس ، مش أى حد يعمل اللي بتعمله ده ، يسلم اللي ربّاك بصراحة

طال نظره لها قليلاً حتى شردت عيناها ، وارتسمت بسمّة واسعة على محياها .. ابتسامة مُحبة لوالدته عند مرورها على عقله بمجرد ذكر "جهاد" لسيرة من ربّاه ..

ومن غير الجميلة "أمنية" حرص على تربيته ليغدو حنوناً وصافى القلب ؟

لطالما تساءل كيف كان سيكون لو لم تكن هذه المرأة الصبورة والصامدة هي والدته؟ وماذا لو كان تُرك مع والده وعمته ليتربى على الخبث والقساوة مثلهما؟

مجرد تفكيره بهذا يشعره بالغثيان ،مما يجعله يسارع
بترديد " الحمد لله " امتناناً لوجود تلك السيدة ،التي
يجزم أن الدعاء لها فى كل دقيقة لباقى حياته سيكون
أقل ماتستحقه ؛جزاء ما تحملته طوال عمرها ..

أفاق من شروده على صوتها وهى تقول برقة :
_ طب اقول لك عنى انا شوية؟

ابتسم وأوماً بإنصات :

_ اظربنى ياكروان..

ثم أسرع يهتف بعدم رضا :

_ انا الكلمة دى ملازمانى من زمان يخربيت كدا !

ارتفعت ضحكاتها من طريقته ، ثم بدأت فى التحدث
بشئ من الإيجاز :

_ انا اسمى بقى جهاد نصر ، عندى ٢٧ سنة وخريجة
تجارة ، اشتغلت فى شركة زمان كدا بس كانت على
قدها وكان صاحبها بصراحة راجل ميتعاشرش
، ومرتبها كان قليل ف سيبتها والحمد لله ربنا كرمنى
واشتغلت فى شركة والدك ، عايشة لوحدى وبحب
شوكولاتة مورو

تبادلا الضحك قبل أن تتابع :

_ فى حاجة ناقصة كدا؟

تساعل بفضول :

_ انتى ازاي عايشة لوحدك؟ او مال فين مروان!؟

_ لا ما هو احنا مش عايشين مع بعض ، هو طول
حياته مع مامته وانا مع مامتى ، بس من كام سنة كدا
خد شقة لوحده وقعد فيها .. وبنزور بعض كل يوم

او ما بفهم :

_ ممم .. طب كملى

تطلعت من حولها قليلاً ثم قالت بمشاكسة :
_ زى مانت قولت عيب فيك هقول لك عيب فيا بردو ..

واستطردت :

_ انا عندى لامبالاة أوفر ، مش بفكر فى أى حاجة
خالص .. لا بفكر فى كلامى قبل ما اقلوه ولا بفكر فى
أفعالى ، لو عايزة اعمل حاجة بعملها وخالص من

غير ما افكر فى العواقب ولا النتائج وبندم فى الآخر
طبعا بس بردو مبحرّمش

اعتلته ابتسامة جانبية وهو يقول :

_ هو ممكن يبقى عيب بس بالنسبة لى دى ميزة

ثم تابع موضحًا :

_ اه أكيد لو زادت عن حدها مش هتبقى كويسة ، بس
انا واحد بيشيل همّ الصغيرة والكبيرة وعلى طول
بيفكر ف كل حاجة ، وده كمان مش حلو عشان
دماغى مبرتاحش

ضحكت بيأس وقلة حيلة :

_ لا كدا حلو ولا كدا حلو ، طب نعمل ايه !؟

بإدائها الضحك بصمت ، فعادت تتحدث :

ـ خلاص احنا ننقل العدوى لبعض بقى ، انا اعلمك
تكبر دماغك وانت تعلمنى اهدى ومدخلش براسى فى
الحاجة زى التور كدا !

ارتفعت ضحكاته من أسلوبها العفوى فى الحديث وفى
المقابل شاركته الضحك دون إضافة شئ آخر

*

*

*

سارا معاً بساحة المركز التجارى ، ولم تكن ياسمين
قادرة على إخفاء حماسها ؛ فلم يكن بادياً على
ملاحها وحسب ، بل ظهر على جسدها بأكمله وكأنها

أصابها فرط حركة فلم تقف ثابتة لثانية واحدة وظلت
تسير وهي شبه تقفز ، فكانت رغماً عنها تسبقه ببضع
خطوات وعينيها تدور بين كل المحلات والناس
بابتسامة تتماهى فى الاتساع دون توقف ..

كانت تبدو كطفل رأى الشارع لأول مرة ، أو كسجين
خطى أولى خطواته خارج السجن بعد سنين عديدة
من المكوث فى الظلام ..

لم تفارقها نظرات "زياد" التى تراقبها بتركيز واضح
وابتسامة صغيرة تحمل بعض التعجب من هذا
الحماس البالغ ..

لم يتكلف كثيراً فى ملابسه ؛ فقط بنطال أسود اللون
من الجينز وقميص من اللون السماوى ذو أزرار
مغلقة عدا أول اثنين وأكمامه مشمّرة حتى مرفقيه ..

ويترك شعره المموج بشكله كما هو ؛ لا يحكمه باتجاه
محدد ..

بينما اتخذت ياسمين بنطالاً قماشياً واسعاً من اللون
البيج ومعه بلوزة أنيقة مكتملة الأكمام بنية اللون
،بالإضافة لحقيبة الظهر البيج المعلقة على كتفها ،
وقد ربطت شعرها البني تاركة منه بضع خصلات
تتدلى على جانبي وجهها ..

أفاقت لنفسها وانتبهت لقدميها التي سبقته بخطوتين
، فتوقفت واستدارت من خلفها لتراقب وصوله إليها ،
ثم تابعت معه السير وشرعت تتحدث بشكل سريع
وحماسي للغاية وهي تحملق في كل أرجاء المكان :
_بص احنا عايزين نعمل خطة .. ، انا عايزة اجيب
لبس الأول عايزة اجيب لبس كثير .. وعايزة اشترى
كوتشى أبيض .. وعايزة شنطة كمان انا عايزة شنطة
سودا

ثم نظرت له بطريقة مبالغتة قليلاً عندما تذكرت شيئاً
آخر :

_وتوك شعر! ، عايزة اجيب توك وبنس كثير انا
بحبها .. وشوية اكسسورات كمان انا بحب الخواتم
والساعات

عادت عينيها تدور فى الأنحاء من جديد وهى تشعر
بدقات قلبها تتعالى من السعادة ، صارخة بحماس :

_عايزة اشترى حاجات كثير ، كثير اوى اوى اوى !!
, انا مبسوطه ونفسى ينسونى فى أى محل هنا !

اعتلت الضحكة محياها أثناء استماعه لأسلوبها
الطريف فى التعبير عن سعادتها ، وبنفس الوقت لم
يتخلّ وجهه عن القليل من الدهشة ؛لم كل هذا الفرح
لمجرد نزولها إلى التسوق؟

لم يتكتم عن التساؤل وأفصح عن تعجبه قائلاً :
_ أنتى بقالك كتير منزلتيش المول ولا ايه؟!!

ردت دون أن تنظر إليه ؛فقد تعلقت عينيها بمشاهدة
كل ماتعرضه المحلات :

_ أول مرة انزل من غير ماما ! ، عمرى ما اتبسطت
في ال shopping ده عشان مش بجيب حاجة
عجبانى خالص ، دايمًا ماما بتوديني الأماكن اللى هى
عايزاها وتجيبنى حاجات على مزاجها

تابعت بشرود وهى لاتزال تنظر بكل البضاعات
المعروضة :

أخيراً مرة واحدة فى حىاتى هختار اللى انا عايزاه
مش اللى هى عايزة تجيبه ، ومن غير ما اسمع منها
قد ايه زوقى يقرف ومش بفهم حاجة ..
أردفت كلماتها بنفس ضحكتها المتحمسة غير مبالية
بضيقها من هذه الأمر الآن .. فالأهم أن تستغل حرقتها
المؤقتة فى فعل كل ماتودّه ..

فى حين غلبت زياد الشفقة على تلك المسكينة التى لا
يُسمح لها باختيار مقتنياتنا على الأقل ، واعتراه
المقت وعدم الرضا عن أفعال عمته التى بالتأكد
محت شخصية ابنتها وجعلت منها تابع لا يستطيع
الاعتماد على نفسه ..

هل ستبقى سعيدة الآن عندما ترى ابنتها تسعد
بالابتعاد عنها !؟

لظالما كان الخوف المبالغ به والانغلاق الزائد على
الأبناء يأت دائماً بنتيجة عكسية .. وبدلاً من أن تكون

العلاقات بينهم كالاصدقاء المقربين ، تصبح علاقة بين
سجّان وسجين لا يصدق ولا يقتنع أن هذا ينبع من
حب سجّانه له ، ويظل يعافر فقط ليتحرر من القفص ..

يظن الآباء أنهم يحافظون على أبناءهم بتلك الطريقة
، ولكنهم فى الحقيقة يساهمون فى خلق مسافات
طويلة بينهم وبين أولادهم ، حتى يصبح الوصول
إليهم صعباً ..

بل وأقرب إلى المستحيل ..

توقفت أمام أحد المحلات فجأة ، فوقف معها وأمسى
يراقب عينيها اللامعتين تتطلع لبعض الملابس
بإعجاب واهتمام ، فالتفتت له ورفعت عينيها له
؛ لفرق الطول الواضح بينهما ، وأردفت بحماس :

__ممكن ندخل هنا؟

قطب حاجبيه باستغراب ؛لم تستأذنه فى ذلك؟ ، ومن
ثم أدرك سريعًا أن شخصيتها المتزعزعة بالتأكيد
اعتادت على عدم اتخاذ أصغر القرارات ولم تألف
التحرك خطوة واحدة دون أن يسمح لها مرافقها ..
ابتسم لها بهدوء شديد وأجاب :

_ احنا ممكن ندخل أى مكان انتى عايزاه ، اللي تحبى
تخشيه خشى على طول وانا وراكى

ابتسمت بسرور واضح ، ولكن تأكلت الابتسامة قليلًا
ليحلّ مكانها الأسف والاعتذار :

_ انا آسفة عشان أخرجتك وقولتلك تيجى معايا ، انا
عارفة إنك جيت عشان متكسفينيش ، بس انا ...

قاطعها فورًا وقال :

**_ فرملى فرملى وبلاش عبط عشان مبحبش اسمع
كلام عبيط..**

ثم استرسل قائلاً :

**_ أنا لو مكنتش عايز انزل كنت هتججج بأى حاجة
واعتذرك على فكرة مش هنزل غصب عنى أنا !**

وأضاف :

**_ الأهم بقى دلوقتى انا عايزك تسرحى النهاردة ، ان
شالله نخش كل المحلات اللى ف المول ست مرات! ،
انا صايع ومواريش حاجة ومعاكى لحد الصبح**

**قصد إظهار الحماس بنبرته وعلى قسماته ، ليحمل
عنها عبء الشعور بأنها تثقل عليه وتخرجه
، ويطمئنها أنه بالفعل يرحب بالأمر ..**

وقد نجح ذلك وارتسمت ضحكتها الرقيقة فوق محياها
بارتياح و سعادة غامرة ، وأردفت بامنتان :

_مش عارفة اقول لك ايه يازيزو بجد ربنا يخليك والله

ابتسم وأشار برأسه تجاه المحل :

_يلا بينا

.
. .
.

خرجت ياسمين من الغرفة المخصصة لقياس
الملابس ، مرتدية فستاناً صيفياً واسعاً تجتمع ألوانه
بين الأبيض والأزرق القاتم والسماوى الفاتح ،
يتخطى ركبتيها وأكمامه مكتملة تغطي ذراعيها
بالكامل ..

التفت لها زياد ، حيث كانت يده اليسرى تتعلق بحقيبة
الظهر خاصتها التي علّقها على كتفه الأيمن ، وابتسم
بإعجاب واضح ثم أوماً باستحسان :

_جامد

اتسعت ضحكتها قائلة :

_بجد؟

_اه جدا ، حلو عجبنى

ابتسمت برضا ثم عادت إلى الداخل ..

-
-
-

خرجت من نفس الغرفة من جديد بثياب مختلفة ،
بنطال قماشى واسع من اللون النبيذى وبلوزة من
اللون السكرى بها شريطين عند العنق لتحكمهم
بربطة مميزة ، وتطلعت له بترقب ..

رفع يده بثلاث أصابع فقط وتلامس طرفى السبابة
والإبهام معًا ، تعبيرًا عن "ممتاز" ..
اختارت مجموعة لا بأس بها من الملابس ، وعرضتها
كلها عليه لتعرف رأيه ، فنالت جميعها إعجابه ، مما
بث لها بعض الثقة بنفسها وأشعرها بأن اختياراتها
ليست بشعة كما تخبرها أمها دائمًا ..

وقد لاحظ أن كل ما قررت أخذه كانت ملابس
فضفاضة لا تحدد تفاصيل جسدها بشكل ملفت ، ولم
يعلم إذا كانت تقصدها أم أن الألوان والنقوش فقط
أعجبتها

وبالطبع ليس "زياد تليد" من يترك شيئاً للتخمين
وقرر إرضاء فضوله ، فنظر لها بعد أن وقفت بجانبه
وهي تعلق الملابس على ساعدها ، وقصد الإشارة
لبلوزة ضيقة بعض الشيء وقال :

_ايه رأيك فى دى؟

لم يظهر عليها رد فعل يوحى حتى بإعطاءها فرصة ،
ولكن لم تفصح عن رأيها ؛خشية أن تضايقه ..

هتف وكأنه قرأ أفكارها :

_قولى رأيك عادى مش انا اللى هلبسها

ضحكت من قوله ثم عادت تنظر للبلوزة وهزت رأسها
نفياً :

_ لا بصراحة مش عجباني

_ شكلها يعنى؟

_ لا ضيقة

_ بس انا شوفتك لابسة شبهها مرة لما جيتي عندنا
نظرت له بجانب عينيها :

_ دى ماما اللي كانت مختارها مش انا

رد وهو يستعد للتحرك :

_ لا طالما ماما اللي مختارها خلاص مش عايزينها ..

نزع الحقيبة عن كتفه وهو يقول :

_ عايزاها ولا اروح بيها؟

ضحكت وأخذتها منه :

_ لا عايزاها ..

علقتها على كتفها ثم أشارت بالملابس التي تحملها :

_ انا خلاص خلصت وهاخد دول

_ استقرّيتي على ايه؟

_ الفستان الأزرق ده وبنطلونين وبلوزتين

أخذ منها الملابس وهو يقول :

_ طب هاتي نحاسب

تركته يأخذها ثم أوقفته قبل أن يتحرك وشرعت بفتح
حقيبتها :

_استتى خد الفلوس ..

بادر بالتحرك وهو يقول :

_لا لا بعدين مش وقته

صاحت فجأة وأمسكته من ذراعه بقوة تمنعه من
الابتعاد :

_لا هو دلوقتي !

رد ضاحكًا :

_بالراحة طيب

لا انت مش بتصرف عليا عشان تدفع حاجة،
متخلنيش اندم انى كلمتك

يابنتى مفيهاش حاجة متكبريش الموضوع

أردفت بصرامة شديدة لم تظهر عليها من قبل :
يا تاخذ الفلوس يازياد يا إما والله هتقمص وامشى
ومش هاخذ حاجة ولا هكمل اليوم أصلا

أردف باستسلام :

طب خلاص خلاص .. هاتى ياستى الفلوس براحتك

*

*

صعدت "جهاد" على سلالم المنزل وهى تتفخ بملل
وتبعد الهاتف عن أذنها بعد طلب رقم مروان للمرة
التي لا تعرف عددها ، وكالعادة بلا جدوى ..

_ميردش ليه ده !

تمتت سؤالها بعصبية ، ثم توقفت أمام باب شقتها
وفتحته أثناء انشغالها بالاتصال بمساعدته الخاصة
بمكتبه..

أغلقت الباب بنفس اللحظة التي أتاها الرد ، فتحدثت :

_ايوة يادينا ازيك؟

انتظرت إجابتها الروتينية ثم طرحت سؤالها :

_هو مروان قال لك أنه هيقعد فى المكتب؟

_لا ده مستر مروان مجاش النهاردة أصلا ، انا

حاولت اكلمه كتير مردش عليا !

غلبها التعجب بشدة و ردت :

مجاش المكتب؟ او مال هو فين كل ده؟!

_مش عارفة والله ، ده حتى فى مواعيد اتعطلت
واعذرت لما لقيته لاجه ولا بيرد

_ماشى يادينا شكرا

أغلقت الهاتف وارتمت عند أقرب كرسي لها ، تطلعت
من حولها بحيرة وقد بدأ القلق يتسلل إلى قلبها
وهممت بتوجس :

_روح فين يامروان ..

*

*

*

انتقلا الاثنان إلى محل الاكسسوارات ، فكان يقف زياد بأحد الزوايا يعقد ذراعيه وعينيه مثبتة عليها وهي تدور بالمحل وتشاهد كل ما هو معروض بإعجاب واضح ..

بضع ثوان ثم اقتربت منه وهي تحمل بعض الأشياء بين يديها ، فسألها باهتمام :
_ ها اختارتي ايه؟

أجابت بحماس بالغ ؛ وكأنها بالفعل كانت تود التحدث عنهم من فرط سعادتها بهم :

_ جبت بنس على شكل فراشات شكلهم عسل اوى ، وجبت خمس خواتم منهم اتنين عليهم فراشة ، وجبت سلسلة على شكل فراشة زرقا بتلمع .. وجبت طوق شعر عليه فراشات كمان

فصّلت كل ما أحضرته بابتسامة عريضة ، فضحك
زيد متسائلاً بدهشة :

_ ايه كل الفراشات دي يافراشة؟!!

أجابت ضاحكة :

_ انا بحب أى حاجة عليها فراشات اوى ، بضعف
قدامها

سبق وانتشرت مقولة أن الفراشات لا تعلم أن لديها
أجنحة خلابّة ، وكذلك هناك البعض لا يدرك كم هو
رائع ..

يبدو أنها تنطبق على هذه الفراشة الصغيرة أيضاً



تساءلت بتردد وهى ترفع يديها قليلاً لتريه عن قرب :

__ هما حلوين؟

__ اه جدا ، شكلهم رقيق و simple "بسيط" ..

و أضاف :

__ زوقك مطلعش وحش اهو زى ماكنتى بتقولى ولا حاجة , ده انا هجيبك تختاريلى حاجتى بعد كدا

حسناً ، لقد توقفت الآن عن عدّ المرات التى يخبرها
بها جملة صغيرة كهذه لتجعل الابتسامة تحتل محياها
بقوة ، وتحفر بقلبها أثراً تعلم أنه سيدوم طويلاً

.

.

__ بقول ايه ، ماتيجى ناكل شاورما

طرح زياد عرضه وهو يسير بجانبها بساحة مركز
التسوق ويحمل عنها بعض الحقائب التي تحتوى
مشترياتها ..

ردت باستنكار :

_ شاورما بالليل؟

_ فيها ايه؟

_ لا انا عاملة دايت

رفع طرف شفته العلوية تعبيرًا عن استنكاره الشديد
وقال :

_دائت؟ ده على أساس ايه يعنى؟ ،ده انتى قد دراعى!

ضحكت وردت باعتراض :

_يا أوقر !

ثم أوضحت :

_لا انا فاضل لى اخس اتنين كيلو بس وابقى بالوزن
المثالى

رد زياد بملل :

_مفيش حاجة اسمها وزن مثالى، ده أولا .. ثانياً انتى
لو خسيته جرام تانى وانتى متر ورُبع كدا هندوس
عليكى بالغلط واحنا ماشيين

وكزته بذراعه بخفة :

_ انت غتت بجد !

ضحك وقال :

**_ مانتى بتقولى هبل ميدخلش الدماغ يعنى ، اوزنى
الكلام شوية ..**

ثم تابع :

_ وهناكل شاورما بردو ، يلا انا عازمك

**بادرت بالرد ولكنه أبطل محاولتها قبل أن تنطق
بحرف :**

_ خلص الكلام خلاص!

انتهى اليوم بشكل مثالى بالنسبة لياسمين ، ولن تبالغ
إن وصفت بأن مقدار سعادتها تخطى قطرات البحر ..
فلم يسبق لقلبها ودق بهذه السعادة من قبل ..

ما إن دلفت من باب الشقة حتى وجدت أمها تقفز
فوق رأسها وهى تتحرق فضولاً لتعرف كيف سار
اليوم :

_ عملتى ايه يابت تعالى احكىلى

ضحكت ياسمين وقالت :

_ حاضر هقول لك ، اقعد آخذ نفسى بس ..

*

*

*

دلف زياد من باب المنزل ، فكان أول ما رآه هو نزول
أخيه على الدرج وهو يحدجه بنظرات حادة ، فتمتم
مع نفسه بترقب :

يامنجي من المهالك يارب!

رسم ابتسامة عريضة على محياه وفتح أذرعته على
مصرعيها وهو يتجه إليه استعدادًا لاحتضانه :

فوقًا حبيب قلبي شكك قمر ووشك منور النهاردة ..

انقطعت كلماته عندما تلقى منه لكمة عنيفة جعلت
وجهه يشيح إلى الجانب من قوتها ، فتأوه بخفوت قبل
أن يعيد بصره له قائلاً :

مقبولة منك يا معلم

المفاتيح يالا !!

أمره فخر بصوت حاد فاستجاب زياد وأعطاه ميدالية
المفاتيح ، ثم قال قاصداً السيارة :

كويسة على فكرة

بردو هربطك يومين

هقطعك الحبال !

شعر زياد بيد أحد على كتفه فاستدار له وسرعان ما
انتفض جسده وعاد للخلف صارخاً بفرع ، ثم صاح
بحنق :

_ايه اللي انتى عملاه ده !!

نظرت له مريم ذات الوجه الملطخ بخليط بنى اللون
يغطى كامل وجهها ، وأجابت بتعجب :

_فى ايه؟ ماسك قهوة عادى

ليشارك فخر بالحديث بملل :

_اهى دايرة فى البيت بالمنظر ده بقالها ساعتين

خاطبها زياد باستهانة :

_ابوكى لو عرف إنك بتخلصى القهوة على وشك

هيخبئها فى اوضته بعد كدا

ثم أضاف :

_ انتى مشوفتيش منظر ك قبل ماتيجى تبصى فى وشتنا
!؟

أجابته بقرف :

_ مالکش دعوة يبارد

_ ايه مالکش دعوة دى؟ لا ليّا ونص

أردفت بعناد :

_ ليه انت جايها من جييك ولا ايه؟

لم يلبث زياد لبدء شجار معها وأمسك برسغها بقوة :

_ لا ده انتى قليلة الأدب وعايزة تتربى

لم تتراجع مريم وأقبلت عليه تسدد له عدة ضربات
فى ذراعه وظهره ،فى حين قبض هو على شعرها ،
وشرعا الاثنان يتصارعان كالقردة المجانين ، بينما
حاول فخر الفصل بينهما بالكلمات فقط دون الاقتراب
منهما :

_بس انت وهى , ايه المعيلة دى!

وجّهت له مريم ضربة ببطنه جعلته يفلت يده من
شعرها لشعوره بالألم ، ثم باشرت بالركض فأسرع
بملاحقتها وأثناء طريقه التقط جهاز التحكم الخاص
بالتلفاز وألقاه عليها ، بينما وقف فخر بثبات يطالع
ضاحكًا هذين الطفلين وهما يطاردان بعضهما وترتفع
أصوات ضحكتهما وعنادهما معًا ، وقد أخذ
الوسادات الصغيرة التابعة للأثاث كسلاح أمام
بعضهما وشرعا برميها على بعضهما وكلاً منهما
يتفادى الآخر ثم يقوم بالهجوم .. حتى نجحا فى
إحداث فوضى عارمة بساحة المنزل ..

خرجت السيدة سحر على أصواتهما واعتراها الذهول
والصدمة من منظر البيت وصاحت باندهاش :
_ايه اللي حصل ده !!

وقفا زياد ومريم يتطلعان لها بقلق ،مثل طفلين
ينتظران تأنيب والدتهما ، ثم أشارا الاثنان على
بعضهما بنفس الوقت وصاحا معًا بنفس اللحظة :

_هو

_هي

اكتفى فخر بالضحك فى صمت ، بينما ظهر الضجر
على وجه سحر من تصرفاتهما المعتادة

*

*

*

وقفت ياسمين أمام المرأة وهي تتمسك بذلك الفستان
الأبيض ذو النقوش الزرقاء الذي اشترته اليوم ..

وضعته على جسدها وراحت تتحرك يمينا ويسارا ،
والابتسامة لا تفارق ثغرها مطلقا ..

لقد وقعت بحبه حقا ; وخاصةً بعد تعبير زياد عن
إعجابه به أصبح المفضل لديها الآن ..

أخذت شهيقا عميقا ثم زفرته بهدوء شديد ، قبل أن
تبتعد عن المرأة وتترك الفستان ثم تقوم بفتح حقيبة
أخرى من حقائب المشتريات وتخرج منها الثياب
، وفورا انتبهت لمجموعة من المال تمكث في قاع
الحقيبة ..

اتسعت عينيها بصدمة والتقطتهم بسرعة وهي
تحملق بهم باندهاش ، ولم تلبث حتى تغيرت تعابير
وجهها إلى الإحباط والضييق عندما أدركت أنه نفذ ما
برأسه ودفع كل شئ ، ولم يأخذ منها المال ؛سوى
ليدفعه في إحدى الحقائب لتكتشفه هي لاحقاً ..

بدأت بعدهم ؛أملاً في أن يكون على الأقل أخذ منه
القليل ، ولكن خاب ظنها ولم ينقص من المال فلساً
..! تضاعف الحنق على وجهها وسارعت بأمساک
هاتفها لتراسله عبر موقع التواصل الاجتماعي
"واتساب" ..

"عيب لما تضحك عليا وتقول حاجة وتعمل من ورايا
حاجة تانية على فكرة"

انتظرت لثوان عديدة حتى رأته يكتب , وكانت رسالته
عبارة عن بعض الوجوه التعبيرية الضاحكة .. فردت:
"بتضحك على ايه؟"

أجابها :

"حوار تافه يعنى مش مستاهل رعى كثير"

فكتبت :

"هتاخذهم على فكرة"

انتظرت قليلاً حتى يكتب رسالته ، إلى أن وصلت لها :

"لو عايزة تردّيهم بجد خليهم ليكى ومتقوليش لامك
عشان متاخذهمش ، انا عايزك انتى اللى تصرفيهم"

"والله انت بتستعبط"

أرسل لها رسالته مع وجه تعبيرى يغمز :

"جود نايت"

يتبع..

الفصل الثاني عشر {تودين التعارف؟}

سارت جهاد برواق المستشفى بخطوات مضطربة
وسريعة عبّرت بوضوح عن قلقها الذي نحر قلبها
أثناء طريقها إلى هنا ..

وصلت إلى الغرفة المقصودة ودلفت فجأة دون
المبادرة بدقة صغيرة حتى ، رآته جالسًا فوق السرير
يطالعا بعد تفاجؤه باقتحامها ، وسرعان ما ركضت
إليه وارتمت فورًا بأحضانها ، وبهذه اللحظة فقط
شعرت بالارتياح وأطلقت زفيرًا مرتاحًا وهي تحمد الله
بداخلها ..

_ليه مستشفى يامروان بس! انا قلبي وقع

بادلها العناق بهدوء وربت على ظهرها مجيبًا
بخفوت:

_انا تمام متخافيش

ابتعدت عنه وراحت تتطلع عن قرب لوجهه الذي
اختلف تحت آثار الضرب والكدمات وتورمت بضع
مناطق منه ، فقالت بقلق :

ايه اللي حصل مين عمل كدا؟!

أجاب بعدم اهتمام :

_معرفش هما مين ، كنت مروّح امبارح عادى بس
مخادتش بالى أنهم بيراقبونى ، أول مادخلت فى
شارع فاضى شوية لقيتهم طلّعوا عليا عدمونى
العافية وطاروا ..

ثم تابع بصوت مجهود بوضوح :

_واحد جدع شافنى ربنا يكرمه جانبى هنا وأول
مافوقت كلمتك ..

ربتت على يده بهدوء مردفةً :

_ألف سلامة عليك يا حبيبي ياكش تتقطع إيديهم اللي
اتجرات عليك كدا ..

ثم سألت باهتمام :

مكلتش حاجة؟

هز رأسه بالنفى :

لا انا عايز امشى بس الأول ونشوف الأكل بعدين ..

*

*

*

بآخر الليل ، .. اجتمع الأصدقاء الأربعة ;فخر وزياد
وعز وحازم ، بأحد المراكب الواسعة الماكثة على
جانب شاطئ النيل دون أن تتحرك ، فقط يجلسون
للاستمتاع بنسمات الهواء العليلة فى جلسة أنس لا
تضم سواهم ;يتسامرون ويتناولون بعض التسالى
ويحتسون المشاريب ..

وبالطبع لم يستغنَ زياد عن مشروبه المفضل
"الشاي بالحليب" حيث أحضره بكوب حرارى
ليحتفظ بسخونته حتى يصل لها ، بينما جلس عز
يقطع بعض الخوخ ، واكتفى حازم بتدخين سيجارة
فقط ..

وكان فخر قد أنهى حديثه وختمه بجملة أخيرة :
_بس .. وشوية وراحت استأذنت ومشيت

كشف زياد أول سؤال خطر على باله بعد سماع
مقابلة أخيه مع تلك المدعوة "جهاد" :

_هى البت دى حلوة؟

نظر له حازم متسائلا :

_وانت تخصك حلاوتها فى ايه؟

أجاب زياد بكل لامبالاة :

ع الأقل يكون بيخون حنين مع واحدة تستاهل

صاح فخر باستنكار :

ايه اللي بتقوله ده ياسفيه يامراهق؟!

انت اللي بتلعب بـ ديك ياوغد يافاسق !

رد فخر بتأفف :

بلاش تخلف وجهل بقى ..

شارك عز بالحديث بعد صمت دام لبرهة وهتف قبل
أن يأكل شريحة مما يقطعه :

انت ايه اللى خلاك تحس إنك عايز تبقى صديق ليها
يعنى؟

أجاب بهدوء :

هي يعنى دمها خفيف .. بسيطة جدا وعفوية ،
عايشة بدماعها ورايقة كدا .. مبتفكرش فى حاجة ،
سايبة كل حاجة تيجى زى ماتيجى مش شائلة همّ
حاجة .. ده غير إنها حقيقية مش متصنعة ولا أوفر

شردت عينيه فى الفراغ واعتلته ابتسامة هادئة وهو
يقول :

مفيهاش حاجة تشدك آه بس مختلفة
مرر عينيه عليهم جميعًا ، متابعًا :

شخصيتها مختلفة مقابلتها قبل كذا

صمت وعقد حاجبيه بتعجب ، عندما رأى نظراتهم
المصوبة له يتدفق منها التأثير والحب والهيام
الساخر بالطبع ، وقالوا الثلاثة فى صوت واحد
بنبرة رومانسية :

بولوييف بولوييف !

اجتاحه الملل والاشمئزاز منهم وهمهم :
انا جاى اتكلم مع مين أصلا!

ارتفعت ضحكة زياد صائحًا بإزعاج :

فينك يا حنين تيجى تشوفىي !

شاركه حازم الضحك ونظر لفخر وقبل أن ينطق بكلمة
سبقه فخر يقول بحنق :

_لآخر مرة هقول مفيش بيني وبينها حاجة .. انا بس
مبسوط اناي أخيراً عرفت حد فيه ميزة بدل تلت غريبان
ملهمش لازمة في حياتي.

ثم نهض واقترب من عز وهو يقول بنفس نبرته
الحاتقة :

_هات يابني تفاحة !

ضحك عز وأعطاه تفاحة حمراء ، أخذها فخر وأخذ
منه السكين أيضا ثم عاد لمقعده ، وبدأ بتقطيعها ، ثم
استمع لزياد يقول :

طب بقول لك ايه ، ماتعزمها ع الغدا فى النادى
وعرّفنا عليها ، احنا رايعين بكرة قول لها تيجى

قطع شريحة فقط وأكلها قبل أن يبدو عليه الرضا عن
الفكرة ونبس بتشجع :
هقول لها ..

دخّل عز بموضوع آخر مخاطبًا حازم :
صحيح انت كنت مزعلّ مى ليه يامهزق ياندل!

نفث حازم الدخان من فمه مختلطًا بكلماته :
لاحظ ائى اكبركم سنًا ومقامًا هنا وألفاظك لازم
تتعدل معايا اكثر من كدا

لم يكد يلفظ كلمته الأخيرة حتى تفاجأ بنوأة الخوخ
تصيب وجهه بعنف ،لحقها صوت زياد يهتف مشجعًا:

_ يا عِزّو يا لعَييب! ، جت فى الجون تمام

التقط حازم النوأة وقرر ردها له ، ولكن تفاداها عز
وانحنى إلى الجانب فتخطت النوأة نطاق المركب
ووقعت بماء النيل ..

اعتدل عز وهو يضحك ويخرج لسانه كالأطفال
ليغيظه :

_ يلا يا احول !

أكل فخر شريحة أخرى من تفاحته وهو يتابعهم
ضاحكًا ، فى حين بادر حازم بالإجابة على سؤاله :

_ مين قال انى مزعلها؟ دى هى اللى مزعلانى !

سارع فخر بالرد :

_عندك! ، احنا بنتنا مبتغلطش

هتف حازم بتأفف :

_والله؟ طب اطلعوا انتوا كلكوا منها بقى ، باكل انا
ومراتى فى بعض عادى مالكوش دعوة

خاطبه عز بملل وهو يأكل قطعة أخرى من الخوخ :

_اه ، لحد ماتجيبها لنا متطلقة فى الآخر!

أسرع حازم يعترض على ماسمعه :

_بعد الشر ربنا مايجيب طلاق أبدا

أشاح بنظره إلى اللاشئ وقد أخذ عقله يحيك هذه
الفكرة مطولاً ، لتمر عليه لقطات خاطفة متوقعة
لحياته إذا اختفت مئى منها ، وأسرع يهز رأسه نفياً
وهو يقول :

والله مش هبالغ لو قولتلكوا مش فاكر حياتي من
قبلها كانت عاملة ازاي ولا كنت عايشها ازاي

نظر لهم وضحك بشجن :

مجرد ما اتخيل أنها ممكن متبقاش موجودة بحس
قلبي اتقبض ..

ثم تابع ضاحكًا :

هي ساعات بتتجنن وتعمل حركات بتخليني عايز
اخنقها بس بستحملها عشان بس مي اللي بتعملها
مش حد تاني ..

عقب زياد بضحكة مليئة بالسخرية :

_طبعاً انت هتقول لى؟ ، ده انا بشوفك فى الشركة
مايتصدق حد ينفخ جنبك عشان تمسكه تعمل منه
زَعَاة

ثم اتسعت ضحكته وهو يقول مستهزئاً :

_مع الكل دبابه ومع مراته دبانة !

تطلع له حازم باشمئزاز مهمماً بصوت مسموع :

_انت مقرف ومنعدم المشاعر بجد

انتهى المطاف بتفاحة فخر بعد التقطيع مربعة الشكل
؛فقد حرص على قطع الشرائح بفن حتى جعلها مكعب
منتظم ، ثم بدأ بمواصلة أكلها عن طريق قطع شريحة
رفيعة من كل جانب بانتظام حتى لا يخسر شكل
المكعب ، فأكل واحدة ثم قال :

_طب احنا مش اتأخرنا ولا ايه؟

اعترضه عز :

_ما نجيب لقمة الأول طيب

باغته صوت الثلاثة فجأة عندما هتفوا بنفس اللحظة:

_تانى !!

عاد للخلف بتوجس مازح وهو يقول :

_فى ايه يا جماعة؟

أردف حازم باستغراب :

احنا لسة متعشيين من شوية !

أشاح عز بيده بتأفف :

مشبعتش ياعم

رد عليه زياد ببرود وعدم اكتر اث :

حاسب بس كرشك سادد علينا الرؤية ..

*

*

*

فى اليوم التالى بالساعة الثامنة صباحًا ..

جلست جهاد بصحبة مروان لتناول الفطور بساحة
شقتة الواسعة ، وقد انتهت من سرد ماحدث مع فخر
للتو عندما قابلته على كورنيش النيل بعد انتهاء
عملها ، ثم واصلت طعامها ..

سألها مروان ذو الوجه المُرِين بالضمادات والجروح
وقال :

وانتى طبعًا مقابلتيش الراجل صدفة ولا حاجة

لا راقبته ، انا كدا كدا كنت ماشية بس استنيته لما
يمشى هو وكنت ناوية اقبله على باب الشركة برا ،
بس لقيته معهوش العربية وراح يتمشى ف فضلت
وراه لحد ما قعد ع الكورنيش وعشر دقائق كدا
وراحت كلمته ..

سألها قائلًا :

انا مش فاهم مواعيدك ف الشركة دي عاملة ازاي
بالظبط

بص هو المفروض من ٩ ل ٣ ده الاساسى ، بس
انت عارفنى بحب النوم وممكن اتأخر شوية ، وطبعاً
بالنسبة لشركة كبيرة زى دى لو اتأخرت تلت دقائق
بس بتتيل اشتغل تانى بالليل كعقاب ، يا إما يتخضم
لى

ثم أردفت بتذمر :

الراجل اللى اسمه حازم ده هيخلينى اعجز بدرى
والله ، مش بيعدّى أصغر التفاصيل وخائق الموظفين
كلهم .. وشوف بردو بيحبوه جدا ومحدثش بيقول
عليه كلمة من وراه

رد مروان بعدما أكل زيتونة صغيرة :

_ عشان خايفين على أكل عيشهم ، وانتى كمان
حاولى تعمري فى الشغلانة ولمى لسانك وخففى
عفويتك الغبية دى شوية ..

طالعه بجانب عينيها باشمنزاز وتابعت أكلها بصمت
، إلى أن تذكرت شيئاً ما فأسرعت تتحدث :
_ انت صحيح معرفتش مين اللى عمل فيك كدا !؟!

نظر لها بطرف عينية بلامبالاة وأجاب :
_ عزة !

صاحت بدهشة :
_ عزة !!

هز رأسه وهو يضع عينية بطبقه ويكمل طعامه :

بعتلى رسالة تشمت فيا

توجه نظرها إلى الفراغ بتعجب لم يدم طويلا
،وسرعان ما ظهر عليها الإعجاب ورفعت حاجبيها
برضا :

كوين وأمها كوين والله !

أعدت بصرها له لترى التعجب كسى وجهه وتابعت :

قولتك من أولها البت دى مش سهلة وانت
مسمعتش الكلام .. تستاهل.

ثم همهمت وارتسمت عليها ضحكة معجبة وفخورة
بالفتاة :

البت أول ما حسّت إنك بتلعب بديك قوام اتحركت
على طول وخذت حقها عشان تورّيك مقامك .. ياخى
والله بحب النسوان القادرة دى

دفعها مروان من خلف رأسها حتى كاد يصطدم رأسها
بالباطولة :

طب املى بطنك وانتى ساكتة بقى !

لم تتغاضى جهاد وضربته بكتفه بعناد ، مما آلمه
بشدة وصاح بتوجع ، وسرعان ما اعتلاه الغضب
وبكل قوته رد لها الضربة فى ذراعها ، فوقعت
بالكرسى أرضاً بسببها ..

ارتفع حاجبيه باندهاش تبعه صوت قهقهاته الشامتة ،
بينما شرعت بالنهوض ووجهها ينقبض بألم :

_حتى وانت مضروب ومكسح فيك صحة بردو !

**عدلت الكرسي تزامناً مع ارتفاع صوت هاتفها يعلن
عن وصول رسالة إليها ..**

**التقطت الهاتف من فوق المنضدة وفتحته بعدم
اهتمام، إلى ان احتلّها كل الاهتمام لآخر ذرة بكيانها
بمجرد رؤية اسم المرسل .. وقربت الشاشة من
عينها الجاحظتين بعدم تصديق ، وكأنها تتأكد أنها لا
تتوهم ..**

فتحت الهاتف بسرعة وقرأت محتوى الرسالة :

"ازيك يا جهاد؟"

**انا خارج مع جماعة اصحابي النهاردة كدا وقولت
اشوفك لو حابة تيجي تتعرفي عليهم ، احنا نازلين
الساعة ٤ ، لو ظروفك تمام بلّغيني وهبعثك العنوان"**

لا تدري كم مرة أعادت قراءة كلماته ومع ذلك لم ينتهِ
الذهول بعد .. ، ولم تلاحظ عينيها التي كادت تلتصق
بالهاتف من قوة تركيزها بالرسالة .. حتى أفاقت على
صوت مروان يعلّق ساخرًا :

__ مات لك حد ولا ايه؟

اقتربت منه وأعطته الهاتف :

__ شوف !

نظر مروان وقرأ الرسالة قبل أن يعقد حاجبيه
بتعجب:

__ انتى لحقتى تديله رقمك؟

انتشلت منه الهاتف وأوضحت :

_يابنى ما هو معاه من ساعة المشكلة اللى حصلت مع
الموظفة اللى اسمها تسنيم دى ، وكلمنى قدامك ..
مش فاكرك؟

_اه ، وهو بقى بيعرض عليكى تتعرفى على أصحابه
كدا ازاي؟

ردت ضاحكة بتفاخر وغرور :

_شكلى دخلت قلبه بسرعة ..

ثم جلست على كرسيها بجانبه وتحدثت :

_قولتلك الاختلاف اللى بينى وبينه ده هو اللى هيخليه
يحب صداقتنا .. عشان انا مش شبه الناس اللى
يعرفهم ولا تبع المجتمع اللى هو عايش فيه ده ، أكيد

لما يقابل حد مختلف هيجب يعرفه .. مين غيرى أصلا
كان هياخده يأكله أكل شعبي زى ماكان نفسه؟

صاح مروان بكل سخريّة :

_ياسلاالم؟ ، خلاص كدا بقيتوا أعز أصحاب عشان
كل معاكى أكل شعبي؟

_لا بس هو قابل وجودى وعائز يعرف أصحابه عليا
كمان !

نهضت فور انتهاءها من جملتها وهى تقول وتتعجل
فى لململة أغراضها للرحيل :

_انا هلحق اروح الشغل قبل ما اتأخر والبس فى شغل
بالليل ومعرفش اروح ، يلا باى هبقى اكلمك

*

*

*

بوقت العصر ..

.

بالحديقة الخاصة بالمنزل جلس زياد بصحبة خطيبة
أخيه "حنين" وهو يثرثر بعدة مواضيع تافهة ، غير
مبالٍ بوجهها الذى يبدو عليه الضجر بوضوح :

أصلاً اخويا ده كان عيّل غبي جدا انا معرفش دخل
هندسة ازاي .. كان جايب لي كيكة هدية وطالع يجرى
بيها على السلم راح اتقلب بيها .. بالذمة فى حد
يجرى وهو ماسك كيكة؟ ، نكدّ عليا يومها ومكلتش
الكيكة وانا نفسى فيها ، ولعلمك لحد النهاردة
معوّضنيش ومجابليش غيرها وانا لسة شايلها له

ومش هانساها أبدا .. مش عشان نفسي في كيكه
أكيد، ما انا اقدر اجيبها طبعاً .. بس عشان الموقف
ساب أثر في نفسي كطفل كتكوت برئ كان نفسه في
كيكه ومكهاش ..

قاطعه حنين بنفاد صبر صائحة :
_خربيتك اسكت شوية انت دخلتني في قصص
فرعية كثير كدا ليه!

ثم تابعت بعصبية مكتومة :

_انا كل اللي قولته عايزة اجيب هدية لفخر وعايزاك
تقول لي ايه اللي محتاجه عشان اجيبه ، رد على قد
السؤال وبس !!

لم يكثر زياد لغضبها وأجاب ببرود :

_ صدقيني فخر مش محتاج هدايا ، انتي لو عايزة
تكسبيه فعلاً اعملي تلت حاجات ..

بدأ برفع أصابعه مع كل عنصر يلفظه ، فبدأ بإصبع
الإبهام :

_ تحبى عربيته وتحافظى عليها

ثم رفع السبابة قائلاً :

_ تجيبيله تفاح أحمر

ومن ثم رفع الوسطى مع آخر شئ :

_ تقوليله مهندس فخر ..

ثم أضاف :

ممكن تقولى مهندس من غير فخر ،والعكس غير صحيح !

انتبهت لاقتراب "فخر" منهما ،يرتدى بنطالاً من اللون الرمادى الفاتح وقميصاً من اللون الكحلى مفتوحاً منه أول ثلاثة أزرار وأكمامه مرفوعة لأسفل مرفقيه ، وساعته الفضية تزيّن رسغه الأيسر ..
جميع خصلات شعره البنية مصففة باتجاه واحد للخلف ولحيته مهندمة جيداً ، وأخيراً عطره المميز يفوح من حوله ..

نظر له زياد هاتفاً بتذمر :

كل ده بتلبس !؟

رد وهو يستعد للتوجّه صوب سيارته :
_اديني خلّصت ، قوموا يلا ..

نهضا الاثنان وتبعاه ، وتساءلت حنين :
_طب ومريم؟

_نازلة ورايا ..

فتح سيارته وركبوا جميعًا ، فأخذ زياد المقعد الخلفي ،
بينما جاورت حنين خطيبها ونطقت بعدم رضا :
_لعلمك انا مش معنى إني وافقت تعرّفنا على ست
الحسن والجمال بتاعتك دي ابقى مش غيرانة !
لاحت ضحكة واسعة على ثغر زياد تتم عن حماسه
لمشاهدة شجار بينهما وجلس بالمنتصف تمامًا وقرب
وجهه لهما قليلًا ..

وهو انا يعنى لو فى كان بينى وبينها حاجة كنت
هجييك تتعرفى عليها ازاي؟

ليرد زياد بتطفل :

مش يمكن بتعمل كدا مخصوص عشان تخلي حنين
متشكش فيكوا!؟

ظهر الانتباه على وجه حنين واكفهر وجهها وهى
تطالع فخر بحدة وتنتظر اجابته ، فأسرع فخر يدافع
عن نفسه :

والله ما فى حاجة زى دى أبدا !

اقتنت نبرته بعض اللطف والهدوء وهو يقول :
معقول يا حنين انا هعمل كدا؟ تعرفى عنى انى بتاع
لف ودوران بردو!؟

قبل أن يأخذ منها ردًا باغته صوت أخيه المزعج :
_ انت ملك اللف والدوران يا حبيبي متمثلش

تطلع له فخر بغضب وصك على أسنانه هاتفاً بحدة :
_ اقل بؤك ده خالص !

ثم عاد ينظر لحنين وقال :
_ الواد ده بتاع مشاكل ويحب يسخن الدنيا مع أى حد
متسمعيش كلامه

تابع بسؤال ،نطقه بنبرة رومانسية قليلاً :

_ مش انتى بتتقى فيا؟

ولكن لم يصمت هذا الـ "زياد" المشاغب ،وخاطبها
باستتكار :

_تتقى فى مين يابت ماتفوقى! ، ده احنا الرجالة
مبنتقش فى بعض.

قبض فخر على خصلات شعر أخيه ليجبره على
خفض رأسه للأسفل ؛محاولة لإخراسه وقال :

_فكك منه ياحنين ده مشافش رباية

فلت زياد من يده وعاد للخلف وقهقهه بعنف ، إلى أن
فُتِح أحد البابين لتركب مريم بجواره وهى تقول :

_هاى ياجماعة ، اتأخرت؟

صاح زياد وهو يمثل الغضب :

**جدا جدا ! ، شغّالين عند أهلك إحنا ولا ايه؟ ،
ماتتعلّمى الأدب شوية يا عديمة الأدب**

**نظرت له مريم لبرهة وهى تضيق عينيها وتعتليها
ابتسامة خبيثة ؛ لفهمها الكامل لأخيها ثم أجابت
ببرود:**

**مش هتغاظ ومش هرد عليك وهسيبك قاعد تفرك
عشان تتخائق ومش عارف تعملها !**

أجاب زياد بلامبالاة :

لا انا مش مستنيكى تقولى حاجة عادى

**أنهى جملمته توافقًا مع جذبها من شعرها ناحيته ،
فصاحت بألم وضربته بصدرة بقوة ليفلتها ثم نهرتة
بغضب :**

انت الحيوانات أنصف منك يا أخى !

فلتت أعصاب فخر وارتفع صوته فجأة بشكل مخيف
أخرسهم كلهم :

نفس تانى من حد فيكوا و هلغى أم اليوم ده خالص
!!

فزعوا جميعاً من قوة صوته الغاضب ، وخيم صمت
تام لم يقطعه سوى زفيره الذى أطلقه بغضب وهو
يستعد لتدوير السيارة

*

*

*

كعادتها حرصت على عدم المبالغة فى اختيار ملابسها ، فاككتف بنطال واسع قليلاً من الجينز الأزرق وسترة أنيقة مفتوحة من اللون البنفسجى القاتم يظهر من تحتها قميصاً قطنياً أبيض اللون ..

احتفظت بنفس مظهر شعرها المعتاد ;منسدلاً على جانبي وجهها يخفى أذنيها تحته .. ولم يفارق الكحل محيط عينيها كالعادة ، وأضافت لشفثيها بعض اللمعان مع لون وردى خفيف ..

دلفت إلى النادى الواسع ذو التصميم الفاخر والمحاط بالعديد من الأشجار والزرع الأخضر والكثير من الورد الملونة ..

توقفت بعد عدة خطوات وتمسكت بحقيبتها الصغيرة المعلقة على كتفها الأيمن وهى تمرر عينيها بالأرجاء ؛بحثاً عنه ، إلى أن وقع بصرها عليه وهو يقترب منها فابتسمت بكل صفاء وقالت :

_ ازيك؟

او ما بهدوء مبتسمًا :

_ الحمد لله , أخبارك ايه انتي؟

_ تمام ..

_ تعالى هوريكى عيلة المجانيين بتاعتنا

ضحكت ورافقته بضع خطوات حتى وصلوا لمنضدة
كبيرة اجتمع من حولها الكثير ، من ضمنهم زياد وعز
الجالسين بجانب بعضهما يراقبان كل من يمر أمامهما
ويقيمان ملابسه بمنتهى الجدية وكأنهما فى خوض
عرض هام لأحد الماركات العالمية .. فبادر عز
بتقييمه قائلاً :

_ ادّيله تمانية من عشرة

بينما شارك زياد بملل :

_خمسة ، التيشيرت معفن

مرت فتاة وهي تتحدث في الهاتف ترتدى بلوزة
سوداء مزينة بخيوط كثيرة تتدلى من الأكمام وجزء
من الصدر ، فهتف عز باعجاب :

_دى ١٠ من ١٠ وقلبين من عندى

اعترضه زياد بضجر :

_دى لابسة شرشوبة !

ثم التفتا لشاب آخر سار بالقرب منهم ، وقال عز بلا
أى استحسان :

صفر

فهتف زياد :

تحت الصفر !

.

انتبها لصوت "فخر" وهى يردد مخاطبًا الجميع :

يا جماعة دى جهاد اللى قولتلكوا عليها

نظر لجهاد وبدأ بتعريفهم لها ، فبدأ بخاله رؤوف
قائلًا :

كبيرنا وأهم واحد فينا ، خالى رؤوف ..

ابتسمت له جهاد فرد لها الابتسامة بترحيب ، فى
حين تابع فخر تعريف الآخرين :

دى مريم اختى انتى عارفاها طبعا ، وده زيزو أخويا
الصغير ..

ابتسمت له وقالت :

اه شوفته كذا مرة فى الشركة

ثم عزّف أبناء خاله :

دكتور عز وميّ ولاد خالى ، وحازم اظنك عارفاه
عز المعرفة يعنى ..

نظرت جهاد لحازم وضحكت قائلة باحترام :

_أكيد ، شرف ليا طبعا أقعد مع حضرتك على تراييزة
واحدة

اكتفى حازم بإيماءة خفيفة وابتسامة ممتنة ، فتابع
فخر :

_هو جوز مى بالمناسبة .. وده عبدالله ابنهم

نظرت إلى هذا البرئ وهو ينشغل باللعب على الهاتف
غير منتبه لأى مما يحدث حوله ، ثم عرّف فخر
الفتاتين الأخيرتين :

_ودى بقى ياسمين بنت عمى ، وأخيرا الأميرة حنين
.. خطيبتى

ابتسمت لهما جهاد بنعومة ثم خاطبت الجميع :

_انا مبسوطة إنى جيت واتعرّفت على حضراتكوا

سبق زياد الجميع بالرد وهو يجذب الكرسي الفارغ
بجانبه :

_ حضرتكوا ايه احنا مش ف الوزارة هنا .. ، تعالى
تعالى اتفضلى اقعدى
شكرته بهدوء وجلست ، ثم جلس فخر بجانبها وعلى
جانبه الآخر حنين ..

نظر لها زياد بفضول وسألها :
_ انتى تعرفى فخر بقالك كثير؟

_ لا خالص من فترة صغيرة كدا

التفتت لفخر عندما سألها :
_ صحيح ليه مروان مجاش معاكى؟

أجابت ضاحكة :

_ لا مروان مشغول شوية مش فاضى

أقلت نظرة على إصابته التى لاتزال محكمة بالشاش
الأبيض وقالت مشيرة برأسها عليها :

_ اخبارك ايه دلوقتى؟

_ الحمد لله أحسن ..

رمى عبدالله الهاتف لوالدته ثم نهض واتجه إلى جده
ليقف بجانبه وهو يقول ببراءة :

_ جدو ممكن نجيب حاجة حلوة؟

أجاب رؤوف بحنان :
_ انت تؤمر يا حبيب جدو

صاحت ميّ بحنق :
_ والله؟ بتتحمي في جدو يعني فاكرني مش هقدر
عليك؟!!

التفت لها رؤوف وقال ضاحكًا :
_ في ايه؟

نظرت مي لوالدها وفسّرت :
_ هو عارف إنه لو طلب منّي هرفض فـ جاي يتمسكن
عليك .. حاجات برا دي بتتعبه يا بابا وانا مش ناقصة
وجع قلب من فضلك

نبس عبدالله ،محافظةً على نبرته البريئة التي تجعل
جده يضعف أمامها فورًا :

_والله مش باكلها كثير ،وبقالى اسبوعين مكلتهاش

فقال رؤوف :

_خلاص يامى خليها مرة

أصرت مى على رفضها :

_لا يعنى لا !

عبس وجه الصغير وأشاح بنظره عاقدًا حاجبيه
بغضب طفولى ، فهتفت ياسمين بتردد وقليل من
الإحراج :

_انا آسفة لو بتدخّل بس يعنى انا ممكن أروح معاه
ويختار حاجة واحدة أو اتنين بس وخلص ، مش
هنجيب حاجات كثير

تحمس عبدالله عند سماعه تلك الكلمات وعاد ينظر
لوالدته برجاء :

_ايوة ايوة مش هجيب كتير والله ، عشان خاطرى
ياماما بقى

ترددت عيني مى فى الأرجاء بحيرة قبل أن تنظر
لزوجها الجالس بجانبها يشاهد الموقف بصمت تام ،
فقالت :

_انت ساكت ليه؟

_ماليش دعوة اللى عايزاه اعلميه

_هو انت مش ابوه ولا ايه؟

نادت ياسمين عبدالله لتحته على الاقتراب ، فاستجاب لها وقالت له بلطف شديد :

_بص طيب عايزين نتفق بالظبط هنجيب ايه ونقول
لماما قبل ما نروح

رد عبدالله بصوته الطفولي :

_انا عايز بس آيس كريم وشيتوس وشوكلاتة صغيرة
قد كدا

هتف بجملته الأخيرة وهو يضيق عينيه ويقرب
إصبعي السبابة والابهام من بعضهما ؛تعبيراً عن أقل
كمية ممكنة .. مما أجبر ياسمين على الضحك بحب
لحركاته العفوية الظريفة .. ثم نظرت لى وقالت :

_خلاص احنا مش هنجيب أكثر من كدا ، ممكن
نروح؟

زفرت مي بعدم اقتناع ولكن رضخت للأمر و ردّت
على مضض :

طيب

سيطرت الضحكة على وجه عبدالله بكل براءة ونظر
لياسمين بحماس ، وقد نهضت هي فوراً وأمسكت
بيده :

يلا بينا ..

راقبهما زياد وهما يبتعدان ، فنهض بعد خطوتهما
الثانية وهو يقول :

استنوا انا عايز شيتوس بردو ..

ذهب لمرافقتهم وولّوا بعيداً ، وسرعان ما التفت
رؤوف لابنته وأردف بجدية :

مىّ انتى لازم تتكلمى معاه وتعرفيه انتى ليه رافضة
الموضوع .. متخليهوش يحس إن فى حد بيحبه أكثر
منك ، لازم توضّحى السبب بشكل مباشر عشان هو
مش فاهم إنك خايفة عليه

تطلعت مى لوالدها بحيرة ثم اومات بقبول :
حاضر بابا

مرر عز عينيه عليهم جميعًا ثم سأل بما يهمله فقط :

مش هنتغدى يا جماعة !؟

- .
- .
- .

فخر متخانقش معاك عشان خدت العربية يوم ما
روحنا المول؟

طرحت ياسمين سؤالا بها بضحكة صغيرة وهي تسير بجوار زياد ، ويفصل بينهما عبدالله الذي يتعلق بيدها بكفه الصغير ، ويده الأخرى مشغولة بالمثلجات التي اشتراها للتو وتناول منها القليل ..

رد زياد وهو يمسك بحقيبة بلاستيكية تحوى باقى ما اشتروه للصغير ، وقال ضاحكاً :

طبعاً لا مش لدرجة خناق يعنى ، فخر مش بتاع خناق بالعكس ، ده شخص مسالم ومتفاهم جداً ..

مرّت على عقله لقطة عابرة لفخر وهو يخضع لعصبيته ويلقى عليه كوباً زجاجياً بجنون ، لولا أنه تفادها واصطدم الكوب بالحائط ليقع على الأرض مهشماً ..

انتبه لصوتها عندما قالت :

_أصل انا عارفة يعنى إنه بيحب عربيته وميستحملش
حد يجى جنبها

_ايوة فعلا بس انا استثناء ، انا اخوه مش غريب ..
انا مجرد ما اقول له عايز العربية .. لا اقول ايه؟ ده
من غير ما اقول بيقول لى على طول خدها تحت أمرك

تردد بأذنه صوت أخيه الذى صاح به صباح اليوم :

"قسمًا بالله يا زياد لو لقيتك واقف بس جنب العربية
ماهتلاقى حد يشيلك من تحت ايدى !!"

_ انت كذاب !

أخفض زياد بصره لهذا العقلة الفاصل بينهما وهو
ينعته بالكاذب ، ونظر له وهو يتابع :

_ خالو فخر مستحيل يقول لك خد العربية متضحكش
علينا ، ده لو شافك ماسك المفاتيح هياكلك

ضحكت ياسمين من حدته الطفولية ، بينما أزاحه زياد
من خلف رأسه بخفة لترتد رأسه للأمام قليلاً :

_ طب اسكت بدل ما اكلك انا !

.
. .
. .

توقفت ميّ بصحبة زوجها حازم استعدادًا لأخذ صورة
معًا ، حيث تكلف والدها بمهمة التقاط الصورة ..

فاقتربت منه مى لتقف بجانبه مباشرةً دون ترك
مسافة بينهما حتى قاربت على الدخول بأحضانها
وأسندت كفها على بطنه ، وبالمقابل أحاطها حازم
بذراعه يقربها منه أكثر ، وضحا الاثنان للصورة ،
فالتقطها رؤوف وعلى وجهه ترتسم ابتسامة مُحبة :

حلوة جدا

سألته مى بتردد :

الطرحة مضبوطة طيب؟

معرفش بس الصورة شكلها حلو

هتفت مى :

طب خدلنا واحدة كمان يا بابا معلى

هز رأسه بترحيب :

_حاضر .

رفع الهاتف واهتم باختيار زاوية جيدة للصورة ثم
التقطها قبل أن يقول :

_يلا يامىّ بقى خدى واحدة لوحدك .. ابعده يا فسل من
جنبها

وجه أمره لحازم وهو يشير له باستحقال مازح ليبتعد
، فضحك حازم وابتعد عن إطار الصورة وهو يقول :

_بالراحة ياعمى حاضر

ضحكت مى ثم استعدت لأخذ الصورة واعتلتها
ابتساماً واسعة ؛ لم تكن لغرض الصورة على قدر

خروجها من قلبها فعلاً؛ لسعادتها بمعاملة أبيها لها
التي لم تتبدل منذ طفولتها ..

لظالما أحب رؤوف تصوير ابنته منذ الصغر ليحتفظ
بذكرياته معها حتى مماته ..

لا يزال يحتفظ بكل صورها هي وأخيها؛ منها الصور
الملموسة ومنها المحفوظة على الهاتف، ويصيبه
الحزن الشديد بمجرد خسارة أى صورة منهم ..

كانوا على مسافة قريبة من الطاولة التي يجتمع
عليها الجميع ، فلم تمنع مريم عقلها عن التركيز
معهما ومراقبة لطافة علاقة خالها بابنته بابتسامته
صغيرة ..

ابتسامته في الواقع مكسورة وباهتة .. تخفى وراءها
الكثير والكثير من الحزن والخذلان ..

تتذكر طفولتها جيدًا عندما كانت تتمنى كثيرًا لو فقط
يعاملها والدها بقدر ذرات على الأقل من معاملة خالها
لابنته ..

لن تنكر شعورها بالغيرة الذي يصيبها رغما عنها في
بعض الأحيان ، فلم يسبق لها وشهدت هكذا مواقف
مع والدها ..

لم تكن تطلب الكثير ؛ فقط بضع مواقف تشعرها
بالحنان والموودة ليس أكثر .. أهذا صعب للغاية
لتناله؟

لا تعلم كم عدد المرات التي سألت نفسها نفس السؤال
" ألم أكن أستحق بعض الحب؟! "

.

أفاقت من شرودها على صوت عز يخبرها بمواصلة
اللعب ، فقد كانوا يلعبون لعبة الأوراق المسماة
"كوتشينة" ، وأخذت هى بضعة منهم ولكن لم
تحركهم من يدها مجدداً ، فقد انشغل عقلها بأفكارها
السابقة ..

تركت الورق على المنضدة وهى تنهض وتقول
بصوت متحشرج بعض الشئ :

معلش عايزة ارواح الحمام بس وهرجع على طول ،
كملوا انتوا لحد ما آجى ..

راقبها فخر بعمق وهى تبتعد عنهم على عجلة
، وكأنها تهرب إلى أى مخبأ يحتويها قبل أن يراها أحد
وهى تبكى ، تنهد بقلق وزاغت عينيه فى الأنحاء
بحيرة .. يعرف أخته تمام المعرفة ، ويعلم جيداً إذا
تغير مزاجها حتى لو نجحت فى تمثيل العكس ..

استأذن منهم ونهض هو الآخر ، ولحق بها بهدوء
؛فهي لم تكن متجهة ناحية الحمامات كما قالت ..

وصلت لمكان جانبي خالي من الناس إلى حد ما ، لن
ينتبه أحد لوجودها هنا وهذا ما أرادته ..

سرعان ما تناثرت دموعها واحدة تلو الأخرى ،
توترت أنفاسها بوضوح واهتز ثباتها بقوة ..

كثيرًا ما ادّعت عدم اهتمامها بالأمر ، ولكن طفح
الكيل ولن تقدر على فعل ذلك مجددًا ..

هي حزينة ، حزينة وبشدة وتود البكاء حتى ولو
دمرت عينيها من فيض العبرات ؛فلن يجعلها شئ آخر
تواصل حياتها بشئ من الأريحية ،سوى إخراج
ماتكبته بالدموع فقط ..

تفاجأت بصوته يناديها من خلفها بهدوء :

_مريم.

مسحت دموعها سريعاً ولكن لم تمحى آثارها جيداً ،
واستدارت له فوجدته يقترب منها حتى وقف أمامها
مباشرة وقال محققاً بوجهها الحزين ووجنتيها
اللامعتان بفعل الدموع :

_مالك يا مريم ايه اللى حصل؟

تطلعت من حولها متصنعة اللامبالاة :

_انا تمام عادى

أحنى رأسه بعدم اقتناع وأطال نظره لها بصمت ..

توترت من تحديقه بها وترددت في التحدث إلى أن
تتهدت باستسلام وتعب ، ورفعت عينيها له ؛فقد كان
يفوقها طولاً .. واعترفت بصوت مضطرب بشدة :
_ انا مش تمام لا مفيش حاجة تمام خالص

انفجرت بالبكاء فجأة بشكل مروع ، وأخفت وجهها
بين يديها وارتفع صوتها دون تحكم منها ..

شعرت بذراعيه يحيطان جسدها الضعيف ليضمها
لصدره الواسع بهدوء شديد ، أسند رأسه على رأسها
وكفه الأيسر يربت على ظهرها وكفه الآخر يمسد
فوق شعرها بلطف ..

دُفن صوت بكاءها قليلاً بعد إخفاء وجهها بأحضانها
ولم تكف عن النحيب ، بل أمست تتجدد عبراتها دون
توقف ..

لم يُغيّر وضعه ولم يتكلم ، فقط تركها تفرغ كل
مابداخلها من ألم وهو يتمسك بها قويا ،حتى تهدأ
وحدها وتلملم شتات نفسها على مهل ..

لم يكن يوماً أخاً وحسب بالنسبة لها ، بل كل شئ ..

صديقها ومسكنها وسيبلها الوحيد للشعور بالارتياح
والأمان ..

كلما ضعفت وبكت بأحضانها لم تنتظر أبدا سماع أى
كلمة تهوّن عليها ..

وجوده فقط هو أكبر كلمة تكفى لتهوين أى شئ

.

"تكرر كلمة على مايرام طوال الوقت وتنجح بمداراة
صدوعك ..

وعند اختلائك بنفسك تخونك عينيك وتترك

العنان لدموعك

أليس للحزن نهاية؟ أم أنه قرر اصطحابنا معه إلى
اللانهاية؟ "

ترك قلمه المميز بعد تدوين كلماته بدفتره ثم أغلقه
بهدوء ..

لم يضىء الغرفة شيئاً سوى المصباح الصغير الذى
يعتلى المكتب ، فبادر بإطفاءه وساد الظلام على
الغرفة

.
ومرت الليلة بحلوها ومُرّها ..
وحضر النهار الجديد ..
.

•
•
دلف فخر من باب المنزل ، بجسده الرياضى المتناسق
وخطواته الثابتة ، يرتدى بنطالاً من الجينز الأزرق
وقميصاً أبيض اللون ، وشعره كعادته ممشط بعناية
للخلف ..

هدأت خطواته قليلاً وراح يأخذها ببطء ؛ عندما أثار
تعجبه مجموعة مكونة من رجلين وامرأة ، تجلس
بصحبة زوجة أبيه "بسمة" ببهو المنزل ..

نظرت له بسمة عند اقترابه منهم وقالت بترحيب
ساخر :

__ اهلا يافخر تعالى سلم على ضيوفى

نظر له أحد الشابين وقال :

مساء الخير يا استاذ فخر

صح له فخر معلوماته وقال بصرامة :

مهندس فخر !

وقف بجوار الأريكة التي احتوت الثلاثة معًا ، وألقى نظرة عليهم بحاجب مرفوع ، ثم نظر لبسمة وأشار عليهم بسبابته بطريقة مستحقرة :

ايه دول؟

نظرت له بسمة ببرود وأجابت :

ايه؟ قرابى وجايين يقعدوا معايا شوية

أعاد نظره لهم يطالعهم باستهجان وهو يقول بلامبالاة وأسلوب مستفز من الدرجة الأولى :

_باين فعلاً إنهم قرأيبك .. نفس ريحة الزفارة !

**رفعت بسمة حاجبيها باندهاش ،ألحقته بنظرات
غاضبة .. بينما وجّه بصره لها من جديد وسأل
بيروود:**

_بيعملوا ايه هنا؟

**ردت بسمة متعمدة إثارة غيظه بابتسامتها السمجة :
_جايبين يزورنى عادى ..**

وتابعت :

_ماتسلّم عليهم ولا نسيوا يعلموك الأدب؟

لا نسيوا يعلموني الأدب ..

طرح رده بكل لامبالاة ،مما جعل بسمة تحدجه
بنظرات حائقة بوضوح ..

قرر أحد الضيوف الرد عليه ،فقامت المرأة من
مقعدھا و ردت عليه بغضب شديد :

ايه الطريقة دي؟ ماتحترم نفسك شوية واحترم إننا
في بيتكوا هو احنا بنشحت منك ولأ ايه؟

اترمى يابت!

أشاح برأسه باستصغار وهو يجيبها باستهانة وعدم
اكتراث .. ففغرت فاها واتسعت عينيها بذهول من
وقاحته ، وسرعان ما نهضت بسمة بانفعال :

لا انت زودتها بقى

اقتربت منه حتى وقفت أمامه عن قرب وأردفت :
الزم حدودك يا فخر ومتقلّش أدبك اكثر من كدا

رد بحنق :

قولتك اسمها مهندس !

لم ينتظر منها ردًا وتوجّه بكامل جسده إلى هؤلاء
الضيوف وقال بهدوء :

سأتحلّى بالأدب لمدة دقيقة وهطلب منكوا تطلعوا برا
بالزوق .. بعد مرور الدقيقة هتطلعوا بقلة الزوق
أمسكته بسمة من ذراعه لتجبره على التوجه لها :

_ لا بقى ده انت مناخيرك اترفعت ل فوق اوى! ، انت
محدثش قادر عليك ولا ايه؟

نظر لها وقال بكل هدوء :

_ انا مش هكرر كلامي تانى

صاحت بتحدٍ :

_ مش هيمشوا وأعلى ما فى خيلك اركبه

سكت قليلاً ثم سألها :

_ ده آخرك؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها وتطلعت له بنفس
نظراتها التي جمعت بين التحدى والحنق .. فأوماً فخر
بهدهوء وهو يطالعها بنظرات غريبة ومخيفة , وأردف:

حلو.

ابتعد عن ناظريها واتجه إلى الدرج وصعد حتى
اختفى بالأعلى ..

زفرت بسمة بحنق وعادت لكرسيها أثناء استماعها
لأحد الرجلين يقول :

انتِ عايشة معاه ازاي ده؟

عشان تعرف اللي انا فيه

فنطقت المرأة بتوجس :

هو هيعمل ايه بالظبط؟ بصّاته مش مريحة

ردت بسمة بعدم اهتمام :

سيبك منه.

•
بعد مرور دقيقة فقط ،استمعوا فجأة لصوت تعمیر سلاح نارى ،تبعه صوت يريج الأرجاء من قوته ،أثناء نزوله على الدرج بثبات :

برّا ياشوية شمّامين ياتربية الشوارع .. برااا

أطلق فخر كلمته الأخيرة بصوت جهورى ،تزامناً مع إطلاق رصاصة جانباً جعلت الجميع يفرع من صوتها ،ونفضوا كلهم فجأة بارتعاد ..

أخذ آخر درجة من السلم ، أثناء مراقبته لعودة الثلاثة إلى الخلف بخوف وترقب ، بينما صاحت بسمة باندهاش امتزج بالغضب :

_ايه اللي بتعمله ده ،انت اتجنتت !؟

**خرج زياد سريعًا ووقف عند مقدمة الدرج يراقب
مايحدث من الأعلى ..**

**انكتم صوت بسمة فجأة وابتلعت ريقها بقلق ، عندما
أشار لها بالسلاح ورأت فوهة المسدس موجهة
ناحيتها وهو يهتف بغضب مكتوم :**

_انتِ تبلى لسانك وتخرسى خالص!

**طالعتها بنظرات مخيفة وانخفض صوته قليلاً متوعدًا:
_ليكي روفة !**

**ثم التفت لهذه المجموعة ،والتي خرج منها رجلًا يبدو
أنه وجد حبوب شجاعة فى أحد جيوبه وقرر
الاستخفاف به :**

انت فاكِر إنك هتخوّفنا بالبِتاع ده؟ ، هو أى حد
يمسك سلاح ويضرب له طلقتين فى الهوا خلاص بقى
مسيطر وجامد؟؟ ، احنا عارفين إنك بتهدد بس و
عارفين إنك مش هتعمل حاجة ..

لم يكد يستمر بثقته الحمقاء حتى تلقى رصاصة
بساقه أطلقها "فخر" بوجه مضجر وبارد تمامًا
، وكأنه ضربه بدبوس صغير على الأكثر ..

ارتفع صراخه المتألم ،توافقًا مع صياح السيدة و
بسمة بذعر من فعلته المتهورة ،واتساع عيني زياد
بصدمة مع ظهور شبح ابتسامة مندهشة ومتحمسة
على محياه ؛فهذا أفضل إصدار من سلسلة أفلام
المشاكل والمنازعات التى يحب رؤيتها أو افتعالها مع
أحد ..

بينما ساعد الآخر صديقه المصاب قبل أن يهوى
أرضاً وأسرع يقول :

خلاص احنا هنمشي خلاص ،مش عايزين نعمل
مشاكل لو سمحتوا

انتهى من كلماته ثم سارع بسحب صديقه معه إلى
الخارج ومعهم السيدة ، وخرجوا من المنزل تحت
نظرات فخر الجامدة والغير مكترثة تمامًا ..

لم يبالي ببسمة الواقفة تحمق في طيفهم بذهول ، ولا
بالخادمتين ;سحر وحنان الواقفين عند أبعد نقطة لا
تجعلهم على مرمى النظر بشكل واضح ،يعتليهما
الاندهاش وعدم التصديق ..

فى حىن أأذت الابللسامة آغزو وآه زىاد ، وهآف بكل
فآر وآشآىع :

!!! That's my boy _

"هآا هو ولى"

ىآبع..

الفصل الثالث عشر {عيد ميلاد}

وقفت "مى" أمام المرآة تمشط شعرها البنى الطويل
بهدوء ، ومن خلفها السرير يعتليه حازم ، حيث يُسند
ظهره عند مقدمة السرير ويرفع ذراعه الأيسر ليضعه
خلف رأسه ، يترك قدمًا تتسطح السرير ويثنى

الأخرى ، ويده الأخرى تمسك بالهاتف يتفحصه بعدم
اهتمام ..

سمعا صوت طرقات صغيرة فوق باب الغرفة ، فأذنت
مى بالدخول :

_ اتفضل يابودى

فتح عبدالله الباب وأدخل رأسه فقط يتسائل :

_ كنتى بتنادى ياماما؟

أجابت وهى تترك فرشاتها :

_ اه يا حبيبي تعالى ..

التفتت له وراقبت اقترابه منها حتى وقف أمامها ،
فانخفضت على ركبتيها ونظرت بعينيه عن قرب
وقالت بهدوء :

عايزة اقول لك حاجة

اوما بانتباه وعينيه الواسعتين تشع بالبراءة وهى
تركز معها ، فأردفت بلطف :

لما كنا فى النادى وانا رفضت إنك تجيب حاجة حلوة
، انا مكنتش عايزة اضايقك خالص ولا انك عليك
الخروجة والله .. انا بس كنت خايفة عليك من
الحاجات دى وأضرارها عليك ، وخصوصاً إنك لو
كترت منها هتتعود عليها وهتتعبك
رفع حازم عينيه عن شاشة الهاتف وطالعهما بانتباه
، بينما تابعت مى بحب :

مش فاكر لما بطنك وجعتك بسببها مرّة وروحنا
المستشفى؟ ، فاكر انا كنت مرعوبة ازاي وقتها؟ ،
يرضيك قلبي يوجعني عليك كدا تاني؟؟

أسرع يهز رأسه بالنفي أكثر من مرة ، فأضافت
بحنان جارف :

انا عشان بحبك عايزاك كويس وصحتك كويسة
،مش عايزة اشوفك تعبان .. والله الحاجات دي لو
مكانتش مضرة كنت جبّتك منها كل يوم ،انت عارفني
مش هшил عنك حاجة أبدا

او ما بتفهم وقال :

خلاص ياماما عادى مش مشكلة

سألته بترقب :

يعنى انت مش زعلان منى؟

فأجاب :

كنت زعلان في الأول بصراحة ، بس خلاص فهمت
وانا مش عايز اخوفك تانى زى يوم المستشفى ده

ثم أضاف بنبرته البريئة وصوته الرقيق :

انتى بتجيبيلى حاجات تانية كتير وبتعمليلى كل
الأكل اللي بحبه وبتلعبى معايا وبتساعدينى فى
الواجب .. كل ده معناه إنك بتحبينى ومش هترضى
تضايقينى ولا حاجة

احتلتها ابتسامه واسعه وشعرت بقلبها يذوب من
لطافة صغيرها وتقديره لما تفعله من أجله ..
اقتربت منه لتقبل وجنته الناعمة بعنف ، وكأنها تود
أن تأكله من قوة حبها له ، فضحك الصغير ببراءة ..

تحت مراقبة حازم لهما بابتسامة صغيرة مُحبة
وبداخله يتمنى فقط أن تنعم أسرته الصغيرة بهذا
الهدوء والاستقرار أكبر ما يمكن ...

*

*

*

فتحت "عزة" باب منزلها بعد سماع صوت دقاته
وسرعان ما شهقت بسعادة ساخرة وصاحت :

_بيبي !! ، حمدلله ع السلامة يا حياتي مين اللي عمل
فيك كدا؟

تطلع لها مروان رافعًا حاجبيه بتهكم ، ودلف دون
سابق دعوة وهو يقول ضاحكًا :

_انتى بتهزرى ؟

التفتت له بعدما أغلقت الباب وعقدت ذراعيها
ببعضهما :

_قولتك ياميرو بلاش انا ، بس انت اللي شوفت
نفسك عليا

سألها مروان بسخرية ولامبالاة :

_بتأجرى بلطجية يا عزة عشان يضربونى؟

ردت ببرود :

_وأجر عفاريت كمان لو احتاجت ..!

هتف بتهديد :

_انتى فاكرانى مش هعرف ارد لك اللي عملتية ده؟

أجابت بضحكة عريضة مفعمة بالسخرية :
_ياحبيبي اللي حصل ده أصلا كان رد على عمالك ،
كدا خلاص نبقى خالصين

_مكنتش فاكِر إن ده أسلوبك يازوزو

قابلت جملته الساخرة بنظرات مستهزئة ونبرة ثابتة :

_مشكلتك إنك افكرت الستات كلها زى بعض
يامروان !

وتابعت باستخفاف :

_كنت فاكِرني لما اكتشف إنك بتخدعنى النهار بقى
وهاخد جنب واعيط ليل نهار وهعيش ليالى حزينة
وأيام كئيبة

اختفت سخريتها وارتفع صوتها بقوة واضحة :

_ لا يابابا فوق! ، ده انا مفترية وايدى طويلة ووقت
ما حد يغلظ فى حقى اقلع له عينه !!

لم ترى منه رد فعل سوى ابتسامة غريبة تعلو محياه
بوضوح ، فصمتت وثبتت بصرها عليه بتحد وثبات
كالصخر ، حتى استمعت له يقول :

_ والله عجبانى لسة

عقدت حاجبيها باستفهام ، فاستطرد هو :

_ مفترية اه بس بردو مختلفة وليكى معزة عندى غير
كل اللى عرفتهم ..

ابتسمت بسخرية وأشاحت بنظرها وهي تردد بصوت
مسموع :

_صدق اللى قال الرجالة متحبّش غير اللى تديهم على
دماغهم !

اقترب منها قليلاً ونطق :

_لا ده محصلش دلوقتي ، ده رأيى من قبل الحادثة

ثم أضاف بشئ من بلامبالاة :

_بصى مش هكذب عليكى ، انا فعلا مش بتاع جواز
بس هعترف انّ اى حد يخسرك يبقى خسر كثير ..

هزت رأسها بتهكم وهي تطالعه باستخفاف ، وقالت :

_ عايز ايه يامروان؟

_ ولا أى حاجة ، انا بقول لك اللي فى قلبى

ردت بعدم اكتر اثار :

_ ايوه ومستنى اخذك بالحضن فى الآخر يعنى ولا
ايه؟

ضحك وأجاب غامزاً لها :

_ معنديش مانع

لم يظهر عليها استجابة راضية عن مشاكسته ،
ونهرته بصوت هادئ يوحى بعدم الاهتمام :

_ بطل رمرمة بقى وانصف شوية

_ معنديش مشكلة ،يلا هاتيلي صابونة
أردفت بسخرية :

_ ده انت لذوذ كمان !

ثم دفعته صوب الباب :

_ طب اطلع برا يلا ..

توقف وهو يضحك ببرود :

_ ليه كدا يازوزو؟

أزاحته مجددًا وأردفت :

شطبنا وخلصنا خلاص ، ووشك لو شوفته قدامى
تانى هأجرك بلطجية ألن من اللى شوفتهم ستين
مرة

*

*

*

وقف فخر أمام والده وسط ساحة مكتبه الخاص
بالقيلا ، يضع يديه خلف ظهره ولا يظهر على وجهه
أى اكترات بتعنيف والده المتطاير عليه من كل جانب
..

رايح تمسك السلاح بتاعى وتهدد الناس بيه؟! ،
مين سمح لك تمسكه أصلا يافخر؟ ، والراجل اللى
ضربته ده كنت تضمن مين إنك متقتلوش وتودى
نفسك فى مصيبة؟! ، انت فاكِر نفسك فىن هنا!؟

صمت عامر وحقه بغضب ، إلى أن صاح بحدة
عندما وجده لا ينبس بكلمة :

_ ماترد !!

أجاب فخر بكل هدوء :

_ ارد اقول ايه يافندم؟ قولى لها تطلعهم بالهداوة
عندت فيا .. وانا قولى لحضرتك قبل كدا مش دى اللى
هسيبها تمشى كلامها عليا

_ وانت يخصك فى ايه يقعدوا ولا يمشوا ؟ هم جم
جنبك !؟

رد فخر وارتفع صوته قليلاً بسخط :

هـى مش جيباهم عشان وحشوها وصلة الرحم
قتلاها اوى ، دى جايباهم مخصوص عشان تغيظنى ..
عايزة تقول لى انا اهو فى بيتى وبجيب فيه الناس
الى انا عايزاهم كمان ، افكرتتى هتضايق واسكت
ومش هقدر اعمل حاجة ، بس لاده مش انا ! .. كان
لازم اعرفها مين فخر وافكرها بقيمتها الى متسواش
فردة شراب.

أردف والده بملل وحنق :

انت زودتها يافخر وبقيت أوقر اوى !

رد ببرود ولا مبالاة :

والله كله بيبقى رد فعل على عمايلكوا ، انا مباحيش
على حد

أوشك عامر على الرد ولكن لم يعطه فخر الفرصة
وسبقه بقوله :

متتعيش نفسك يا عامر بيه ، المشاكل مش هتخلص
إلا لما العقربة دي تغور من حياتنا .. غير كدا هنفضل
فى الدوامة دي كتير لحد ما حد فينا يموت ويخلص
.....!

*

طرق فوق باب شقتها وانتظر الرد بملل ، وسرعان ما
تفاجأ بفتحها الباب لتجذبه إلى الداخل بعنف ، صارخة
بضحكة كادت تتخطى حدود وجهها من اتساعها :
مروان مش هتصدق مش هتصدق !

ارتطم جسده بالباب من قوة شدتها المفاجأة ولكنها لم
تبالى وأغلقت الباب ثم وقفت أمامه وهى غير قادرة
على كبت حماسها وتحدثت بسرعة :

_فخر عزمى على عيد ميلاد اخته بعد بكرة ، عارف
قالت ايه؟ قالت إنها حبتى يوم ما خرجت معاهم وهى
اللى طلبت منه يعزمى كمان .. انا مبسوطة اوى ، انا
بجد حبيتهم كلهم وكان نفسى اتجمع معاهم تانى ، ده
حتى حازم اللى مكنتش بطيقه طلع عسول اوى برا
الشغل .. انا مش عارفة البس ايه دلوقتى ولا اجيب
ايه هدية و ...

بتر مروان حديثها بكلمة واحدة نطقها بصوت مرتفع:
_اهدي !!

فزعت من صياحه المفاجئ وصمتت فورًا ، فزفر
وهو يمرر عينيه من حوله بتعجب هاتفاً بسخط :

_يخربيت ده بغبان !

أعاد نظره لها وأردف بهدوء لا يخلو من الصرامة :
_قولتك اتقلي ، خليكي ثقيلة وراسية كدا .. مفيش
بربع جنيه كاريزما خالص!؟

نطقت باستخفاف :

_فى طبعا يا حبيبي انت متعرفنيش وانا معاهم كنت
عاملة ازاي أصلاً

ثم أردفت بحماس وهي تمسك بيده وتأخذه لغرفتها :
_المهم تعالى اختار معايا البس ايه .. بفكر يا البس
الكارديجان الكموني يا الشميز الكاروهات والبنطلون
الاسود

تمتم مروان مع نفسه بمنتهى الملل :

_مش هيعدي اليوم النهاردة ...

*

*

*

حضر اليوم المنتظر ..

وأخذت ياسمين تتجهّز وترتب شعرها البنى أمام
المرآة ؛إستعدادًا لحضور حفل ميلاد ابنة خالها ..
أمسكت بدبوس شعر يأخذ شكل الفراشة وقيدت به
خصلة من الجانب لتزين به شعرها ، أخذت نظرة
سريعة على فستانها الأبيض ذو النقوش الزرقاء
،وابتسمت برضا عن مظهرها ..

أعلن هاتفها عن وصول عدة رسائل متتالية ،
فالتقطته وفتحته ، سرعان ما ظهر عليها الاهتمام
عندما وجدتها من زياد ..

فتحت المحادثة ووجدته أرسل صورتين لقميصين
أحدهما سماوى اللون والآخر أحمر قاتم , ومعهما
رسالة نصية :

"البس انهي تيشيرت بسرعة؟"

لم تلبث حتى اعتلتها ضحكة واسعة، وظلت تحرق
بالرسائل للحظات بشئ من الذهول مع السرور؛ وما
الذي سيسعدها أكثر من أن يشاركها أحد متعلقاته؟
خاصةً وإن كان فاعلها "زياد"؟
شعرت بسعادة غامرة عند شعورها باهتمامه برأيها،
وباشرت بالرد:

_"الاتين حلوين بس النبيتي عاجبني اكثر"

انتظرت قليلاً حتى أتاها رده:

_"بقول كدا بردو"

ثم أضاف:

_"اشطا انتِ هتيجي امتي؟"

أجابت :

_"هنزل اهو خلاص"

"متأخرش يامعلم"

ضحكت بخفة ، واكتفت بالرد بملصق فكاهى ، ثم
أغلقت الهاتف واستعدت للمغادرة بعد سحب حقيبتها
بيدها

*

*

ليلة عيد الميلاد ;حيث تزينت حديقة المنزل بحرفية
بالعديد من الأضواء الملونة والزينة والبالونات
؛احتفالاً بالابنة الوحيدة للأسرة ;الجميلة الهادئة
"مريم" ..

تحضرت الكراسى على عدد المدعوين مع الطاولة
التي ستحمل كعكة عيد الميلاد بعد قليل ..

شغل "عز" أحد المقاعد وهو يمسك بطبق يحوى
القليل من الحلويات الشرقية ، ويأكلها بتلذذ واستماع
، ولكن تعكر مزاجه بصوت ابن عمته بجواره :
_ انت يا حرامي الكنافة !!

وقف زياد أمامه متابعًا :
_ ده انا مخبي الصينية منك انت مخصوص

نظر له عز ضاحكًا ببلاهة وفمه مكس بالطعام الذى
لم يبتلعه بعد ..

.

لم يأخذ الجميع وقتًا للتجمع بساحة الحديقة ، فحضر الخال رؤوف بصحبة ابنته وزوجها حازم وولدهما ، ثم حضرت "حنين" و "ياسمين" ، ومن بعدها أتت "رنا" صديقة مريم برفقة "إياد" ؛ وبالطبع كان هو الضيف الأهم بالنسبة لمريم..

ما إن دلف من البوابة حتى وقعت أنظار زياد وعز عليه ؛ فكانت نظرات عز له حائقة يبدو عليها محاولته في كتم غضبه ، بينما خاصة زياد لم تحتوى سوى البرود واللا اهتمام ..

باشر زياد بالاقتراب منهما ، فنظر لرنا أولا بابتسامة صغيرة :

_ازيك يارنا؟

رسمت ضحكة بشوشة على وجهها وقالت :

_ الحمد لله يازيزو عامل ايه انت؟

_ انا تمام ..

ثم صوّب بصره إلى إياد الواقف بجانبها ورمقه
بنظرات غامضة بعض الشيء أثارت الريبة قليلاً بإياد
ولكنه لم يتخلّ عن ابتسامته الودودة وقال :

_ ازيك يازيزو اخبارك ايه؟

أجابه بجمود :

_ زياد .. اسمي زياد!

ترددت عيني إياد من حوله للحظة ثم ضحك قائلاً :

_ انا لاحظت إنهم يقولوك زيزو يعنى قولت يبقى

بتحب الاسم ده

أوماً زياد مجيباً ببرود :

_ اه هماً يقولوا انت لا ، انا بحب الاسم ده من اللي
بحبهم بس ..

قُطب حاجبيه بتعجب ، بينما رمقه زياد بلامبالاة
وابتعد عن وجهه .. بنفس الوقت الذي أتت به مريم
ويرتسم على وجهها ضحكة عريضة مرحبة :

_ حمدلله على السلامة ..

ثم أشارت للخلف دون أن تبعد أنظارها عنه وقالت :

_ الواد ده ضايقك صح؟

رد إياد ضاحكاً :

هو غريب بصراحة

هو كذا مع أى حد ،متأخذش حاجة بشكل شخصي

ثم هتفت بترحيب :

المهم انتوا اخباركوا ايه؟

.

دلفت جهاد من البوابة بخطوات مترددة ونظرات متوترة بعض الشيء .. تأخذ نصف خطوة ثم ترجعها مجددًا ثم تتقدم من جديد بعدم استقرار ..

ارتدت بنطالاً من الجينز الأسود وقميصاً واسعاً مفتوحاً إلى آخره من خامة الشيفون أصفر اللون ،يعتلى قميصاً تحتياً من القطن أبيض اللون لا يحمل أى نقوش ..

شعرها الأسود الطويل ينسال على جانبي وجهها ،
ويرافق الكحل عينيها الواسعتين كالعادة ..

غلبها الهدوء قليلاً عند رؤيته يتقدم ناحيتها بابتسامة
ترحيبية تملأ محياه ، وقد كان يرتدى بنطالاً من اللون
الكحلى وتيشيرت من اللون الوردى الفاتح بنصف
أكمام ،برز عضلات ذراعيه وأوضح قسمت جسده
بعض الشيء ، وهتف متسائلاً :

يامساء الفل، انتِ توهتي ولا ايه؟

لا تمام العنوان كان واضح الحمدلله متسوحتش

ثم قالت مشيرة لرأسه التي نزع عنها الشاش مؤخراً:
حمدلله على السلامة ، شيلتها امتي؟

ضحك فخر وأجاب :

الله يسلمك ، يادوبك امبارح ..

ثم نبس مشجعًا إياها على ملاحظته :

تعالى يلا هنوِّع الشمع دلوقتي ..

.

خفف زياد الاضواء قليلاً ليبرز ضوء الشموع ، ثم
اقترب منهم وهم يلتفون حول الطاولة ويهللون
بأغاني عيدالميلاد الكلاسيكية المعتادة مع التصفيق
بتناغم مع الأغاني ..

كانت تقف مريم بين "فخر" و خالها "رؤوف" ،
والضحكة تحتل ثغرها بسعادة غامرة أثناء مراقبتها
للجميع وهم يحتفلون بها بحماس يكاد يتخطى
حماسها هي ..

كانت نظراتها خائفة على الجميع ، عدا "إياد" الذي ارتكز بصرها عليه مطوَّلاً ، فقابلها هو بابتسامة صغيرة وأرسل لها غمزة سريعة وهو يستمر بالغناء ، فضحكت وأبعدت نظرها عنه بخجل ..

اندمجت "جهاد" كثيراً معهم وأمست تغنى بحماس وسرور صافٍ ، وكأنها أختها أو صديقتها المقربة .. كانت سعادتها بمشاركتهم هذا الحفل لا توصف ؛ فلأول مرة تشعر أنها بصحبة أصدقاء مُريحين يتحلَّون بهذا الكم من القبول والمرح ..

رغم فرق الطبقات الاجتماعية الذي أثار قلقها مسبقاً من ألا يتقبلوا وجودها ، إلا أنهم على النقيض استطاعوا كسبها من أول تعارف بلباقتهم وتواضعهم وخفة ظلهم ، ولم تشعر للحظة أنها غريبة بينهم ..

ابتسامتها النقية ، حماسها الزائد كطفلة تمرح في مدينة الألعاب ، عينيها الأشبه بعيون المَها ، تصفيقها

وحركاتها العفوية كتعديل سوارها المحيط برسغها أو
إعادة شعرها الأسود للخلف ثم متابعتها التصفيق
والغناء باهتمام واضح ..

كل هذا لم يفلت من بين أنظاره ، بل كان تحت ترصده
منذ بداية الاحتفال ..

لم ينحرف بصر "فخر" عنها ، وشفثيه تردد الأغاني
بهدهوء وصوت منخفض عن الجميع ..

لم تكن بهذا الجمال الجذاب حدّ الفتنة ، ورغم ذلك
أحبّت عينيه مراقبتها وتفصيل ملامحها البسيطة ..
يوقن بامتلاكها رونق خاص وبهاء مميز ، لا يلاحظه
سوى من يعطها حقها فى التدقيق بلامحها الهادئة ..

ابتعدت مقلتيه عنها أخيراً عند ملاحظته أخته وهى
تتحنى قليلاً إلى الكعكة لتطفئ الشموع ، ومن ثم

تعالَت أصوات التصفيق الحار من الجميع وقد أضاف
زياد تصفيرًا متتابعًا لحقه بصوته :

سعيد عزيزتي " .happy birthday darling_ عيد ميلاد

ضحكت له مريم وقبّلت يدها ووجهت كفها له ترسل
له القبلة بحب ، ثم التفتت لخالها الذى بادر
باحضانها وهو يهنئها ، وفى المقابل تمسكت به قويا :

_ربنا يخليك يا أحلى خالو فى الدنيا ، متحرمش منك
أبدا يارب ..

ومن ثم تبعه الجميع ليهنئها ، إلى أن تقدمت لها
جهد وقالت بابتسامة واسعة :

كل سنة وانت طيبة يا مريم ، انا مبسوطة اوى إنك
عزمتيني والله ، يارب عقبال سنين كتير إن شاء الله

أقبلت مريم عليها تقبلها مرة يمينا وأخرى يسارا
وهي تقول بترحيب :

حببتي انا اللى مبسوطة إنك جيتي ، انا ارتاحت لك
وحيبتك جدا والله ، نورتيني

اتسعت ضحكة جهاد كثيرا ثم عادت للوراء قليلا بعد
ارتفاع صوت رنين هاتفها ، فانسحبت عن التجمع
بأكمله وراحت بعيدا لتجيب

- .
- .
- .

وقف زياد بجوار ياسمين ودفعتها بخفة بطرف كتفه
وهو يقول :

__ مساء الأنااس

نظرت له بتساؤل ضاحكة بهدوء :

__ ايه؟

__ حلو التيشيرت ولا لا؟

نظرت لهذا القميص الذى اختارته له ، وقالت :

__ ايوه حلو ، انت لسه محتار؟!!

__ لا بتأكد بس ..

ألقي نظرة على فستانها ثم قال بمشاكسة :

_مين القمر اللي اختار معاكى الفستان ده؟

ردت بعناد مازح :

_على فكرة انا اللي اختارته

أجابها بنفس نبرتها :

_وانا اللي شجعتك تشتريه

تابع بعد ترك نظرة سريعة على دبوس الشعر المعلق
بشعرها :

_وتشترى دى بردو

ضحكت بحماس وهتفت :

_حلوة؟ انا كنت بفكر احط اتنين ، واحدة يمين وواحدة
شمال ، بس خوفت ابقى أوقر

ضم شفتيه بتفكير وهز رأسه بقبول :
_مش عارف ، حاسسها هتبقى حلوة عادى

_والله؟ طب اصبر نجرب
سارعت بفتح حقيبتها ، فضحك متسائلاً :
_انتى جيبهاها معاكى؟

أجابت موضحة :

_انا عموماً بشيل التوك والبِنس فى شنتتى عشان
لما احب المّ شعرى ..

أخرجت دبوساً مشابهاً تماماً لما وضعتة مسبقاً
، ووضعتة بالجانب الآخر ثم نظرت له بترقب :

_ها؟

قارن بين موضع الدبوسين ولاحظ واحدًا يتقدم الآخر ، فقال :

لا انتى حاطة واحد أبعد من التانى استنى ..

اقترب منها وبادر هو بتعديلها برفق ، فنزع الذى وضعته للتو ثم أعاد هو وضعه جيدًا ، تلامست أنامله مع شعرها الناعم ، وقد أربكها قليلًا قربه منها لهذا الحد وابتلعت ريقها وهى تحاول كبت ابتسامتها المتوترة ..

انتهى وعاد للخلف ونظر للدبوسين برضا ، عندما أصبحا على نفس المستوى وهتف بعفوية :

كدا قمرين .. متجيش عندهم بقى

أخفض عينيه لها وتابع :

_على فكرة انا لاحظت إنك لابسة كعب النهاردة ، بس
لسة قصيرة بردو متحاوليش ..

ثم ركض بسرعة بعد تعمده إغاظتها , بينما ضحكت
وهي تراه يهرب كفتى أحمق ، وصاحت بتوعد مازح :

_ماشى يازياد !

.
. .
. .

احتضنت حنين مريم بقوة وهي تقول بضحكة
مسرورة :

_كل سنة وانتى طيبة يا أجمل روما ، عقبال مية سنة
ياحبيبتى

ردت مريم بابتسامتها الهادئة :
_وانتى طيبة ياحنون ..

ثم هتفت عندما جذب انتباهها لون أحمر الشفاه
خاصتها :

_ايه ده حلو الروچ ده جبتيه منين؟

ردت حنين قائلة :

_ده عندى بقاله فترة ، هبقى اخذك للمحل اللى جبته
منه .. عنده حاجات كتير حلوة هتعجبك

.

.

انتهت جهاد من هاتفها ثم التفتت من خلفها لترى
فخر مقبلًا عليها بهدوء وبين كفيه طبقتين صغيرين
بهما كعكة الحفل قدّم لها واحدًا وهو يقول :

_ اتفضلنى ..

أخذته بابتسامة ممتة :

_ شكرا ..

_ اتبسطنى؟

كان حتمًا يعلم الإجابة من وجهها المبتهج ، ولكنه
استمع لتأكيدها :

_ اوى اوى ، وكلهم طيبين اوى بجد ..

ابتسم بامتنان شديد ، ثم نبس بلطف :

_ طب تعالى عشان هناخد كام صورة ..

استدار وكاد أن يتحرك ولكنه توقف سريعاً وعاد
ينظر لها قائلاً :

_ على فكرة ..

اقترب منها قليلاً ليهمس لها بخفوت وكأنه يخبرها
بسرّ :

_ حلو الاصفر عليكى

ترك لها نظرة عابثة أخيرة قبل أن يسبقها ويتحرك
صوب الجميع ، فى حين تطلعت عينيها من حولها
بتعجب امتزج بضحكتها الخجولة ، وسرعان ما أخفت
ابتسامتها قليلاً ثم سارعت بالحقاق به ...

.

.

ثَبَّتَ "حازم" الهاتف بمسند الهواتف الخاص ، حيث تركه على مسافة مناسبة منهم ، ثم شغل الموقت حتى يتسنى له الانضمام للصورة ..

حرصت مريم على وقوف خالها رؤوف في المنتصف يتقدمه حفيده والطفل الوحيد للعائلة "عبدالله" ، ثم وقفت هي بجانب خالها عن يمينه وعن يساره وقفت مي ، وبجانبهما توزعت الفتيات ؛ فوقفت حنين مع ياسمين بجوار مي ووقفت رنا بصحبة جهاد بجانب مريم ..

بينما اجتمع الشباب خلفهم ؛ فكان زياد عند الطرف الأيسر يجاوره عز ومن ثم فخر وحازم وأخيراً إياد عند الطرف الأيمن ..

وضحك الجميع للصورة التي ستحمل معها ذكريات قضاء وقت من أفضل الأوقات التي لا تتكرر كثيراً ..

*

*

*

بنهار اليوم التالى ..

كانت جميع كراسى السفرة الكبيرة القابعة بيهو القبلا فارغة ، عدا واحد فى المقدمة يشغله فخر وهو يمسك تفاحة حمراء بيده اليسرى وسكين صغير بيده اليمنى ، وكلما قطع شريحة من التفاحة أكلها دون انتظار ، تقطيعها بالكامل فى الطبق ..

حضر زياد ووقف بجانبه والتقط إصبعًا من الموز من طبق الفاكهة الكبير الذى يتوسط السفرة ، وبدأ بتقشيره مخاطبًا أخاه :

قاعدا كدا ليه يا حزين؟

رد فخر بملل قبل أن يأكل قطعة أخرى بعد تقطيعها
بالسكين أولاً :

_زهق

رمقه زياد بعدم فهم وعقب قائلاً :

_طب ماتاكلها على طول ، مكلف نفسك وبتقطع ليه؟

_برتاح كدا

أمعن زياد النظر بباقي التفاحة بين يديه ، فلاحظ أنه
قطعها بنظام شديد حتى أمست التفاحة مكعبة الشكل ،
فصاح بتعجب :

_انت دَخَلت الهندسة فى التفاحة كمان!؟

هبطت مريم فوق الدرج وهى تصيح منادية :

دادة سحر ! ، يا دادة انتى فين؟

أتت سحر من الداخل واقتربت من السلم مجيبة :

ايوة ايوة انا هنا اهو

تحدثت بعدما أخذت آخر درجة وقالت :

يادادة الحلق الذهب بتاعى مش لايقاه ، ممكن
تدوريلى عليه فى اوضتى؟ انا قلبتها عليه ملقيتوش
بس ممكن يطلع فى ايدك انتى ولا حاجة

أومات سحر بطيبة :

عنيا حاضر هنلاقيه إن شاء الله متقلقيش

ابتسمت وربتت على ذراعها بامتنان :

_ربنا يخليكى شكرا

التفتت لأخويها وقالت بمشاعبة :

_انا ماشية ياحمير ، اللي عايز حاجة ميكلمنيش

استعد زياد للتحرك تجاهها وهو يقول :

_اه انتى مبتحرّمش بقى !

أوقفه مريم سريعًا بصوتها :

_اقف مكانك! انا عاملة شعري ومش فاضية ابوظه

واعمله تانى .. لما ارجع يبقى نمسك فى بعض

رجع زياد الخطوة التى أخذها ووقف كما كان وهو

يهتف بحفاوة :

_اشطا هستناكى ..

هتفت ضاحكة :

_سلام..

تحركت خطوتين فقط ثم توقفت فجأة على صوت

زوجة أبيها :

_استنى يامريم

التفتت للدرج وراقبتها وهي تنزل ببطء وعجرفة

وتقول :

_عايزة اتكلم معاكوا انتوا الثلاثة ..

راقباها الشابان وهي تنزل على مهل ،حيث كانت
ترتدى فستاناً ضيقاً منقوشاً بجميع الألوان الأساسية
السبعة ،وكان صدى كعب حذاءها يرن مع كل درجة

..

مال زياد بجدعه ناحية أخيه قليلاً وهمس له دون
إبعاد نظره عنها :

_ ايه قوس قزح اللى داخل علينا ده؟

أجابه فخر بخفوت :

_ شكله شم النسيم باين

ما إن خطت آخر درجة حتى ارتفع صوتها بإخراج ما
تكبته :

_ بصوا بقى ومن غير رغى كثير ، اللى حصل امبارح
فى الجنينة ده والعك اللى عملتوه ده كله انا مش
هسمح يتكرر تانى ، انا بس سكتت ومرضتتش
اخرجكوا قدام صحابكوا .. لكن بعد كدا أى حاجة

هتحصل من غير علمى هيبقى فيها كلام تانى
وتصرف تانى

لم يصدر أى رد فعل من الأخوين ; يتناول فخر تفاحته
بسلام دون النظر لها حتى ، ويستند زياد بذراعه على
ظهر الكرسي وهو يطالعها بلا أى اكتراث ..

فى حين اقتربت مريم صوبها قليلاً ، عاقدة حاجبيها
بسخط وتقول :

_ لا انتى بتهزرى أكيد !

ثم أضافت بحنق :

_ بسمة انتى عارفة انا مبعملش معاكى أى تعامل
خالص وماليش دعوة بيكى ولا بحب اخش معاكى فى
أى حوار .. بس كدا انتى سوقتى فيها !

ردت بسمه بغرور :

_سوقت فيها عشان بحافظ على بيتي؟! ، انا أبسط
حقوقى أعرف مين اللى داخل وخارج من بيتى يبقى
مين بالظبط وجاى ليه ، وإلا كدا نبقى فاتحينها كازينو
بقى

ثم التفتت لفخر وتابعت موجّهة له الحديث :

_والبت البيئة اللى جبتها امبارح دى واحنا منعرفش
هى مين ولا بنت مين أصلا .. ابقى استتضف معارفك
شوية وميّر اللى ينفع يدخل البيت ده من اللى
مينف عش يعدّى من قدامه حتى! مش أى حد معدّى
تقول له تعالى ادخل

حملق بالفراغ أمامه قليلاً محاولاً التزام البرود أكبر
قدر ممكن .. وما إن نجح بكظم عصبيته وأخرج زفيراً
هادئاً ،حتى دس يده بجيب بنطاله وأخرج هاتفه ليقوم
باتصال ما دون التكرم بنظرة خاطفة إليها حتى ..

انتظر الرد تحت مراقبة الثلاثة له بصمت وترقب ،
إلى أن بدأ بالتحدث بعد فتح الخط :

_ايوة ياجهاد ازيك؟ .. اسمعى احنا ناويين نعمل حفلة
عيدميلاد و أكبر من بتاعة امبارح كمان ،بس لزيرو
المرّة دى ..

ضحك زياد وهو يتابع استماعه لكلمات أخيه :

_اه ما هو عيد ميلاده بعد مريم على طول .. عدّى
عليا دلوقتي متأخريش ، هفهمك لما تيجى ...
مستينك كلنا ،يلا سلام

ارتفع حاجبي بسمة بسخرية وسارت صوبه بضع
خطوات ، قصدت امتلاك البرود بنبرتها حتى لا تحقق
له رغبته ياغضابها وهتفت :

_ انت فاكِر إنك كدا بتغيظني؟

نهض فخر وأخذ خطوتين تجاهها ، ثم نبس
باستفزاز:

_ اه ..

اقتربت منه أكثر لتتنظر بداخل عينيه بتحدٍ وعناد :
_ طب ابقى ورّيني الشحرورة بتاعتك دي هتدخل ازاي
يافخر!

أخذ نظرة مستهزئة عليها من أعلاها لأسفلها
،اشتملت فستانها الذي اجتمعت به العديد من الألوان
، ثم رفع يده وأشار لها بالابتعاد بشكل يعبر عن
تقززه منها، معلقاً ببرود :

ابتعدى قليلاً أيتها الحشرة الملوّنة.

تحرك و ابتعد عنها وترك المكان بأكمله ، غير عابئ
باندھاشها من جملة الذي أتبع بنظرات غاضبة
تحاول كتم عصبيتها ..

لم تبالِ مريم بأى مما يحدث وأخذت طريقها إلى
الخارج ، بينما وضع زياد يده على فمه ليخفى
ضحكاته المكتومة ، ثم تطلع لها عندما رأى عينيها
مصوّبة إليها ونبس ببرود :

_ انتى اللى جبتيه لنفسك ، مش فستان تلبسيه ده
بصراحة ...

*

*

*

مر الوقت حتى وصلت جهاد إلى المنزل ، وما إن
وقفت أمام البوابة حتى وجدت الحارس يمنعها بقوله:
_ على فين يا استاذه؟

_ بشمهندس فخر موجود؟

_ لا انتى مينفعش تدخلى أصلا
قطبت حاجبيها بتعجب ونطقت :
_ هو اللى مستنّينى وقال لى آجى

_والله دى أوامر إنى مدخلكيش

تضاعف التعجب عليها أكثر وتساءلت :

_أوامر مين دى؟

_بسمة هانم

هتفت بعدم فهم :

_ليه؟!

رد بحنق :

_انتى مالك؟ ايه الاسئلة الكثير دى؟!

_يا عم بالراحة! , خش بس انده فخر قول له جهاد برا

رد باستتكار :

_فخر حاف كدا؟

قبل أن ترد عليه انتبهت أذنيها لصوت كعب حذاء
أنثوى يقترب منها ، فلاحظت من خلف الحارس قدوم
بسمة ناحيتها بجسدها الممشوق وخطواتها الثابتة
وهي تقول بوجه متجهم :

_ايه اللي موقفك مع البت دي يا صبرى؟

تطلعت لها جهاد بحنق وأجابت بقرف :

_بت ايه ياماما ماتتكلمي عدل !

طالعتها بسمة بذهول تبعه الغضب وصرخت بها :

_انتى هبله ولا ايه؟! انتى عارفة انتى بتكلمي مين؟

أجابت باستخفاف وعدم اهتمام :

_والله لو بنت مين بردو تعدلى بوك وانتى بتتكلمى!
انتى هتتنطى علينا عشان معاكى شوية فلوس!؟

رمقتها بسمة من أعلى لأسفل باشمئزاز :

_انتى أمثالك خسارة فيهم الرد أصلاً

ثم نظرت للحارس وأمرته :

_طلع الزبالة دى برا

لم تتجاهلها جهاد وتقدمت بضع خطوات استعداداً
لضربها ولكن منعها جسد الحارس الذى رفع ذراعه
أمامها يمنعها من الاقتراب .. ، فشرعت تقاومه وهى
تصرخ بغضب :

_ زبالة مين يا مقلب الزبالة!! ، انتى فاكراى غلبانة
ولا ايه ، لا ده انا مجنونة انتى متعرفنيش !!

اتسعت عيني بسمة بدهشة وصاحت بتحذير :

_ انتى لو ممشتيش دلوقتى حالاً مش هتروّحى بيتك
سليمة ! ، اشترى نفسك وغورى من هنا احسن لك

تضاعفت مقاومة جهاد لذراعه الصلب الذى يمنعها
بقوة ، وصاحت بعناد :

_ ورينى هتعملى ايه! .. تعالى قرّبى بس وانا افرّج
عليكى المكان كله

صمتت فجأة والتفتت لظهور فخر المفاجئ وهو يقف
أمامها ويبعد الحارس قائلاً :

_ اوعى يا صبرى متمدش ايدك عليها !

نظر لجهاد وقال بهدوء :

_جهاد لو سمحتى تعالى نتكلم جوا

قبل أن تبادر بالرد استمعاً لصوت بسمة الحاد :

_على جنتى البتاعة دى تدخل بيتى !!

ازداد غضب جهاد وأقبلت على افتراسها لولا يدى
فخر التى منعتها هذه المرة ، وارتفع صوتها بغضب :

_ماتيجى تشوفى البتاعة دى هتعمل فيكى ايه ياعرة
الشارع كله، ده انتى متاخديش فى ايدى دقيقة يابت!

صاح فخر مخاطباً إياها :

_ياجهد مالكيش دعوة بيها وتعالى معايا

نظرت له وهبت بوجهه بغضب :

_ انت تسكت خالص!!

عاد للخلف قليلاً عندما باغته صياحها المفاجئ ، قبل
أن تتابع بسخط :

_ انت جايبنى بيتك عشان تهزقتى !؟

دفعته من صدره بعنف وهمّت بالمغادرة :

_ ابعد عنى كدا اوعى!!

أوشك على اللحاق بها ولكنه توقف ليرى وجه بسمة
البارد وابتسامتها المستفزة ، فزفر بحنق وأخذ
طريقه خلف جهاد ..

.

استمعت لصوته يناديها وهي تخطو بخطوات منفعلة
وسريعة ، ومع ذلك أبت الالتفات له وأسرعت بالسير
حتى تبتعد عنه ، وجهها مكفهر بشراسة تتم عن
استعدادها لالتهام أى شخص يقف بوجهها ..

أوقفها عنوة عن طريق القبض على ذراعها بقوة
وهو يقول :

_جهد استنى بقى!

نشلت ذراعها من قبضته بعنف ونظرت له بغضب :

_ابعد عنى يافخر عشان مش طايقة ابص فى وشك !

_ليه ده انا حتى قمور

رفعت حاجبيها بتعجب من بروده الغير مناسب الآن
وعبس وجهها أكثر ، فضحك وقال :

_ اهدى طيب بهزر خلاص , انا آسف امسحيتها فيا

أردفت بحنق :

_ اه ماهى بالساهل كدا .. تكلمنى مخصوص وتجيبنى
لحد هنا عشان تخلى مرات ابوك تهيننى وتطردنى؟!
.. بتعمل منى نكتة ولا بتعاقبنى على حاجة عملتها
يعنى!؟!

ثم صاحت بعتاب وحزن دفين بنبرتها :

_ ليه تقلل منى وتهين كرامتى كدا يا ابن الناس! انا
عملتك ايه؟

_ ما عاش اللي يقلل منك ولا يمس كرامتك ، انا
مستحيل أقصد كدا أبدا .. اقسم بالله لو كنت اعرف إن
ده هيجصل ما كنت فكرت اكلمك ، انا متوقعتش
خالص إنها تقول لهم محدش يدخلك ولا جه فى
دماغى أنها هتحتك بيكى أصلا

_ وانا عملت لها ايه الست دى!؟

_ معملتيش حاجة ، هى بتعمل كدا عند فيا عشان
عندت فيها انا

_ بردو ده يخصنى انا فى ايه؟

فسر قائلًا :

_ هي حبت تضايقتي وخلص وقاتلي مدخلش حد
غريب البيت تاني وقصدتك انتي بالكلام ..

أكملت هي كلماته بفهم :

_ اه ف عندت فيها انت وكلمتني ، ومفيش عيد ميلاد
ولا نيلة من أساسه!

وصاحت بحنق :

_ هو انا لعبة في ايدك ؟! ، ليه تدخلني في مشاكلك
معاهها وتخليها تقلل من قيمتي كدا ؟!

أوما بتأيب وأردف باعتذار :

_ عندك حق ، انا معترف انا غلطت في كدا ، حقك
على راسي والله آسف بجد

أخذت شهيقًا عميقًا ثم زفرتة على مهل قبل أن تقول :
_ خلاص انا همشى دلوقتي

_ليه؟ تعالى اشربي حاجة حتى

_ لا انا لو روحت شوفت الست دي تانى هدخل فيها
القسم .. سيبنى دلوقتي

_طب هوصلك

_ لا انا عايزة اتمشى

استعد للتحرك معها قائلًا :

_ خلاص هوصلك مَشَى عادى ..

اعتلتها ابتسامة صغيرة رَغْمًا عنها وسارت معه
باستسلام

*

*

صدقيني انتي لو مشوفتيش حد زي بسمة في حياتك
يبقى ربنا بيحبك , بسمة دي لو متكبستش كدا
وكتمتي على نفسها هتشطح ل فوق وهتشوف نفسها
وتفتكر نفسها حاجة

هكذا تحدث فخر وهو يتمشى بجوارها بخطوات
متمهلة على جانب الطريق , فضحكت جهاد بخفة
وقالت :

دي حرب بينكوا بقى!

والله ممكن تعتبرها كدا فعلا ، كل واحد بيسعى
عشان يطفّش التانى .. بس على مين؟ ده انا قاعد لها

طب محاولتش تبني معاها علاقة كويسة يمكن
ينفع؟

صاح بكل اعتراض :

مع بسمة؟! ، ده انا ارمى نفسى قدام القطر
ومقرّبش من شبيهة الزواحف دى !

قهقهت مجيبة بعدم تصديق :

لدرجة دى؟!

تبادل معها الضحك وهو يقول :

بس خلىنى ساكت بقى

صدح رنين هاتفه ، فأخرجه من أجيبيه ونظر بإسم المتصل ، ثم انتبه لصوتها وهى تشير لبقالة صغيرة قريبة :

رد لحد ما اروح السوبر ماركت بسرعة ، ماشى؟

أوما بإيجاب ، فتحركت هى وابتعدت قليلاً ، ثم أجاب هو على المكالمة :

ايوة يازيزو خير؟

أتاه صوت زياد يقول بغضب :

انت خدت التيشيرت الاسود اللى كنت سايبه ع الكرسى؟

أخفض بصره إلى القميص الأسود الذي يرتديه للحظة
، ثم ترددت عينيه من حوله محاولاً كتم ضحكته ، قبل
أن يجيب :

__ لا مخدموش.

رد زياد بملل :

__ اوما راح فين مش لاقية

أجاب فخر بسخط :

__ واشمعنا ده يعنى؟ ، ما انت مشطّب لبسى أول بأول
ونص دولابك هدومي أصلا ، ما تتنيل تلبس أى حاجة
فيهم

__ لا انا عايز ده دلوقتي

_ معرفش بقى روح اتصرف مع نفسك

ثم أغلق بوجهه دون سماع أى كلمة إضافية منه ، فى حين عادت له "جهاد" بعد شراءها اثنتين من نوعها المفضل من الشوكولا ، ثم ابتسمت له ومدت له إحداهما :

_ نتسلى فى الطريق شوية؟

_ لا متشكر انا ماليش فى الشوكولاتات

اختفت ابتسامتها قليلاً بإحباط ، وطالعت بهيرة :
_ مينفعش تتنازل المرّة دى؟

ألقى نظرة على الشوكولاتة ثم هتف مبتسماً وهو يأخذها :

_ مش هنكسبك ماشى ..

عادت لها ضحكتها من جديد ، وفتحت خاصتها تزامناً
مع فتح خاصته أيضاً ..

تناولت قزمة صغيرة ، ثم همت بإخراج هاتفها من
جيبها وهي تقول :

_تيجى ناخذ سيلفى؟

او ما بترحيب :

_ماشى

نطقت بإسم نوع الشوكولاتة قائلة :

_هاشجاج مورو؟

هاشاج بسمة !

خرج أسلوبه كوميدياً عند تفوهه برأيه بمثل ،مما
أضحكها بشدة حتى ضاقت عينيها ،بينما راقبها هو
بصمت وارتسمت ابتسامته الهادئة على شفثيه ..
لم يلحظ من قبل امتلاكها مثل هذه الضحكة الناعمة
ذات الصوت الرقيق ،وكيف تزيدها جمالاً فوق جمالها
البسيط ..

هدأت تدريجياً حتى تبقت من قهقهاتها ابتسامه
صغيرة فقط وهي تنظر بالهاتف لتفتح الكاميرا ثم
ترفع الهاتف ،ولكن كونه أطول منها لم يحتويه الكادر
فنطق بضجر :

بجد ياجهاد؟؟ ماتنزلى التليفون شوية

ضحكت وقالت :

_ماهو لما الصورة بتيجى من تحت بيبقى شكلى
وحش

أردف وهو يتناول الهاتف من يدها :

_طب هاتى ..

رفع يده قليلاً وثبت يده لأخذ الصورة ، استعداداً ووقفاً
بثبات وأخذاً وضعية مناسبة ، اقتربت منه بما يكفى
لظهورها فى الصورة ليس أكثر ونظرت للكاميرا ..

ضحكة هادئة جميلة احتوت شفتيهما ، التقط فخر
الصورة من بعدها ، وقد شاركتها الشوكولا الخاصة
بكل منهما ؛ حيث ظهرت بكفيهما داخل إطار الصورة
..

أنزل يده ونظر للصورة عن قرب ثم هز رأسه برضا :

_حلوة

أعطاها الهاتف وهو يقول :

_ هعتبر كدا إنك فكيتي وخلص مش زعلانة؟

دارت عينيها من حولها وضمت شفتيها بتفكير
مصطنع ، ثم رسمت الطيبة على وجهها وهي تقول
بتكبر مازح :

_ يلا هسامحك بقى وخلص ، المسامح كريم بردو

رفعت سبابتها له مشترطة :

_ بس كل الشوكلاتة !

غلبت شفتيه ضحكته المميزة وقهقهه بصخب ، ثم قال
وهو يوميء بطاعة :

تحت أمرك ياهانم ..

رفع الشوكولا لشفتيه وأكل منها قطعة صغيرة ،
فابتسمت له وهزت رأسها برضا

يتبع ..

الفصل الرابع عشر {مهندس في ورطة}

بأحد المقاهى الفاخرة جلست مريم بصحبة إِيَاد ، حيث
جاورا بعضهما فوق مقعد مريح يتقدمه طاولة
منخفضة تحمل المشروبات ..

وجهها على غير العادة افتقد لضحكتها الرقيقة
وسيطر عليه الإحباط واليأس .. بينما تطّعت لها إياد
باهتمام ونطق بقلق :

_ عرّفينى حصل ايه يمكن اعرف اساعدك ، ده احنا
كنا لسة مبسوطين فى عيد الميلاد امبارح

_ محصلش حاجة يا إياد بس دماغى انت عارف
مبتسكتش لحد ماتتكد عليا ..

_ طب احكىلى بس بتفكرى فى ايه بالظبط؟
شردت عينيها فى الفراغ وتتهدت بثقل ثم تحدثت
بهمّ:

مش عارفة كدا بقعد افكر كل شوية ليه اللي انا
عايزاه صعب الاقيه؟ ، بشوفه موجود عادى وغيرى
كثير لقوه وبسهولة كمان ..

بحسّ إنه سهل على الناس تتول الحاجة اللي انا
عايزاها ، بس تيجى عندى انا تبقى مستحيلة!
مش عارفة المشكلة فيا ولا فى ايه بالظبط.

نظرت له وتابعت بقلة حيلة :

انا عارفة أكيد كله فى الآخر رزق وقدر ..
بس ساعات بيصعب عليا نفسى ، مش ببقى فاهمة
هو انا عملت حاجة غلط ولا انا مستاهلش أوى كدا !

رمقها بتأثر واضح وقال :

ليه بتفكرى كدا بس؟ ، مش يمكن اللى انتى عايزاه
ده مش خير ليكى بس هتشوفى بداله حاجة أحسن
بعدين؟

ابتسم لها بهدوء وقال :

متستعجليش يا حبيبتي ، جازى دلوقتى مش لاقية
اللى نفسك فيه بس ربنا هيعوضك بعدين ..

ابتسمت باطمئنان وأومات باقتناع ، اقترب إياها منها
وتقدم ذراعه من خلف ظهرها ليحيط كتفها بيده
،فانتفض جسدها بخفة وعادت عفويًا للوراء ، نظرت
له بحنق وهتفت :

إياد لو سمحت مش بحب كدا

أبعد يده فورًا ونطق ببراءة :

والله مش قصدى حاجة انا كنت هطببب عليكى بس

أردفت بعدم رضا :

لا مش لازم ، الكلام كفاية عليا

انا آسف بجد متضايقيش انا فعلا مقصدش حاجة
خالص

هزت رأسها بالقبول وهى تهتمّ بالنهوض :

خلاص مش مهم .. انا رايحة الحمام

*

*

*

لا لا تعبت بجد ، طز في الكاريزما بقى

هكذا هتفت جهاد وهى تهتم بالجلوس على الرصيف ،
بعد مسافة من المشى ; لم تكن فى الواقع طويلة
بالنسبة لجسد رياضى مثل فخر , ولكن لفتاة كسولة
مثلها فكأنما بذلت مجهودًا جبارًا فى بضعة الأمتار
هذه ..

نظر لها بدهشة وهو يقول :

ايه يامًا اللى بتعمليه ده!؟!

أشارت بيدها بمعنى أنها اكتفت ، وهى تقول بعدم
اهتمام :

جبت أخرى والله خلاص

نيس بحنق :

_ مانا قولتلك تعالى اتنيل اوصلك عملتيلي فيها
محموقة على كرامتك اوى وعايضة تمشى ..

صاحت باستنكار :

_ مش كنت مقموصة؟ لازم اكمل الدور للآخر

ثم أشارت له بالجلوس وقالت :

_ ماتقعد ..

_ لا شكرا مبقعدش ع الرصيف انا

ردت ببرود وهى تأمره :

_ معايا هتتعود ، اقعد

تطلع من حوله بحيرة ، ثم استسلم لطلبها وردد
عبارتها بلامبالاة وهو يجلس بجانبها :

_ طز ياستى فى الكاريزما

ضحكت بقوة وهى تستمع له يقول بخفوت :

_ ده انتى دماغ والله

فأجابته بلامبالاة :

_ عايزين نعيش بمزاجنا ياعم ، ايه يعنى قاعدين ع
الرصيف؟ طالما مبنضرش حد خلاص براحتنا نعمل
اللى على هوانا ..

اكتفى بالرد عليها بضحكة صغيرة تتم عن اتفائه معها ،
لاذ بالصمت للحظات قبل أن ينتبه لها تتحدث :
_ عايزة اسألك حاجة

نظر لها بانتباه وأوماً بإنصات :

_ اطربنى ياكروان

ضحكت بخفة ثم أعربت عما بداخلها :

_ ساعة الحوار اللى حصل مع تسنيم لما كنت لسة
جديدة فى الشركة و عملتلى شوشرة وهُيلة ..

هز رأسه بالإيجاب تعبيرًا عن تذكره للأمر ، فتابعت :

انت اهتميت وجيت ورايا وراضتني .. وكلمتني
مخصوص عشان ترجعني الشركة وهدرت الموظفين
كمان محدش يتكلم في الموضوع تاني .. انت حتى
مكنتش تعرفني وقتها ،ليه عملت كل ده؟
ابتسم بهدوء شديد وأجاب :

عشان انت كنتِ مظلومة وانا لو كنت عملت مش
واحد بالي كنت هفكر كل شوية في الموضوع ومش
هقعده مرتاح

ثم استرسل قائلاً :

اي حد مكانك كنت هعمل معاه كدا بردو .. انا واحد
في ايده سلطة يشغل أي حد ويطرده أي حد من الشركة
،وسهل عليا ارجعك الشركة واكمم الموظفين خالص
بكلمتين .. ليه اعمل نفسي اعمى؟

طالما بايدي اعمل حاجة حلوة لحد يفكر هالى
ويدعيلى بسببها ليه اتأخر!؟

لم تفارقها ابتسامتها الناعمة وهى تطالعه بعمق ،
نبتت بهدوء يحمل معه بعض الانبهار :
_ انت قلبك أبيض اوى يا فخر ..

اتسعت ابتسامتها أكثر مردفةً :

_ انت فخر لأى حد يعرفك بجد

ابتسم بامتنان شديد و أجابها عابثًا :

_ ده إطراء كبير انا مش قده الحقيقة ، بس أشكرك

احتفظ بابتسامته الهادئة للحظات، أثناء مرور ذكرى عابرة على رأسه عندما كان بسنّ الثامنة تقريبًا وهو بصحبة والدته ، وتردد صوتها على مسامعه عندما كانت تشدد عليه كلماتها بحكمتها وهدوءها المعتاد :

مش عايزاك تشوف حد مظلوم وتسكت يافخر .. ولا تسيب حد محتاج مساعدتك وتقول ماليش دعوة ..

تطلع لها الصغير بعينيه العسلية البريئة ، شعره البنى الناعم يغطي جبهته ومقلتيه مثبتة على وجه والدته بانتباه ، لتتابع "أمينة" وهي تجلس أمامه على طرف الفراش وتتمسك بيديه الصغيرتين بين كفيها :

حتى لو وقوفك جنب الشخص ده هيعمل لك مشكلة أوعى ترجع لورا واثبت على موقفك , عارف؟ حتى لو المشكلة اللي متوقعها دي حصلت ربنا هيسهلها عليك وهيساعدك تحلها عشان ساعدت حد من عباده

قبل كدا .. فإكر لما قولتلك إن أى حاجة بتعملها هتترد لك؟

مسدت فوق شعره بحنان وهى تقول :

ـ وانا مش عايزة أشوفك بتحصل لك حاجة وحشة نتيجة حاجة وحشة عملتها فى حد .. وأكيد انت مش عايز كدا صح؟

هز رأسه ثلاث مرات بتأكيد ، فيما اتسعت ابتسامتها الجميلة لتزين ملامحها الهادئة ، وعينيها ذات لون البحر الصافى ينبعث منها الحب والسكينة :

ـ عايزاك حنين يا فخر ، مش عايزة قلبك يستقوى على حد أبدا ، عايزة الناس تحبك مش تهرب منك ، ولما يشوفوك يضحكوا ويتبسطوا إنك هتقعد معاهم مش يتخفقوا لما يسمعوا سيرتك ..

لم يتحلّى فخر يومًا بالبلاهة أو الحماقة ، بل كان طفلًا
نبيهاً فطنًا ؛ فلم يأخذ وقتًا ليفهم بوضوح أنها تعنى
والده وأنها لا تطمح سوى لرؤية ولدها طيبًا وليس
قاسيًا غليظًا مثل أبيه ..

فهم كيف تصبو وتتوق لذلك من كل قلبها وكيف
سيسعدها ويعنى لها الكثير ، مما جعله يعزم منذ تلك
اللحظة على تحقيق ماتريد ؛ من أجلها قبل أن يكون
لنفسه .. فهي تستحق رؤية حلمها يتحقق ولو لمرة
؛ بعد فشلها فى تحقيق حياة مستقرة مع زوج متحجر
القلب لا يحفل لأمرها ولا حتى لأبناءها رغم كل
ماتفعله من أجله

*

*

*

ابتلع زياد حبة من ذلك الشريط بيده ثم ألحقها برشفة
من كوب الشاي بالحليب خاصته ..

ترك الكوب على المكتب ثم انخفض على ركبتيه
ليصل لآخر درج ويخفي الشريط تحت الأوراق بعناية
، ثم استقام والتقط كوبه من جديد ..

احتسى منه القليل، توافقاً مع صياح رنين هاتفه يعلن
عن اتصال شخصٍ ما .. نظر بإسم المتصل فكانت
ياسمين

غلبه التعجب مع ظهور بسمة صغيرة على وجهه
وأجابها :

أول مرة اسمك ينور على الشاشة يامعلم !

ضحكت بخفة و ردت بخجل خفيف :

_ في حاجة بس عايزة اديهاك ، انزل انا واقفة قدام
الباب

استعد للخروج من الغرفة وهو يقول :

_ طب ماتدخلي

_ لا انا مستعجلة وفي عرض كل دقيقة دلوقتي ، عليا
مشاريع وتسلميات وليلة زرقا .. انزل بسرعة يلا

.

.

ضافت عينيه قليلاً لتأثرها بضوء الشمس ، بعد
خروجه إلى الطلّ ..

اقترب من البوابة التي وقفت ياسمين بالقرب منها
وهي تحمل حقيبة بلاستيكية يظهر احتواءها على
صندوق يأخذ شكل متوازي مستطيلات ..

ابتسم بترحيب وهتف بمشاكسة ؛حينما رأى دبوس
الشعر ذو شكل الفراشة التي تضعه بجانب شعرها :

منورة اكثر من نور الشمس يافراشة

اعتلتها ضحكة واسعة بسرور ، بينما استطرد هو
بتعليق سلب منها ضحكتها فوراً :

انتى عملتى اللى فى دماغك وخسيتى ولا ايه
يخربيتك شكك بقى صغير عن امبارح !

ظهر عليها الامتعاض ونبست بيأس :

متعرفش تكمل حاجة حلوة للآخر !؟

رد محاولاً كبت ضحكاته :

_ لامواخذة خلاص ..

ثم سألها باهتمام :

_ ها بقى؟ خير عشان سايب الشاى بلبن جوا هيبرد

رفعت الحقيبة له قائلة :

_ اتفضل

_ دى ايه؟

_ خدها بس

أخذها ونظر فيها بفضول ليرى صندوقاً ملوناً ببعض الرسومات التي تعلن عن هويته كصندوق هدايا ،
عقد حاجبيه بعدم فهم ونظر لها متسائلاً :

_ بمناسبة ايه دى؟

_يعنى .. انت جبتي هدية قوت اردّ هالك بس

_انا جبت هدايا؟؟

نظرت له باستتكار مجيبة :

_اللبس والاكسسورات اللي دفعت تمنهم دول كانوا
ايه؟

طالعها بملل قائلا :

_انتى لسة فاكرة!؟

_معلش انا كدا هرتاح شوية

اوماً بقبول ورسم ابتسامة شاكرة على محياه وهو
يقول :

_عمومًا ياستى متشكر ،تعبتى نفسك مكانش له لزوم

ثم طرح سؤالاً :

_ايه بقى الهدية؟

ردت ضاحكة :

_افتحها مع نفسك وشوف ،انا لازم امشى .. عايز
حاجة؟

_طب خشى اشربى كباية مائة حتى

أجابت وهى تستعد للتحرك :

_ لا معنديش وقت والله ، يلا سلام .. سئملى على فخر
ومريم

*

*

*

وقف حازم أمام المرأة العريضة التابعة لغرفة النوم ،
يعدل من ياقة قميصه ذو اللون السماوى والذى
صاحبه بنظالاً من الجينز أسود اللون ، التقط زجاجة
عطره ورشّ منها القليل على ثيابه ، مشط شعره
بأنامله مرتين للتأكيد على اتباع خصلاته اتجاهًا
واحدًا للخلف .. كما بدت لحيته تستعد للنمو ، فأضافت
له وسامة خاصة فوق ملامحه الرجولية الحادة ..

دلف ولده الصغير "عبدالله" من الباب المفتوح ،
فالتفت له وسأله بصوت منخفض :

_ مين اللي جه؟

_ طنط نرجس

سرعان ما غلبه التأفف والملل ونفخ بامتعاض ،
فلاحظه عبدالله وسأل ببراءة :

_ بابا انت ليه مبتحبش طنط نرجس؟

أخفض بصره له و رد باستتكار :

_ وهو انت بتحبها؟

هز كتفه بلامبالاة :

_ عادی هی طیبه وبتعاملنی حلو

ابتسم حازم بسخریه ،قبل أن ینطق وهو یداعب شعر
ولده الناعم بكفه :

_ بكرة تكبر وتعرف إن مش شرط اللى بيعاملك حلو
يبقى بيحبك ..

ترددت عینی الطفل بحیره ثم سأل :

_ یعنی طنط نرجس مش بتحبنی ؟

_ لا یاحیبی طنط نرجس دی مبتحبش حد ، وانا مش
مستغرب إنها اتطلقت أصلا عشان أكید محبتش
جوزها بردو لحد ماطفشته

حملق به عبدالله بعينيه الواسعتين البريئتين متسائلًا:

___وليه مش بتحب حد؟

هتف حازم بعدم اهتمام وهو يهَمّ بجمع أغراضه :

___انسى انسى خلاص

دلف عبدالله بحوار آخر وسأل باهتمام :

___طب انت هتشوف خالو عز؟

___اشمعنا؟

وضع يده بخصره بشكل طفولى تعبيرًا عن ضيقه
وغضبه :

_سرق منى لعبة البابلز بتاعى

ضحك حازم ونطق بدهشة :

_عز ؟

_ايوة طمع فيها زى ما بيطمع فى الموز بلبن بتاعى
كل مايشوفنى بشربه !

قهقه حازم بعنف وتمتم مع نفسه بيأس :

_ياعز يامهزق!

نظر له وخاطبه مازحًا :

متقلّش هجيبهاك من عينه ..

- .
- .
- .

خرج حازم إلى ساحة المنزل واتجه صوب باب الشقة
مكتفياً بعبارة "مساء الخير" دون التوقف لفتح أى
مجال لحديث ، ولكن اعترضته مى وأوقفته :

استنى يا حازم ..

وقف ونظر لها وهى تقترب منه تاركة نرجس
تنتظرها ، ألقى نظرة خاطفة لها ليراها تبتسم له
بهدوء ولكنه لم يعبأ ولم يبدِ رد فعل ، وأعاد نظره
لزوجته التى وقفت أمامه متسائلة :

رايح فين؟

أجاب بصرامة :

_ رايح اشوف امى ! ، مزورتهاش بقالى تلت أيام

ردت ضاحكة :

_ خلاص بالراحة مالك؟

ثم طرحت سؤالاً آخر :

_ طب هتيجى على طول ولا هتروح فى حته تانية؟

اقترب منها كثيرًا ليهمس لها بخفوت شديد :

_ لو كلمتك وعرفت إنها لسة موجودة اه هروح فى
حته تانية

ثم ابتعد ولم يهتم حتى بروية رد فعلها بعد كلماته،
وغادر سريعًا

*

*

*

جلس زياد فوق سريره وفتح صندوق الهدايا على
مهل ، وجد به قميصًا أنيقًا أسود اللون ذو أزرار
،مطبقةً بعناية لتظهر ياقته أمام عينيه مباشرة ،
ويجاوره كوبًا حراريًا ذو لون أسود يبدو عليه
الفخامة من تفاصيله ولمعانه .. كما صاحبتهما بطاقة
صغيرة مدونًا عليها بعض الكلمات

ابتسم بهدوء وتناول البطاقة وقرأ كلماتها :

"انت اللى قولتلى بتحب اللون الأسود"

فهقه عاليًا وارتفعت ضحكاته بعنف؛ فقد رسم له
عقله صورتها وهي تنطق هذه الجملة بصوتها
وأسلوبها المرح ..

مد يده الأخرى للكوب والتقطه بين أنامله ونظر له
قليلاً وقد بدا عليه الإعجاب بزوقها الرفيع في
اختياراتها ..

راوده تخمين أقرب إلى اليقين بأنها في حالة من
التوجس والتردد الآن؛ خوفاً من كونها اختارت شيئاً
سيئاً وأنه لن يعجبه ..

فهمّ بفتح هاتفه وأرسل لها عبر موقع التواصل
الاجتماعي واتساب :

"انا بعد كدا مش هشرب في حاجة غير المجد ده ،
حتى لو مش محتاج مجّ حراري هشرب فيه بردو من
حلاوته"

ثم أضاف :

"والقميص شيك ورايق ، انا هستخسر البسه ل
يتبهدل والله"

لاحظ إعلان العلامة الزرقاء عن قراءتها للرسالة ،
وسرعان ما أجابت :

"بجد عجبوك؟"

ابتسم و رد :

"دى هتبقى من الهدايا ال توب عندى ، شكرا بجد
ياسو انا اتبسبت بيها حقيقى"

لم يشك في ظهور ضحكتها الواسعة على محياها الآن
، وانتظر حتى أتاه ردها مرفقاً ببعض الملصقات
المليئة بالقلوب ، وقد شاكسته بإضافة كلمته التي
تصاحب لسانه دائماً :

"العفو يا معلم"

*

*

*

تحركت سيدة يبدو تعديها سن الخمسين من تجاعيد
وجهها الواضحة ، تظهر عليها الطيبة والبشاشة
بوضوح ، قصيرة وبدينة بعض الشيء ولكنها لاتزال
تحتفظ برشاقتها كما هي ..

حملت صينية فوقها كوبين من الشاي المحلى بالنعناع ، و وضعتها أمام الطاولة المنخفضة المقابلة للأريكة التى يعتليها "حازم" ..

جلست السيدة "ولاء" بجوار ولدها وهى تقول
بعتاب:

_طب حتى لو مى مشغولة مع اللى ماتسمى دى ،
كنت جبت عبدالله حتى

تقدم حازم بجذعه قليلاً ليتناول كوب الشاي بيمناه ،
ثم قال :

_ماهو انا جاى اخذك بقى عشان تقعدى معاه براحتك

ردت باستنكار :

_تاخذنى فين؟

_ البيت ، اقعدى معانا كام يوم

هتفت بضجر :

_ عشان اشوف نرجس!؟!

ضحك حازم وقال :

_ انتِ كرهتيا عشان انا كرّهتك فيها، صح؟

_ انا عارفة إنك ليك نظرة فى الناس ، ودلوقتى كمان
طالما متأكد كدا أنها أى كلام يبقى أكيد شوفت منها
حاجة ..

حدجته بلوم وتابعت :

_ بس مش عارفة حتى أمك بتخبى عليها ليه؟

ابتسم حازم بهدوء وقال :

متشغليش بالك حوار مش مهم

ثم دخل بموضوع آخر ونبس بتشجيع :

المهم يلا قومي هاتى هدومك عشان تيجى معايا يلا

وانا ايه اللي يجبرني استحمل البت دي وهى بتتنط
لك كل يوم كدا !؟

أوضح قائلًا :

ماهو انتى لو موجودة مش هتيجى كل يوم ، هى
عارفة إنك مش بتحبها وبتقفي لها على الواحدة
ومش بتحب تتعامل معاكي .. ولما تعرف إنك هناك
هتخف رجلها من علينا شوية ..

ثم أردف بـرجاء :

عشان خاطرى يا ماما ، انا مش عارف اقعد مرتاح
فى بيتى .. ومىّ انتِ عارفة على قلبها زى العسل
ومعندهاش اى مشكلة لو باتت معانا حتى

صمتت قليلاً بتفكير ثم تنهدت باستسلام وخضعت
لطلبه قائلة :

ماشى يا حازم

*

*

*

خرج "عز" من إحدى الغرف الخاصة بالمرضى وأغلق الباب من خلفه، مرتدياً المعطف الطبي فوق ثيابه ..

بخطى متمهلة سار بالرواق وهو يخرج هاتفه من جيبه ..

اندمج بما يفحصه فأخذت خطواته تتباطئ شيئاً فشيئاً حتى توقف عندما انصب تركيزه الكامل مع الشاشة ..

وبالتأكيد لا حاجة للتساؤل عما جذب انتباهه هكذا، فالإجابة معروفة .. بالطبع "مريم"

لم ولا ولن يعطِ اهتماماً لأحد بقدر ما يمنحه لمريم ..

المعاملة بالمثل للجميع عدا مريم ..

هي استثناء ..

ليحترق الجميع أمام ابتسامتها فقط ..

أياً كنت فأنت حتماً بالنسبة له فى المكانة التى تليها
،ومهما فعلت فلن تكتسب منه أولوية قبلها ..

كانت قد نشرت صورة جديدة لها على أحد مواقع
التواصل الاجتماعى ،وكالعادة لا تمر أى صورة لها
مرور الكرام هكذا بل تتول اهتمامه وتركيزه الكامل
لوجهها الباهر وملامحها الودیعة ..

أتزداد جمالاً مع كل صورة أم عينيه فقط من ترى
هذا؟

يجزم أنه لو ظل يحدق بصورتها لثلاث ساعات
متواصلة فلن يملّ ولن يمانع فى قضاء ثلاثة أخرى
بنفس الوضع ..

أفاق لنفسه وأبعد مقلتيه بعيدًا عن الشاشة، قاطبًا
حاجبيه بضيق وعدم رضا عن استسلامه لهوسه بها
، رغم استمرار عقله في تذكيره طوال الوقت بأنها لن
تكون له يومًا ..

زفر باختناق واضح ودسّ الهاتف بجيبه ثم تابع
طريقه لمواصلة عمله ؛محاوّلًا إشغال نفسه به،
أفضل من الانسياق خلف قلبه الأحمق الذي سيلقى به
يومًا بحفرة مظلمة لن يقدر على الخروج منها

*

*

*

صفت "صابرين" آخر طبق من وجبة الغداء على
طاولة السفارة بعصية واضحة، مما باغت مروان
وجعله ينتفض بفرع، فنظر لها بتعجب صائحا :

_ ايه يا امى ؟؟

هتفت وهى تستعد لأخذ مقعدها :

_ اسكت عشان انا مش طيقاك

نظر فى اللاشئ ولوى شفتيه بمنتهى الملل ، قبل أن يستعد لسماع وصلة جديدة من التوبيخ والتعنيف :

_ بقالى يومين بكلمك وانت كل اللى طالع عليك كويس
وتمام ومفيش حاجة جديدة! ، وفى الآخر تطلع عامل
حادثة ومرمى فى المستشفى وجايلى دلوقتى بكل
بساطة تقول لى ازيك يا ماما؟ ياروح ماما !! ، ازاي
متكلمنيش ولا تعرفنى حاجة زى دى ؟!

_ ياماما خلاص بقى انا من ساعة ما جيت وانتي
بتقولى نفس الكلمتين

صرخت به بعنف :

_واقولهم ستين مرة ومتفتحش بؤك!! ، انت
معدكش دم ولا إحساس أصلا

_الحق عليا مرضتتش اقلقك يعنى؟

لم تكثرث لقوله وأردفت بحدة :
_مين اللي عمل كدا بالظبط!؟

رد بعدم اهتمام :

_شوية عيال سيس كدا اتخانقت فيهم وراحوا لحالهم
خلاص

صاحت بسخرية امتزجت بالغضب :

_والله عال! ، ابني المحامي المحترم بقى من الشارع
وبيتخاتق فى البلطجية وقطاع الطرق !

أمسك بيدها ليوقفها عن الحديث ، ويراضيها قائلًا
بعدم اكترات :

_خلاص يا حبيبتى خلاص ، وعد المرة الجاية هقول
لك على طول حاضر

نشلت يدها منه بعنف، هاتفة بانفعال :
_بطل برودك ده !

ثم نبست بغضب أكبر :

_جهد كانت عارفة ،صح؟ .. عارفة من قبلى انا !

أشاح بنظره مطلقًا زفيرًا ملئ بالملل أثناء مواصلتها
الحديث :

_هي وصلت لكدا كمان!! ، بتحط البت دي قبل أمك!؟!
، ده انا جيت على نفسى وعصرت على نفسى شوال
لمون بحاله عشان استحمل قعدتها فى بيتى يوم ما
عزمتها على الغدا ، وكله عشان ارضيك انت وبس! ،
اخرتها تفضلها عليا !

رد بقلة صبر :

_يا امى ولا بفضلها عليكى ولا نيلى ، انا بجد مكنتش
عايز اخضك واقلقك ده كان كل غرضى

هتفت بحنق وهى تنتظر بطبقها :

_اسكت اسكت خلاص ، اتنيل كل متكلمنيش تانى

مرر عينيه من حوله بيأس وأخذ الصمت كأفضل حل
أمام انفعالاتها واستياءها

*

*

بالمساء ..

جلس فخر على طرف فراشه بعدما وضع فوق
الكومود المجاور له طبقاً صغيراً به بعض شرائح
التفاح الأحمر ، تناول منه واحدة ونظر لدفتره
المتعلق بيميناه ؛ ذلك الدفتر الفخم ذو الغلاف الخشبي
والذى يقع بزوايته اليسرى فى الأعلى اسمه المحفور
باللغة العربية والمزين بالتشكيل بشكل منمق ..

قلب بين صفحاته قليلاً بلا هدف ، إلى أن وقعت عينيه
على خاطرة صغيرة كتبها سابقاً :

"يقولون عندما يطرق الحب بابك ستشعر أن دقائقه
مختلفة ، ستجد نفسك شخصاً غريباً لم تكن عليه من
قبل ، ستري كيف سيتغير وجهك البائس إلى ملامح
طفل بشوش مقبل على الحياة ، وستلاحظ السلام
يتخلل كل إنش من روحك ..

تري هل سيدق الحب بابنا يوماً؟"

باغته صوت طرقات عنيفة فوق الباب تتم عن
استعجال صاحبها وتوتره ، قطب حاجبيه بتعجب
وعلق قائلاً :

ماله الحب جاي بز عايب كدا ليه!

ترك الدفتر على السرير والتقط شريحة تفاح أكلها
أثناء طريقه إلى باب الغرفة ليفتحه ،وسرعان ما
تفاجأ بدخول الخادمة سحر بارتباك وهلع وهي تصيح
بارتعاد :

___ايه اللى عملته ده ايه يابنى ،ليه كذا المصايب اللى
نازلة علينا دي !!

هتف بعدم فهم :

___فى ايه بس ،بالراحة شوية

___البوليس تحت ويسألو عليك

ردد بدهشة :

___عليا انا ؟!

صاحت بهلع :

_ايوة

ترددت عينيه فى الأرجاء بتعجب وأردف بإحباط :

_البوليس جايلى انا وساييين بسمة؟ .. عَجِبى !

ثم خاطبها متسائلاً :

_هما قالوا ايه بالظبط؟

_هما طلبوك بالاسم كدا، وبالحرف قالوا عايزين فخر

تليد

صاح باستنكار وحنق وكأنهم ارتكبوا جريمة في حقه
:

_من غير مهندس !

اتسعت عيني سحر بذهول :

_هو ده اللي هامك؟؟ ، بقول لك هتتحبس !!

ضحك وربت على ذراعها بخفة :

_خير خير متقلقيش

اعترضته قائلة :

_خير ايه؟ بعد الراجل اللي ضربته بالنار ده أكيد

مفيش خير خالص !

لم يهتم بالرد عليها و ردد مع نفسه بصوت مسموع
وهو يتخطأها ليستعد للنزول :

صفحة جديدة بعنوان مغامرات فى الحجز وتبأ
لسيرة الحب اللى هلّت عليا بالأخبار المشرقة دى ..

يتبع ..

الفصل الخامس عشر {ليلة في المخفر}

فتح "رؤوف" باب شقته وسرعان ما غزت
الابتسامة وجهه عند رؤية ابنة اخته ، وصاح
بترحيب :

أهلا بالقمر

ابتسمت "مريم" واقتربت منه لتقبل وجنته وهى
تقول :

_ازيك ياخالو اخبارك ايه؟

_الحمد لله ياحببية خالو تعالى ..

دلفت مريم إلى الداخل متسائلة :

_مى جت؟

رد وهو يغلق الباب :

_لا لسة .. زمانها ماسكة فى رقبة حازم الأول

قهقهت بشدة قبل أن يتابع رؤوف ضاحكًا بيأس :

_والله كثر خيره على اللى مستحمله من البت دى!

شاركهم "عز" المجال عند خروجه من غرفته ،
بمجرد وقوع أنظاره عليها ورؤية ابتسامتها
الصافية، تلمع عينيه دون أن يشعر ببريق خاص ..
بريق عفوى لا يظهر سوى لها هي فقط ..

ابتسم بهدوء وقال :

_ازيك يا مريم؟

_تمام يا عز ازيك انت ؟

اكتفى بإيماءة خفيفة تعبر عن "جيد" ، ومن ثم نطق
رؤوف بحماس :

_روحوا جهّزوا البلكونة وحطوا فيها الكراسى لحد ما
اجهّز العشا ..

تساءل عز :

_ هو فخر وزیاد مش جابین؟

فأجابت مریم :

_ انا أصلا كنت برا وجیت لكوا على طول ، كئمت
فخر من ساعة كدا قال لی مصدع ومش هيقدر یجی
وزیاد نايم

*

*

*

_ انت متقدم فیک بلاغ من واحد اسمه ولید محمد
عبدالعزيز ، بیقول إنك ضربته بالنار فی رجله عن
قصد .. ایه ردك على الكلام ده؟

هكذا هتف الضابط برسمية وهو يجلس خلف مكتبه ،
تتأشيك أصابعه ببعضهما وهو يسندها على المكتب
وعينيه مثبتة على "فخر" الجالس أمامه ؛ لا يبدو
عليه أى اهتمام بما سمعه ، عينيه تدور فى الأرجاء
بلا هدف ولم يتفضل بأى إجابة سوى الصمت ..

عاد يتحدث الضابط من جديد قائلاً بهدوء :

_بشمهندس فخر .. السكوت ده مش فى صالحك
خالص لعلمك

همهم فخر بخفوت مع نفسه وهو ينظر للأعلى
بارتياح ، معلّقاً فقط على اللقب الذى يحرص على
إجبار الآخرين بلفظه :

_أخيراً حد قالها من غير ما اقول ! ، مطلعتش صعبة
يعنى

أعاد بصره إلى الضابط وأردف بصوت مسموع :

_انا معديش حاجة أقولها

هتف الضابط بخشونة :

_وانا كدا هضطر احجز حضرتك معنا !

_يعنى لو قولت معملتش حاجة هتصدقنى وتسيبنى
اروح؟؟

حدّجه الضابط ولم يعلق على جملته الباردة ، أو
بالأحرى لم تسنح له الفرصة ،فقد قاطعها صوت
دقات الباب ..

أذن بالدخول ليدخل العسكرى الخاص به وهو يقول :

وليد عبدالعزيز برا يافندم

دخّله ..

خرج العسكرى ، فيما استعد الضابط للنهوض وهو
يقول :

انا هسيبكوا تتكلموا يمكن توصلوا لاتفاق ، حاولوا
تتفاهموا بشكل ودي بدل ما تعملوا عداوة مالهاش
داعى

*

*

*

وضع عز آخر مقعد بلاستيكي داخل الشرفة الواسعة
والمزينة ببعض النباتات بزواياها، ويحيطها النسيم
العليل من كل جانب ..

كانت تقف مريم بجواره تستند على السور وتتنظر إلى
الشارع تشاهد تفاصيله، من الناس والسيارات
والأشجار ..

وقف بجانبها وقال :
_تمام كدا؟

نظرت لترتيب الكراسي والطاولة الصغيرة التي
توسطتهم، وأومات بابتسامة صغيرة :
_زى الفل ..

عادت تبصر الشارع من جديد ، والتزما كلاهما
الصمت لثوانٍ .. ثوانٍ طويلة أخذها عز في التفكير
والحيرة ، عينيه تلتف بكل جانب معلنة عن تردده في
قول شيءٍ ما ..

راوده شعور عابر بأنه قرار متهور ومع ذلك فعلها
وباشر بما يكبته :

مريم انا لما قولت عايز اتقدم لك رفضتى ليه؟

التفتت له فورًا وقد شعرت بغصة خاطفة بقلبها عند
وقوع سؤاله المباشر والمفاجئ على مسامعها ،
تغيرت ملامحها وسرعان ما التمعت عيناها بحزن
ودهشة ;كيف لم يتخطاها إلى الآن ولا يزال متمسكًا
بحبال حبها حتى بعدما قطعها هي !

شعرت وكأن صوتها وقف بحلقها ; أيًا كان ماستتفوه
به فلن يجدى نفعًا مع عاشق لايزال واقفًا في نفس
النقطة ..

في نفس النقطة منذ عامين !..

أسرع يوضح قائلاً قبل أن يسمع منها ردًا :

_ انا عارف إننا اتفقنا القصة دي هتتقفل وتتنسى
خالص ..

بس انا معرفتش أبطل تفكير من وقتها

ابتلع غصته بصعوبة وتابع بحزن مرير :

_ صدقيني انا مش بفتح الموضوع تانى .. انا بس
عايز اعرف ليه؟

أدمعت عينيها بأسى وهى تردد باندهاش :

_ سنتين بحالهم ياعز؟!_

اعتلته ابتسامة جانبية بانكسار وتغلقت نبرته
باليأس:

_البنى آدم لما يبقى فى نفس الدوامة بحذافيرها كل
يوم يبطل يحس بالوقت ..

لم تبتعد عينيها الدامعتين عنها و ردد بصوت خافت
ملئ بالشجن والألم :

_كل مرة بشوفك فيها واقول هسألها كنت بسحب
لسانى على آخر لحظة عشان خايف تفهمينى غلط أو
متحبيش تتكلمى أصلا .. بس انا مش هقدر اعيش فى

الحيرة دى تانى ، انا كل اللى عايز اعرفه مشكلتى
كانت فين .. حاولت اصبر و الاقى إجابة لوحدى بس
موصلتش لحاجة ..

تضاعف شعورها بالهمّ حتى شعرت بثقل يضغط على
أنفاسها ، لم تتوقع يوماً أن تتسبب بهذا الكم من
الحزن لأى أحد ..

أردفت بخفوت :

والله العظيم يا عز انت تستاهل مية واحدة أحسن
منى

نطق عز باعتراض :

أنا مش عايز مية واحدة ولا عايز أحسن منك ..

انتِ بسِ كنتِ كافية!

التوى ثغره بخيبة وأردف بيقين :

_جايز هو فيه مميزات أحسن منى ولقيتى فيه حاجة
مش فيا .. بس انا متأكد إنه مش هيعرف يحبك قد ما
انا حبيتك ، ولا عمره هيوصل لربع حبي ليكى حتى !

احتوتها ابتسامه مهمومه ونطقت بقلة حيلة :

_العيب مش فيك يا عز صدقتى ، انا بس .. مكنتش
هعرف اشوفك جوزى وعاشين فى بيت واحد ، طول
عمرى بشوفك زيك زى فخر وزياد وبحبك على
الأساس ده .. صعب احساسى طول السنين دى بانك
اخويا يتغير دلوقتى فجأة كدا ..

تحررت دمة صغيرة لتأخذ مجراها على خدها وهي
تردف بحزن :

انا آسفة يا عز والله عمرى ما كان بيهون عليا زعلك
أبدا بس غصب عنى

تطلع لها للحظات بصمت تام ، كست ملامحه الخيبة
وأشاح بنظره بعيداً ثم أوماً بإيجاب و رد بكلمة واحدة
:

خلاص

تساءلت بعدم فهم :

خلاص ايه؟

أجاب بنبرة خالية من أى رد فعل ورفع كتفه
بلامبالاة:

_ خلاص فهمتك .. معنديش حاجة اقولها

استعد للتحرك إلى الداخل فأوقفته بسؤالها :
_ رايح فين؟

_ مَيّ جت ، هفتح لها

*

*

*

_ ماتترزعى بقى، قرفتينا !

هتف مروان أمره بنفاد صبر من أخته التي قضت
دقائق طويلة في الدوران حول نفسها والتجول من
الشرفة إلى باب شقتها أكثر من مرة ..

توقفت على صوته ونظرت له بغضب :
_ ما انت طبعاً مش هتحس بحاجة! ، قاعد تتفرج على
التلفزيون ولا على بالك

هتف باستنكار وعدم اهتمام :
_ كل ده عشان مردش عليكى؟

_ ايوة انا بعته من الساعة ٥ و بقت ١٠ دلوقتي
ومردش مع إن الرسالة وصلت له ..

ثم رددت بتوجس :
_ تفكر اتقفل منى؟

لوى شفّتيه بلامبالاة :

_ عادي انتِ حمارة وسهل تقفلى أى حد من وشك ..

تفاجأ بإحدى فردتى نُعالها تصطدم بوجهه ، فتألم
ووضع يده على موضع توجعه قبل أن ينظر لها
بغضب ، ومن ثم يمسك به ويردّه لها بقوة ، فأخفت
وجهها بذراعيها ليضرب النعال كتفها .. فصاحت بألم
ثم سبّته بغيظ :

_ عجل وغبى!

عادت تنظر بهاتفها من جديد وخيم السكوت قليلا ثم
عادت تثرثر مجدداً :

_ طب ارنّ عليه؟

_ انتِ بعْتيله ايه اصلاً؟

_ قولتله يبعْتلى صور العيد ميلاد بس

سأل باستنكار :

_ وهترنى عليه مخصوص تقويله هات صور العيد
ميلاد؟

_ لا هتظن عليه واشوفه مبيردش ليه

_ الكلام ده لما يبقى بقاله يومين مبيردش مش
ساعتين!

نبست بضيق :

_ ايوة بس هو أول مرة يعملها ..

ياستى ربنا أدري بظروف الناس ،متبقيش مزعجة
بقي واهمدى شوية !

*

*

*

بالمكتب الخاص بالضابط التابع للقسم الذى احتجز به
فخر ،حيث ترك الشرطى المجال لهما للتحدث ..

كان يجلس "فخر" على أحد المقعدين المقابلين
للمكتب ، يُسند مرفقه على طرف المكتب ويضع كفه
على وجهه ويطلع هذا الجالس أمامه بوجه بارد غير
مكترث بالمرّة ،بينما يستمع لثرثرته وثقته الغبية :

عملت فيها مفيش منك ومحدثش قادر عليك وفي
الآخر اترميت هنا زيك زي النشالين والحرامية ..

تابع "وليد" بنبرة شامتة :

قول لي كدا إحساسك دلوقتي عامل ازاي وانت
عارف إنك هتتحبس بعد اللي عملته معايا؟ ماهو انا
مش هتنازل أكيد متحلمش إني اعمل كدا ..

لم تتغير ملامح فخر مطلقاً وظل على نفس وضعه
للحظات ، اعتدل بجلسته قليلاً وعقد ذراعيه ببعضهما
ثم قال بهدوء شديد :

بِسْمَةِ نَسِيتَ تَحْكِيكَ مَهْنَدِسَ فِخْرٍ تَلِيدِ عَامِلِ اَزَاي
،صح؟

عقد حاجبيه بتعجب ، فتابع فخر ببرود :
_ انا متأكد لو كانت قالتلك مكنتش هتتجرأ تقعد قدامي
وتقول الكلمتين دول

فك ذراعيه عن بعضهما وهو يتطلع من حوله بملل
وعدم اهتمام :

_ انا عارف ان بسمة هي اللي شجعتك تعمل فيا البلاغ
ده .. انت جبان ومكنتش هتحب تعمل حوارات مع
عيلة تليد عشان اسم ابويا ، بس بسمة اللي قوّت
ضهرك انا عارف

أسند كفه على المكتب وتقدم للأمام قليلاً، محدجاً إياه
بنظرات نارية أثارت بداخله التوتر والاضطراب ،
ونطق بحدة وصوت مخيف وخشن، متكئاً على كل
كلمة :

_ بس انا هطلع من هنا .. وهروّكك انت ، وبسمة !

عاد يسند ظهره للخلف مجددًا وتابع بلامبالاة مختلطة
بثقتة :

_وهنشوف الوش الفكسان ده هتفضل مرگبه لحد
امتى ...

ارتبك وليد قليلاً من نبرته التي لم تحمل ذرة تردد أو
ضعف أو خوف ، فقط جامدة ومُقلقة ..
وقد أكد على قوته أكثر بابتسامة واسعة و واثقة ،
ثلجية ومريية !..

ولكن "وليد" استطاع إخفاء توتره بنجاح ثم نهض
مستندًا على عكازه المجاور لقدمه المصابة ، ونطق
ببرود :

_ابقى دورك على محامى شاطر يابشمهندس ..

اتسعت ابتسامه "البشمهندس" أكثر، مما أظهرت
المزيد من ثقته واستخفافه بالأمر برمته، وأوماً
بطاعة قائلاً بسخرية :

__ عنيا يا حبيب البشمهندس ...

*

*

*

تخطت الساعة الثانية عشر صباحاً وطالت السهرة
الخفيفة التي أجمعت رؤوف بولده وابنته وحفيده
وابنة أخته .. فكان الصغير "عبدالله" قد استسلم
سريعاً للنوم واستقر على الأريكة غارقاً في ثباته
، وقد غطته مئى بفراش خفيف ..

بينما كان الجميع لا يزالون في الشرفه يتبادلون
الأحاديث وسط نسمات الهواء التي تداعب شعورهم
بحرية ..

تحدثت مي قائلة :

_ انا مبتضايقش من وجود حماتي بالعكس انا بحبها
جدا انتوا عارفين ، بس المشكلة إنها لما بتبقى قاعدة
بتبوظ اللي بحاول اعمله مع عبدالله .. عايزة تربي
ابني معايا .. لا وعايزة تربيه بأسلوبها القديم
ومبادئها الغلط ..

و واصلت بعدم رضا :

_ يعني مثلا لما بطلب منه يساعدي في حاجة في
البيت .. بتروح بعدها تقول له انت راجل وشغل
البنات ده مينفعش تعمله ..

صاحت بحنق :

شغل بنات ايه وهبل ايه؟ ، هو انا غلطانة عشان
عايزاه معتمد على نفسه وميقاش عايش زى البهايم
الى مستتية حد يأكلها وينصف وراها؟!!

ضحكت مريم بخفة وقالت :

معلش يامى انتِ عارفة الجيل بتاع زمان ده تفكيره
عامل ازاي ، بس طول ما انتِ بتعرفى تحتوى ابنك
كويس مش هيسمع كلامها متخافيش ..

خاطبها رؤوف باستنكار :

وماله الجيل القديم بقى يا ابلة؟!!

ارتفعت ضحكتها وهى تجيب :

والله مافى احسن منهم ياروفا يا قمر ..

ارتفع رنين هاتف "عز" ، فنهض من مقعده وترك
الشرفة متجهًا إلى الطاولة التي تتوسط ساحة الشقة
، تناول من فوقها الهاتف وأجاب :

__ايه يازيزو عامل ايه؟

.
.
.

تفاجؤوا الثلاثة بهرولته إليهم حتى وقف بالقرب
منهم وصاح بجدية وقلق :

__فخر فى القسم وهيبات النهاردة فى الحجز !

انتفضوا قيامًا على عبارته فورًا وصاحوا بصوت
واحد بفرع :

_ايه !!!

ثم هتف رؤوف :

_ليه حصل ايه؟!!

_الراجل اللي ضربيه بالنار فى القيلا مسكتش

أردفت مريم بخوف :

_واقفين ليه؟ يلا نروح له

_نروح له فين؟ الساعة عدت ١٢ ،مش هيرضوا

يخلّونا نقابله أصلا

ثم بادر بطمأنتهم قليلاً :

_زيزو قال لى إن ابوه هيكلم له حد بكرة الصبح

نطقت مئ بقلق :

يعنى مش هيطلع النهاردة خالص؟!

هز رأسه نفيًا بيأس .. فيما اكتسح القلق وجه مريم
بشدة وهى تهمهم بصوت مسموع :

_ياحببى يافخر ، هيقعد ازاي وسط المجرمين دول
ليلة بحالها ! ، افرض عملوا فيه حاجة؟!_

نطق عز باستنكار :

_قولى افرض هو عمل فيهم حاجة! ، ربنا يستر
وميمشيش ورا عصبيته ويعمل فى حد مصيبة وتبقى
المشكلة اتنين ...

.

.

ياعم احنا بقالنا ساعة بنسحب فى نفس أم
الورقتين! ، انت متأكد إن الكوتشينة دى كاملة ولا
هنقعد كدا لبكرة ؟

هكذا تحدث فخر بملل وهو يجالس سجناء القفص،
يلعب مع بعضهم بالأوراق ، والبعض الآخر يكتفى
بمشاهدتهم وانتظار معرفة من سيخسر ويقع عليه
حكم "الشايب" ..

أجاب السجين المقابل له قائلا :

كاملة ياباشا متقلقش ..

دارت عينيه من حوله بحيرة ثم أردف :

بصراحة مش متأكد ، انا نسيت اعدّها

ترك فخر الأوراق على الأرضية بضجر :

_ و سايبنا نلفّ حوالين نفسنا من بدرى!

_ لا بس انا عارف إنها كاملة ، أكيد حودة سرق منها
انا عارفه كل ما يلاقى نفسه فاضى يسرقنا

صاح ذلك المدعو "حودة" يبرى نفسه :

_ لا لا مخدتش حاجة يارضوان صدقنى

نهض "رضوان" وسرعان ما قبض على ثيابه يقربه
منه بعنف :

_ اطلع ياد بالورق اللى خدته

_ عيب عليك يا رضروض، ده انتوا اصحابى

صاح رضوان بسخرية :

_ده انت تسرق أمك نفسها يالا متصيعش عليا ..
اطلع بالورق لوحدك بدل ما اطلع انا بكليتك !

ضحك فخر وهو يراقبهما وتمتم مع ذاته دون أن
يسمعه أحد :

_زيزو كان هيتبسط هنا أوى ..

وضع "حودة" يده بجيبه وهو يقول باستسلام :
_يابا انا بهزر معاكوا عادى خليك فريش كدا ، اهو
الورق ياسيدى متزعش

أخذ رضوان الورق وترك الفتى بعنف ثم عدّ
الوريقات وصاح بتذمر :

_طب لما تسرق اسرق بالمرّة يابن المغفل ، سارق
ست ورقات تهب بيهم ايه!

لم يهتم بأخذ رد منه ، و عاد يجلس أمام فخر، ثم بدأ
بجمع الورق كله وهو يعرض عليه قائلاً :

_نعيد من الأول؟

أوما فخر باستعداد :

_وزّع ياعم

*

*

*

حلّ صباح اليوم التالي ، بعد مرور ليلة مرت كأيام
عصيبة على الجميع ؛ على عكس صاحب الشأن نفسه
الذي قضى ليلة مليئة باللعب وسماع قصص وحكايات
السجناء، وكأنه يخوض رحلة في المنتزه أو ما شابه

...

فتح العسكرى الباب وصدح صوته مناديًا :

فخر تليد !

كان يجلس فخر بالجانب مستندًا على الحائط حينما
أجاب :

أو أمر؟

تعالى عايزينك

هتف رضوان قائلاً :
_نقول كفارة ولا ايه؟

ضحك فخر وهو يهّم بالنهوض، وتوجّه إلى الباب :

_معلش بقى مضطر اسيبكوا ..

ليصيح "حودة" قائلاً :

_سلامات ياهندسة.

أشار لهم قبل أن يخرج بصحبة العسكرى :

_لينا معاد تانى يارجالة، المصايب جاية كثير
متقلقوش

.

.

•
دلف إلى مكتب الضابط بعد إعلامه بانتظار أحد ما
لرؤيته، وقد ترك الضابط المكتب لهم للتحدث براحة

••

غلبه التعجب عند رؤية "حنين" بصحبة أخيه، والتي
ركضت ناحيته فورًا بمجرد دخوله وهي تتحدث بقلق
شديد ولهفة :

__ فخر انت كويس؟ عامل ايه اخبارك ايه؟

رد باستغراب :

__ انا كويس، انت ايه اللي جابك هنا؟

طالعه باستنكار مجيبة :

مكنتش عايزنى آجى وانت فى محنة زى دى
واتظمن عليك!؟

لا يا حنين كنت استيتى اطلع واتظمنى براحتك،
أحسن ماتخشى المكان الفقر ده ..

ثم نظر لأخيه وقال :

انت قولتها ليه؟

هتف زياد بمنتهى الملل وهو يتقدم إليه بضع
خطوات:

كليت دماغى فخر فين فخر فين لحد ما خلّتى اقول
وشبّطت فيا

أردفت بعتاب :

كمان مكنتش عايزنى أعرف يافخر؟

هتف بعدم اكرات :

_يعنى هى حاجة عدلة أوى عشان تعرفيها؟

ثم نظر لأخيه وقال :

_ايه الجديد؟

_ابوك زمانه جاي، انا سبقته عشان اشوفك ..

متقلقش هيتصرف ..

هتف فخر ساخرًا :

_و ده طبعا مش عشان سواد عيونى، ده عشان بس

محدث يقول إن ابن عامر تليد دخل السجن

رد زياد دون ذرة اكرات :

_المهم تطلع وخلص .. تهمنى النتيجة مش النية.

ثم تابع بسؤال :

_ انت قولت حاجة فى التحقيق؟

_ لأ

أردف زياد بارتياح :

_كويس اوى ، كلها شوية وهترّوح معانا إن شاء الله

هتفت حنين فقط بما يهمها :

_طمئنى بس يافخر انت تمام ولا ايه؟ المجرمين دول
ضايقوك فى حاجة؟

هتف فخر بلامبالاة :

لا خالص، ده احنا كنا بنلعب الشايب

ردد زياد ضاحكًا :

الشايب؟

فضحك فخر بخفة وهو يقول :

اه والله.

تطلعت حنين لهما عاقدة حاجبيها بتعجب :

ايه ده انا كنت فاكرة إن أى حد بيخش الحجز جديد
يا بيضربهم يا يضربوه يعنى ..

فأجابها فخر بعدم اكتر اث :

لا قدمت دى خلاص، دلوقتي بقينا نصابهم ..

اتسعت ضحكة زياد المليئة بالتعجب وهو يتساءل
بعدم استيعاب :

_ غريبة يعنى مش متترفز ولا بتنفخ وتفشّ وعائز
تضرب حد ، وشكلك رايق كدا .. انت شارب ايه؟ مش
ده فخر اللي احنا عارفينه

نظر له فخر بلامبالاة مجيبًا :

_ لقيت العصبية مش هتخرّجنى من هنا وهتخلى الليلة
تعدي أصعب , قولت اجرّب امشى ورا منهجك ..

هتفا الأخوان سويًا فى صوت واحد :

"ازرع من كل بلوى حلوى"

ضحك زياد وضرب كفه بكفّ أخيه صائحًا بفخر :

_عاش يا جامد!

*

*

*

فى المساء ..

.

خطى "فخر" درجات السلم الخاص بالشركة بشكل
متسارع قليلاً، تارة يتخطى درجة واحدة وتارة
درجتين .. يرتدى بنطالاً من الجينز أسود اللون
وقميصاً أبيض اللون مفتوحاً منه أول ثلاثة أزرار
، وطرفى أكمامه تظهر من تحت أكمام السترة
الرسمية الأنيقة ذات اللون البنى الفاتح .. شعره البنى
مصفف بعناية لتجتمع خصلاته باتجاه واحد للخلف ..

سار بالرواق ليمر بجوار العديد من المكاتب ذات
الجدران الزجاجية ، وكبح قدميه عن متابعة السير
فورًا عندما لمحها .. تجلس على مكتبها تتحنى للأمام
لتطالع جهاز الحاسوب المحمول ، مرتدية نظارات
طبية ..

أقلت " جهاد " نظرة خاطفة سريعة على الخارج
وسرعان ما انصبّ انتباهها له فورًا عندما رآته ،
ابتسم بمشاكسة وأشار لها كأنه يرفع قبعة وهمية
فوق رأسه تعبيرًا عن تحية احترام كلاسيكية ..

تطلعت من حولها لزملاؤها الذين يشاركونها المكتب
، فلم تلاحظ تركيز أحد معهما .. نهضت من مقعدها
سريعًا بعدما خلعت نظاراتها وتركتها على المكتب ، ثم
خرجت له وأغلقت الباب من خلفها وهي تقول بتعجل:

انا بعثتك من امبارح ومردتش عليا قلقت عليك
،انت تمام؟

كعادتها لا تفكر بقدر ذرة فى اى كلمة تخرج منها ، فلم
تفكر حتى ان كان اهتمامها سيُفهم خطأ أم لا ، وماذا
سيظن عند سماع نبرتها المتلهفة والقلقة .. ، فقط
أخرجت مايساورها وحسب ..

ولم تنتبه لذلك إلا بعد إطلاق كلماتها ، فتراجعت
للخلف قليلاً وهى تضم شفيتها وتسارع بإخفاء لهفتها
واندفاعها ، لتتمسك ببعض الرزانة وعدم الاهتمام ..

فيما ابتسم هو بلامبالاة وأجاب بملل :
انا تمام، كنت بايت فى القسم

قطبت حاجبيها بذهول :

_قسم!! ، ليه فى ايه!؟!

_حوار صداع كدا وخلص ..

ثم أردف بسؤال ضاحكًا :

_انتِ جيتِ متأخر بردو النهاردة!؟ ، كل مرة بتأخدى
شيفت بالليل ومبتحرّميش بردو؟

ضحكت وأجابت بعدم اهتمام :

_عادى بقى، اهو بدل ما اكلم الحيطان فى البيت
خلّينى هنا، انا مش بتضايق عادى ..

_طب انتِ هتخلّصي امتى؟

رفعت يدها لتتظر بساعة اليد المعلقة بمعصمها ثم
قالت :

ساعة إلا تلت بالظبط

ماشى مش وحش .. انا هروح انكش فى حازم
شوية لحد ماتخلصى وبعدين نروح نقعد على
الكورنيش واحكيلك اللى حصل لو عايزة تعرفى ، كدا
كدا كله عرف خلاص مبقاش سر ، بسمة سيّطنتى
وذاعت فى كل حنة

قهقهت بشدة حتى ضاقت عينيها من فرط ضحكاتها ..
تلك الضحكة الواسعة التى تلفت نظره بكل مرة تظهر
على محياها ..
حقاً خلابة !!

أومات مرتين بترحيب شديد وهتفت بحماس :

_تمام اتفقنا ، لما اخلص هبعت لك

*

*

*

أذن حازم بدخول الطارق إلى مكتبه بعدما دق عليه
مرتين ، رفع عينيه له وسرعان ما اتسعت عينيه
بانتباه ونهض فوراً :

_فخر!

دار من خلف المكتب واقترب منه سريعاً حتى
احتضنه بقلق :

_حمد لله على السلامة، انت كويس؟

ربت فخر على ظهره بهدوء وأجاب :

_تمام عادى، هيحصل لى ايه يعنى؟

_انا كنت هجيك انا وعز وعمى رؤوف بس زياد قال
لنا إنك هتضايق لما تلاقينا كتير كدا، وخذ حنين بس
وراح ..

أوما بتأكد وهو يسير تجاه أحد الكرسيين المقابلين
للمكتب :

_ايوة فعلا، مش جاى من الحج انا

_طلعت ازاي؟

تساءل حازم وهو يأخذ المقعد المواجه له، فيما أجاب
فخر بعدم اكتر اث :

_ابويا قال لهم إني مكنتش اقصد وكنت فاكر السلاح
مقفول، ودفع تعويض للواد التافه ده .. وطبعاً
علاقاته والناس اللي يعرفهم مشوا له الدنيا وقفلوا
الحوار

أردف حازم بارتياح :

_طب الحمد لله ، يارب ما تتكرر تانى إن شاء الله
وتتعلم تهدي على نفسك شوية بقى

لم يبالي فخر مطلقاً، وأمره قائلاً :

_اطلبلي مانجا ...

*

*

*

طرق زياد على الباب قبل دخوله إلى مكتب والده
الخاص بالشركة ، تقدم صوبه بضع خطوات وقال :

طلبتي؟

نظر له عامر وقال مباشرة :

اه عايزك تروح المخزن عشان فى بضاعة جديدة
وصلت من شوية ، احنا دفعنا نص تمنها والمفروض
هندفع الباقي بكرة .. وقبل ما ندفع طبعًا عايزك تتم
عليها وتتأكد من جودتها زي ما طلبناها والكمية زي
ما اتفقنا ولا ناقصة .. عشان احنا أول مرة نتعامل مع
الشركة دي

رد زياد بتأفف :

لازم انا؟

أجاب عامر بضجر وبرود :

_ اه لازم انت

زفر بمثل ثم قال :

_ طب الدينى عربيتك ارواح بيها

طالعه عامر بحنق ثم التقط مفاتيحه وناولها له قائلا

على مضض :

_ اتفضل .. على الله متتأخرش بقى!

*

*

*

هو انت بتعرف تضرب نار أصلا ولا كنت بتجرب
حظك!؟

طرحت جهاد سؤاها لفخر وهى تجلس بجانبه فوق
أحد المقاعد المقابلة لكورنيش النيل ..

تمردت خصلات شعره البنية عن مسارها بفعل الهواء
الذى صار يحركه كما يحلو له ، وهو يجيب :
مش ماهر فيه يعنى ، بس اتدربت عليه من سنتين
كدا

طب ليه مكلمتيش كنت قولت لمروان يجيلك ، انا
مش قولتلك إنه محامى!؟ كان هيساعدك

رد بعدم اهتمام :

كبرى دماغك ، كدا كدا ابويا كان هيخلص الموضوع

صمتت للحظات مطولة ثم تحدثت بتردد طفيف :

_تسمح لى احط تعليق صغير على عيبك
يا بشمهندس؟

تطلع لعينيها الواسعتين المزينتين بالكحل كعادتهما ،
وأوما بانتباه ، فاستطردت :

_انت لازم تتحكم فى عصبيتك شوية .. الحمد لله المرة
دى ربنا سترها بس مش كل مرة هتسلم .. والمرة
الجاية لو استسلمت لغضبك ده مش بعيد تقتل حد
وتعمل انت فى نفسك كارثة كمان

تتهد وأجاب بقلة حيلة :

**والله بحاول بس ساعات مبعرفش .. خصوصاً بقى
لو الموضوع مرتبط ببسمة مش بعرف اعدّيها
، عشان هى كل غرضها تعلمّ عليا وتحسنى إنى أقل
منها، وانا استحالة اناولها لها !**

**ماهو انت كدا بردو بتسيبها تحرق دمك عشان تعمل
مشكلة وتخش فى حوارات زى دى ، و فى الآخر تقعد
هى تشمت فيك ..**

ردد بامتعاض :

**خلاص خلاص انسى عشان سيرتها لوحدها
بتعصبنى أساساً**

**لم تعترض على طلبه ولاذت بالصمت، لحظات قليلة
مرّت قبل أن تتذكر شيئاً وتهتف بحماس :**

_صحيح انا جبت لك حاجة

سارعت بفتح حقيبتها تحت مراقبته لها بفضول
أخرجت تفاحتين حمروايتين وقرّبت إحداهما له قائلة
بابتسامة عريضة :

**_المرّة اللّى فاتت انت عملتلى خاطر واكلت الشوكولاتة
مع إنك مش بتحب الشوكولاتات .. و زى ما اتسلّينا
باللى بحبه بقى، المرّة دى نتسلّى باللى بتحبه انت**

اتسعت ضحكته بشدة وامتزجت معها دهشته وهو
يقول :

_جبتهم منين دول؟

قبل ما ابعت لك عشان تنزل من الشركة نزلت انا
الأول الماركت اللى جنب الشركة وجبت منه حاجات
ولما شوفت التفاح افكرتك، فقولت اجيب ..

تصرفاً عفويًا وهدية أبسط مما يتخيل، ولكنها عنت له
الكثير؛ فكم مرة ستجد شخصًا يلاحظ تفاصيلك بعد
إخباره بها لمرة واحدة فقط؟

ابتسم بامتنان شديد وأخذ منها التفاحة مردفًا :

متشكر يا جهاد، ربنا يخليكى

اكتفت بالرد بابتسامة صغيرة، قبل أن يعود الصمت
ليحتل الأجواء لبرهة من الوقت ..

التفتت له من جديد وسألته :

_ هو الكحل مهيب عيني؟

نظر لها ونفى قائلاً :

_ لا كويس

دعت عينها اليمنى بطرف إصبع الخنصر بحرص
حتى لا تفسد خط الكحل، وهي تجيب :

_ اصل ده نوع جديد أول مرة احط منه النهاردة، بس
حاسة عيني مش مرتاحة منه شوية ..

أنزلت يدها ونظرت له لترى مقلتيه مثبتة عليها
بابتسامه عميقة تعلو ثغره ، ثم سمعته يقول :

_ بتحبي انتِ الكحل ها؟

ردت ضاحكة :

_ خدت بالك؟

_ عمرى ما شوفتك من غيره ..

رفع سبابته تعبيرًا عن تذكره لشيء ، وصحح مقولته :

_ لا صح فى مرة ، لما جيت زورتك انا ومريم اختى

مكنتيش حطاه .. دى المرة الوحيدة ، كنت ملاحظ

ساعتها إن وشك فيه حاجة متغيرة بس مكنتش

لاقطها ، لحد ما عرفت إنه الكحل

ضحكت بخفة، ثم سألته بخجل بسيط :

_ طب ومن رأيك كدا شايف شكلى أحلى بيه ولا من

غيره؟

أجابها بنفس ابتسامته الهادئة الرزينة :

_انتِ حلوة بيه ومن غيره ..

ظهرت أسنانها من ضحكتها الواسعة ، وضمت ساقها على بعضهما قليلاً وهي تخفض رأسها أرضاً بخجل ، فيما أضاف هو :

_لاحظتك كمان على طول عاملة شعرك نصين وسيباه مفروود ، شخص روتيني شكلك

ردت عابثة إياه :

_طب ما انت كمان على طول عامل شعرك لورا

__ عشان لايق فيا كدا

__ طب ما انا بردو لايق فيا كدا

ضم شفتيه بتفكير مصطنع ثم قال :

__ عايزة رأيي؟

طالعه باهتمام ، فأردف بهدوء :

__ نفس يوم الزيارة دي كنتِ رافعة شعرك لفوق بتوكة

مشبك كدا .. شكلها كان عشوائى بس وشك كان

جميل بيها ، ابقى اديها فرصة ..

تضاعف شعورها بالخجل والسرور معًا ، و ردت

بعفوية حمقاء :

والله انت اللى جميل وريحتك جميلة

ردد بتعجب :

ريحتي!؟

اه قصدى يعنى إنك بتحط perfume حلو يعنى،
أصلى شمّاه من بدرى .. عامل زى ريحة الملبين
الأحمر بتاع المولد

أجاب باستنكار وتأفف :

مولد ايه وملبين ايه يا جهاد؟ اسكتِ أحسن اسكتِ

وهو الملين وحش؟

ارتفع صوت رنين هاتفه يقاطع حديثهما ، فأخرجه من جيبه ونظر بإسم المتصل قبل أن يجيب :

ايوة يازيزو نعم؟

سكت قليلاً ليستمع إليه ،ومن ثم كساه التعجب بوضوح وهتف عاقداً حاجبيه :

مالك فى ايه؟

استمر بالإنصات له وظهرت عليه معاناته فى السمع ؛بسبب اهتزاز صوت أخيه الخافت ، ولكن بصعوبة استطاع فى النهاية تجميع الأمر ، وسرعان ما ظهر عليه الفرع وأسرع يجيبه وهو ينهض :

متقلقش متقلقش اهدى خلاص، انا خمس دقائق
وهكون عندك متخافش

نظر لجهاد وقال باضطراب وهو يهّم بالتحرك على
عجلة من أمره :

معلش معلش انا لازم امشى دلوقتي انا آسف

أومات أكثر من مرة بقبول :

مش مشكلة إن شاء الله خير، سوق على مهلك بس!

لم يكد ينصت لآخر كلماتها حتى ركض إلى سيارته
وركبها وانطلق بأسرع ما يمكنه ..

غلبها التوجس والقلق كثيرًا من الذعر الذي بدا على
وجهه ونبرته الخائفة، وهمست مع نفسها بقلق :
_يارب اسرها ..

تطلعت من حولها فوقعت عينيها على تفاحته التي
تركها ، تنهدت بإحباط والتقطتها بيدها وهي تردد
بامتعاض :

_زمانه شايف وشي نحس عليه دلوقتي !

يتبع..

الفصل السادس عشر {رفيقي}

أنفاسه متعالية بشكل متوتر ..

وسط السكون العارم المحيط به لم يظهر سوى
أصوات تنفسه الذي يحاول ضبطه قدر ما يستطيع ..
ولكنه على النقيض يتسارع أكثر فأكثر ..

ظلام قاتم لم يكسره سوى ضوء كشاف الهاتف الذي
يتركه بجانبه ،حيث يجلس بجانب الحائط، يخفي
وجهه خلف يديه ويتعمد إغلاق عينيه بقوة حتى لا
يقع بصره على السواد المحيط به ..

على الأقل السواد خلف جفنيه يراه برغبته وليس
مجبراً ..

لم يكن كشاف الهاتف ذا منفعة كبيرة ؛فالمكان واسع
والجزء المضى صغير ،فحتى لو فتح عينيه تجاه
المصباح فقط، ستقع حدقتيه حتمًا على المناطق
المعتمة رغماً عنه ..

استمع لصوت أخيه عبر الهاتف الذي تركه مفتوحًا
منذ اتصاله به :

_زیزو أرجوك اهدى! ، مفيش أى حاجة صدقتى
الموضوع بسيط ،هون على نفسك متفكرش فى حاجة
انا قربت منك خلاص متخافش

انتهى فخر من حديثه على الهاتف وهو يستمر
بالقيادة ، يحاول إخفاء قلقه عن نبرته ليثبت له
الاطمئنان بأكبر قدر ممكن، ولكنه فى الحقيقة خائف
بشدة ؛خاصةً مع استماعه لأصوات أنفاسه العنيفة
ويتضح أنه يأخذها بصعوبة ..

يدرك جيدًا ما تستطيع فعله نوبة الهلع تلك بأخيه،
ويخشى إن طال عليه الأمر فيسوء الوضع أكثر ..

لم يكن ارتعاده من الأمر قويًا طالما بجانبه أى أحد،
ولكنه الآن وحده تمامًا مما جعل الأمر أصعب ..
تسارعت نبضات قلبه حتى باتت مؤلمة فأخفض كفه
ليدلك صدره بتعب ولا تزال عينيه مغلقة لا يرغب
بفتحها مطلقًا ..

كل دقيقة تمر عليه كالساعة ويتضاعف الرعب أكثر،
رغم محاولاته الفاشلة في امتلاك بعض الهدوء ..
ولكن يبدو أن "الفوبيا" تنتصر ...

استماعه لصوت أخيه فى الخارج ينادى بإسمه كان
منقذًا، لا يعلم إن تأخر عليه لدقيقة أخرى أكان سيظل
الى حد ما متماسكًا، أم كان خوفه سيجتاحه ويبيد
ثباته عن بكرة أبيه!

تحرك ونهض بثقل واضح واقترب من الباب ...

تطلع فخر لقفل باب المخزن الذى يمنعه من فتحه، ثم
مرر عينيه من حوله حتى وجد طوبة متوسطة الحجم
على الجانب ، فأسرع بالتقاطها ثم شرع بمحاولة
كسر القفل بها ..

مرة .. اثنان .. ثلاثة ، واشتدت يده فى المرة الرابعة
بقوة حتى نجح بكسره وسرعان ما ترك الطوبة جانباً
ونزع باقى القفل ثم فتح الباب ..

ما إن رأى "زياد" بصيص الضوء يظهر من الباب
حتى سارع بفتحه هو ، وبلحظة كان يرتدى بأحضانه
بعنف ويطوق رقبتة بقوة على قدر رعبه ، فيما ضمه
فخر وأخذ يربت عليه بهدوء ويهمس له بصوت
ساكن :

بس خلاص اهدى مفيش حاجة

ولكن تعالت شهقاته لتعلن عن بكاء صامت طغى عليه
واستسلم له رغبًا عنه ، عينيه تدور من حوله
بارتعاد شديد ودموعه تتسابق على وجنتيه، بشهيق
وزفير غير منتظم بالمرّة ..

لظالما حرص دائمًا على عدم إظهار ضعفه أمام أحد
أبدًا ، ولكن الاستثناء مسموح لملجأه الوحيد .. أخيه

كانت قدميه قد أوشكت على خيانتته واهتز ثباته دون
وعى ، ولكن سارع "فخر" بالتمسك به قويًا وإجباره
على الوقوف بثبات، وهو يشد على كلماته بصوت
مطمئن :

_حصل خير يازياد حصل خير روق بالك وانسى
عشان خاطري، خلاص انا جنبك اهو
لم ترتخ يديه عن رقبة أخيه وخرج صوته مهزوزًا
خافتًا لم يكد يظهر :

_انا تعبت يافخر

رفع فخر يده ليمسد فوق شعره برفق، بينما استمع
لمواصلته بنفس صوته المتحشرج :

_انا بكره نفسى كل ما أحس إنى لسة بنفس العقدة
دى !

أخرجه فخر من أحضانه على مهل ونظر لعينيه
مباشرة يتحدث بهدوء :

**_متجيش على نفسك يا زياد ، كلنا بنخاف من حاجة
ومش لازم خالص نعمل فيها جامدين وميهمناش
حاجة انت مش مضطر تعمل كدا ..**

**أصبح يلتقط أنفاسه بشئ من الهدوء ومسح عينيه
بأنامله ، بينما ربت فخر على كتفه قائلاً :**

_تعالى تعالى ..

.
. .
. .

**شرب القليل من زجاجة المياه وهو يجلس على
المقعد المجاور للسائق ،حيث الباب مفتوح ويضع
قدميه خارجًا ..**

**بينما وقف فخر بجانبه وهو يستند على السيارة عاقدًا
ذراعيه ببعضهما وعينيه مثبتة عليه .. وسأل
باهتمام:**

أحسن شوية؟

أطلق زفيرًا مطولًا بهدوء وهز رأسه إيجابًا بصمت،
وهو يغلق الزجاجاة ..

تساءل فخر قائلاً :

ايه اللي حصل بالظبط؟

سرد زياد ماحدث بصوت منخفض غير مبالى بعض
الشيء :

ابوك طلب مني اروح اشوف البضاعة الجديدة ،بس
مقاليش إن خط الكهرباء فيه مشكلة ومفيش ولا لمبة
بتتور .. المخزن كدا كان مفتوح من ساعة ما
الحاجة وصلت واتحطت فيه، والحارس بتاعه
المفروض كان موجود بس انا لما جيت مشوفتوش

ودخلت على طول وهو معرفش إني جيت، ففقل
الباب ومشى .. لما خبطت مسمعنيش روحك كلمتك

_وايه اللي دخلك أصلاً وانت شايف الدنيا ضلماً؟

أجابه بحق وضيق شديد :

_مكنتش عايز اسمع منه إني جبان وعيل صغير
ورجعت مخصوص عشان المكان ضلماً!

أشاح بنظره متابعاً بعدم اهتمام :

_حاولت اتحدّي نفسي ودخلت وقولت كدا كدا مش
هطّول بس اهو اللي حصل ..

أصدر فخر تنهيدة مهمومة وصمت قليلاً ثم قال :

_لا يازيرو مينفعش كدا ، أي حد بيتّفه من مشكلتك
دي مشكلته مش بتاعتك..

ثم استرسل :

_ مفيش حد مبيخافش من حاجة .. وانت من حقك
تخاف من اللي تحس إنه فعلا بيوترك ويخليك مش
مرتاح ، ده لا معناه إنك جبان ولا عيل صغير ولا
الهبيل ده ، ادى نفسك مساحتك حتى لو عايز تعيط
عيط لو ده اللي هيرحك ..

لم ينظر زياد تجاهه واكتفى بالإستماع والصمت فقط،
فتابع فخر :

_ انا عارفك أوقات بتتكر حتى قدام نفسك عشان
بتخاف حد يقول عليك طفل ، بس صدقتي اللي يقول
كدا يبقى هو اللي طفل ومخه ضيق عشان بيستهون
بخوفك لمجرد إنه مبيخافش منها هو .. مالکش دعوة
بحد لو سمحت ، حاجة بتخوفك مهما كانت تافهة
اسمح لنفسك تخاف منها وتبعد عنها عادى وسيب

الى يقول يقول، احنا مش هنعيش على هوى الناس

...

صمت زياد للحظات بشرود ثم أوماً عدة مرات ببطء
تعبيراً عن اتفاقه معه ، ولم ينبس ببنت شفة

*

*

بعد مرور بضع سويعات ..

تحضرت "جهاد" للنوم ،فارتدت منامة مريحة من
اللون البنفسجى الفاتح وجمعت خصلات شعرها
الطويل للخلف برابطة صغيرة ، ثم رفعت الفراش من
فوق السرير لتغطي قدميها أسفله وتستقر جالسة
،لتتصفح الهاتف قليلاً قبل النوم ..

فتحته ونظرت بين الإشعارات حتى التقطت عينيها
تسجيل صوتي مرسل عبر "واتساب" من صاحب
المحادثة المسجّل بـ "Fakhr Talid"

بمجرد أن لمحت اسمه حتى أسرع بفتح الرسالة
ورفعت الصوت لتستمع إلى صوته الهادئ ونبرته
الرزينة المعهودة :

"انا آسف بجد على الطريقة البايخة اللي سببتك بيها
النهاردة بس الموضوع كان مهم والله معلىش، ياريت
متكونيش اتضايقتي"

ضحكت وتمتمت مع نفسها بدهشة :

ايه اللطافة والزوق ده يابني!

ثم بادرت بالرد وسجلت مقطع صوتي قائلة :

"لا والله انا متضايقتش خالص بالعكس انا مقدرة
وفاهمة إن كان في مشكلة ،يارب يبقى خير بس
ومتبقاش حاجة كبيرة إن شاء الله"

خرجت من المحادثة لتستكشف باقى المحادثات
والحالات ، مرت دقيقتين ووصلها رده برسالة نصية:

"الحمد لله موضوع وراح لحاله خلاص"

سجلت رسالة صوتية جديدة وقالت بمشاكسة :
"بس انت مخدمش التفاحة على فكرة"

انتظرت قليلاً وعلى وجهها ضحكة مترقبة لردّه ،
فأتاها تسجيل بصوته يقول :

"اتلخمت ونسيتها ، شيلهاالى لحد ما آخُدها ، اوعى
تاكليها دى بتاعتى"

قهقهت عاليًا من أسلوبه الشبيه بأسلوب طفل عنيد ،
ثم أجابت برسالة نصية مرفقة ببعض الوجوه
التعبيرية الضاحكة :

"متقلقش فى الحفظ والصون"

*

*

*

بنهار اليوم التالى ..

سارت "ياسمين" بالحرم الجامعي بصحبة أقرب
صديقة لها فى الكلية "منة" التى عرضت عليها
التسكع بعد إنتهاء اليوم الدراسى ولكن كان رد
ياسمين عليها يقول :

_يابنتى والمشاريع المتلثة اللى علينا دى!؟!

لتجيب منة بتأفف :

_فكك بقى يبقى نعملها لما نرجع

خاطبتها ياسمين بيأس :

_ماما مش هتوافق أصلاً ..

_متقوليش إنا هنخرج ، قوليلها هنتأخر فى الجامعة
عشان فى محاضرة مهمة

رفضت ياسمين المخاطرة قائلة :

_ماما مش سهلة يامنة وصعب يتضحك عليها ، مش
هغامر انا لأ

أشاحت منة بنظرها امتعاضًا :

_ ده انتِ فقريّة

صدح رنين هاتف ياسمين فنظرت بإسم المتصل ،
اعتلتها ابتسامة صغيرة، قبل أن تتفاجأ بصديقتها
تحشر رأسها داخل الشاشة تتساءل بفضول :

_ مين مين؟

ومن ثم ارتفعت ضحكاتهما وهي تقول عابثة :

_ ايوة ياعم زياد !

وكزتها ياسمين بذراعها ،تزامنًا مع فتح الخط

والإجابة بهدوء :

_ايوة يازيزو ازيك؟

سألها زياد مباشرة :

_فينك؟

_فى الجامعة

_خلصتى محاضرات يعنى؟

_اه قاعدة مع صاحبتى شوية وهروّح

_لا متروّحيش انا جايلك

تساءلت بتعجب :

_جاي تعمل ايه؟

هنخرج

صاحت بدهشة :

يازياد قولتلك مبحبش المفاجآت دي يا اخي!

هيّ كدا بتضرب في دماغى فجأة ، ياكل ولا
مياكلش؟

ردت بعناد :

لا مياكلش بقى عشان انا مش فاضية النهاردة

أجاب باستتكار :

وراكى ايه ياست الوزيرة؟؟

ورايا مشاريع قد كدا لسة مخلصتش ولازم اعمالها

_ معلى هى ساعة مش هنتأخر
_ لا احنا مش هناخد ساعة أبدا انا عارفة، أكيد
هنطوّل واليوم هيضیع

_ اطلعیلى یا یاسمین انا قدام البوابة !

أصدر أمره دون السماح بإطالة النقاش أكثر من ذلك
، و أغلق الخط فورًا ، فلجمت لسانها عن التحدث
عندما استمعت لصوت إغلاق الهاتف .. زفرت بملل
قبل أن يقع بصرها على ضحكة (منة) البلهاء
وغمزاتها المستمرة ، فنبست یاسمین بحنق :

_ بس یامنة !

عادت تنظر بالهاتف من جديد لتطلب رقم والدتها ،
فمرّت بضع ثوان حتى أجابت ناهد :

_ايوة يا ياسمين؟

_ايوة ياماما بصى.. انا خلصت الكلية وزياد كلمنى
قال لى ننزل

ظهر الحماس بصوت ناهد وهى تجيب :
_بجد؟! ، وماله يا حبيبتي روجي طبعاً

ثم أضافت سريعاً :

_بس اوعى يكون مستتيكى فى حته وانتِ هتروحي ،
لازم يجى ياخذك من قدام الكلية بالظبط.

ردت ياسمين :

_حاضر متخافيش

ليصدح صوت ناهد بحدة :

_ياسمين!!

_والله حاضر، هو قال لي إنه قدام الجامعة أصلاً

فيما أكدت ناهد بصرامة واضحة :

_او عي تمشى خطوة لوحدك يا ياسمين، انا بقول لك
اهو!

_حاضر ياماما والله خلاص ... يلا سلام

.
. .
. .

ترك زياد محل البقالة بعد شراء بعض الأشياء منه ثم
توجه إلى بوابة الجامعة القريبة منه ، لمحها وهي

تخرج بصحبة صديقتها ، ترتدى بنطالاً قماشياً من اللون البيج وقميصاً منقوشاً يجمع بين اللون الأخضر القاتم والبيج والسكرى ، تعلق حقيبة الظهر السوداء على كتفها وتلملم خصلات شعرها البنية للخلف ..

بينما اكتفى هو ببنتال من الجينز رمادى اللون وقميصاً أسود اللون مفتوحاً منه أول زرّين مع ثنى أكمامه قليلاً لتكشف عن ساعديه .. بينما يترك شعره المموج ذو اللون الأسود حرّاً يحركه الهواء كما يشاء ..

رسم ابتسامة صغيرة على ثغره عند وقوفه أمامهما وقال :

مساءً الأنااس

بدلت ياسمين عينيها بينهما وعرفتُهما :
_دى منة صاحبتى .. و ده زيزو ابن خالى

تبادلا السلام بهدوء ، ثم التفتت منة لها وقالت :
_انا ماشية بقى عايزة حاجة؟

_لا يا حبيبتي هبقى أكلمك ، سلام ..

غادرت منة وتركتهما معًا ، فالتفتت له ياسمين قائلة
بغضب :

_على فكرة مكانش هيجراك حاجة لو بلغتنى بدرى
شوية

_انا أصلا مجاتش فى دماغى الفكرة غير دلوقتى

تتهدت بملل وتساءلت :

_ وهنروح فين؟

أوما ضاحكًا :

_ هناكل شاورما

رددت بإحباط :

_ شاورما تانى؟!!

_ هو فى أحلى منها؟

ثم هتف وهو يهيمّ بالتحرك :

_ يلا تعالى عشان الحق اروحك عشان تنجزى

مشاريعك العالمية المهمة جدا اللى هتتقدنا من

التضخم والاحتباس الحراري ..

سارت بجواره وهى تنظر له باستتكار :

_بتتريق ياخويا؟ انت متعرفش انا بعملها حلو ازاي
على فكرة

ضحك وأحنى رأسه لينظر لها عابثًا :

_عارفين من غير مانشوف يافراشة ياصغيرة ..

تطلعت له بحنق واستتكار :

_ايه صغيرة دى ؟

_مقصدش عقلك صغير أكيد ،بالعكس ده انتِ زينة
العاقلين

ابتسمت بسرور ولكن لم تكذ تتسع ابتسامتها حتى
اختفت من تكلمته :

قصدى حجمك .. انتِ كتكوتة اوى ياسو ده انا بشيل
أوزان ضِعفك فى الچيم

لكمته بذراعاه صائحة بحنق ،بينما ضحك هو :

انتِ أوقر و غتت اوى اوى فعلاً !

*

*

*

خرجت جهاد من مطبخ شقتها وهى تسجل مقطعاً صوتياً عبر موقع التواصل الاجتماعي واتساب لأخيها "رجعت من الشغل بقالى ساعتين ومش لاقية حاجة أكلمها ، هاجى أكل معاك"

توقفت عن السير وراقبت المحادثة لثوان، حتى أتاها رده برسالة صوتية :

"شوفى مين هيدخلك من الباب أصلاً"

ضحكت، وقبل أن تجيبه بشئ تفاجأت بصوت الجرس يعلن عن ضيفٍ ما ..

أغلقت الهاتف واتجهت إلى الباب ، نظرت أولاً من خلال فتحة العين المرفقة بالباب ، فظهر عليها التعجب الشديد مع بعض القلق وترددت عينيها فى الأنحاء بدهشة ..

أمسكت بالمقبض وفتحت الباب ببطء لتتنظر مباشرة
لوالدة أخيها "صابرين" ، رسمت ابتسامة صغيرة
على وجهها قائلة بترحيب :
_ أهلا يا طنط اتفضلى

ولكن لم تقابلها صابرين سوى بالجمود ودلفت دون
المبادرة بأى رد ..

أغلقت جهاذ الباب، وقد غلبها التوجس وعدم
الارتياح .. التفتت لها وطالعتها بترقب وأردفت بأدب:

_ هو فى حاجة حصلت؟

تهدت صابرين بضيق وتحدثت بحدة :

**_بصى ياجهاد .. انا مش هماطل معاكي فى حكاية
مش مستاهلة ، انا بس جاية افكرك بحاجة ملاحظة
إنك كل شوية تنسيها**

**تطلعت لها جهاد بانتباه وعدم فهم ، فاسترسلت
صابرين بجفاء وفضافة :**

**_انتِ مش شبهنا ولا مننا ومتحاوليش تقتعي نفسك
بعكس كدا ، مروان لو لسة بيتعامل معاكي لحد
دلوقتي فده عشان صعبانة عليه ومش عايز يقلّ
بأصله مع واحدة اتفرضت عليه تبقى أخته بالعافية ..
لكن ده مش معناه إنك خلاص بقيتي منه بجد يابنت
هدى ! .. متفتكريش إنى هسيبك تُجرى ابنى ناحيتك
لحد ماتخليه شبهك انتِ وأمك الرخيصة !**

عارضتها جهاد رافعة سبابتها بتحذير :

_لا لا انا مش هسمح لك أكثر عن كدا !!

صاحت صابرين باستحقار :

_ انتِ يابتِ مصدقة نفسك؟ ، انتِ مش هتبقي حاجة
غير اللى ربّك بالطبط! ، ولو مكانش باين عليكِ
دلوقتي هيبان بكرة وساعتها مش هتقدري ترفعي
عينك في عيني أصلاً!

وتابعت بغلظة :

_ انا عارفة انتِ عايزة تقربي مروان منك طول
الوقت عشان تنسي أصلك الواطى وتحسي إنك زينا ..
بس انتِ عمرك ما هتتضفي يا جهاد وهتفضلي هدى
رقم ٢ وأسوأ كمان!

حدقتها جهاد بعينين مندهشة يحتبس بها الدموع
والاستياء من كلماتها القاسية ، بينما صاحت صابرين
بغضب و عدم استيعاب :

_ انا مش فاهمة! ، هو انا موعودة بيكوا طول حياتي
ولا ايه! ، هدى تاخذ جوزى و بنتها تاخذ ابنى! ، انتوا
حد مسطكوا عليا!؟

ثم خاطبتها باستصغار وحنق :

_ اتكسفي بقى على نفسك شوية وسيبيننا فى حالنا ! ،
فكرى بس خمس دقائق وبصي لحقارتك انتِ وأمك
وبصي مروان أعلى منكوا قد ايه! ، جايز تغيرى
رأيك وتروحي تشوفى اللى شبهك تتلمى عليهم بدل
ما تسواى سمعته معاكى !

شعرت جهاد بأن الحروف تكدست جميعها بحلقها ،
فلم تستطع إخراج كلمة واحدة منها ، يحاول عقلها
استيعاب كل ما وقع على مسامعها كتلة واحدة دون
تمهل أو شفقة ..

راقبتها حتى خرجت من الشقة وأغلقت الباب خلفها ،
ظلت محدقة بأثرها للحظات بشفتين منفرجتين من
الذهول وعينين تجمعت بها كم مهول من الدموع
قادرة على ملئ إناء بقدره ..

تسارعت أنفاسها وارتجفت أطرافها ، انهمرت
دموعها بغزارة حتى ارتفع صوت بكاءها تدريجياً ،
أخفضت رأسها وغطت وجهها بكفيها، مستسلمة
لبكاء ونحيب لم تستطع إيقافه

*

*

*

بأحد المطاعم ،حيث شغل زياد إحدى الطاولات برفقة
ياسمين وشرع بالتحدث أثناء تناولهما الطعام :

_كنت هاخذ العربية بتاعته بس قفشني قبل ما امشي،
يادوبك فلتت بجلدى قبل ما يفتحلى دماغى ..

ضحكت ياسمين بشدة ثم قالت :

_والله انتوا عاملين زى العيال الصغيرة

_انا أصلا بحوِّش بقالى شوية عشان اجيب عربية
ومتحوجش لأمثاله ..

تذكر شيئاً جديداً فغير مسار الحديث قائلاً :

_صحيح مقولتليش رأيك فى القميص حلو عليا ولا
ايه؟

أَلَقْتُ نَظْرَةً عَابِرَةً عَلَى قَمِيصِهِ الْأَسْوَدِ وَقَالَتْ :
_حَلُو ، هُوَ دِهَ اللى انا جِبْتَهُ؟

_هُوَ

تَسَاءَلْتُ بِاهْتِمَامٍ :
_مِقَاسُهُ طَلَعٌ مَظْبُوطٌ ؟

_اَنْتِ حَاسَةٌ اِيهِ؟

_حَاسَةٌ اَنَّهُ كَوَيِّسٌ بَسِ الْمَهْمِ اَنْتِ مَرْتَا حِ فِيهِ وَاَنْتِ
لَا بَسَهُ وَلَا لَا

لا عجبني تسلم ايدك .. خدي صوري بيه بيه بقى
توثيق أول لبسة

أردف بطلبه الأخير وهو يمد لها هاتفه ، فابتسمت
بترحيب وتركت طعامها ثم أخذت الهاتف ، اعتدلت
بجلستها وعادت للخلف قليلاً ورفعت الهاتف أمام
وجهها ، فيما أسند زياد ظهره للخلف وأسند ذراعه
على يد الكرسي ، بعدما حرك أنامله بين خصلاته
المموجة بهدوء ليحسن من وضعه ، ثم نظر للكاميرا
واعتلت ملامحه الحادة ابتسامة خفيفة وجذابة ..

اتسعت ابتسامته ياسمين بعد التقاط صورتين له ، ثم
أعطته الهاتف قائلة :

شوف كدا؟

أخذه ونظر بالصورتين ثم سارع بالتعقيب :

شبه الخنفسة !

ضحكت بقوة وقالت :

والله حلوة

بدّل نظره بين الصورتين بتركيز ثم همهم :

ماشى الثانية دى كويسة شوية ، ماعلينا .. تعالي
اتصوّرى انتِ

رفضت قائلة :

لا لا مبحبش اتصور

ليه؟

_محبش شكلى فى الصور

_طب ما انتِ حلوة ،ليه متتصوريش مش فاهم؟

ابتسمت بسرور من كلمته ثم قالت :

_عادى مبيعجبنيش وشى فى الصور

استعد لتصويرها ورفع الهاتف :

_لا لا ده كلام فاضى ، يلا خدى وضعك

_لا انا أصلا شكلى بعد الجامعة بيبقى مبهدل خالص
لأ

_والله شكلك حلو مش بضحك عليكِ ،لو وحش هقول
متخافيش

رددت باستنكار :

طبعًا، انت هتقول لى؟!

ضحك بخفة وقال :

طب يلا

أسندت مرفقها على المنضدة ووضعت كفّها على
وجنتها وابتسمت للصورة ، فأمرها زياد :

اضحكى.

ما بضحك اهو

لا اضحكى مش تبتسمى ، ضحكك حلوة متخبّيهاش

بمجرد سماعها هذا الإطراء الصغير اتسعت ضحكتها
بسعادة ، وبتلك اللحظة تمامًا كان قد التقط الصورة ،
لتخرج لها صورة عفوية بضحكة بريئة خرجت من
القلب حقًا ..

ابتسم بإعجاب وأوما برضا :
_جامدة ..

ثم نظر لها متابعًا بحدة :
_والله انتِ بقرة! ، ده الصورة طلعت مثالية من أول
مرة

ردت ضاحكة باندهاش من صرامته :

_بالراحة يازيزو خلاص متضربنيش !

ضحك ثم قال :

_ هبقى ابعتهاك ونزليها ..

ثم طالعها باهتمام وسألها ببعض الجدية :

_ لو عايزانى امسحها من عندى بعد ما ابعتهاك
براحتك

ابتسمت بتقدير لنزاهته ثم قالت بنبرة هادئة :

_ انا ببقى فيك على فكرة

أجابها بنفس أسلوبها الهادئ تمامًا :

_ ده أسوأ قرار متهور ممكن تاخديه فى حياتك

ضحكت رافعة حاجبيها باندهاش ، وقبل أن تنطق
بشيء سبقها هو بقوله :

فكك من الصورة بس عمومًا ليه تثقي فيا؟ مش
يمكن اطلع الشرير اللي فى رواية أحدهم؟

هزت رأسها نفيًا :

لا مستحيل

ليه يعنى؟

أجابته بمنتهى الاقتناع :

انت بتحب الشاي بلبن! ، مفيش حد شرير بيشرب
شاي بلبن أبدا

ارتفع حاجبيه بكل استنكار وسخرية ، ثم التوى ثغره
بإحباط وقال :

__ ده انتِ مش هتاخدي تلت دقائق فى إيد أصغر وغد !

*

*

*

جلس فخر على طرف السرير وهو يقطع التفاحة
بنفس طريقته المعتادة ؛ كلما قطع شريحة أكلها حتى
ينتهى الأمر بالتفاحة مكعبة الشكل ..

يقبع أمامه حاسوبه المحمول ليشاهد عليه مقطع
مسجل من كاميرا المراقبة المخفية بساعة الحائط
الخاصة بغرفته ..

لم يجد شيئاً مثيراً للاهتمام؛ فقط السيدة سحر تضع
بعض الملابس النظيفة بالخزانة ثم ترتب السرير
بنظام ومن ثم تترك الغرفة وتخرج ..

انحنى قليلاً ووضع يده عند موضع اللمس ليُسرع
الشريط باستعجال، إلى أن أوقفه فوراً عندما جذب
انتباهه شيئاً ما .. خادمتهم الشابة حنان تتسلل بهدوء
لتفتش بين أغراضه، تارة بأدراج المكتب وتارة
بخزانة الملابس وأخرى بأدراج الكومود المجاور
لسريره ..

ظل مراقباً إياها بصمت تام وهو يواصل تفاحته
بهدوء حتى شاهد يأسها وخروجها من الغرفة قبل أن
تلفت الأنظار لها ..

أبعد مقلتيه عن الحاسوب محققاً في الفراغ بحاجب
مرفوع وشفقتين مضمومتين بحنق ..

صدح رنين هاتفه فالتقطه من جانبه ونظر بإسم
المتصل المسجل بـ "gehad" ، ابتسم بهدوء
وأجابها :

__ايوة ياجهاد ازيك؟

مرت بضع لحظات صامتة استمع خلالها لأصوات
أنفاسها الغير منتظمة ، قبل أن يأتيه صوتها باكياً
مهزوزاً بشكل أثار قلقه بشدة :

__ممكن اتكلم معاك شوية؟

*

*

*

دلفت السكرتيرة الخاصة بمكتب (عامر) إليه بعد
سماع إذنه بالدخول ، ونبست بعملية :
_مستر عامر ، إياد وائل عايز يقابل حضرتك

نظر لها متسائلًا :

_ده مين يعنى؟

أجابت بنفس نبرتها الرسمية :

_مش عارفة بس هو واخد معاد وبيقول إنه محتاج
حضرتك ضرورى

نطق بعدم اهتمام :

_خليه يدخل

أومات بإيجاب ثم خرجت ، وبعد ثوان دخل إياد قبل
أن تعلق السكرتيرة باب المكتب ..

تطلع له عامر قائلاً :

__
اتفضل

ابتسم إياد بهدوء يحمل بعض التردد واستجاب لطلبه
وجلس ، فتسائل عامر بقلة صبر :

__
أوامر؟

ازداد توتره قليلا ولكن لم يتخلّ عن ابتسامته الودودة
وقال :

__
انا مش هطوّل على حضرتك خالص، انا كنت جاي
بخصوص مريم بنت حضرتك

ضيق عينيه بعدم فهم ثم نطق بصرامة :
_قصر !

سارع إِياد بعرض مبتغاه على عجلة :
_خير يافندم إن شاء الله، انا بس كنت جاي عشان
أطلب ايدها من حضرتك

رفع عامر حاجبًا دون الآخر بتعجب وألقى نظرة
خاطفة عليه من أعلى لأسفل ثم قال :

_وانت تطلع مين أصلا !؟

ارتبك إِياد من حدة نبرته، وتحدث بتمهل :
_احنا يعنى اتعرفنا عن طريق اصحابنا ، كلنا يعنى
شلة وقربنا شوية فحسيت إن انا بحبها يعنى وقررت
آجى لحضرتك على طول وادخل البيت من بابہ

نطق عامر وهو يحدقه بمنتهى الملل وردّ ساخرًا :

_بس انت داخل الشركة مش البيت

ضحك إياد بخفة وقال :

_انا عرفت إن أغلب وقت حضرتك فى الشركة يعنى
فقلت آجى هنا اتكلم معاك بشكل مبدأى وإن شاء الله
لو فى نصيب نتكلم فى البيت وباستفاضة

*

*

*

بنفس مكانهما المعهود ،حيث الجلسة الهادئة المعتادة
على كورنيش النيل ،والشمس توشك على المغيب
تودّع السماء شيئًا فشيئًا ..

جلس فخر جوارها صامتًا تمامًا ، ينصت فقط لصوتها
المرتجف وحديثها الغير مرتب والمختلط بصوت
بكاءها ودموعها التي تفيض كالشلال ..

_هي بس لو جربت مرة واحدة تتعامل معايا وتركن
كرهها لأمي على جنب كانت عرفت إني مش كدا ! ،
ولا حتى ماما كانت كدا، والله العظيم ماما كانت ست
جميلة، ايوة غلظت بس ندمت وحست بحجم غلظتها
وعاشت باقى حياتها بتدعى ربنا يسامحها ..

تضاعفت العبرات أكثر بعينيها التي تدور فى اللاشئ
من حولها :

_والله انا مش وحشة زى ماهى فاكرة ، هى اللى مش
عايزة تدينى فرصة أثبت لها انى كويسة ..

نظرت له صائحة بغضب لم يخلو من حزنها
وانكسارها :

_انت متخيل بتتهمنى بآيه!! شوفت بتغلط فىا انا
وامى ازاي؟ ، طب حتى كانت تراعى أنها ميتة، ليه
تجيب سيرتها بالطريقة الوحشة دى!؟

نطق أخيرًا بعد صمت دام منذ أول الجلسة وقال بكل
هدوء :

_جهاد ممكن تاخدى نفسك بس شوية؟

صمتت وأشاحت بنظرها بعيدًا ، فى حين استرسل
فخر قائلًا :

**انتِ دلوقتي الحاجة الوحيدة اللي لازم تفكرى فيها
هل الكلام ده صح؟ طبعا لا ، يبقى خلاص خلصت !**

وتابع :

**دى واحدة بتكرهك طبيعى تختار اسوأ كلام وتقوله
عشان تعكّن عليكي، خليكي ناصحة متحققيش اللي
هى عايزاه وتتأثري بكلامها ..**

**انتِ عارفة قيمتك كويس وده كفاية .. انتِ مش
مجبرة تثبتى حاجة لحد، وخصوصاً لما يبقى هو
مصمم ميشوفهاش !**

**ابتلعت جوفها بمرارة ثم أومأت ببطء، قبل أن تلتفت
له وتقول بخفوت :**

**انا آسفة عشان كلمتك فجأة وعطلتك، بس انا
مجاش فى دماغى غيرك ..**

احتلتته ابتسامة واسعة، ونطق بودّ :

_انا موجود فى أى وقت.

ابتسمت بامتنان شديد و رددت بسرور :

_انا مبسوطة إنى كسبت صاحب زيك يافخر، بجد
شكرا

لم تختفِ معالم التعاسة عن وجهها حتى مع ظهور
ابتسامتها البسيطة، لاذت بالسكوت من بعدها وظلت
تحقق بالأرجاء بعينيها الحزينة وملامحها الباهتة ..

راقبها باهتمام وأيقن أنها لم تُخرج الأمر من رأسها
بعد .. رأى التماع عينيها من جديد ؛ يبدو أنها على

وشك البدء بنوبة بكاء أخرى .. حاول تخفيف الأجواء قليلاً وهتف عابثاً :

_ اجيب لك الشوكولاتة اللى بتحبيها وتضحكي طيب؟

نظرت له وضحكت بذبول، ضحكة لم تخرج من القلب إطلاقاً، فقط مجاملة .. فتابع فخر :

_ طب خلاص اقول لك حاجة حلوة ؟

طالعه بانتباه وفضول ، بينما ارتسمت عليه ابتسامته الهادئة المميزة ونبس برقة :

_ حتى وانت بتعطي شكك حلو بردو

غلبتها ضحكتها رغمًا عنها و ردت بخفوت :

_ انت بتضحك عليا عشان افك وخلص؟

_ لا انا بقول لك بس إن العياط بيحلّي ف عيطي
براحتك لو عايزة

اتسعت ضحكتها أكثر بخفة وتوجّه بصرها صوب
النيل للحظات بصمت ، ثم نظرت له مرة أخرى
وقالت:

_ لاحظت فيا حاجة غريبة النهاردة؟

_ غير عينك اللي احمرّت؟ لأ

ضحكت بقوة ثم قالت :

_ لا بجد

دقق النظر بوجهها قليلاً ومط شفثيه بتفكير مصطنع،
ثم هتف بثقة :

_ اه، الكحل مش موجود!

ارتفعت ضحكاتها وضربت كفها بكفه :

_ براقو

شاركها الضحك وهو يقول :

_ لا انا لمّاح اوي لعلمك

اخترق آذانهم صوت الهاتف يعلن عن اتصال أحد ما

..

دس يده بجيبه وأخرج الهاتف ثم أجاب :

_ايوة يا حنين ازيك؟

صمت قليلاً ليستمع إليها ثم قال :

_لا مش فى البيت، بس لما تجهزي هجيك عادى ،
انتِ قدامك قد ايه؟

سكت ليعطها فرصة الرد ثم قال قبل أن يغلق الخط :

_ماشى خلاص نصاية وهبقى عندك ، سلام

أغلق الهاتف ثم نظر لجهد عندما قالت :

_طيب انا شكلي عطلت مواعيدك معلىش

أسرع ينفى قائلاً :

_ لا لا عادى، دي لسة بتلبس أصلاً

ترددت عينيها من حولها قليلاً وضمت شفتيها بتفكير
ثم قالت ب :

_ هو انا ممكن أسألك سؤال؟ انا عارفة هبقى رخمة ف
لو مش عايز تحكي براحتك مش هزعل يعنى
أوما بانتباه :

_قولي

نطقت بحماس واهتمام :

_عندى فضول اعرف انت وحنين قصة حبكوا بدأت
ازاى وايه اللى جمعكوا ببعض وكدا، انتوا شكلكوا
حلو ماشاء الله ولايقين على بعض اوي، أكيد بقالكوا
كتير سوا

رد ضاحكًا :

_ايه ده مفيش حاجة من دي خالص، انا عارف حنين
من كام شهر بس ..

قطبت حاجبيها بعدم فهم ،فتابع :

_انا وحنين خطوبتنا كانت صالونات جدا ، هي كانت
معرفة مريم واتعاملت معاها أكثر من مرة .. وحسيت
ناحيتهما بقبول يعنى روجت اتقدمت لها، بس

ردت بإحباط :

_بس كدا ؟!

ضحك بخفة قائلاً :

_ انتِ اللى رسمتي قصص تانية اعمل لك ايه؟

*

*

*

لم تختفِ الإبتسامة من فوق وجه (ياسمين) منذ دخولها من المنزل وحتى انتهاءها من تغيير ملابسها ..

تدرك جيداً أنها لو قضت هذا الوقت بنفس المكان بنفس التفاصيل وحتى بنفس الطعام، فلن تشعر بهذه السعادة البالغة ..

وتعترف تماماً أنها لو جلست بصحبته على سلم المنزل وتبادلا الحديث لخمس دقائق فقط، فسيتخطى سرورها مستواه الطبيعي ..

يا إلهى! ، كيف يتمتع بهذه القدرة على إسعادها بهذا الشكل دون بذل أى مجهود ؟

يبدو أنه صحّ القول بأن سعادتك تتحدد بمن يصاحبك فى نزهتك ، وليس بمدى ضخامة المكان أو فخامة الطعام وما إلى ذلك

أطلقت زفيرًا مطولًا مغلفًا بالراحة والاسترخاء ، ثم اتجهت إلى الكرسي الخاص بمكتبها حيث تركت فوقه حقيبتها ..

سحبت الحقيبة وفتحتها لتخرج محتوياتها ، توقفت فجأة وغلبها التعجب من وجود شئ جديد بالداخل ..

مدت يدها وأخرجت ثلاثة أنواع من الشوكولا محاطين مع بعضهم بورقة كبيرة مدونًا عليها بعض الكلمات ، فأبعدت الورقة لتفرد لها وتقرأ كلماتها

بوضوح :

"أشطر فراشة تعمل مشاريع "

احتلت الضحكة محياها وعينيها لاتزال ينبعث منها
الاندهاش ، رفعت مقلتيها عن الورقة وشردت فى
الفراغ قليلاً لتعود بذاكرتها إلى المطعم , حينما
أخبرها أن تذهب إلى الحمام لغسل يديها قبل المغادرة
، وقبل أن تذهب طلب منها ورقة وقلم لتسجيل بعض
الأشياء .. فأخرجت طلبه من حقيبتها وأعطته له ، ثم
تركت الحقيبة كما كانت وذهبت إلى الحمام ..

أهذا ما طلب الورقة وجعلها تدخل الحمام من أجله؟

حسناً، هو ذو لسان فظ بعض الشيء ولكن داخله حقاً
ملئ باللطف ، ولكنه تقريباً يخشى إظهاره مباشرةً
لأحد ويُفضّل إثباته ببعض الحركات الملتوية
المشاكسة .. أخاف من الحسد أم ماذا!

سارعت بفتح هاتفها وإرسال رسالة نصية له عبر
واتساب :

"بمناسبة ايه الشوكولات دي ؟"

مرت دقائق قليلة قضتها فى توزيع أنظارها بين
الشاشة والورقة لتقرأها مجدداً وتعتليها ابتسامتها
مجدداً دون شعور منها ، إلى أن انتهت لردّه :

"عشان بين كل مشروع والتانى تفصلي بواحدة"

ثم ألحق كلماته برسالة أخرى مرفقة بوجه تعبيرى
يغمز :

"يلا يامعلم شد حيلك عشان تفرّحنا بالامتياز الرابع"

اتسعت ضحكتها كثيرًا وكتبت له :

"شكرا يازيزو بجد والله مش عارفة اقول ايه على
اللى بتعمله معايا ده كله ، انت جدع وطيب أوى ربنا
يخليك"

بضع ثوان ووصل لها ردًا جعلها تقهقه بشدة :

"لا انا شرير على فكرة، وبشرب شاى بلبن وانا
شرير عادى"

يتبع..

الفصل السابع عشر {الذكرى الخامسة}

فزعا الطفلان على صوت صياح وجدال حاد قائم
بالغرفة المجاورة لحجرتهما .. ولدًا بالرابعة وبنثًا
بالخامسة

كان هو على وشك التوجه إلى الخارج، لولا وقوفها
أمام الباب لتمنعه، قائلة بصوت طفولى لم يخلُ من
الجدية والخوف معًا :

_مينفِش تطلع يافخر! ، ماما قالت لو سمعنا صوت
عالى منطلعش من أوضتنا

عقد حاجبيه بغضب شديد كسى ملامحه البريئة
بأكملها، ثم تركها واتجه إلى السرير ليأخذ الهاتف من
فوقه ويسرع بالاتصال بأحدٍ ما ، تحدث فور إجابة
الطرف الآخر :

__ايوة يا جدو انت فين؟

.
.
.

تحدثت أمينة بعصبية واضحة مخاطبة زوجها الواقف
أمامها بساحة الغرفة :

__هو انت فاكرنى دايبه فى هواك أوى لدرجة إنى
احب اخلف منك تانى؟! ، انا مكنتش عايزة الحمل ده
زى زيك بس اهو حكم ربنا ، اعمل ايه يعنى!

أجابها عامر ببرود وحنق :

_تتزيه عادى

اتسعت عينيها بصدمة وصاحت باحتجاج :

_مستحيل اعمل كدا

_مش لسة قايلة إنك مش عايزاه؟

_مش لدرجة اقتله، ده روح! .. وبعدين ده أمر ربنا
وانا خلاص راضية

صاح بخشونة :

_وانا مش عايزه يا أمينة !!

ردت بعناد :

_ ميخصنيش يا عامر

_ يعني ايه ده؟

_ يعني كل واحد ينام على الجنب اللي يريحه

هتف بصرامة شديدة :

_ العيل ده ينزل أحسن لك !

صاحت بحدة :

_ مش هيحصل.

_ انت بتتحديني يعني !؟

_ اعتبرها زى ماتحب ، ابني مش هينزل إلا بموتى!

جذبها من شعرها فجأة يقول بقسوة و غضب :
_متخافيش هتتوليها قريب !

حاولت التحرر من قبضته وهى تزيحه بعنف :
_يا اخى سيبنى فى حالى بقى ابعده

ولكنه على النقيض ضاعف الأمر حدة وصفعها بقوة،
صفعة جعلتها تصرخ بألم حتى وصل صوتها إلى
طفليها اللذان انتفض جسدهما على أثره بفرع ..

تسارعت أنفاس مريم وانكششت على نفسها بزاوية
الغرفة تبكي خوفاً، جسدها يرتجف بشدة ودموعها
تتساب بكثرة ، فى حين وقف فخر يراقبها بوجه يبدو
عليه الخوف أيضاً ولكنه يأبى الاستسلام ..

قلبه المنتمى لوالدته يرفض الصمت أمام أصوات
صيحاتها المتألّمة، فلم يقف عاجزاً وخاطر بالذهاب
إليهما..

دلف إلى الغرفة ليرى والده يبرز كل قوته في ضربها
أثناء محاصرتها في الزاوية دون السماح لها بأى
فرصة للمقاومة..

ركض فخر ناحيته وأمسك بثيابه محاولاً جذبته للخلف
بجسده الضعيف وصاح بأعلى صوته :

كفاية كفااااااااااا !!

التفت له عامر ونظر له بشر مهيب، مما بث الرعب
بنفس الصغير وجعله يرجع للخلف بارتعاد شديد
،توافقاً مع استعداد عامر للاقتراب منه ،ولكن لم

تسمح له أمينة التي حالت بينه وبين ولدها بجسدها
المرهق قائلة بتحذير وحدة رغم تعبها :

إياك تقرب منه !

انتِ فكراني مش هعرف اكسره واكسر ضلوعك
وراه؟!؟

مسحت الدم الذي نزف من جانب شفيتها بظهر يدها ،
وهتفت بتحذير وصرامة قوية تشير باستعدادها
لافتراس أى ممن يقترب من طفلها :

مالكش دعوة بيه يا عامر !

قلبك مات وبقيتي تقفي قصادي يا أمينة

ردت بتحدٍ وقوة :

و اقف قصاد مليون زيك لو جم ناحيته !

غروره وتسلطه لم يسمح له يومًا بتجاهل عنادها، بل يجبرانه على كسر أنفها أكثر حتى وإن اضطر لدهسها تحت قدميه؛ فقط لتعلن خضوعها له ويرى ضعفها أمامه ..

دفعها بعيدًا بقوة لتتصدم بالحائط وتبتعد عن ولدها الذى كان يحتوى بها ..

ارتعش جسده الصغير برعب وعاد للوراء سريعًا حتى التصق بالحائط، ولكن لم تتركه والدته رغم كل شئ وقامت بدفع زوجها بكل قوتها فجعلته يرتطم بالجدار، مما أشعل غيظه أكثر وجعله يلتفت لها ليفرغ غضبه بها أكثر من السابق؛ غير مبالياً بولده الذى يتابع ما يحدث بعينين متسعيتين بارتعاد وعدم استيعاب، وجسده يحاول العودة للخلف أكثر حتى قارب على الالتحام بالجدار ..

حاول استجماع نفسه قدر المستطاع وتحرك
باضطراب إلى السراحة ليأخذ من فوقها الفرشاة ثم
اقترب منه وألقاها على رأسه بقوة ..

تحقق مراده بالفعل وتوقف عامر بسبب الألم، ولكن
نظرته المخيفة له كانت كفيّلة بزيادة الرعب عليه
أكثر، فلم يلبث حتى ركض إلى الخارج بأسرع
ما يمكنه ..

لم يترك الغرفة وحسب، بل ترك الشقة بأكملها
;فوقف على أطراف أصابعه ليصل للمقبض بقامته
القصيرة حتى نجح بفتحه، ثم أسرع بالنزول دون
ارتداء حذاء حتى ..

في نفس الوقت كان قد خرج عامر بحثاً عنه ليذيقه
عاقبة فعلته ، فوقع نظره على الباب المفتوح .. لم
يتأكد إن كان قد خرج بالفعل أم أنه يختبئ بإحدى
أركان الشقة

ولكنه على كل حال .. لم يحفل نهائياً !

.
. .
تحركت أمينة بصعوبة وهي تستند على الجدار ، ومع كل حركة بسيطة تشعر بوجع يفتك بجسدها بأكمله .. ولكن لم تدع الألم يوقفها، فكل ما يهمها الآن ابنها الذي ظنت أنه وقع بقبضة عامر الآن ..

خرجت بأسرع ما يمكنها بخطوات واهنة غير ثابتة، حتى وصلت إليه ورأته يجلس على أحد الكراسي يفرغ غيظه في السجائر، فصاحت بقوة وغضب :

فخر فين؟!

لم يعيرها أى اهتمام و ردد ساخرًا دون النظر صوبها:

طفش.

اتسعت عينيها بصدمة ووقع بصرها على الباب
المفتوح، وصاحت باندهاش وهي تهم بالتحرك :

سيبته ينزل الشارع لوحده؟!!

لم تنتظر منه ردًا وسحبت حجابها القابع على طرف
أحد المقاعد وارتدته وهي تركض إلى الخارج
بجسدها المجهد ..

أسرعت بخطواتها على الدرج تناديه بقلق بالغ وهي
تلف حجابها بإهمال ، حتى تعدت آخر درجة لتصل
لمدخل البناية ..

وقفت أمام البوابة الرئيسية وهي تنظر يميناً ويساراً
بخوف واضح ..

ألم قلبها من القلق تخطى ألمها الجسدى بكثير، فقد
مرت العديد من السيناريوهات السوداء ببالها فى آن
واحد .. صرخت بإسمه بصوت مضطرب مرعوب :

فخر !!

ظلت توزع أنظارها من حولها أملاً فى أن يظهر
عندما يسمع صوتها ، سالت الدموع على وجهها
الملطخ بالجروح والورم من أثر الضرب ، خفق قلبها
وأصابتها وخزة مؤلمة شعرت بسببها أن قلبها يوشك
على فقدان نبضه ..

"ماما"

ما إن سمعت صوته الخافت ينطق بكلمته حتى شرعت تدور حول نفسها بجنون بحثًا عنه، فلم تحدد موقعه إلا عندما سمعته مجددًا، ونظرت داخل البناية لترى أنه فقط يختبئ أسفل السلم ولم يخرج إلى الشارع ..

هرولت إليه سريعًا لتجتو على ركبتيها أمامه وتجذبه لأحضانها وبدأت تتنفس بارتياح بعض الشيء :

حرام عليك وقّعت قلبي

داعبت شعره الناعم بيدها لتبث له بعض الطمأنينة، بعدما رأت دموعه تتسدل على وجنتيه وعينه ينبعث منها الخوف ولاحظت جسده يرتعش بشدة ، ضمته لصدرها مجددًا وهي تربت عليه بحنان وتهمس له بهدوء :

بس يا حبيبي بس خلاص هدّي نفسك مفيش حاجة

مسدت فوق شعره بهدوء وتابعت :

_ اوعى تنزل لوحدك تاني عشان خاطري، متعملش
كدا تاني

رد بجملة متقطعة تفصل بين كلماتها شهقات مستمرة
أثر البكاء :

_ كنت .. خايف .. يضربني

هزت رأسها نفيًا وهي تقول بإصرار وتتمسك به
أكثر:

_ محدش يقدر يعمل لك حاجة طول ما انا موجودة ،
والله ما هسيب حد يقرب منك متخافش ..

ظلت معانقة إياه واستمرت بالتربيت عليه بصمت
وهدوء حتى تشعره ببعض السكينة والاطمئنان ...

*

*

*

بنفس هذه البناية التي احتفظت بنفس تفاصيلها
;بخلاف لمسات الزمن التي وضعها على الجدران
والدرج فجعلهم متهاكين قليلاً .. دلف (حازم) من
باب البناية وهو يتجه إلى السلم بخطوات ثابتة
متسارعة بعض الشيء ..

وصل إلى الطابق المقصود، واتجه إلى الشقة الوحيدة
القابعة به ، فوجد الباب مفتوحاً قليلاً بالكاد يظهر له
نصف المقعد المقابل للباب، حيث شغله فخر وهو
يصب انتباهه لصفحات دفتره بين يديه ..

طرق على الباب مرتين وهو يزيح الباب بهدوء
وينادى باسمه، ليجذب نظره له وهو يقترب منه
ببطء، يقول بيأس :

_يا فخر! ، يا فخر قولتلك مية مرة متجيش هنا، انت
عنيديه؟

نظر له بصمت تام، نظرة خاوية لا يظهر منها أى
تعبير مفهوم .. ملامحه جامدة لا حياة فيها .. يبدو
وكأنه لا يكثرث البتة ولكنه العكس تمامًا من الداخل

اقترب حازم حتى جلس على مسند اليد الخاص بمقعد
فخر وطالعه عن قرب باهتمام :

_بقول لك ايه ماتيجي احسن نتغدى مع بعض برا
ونلف شوية

رفض فخر مُغمغماً بخفوت :

_خَلَّيْهَا بَعْدِينَ

_طَب نَقَعْد فِي الْبَيْتِ مَعَ بَعْضٍ، نَعْمَلْ أَيْ حَاجَةً يَاعَم
غَيْرِ الْقَعْدَةِ دِي! ، يَلَا بَسْ أَسْمَعُ كَلَامِي

لم يجبه بشئ، ظلت حدقتيه معلقة بالفراغ القابع
أمامه، مكفهر الوجه شارد الذهن، تعصف به ذكريات
الماضى من كل جانب حتى أوشكت على تفجير رأسه
..

توترت أنفاسه قليلاً وأدمعت عينيه، ما ان شعر بأن
عبراته على وشك الظهور سارع بمسحها بأنامله،
بينما لم يحيد حازم نظره عنه وطالعه بشفقة وهو
يربت على كتفه بتعاطف ..

رفع عينيه اللامعتين بالحزن له لينظر له مباشرة،
رمقه حازم بعمق واضح ولم يستلزم الأمر منه وقتًا
لإدراك مدى اهتزازه وضعف كيانه واحتياجه لـ ..
عناق!

فقط عناق يبيت له بعض القوة..

لم يتأخر حازم وسارع بضمه لصدره بهدوء، أسند
رأسه فوق خاصته بخفة وتمسك به قويا يشعره
بالأمان ويؤكد له وجوده بقربه، أخفض عينيه قليلاً
ليلاحظ ارتجافة يده العفوية التي تصيبه كلما شعر
بالتوتر أو الغضب، فتنهد بهمّ وزوّد من تربيته عليه
وتحدث بهدوء :

فخر انا فاهمك كويس، والله عارف انت حاسس بآيه
ونفسي اعمل حاجة تساعدك بس مش عارف

أطلق فخر زفيرًا مطولًا بتعب وابتعد عنه بهدوء
مجيئًا بخفوت وهو يدلك عينيه بإرهاق :

_ انا مش محتاج حاجة يا حازم، كفاية إنك موجود

ابتسم حازم بخفة ونهض وهو يقول :
_ هجيبك كباية مائة طيب ثوانى.

اتجه حازم إلى الداخل ، فيما أخرج فخر هاتفه من
جيبه وتفحصه قليلًا فوجد أنه قد وصلتته ثلاث رسائل
من جهاد تقول :

"ازيك يافخر"

"انا شوفت ياسمين منزلة على الفيسبوك إن النهاردة
الذكرى الخامسة لوفاة والدتك وطالبة ندعيها وكدا"

"ربنا يرحمها يارب ، تعيش وتفكر .. انا قولت
واجبى اعزىك بردو ، إن شاء الله هى فى حته أحسن
بكتير ، يارب تكون انت واخواتك تمام"

لم يظهر عليه رد فعل يذكر واكتفى بكتابة بعض
الحروف :

"متشكر يا جهاد"

خرج من المحادثة وكان على وشك إغلاق التطبيق،
ولكن توقف عندما لاحظها تكتب، وأرسلت :

"انت كويس؟"

سكت قليلاً ثم عاد للمحادثة من جديد وأجاب :

"مش عارف والله"

بضع ثوان وأتاه ردها :

"لو محتاج تتكلم أنا موجودة ، انت بردو سمعتني
قبل كدا ومعديش مشكلة خالص أسمعك انا كمان لو
عايز"

*

*

*

جلست ياسمين على السرير وهى تتحدث بالهاتف مع
صديقتها (منة) ، تتناقش معها ببعض الأمور الخاصة
بالدراسة .. قطعت حديثها فجأة عندما فزعت من
دخول أمها دون سابق إنذار وهى تناديها ..

نظرت لها ناهد رافعة أحد حاجبيها وسألت :

__بتكلمي مين؟

دی منة صاحبتي

اقتربت منها ناهد وجذبت منها الهاتف لترى اسم
الطرف الآخر، وعندما تأكدت منها أعادت لها الهاتف
تقول :

اقفلى دلوقتي عايزاكي

وضعت ياسمين الهاتف على أذنها و رددت بخفوت :

باي يامنة دلوقتي هكلمك تاني

أغلقت الخط ثم نظرت لها معاتبة إياها بحزن :

ايه ياماما؟ بردو بتشكي فيا!؟!

_مش انتِ اللي اتخضيتي أول مادخلت كأنك عاملة مصيبة؟

_اتخضيتِ عشان حضرتك دخلتي فجأة مش عشان خايفة من حاجة

لم تكترث ناهد وتحدثت بما تهتم به :

_خلينا فى المهم دلوقتي .. عايزاكي تلبسي وتروحي بيت خالك وتقعدى مع زيزو وتهونى عليه، حسسيه كدا إنه يهكم وخايفة عليه و واقفة جنبه

وأضافت بحنق :

_والبسي حاجة تشد عين الواد شوية متبقيش غبية !

ثم همت بالخروج صائحة :

يلا خلّصى ..

زفرت ياسمين بضيق واستياء من معاملة أمها لها
كالبضاعة التي يجب تلميعها حتى تجذب انتباه الزبون
.. ومع ذلك لم تنطق بكلمة والتزمت الصمت

*

*

*

دلف عز إلى غرفة والده وتوقف عند عتبة الباب
ليلقى نظره على رؤوف وهو يجلس على مقعده يعط
ظهره للباب، لم يكن بحاجة لرؤية وجهه لاستكشاف
دموعه فقد كانت واضحة من أصوات أنفاسه التي
يحاول جعلها منتظمة، ولكن للبكاء رأى آخر ..

تتهد عز بهمّ واقترّب منه ونطق بهدوء :

_بابا

لم يجبه رؤوف ولم يوجه له ولو نظرة خاطفة حتى ..
اقترب منه عز حتى جثا على ركبتيه أمامه أرضاً
وأمسك بيده يربت عليها بحنوّ وقال برجاء :

_بابا بلاش كدا أرجوك متتعيش نفسك، العياط ده
مفيش منه فائدة

استمرت دموع رؤوف بالانهيار وتحدث بصوت
يغطيه الندم والتوجع :

_عمتك كانت ست جميلة اوى يا عز .. جميلة من كل
ناحية لدرجة إنك متعرفش تشوف فيها عيب ،
مكانتش تستاهل واحد حقير زى عامر

تضاعفت دموعه أكثر واهتز صوته كثيرًا :
كل ما افكر انى سببتها فى ايده بحس انى مستاهلش
أى حاجة حلوة فى حياتى

اعترضه عز قائلًا :
يا بابا عمتى مكنتش بتحكيك حاجة أصلا، انت
مكنتش تعرف اللى بيعمله معاها

صاح باحتجاج :
كان لازم احس بيها ! ، دى اختى الوحيدة يا عز ..
وانا مهتمتش بيها

والله يا بابا انت مشيل نفسك ذنب على الفاضى ، كلنا
عارفين عمتى لما كانت بتطلب الطلاق كان بيعند فيها
وبيقول لها هتمشى ومش هتاخدى ولادك معاكى ،
وهى استحملت عشانهم ..

وأضاف مؤكداً :

عمتي خبّت عليك عشان كانت عارفة إنك لو اتدخلت
ولادها اللي هيتضروا فى النص، انت مالكش دعوة
هى اللي كانت بتعرف تداري .. وانت لو كنت فى
موقف شبه ده وحاسس إن ولادك ممكن يتأذوا لو
قولت حاجة معينة أكيد مكنتش هتتكلم

نيس بصوته الباكي ألماً ووجعاً :

حياتها ضاعت يا عز ، كان المفروض تتجوز عشان
تبتدى تعيش أيامها مش تتدفن بالحيا

ربت عز على كفه مجدداً قبل أن يقبل يده بهدوء ثم
ينهض ويقبل رأسه ويقول :

_قوم يابابا نقعد برا .. متسيبش نفسك للأفكار دى
تسيطر عليك لو سمحت، يلا قوم معايا

*

*

خرجت من باب ينائتها قاصدة سيارته القابعة بالقرب
منها وسط ضوء النهار ..

رأته يقف عند مقدمتها يستند عليها وهو يعقد ذراعيه
ببعضهما، وعينيه مثبتة في الفراغ بشرود تام ..
يرتدى بنطالاً من اللون الكحلى وقميصاً سماوى
اللون ، بينما نزلت هى بملابس البيت القطنية العادية
التي تكونت من بنطال رمادى اللون وقميصاً من نفس
اللون مكتمل الأكمام، وقد أضافت وشاحاً خفيفاً حول
كتفيها، ولم تتخلى عن الكحل كعادتها وتركت شعرها
الطويل منسدلاً ..

أفاق على صوتها تنطق إسمه بهدوء، فتوجه بصره
نحوها حتى وقفت أمامه وسألته بابتسامة صغيرة :

_ عامل ايه؟ وزيزو ومريم عاملين ايه؟

حرك كتفه بعدم اهتمام :

_ كويسين

ثم أسرع يقول :

_ بصى انا عارف انا مكانش ينفع افاجئك وآجى هنا

بس

قبل أن يواصل باقى كلماته كانت قاطعته هى سريعًا :

_ متقولش كدا انت تيجي فى أى وقت عادى

ابتسمت ابتسامة واسعة ورفعت يدها بتفاحة حمراء
قائلة :

وجبت لك التفاحة بتاعتك اللي نسيتها

ضحك بهدوء وأخذها منها ولكن سرعان ما وقعت
منه، كان على وشك الانخفاض لأخذها ولكن سبقته
جهد ولحقت بها قبل أن تتدحرج بعيداً، ثم أعادتها له
قائلة بضحكة بسيطة :

معلش ابقى اغسلها بقى

تنهد وأخذ التفاحة ليضعها بسيارته من خلال النافذة
المفتوحة ثم أعاد نظره لها وتساءل :

انتِ اخبارك ايه؟، قولتي لمروان على الكلام اللي
قالتة امه؟!!

نفت برأسها مجيبة :

_ لا لا انا مش عايزاه يعمل معاها مشكلة، مش عايزة
علاقته بمامته تتوتر بسببي .. وده اللي خلانى اجيلك
ساعتها عشان مكنتش هقدر افضفض معاه واتكلم
على امه يعنى

هز رأسه بفهم قبل أن تقول هى:

_ سيبيك منى المهم انت؟

أصدر تنهيدة طويلة مهمومة ولاذ بالسكوت للحظات
ثم تحدث دون تصويب نظره لها :

_ كل سنة فى نفس اليوم ده بالذات رجلى بتاخذنى
لشقتنا القديمة مع إنى عارف لما اروح هفتكر كل
حاجة وحشة حصلت فيها وهتتكد زيادة ..

نظر لها وتابع عاقدًا حاجبيه بضيق شديد :

كان نفسي انا وابويا علاقتنا تبقى سوية وطبيعية
زى اى اب وابنه .. بس احنا فى بيننا مسافات وسدود
كثير اوى عمرها ما هتتهد، وحتى لو حاولت من
ناحيتى هو عمره ما هيحاول من ناحيته .. مش قادر
ينسى عقدة إنه كان مجبور يتجوز امى ولا حتى عايز
يحبنا ،زى مايكون ولادها لو حدها وهو مستحملنا
فَضْل وجميل من عنده.

استطرد بوجه مكفهر ونبرة مهزوزة بتأثر واضح :

عمره ما خاف علينا ولا حسسنا بالأمان، بالعكس ..
احنا كنا بنترعب أول ما يدخل من باب البيت، كانت
أمى طول ما هو موجود تخلينا قاعدين فى الأوضة
عشان خايفة علينا منه ..

انتِ متخيلة البيت اللى هو المفروض أول مصدر أمان
ليكِ تبقى عايشة فيه خايفة وبتستخبى!

ظهر الحزن الشديد عليها أثناء استماعها له ولم
تتبس بشئ لتتركه يتحدث كما يريد ..

_جدى كان راجل شديد وكلمته لما بتتقال لازم تتعمل
وهو اللي أصرّ عليه إنه يتجوزها عشان يشيل
مسؤولية والكلام الفاضى بتاع "لما يتجوز هيعقل"
أفكار جاهلة راحت ضحيتها واحدة غلبانة كانت كل
اللى عايزاه تعيش حياة مستقرة وهادية مش أكثر
ثم تابع متعجبًا :

_بس جدى حتى وهو جامد كدا كان بردو حنين،
مكانش عنده كمّ القسوة والجبروت اللي عند ابويا ده!

شعر بغصة تطبق على أنفاسه فأخذ نفسًا عميقًا ملأ
به صدره ثم زفره على مهل ، واستطرد :

**_ عارفة؟ ، امى لما حملت فى زياد ابويا مكانش
راضى وكان مصمم يخليها تنزله .. ولما رفضت مد
ايداه عليها .. قدام عينى**

**بان الألم بصوته كثيرًا مع جملته التالية والتمعت
عينيه بالدموع :**

_ ومكانش آخر مرة ..

أدمعت عينها بتأثر وشفقة ، بينما يواصل :

**_ جدى ساعتها جه وشاف اللى حصل واتخاف معاها
خناقة كبيرة ، وقرر ياخذ أمى عنده لحد ماتولد عشان
مكانش ضامن ان ابويا ميقرش منها تانى .. وطبعاً
خدنا معاها**

اعتلته ابتسامة جانبية ساخرة ، ونبس بتفانٍ :

مش هبالغ لو قولتلك إن التسع شهور دول كانوا
أحسن فترة في حياتي عشان بس كنا بعيد عنه

ترددت عينيها في الأنحاء بحزن وحيرة ; ما الذي
يمكن قوله ليخفف عنه ألمًا كهذا؟

انتبهت له عندما قال وهو يستعد لفتح باب السيارة :
_هوريجي حاجة

راقبته وهو يحضر شيئًا ما ثم أغلق السيارة والتفت
لها ليريها دفتره الأنيق ذو الغلاف الخشبي ..

ولكن قبل أن ينبس بحرف وقع الدفتر من يده لا إراديًا
؛ بفعل تلك الحالة التي لا تدعه وشأنه ؛ حيث تتوقف

أعصاب يده للحظات وترتعث بوضوح ،دون القدرة
على إمساك شئ حتى تعود لطبيعتها ..

مالت جهاد لتتناول الدفتر ثم اعتدلت وهي تقول
ضاحكة :

_ انت مالك النهاردة؟

شرع يضم قبضته ويفتحها أكثر من مرة ،كمحاولة
فاشلة لإيقاف رجفتها ، نفخ بملل وقال :

_ هي حالة زفت بتجيلي كدا لما بتعصب أو بتوتر

استفسرت قائلة :

_ ازاي؟

_ أَعْصَابُ إِيدِي بِتَتَأَثَّرُ نَفْسِيًّا وَبِتَقْفُ كَامِ ثَانِيَةِ فِ مَشْرِعِ
بِعَرَفِ أَمْسِكِ حَاجَةَ لِحْدِ مَا تَرُوحُ لَوَحْدِهَا

تَسَاءَلْتُ مَتَعَجِبَةً :

_ دِي بِتَحْصَلُ لَكَ مِنْ زَمَانٍ؟؟

_ كَانَتْ بِتَحْصَلُ قَلِيلَ زَمَانٍ بَسْ بِالتَّدْرِيجِ بِقَتِّ تَزِيدِ

_ وَمَالِهَاشِ عِلَاجٍ؟

رَدَدْتُ بِضَجْرٍ وَيَأْسٍ :

_ عِلَاجُهَا مَتَعَصِبْشِ !

ضَحِكْتُ بِخَفَةِ وَقَالَتْ :

سلامتك الف سلامة .. ياسيدى روق محدش واخذ
منها حاجة

مدت له الدفتر قائلة :

تمام؟

زفر بعدم اكتر اث والتقط منها الدفتر ، حدق به قليلاً
ثم استرسل قائلاً بهدوء :

النوتة دى كانت آخر هدية تجيبها لى امى قبل
ماتتوفى .. فضلت اربع سنين محتفظ بيها فى صندوق
عشان احافظ على الذكرى بتاعتها، بس بعدين مؤخرًا
لما فكرت حسيت إن ذكراها هتبقى عايشة أكثر لو
استخدمتها ..

لم تفارقه بسمته الهادئة أثناء تحدته، وتابع :

_ هي زى ماتقولي كدا بطلع فيها أفكارى .. شوية
خواطر وعبارات على جمل عشوائية كدا ، فى الغالب
بيجلى الإلهام من المواقف اللي بتحصل حواليا أو
اللي بتحصل معايا ، وأوقات بتيجى فى دماغى فكرة
قبل ما انام .. كدا يعنى

غلبتها ضحكة واسعة باهتمام وصاحت بحماس :
_ الله! انت ليك فى الكتابة!؟

ابتسم من أسلوبها المتحمس وأوما بإيجاب، فأسرعت
تسأله بلطف :

_ طب ممكن توريني حاجة انت كتبتها ؟

استجاب لطلبها وفحص بين صفحات الدفتر قليلا حتى
استقر على إحدى الصفحات ثم أعطاه لها وهو يقول:

دى آخر حاجة كتبتها

تناولت الدفتر من يده وقرأت الكلمات المدونة به :

"أخبروك أن استمرارية السعى لا تعنى حتمية
الوصول

ولكنهم نسوا إخبارك بالباقي ..

استمرارية السعى لا تعنى حتمية الوصول
-لما تريد-

ولكنها تعنى الوصول للمكان الصحيح والأنسب لك،
فتحلّى ببعض المرونة والصبر، وانهض لمواصلة
طريقك .."

ظهر عليها الإعجاب الشديد وهتفت بحرارة :

_ حلوة اوى!

رفعت مقلتيها له متابعة :

_ صح فعلاً عندك حق

أعطته الدفتر وهى تهتف بحماس كطفل صغير :

_ ورّينى حاجة تانية ورينى حاجة تانية!

ضحك بسرور يتخلله التعجب من رد فعلها وتساءل :

_ عجبك اوى كدا؟

_ اه انا أصلاً بحب الحاجات دى جدا

نظر بالدفتر وراح يقلب بين الصفحات لبرهة ،حتى

اختار واحدة ثم عاد يناولها إياه ،فأخذته وقرأتها،

وسرعان ما عبّرت عن إعجابها قائلة بابتسامة
عريضة :

_ تحفة يافخر بجد

نظرت له ونبست برقة :

_ هو ينفع كل ما تكتب حاجة جديدة تبعتهالي??

اعتلته ابتسامة واسعة بترحيب وأوماً بموافقة :

_ معنديش مانع

*

*

*

جلست مريم فوق سريرها، تثني قدميها لتضمها
لصدرها وتُسند ذقنها على ركبتيها ..
تركت نفسها للبكاء ولم تحاول منع نفسها ، حتى إن
حاولت فلن تستطيع على أى حال ..

تتساقط دموعها بغزارة وكأن عينيها أصابها فيضانًا،
حتى أصابتها شهقات لا إرادية ..

استمعت لصوت دقات فوق الباب، فصمتت فورًا حتى
يعتقد الطارق أنها نائمة ويتركها وشأنها .. ولكنها
غيّرت رأيها عندما سمعت صوت صديققتها (رنا) :

مريم انا رنا ممكن تفتحي نتكلم شوية؟

نهضت من مضجعتها وقررت فتح الباب ، نظرت لها
بعينيها الذابلتين بصمت تام .. فيما رمقتها رنا بشفقة

ورسّمت بسمّة صغيرة على وجهها; تعرف حالتها
عن ظهر قلب كلما مر عليها هذا اليوم وكيف تقضى
الساعات فى البكاء على والدتها التى لم تخرج عن
بالها يوماً، ولكن يومَ شهدت وفاتها كان أكثر الأيام
قساوة وتعاسة ..

لم تتطّق رنا بشئ واقتربت منها لتضمها إليها ..
وكانما رأت مريم مأمّنها وارتمت فوراً بأحضانها،
تاركة نفسها لنوبة قوية من البكاء المرّيع ..

أخذت رنا تربت فوق ظهرها ويدها الأخرى تمسّد
على شعرها بهدوء، وهى تهمس لها بأن كل شئ
سيكون بخير وتذكرها بمدى قوتها على تخطى حزنها

...

تشبثت بها مريم قوياً وكأنها تخبرها بامتنانها
لوجودها الذي يحمل عنها عبء الكثير مما يثقل
كاهلها ويطبق على أنفاسها ..

تمر مرارة الأيام بصديق وفيّ يحبك بصدق ويكثر
لأمرك ..

صديق يغنيك عن العالم بأسره، قادرًا على خلق شعاع
الأمّل من أعماق ظلمة اليأس، فقط بوجوده معك

*

*

*

كان يجلس زياد وحده بحديقة المنزل فوق مقعد
واسع ، يفرّد ذراعيه على مسند الظهر الخاص
بالمقعد ويضع سماعات أذن لاسلكية (بلوتوث)،
ويعيد رأسه للخلف مغمض العينين شاردًا في عالم
آخر ..

فتح عينيه عند شعوره بيد تربت على كتفه بهدوء،
رفع عينيه لها .. ابتسم بمجرد رؤيتها رغم الضيق
البادى على وجهه .. نزع السماعات وقال :

_ ايه ده جيتي امتي؟

أجابت ياسمين :

_ لسة دلوقتي

أفسح لها المجال لتجلس بجواره :

_ تعالي اقعدى

استجابت له وجلست بهدوء قائلة :

_ انا طلعت شوفت مريم وبعدين سألت عليك قالولى
قاعد هنا .. أخبارك ايه؟

أجاب بلامبالاة وهو يدس السماعات بجيبه :

_ اهو تمام

تطلعت بوجهه بعمق وتساءلت بشك :

_ أكيد؟

ارتكز بصره عليها ، أطال نظراته قليلاً بثبات وظهرت عليه ابتسامة باهتة وهو يحرك كتفه بعدم اكتراث ..

لاذ بالصمت لبرهة ، مرت الثواني وعينيه تتردد من حوله بعدم ارتياح ، التمعت حدقتيه بحزن شديد وهو يتحدث بصوت متحشرج :

_ انا بكره اليوم ده اوى

لم ينظر صوبها وظلت أنظاره معلقة باللاشئ ،
ونبرته مهتزة بوضوح :

كل حاجة طعمها بقى ماسخ من ساعة ما ماتت ، لو
فى حاجة كانت حلوة فده بس عشان أمى أكيد حطت
فيها ريحتها .. الكلمة العادية اللى مبتعملش فرق
كانت بتلمسنى عشان طالعة من لسانها هى
أطلق زفيرًا متعبًا لم يخرج براحة ثم نظر لها قائلاً :

بس انا مش انانى بردو ، انا اه عايزها معايا بس
بردو هفرح لراحتها .. انا عارف هى كدا مرتاحة أكثر
ما كانت عايشة فى الحياة المقرفة دى ..

عقد ذراعيه ببعضهما وعادت مقلتيه تحملق فى
الفراغ بوجه متجهم بضيق ونبس بخفوت :

_ارتاحت من الإهانة والضرب وقلة القيمة والمعاملة
الزبالة اللى مكانتش تستاهلها ..

أخذ شهيقًا عميقًا ثم زفره على مهل و ردد مع نفسه
مبتسمًا بحزن :

_فى الجنة يا أمينة إن شاء الله

تمتت ياسمين بخفوت:

_يارب آمين

خيم الصمت لثوانٍ قليلة ، وأبت إطالة الأحران أكثر
من ذلك وخاطبته بضحكة واسعة :

_انا جبت لك حاجة بتحبها على فكرة

فتحت حقيبتها وأخرجت منها حقيبة بلاستيكية
ورفعتها أمام وجهه وهي تهتف بطريقة مسرحية
حماسية وكأنها تراضى طفلاً صغيراً :

شاورماااا

ضحك من أسلوبها بشدة ، بينما تابعت هي :

جبتها عشان ناكل سوا ونعمل شاى بلبن ونرغى
شوية، ايه رأيك؟

رد باستتكار وهو يضحك :

هنشرب شاى بلبن مع شاورما؟

لا ناكل الأول وبعدين نشرب

ابتسم بهدوء وأوماً بقبول وقال :

_في بيبيسى جوا، اجيب؟

ضحكت بحماس موافقة :

_ماشى يلا

*

*

*

فتحت حنين باب شقتها له وسرعان ما هبّت بوجهه
باندفاع صائحة :

_ انت كنت فين!! ، انت عارف انا رنيت عليك كام
مرة!؟

عاد فخر للخلف خطوة من فزعه منها ثم أجاب :

_ الموبايل كان silent "صامت" .. ، وبعدين انا
بعثت لك رسالة وقولتك هجيك أصلاً

تطلعت من حولها قليلاً ثم ردت :

_ مخدمتش بالى مشوفتهاش

تجاهلت الأمر وتابعت باهتمام :

_ سيبك خلاص ، المهم انت كويس؟

أجاب بعدم اكتر اث :

_ عادى يعنى

اعتلتها ابتسامة واسعة متحمسة وهي تقول :

_ طب انا عملت لك حاجة حلوة

تسائل بفضول :

_ ايه دي؟

صفت كفيها ببعضهما فخرجت منها صقفة تتم عن
حماسها :

_ كيكة بالكريمة وعليها تفاح !

ضحك وقال :

_ ده زمان التفاح اسود

لا انا مش غبية كدا يعنى ، انا عملت الكيكة وحطتها
فى التلاجة وقولت احط عليها التفاح قبل ما ناكلها
على طول

ثم قالت بضحكة مترقبة :

ايه رأيك نتمشى شوية واحنا بناكلها؟

أوما بقبول :

ماشى أنا هستناكى تحت .. متتأخرىش

*

*

*

يادى نفس الحوار اللى بنتكلم فيه كل شوية ده !!

صاح مروان بجملته بكل تأفف وهو يسير بساحة
شفته مبتعداً عن والدته التي لحقت به تقول بإصرار :

_ماهو انا طول ما انا مش بتكلم بتفضل مكبر دماغك
، وانا مش هفضل واخداك على قد عقلك كدا كثير

وقف والتفت لها ينطق بملل :

_يا ماما الحياة مش عبارة عن جواز وخلص
، ماتسيبي كل حاجة بظروفها انا مش فاهم ايه الزن
ده؟!!

_يابنى حرام عليك بقى! هو انا عندي ولاد غيرك؟
مش من حقي افرح بابنى الوحيد واشوف عياله؟!
نفسى اشوفك فى بيتك ومستقر وعندك أطفال .. انا
مش عارفة انت معترض ليه؟ ما الحمد لله ربنا كارمك
وتقدر تفتح بيت، ايه اللى مانعك؟!!

دلك مروان وجهه بمنتهى الضجر وصمت للحظات ثم
قال :

_بصى ياماما ، انا هريحك شوية واصارك بحاجة ..
انا فى بنت معجب بيها بس لسة مش عارف الدنيا ما
بيننا هتمشى ازاي ، وكنت مستنى اعرف آخذ خطوة
حقيقية الأول قبل ما ابغك بس خلاص بقى

صاحت صابرين بكل حماس وفرحة غامرة :

_بجد؟! يا الف نهار أبيض ده مين الحلوة دى؟! ،
مين هى واسمها ايه وبنت مين؟

لا لا فكك من التفاصيل دي مش مهمة دلوقتى، بس
هى مؤدبة وجميلة وهادية ربنا يكرم إن شاء الله.. انا
هدخل انام بقى

كان يعتقد أنه عندما يخبرها بهذه الكذبة الصغيرة
ستسعد فقط وستكف قليلاً عن فتح سيرة الزواج،
ولكن لم يحدث ماتوقعه بل طلبت منه رؤيتها وأوقفته
عن التحرك إلى الداخل :

استنى تنام ايه؟ انت لازم تاخذ لى معاها معاد عشان
اشوفها

ردد بتعجب :

تشوفى مين؟!!

اشوف عروستك، اه مانا لازم اتعامل معاها واعرف
شخصيتها وأسلوبها ..

لا لا مش هينفع

قاطعته صابرين بكل إصرار :

مش هاخذ منك أى أعذار ، روح ابعت لها حالا
وقول لها انا وماما هنقابلك .. شوفها عايزانا نتقابل
فين ونروح لها لحد عندها

كان على وشك التحدث ولكنها منعه مجدداً واقتربت
منه لتقبل وجنته بسعادة كبيرة :

الف مبروك يا حبيبي الف الف مبروك ، يارب
يجعلها من نصيبك إن شاء الله..

ثم تركته وطارَت إلى غرفتها بخفة كالفراشة من فرط
السرور ، بينما وقف مروان يحدق بأثرها وهو يلعن
رأسه الغبي الذي طرح هذه الفكرة، وضرب جبهته
مهممًا بحنق :

_ايه اللي انا نيّلته ده !

*

*

*

وقف زياد بصحبة ياسمين بساحة مطبخ القيلا
الواسع، تحديدًا أمام الرخامة التي وضع فوقها كوبيين
لتحضير الشاي بالحليب، نظر لها وقال :

_كام معلقة سكر؟

_ثلاثة

أشاح بوجهه بعدم اهتمام يقول باعتراض :

_كفاية واحدة انتِ مش لاقية صحتك فى الشارع

ضحكت وقالت متصنعة البراءة :

_طب اتنين حتى!

أوما ضاحكًا ونطق برضا :

_زى بعضه ماشى

راقبته وهو يضع لها معلقتين ووضع بخاصته أقل من

نصف معلقة، فعلقت :

_بس كدا؟

صاح مشيراً على جسده :

_اومال انتِ فاكرة الفورمة دى جت من الهوا
وخلص؟ ، ده انا طلع عيني عشان اعملها ولو
ضاعت هيجيلى ذبحة
ثم نطق بانفعال :

_لا انتِ لو مش شايفها همشى قالع بعد كدا، ده شقى
سنين لازم تاخدوا بالكوا منها

لكمته بكتفه بقوة :

_خلص عرفنا عرفنا !

تبادلا الضحك بخفة ثم التففت للحليب الذى أشعل عليه
النار مسبقاً، عاد ينظر لها عندما تساءلت :

طب انت ليه مش بتخلى حنان تعملهوك مثلاً ولا حاجة؟

محبوش من إيد حد ، بحب اعمله بمزاجى انا ..

**أطفا النار ثم ارتدى قفاز يحول بين يده وحرارة إناء الحليب ، ثم حمله بحذر وبدأ بصبّه فى الأكواب ،
متابعًا:**

**وبعدين حنان دى الدلدول المخلص بتاع بسمة ،
يعنى مش بعيد تسمّنا .. واحنا مأكدين على ست سحر
متخليهاش تمد ايدها فى الأكل ولا حتى فى كباية مائة**

**ترك الإناء ثم بدأ بتقليب الأكواب وهو يقول :
فى بسكوت بالعجوة على الشمال من فوق ، هاتيه**

استدارت من خلفها وفتحت الخزانة العلوية ورأت
البسكويت فى الأعلى، فوقفت على أطراف أصابعها
ومدت يدها بأقصى مدى، ولكنها لم تصل له رغم ذلك
بسبب قامتها القصيرة ..

تفاجأت به يقف بجانبها ليحضره بكل سهولة، ثم نظر
لها بياس مازح أثار استفزازها :
_ كنت فاكرك هتطوليه، خذلتينى.

صاحت بغضب :

_ انت بتعمل منى نكتة بقى !

ضحك بقوة وقال :

_ مقدرش يافراشة ياصغيرة ..

ثم أردف :

يلا يلا تعالي دوقى حلاوة الشاى بلبن وهو من ايدى
تعالي

*

*

*

بداخل سيارة فخر حيث جلس بصحبة حنين وهما
ياكلان الكعك الذى حضرته هى مسبقاً، حيث أمسك
كلًا منهما بطبقه الخاص .. وقد نبس فخر محذرًا
بحدة :

عارفة لو لقيت فتافيت مكانك هعمل فيكى ايه؟

ما انا جبت لك اطباق اهو، اعمل ايه تانى؟

انا بأكد عليكى بس عشان تخلص الليلة على خير ،
انا أصلا مانع الأكل فى العربية بس عملت لك استثناء
عشان مش قادر امشى ..

ختم حديثه بقضم قطعة من الكعك، فى حين هتفت
حنين بترقب وقالت مبتسمة :

طب قول لى بس .. ايه رأيك فى الكيكة؟
هز رأسه برضا :

حلوة .. زايدة سكر حبة بسيطة بس ماشية يعنى

اختلفت الابتسامة عن وجهها ومدت يدها لتأخذ قطعه
من يده وهى تقول :

هات ، متاكلش منها طالما مش عاجبك ، يلا روح
شوف طريقك امشى

صاح بامتعاض :

_يا بنت القمّاصة! ، او مال بتسألني على رأيي ليه؟

_انا بسأل عشان تطبل لي مش عشان تقول رأيك بجد

هتف بانبهار ساخر ليجاريها :

_انا مش قادر اقول لك انا لسانى عاجز قدام الحلاوة
دى كلها ازاي! ، انت ازاي ايدك بتطّلع الحاجة
بالروعة دى مش معقول انا مش عارف اقول ايه ولا
ايه

قهقهت بقوة قبل أن تعيد له قطعه وهى تقول
متصنعة السماح :

_او كي خلاص رضيت عليك

تبادلا الضحك وأخذ منها الكعك وواصل تناوله
برفقتها ...

*

*

*

خرجت والدة حازم (ولاء) من الحمام وسارت إلى
ساحة الشقة لتتفاجأ بوجود تلك الضيفة الثقيلة
(نرجس) تحتضن حفيدها الصغير (عبدالله) وتبادلته
الحديث بلطافة، بينما تضع زوجة ولدها (مى)
العصير على الطاولة ..

لوت شفيتها بملل وقالت :

مساء الخير

نظرت لها نرجس وقالت بضحكة واسعة :

_ازيك ياطنط أخبارك ايه؟

_أحسن منك

طرحت ولاء ردها بأسلوب ممتعض ينم عن عدم قبولها لها، ولكن قابلتها نرجس بالضحك آخذة الأمر بمزاح :

_يارب دائماً ياطنط، احنا نكره؟

زفرت ولاء بضجر والتفتت لِمىّ قائلة :

_انا داخلة اريح ضهرى شوية يامى، لما حازم يجى قوليلي عشان اتعشى معاه

ردت مي :

_ عيني ياماما حاضر

أعدت نظرها لحفيدها الجالس بجانب نرجس التي
تحيطه بذراعها وتقرّبه إليها بشدة، فاسشاطت غيظًا
وخاطبته قائلة :

_ تعالى يا عبدالله اقعد معايا شوية عشان مبحبش ابقى
لوحدى

نهض عبدالله وركض إليها فورًا ليتمسك بيدها وهو
يقول بحماس :

_ هتحكيلي حكاية زي امبارح ياتيتة؟!!

نظرت له قائلة بحنان :

_ هحكئك مية حكاية كمان ياروح تيتة

نظرت لهما مردفة بعدم اهتمام :
_بالإذن.

ثم تحركت آخذة الصغير بصحبتها وتركت السيدتين
معاً ..

جلست مي بجانب نرجس التي تمتعت بخفوت :
_هتضربني بحاجة المرة الجاية

ضحكت مي وقالت بعدم اهتمام :
_مالكيش دعوة بيها، ست كبيرة خديها على قد عقلها
وخلص

_هي قاعدة معاكوا كثير؟

_ دى يادوب جت من يومين ،حتى لو قررت تمشى لا
انا ولا حازم هنسيبها أكيد لازم تقعد شوية

صمتت نرجس قليلاً ثم نطقت بتردد :

_ بمناسبة سيرة حازم يعنى، عايزة أسألك سؤال كدا

ردت مى بتعجب :

_ ايه؟

أعربت نرجس عن سؤالها بفضول :

_ هو انتِ مبتشكيش فيه؟

قطبت حاجبها باستغراب مجيبة :

_ وهشك فيه ليه؟

ردت عليها نرجس ساخرة :

_ومتشكيش فيه ليه أصلا يا حبيبتى، الرجالة دول
ملهمش أمان أصلاً

أنكرت مى وهى تهز رأسها نفيًا :

_لا لا حازم مش كدا خالص

لوت شفتيها بلامبالاة وقالت :

_متنسيش إنى كنت بقول كدا على طليقى قبل ما
اعرف إنه باصص لواحدة تانية بردو

احتل التعجب كل قسمات مى وزاغت عينيها من
حولها بحيرة، فيما واصلت نرجس :

_بصى يامى .. انا مكنتش عايزة اقول لك كدا خالص
بس بردو ميرضنيش تبقى على عماكي خالص كدا.

ثم أوضحت :

_ حازم كل ما بزورك ويشوفنى ببص لى بطريقة
مش مريحة ومش سالكة ، وأشك ان اللى مانعُه يتكلم
معايا بس هو ائى صاحبك .. لكن الله أعلم بقى هل
فى واحدة تانية بتشوف نفس النظرات دى كمان ولا
لا

اتسعت عيني مى بدهوة و رددت بعدم تصديق :

_ ايه اللى بتقوليه ده يانرجس !!

ردت نرجس باهتمام :

_ والله يا حبيبتي ما كنت عايزة اقول لك كدا بجد عشان
متضايقيش، بس قولت يمكن لو فى مشاكل بينكوا ولا

حاجة تحليها وتقرّبوا لبعض تاني بدل ما تتفاجئى
بحاجة كبيرة بعد كدا

اخترقت تلك الكلمات عقل مى ولم تتجاهلها ، التزمت
بالصمت وصارت توزع أنظارها من حولها بتفكير
وتوجس

يتبع..

الفصل الثامن عشر {اعتراف}

أخذ زياد حبة من نفس شريطه المعتاد، قبل أن يقوم
بإخفائه بأخر درج من المكتب أسفل الأوراق
والأغراض ..

اعتدل وسار تجاه المرآة وتطلع لانعكاسه وهو يمرر
أصابعه بين خصلاته المموجة بشكل متتابع ليهندم
مظهرها قليلاً ، انتبه لصوت هاتفه الذي يعتلى
الفراش، فاتجه إليه والتقطه ونظر بإسمها ، لم تأخذ
الابتسامة لحظات حتى احتلت محياه سريعاً، وأجاب :

_الو

وصل له صوتها باكياً هلعاً وأطلقت كلماتها بسرعة
دون فاصل :

زیزو الحقتی انا تايهة وبكلم ماما تليفونها مققول
ومش عارفة اعمل ايه انا لوحدي وقلبي هيقف انا
مش عارفة اروح ولا ارجع للجامعة حتى ومفیش حد
معايا

سارع بالتحرك إلى الخارج وهو يقول :

طب اهدي اهدي عادي متخافيش مش هيحصل
حاجة، خليك زي ما انت انا جايلك .. افتحي ال GPS
فى التليفون بس وابعتيلى ال location (الموقع)
بتاعك واستينيى

باغته زياد باقتحام غرفته وهو يصيح باسمه :

فخر!

هرول إليه متابعًا بتوتر وجدية واضحة :

_فخر انا محتاج العربية ضرورى جدا مينفعش اتأخر
لو سمحت لو سمحت صدقتى مش هطلبها تاني بس
المرّة دى بس بسرعة

نهض فخر يقول بقلق :
_فى ايه طيب فهمنى!

_مش وقته خالص فهّمك لما ارجع بس الموضوع
ضرورى بجد الله يخليك ادّهانى

أخذ فخر مفاتيحه من فوق الكومود وأعطاه له وهو
يرمقه بتعجب، وقد تفاقم التساؤل والاستغراب عليه
أكثر عندما رآه ركض إلى الخارج بمجرد انتشاره

المفاتيح من يده بعنف واختفى عن وجهه بظرف
لحظة.....

*

*

*

جلست عزة وحدها بأحد الأماكن العامة المفتوحة ،
حيث يحيطها ضوء النهار وبعض نسيمات الهواء ،
منشغلة بهاتفها وتضع سماعات الأذن وهي تحتسى
مشروب القهوة المثلجة وتضع ساقاً فوق الأخرى ..

تفاجأت به يجلس أمامها بابتسامته السخيفة التي تثير
إعجابها واستفزازها بنفس الوقت، فكت ساقها عن
بعضهما لتعتدل بجلستها، ونزعت السماعات لتسمعه
يقول :

وحشتيني

ارتفع حاجبيها باندهاش يتخلله الاستنكار والسخرية
وصاحت :

ـ ده انت مهزق بقى! ، انت نفسك فى علقة المرة اللي
فاتت تاني ولا ايه؟

ضحك مروان بمنتهى السلام النفسى وقال :

ـ أى حاجة من إيدك كراميل

هتفت بحدة :

ـ عايز ايه يامروان!

ـ عايز منك خدمة

رفعت حاجبيها أكثر بذهول تام وتوزعت أنظارها من
حولها بعدم استيعاب :

لا و بجح كمان!

اعتراها الغضب و أردفت بضيق :

انت بجد جاى تطلب منى انا؟! , ده ايه العشم اللى
انت فيه ده، او مال لو مكناش ضارين بعض بالجزم؟

رد بضحكة واسعة مفعمة بالبرود :

خلاص نعمل معاهدة صلح

قلبت عينيها بعصبية مكتومة ثم قالت :

مروان ابعده عن وشي بدل ما امرمطك قدام الناس

_ لا مش هينفع ده موضوع مهم

ردت بنفاد صبر :

_ عايز ايه!

_ انا اتدبّيت فى لساني واستغيت وقولت لأمى إن فى بنت معجب بيها ، وكل اللى طالع عليها إنها عايزة تشوفها وتقابلها .. عايزك بقى تعملي قدامها إن انتِ البت دى

لوت شفيتها باستهزاء :

_ لا والله؟

_ اه والله

وانت بتقول لها كدا ليه أصلاً!؟!

كل شوية بتكلمنى فى حوار الجواز لحد ما فاض بيا،
افتكرت لما اقول لها كدا هتهدى عليا شوية بس
محصلش و اتعكيت أكثر .. ساعديني بقى متبقيش
ندلة

ردت بحنق واستصغار :

واشمعنا انا؟ ما انت تعرف ستمية بنت غيرى

ابتسم عابثاً :

مش قولتلك ليك معزة غير كل اللى عرفتهم؟

انمحت ابتسامته فورًا وحل مكانها الملل واللامبالاة :
_وبعدين انا اللي اعرفهم كلهم شمال وهيفضحوني ..
يلا يازوزو عشان خاطرى , هعمل لك اللي انتِ
عايزاه والله

اعادت خصلة من شعرها القصير خلف أذنها وهى
تقول بعدم اكترات و غرور :
_مش محتاجك يايبى انا اللي عايزاه بعمله لوحدى
عادى
_مش هعرف اقنعك يعنى؟

اتسعت ابتسامته صفراء على ثغرها وهى تقول :
_لا

وكزها فى يدها قائلًا :

_طب لاجل الأيام اللى كانت بيننا .. متتكريش إنك
كنت مبسوطه معايا وشوفتي معايا أوقات حلوة
مشوفتيهاش مع غيري

ابتسمت بسخرية وهى تشيح بنظرها بعيدًا ، فتابع :
_عشان خاطري ده انا أول مرة اطلب منك حاجة ،
متنسيش اللى عملته عشانك ده انا كنت مدلّعك

ردد بكل تهكم وهى تطالعه بقرف :

_قال يعنى كان من قلبك!

_طبعا من قلبي ياحياتي او مال ايه؟

خيم الصمت لبرهة ..

ظهرت عليها معالم الغرور ومدّت له يدها تقول
بعجرفة :

_بوس ايدى الأول وهفكر

لم يلبث مروان حتى قبّل ظهر يدها الممدودة صوبه
بكل ترحيب وهدوء ، ثم قال :

تؤمري يازوزو

اعتلاها الاندهاش وأنزلت يدها فوراً وشرعت تحنق
من حولها بحنق ، بينما ضحك مروان وقال :

فاكرانى هتعننظ واقول لك مش هتذل عليكي وبتاع؟
لا ياروحي عادي معنديش مانع ابوس أى حاجة انتِ
عايزاها

حدجته بنظرات نارية حادة فأسرع يهتف ببراعة :
على فكرة انا قصدي ايدك الثانية، انتِ فهمتي ايه؟

وزعت أنظارها حولها بتفكير ثم هتفت بتحدٍ :
_طب اقول لك حاجة بقى؟ ، انا مش هوافق إلا لو
قومت دلوقتي تقول للكافية كله إن حسابهم عليك

_آخر كلام؟

هزت رأسها بثقة، ليقينها أنه بالتأكيد لن يدفع لمقهى
كامل :

_آخر كلام

ولكنه خيب توقعها ولم يفكر حتى للحظة، وصدق
صوته فى المكان موجهاً حديثه للجميع :

_ياجماعة حساب أى حاجة طلبتوها عندي النهاردة
بمناسبة إن زوزو حبيبتى واقفت على الجواز ،
ادعولنا بالذرية الصالحة بقى ياريت

جحظت عيني عزة بصدمة والتفتت تنظر للجميع،
حيث ارتفع منهم أصوات تصفيق وتصفير كتهنئة
لهما ، ثم أعادت نظرها لمروان تطالعه بعدم استيعاب
، بينما قابلها هو بابتسامة واسعة مليئة بالثقة
والبرود، وهز رأسه بتساؤل :

_هتقابلي أمى امتى بقى؟

*

*

أوقف السيارة جانبًا ثم ترجل منها وشرع يوزع
أنظاره بحثًا عنها ..

ضم شفتيه بضيق وأغلق السيارة ثم تحرك بضع
خطوات وهو يتطلع لكل ركن وكل شارع جانبي، إلى
أن وصل لآخر الشارع وانعطف إلى اليمين، وفورًا
وقع نظره عليها وهي تقف فوق الرصيف على بُعد
بضعة أمتار منه ..

لم يكد يناديها حتى رأته هي بالفعل وسرعان ما
ركضت صوبه وكأنها وجدت طوق النجاة ،حتى
وصلت إليه و تمسكت بيده قوياً وهي تبكي وتلتقط
أنفاسها بصوت مرتفع وعدم انتظام ..

سارع بلفظ العديد من الكلمات المطمئنة وهو ينظر
لحالتها المتوترة :

اهدي اهدي انا معاكي اهو تمام محصلش حاجة
خلاص

رفعت يُسراها لتعيد خصلات شعرها للخلف محاولة
ضبط تنفسها ، بينما لم تفلت يدها الأخرى من كفه بل
أمست متشبثة به ;كأنه طيراً تخشى أن يهرب بعيداً ..
هكذا فقط اجتاحتها شعور عميق بالأمان و غلبها بعض

الهدوء، وهذا ما افتقدته طوال الدقائق الماضية وجعل قلبها يدق بعنف كالأجراس ..

مجرد رؤيته فقط كانت كفيلة بالقضاء على أى خوف بداخلها ..

التفتت له وهو يسحبها معه بلطف :

_تعالى تعالى .. انتِ توهتى ازاي؟

سارت معه باستسلام وسردت ماحدث بصوت يظهر به بقايا نوبة بكاءها :

_كنت محتاجة حاجات من المكتبة عشان المشاريع اللى عليا، والمكتبة اللى جنب الجامعة كانت قافلة .. سألت حد ووصف لى أقرب مكتبة ، أنا مشيت زى ماقال بس موصلتلهاش ولما سألت حد تاني دخّلتني فى متاهات تانيه .. لما حسيت إنى ابتديت اتوه قولت خلاص هكبر دماغى وهرجع للجامعة زى ماجيت، بس معرفتش ..

تركته يده وشرعت بمسح دموعها عن وجنتيها
بكفيها وهي تواصل التحدث بحزن وضيق :

_ انا مش زعلانة اني توهت على قد ما زعلانة اني
عاملة زي العيال الصغيرين ، انا اتخضيت وقلبي كان
هيطلع من مكانه مع ان الموضوع تافه .. انا لو كنت
جمعت نفسي شوية وفكرت أسأل الناس كنت أكيد
هعرف ارجع، بس انا حرفياً مخي وقف وتربس
خالص من كُتر ما انا مرعوبة ، معرفتش افكر في
أبسط الحلول
رفعت عينيها الدامعتين له متابعة بقلة حيلة :

_ الموضوع مكانش مستاهل كل الخوف ده بس انا
غصب عني معرفتش اتظمن

أسرع زياد يقول :

لا لا متفكر يش كدا وتتعبى دماغك وخلص , انتِ
واحدة طول حياتها ولحد النهاردة مبتزلش من البيت
غير مع أمها وعمرك ما اتعودتى تنزلي لوحدك ولا
اتعلمتى تتعاملى ازاي وانتِ معكيش حد .. طبيعى
تخافى طبعًا لما تبقي لوحدك دى مش حاجة تافهة

لم تتفوه بحرف واحد وظلت محدقة أمامها باللاشى
وهى تسير ببطء ، ساد الصمت عليهما قليلاً حتى
تحدث مجددًا عندما أحس أنها لم تقنع :

اقولك حاجة؟

نظرت له بانتباه ولم تكن عينيها قد جفت بعد ، فيما
تابع هو :

_ انا عندي فوبيا من الضلمة مش بطيقها ، وساعات
بردو بكره نفسى لما الاقيني مرعوب بشكل مبالغ فيه
كدا ، بس فخر دايمًا بيقول لى إنه عادى وأى حد
طالما في حاجة بتقلقه مهما كانت صغيرة من حقه
يعبر عنها وميكتمش مشاعره ولا يجي على نفسه ..
وانا شايف إن كلامه صح ..

متضغطيش على نفسك ده طبيعي صدقيني

شعرت ببعض الارتياح وأومات بابتسامة لم تكد تظهر
..

لاحظت تحديقه بوجهها مطولاً بنظرات يبدو عليها
عدم الرضا ، مما أثار تعجبها وجعلها تتساءل :

_ايه؟

أجابها بكل عفوية حمقاء :

_وشك وانت بتعطي عامل زي شرشبييل بتاع السنافر

اتسعت عينيها باندھاش وصاحت بحنق :

_انت سخيف ومعدوم الإحساس !!

**حاول كتم ضحكاته وأعلن اعتذاره صائحًا كأنه ينطقه
رغمًا عنه :**

_أسف ياستي أسف!

ردت ساخرة :

_ايوة كل شوية عكّ وارجع قول أسف وخلص

قهقهه وقال عابثًا :

_ طب اصالحك بحاجة حلوة؟

طالعه بطرف عينيها قائلة بتهكم :

_ هتجيب لى شوكلاتة؟

رد بجدية :

_ لا شاورما

فصاحت بانفعال :

_ يادي الشاورما !

قبل أن ينبس هو بشئ شهقت هي فجأة بإعجاب
عندما رأت فراشة ملونة تطير أمام عينيها وأشارت
عليها بمنتهى العفوية :

الله بَص!

ظلت مراقبة إياها بابتسامة واسعة وأعين ملتمة،
حتى ابتعدت الفراشة وذهبت لحال سبيلها ، فهتفت
برقة :

شكلها يجنن! ، شوفت لونها أزرق جميل ازاي؟

ابتسم زياد بهدوء شديد وهمهم قائلاً :

والله انتِ عسل

ابتسمت له بنعومة خجلاً ، بينما تحدث هو من جديد :

نرجع لمرجوعنا .. احنا دلوقتي لازم نستغل اني
خدت العربية من فخر ونلف بيها شوية قبل ما نروح،
دي مش هتتكرر تاني

اقترحت قائلة :

_طب مانجيب قصب كفاية وخلص

_نجيب قصب وشاورما عادى ، وهجيبك شوكلاتة
بردوزى ما تحبى

غمغت بيأس :

_زيزو انت اللى يعصرك تطلع شاورما والله !

*

*

*

طرفت مريم فوق باب المكتب الخاص بالقيلا رغبة
فى مقابلة والدها وانتظرت حتى أتاها صوته يأذن

بالدخول، ففتحت الباب ودلفت، لتراه يجلس يطالع
بعض الأورق

أغلقت الباب خلفها ثم اقتربت منه بضع خطوات
وقالت :

_ممكن اتكلم مع حضرتك فى حاجة؟

رفع عينيه لها دون تحريك رأسه و رد بحق :
_إياد تاني؟؟

عقدت ذراعيها ببعضهما تقول :

_انا لازم اعرف حضرتك رفضته ليه

عاد بظهره للخلف وهو يقول باستخفاف :

انا مش فاهم انت لسة بتفكري فيه ازاي أصلا ، ده
عيل تافه مالوش لازمة، عاجبك فيه ايه؟

يعنى ايه تافه دى؟

تحدث عامر بملل وعدم اهتمام :

لما تحبى تختاري حد بعد كدا اختاري حد يليق
بعيلتنا .. يطلع مين ده ولا ابن مين عشان ياخد بنت
تليد؟

مش كل حاجة بالمناصب والفلوس يا عامر بيه

اومال ب ايه ياست الحكيمة؟ ، إذا مكانش هيعيشك
زى ما كنت فى بيت ابوكي يبقى لازماتها ايه

حملت به لثوان بصمت تام ونظرات غامضة، تدرك أنه يقصد فقط المال وكأنه هكذا قام بواجبه وحقق لها السعادة والراحة، ولكنها في الحقيقة إن كانت ستعيش كما عاشت في منزل والدها فالموت أفضل بالنسبة لها ..

ممكن تفكر تاني؟؟ حضرتك استعجلت في الرفض
انت معرفتش شخصيته لسة

ظهرت عليه الحدة وقبل أن يرد برفضه القاطع على أى حال، كانت قد ارتفعت أصوات اشتباك زوجته مع أخته كالعادة ..

زفر بمنتهى الضجر ثم نهض وخرج وتبعته مريم ...

*

*

*

انتِ لو كنتِ لقيتي حد يربِّيكي تختشي على دمك
أصلاً مكنتِش اتكلمتي كدا ولا كنا سمعنا صوتك اللى
شبه صوت البقر ده !

هكذا وجَّهت ناهد إهانتها لبسمة وهى تقف أمامها
بساحة القَيْلا وتقف بينهما الخادمة حنان ..
كانت بسمة على وشك التوجه ناحيتها فأوقفتها حنان
سريعاً ولكن لم تستطع إيقاف لسانها عن الرد :

لا هو لو فى حد ميعرفش الكسوف فعلاً هو انتِ
ياناهد عشان لو كنتِ تعرفيه أصلاً مكنتِش كبستى
على نفسنا كل يوم بطلتِك الفقر دى !

رفعت ناهد أحد حاجبيها باستفزاز وابتسمت بكل برود
لإغاظتها :

_ اهو انا باجى مخصوص عشان احرق دمك انت
يابسمة و وراكى وراكى لحد ما تطفشي منها ان شاء
الله

قابلتها بسمة بابتسامة متحدية :

_ بعينك ياناهد ! ، هفضل على قلبك لحد ما تموتي من
الغيظ فى مرة

استشاطت ناهد غضباً ومدت ذراعها متخطية حنان
لتقبض على شعر تلك الحية وهى تهتف عالياً :

_ مش بقول لك مشوفتيش تربية وعايزة اللى يفرجك
مقامك !!

صرخت بسمة بألم وسرعان ما أنقذها عامر وأبعد
ناهد عنها وهو يقول بغضب :

_ ناهد انتِ اتهلتي ولّا ايه، ارجعي كدا !
ما إن فلتت بسمة من يدها حتى صاحت بكل غضب :

_ انتِ واحدة همجية وغبية !!

خاطبت ناهد أخاها بعصبية مفرطة :
_ روح شوف مجايك اللي بتتقيها من الزبالة قبل ما
تيجى تلومنى !

قبل أن يرد عليها عامر أسرع مريم تتمسك بعمتها
لتحثها على مرافقتها :

_ عمتو خلاص لو سمحتِ تعالي اقعدى فى الجنينة
أحسن يلا سيبك منها ..

ثم نظرت لحنان مردفة :

حنان اعمليلها أى عصير فريش من فضلك

أومات حنان بالإيجاب، تزامناً مع تحرك بسمّة إلى
الدرج بخطوات غاضبة بينما نفخ عامر بملل ولحق
بها ...

*

*

*

ربطت (مى) شعرها الطويل بإهمال وهى تسير بساحة
شقتها لتطالع حماتها السيدة ولاء وهى تجلس على
الأريكة تشاهد أحد المسلسلات العربية القديمة ..

تقدمت إليها وجلست بجوارها ملتزمة الصمت لوقت
قصير، ثم نظرت لها وقالت بتردد :

_ماما بقول لك ايه ، عايزة اسألك حاجة وعايزاكي
تجاوبيني بصراحة

صبت ولاء انتباهها لها بعد سماع نبرتها الجادة
بالحديث وقالت :

_خير فى ايه؟

أفرت عما بداخلها دون مقدمات :
_هو حازم اشتكالك منى قبل كدا؟

تساءلت بعدم فهم :

_يشتكى منك ليه؟ انتِ عملتي حاجة زعلته يعنى؟

ردت بحيرة :

_ لا انا بتكلم عمومًا ، جه فى مرة مثلا قال لك مى
مضايقانى فى كذا أو مبحبش منها كذا .. كدا يعنى

_ لا خالص.. مفكرش إنه مرة قال لى حاجة عليك ،
حازم أصلا مبيطلّعش مشاكل بيته برا ولا حتى ليا

_ ايوه ما انا عارفة ، مش فكرة مشاكل وتفصيلها ..
انا قصدى بس محصلش مرة و فى نص الكلام كدا
قال لك انا زهقت من تصرفاتها أو حاجة شبه كدا مثلا

_ ايه الاسئلة دى يامى؟ ، هو متغير معاكى يعنى ولا
حصل ايه؟

محصلش حاجة ، انا بس عايذة اعرف عشان لو
فى حاجة مزعلاه اصلحها

ابتسمت ولاء برضا كبير؛ فبالطبع لن يسعدها أكثر
من أن تكون زوجة ابنها مطيعة ورقيقة هكذا ، ربتت
على قدمها بهدوء وقالت :

متقلقيش يا حبيبتى حازم مبيز عش منك أبدا ..
اتظمنى

*

*

*

فتحت سحر باب القيلا لحنين التي دلفت خطوة وهي
تحمل قطة صغيرة بين يديها وضحكت لها ببشاشة
قائلة :

_ازيك ياطنط سحر؟

ابتسمت سحر بترحيب :

_اهلا يا حنين، ايه القطة دي؟!!

_دي القطة بتاعة واحدة صاحبتى ، كلمت مريم
وقولت لها اجيبها لك شوية عشان هي بتحب القطط

ردت سحر بتردد :

_ايوة هي بتحبها بس عامر بيه مبيحبش الحيوانات
خالص ولو شافها هيخرب الدنيا

وزعت حنين أنظارها حولها بحيرة ثم قالت :

_ولا حتى ينفع خمس دقائق؟

**لم تكذ تبادر سحر بالرد حتى تفاجئت بمريم تركض
إليهما فورًا ، أو بالأحرى إلى الهرة وأسرعت
تنتشلها من يد حنين ،وتخاطبها بضحكة واسعة :**

_ازيك يا قمر تعالي تعالي

**تحركت القطة بين يديها بتذمر فشرعت تمسد فوق
شعرها بهدوء لتبث لها الأمان، فهدأت القطة بعض
الشيء .. واتسعت ضحكة مريم أكثر وهي تطالعها
بحب ..**

نظرت لحنين وقالت :

**_تعالي نقعد في الجنينة عشان بابا بيكره القطط في
البيت**

ثم نظرت لسحر وقالت :

دادة سحر ممكن تندهي فخر من فوق؟

حاضر

تحركت سحر إلى الدرج وغابت في الأعلى ، بينما
نظرت حنين لمريم وقالت :

هروح الحمام بس اغسل ايدي بسرعة

طب روعي وانا هسبقك، ابقى حصّلينى

*

*

*

جلست جهاد فوق الأريكة وهى تمسك بنوعها
المفضل من الشوكولا وترفع الهاتف بيدها الأخرى
على أذنها لتجرى مكالمتها معه وضحكت متحدثه :

_بص انا عارفة بسمة دى كويس ، بس متعاملتش
مع عمك ولا شوفتها

_ربنا نجدك والله

هتف فخر برده وهو يتمدد على السرير بالكامل
ويتطلع بالسقف وهو يضع الهاتف على أذنه ، يثنى
قدمًا ليسند عليها قدمه الأخرى ، ويضع يده الأخرى
أسفل رأسه المستقرة على الوسادة ..

تابعت جهاد ضاحكة بعدما أكلت من الشوكولاتة قطعة
صغيرة :

ايوة بس بسمة دي بصراحة اتوقع منها إنها هي
اللى بتبدأ الخناق أكيد، انا شوفتها مرة وخرّجتني عن
شعوري

أجاب فخر بلامبالاة :

صدقيني الاتنين أنيل من بعض .. انا مش عارف
ازاي أصلا بيتخانقوا والاتنين زي بعض وطالعين من
نفس جحر العقارب!
قهقهت بشدة حتى وصل صوت ضحكتها لمسامعه،
قبل أن تقول :

يابنى دي عمك احترمها شوية بردو

اسكتِ انتِ مش عارفاها .. عمتى اللى المفروض
احترمها دي مش طيقاني من يوم ماخطبت عشان
مخدتش بنتها ، هى مبتقولهاش طبعاً بس بيبان
عليها كل ماتشوفني .. وياريت نفسها تجوزنى البنت
عشان بتحبني مثلاً ولا هتظمن عليها معاً .. لا
نهائى ، مش فارقة معاها لو طلعت ابن كلب
وهرمطها وابهدلها ، المهم الفلوس وخلص ..
فاكرانى بقى بلعب بالفلوس من تحت لفوق ومش
عارف اودّيتها فين ، وانا اقسم بالله لسة بدفع اقساط
العربية لحد دلوقتي

ارتفع حاجبها بعدم استيعاب و تساءلت بتعجب :

ابن عامر تليد و عليك اقساط؟؟؟!

رد بملل :

انا مباحدش فلوس من ابويا خالص ومش عايز
ومش حابب ، ولو خدت بردّهاله بعدين .. لا ليا دعوة

بالشركة ولا بأى حاجة تخصّه، ولا بيدخل فى جيبى
مليم منها .. وبما إنى لسة كمان مشتغلتش ف الدنيا
مش مبجبة معايا اوى الفترة دى ، انتوا بس اللى
واخدينها بالمظاهر دايمًا

استمع لصوت دقات على الباب تقاطع مكالمته،
فأجاب :
_ نعم؟

أتاه صوت سحر تقول :
_ حنين تحت يابشمهندس ومستنيك هى ومريم

_ ماشى ياست سحر جاي

استمع لصوت جهاد على الهاتف تتساءل مازحة :
_ بسمة مسكت فى عمك تاني ولا ايه؟

بادلها الضحك وقال :

_ لا لسة، اديهم ربع ساعة كمان وصوتهم هيلعلع
تاني متخافيش ..

*

*

خرجت حنين من الحمام وهي تجفف يديها ببعض
المناديل الورقية ، وقع نظرها على ناهد الواقفة
بساحة المنزل فتباطئت خطواتها قليلاً بقلق، ثم
رسمت على وجهها ابتسامة صغيرة :

_ مساء الخير

طالعتها ناهد من أعلى لأسفل بتعالٍ وتكبرٍ ثم اقتربت
منها حتى وقفت أمامها مباشرةً وهممت :

_ هو في خير وانتِ موجودة أبدأ؟!!

**انعقدا حاجبي حنين باستغراب شديد، في حين واصلت
ناهد بعجرفة قاتلة :**

**_ انتِ لو فاكرة إنه سهل كدا أى واحدة تدخل عيلة
تليد وتبقى منهم تبقى غلطانة، وحتى لو دبلته في
ايدك اليمين دلوقتي عمرها ما هتتحرك للشمال مهما
اتعشمتي .. مقام فخر أكبر من كدا بكتير وانتِ مش
شبهه ولا هتعرفي تبقى شبهه**

**حدقتها حنين بعينين مندهشتين وسألته بصوت
منخفض :**

هو حضرتك بتكرهينى ليه؟ ، انا عملت ايه مش
فأهمة

تفاجئت بناهد تمسكها من ذراعها بعنف وهى تقول
بغضب مكتوم :

انتِ هتتمسكنى عليا ياختى؟! ، انا عارفة اللى زيك
كويس متعمليش الشويتين دول عليا

ايه اللى بيحصل فى ايه!؟

دخل صوت فخر الحاد بالحديث وهو يحول بينهما
وأمسك بيد ناهد ليبعداها عن ذراع حنين على مهل
وهو يقول :

ايه اللى بتعمليه ده يا عمتى!؟
صاحت ناهد بكل تبجح :

_تعالى يا حبيبي شوف الحلوة اللى ناوي تخليها
مراتك ، بتشتمني وبتغلط فيا

جحظت عيني حنين عن آخرها بصدمة وأسرعت
تدافع عن نفسها وهى تنتظر لفخر :

_والله العظيم ما قولت حاجة، والله ما اتكلمت !

هدرت ناهد بخشونة :

_انتِ كمان هتمثلى !؟

تضاعف اندهاش حنين من تلك المرأة المتبجحة
وعادت تنتظر لفخر وقبل أن تنطق بكلمة أوقفها هو
سريعاً :

_بس بس انا عارف.

بهذه اللحظة دلف زياد من باب المنزل ومن خلفه
ياسمين ، ظهر عليهما التساؤل ولم ينطقا الاثنان
بكلمة واكتفيا بالمشاهدة فقط ..

نظرت ناهد لابن أخيها بغضب :

_ انت بتكذب عمك وتتصر البت دي عليها يافخر !؟

رد فخر بكل هدوء :

_ مابلاش الجو ده ياعمتي عشان مبياكلش معايا
وانت عارفة كدا

عقدت ذراعيها ببعضهما وهي تحدقه بحدة :

_ جو ايه ده يا ابن عامر ؟

اعتلته ابتسامة جانبية واثقة وهو يقول غامزًا لها :

_عيب عليكِ يا ناهد هانم .. الحوارات الرخيصة دي
متليقش بحضرتك المفروض!

هدرت ناهد بغضب :

_حوارات ايه ماتحس على دمك بقى! بقول لك دي
واحدة بتغلط فى عمك

كعاداته لا يستطيع الاحتفاظ بالهدوء طويلًا وتُسرع
العصبية فورًا بالتسلل إلى خلاياه حتى تسيطر عليه
كليًا، ولكن أنقذه زياد من الانفجار بوجهها وهتف
ببرود وهو يتقدم صوبها :

_ياولية اهمدي شوية، كفايكِ افتري على البت !

ارتفع حاجبها بذهول ونظرت له معنفة إياه :
_ايه الأسلوب البيئة بتاعك ده؟! وبعدين انت لسة
جاي ومشوفتش أصلا هي عملت ايه معايا

وقف بجوار أخيه و رد عليها ضاحكًا بمنتهى البرود :
_بردو مصممة؟! .. ياست حرام عليك خافى من ربنا
بقى! .. هي الغلبانة دي قدك بردو؟ انتِ محدش بيقدر
عليك أصلاً متستوهنيش بقيمة نفسك

تضاعف اندهاشها من وقحاته ووجهت نظرها لفخر
قائلة بعدم رضا :

_عاجبك اللى اخوك بيعمله ده!؟!

التفت (فخر) لأخيه وأمسك بذقنه برفق ليدقق النظر
بوجهه قائلاً :

_ورينى كدا ..

تزين ثغره بابتسامة واسعة وأردف وكأنه يدلل طفله
الصغير :

_ ماشاء الله عليه حبيب قلبي عمره ما غلط ..

أقبل عليه يقبل وجنته وينطق بكل فخر واعتزاز :

_ استمر يا عزيزي حياك الله

ضحك زياد , وقد أشاحت ياسمين _ الواقفة بعيداً منذ
أتت _ بوجهها لتخفي ضحكتها حتى لا تراها والدتها،
ووضعت يدها على فمها وكأنها تحك شفيتها أو ما
شابه ..

سار فخر مبتعدًا عن الجميع ونظر للخادمة حنان
الواقفة على مسافة من الجميع تراقب الأحداث
بصمت، فخطبها قائلاً :

_هاتيلي مائة يا حنان عشان ريقى نشف ، وياريت
متحطيش فيها كلور ولا فنيك عشان مش عايز اموت
النهاردة معلىش أجليها شوية ، انا عارف هي صعبة
عليك انتِ والمحروقة اللي فوق، بس حاولوا تيجوا
على نفسكوا حبة

اندهشت حنان من كلماته التي ألقاها بكل ملل
ولامبالاة ولم تستطع الرد بكلمة، ولم ينتظر هو أى
رد من الأساس وسارع بالتوجه إلى الخارج وهو
يصيح باختناق :

_بيت قرف و عيلة قرف و حوار اتكوا قرف جاتكوا
ستين قرف !!

صرخ بجملته الأخيرة بصوت جهورى مفاجئ أفرعهم
جميعًا، قبل أن يترك المجال ويختف بالخارج ..
وزعت حنين أنظارها عليهم بشكل عابر ثم لحقت به
.. بينما نظر زياد لعمته وقال بمنتهى البرود والهدوء
على عكس أخيه الذى يود تحطيم رأس أى أحد :

عاجبك كمية القرف اللى طلّعتها منه دي كلها؟!

*
*
*

فى المساء وسط هدوء الليل ..

بأحد المراكب المعتادة التى يقوم الرباعى المعهود
بتأجيرها لقضاء بعض الوقت معًا، حيث كان ينقصهم

زياد الذى وقف على الشط خارج المركب ، يثرثر
بالهاتف مع أحد ما ..

_استنى هي حنان مش أول مرة تقلب في أوضتك؟!!

هكذا تساعل عز بتعجب وهو يأكل شطيرة بالجبن
الأبيض ، و رد فخر بملل :

_لا مش أول مرة، انا عارف بسمة هي اللى بتقول
لها تعمل كدا هي مبتحركش بمزاجها

فيما سألته حازم :

_وهي بسمة عايزة ايه بالظبط؟

_بتدور على حاجة تمسكها عليا .. أى حاجة مخبيها
كدا ولأ كدا تذلى بيها

ردد عز بقرف بعد تناول قضة من شطيرته :

_ياساتر عليها !

فيما نبس حازم :

_طب ماتقفل اوضتك بالمفتاح قبل ماتمشي ياعم

_مستنى أعرف آخرها , عايز أكمل انا شوية فى اللف
والدوران ده لحد ما اشوفها لما تياس هتعمل ايه

ألقي عز نظرة على زياد ثم تساعل :

_هو بيكلم مين بقاله ساعة؟

أجابه فخر بعدم اهتمام :

_ياسمين بنت عمتي .. بقوا اصحاب أوى مرة واحدة

معرفش ايه اللى حصل

صاح رنين هاتف حازم يعلن عن اتصال زوجته
فأجابها :

_ايوة يامىّ؟

_انت فين؟!

انكمش حاجبيه بتعجب من تفاجؤه بنبرتها الحادة فى
طرح سؤالها وأجاب :

_قاعد مع فخر وعز

صمت قليلاً وهو يبدل نظره بين صديقيه بتعجب أكبر
عندما سمع تكذيبها له، وقال :

_ والله قاعد معاهم فى ايه؟

_ اثبت لى !

رد ضاحكًا بسخرية :

_ انتِ شاكة فىا يامى !؟

ردت بتهمك :

_ لا يا حبيبى عايزة اتظمن عليك، يلا اخلص

_ اهو هفتح لك ال سبيكر وشوفى ..

فتح مكبر الصوت وخاطب صديقيه :

قولوا حاجة يارجالة

فسبق فخر بالقول :

ايوة يامى احنا معاه اهو ، الراجل غلبان مش بيلعب
بديله متخافيش

ثم هتف عز :

متقلقيش يا حبيبتى اول ما نشم ريحة قلة أصل
هنعمل منه مخدات قطن

صاحت مى ضاحكة :

بالراحة عليه بس، ده ابو ابنى بردو

رد عز بجدية شديدة :

لا سورى معدناش وسايط، هنبهدله بردو

أغلق حازم مكبر الصوت ثم أعاد الهاتف على أذنه :
_ اتأكدتى كدا؟

_ هتيجي امتى طيب؟

_ يعنى ساعة و لا حاجة
_ طب متتأخرش، سلام

أغلق المكالمة ، ثم التفت لفخر عندما سأله ضاحكًا :

_ قفشتك بريجة حريمى و لا ايه؟

أجاب بقله حيلة :

_ والله يابنى ما اعرف حاجة انا قاعد زى زيك

•
التفتوا ثلاثتهم لزياد الذي أقبل عليهم ووقف أمامهم،
بدا عليه التردد واليأس وهو يقول بنبرة جادة وكأنه
سيلقى خطابًا :

_ياجماعة..

صمت قليلًا ولاحظ انتباههم معه ، ثم اعترف قائلاً
باستسلام وحيرة :

_انا شكلي اتكفيت على وشي وحببتها !

يتبع..

الفصل التاسع عشر {فخ}

طغى التعجب وعدم التصديق على أوجه الثلاثة بعد
سماع إعلان رابعهم عن حبه لها، وسبق فخر
بالسؤال قائلاً بعدم استيعاب :

_ هي مين دي؟!_

أجاب زياد وهو يهّم بالجلوس بجوار عز :

_ ياسمين

أمسوا الثلاثة يحدقونه بذهول جامح ، حتى نطق

حازم بذهول :

_ انت بتتكلم بجد؟_

ردد بقلّة حيلة وهو يحرك أنامله بين خصلاته

السوداء :

_ باينها بجد

شقت الابتسامة وجه عز وهو يتساءل :
_ايه اللي خلاك تقول كدا دلوقتي؟؟

وزع أنظاره عليهم جميعاً وهو يتحدث متعجباً من
نفسه :

_انا بفكر فيها كل شوية! .. بحب اكلمها وبحب
اشوفها وبتفرج على صورنا سوا كل ما افتح
الموبايل ..

شرد بالفراغ والتزم بالصمت للحظات، ثم تابع :
_لما تاهت النهاردة وكلمتني انا اتخضيت عليها مع
إني عارف إنها مش هيحصل لها حاجة، هي بس
تايهة وهتقف مستنياني وخلص .. بس مجرد إنها
خايفة ومش متطمنة كان مضايقتي وقالقتني

اعتلته ابتسامة جانبية مُحبة وواصل بهدوء :
_بتحب الفراشات اوي ورقيقة زيهم بالظبط ، وأجمل
منهم كمان ..

أفاق من شروده ونظر لهم متابعًا :
_الموضوع خرج عن السيطرة يا شباب، انا قلقت
على نفسي

ارتفعت صيحاتهم فرحًا وتشجيعًا , فيما وكزه عز في
كتفه بقوة وهو يقول :

_الكتكوت وقع في القفص خلاص !
أضاف فخر ضاحكًا :
_انا عمري ماتوقعتها ولا جت فكرة عابرة على بالي
حتى!

بينما سأله حازم :

_طب وهى حاسة ايه ناحيتك؟

رد زياد بكل ثقة وهو يرفع ساقاً فوق الأخرى :

_أكيد بتحبتي يعنى .. هتلاقي زى فين؟

ردد عز باستهزاء وهو يستعد لتناول شطيرة أخرى
من مجموعة الشطائر التى أحضرها :

_ياخويا اتلهي !

قضم أول قطعة من طعامه وتابع وفمه لم يفرغ بعد :

_تلاقيها شايفاك أخوها الصغير فى الآخر

أجابه زياد بملل وهو يشير على جسده الطويل من
أعلى لأسفل :

_ كل ده واخوها الصغير؟

ابقى شوفها بس وهى شبه الوزّة العيّانة كدا وماشيه
جنبي .. بنبقى عاملين زى ماشا والدب

ارتفعت قهقهاتهم بعنف ، ثم هتف حازم وقد حملت
نبرته بعض الجدية :

_ طب بجد بجد .. انت مستعد تتجوزها ولا انت داخل
تهزر؟

_ بصراحة معرفش

ليصيح فخر فجأة :

_ معرفش ايه؟ ، هو ايه اللي معرفش؟! ماتخلك قد
المسؤولية بقى وبطل استهتار

ردد زياد بعدم اكتر اثار :

_ والله انا مش بتاع مسؤوليات يا جماعة انا صحّتي
على قدي

سارع عز بطرح سؤاله بفضول :

_ طب انت هتقول لها امتي؟

_ معرفش ياعم انا بطّلع اللي جوايا معاكوا بس.

محطتش في دماغي ترتيبات ولا أي حاجة

ثم أضاف :

_ ومحدث يتكلم في الحوار ده مع أي حد عشان

متبقاش زعلة كبيرة بيني وبينكوا انا بقول اهو.

مال عز تجاهه ليدغدغه قائلاً; كمن يداعب ابنة أخيه
الصغيرة :

_ يأتي بطة بتتكسفي !

أزاح زياد يده بعنف :

_ بطل غتاته يالا ..

ثم زجره بسخط :

_ وكفاية أكل بقى! انت نفسك مبتتسدش خالص؟

رفع عز يده وهو يبسط أصابعه الخمسة، تعبيراً عن
تفادى الحسد :

_الله أكبر فى عينك دي ..

أشاح زياد بيده بعدم اهتمام وأبعد نظره عنه ، فيما
تحدث حازم وهو يستعد للنهوض :

_انا بقول اخلع عشان مى شكلها مجهزة لي خناقة
من النوع الفاخر، هلحق نفسي قبل ما تكرشني من
البيت

علت ضحكات عز الشامتة وهو يقول باستهزاء :

_اسم على مسمى يالا !

رفع حازم سبابته بتحذير اختلط بضحكه :

_اطلع منها انت يادكتور نصّ كُّم

شهو زياد بشكل مبالغ فيه ونظر لعز يحته على
افتعال عراق :

متسكتش ده بيهينك وبيغلط فيك، لو راجل قوم
عرّفه مقامه

صاح به فخر :

اخرس يابوتجاز يابتاع ياسمين

ردد زياد بتأفف :

هنبتديها قلة أدب من أولها بقى! ياريتتي ما اتكلمت

.....

*

*

*

صباح يوم جديد ..

_يلا يا امي اطلعي انا تعبت ! ، هو انتِ اللى
هتجوزى ولا ايه؟

صاح مروان بتأفف ليستعجل والدته التى لم تخرج
من غرفتها منذ ساعة ونصف تقريبًا، بحجة التجهّز
لمقابلة "عروس ابنها"

خرجت من غرفتها بسبب إحاحه المستمر منذ مدة لا
بأس بها، حتى طفح الكيل واستجابت له ؛ليخرس
ويتوقف عن هذا الإزعاج ..

صاحت بانفعال وهى تعلق حقيبة اليد على ذراعها :

_ كفاية صداع بقى واقفل بؤك ده شوية

تحدث مروان بسخط :

_ كل ده بتجهزي يا امي؟! ليه بتعملي ايه؟!!

_ مش لازم اختار أحسن حاجة؟! , دي أول مرة اقابل
مرات ابني حبيبي، لازم تشوفني حلوة وشيك

رد باستنكار :

_ قوام خلتها مرات ابنك؟!!

_ ايوة إن شاء الله تبقى مراته اسكت انت بس

ضحك بخفة واتجه إلى الباب وهو يقول :

_ طب يلا ياصابرين يلا

*

*

*

جلست مريم فوق الفراش وهي تهاتفه بملل :
_اياد انت ليه فاكر ان فى ايدي حاجة اعملها
ومعملتهاش؟ ، بابا فعلا عنيد ومش هعرف اقنعه
بالسهولة دي

استمعت له عبر الهاتف، تزامناً مع اقتحام صديقتها
رنا للمكاملة عندما جلست بجانبها على السرير
وألصقت أذنها بالهاتف، لتستمع إلى صوت إياد
الحاني وهو يقول بحزن شديد وحبّ أجاد تقمصه فى
نبرته :

_____ يعني كدا خلاص حكايتنا خلصت؟! انا مقدرش
اتخيل حياتي من غيرك يا مريم ، انتِ بقيتِ جزء
أساسي من يومي، لو غبتي هضيع
ابتسمت مريم بخجل وسعادة واضحة، ولم تلتفت لرنا
التي لوت شفيتها بتقزز، ولكن لم تبتعد عنها على أي
حال وظلت رأسها ملاصقة لرأس مريم التي أجابته
بدلال :

_____ بجد يا إياد؟

ليصل صوته مفعماً بالحنان والعشق :
_____ معقول لسة بتسألني يا حبيب إياد؟ ده انا لو هستغني
عن الناس كلها عشانك عمرى ما هفكر وهاجيك
على طول يا قلب وروح إياد

_____ ايه المُن ده!

غمغت رنا بقرف بعدما ابتعدت عنها ، فلکمتها مریم
فی بذراعها بقوة ثم واصلت مکالمتها :

_متقلقش انا هحاول مع بابا تاني مش هسکت،
وهقول لآخواتي بردو يمكن يعرفوا يعملوا حاجة

صمتت قليلاً لتستمع له ثم ابتسمت مجيبة :

_تمام خلاص يلا سلام هکلمک بالليل

أغلقت معه المکاملة ، وبمجرد الضغط على زر الغلق
ارتفع صوت رنا المزعج تقول باشمنزاز :

_ايه يابت الترجيع ده !! انتِ عاجبک الکلام ده عادى
؟!!

ضحكت مريم وهي تردد بهيام :

_والله يابت يارنا مهما كان الكلام عبيط من اللي
بتحبيه هتشوفيه أحلى كلام سمعته في حياتك

تضاعفت نظرات الاشمئزاز على وجه رنا وظلت
تطالعها من أعلى لأسفل باستحقار، فتغيرت معالم
وجه مريم إلى الحنق والتقطت وصادتها من جانبها
وضربت بها بعنف ..

*

*

*

كانت تجلس ياسمين في إحدى المحاضرات حيث
أخذت مقعد من المقاعد التي تقبع في المنتصف ،
تصب تركيزها مع الشرح الذي تسمعه وتسجل بعضاً
منه في دفترها ..

بينما جاورتها صديقتها (منة) والتي لم ترفع رأسها منذ بداية المحاضرة، حيث غطت في سبات بكل راحة وعدم اكتراث بأى مما حولها، لتضرب الكلية بكل ما يخصها عرض الحائط ..

ارتفع صوت رنين هاتف ياسمين فأسرعت فورًا تكتم صوته، ولحسن حظها تجاهلها الدكتور ولم يعقب ..

ما إن تأكدت بأنه لم يكتشف أنها صاحبة الهاتف حتى فتحته ونظرت بإسم المتصل، وتلقائيًا رفرفت الابتسامة على وجهها ، ولكنها أفاقت لنفسها سريعًا وكتمت ضحكتها قبل أن يلاحظها أحد ..

فتحت تطبيق التواصل الاجتماعي (واتساب) وأرسلت له نصًا :

"انا فى محاضرة دلوقتى ، فى ايه؟"

بضع ثوان وأتاها ردّه :

"هتخلصي امتى؟"

"بعد ساعتين كدا"

رفعت رأسها لتتأكد أن الدكتور لا ينتبه لها ، ثم عادت
تتظر بشاشة الهاتف لتقرأ رسالته الجديدة :

"طب بصي انا رايح ألعب كورة مع اصحابى فى
النادى ، تيجى معايا؟"

"آجى اقف لكوا حارس مرمى ولا ايه؟"

"لا يا لطافة .. اقعدى اتفرجى عادى انا مش بطول
كدا كدا ، وهنتعدى سوا بعده"

"طب طالما خارج مع أصحابك هاجي انا اعمل ايه؟"

"هما بيكملوا اللعب وبيقعدوا بالساعات ، انا بشارك
شوية كدا بس وبزهق وبسيبهم"

ثم أضاف :

"متقلقيش محدش هيبقى معانا ، أكيد مش هتبقى
قعدة رجالة وجايك تقعدى معاهم ويتفرجوا عليكى انا
مش بقرون يعنى"

ضحكت بخفة ، ثم أرسلت له :

"طيب ماشى"

ثم كتبت له أخرى :

"لما اخلص هكلمك"

*

*

*

وقفت جهاد أمام المرأة الخاصة بغرفتها وهي تمشط
شعرها الأسود الطويل بهدوء وتلمس خصلاته التي
يظهر بها تموجًا بسيطًا يعطيه جمالًا خاصًا ..
استدارت قليلًا لترى طول شعرها الذي يصل لمنتصف
ظهرها تقريبًا، ثم ابتسمت برضا وهي تهمهم :

السيرم الغالى تمنه فيه بردو

ثم واصلت تمشيطة رغم أنه لا يحتاج، وتتبعث من
مقلتيها نظرة مفتخرة وكأنها ترى طفلها يكبر أمام
عينها ..

لطالما كانت كل خصلة من شعرها عزيزة على قلبها،
حتى أنها تتحسر على الأطراف الصغيرة التي تضطر
لقصّها؛ تجنبًا للتقصف ، وتصرف أغلب مالها _ إن لم
يكن كله _ على منتجات العناية بالشعر ..

أتى على بالها صوت فخر عندما قال لها مرة أن
وجهها يليق به التسريحة المرفوعة لأعلى _ تلك التي
لا تحبها كثيرًا _ ، حدقت بانعكاسها قليلًا حتى قررت
تجربتها .. فتركت الفرشاة وأتت بمشبك شعر لتقيّد به
شعرها الذي رفعته للأعلى بشكل عشوائي قليلًا،
لتتدلى بعض الخصل على الجانبين ..

حملت بمظهرها للحظات بحيرة .. لم يبدُ عليها
الإعجاب ولا النفور أيضاً، وظلّت تحرك رأسها يميناً
ويساراً بتفحص .. هزت رأسها بقليل من الرضا
والتقطت هاتفها لتفتح الكاميرا وترى وجهها في
شاشة الهاتف ..

حسناً لا يبدو أن مظهرها بشعاً للدرجة التي كانت
تظنها، بل أصبحت ملامحها بارزة أكثر وقد أعجبتها
فقررت تصويرها ..

حركت رأسها بهدوء لتأخذ وضعية مناسبة للتصوير
وابتسمت بهدوء، ثم التقطت الصورة ..

حدقت في الصورة بتركيز ولم تعجبها، فتحركت
لتتناول قلم الكحل من فوق السراحة وشرعت بتحديد
عينيها به ..

تركت القلم بعد انتهاءها وابتسمت براحة ثم عادت
إلى هاتفها ورفعته لأخذ صورة أخرى ..

فى الواقع ليست صورة ، بل الكثير من الصور، وكلها
تشبه بعضها لا تجد بها فرقاً ملحوظاً

*

*

دلف فخر إلى غرفته وهو يمسك بكفه تفاحة يرفعها
فى الهواء ثم يلتقطها، وقد كررها أكثر من مرة ،حتى
توقف عندما استمع لرنين هاتفه المحمول ، فأخذه
من فوق المكتب ونظر بإسم المتصل : "Zezo"

أجابه بكل ملل بعدما رفع الجوال على أذنه :

اظر بني ياكروان

أتاه صوت زياد حماسياً مشرقاً :

فوقاً حبيبي وحشتني طمنني عليك

صمت وضيق عينيه بشك ومن ثم أسرع يفتح الدرج
الخاص بالمكتب ليتأكد من وجود مفاتيح سيارته،
فوجدها .. ثم استمع لصوت أخيه الذي فهمه فوراً
وقال بدرامية :

بتشك فيا يا ابن امي وابويا؟ والله عيب

رد فخر بحنق :

انت هتعيش الدور؟! اخلص عايز ايه؟

أجابه زياد ببرود أثار استفزازه :

_بالنسبة للتيشرت الكُحلي اللي انت كويته النهاردة
وقولت هتنزل بيه .. انا خدته ابقى اكوي لك واحد
غيره

ضم شفتيه بغضب مكتوم و ردد بعصبيه :

_اقسم بالله انت صرصار متربّي في صندوق زبالة.
صاح زياد بسخط :

_الحق عليا ببلّغك عشان تلحق تكوي قبل ما تنزل
بدل ما تتفاجئ؟؟

_غور يازيزو متخلّنيش اكسر التليفون !!

هدر به بغضب وأغلق الهاتف دون إلقاء أى سلام ،
نفخ بعصبية ولم يبعد أنظاره عن الشاشة ؛فقد شرع
بتفحص مواقع التواصل الاجتماعي .. فبدأ بـ
"واتساب" وألقى نظرة على الحالات التي ينشرها
الأصدقاء ،فكان أول من لمح "جهاد" وكان أول من
فتح حالته هي ..

سرعان ما اختفى غضبه وتسللت الابتسامة إلى
وجهه، بعد رؤية صورتها التي نشرتها وهي ترفع
شعرها للأعلى بتلك التسريحة العشوائية التي يُفضلها
عليها ..

دقق النظر بصورتها لوقت طويل ..

ابتسامتها الخفيفة التي لم تُظهر أسنانها .. عيونها
الواسعة المكحلة .. ملامحها المتناسقة .. حتى خصلة
شعرها المتدلّية على جانب وجهها التي زادت من
جمالها

كيف لوجهها العادي ذو البساطة اللامتناهية أن يجذبه إلى هذا الحد؟، وكأنها مثالية أو حاصلة على لقب ملكة جمال ..

حتى أولئك الذين حصلوا على لقب ملكات جمال لن يستحقوه _ في عينيه _ لو تم مقارنتهم بها ..

ابتعدت مقلتيه عن الشاشة وسارع بإحضار دفتره ليدون به ما خطر على باله للتو ..

التقط قلمه بين يديه وبدأ بالكتابة بخطه المنسق والفريد؛ وقد كانت تلك رسميًا أول جملة يكتبها وهو يقصد بها أحدًا بعينه، وليست مجرد كلمات مرّت على عقله فدونها كما اعتاد دومًا :

"كالتُحف الفنية الراقية .. لا يكتشفها إلا الفنان البارع"

*

*

*

بملعب كبير ذو أرضية خضراء مجهزة لممارسة كرة
القدم، حيث اجتمع الشباب بصحبة زياد واندمجوا في
اللعب كثيرًا ، تحت أنظار ياسمين الجالسة بعيدًا
تراقب المباراة باهتمام .. أو بالأحرى تراقبه!

لم تركز مع اللعب بقدر ذرّة، بل انصب كل اهتمامها
له هو فقط .. أصغر تفاصيل حركاته .. ضحكته
الجدابة .. عاداته العفوية وهو يمرر أنامله بين
خصلات شعره المموجة .. كان يرتدى ذلك القميص

الْكُحْلَى الذى سرقه من أخيه مع سروال قصير يصل
لركبتيه وحذاء رياضى ..

لم تفارق الابتسامة شفيتها طوال ترصدها له، حتى
اتسعت ضحكتها سريعاً عندما رآته سجّل هدفاً
واستمعت لصياحه مع فريقه تعبيراً عن فرحتهم ..

نظر لها بضحكة عريضة ورفع يديه الاثنتين بعلامة
النصر؛ حيث رفع إصبعى السبابة والوسطى فقط،
فضحكت له وشفقت بضع مرات بتشجيع ..

لاحظته يتحدث مع أصدقائه ببضع كلمات لم تسمعها
بسبب بُعد المسافة بينهما، ومن ثم رآته يتجه إليها
حتى تكلم عند اقترابه منها :

_هروح الحمام بسرعة اغيّر الشورت ده والبس
البنطلون وهجيك ..

رددت بتعجب :
_ انت خلّصت كدا؟

_ اه كفاية

_ انت مكملتش تلت ساعة !

ضحك عابثاً بغرور مازح :
_ وجبت جول كمان ، بالك لو كملت للآخر هيحسدوني

ضحكت بخفة وقالت :
_ طب احنا هناكل ايه؟

استعد للتحدث ولكن لم تواتيه الفرصة عندما صاحت
بتحذير :

_ اوعى تقول شاورما !!

علت ضحكاته بعنف ثم هتف بخضوع :

_ خلاص بلاش شاورما المرة دي ، شوفي اللي تحبيه

.....

*

*

*

_ خلى الملف ده هنا ، وباقي الملفات خليها عندك
عشان عامر بيه لو طلب يشوفها تبقى جاهزة معاك ..

بأدر حازم بأمره بنبرة عملية وهو يجلس خلف مكتبه، للسكرتيرة الواقفة أمامه والتي أومات بهدوء وقالت برسنية :

_ تمام حاضر .. حاجة ثانية؟

_ لا خلاص روعي

اومات للمرة الثانية باحترام ثم خرجت ..

عاد بظهره للخلف وهو يغمض عينيه بتعب ويطلق زفيرًا قويًا بضجر ، يعلق سترته الرمادية على ظهر الكرسي ويجلس بقميص أبيض وبنطال أسود ..

فتح عينيه مجددًا عند سماعه صوت هاتفه يعلن عن متصلٍ ما .. أخذه من فوق المكتب ونظر بالرقم

الغريب الذى يتصل ولكن كشف له تطبيق
"Truecaller" عن صاحبه ..

وياليتاه لم يفعل ، فقد كانت تلك المدعوة "نرجس"
!..

ظهر عليه التعجب والضيق بنفس الوقت قبل أن يفتح
الخط ويتحدث بحدة :

_ انتِ جبتي رقمى منين!؟

خاطبته بقلق واضح :

_ مش وقته يا حازم دلوقتى، مى و عبدالله عندي فى
البيت و عبدالله عيان جدا و مش قادر يتحرك واحنا
مش عارفين نتصرف

سكنه الخوف حتى أعماقه و ردد بقلق وهو ينهض
من مقعده :

_في ايه جراه ايه بالظبط؟

_معرفة لقيناه فجأة مش قادر يقف ومش قادر يتكلم
ويرد علينا حتى ، تعالى بسرعة لو سمحت مي
مرعوبة ومش عارفة تعمل ايه ولا انا

سحب سترته على عجلة وتحرك إلى الخارج بهلع
وبخطوات متسارعة

*

*

*

بأحد المقاهى المغلقة حيث تكونت جدرانها من نوافذ
زجاجية يخترقها ضوء الشمس ، وتزين المكان
ببعض سلّات الزرع عند الزاوياء والقليل من الزخارف
المريحة للعين ..

دخلت عزّة من الباب وهى تتمم ببعض الكلمات التى
تعبر عن عدم قبولها لأى مما يحدث، مع بعض
الاسباب فى مروان وفى اليوم الذى عرفته به، بل
وحتى لنفسها لأنها كانت فى يومٍ ما تحب ذلك
الخرتيت المعتوه ..

وقع بصرها عليه وهو يجلس بجوار والدته خلف
إحدى الطاولات تاركين المقعد المقابل فارغاً ،
ابتسمت بكل صفاء ووقفت أمامهم بهدوء وهى تقول
برقة :

مساء الخير

ارتفع حاجبى صابرين بابتسامة مندهشة وقالت :

يامساء القمر

ازى حضرتك ياطنط؟

ظهرت ضحكة مليئة بالحماس على وجه صابرين
ونهضت فوراً لتجذبها إلى أحضانها وتقبل وجنتيها
بترحيب شديد :

ماشاء الله ايه الجمال والحلاوة دى؟

تراجعت عزة بهدوء وهمّت بالجلوس :

تسلميلى ياطنط ده من زوقك

عادت صابرين لمقعدها ، بينما نظرت عزة لمروان
تقول بلطافة وابتسامة عاشقة برعت فى إتقانها،
وكأنها غارقة ببحار حبه منذ الصغر ..

_ازيك يامروان؟

رد لها الابتسامة الهادئة التي تخفي خلفها رغبته في الضحك :

_الحمد لله يازوزو ازيك؟

نظرت صابرين لولدها بحاجبين مرفوعين ذهولاً وتضاعف الحماس أكثر، فلم يسبق لها ورأت ابنها يعط اهتماماً لفتاة لدرجة أنه ينوي خطبتها .. وهذا ما تحلم به منذ سنوات ..

عادت تنظر لعزة وقالت :

_اخبارك ايه يا حبيبتى عاملة ايه؟

_ الحمد لله ياطنط تمام ، اتأخرت عليكموا؟

_ لا خالص انتِ تتأخري براحتك

مال مروان على أذن والدته يهمس لها :

_ اتقلي ياصابرين شوية

تجاهلته صابرين ولم تجبه بشئ وتابعت حديثها مع
عزة :

_ احكي لي عنك شوية متكسفيش احنا هنبقى أهل

ابتلعت عزة ريقها ولم تمحى ابتسامتها وهي تجيب
بودّ :

_طيب مبدأياً انا اسمي عزة محمود فالح عندي ٢٦
سنة ومتخرجة من آداب عربي .. والدي اتوفي وانا
صغيرة ووالدي متوفية من اربع سنين ، ليا خال هو
يعتبر أهلي كلهم بشوفه كل يوم .. بشتغل في حضانة
كدا للأطفال ، ومرتاحة في الشغل ده الحمد لله

ضحكت بخفة وقالت بأسلوب مهذب :

_تحي تعرفي ايه تاني؟

اتسعت ابتسامة صابرين أكثر مما هي عليه وقالت :

_انتِ شكك بنت طيبة ومؤدبة ، مروان بردو مش
هيختار حد من فراغ .. أكيد لازم تبقى قمورة كدا

ابتسمت عزة بامتنان و ردت بهدوء :

_ربنا يخليك ياطنط، حضرتك اللي جميلة والله

ان شاء الله تعالى حسابك بقى هتيجي تتغدى معايا
مرة

اندهشت مما سمعته ومع ذلك حاولت الاحتفاظ
بابتسامتها وأسرعت تقول :

لا لا على ايه؟ مالوش لزوم تتعبي نفسك خالص
يعنى.. احنا ممكن نتغدى سوا دلوقتى كفاية

لا ازاي! متقوليش كدا .. ده انتِ تعبكِ راحة

نظرت لمروان وتابعت :

مروان ابقى اتفق معاها على يوم وبلغنى على طول

..

سمعها مروان جيداً ولكنه لم يلتفت إليها وتعلق نظره
بعزة التي حدجته بعصبية وهزت رأسها بالرفض أكثر
من مرة ، وسرعان ما عادت لابتسامتها الناعمة
عندما نظرت لها صابرين من جديد وهي تقول :

مش هقبل أى أعذار ، أى يوم تبقي فاضية فيه على
طول تنوريني

أقلت عزة نظرة خاطفة على مروان وهو يعود بظهره
للخلف ويُبعد وجهه ليخفِ ضحكاته التي لا يقدر على
كتمها ، ودّت بداخلها لو استطاعت تفجير رأسه أو
فقع عينيه على الأقل .. ؛ فهذا الوغد أو همها بأنها
مقابلة واحدة وحسب

ولكن يبدو أنها ستصبح سلسلة من المقابلات! ...

*

*

*

فتحت نرجس باب شقتها لتسمح بدخول حازم وقالت
بتعجُّل :

_تعالى جوا اهو

دلف حازم بهلع ووجهه يأكله القلق ، ولكن توقف
عندما رأى الساحة فارغة فالتفت لها يتساءل
بتوجس:

_هما فين؟!

أغلقت نرجس الباب وقالت بكل هدوء :

_سوري يا حازم .. مكنتش هعرف اجيبك هنا غير
بالطريقة دي

عقد حاجبيه بتعجب وتساؤل ، فتابعت :

_می و عبدالله مش هنا، دی كانت كدبة

سكت للحظة يستوعب بها واقع هذه الحركة
الرخيصة، تغيرت ملامحه سريعًا إلى الغضب وأخفض
رأسه مغلًا عينيه؛ محاولًا كتم غيظه وهو يتمم مع
نفسه بعصبية مكتومة :

_انا ازای صدقتك! ايه الغباء ده ! ، ازای متوقعتش
كدا!؟

عاد ينظر لها وقبل أن يهتف بشئ وجدها اقتربت منه
تقول بنبرة ناعمة :

_حازم انا محتاجة اتكلم معاك وانت عمرك ما ادتني
فرصة، انت اللي اضطرتني اعمل كدا

طالعتها بغضب يحاول دفنه قدر المستطاع حتى لا
يقوم بغيره سكين برقبتها :

_ انا مفيش بينى وبينك حاجة تخليكي تقوليلي أكثر
من "ازيك" .. وانا مش هرد عليها كمان !

نطقت بتأثر وحنن :

_ انت ليه بتعاملني كذا !؟

_ انا ماشي

نطق بجملته بعدم اكتر اثار وهو ينوي التحرك إلى
الباب ولكنها منعه بإصرار :

_ مش قبل ما اتكلم واقول اللي عندي

صاح غاضبًا بنبرة مهددة :

_بقولك ايه !

قاطعته قبل أن يتابع تهديده وقللت المسافة بينهما
بخطوة واحدة واسعة جعلتها تقف بمواجهته مباشرة:

_انا بحبك يا حازم!!

اتسعت عينيّه بذهول ورمشت عينيّه عدة مرات بعدم
استيعاب لكل هذه الجرأة التي تملكها لتخبر رجلًا
متزوجًا هكذا جملة !

قبل أن يستعد لنهرها بعنف كانت هي سبقتة بالحديث
وهي تقول بقلة حيلة :

_انا عارفة إنه مينفعش بس والله غصب عني ،
حاولت اطلعك من دماغى كثير بس معرفتش .. انا

بحبك أضعاف مَيّ بكتير ولو اديت لنفسك فرصة
تشوفني كنت هتأكد من ده

ازدادت الصدمة على وجهه أكثر ثم هدر بغضب :
_ انتِ جايبه البجاجة دي كلها منين! ، ازاي وقفتي
قدامي أصلا وقدرتي تقولي حاجة زي دي !!

تحدثت بحنق :

_ مَيّ متستاهلكش ولا مقدرارك يا حازم! ، كام مرة
اتخانقتوا وكام مرة سابت لك البيت وكام مرة كبرت
المواضيع لحد ما تحرق دمك وتخليك تكره نفسك!

صرخ بها بصوت جهورى امتلاً بالغضب والعصبية :

_ وانتِ مالك!! .. انتِ مالك بيا وببيتي ومشاكلي ! ،
مين نَصَبك واحدة مننا؟!؟

_ انا خايفة عليك وعايزاك مرتاح

نطق بحدّة واضحة ونظراته الموجهة لها جامدة
بشدة:

_ انتِ عارفة لو شوفتك مع مّي تاني هعمل فيك ايه؟!؟

_ متبقاش غبي يا حازم وفرّق كويس بين اللي بيحبك
بجد واللي مش عارف قيمتك واختار صح

_ انتِ مستوعبة إنك بتطلبي منّي أسيب مراتي
واجيلك؟ ، مخك واصل له الفكرة يعني ولا انتِ مُغيبّة
وقافلة دماغك بقفل؟!؟

_ انا مقولتش تسببها.

ردّ بفهم ساخرًا :

_ اتجوزك عليها؟!_

_ حازم انت لو خسرتني هتخسر كثير

صرّ على أسنانه قائلاً بغضب :

_ خسارتك دي أكبر مكسب هنوله فى حياتي !

قاطع حديثهما صوت دقات متتالية فوق الباب،
وبمجرد ما التقطتها أذني نرجس حتى صاحت فجأة
بطريقة مباغته جعلته يعود للخلف باستغراب من تلك
المجنونة؛ التي ركضت سريعًا إلى الباب وفتحته وهي
تتصنع بكاءً هستيريًا :

مىّ الحقينى شوفتى جوزك بيعمل ايه؟!

ارتمت بأحضانها وهى تجهش بالبكاء ، بينما جحظت
عيني حازم وشعر بأن قدميه أصابها شلل لحظى من
الصدمة ..

صدمة من تلك الساقطة التى لم تترك الأمر للحظ
بالتأكيد، بل حتمًا حدثت مى على الهاتف قبل مجيئه
لتحثها على القدوم لترى بأم عينيها زوجها فى منزل
صديقتها ..

وبالطبع مهما قدّم من تفسيرات وتبريرات فلن تصدقه
!

لم تتحرك مىّ خطوة عن عتبة الباب ، لم ترفع يدها
حتى لتربت على هذه الغارقة فى النحيب ، استقر
نظرها على حازم الواقف على بُعد مسافة منها ..
يسودها الاندهاش والحيرة ، وقد شطرت نرجس

قلبها إلى نصفين عندما هتفت ببكاء وقهرة أتقت
تمثيلهما ببراعة :

_جوزك اتجهم عليا يا ميّ , الراجل اللي بتأمني له
على نفسك جاي بيتي وانا لوحدي وعائزني اسمع
كلامه بالعافية عشان عارف اني لوحدي وماليش حد

لم تتحمل ميّ ما قالته وأبعدتها عنها بعنف، لتتظر
بعينيها مباشرة بصدمة وعدم تصديق ..

كانت قد وصلت دهشة حازم لأقصى مدى ممكن،
لدرجة أنه عجز عن إيجاد وصف كافي لأفعالها ، و
ردد بذهول جامح :

_انتِ ايه!! .. ده انا صدقتك يا شيخة!

سارع بالاقتراب من مَيّ و نطق مدافعًا عن ذاته :
_مَيّ إياك تصدق الكلام ده ، دي كدابة وعايزة توقع
بيننا انتِ مش فاهمة اللي حصل!

ترددت عينيها بين زوجها وصديقتها أكثر من مرة ..
ملاحها غامضة لا يبدو عليها تعبيرًا ملحوظًا، حتى
أنها أثارت تخوّفه ..

طال صمتها ، فى الواقع هى لم تنبس بحرف واحد
من الأساس .. فقط التزمت بسكوت مخيف

ابتلعت غصتها بعد شعورها بأن المكان بضيق عليها
وكان الأكسجين ينفد منه تدريجيًا ..

وكان حجرًا ارتمى على صدرها فجأة ليطبق على
رئتيها ويكتم أنفاسها .. ويحطم قلبها !

هربت عينيها إلى الفراغ وعقلها لا يزال يحاول
إيقاظها من صدمتها وتشجيعها على أخذ أي رد فعل
قويّ أمامهما ..

ولكن يبدو أنه لم يفلح سوى جعلها تحرك قدميها
للخلف ببطء وتثنت ؛حتى أنه لم ينجح بتوجيه
انتباهها لكلمات حازم التي تدور من حولها لمحاولة
النقاش معها ومنشاداتها على عدم الإنصات لتلك
الحيّة ..

اقترب منها وحاول إيقافها بإمساك يدها ولكنها
رفضته وسحبت يدها منه فوراً بمجرد شعورها
بلمسته ، وكأنه مصاب بمرض معدى أو ما شابه .. ثم
غادرت بسرعة، منسحبة من معركة لم تكد تبدأ
؛ليقينيها بأنها لن تقوَ على الصمود والمقاومة

يتبع..

الفصل العشرون {المتهم بري}

طرق حازم فوق الباب بشكل عنيف و متتابع دون
توقف، حتى استجاب له صاحب المنزل (رؤوف)
وفتح الباب يقول بغضب :

_ ايه قلة الزوق د..._

سكت عندما رآه و غلبه الضيق بوضوح ، بينما دلف
حازم وهو يقول باستعجال :

_ مَيّ فين يا عمي؟_

رد رؤوف ساخرًا :

_ انت خلّيت فيها عمي؟؟ ، ده انت خربتھا خالص

_ ارجوك متصدقش الكلام ده، انت مش فاهم ولا هي
فاهمة

رد رؤوف بحدّة :

_ نفهم ايه؟ دى شافتك فى بيتها! ، مفيش أى سبب
يخليك تروح لواحدة بيتها وانت عارف إنها ست
عايشة لوحدها .. إلا لو كنت عايز كدا !

_ ياعمى لا ياعمى ، انا روحت وانا فاكر إن مى
وعبدالله عندها و ..

قاطعهُ رؤوف باندهاش ساخر مُكذّباً إياه :

_ يارالجل !؟

خرج عز من غرفته عند سماع صوته فى الخارج،
ووجهه تعتليه كل معالم الغضب والشر .. سار ناحيته
بخطوات منفعة حتى تخطى والده وجذب حازم من
تلابيبه وهو يهتف بصوت جهورى :

_ انت جاى لحد عندي برجلك !!؟

فزع حازم من تصرفه ومع ذلك كان متفهمًا لغضبه
النابع من اهتمامه لأمر أخته و تحدث بهدوء :

_ عز ممكن تسمعني لو سمحت؟ الموضوع مش زى
ما وصل لك والله

هزه عز بعنف من خلال ملابسه، مجيبًا بحنق :

_ متجيش تخترع لي كدبة رخيصة شبهك وتفكرها
هتخيل علينا !

اكفهر وجهه واشتد غضبه أكثر :

_ انت ازاي طلعت تحت اوى كدا؟ ، ده انا لو كان
الناس كلها اجتمعت على إنك زبالة مكنتش هصدق
من شطارتك فى دور المثالية اللى عرفت تخدعنا بيه!

حاول رؤوف أن يحيل بينهما وهو يقول :
_كفاية ياعز، مش هتصلح حاجة كدا

لم ينوى عز تركه ولكن أصر والده على نزع يديه
وإبعاد حازم للخلف وهو يقول :

_حازم لو سمحت امشي دلوقتي وهنتكلم بعدين يلا

ردد حازم بصره بينهما بعدم اقتناع حتى استمع
لصوت حماه يأمره بحدة :

_امشي يا حازم !

*

*

*

دوى صوت ارتطام الدفتر بالطاولة التى تجلس عليها
(جهاد) بأحد المقاهى المغلقة، فرفعت عينيها فجأة
بفزع بعدما كانت تطالع هاتفها بتركيز ..

ضحك فخر وجلس على المقعد المقابل لها، بينما
تهتف هى بانزعاج :

_ خضتني على فكرة

رد ضاحكًا :

_ انتِ اللى سرحانة

كانت كعادتها التي لا تتغير ;تترك شعرها منسدلاً على
جانبي وجهها وتحدد عينيها بالكحل ،وقد ارتدت
بلوزة من اللون الأصفر مع بنطال واسع من الجينز
الأسود ، بينما اتخذ هو قميصاً أبيض اللون ذو أزرار
مفتوحاً منها أول ثلاثة، مع بنطال من اللون البيج
وحذاء رياضي

لفت نظرها الدفتر فنظرت له بحماس متسائلة بترقب:

كُتبت حاجة؟؟

ابتسم وأوماً بإيجاب، ثم فتح دفتره وشرع يمرر
أوراقه وهو يقول :

كنت هبعتهالك واتساب بس لما لقيتك كلمتيني
وقولتيلي عايزاني قولت خلاص تشوفيها بنفسك

أدار الدفتر لتصبح الصفحة معتدلة بالنسبة لها،
فطالعتها باهتمام وقرأت :

"يحاول الاحتفاظ بالأمل الباقي بداخله ، رغم عدم يقينه
أصلا من وجوده ..

ربما فقط يتلاعب مع نفسه ويخدعها حتى يتمكن من
مواصلة دروبه"

التمعت عينيها باعجاب شديد وقالت :

_والله انت لازم تكتب حاجات طويلة شوية عن كدا

صوبت بصرها له وأدارت الدفتر له كما فعل، وهى
تقول :

_على الأقل تكتب قصص قصيرة ، انت أسلوبك حلو
وهيساعدك

أغلق الدفتر وهو يجيب :

_ماليش خُلق انا خالص ، وبعدين انا معنديش أفكار
أصلا تسعف حاجات طويلة .. كل اللي فى دماغى
مثلثات ومباني وبراجل

ضحكت بشدة حتى ظهر صف أسنانها بالكامل، فيما
بادلها هو بابتسامته الهادئة المعهودة وحسب ..
أخذ نظرة سريعة على قميصها ثم قال :

_حلو الأصفر عليكى

أحنت رأسها بتساؤل وهى تقول ضاحكة بمشاكسة :

_دى تانى مرة تقول لى كدا , اشمعنا الاصفر؟

رفع كتفه بلامبالاة وضحك بخفة مجيبًا :

_مش عارف ، بحسّه مختلف معاكي

ابتسمت بخجل واضح وقالت :

_طب شكرا .. خلينا فى اللى جاية اقولهوك بقى
واللى طلبتك عشانه

أوما بانتباه قائلاً بمرح :

_اطربني ياكروان

ضحكت بيأس من تلك الجملة التى لا تفارق لسانه
أبدا ، ثم تحدثت :

_بص ياسيدى .. انا بقالي فترة بدعبس فى مكاتب
الهندسة و دورت كويس لحد ما طلعت لك بكام واحد
كدا ابن ناس ، عايزاك تشوفهم ولو ناسبك واحد تقدم
فيه ، هبعثك التفاصيل دلوقتي

بدت الدهشة على قسماته ونطق باستفهام :
_ايه ده طب ليه تعبتي دماغك بالحوار ده ما انا كنت
هتصرف

_ماهو انا لقيتك مكبر دماغك قولت اشجعك وادّيك
دفعة

ثم تابعت بابتسامة عابثة :

_ انا نقيتهم على الفرّازة لعلمك مش جيبالك حاجة أى
كلام وخلص ، ومروان ساعدني كمان عشان عنده
معارف كتير بردو وكدا

احتلته ابتسامة صافية ممتة وهو يقول :

_ انا مش عارف اقول لك ايه والله، تعبتي نفسك انتِ
ومروان، مكانش له داعي

_ دى حاجة قليلة قصاد جمالك عليا ..

ثم أردفت :

_ المهم لو قررت تقدم فى واحد منهم ابقى عرفنى
بقى عملت ايه .. ماشى؟

ضحك بهدوء وأوماً قائلاً :

_ ماشى ياستى ...

*

*

*

دخل حازم إلى شقته بخطوات واهنة .. ينقش البؤس
ألوانه على وجهه المهموم .. أغلق الباب ببطء،
توافقاً مع وقوع عينيه على والدته التي تشاهد التلفاز
برفقة حفيدها الذي أجبرها على مشاهدة أحد أفلام
الرسوم المتحركة معه .. ولكن ابتعدت أعينهما عن
شاشة التلفاز لتتوجه إلى حازم، وتحدثت ولاء
بابتسامة :

_ حمد لله على السلامة يا حبيبي جيت بدري النهاردة
يعنى

وضع المفاتيح بجيبه و رد باقتضاب :

_ عادى

سأله الصغير باهتمام :

_ هي ماما فين؟

رد حازم بنبرة جاهد لتظهر عادية ولا يظهر بها
ضيقه :

_ هتقعد عند جدو شوية

سأله ولاء :

_ هو حصل حاجة لا قدر الله؟

تساءل حازم بصوته الخافت :

_ هيحصل ايه يعنى؟

_ اصلها جالها تليفون كدا وبعدين نزلت على طول
بسرعة ومقالتيش رايحة فين، شكلها قلقتى

أجابها وهو يستعد لدخول غرفته :

_ لا متخافيش مفيش حاجة .. انا داخل انام شوية
عشان مصدع

_ مش هتاكل طيب؟؟

أجاب وهو يغلق الباب بعد دخوله :

_ كلت

تعجبت من تغيره وصوت صفع الباب المرتفع ثم
نظرت لحفيدها الذى عاد لمشاهدة فيلمه من بعد
سؤاله عن والدته، ولم يكن لينتبه لحالة والده
المتغيرة؛ فما يهم هو الفيلم الآن

*

*

حلّ سكون الليل حتى تخطت الساعة الثانية عشر
صباحًا ..

ارتمت فوق سريرها وتمددت بكامل جسدها وهي
تحاصر الهاتف بين يديها الاثنتين وتتفحص مواقع
التواصل الاجتماعي ..

فتحت ياسمين تطبيق (واتساب) ولم تجد الكثير من
الرسائل، فقط رسالتين من صديقتها منة، وثلاثة من
زياد أرسلهم منذ بضع دقائق ..

زياد!؟

صبت اهتمامها له فورًا وفتحت المحادثة سريعًا لترى صورتين له مصحوبتين برسالة نصية :

"اختاري واحدة احطها بروفايل"

تزين شعرها بضحكة واسعة مسرورة .. ;كم تحبه أكثر وأكثر عندما يهتم برأيها في متعلقاته، بل وتتضاعف سعادتها عندما يعجبه اختيارها ويأخذ به أيضًا ..

فتحت الصورتين المتشابهين ؛يبدو أنه أخذها في آن واحد ؛حيث ارتدى فيهما قميصًا أسود اللون ذو ثلاث أزرار مفتوحين دونًا عن الباقي ويثني أكمامه قليلًا .. والخلفية وراءه عبارة عن حائط رمادي قاتم لا أكثر ..

كان وضع الصورة الأولى ينظر إلى الكاميرا بوجه حاد غير مبتسم أو ما شابه ، ويضع يديه في جيوب

بنطاله الأسود، وبضع خصلات من شعره تمردت
لتغطى جبهته ..

أما الصورة الثانية فواضح أنها ألتقطت بعفوية ;حيث
ينظر فيها إلى الجانب وهو يعيد ذراعيه للوراء ليعدل
قميصه من الخلف ،مما جعل الجزء المفتوح من
قميصه يبرز ويظهر صدره قليلاً من خلفه ..

لم تعلم كم مرة انتقلت بين الصورتين بعينين
عاشقتين تضوى ببريق لم تعهده يوماً .. ، لم تكن
لتملّ من التحديق بوجهه لو ظلت هكذا إلى الغد،
ولكنها يجب أن تجيبه .. فخرجت من الصورتين وقبل
أن تستعد للكتابة وجدته أرسل رسالة جديدة :

"سرحتي فى جمالي ولا ايه؟"

حسنًا فلتتمهّل قليلاً أيها المغرور، فأنت محق وقد
أخرجتها .. حمدًا لله أنه لا يرى وجهها وإلا كانت
لتبدو أمامه قمة في البلاهة والعتة ..

أرسلت له وجوه تعبيرية ضاحكة ثم أتبعتها باختيار
الصورة الأولى وهي ترسل :

الأتين حلوين بس دي أحلى

أعلن اللون الأزرق عن قراءته للرسالة ولكنها لم تره
يكتب .. انتظرت قليلاً حتى وصلتها صورة مختلفة ..

في الواقع هي مختلفة تمامًا ;حيث كان جالسًا بأحد
الأماكن المفتوحة لتظهر من خلفه سماء الليل
المضاءة بالأنوار الكهربائية ، يرفع زجاجة باردة
على وجهه الملطخ بالجروح والكدمات وينظر

للكاميرا .. تملوه ابتسامة واسعة ساخرة بعض الشيء
ويرفع إبهامه تعبيرًا عن "كله على ما يرام"

ووضع تحتها تعليقًا ساخرًا :

_دى أطفى

اندهشت من الصورة وأرسلت باهتمام :

_ايه اللى حصل؟

غلبتها ابتسامة صغيرة عندما وجدته يسجل مقطعًا
صوتيًا؛ فهي تحب نبرته الرجولية المميزة وتود
سماع صوته كلما سنحت الفرصة ..

فتحت التسجيل بعدما وصل لها وسمعتة :

"ختمت اليوم بخناقة فل ، شوية عيال كدا لقيتهم
بيحششوا على جنب روجت نكشت فيهم واتخانقنا فى
بعض .. بس مقولكيش ! أرهقناهم"

ضحكت من نبرة الفخر التى تشوب صوته وكأنه فعل
أمرًا مذهلاً ; هذا المجنون يبدو وكأنه يسعى لتحقيق
رقمًا قياسيًّا فى الشجار مع كل من يمر أمامه، وكأنه
سيحصل على جائزة قيِّمة فى النهاية ..

كتبت له نصًّا :

انت لازم تتعالج من حبك للخناق ده على فكرة، انت
لما تتجوز مراتك هتطفش منك من تاني أسبوع

ليرسل لها وجهًا تعبيرياً واثقًا مع كلماته :
لا لا هتبقى بتموت فيا وهتستحملني عادى

_ ياواد انت على الثقة !

_ او مال؟ زيزو مش أى حد بردو، ده يابختها صاحبة
النصيب والله

_ لا بص انت شكك مطول وانا عايزة انام .. انا
ماشية وسيباك تكمل فى الغرور دا مع نفسك بقى

_ رايحة الكلية؟

_ اه ان شاء الله

_ طيب يامعلم ربنا معاك ، تصبح على خير

ابتسمت بهدوء و ردت :

وانت من أهله

*

*

*

استقر حازم بغرفة ولده فى النهاية، بعد الدوران حول نفسه بالمنزل تاركًا التفكير يلتهم رأسه ..

حاول المكوث بغرفته وتمدد فوق سريره فلم يرى النوم طريقًا لعينيه، لم يشعر بالراحة مطلقًا .. وكان غيابها حول الفراش المريح إلى أشواك الصبار، وجعل الغرفة كالصحراء المخيفة التى لا يجد منها مخرجًا ..

لن يبالغ عند وصف شعوره دون وجودها بأنه ضائع
!..

كان صغيره قد غط في نوم عميق منذ ساعات وهو
ينام بجواره ،بينما ظل هو مستلقياً على ظهره يضع
يديه أسفل رأسه ويحدق بالسقف بشرود تام ،وسط
هدوء شديد وظلام يكسره فقط مصباح صغير يجاور
السرير ..

لم يكن ليشعر ببعض الارتياح إلا بجوار ولده، فلم
يكن سوى أنه قرر مشاركته في فراشه ؛لعل النوم
يحنو عليه ويقرر زيارته ويخلصه من التفكير الذى لا
ينتهى

وعلى عكس الهدوء القائم المسيطر على الأنحاء،
كان الوضع عندها عبارة عن صخب مزعج .. وأو
للدقة كان صخباً بداخل رأسها أكثر من كونه فى
الخارج ..

أصوات بكاءها انطلقت بحرية بعد تأكدها من نوم
والدها وخروج أخيها لنوبته فى المشفى ..

انكشيت على نفسها فى الزاوية على الأرض
مستسلمة لكل دمة تود الاندفاع من عينيها ..

ظلت تبكي بحرقة وجعًا وقهرًا لوقت لم تعلمه ..
تعبيرها عن صدمتها خرج فعليًا الآن .. فلم تقاوم ولم
تمنع نفسها عن ذرف العبرات، حتى أوشكت عينيها
على الشكوى من كل ما تراه من دموع

*

*

صباح اليوم التالى ..

•
ارتفع صوته يرج أرجاء المنزل من قوته وهو
يناديها:

حناان !!

اتجه فخر إلى المطبخ بخطوات منفعلة ليرى حنان
التي فزعت منه وعادت للخلف بتوجس وهي تجيب
بتوتر شديد :

فى ايه يابشمهندس!!؟

تحرك فخر صوبها ليجذبها من ذراعها بعنف، غير
مبالياً بالسيدة سحر التي كانت تصاحبها فى المطبخ
والتي اتسعت عينيها بذهول مما يحدث ..

ارتفع صوت فخر بغضب وهو يقول :

_ انا كام مرة حذرتك متدخليش أوضتى يابت! ، ايه؟
مش هنعرف نمشي كلمتنا عليك ولا ايه؟! فاكرة
نفسك متحامية في بسمة ومش هقدر عليك؟ لا فوقى
!

أردف كلمته الأخيرة بصوت أعلى جعلها تنتفض
وتغمض عينيها كمحاولة لتفادي صراخه الذي تابع
يشعّ بالغضب :

_ ده انا اكسر رقبتك انتِ وهى في تلت ثواني !!

حاولت سحر تهدئة الوضع وهى تقول محاولة إبعاده
عنها :

**_يابنى فى ايه مش كدا اهدى شوية حصل ايه لـ ده
كله!؟!**

**لم يحفل لأسئلتها ولم يبعد نظراته الحادة عن حنان
التي كادت تتفتت من الرعب؛ خاصةً عندما واصل
بنفس صوته المخيف :**

**_انا بقالى كتير صابر عليكِ وبعدى حركاتك بمزاجي
.. لكن تسوقي فيها وتمدى ايدك على حاجتي لا كدا
انتِ استخفيتي بفخر تليد على الآخر وعايزة اللى
يعلمك حدودك من أول وجديد !**

حاولت حنان التحدث بلسان مرتجف :

_انا معملتش ...

**ولكنه قاطعها قبل استكمال جملتها بغضب أكبر وهو
يشدد قبضته على ذراعها :**

لا لا متدخيش فى الاسطوانة دى انا عارف إنك
خدتي الساعة السوداء .. وأقسم بالله ياحنان لو
الساعة دى مطلعتش دلوقتي انا هحبسك وهوصى
عليك كويس كمان !

شرعت سحر بمحاولاتها من جديد فى فك ذراع الفتاة
من يده ولكنه كان واقفاً كالعمود الصلب لا يتزحزح :

اهدى يايشمهندس مش هينفع كدا، بالراحة

حدجها فخر بنظرات نارية بثت بداخلها الرعب، ثم
ترك ذراعها بعنف حتى شعرت أنها على وشك
الوقوع أرضاً ولكنها حافظت على توازنها سريعاً ..

ألقى نظره على كل منهما يقول بحدة شديد وهو يتكأ
على كل كلمة :

_ انا عايز .. الساعة .. حالاً !!

سارعت سحر بالترتيب على ذراعه وهى ترفع
عينها له ؛حيث كان يفوقها طولاً ، وتقول بهدوء :

_ حاضر حاضر متقلش مفيش حاجة بتضيع هنا
هنلاقيها

صاح فجأة بسخط :

_ هى مضاعتش دى خدتها !

فيما حافظت سحر على صوتها الحنون لتخفف من
غضبه :

طيب خلاص حاضر هدي نفسك مفيش حاجة
مستاهلة عصبيتك دي، ريح بالك وروح أوضتك
واحنا هنجيبهاك، خلاص؟

*

*

*

دلف حازم إلى الغرفة التي تمكث بها والدته وهو
يقول :

ماما انا نازل .. ايه ده؟

غلبه التعجب عندما رآها قد حزمت حقيبتها واستعدت
للمغادرة .. التفتت له وقالت :

لو قدامك وقت وصلني الأول ..

ليه ياماما كدا بس!

_ انا بقالى يومين بقول لك عايزة امشي وانت كل
شوية تقول لي استني ، بس انا عايزة ارجع بيتي بقى
خلاص .. ولو مش فاضي هاخذ تاكسي عادى

_ انتِ ملحقتيش تقدي أصلا

_ معلىش يا حبيبي إن شاء الله هاجي تانى ..

تنهد باستسلام و ردد بخفوت :

_ اللى تشوفيه يا امى

سار صوب الحقيبة اللى تعلى السرير وحملها

بصمت، فسألته ولاء باهتمام :

_ انت فى حاجة مضايكاك؟

_ لا عادي

_ وشك متغير من امبارح، وميّ بايئة عند ابوها ..
حتى عبدالله خد باله و قبل ما يروح المدرسة سألني
،انتوا اتخانقتوا ولا ايه؟

رسم على وجهه ابتسامة عادية :

_ متحطيش في بالك احنا كالعادة يعنى بنشاكل في
بعض كدا زي كل شوية .. انا هو صّك وهروح لها
على طول

_ بلاش تزعلها منك يا حازم، دي غلبانة وبتحبك

تطلع لها بصمت قليلاً، التمعت عينيه بحزن دفين
وهمهم بصوت مذبذب مبجوح :

_ وانا والله

خرجت كلماته بوهن، وكأنه ينتظر أن يصدقه أحد
ويتأكد أنه بالفعل لن يقبل بإحزانها أبدًا ..

ينتظر أن تصدّقه هي .. حبيبته وأعز ما لديه ..
يود أن تنظر في عينيه على الأقل لتري كم يحبها بكل
تفاصيلها، حتى أنه يحب مشاكستها ومشاجرتيها
التي لا تمل من اختلافها ..

هي بالفعل الأهم ..
لن يقبل بخسارتها مهما حدث ..

*

*

*

أنصت فخر لطلب السيدة سحر وعاد إلى غرفته ،
جلس على طرف السرير واستقرت عينيه في اللاشئ
؛حيث شرد عقله إلى الماضي منذ عدة سنوات
واستحضره موقف قديم مع والدته الجميلة (أمينة)
حينما كان في السنة الرابعة من الجامعة ..

كان سريره وقتها مغمورًا بالأوراق والأدوات
الهندسية ليغرق بينهم من أجل المذاكرة لامتحان الغد
.. استمع لصوت طرقات فوق الباب فسمح بالدخول
لوالدته التي دخلت بهدوء وهي ترسم ابتسامتها
الناعمة على محياها :

_ازيك يافخر؟

رفع رأسه وابتسم لها قائلاً :

_تعالى ياماما اتفضلنى

دلفت أمينة وأغلقت الباب خلفها ثم تقدمت صوبه،
بعدها أبعاد أغراضه ليفسح لها مكاناً للجلوس ..
جلست ونظرت له بزُرقتيها المميزتين وسألته
باهتمام :

_ عامل ايه فى المذاكرة

رد بتأفف :

_ زفت بصراحة، زفت على الآخر

ضحكت بخفة ثم قالت :

_ متقلقش انت قدها انا بدعيك فى كل امتحان على
طول

ثم أردفت بنفس ابتسامتها الهادئة :

_ انا جيت لك حاجة يمكن تشجعك على المذاكرة شوية

طالعها بفضول :

_ ايه دى؟

رفعت يدها أمامه بعلبة مكعبة الشكل ذات مظهر فخم،
فنظر لها بشك، بينما اتسعت ابتسامتها أكثر ومدتها
له ليأخذها ..

تناولها منها وفتحها ليجد بها ساعة يد أنيقة سوداء
اللون، اتسعت عينيه بانبهار ونظر لها بعدم تصديق :

_ انتِ بتهزرى؟!

اتسعت ضحكتها أكثر وقالت :

_مش دي اللى كنت بتقول لي نفسك تجيبها؟

_بس دي غالية ياماما، ليه عملت كدا؟ مكانش ليها
لازمة

_مفيش حاجة غالية عليك ياروح ماما، المهم تكون
مبسوط .. يلا كمل مذاكرتك وانا هروح اشوف زيزو
الصايح راح فين، نزل يلعب كورة من بدري ولسة
مجاش

اقترب فخر منها سريعًا واحتضنها بقوة وهو يقول
بامتنان :

_ربنا يخليك يارب، والله العظيم انا من غيرك ما كنت
عرفت امشي خطوة واحدة فى حياتى

اتسعت ضحكتها وربتت على ظهره بحنان وهى
تهمهم بخفوت :

_والله انا اللى مكنتش هقدر اعدى اى حاجة صعبة
من غيركوا ..

رجع للخلف مبتعدًا عنها ونظر لها بابتسامة صغيرة ،
تلك الابتسامة التى تفعل أمينة اى شئ لتراها ..
ونفسها التى اختفت منذ وفاتها ..

لم يعد كل شئ كما كان منذ غابت .. أصبح كل شئ
لونه رماديًا باهتًا ييبث الحزن بداخله حتى أعماقه ..

أدمعت عينيه بأسى وضيق ، ولكنه لم يسمح لعبراته
بالنزول وأفاق من شروده ليدلك عينيه بأنامله قبل أن

تستسلم لذرف الدموع .. انتبه لصوت دقات الباب
فأذن بالدخول ..

دلفت سحر بقليل من التردد وقالت :

الساعة يا بشمهندس

نهض فورًا عندما سمعها واختطف الساعة من يدها
وهو يقول بغضب :

كانت واخداها ليه؟

تساءلت سحر بتعجب :

انت ليه متأكد كدا إنها خدتها؟

وانت ليه فاكراها بريئة اوى يعنى؟

_مينفعش تتهم حد من غير دليل!

أجابها بيقين :

_انا عمري ما بعمل كدا

سألته باستنكار :

_و ايه دليلك دلوقتي بقى؟

هتف بحنق :

**_هي قالتك ايه؟ عملت نفسها بتدور عليها
وطلعتهاك، مش كدا؟ ، بذمتك انتِ مصدقة طيب؟
حاجتي مبتطلعش خارج حدود أوضتى أصلا ولو
ضاعت هتضيع فى اوضتى مش براء، وانتِ عارفة كدا
كويس**

طب ممكن بعد إذنك نلم الموضوع شوية؟ الساعة
موجودة دى أهم حاجة وانت بعد اللي عملته ده مش
هتقرب منك تاني .. اديها فرصة يابنى معلى، دى
غلبانة

زفر فخر وهو يغمغم بملل :

والله ما فى حد غلبان غيرك ..

*

*

دخل حازم إلى ساحة الشقة بهدوء بعدما استقبله
رؤوف، وتساءل باهتمام :

هى فين؟

أجاب رؤوف بيأس، بعدما أغلق باب الشقة :
_قافلة على نفسها فى الأوضة، لا بتطلع ولا بترد
على حد ولا حتى بتاكل حاجة

غلب حازم الإحباط وقال :
_طب انا عايز اتكلم معاها

رفع رؤوف يديه ناحية الغرفة بمعنى "تفضل" :
_جرّب..

وقف حازم أمام باب الغرفة وطرق فوقه مرتين ونطق
بهدهوء :

_مى

.

التفتت تجاه الباب بمجرد سماع صوته، وسرعان ما تابعت دموعها فى الانسيال، بعد وصلات سابقة من البكاء بالفعل لم تتوقف حتى أصابت عينيها بالاحمرار والذبول ..

.

_لو سمحتِ ممكن تطلعي وتسمعيني؟ ادينى فرصة بس اشرح لك ..

لم يستقبل منها أى رد ولم يسمع حركات خفيفة حتى، ومع ذلك لم يتنازل عن التحدث وارتفع صوته قليلاً بحنق :

_ياميَ انا الزفتة دي كلّمتني وقالتي إن انتِ وعبدالله
عندها وان عبدالله تعبان ، انا أكيد مكنتش هسمح
لنفسي اروح لها لو كنت فكرت 1% إنها كدابة ، بس
انا كل اللي فكرت فيه ابنا اللي لازم الحقه مفكرتش
في أي حاجة تانية ..

صمت للحظة ثم استأنف بغضب مدفون بين ثنايا
نبرته :

_اللي انتِ مصدقاها دي كانت بتيجي البيت وانتِ مش
موجودة عشان تخلق بيني وبينها أي كلام وانا اللي
كنت بصدّها وبقول لها عبدالله قاعد معايا عشان
متاخذش فرصة إنّي لوحدني وتزيد في الكلام ..

لم تحيد بنظرها عن الباب وشردت عينيها الباكيتين
أثناء استماعها له وهو يتابع :

كنت شايف نيّتها ونظراتها وتصرفاتها من زمان
بس مكنتش عايز اجزم بكدا عشان مظلماش واطلع
فاهم غلط .. ومع ذلك انا عمري ما اتكلمت وصارحتك
باللى شايفه ناحيتها عشان خايف عليك انت، كنت
بحاول ابعدك عنها من غير ما تاخدي فيها صدمة
عشان عارف انت بتحبها قد ايه وهتتاثرى
بالموضوع

أغمضت عينيها لتحرر ماتبقى من دموع محبوسة
بين جفنيها، ولم يقف الأمر هنا وحسب، بل تجددت
العبرات وتكاثرت أكثر من السابق ..

تهد حازم بثقل و ردد بصوت منخفض يغمره الحزن:

مى انت اول واحدة بفكر فيها قبل ما اعمل أى حاجة
،وأكثر واحدة بخاف عليها من أقل لمسة زعل ..

حرام عليكِ متهديش اللي بيننا، ده احنا طول فترة
جوازنا معملتش حاجة تخليكي تشكي فيا حتى.

كان رؤوف يقف بالقرب منه وهو يستند على الحائط،
وقد اتضحت الحيرة والضيق فوق قسماته بوضوح ..
رفع عينيه صوب باب الشقة الذي دخل منه عز وهو
ينزع المفتاح من الباب ..

وقع نظر عز على أبيه، وقبل أن ينبس بكلمة استمع
لصوت حازم :

__مى اطلعي بقى وخلينا نتكلم من فضلك كدا مش
هينفع

لم يلبث حتى سار نحوه بانفعال وصاح بغضب بعد
اقترابه منه :

_ انت ايه اللي جابك هنا!

التفت له حازم وأجاب بهدوء :

_ جاى اتكلم مع مراتي .. ولا ممنوع؟

علا مستوى صوت عز أكثر بعناد :

_ اه ممنوع ! ، ويكون فى علمك انا الحاجة الوحيدة
اللى مخلّيانى مجيبش سناتك فى الأرض هى العشرة
اللى انت معملتش حسابها ، بس متختبرش صبرى
أكثر من كدا وتتباح عشان مسيبش عفاريتي عليك!

تطلع له حازم بعدم استيعاب تخلله الأسى والحزن من
جفاء صديقه معه، و ردد بتأثر :

_ متعملش كدا يا عز، احنا مهما كان اصحاب

_ كُنّا !

نطق عز تعديله بحدّة قوية، ثم أردف بتأكيد :
_ كنا اصحاب ..

وتابع :

_ دلوقتي انت هتطلق مَيّ وتطلع من حياتنا خالص !

بدت الدهشة على ملامحه ونطق باحتجاج :
_ اطلقها !!؟ , بالسهولة دي كدا !؟!

لوى عز شفتيه بلامبالاة وهو يجيب بنفس جموده :

_ عادى .. هي نفسها السهولة اللي خونتها بيها بردو

صدح صوت حازم بانفعال :

_ انا مخونتهاش !! .. لا عملتها ولا عملها

أجابه عز بغلظة :

_ وانا مش هصدقك .. ويلا بقى مع السلامة!

•
لم تتحمل مىّ سماع مجادلتهم الحادة وأخففت
رأسها، واضعة كلتا يديها على أذنيها لتحجب
أصواتهما عنها قليلاً، ولاتزال الدموع تأخذ طريقها
على خديها دون فاصل

*

*

أخذ فخر خطواته فوق الدرج بثبات، مرتدياً قميصاً
أنيقاً من اللون النبيذى وبنطالاً من اللون البيج مع
احتفاظه بهندمة شعره ولحيته باهتمام .. وقعت
حدقتيه على أخيه الجالس فى ركن بعيد، وحده فى
ساحة المنزل، يحتسى مشروبه المعتاد (الشاي
بالحليب) ويعتلى وجهه ضمادتين طبيبتين ; واحدة
بجانب جبهته وأخرى أعلى خده الأيسر ..

تخطى آخر درجة أثناء تعليقه على تلك الكدمات :
_مسكت فى رقبة مين تانى ياسفيه يامراهق؟

أجابه زياد بملل :

_فكك بدل ما امسك فى رقبتك انت ياوغد يافاسق

ضحك فخر واقترب منه ليعبث بشعره وكأنه يداعب
جرؤه الصغير، فرفع زياد يده ليبعد ذراعاه وهو يقول
بتأفف :

_ اوعى ايدك هتنعكش لى شعري الجميل

عاد فخر يداعب شعره من جديد :

_ هو منعكش لوحداه أصلاً

فأبعده زياد مجددًا بعنف :

_ متربى فى منبع رخامة غور من وشى

اتسعت ضحكات فخر أكثر ولم يتركه وشأنه وواصل
نفس حركته ليغيظه، بينما يحاول زياد الحفاظ على
توازن يده الممسكة بالكوب الذى احتسى نصفه،

وحاول بيده الأخرى إبعاد أخيه عن طريق ضربه فى
ذراعه بقوة وهو يهدده :

_الشأى بلبن لو اتكبّ يافخر والله لاكسّحك فى السرير
ست أيام !

اكتفى فخر بهذا القدر وابتعد عنه وهو يقهقه بعنف ..
توجه إلى باب القبلا وهو يقول :

_أنا ماشي ..

_متجيش تانى !

ضحك فخر وتابع طريقه إلى الباب ولكنه توقف فجأة
على صوت يناديه لم يكن يود سماعه ..

انقلب وجهه إلى الحنق والتفت لها .. راقبها وهى
تقترب منه بجسدها الممشوق والمحدد بأحد فساتينها

المعتادة الضيقة وشعرها الطويل ينسدل خلف ظهرها

..

عقدت بسمة ذراعيها وهي تقول بحدة :

_ايه اللي عملته مع حنان ده؟

_ايه ده هي لحقت تشتكيني عند المدير؟

بادر فخر برده بكل سخريه، بينما ردت بسمة بغضب:

_انت مش من حقك تتعامل معاها بالهمجية دي، انت
فاكر نفسك اشتريتها ولا ايه؟

احتفظت ملامحه باللامبالاة أثناء إلقاء نظرة على
أخيه الذي يتابع الموقف بأعين حماسية تأمل أن
يقوما بضرب بعضهما ..

أعاد نظره لها ليقول بهدوء شديد :
_ انتِ بجحة اوى ..

ثم تابع :

_وتعاملك معايا على إني عيّل أهبل ده أغبي تصرف
ممکن تعمليه

اقترب منها بضع سنتيمترات على مهل وهو يطالعها
بنظرات غامضة مخيفة :

_حنان مش بتمشي خطوة إلا بأمرك انتِ ، والساعة
دى انتِ عارفة إنها غالية عندي وتهمني عشان كدا

قولتيها تاخذها عشان تحرقى دمى وخلص .. قلبك
بيرتاح لما بتشوفينى متتكّد ومتضايق دايماً

صاحت بحدة وهى تقترب منه لتطالعه بنظرات
تهديدية :

_خلى بالك من كلامك يافخر! ، انت كدا بتتهمني
بالسرقة وانا مش هسمح لك

رفع سبابته فوراً ليمنعها من الاقتراب قائلاً :

_توّ توّ إلى الخلف من فضلك!

أشار لها بالابتعاد بطريقة توضح اشمئزازه، متابعاً :

_جسدى يقشعرّ من ملامسة الجراد

ترك لها نظرة أخيرة غير مبالية أثارت استفزازها ثم
استدار وغادر المكان، بينما وقفت هي مكانها تحديق
في أثره بغضب وتوعد ..

التفتت لزياد لتراه يضحك بصمت ويحتسى مشروبه
بكل استمتاع ..

حرك بصره صوبها ليرى نظراتها الصارمة الموجهة
إليه، فقال ضاحكًا ببرود :

_ كل مرة بيديكي كلمتين زي دول ويردو مبتحرّميش
.. ياربى على البنى آدم وهو مش بيتعلم من غلظه
أبدا

*

*

*

بالمكتب الخاص بحازم فى الشركة، جلس هو بصحبة
فخر على الكرسيين المقابلين للمكتب، واستمع لحديث
فخر وهو يقول بعدما ترك هاتفه على المكتب :

_زیزو هیاخذ عبدالله من المدرسة هيقعد معاه شوية
أوما إيجاباً ووجهه يبدو عليه الغضب ولم يتوقف عن
هز إحدى قدميه بطريقة عصبية سريعة ،بينما استمع
لفخر وهو يواصل حديثه :

_بس انت بردو يا حازم طالما كنت عارفها باصة لك
من زمان ومش عارف ايه، أكيد كان لازم تفكر إنها
بتكذب وتستننى شوية بدل ما تتقلب على بوزك
وتجري على هناك !

نظر له حازم بطرف عينيه بضيق :

_ولو كان عبدالله عيان فعلا؟؟ يافرحتى ساعتها
بنصاحتي وابني يموت ..

وتابع بقلة حيلة :

_انا مفكرتش فى حاجة يافخر ، انا متعود ان مى
وعبدالله بيروحوا عندها كتير أصلاً دى مش جديدة ..
ولما قالتلى ده مبيتحركش ومبيردش صوتها كان
محسنى إنه حصل بجد وقلبي وقع .. انا معرفتش
اتلم على اعصابى لحد ما وصلت لها، معرفتش افكر
فى حاجة غير ابني، انت ليه مش فاهم!؟

_فاهم ياهازم والله فاهم، بس نرجس دى

لم يستطع إكمال جملته بسبب صياح حازم فى وجهه
بغضب جامح :

متنطقش اسمها قدامي خالص عشان انا لو شوفتها
مش هسيبها إلا لما روحها تطلع فى ايدي !!

عاد للخلف بفرع من صراخه وهو يقول :

خلاص انا آسف، سحبتُها خالص!

نهض حازم بغضب ووقف بوسط ساحة الغرفة وهو
يتنفس بعنف، وكأنما أصبح المكان حارًا ضيقًا يتسبب
فى اختناقهِ، ففتح زر إضافي من أزرار قميصه وهو
يتحرك بعدم ثبات فى مكانه وكأنه على وشك الانفجار
..

نظر له فخر متسائلًا باهتمام :

طب هو ايه الجديد مع مى؟

أجابه بسخرية :

_ عايزة تطلق طبعاً، أكيد مخدمتيش بالحضن!

هز رأسه بياس وهو يقول :

_ محدش مصدقنى! ، نصبولى المحكمة من غير ما
يدونى فرصة ادافع عن نفسي، زى مايكون متعودين
منى على كدا

_ اعذرهم يا حازم دي بنتهم بردو ولازم يخافوا عليها

ردد حازم بصوت حزين ومضطرب :

_ ايوة بس انا كنت محتاج اسمع كلمة "انا واثق فيك
ومصدقك" من حد

رفع فخر يديه فى الهواء وكأنه يجذب الانتباه له ليراه
، وقال وهو يعنيها بحق :

انا واثق فيك ومصداقك !

تطلع له حازم بصمت تام بعينين يقفز منها الحزن
الشديد وحاجبيه منعقدين بضيق واضح ، فى حين
نهض فخر وأردف مؤكداً :

انا عارفك تمام و عارف إنك متعملش كدا ..

ثم تابع :

وهما هيصدقوك بردو بس اديهم وقت شوية،
الموضوع لسة سخن بردو ومحدثش عارف يفكر
كويس

حرك رأسه نفيًا ببطء وكأن عقله لا يصدق ويجبره
على التفكير بأسوأ الأمور .. أخذت دمعة صغيرة
طريقها فوق وجنته وهو يردد باهتزاز :

_ انا بيتي هيتخرب بسبب غلطة انا عملتهاش حتى !

تتهد بتعب وأخفض رأسه ليغطّي عينيه بكفه بإحباط
والم ..

اقترب منه فخر بتمهل وأحاطه بذراعيه بلطف ، ضم
رأسه لصدره بهدوء وربت عليه عدة مرات وهو
يقول :

_ متقلقش .. متقلقش هتعدّي والله

هتف حازم بصوت مكتوم ظهر به تأثير دموعه :

_ كل حاجة باظت

عدّل فخر عليه بإصرار :

_ كل حاجة ليها حل ..

مسد فوق شعر صديقه بحنان واستطرد :

_ صدّقتى الموضوع هيرجع لطبيعته ومش هيحصل
طلاق ولا حاجة، مش هتوصل لكدا خالص متخافش

..

زفر بهمّ وهو يتطلع من حوله بقلة حيلة، خيم
الصمت لثوان طويلة حتى ابتعد حازم وعاد للخلف
وهو يمسح وجهه بيديه ، بينما نطق فخر بغموض :

_ بقولك ايه .. هي نرجس دي ساكنة فين؟

*

*

*

اتجهت نرجس إلى الباب لتجد شخصًا يبدو مألوفًا لها
قليلاً .. يبتسم لها ابتسامة صافية ويقول :

مساء الخير .. انا صاحب حازم وعايز اتكلم معاك
شوية، ممكن؟

اعتلاها التعجب بوضوح وحركت رأسها باستفهام ،
فأردف فخر :

مش جاي اسمّك كلمتين ملهمش لازمة، بالعكس
انا جاي لمصلحتك

تضاعف الاستغراب أكثر وطالعهته بعدم فهم ثم سمحت
له بتردد :

اتفضل

دلف فخر بهدوء، عدل ساعة يده المعلقة بمعصمه الأيسر وهو يأخذ نظرات عامة على شقتها العادية ..

استدار لها ليراها تترك الباب مردودًا، فقال :

اقفلى الباب انا مش هاكلك ! ، متخليش اللي نازل والى طالع يسمعنا

لم تتحرك من جانب الباب ولم تتصت لأمره وسأته بحدة :

انت عايز ايه !؟

انا عايز اساعدك تقرّبي من حازم !

قطبت حاجبيها بدهشة ، فيما ابتسم هو بثقة وقال :

_ اقلبي الباب وتعالى اسمعى بقى

ترددت عينيها فى الأرجاء بحيرة، ثم استقرت على
الاستجابة له وأغلقت الباب ثم اقتربت منه حتى وقفت
أمامه وقالت :

_ هو انا شوفتك قبل كدا؟

_ اه ممكن فى الصور العائلية اللي بتنزلها مى .. ما
انا قولتك صاحب حازم، واحنا أقرب لـ اخوات كمان
مش اصحاب، مع بعض أغلب الوقت

وضع يديه فى جيوب بنطاله مطلقاً زفيراً طويلاً ثم
قال :

**_بصى انا عاذرك .. أى نعم مكانش تصرف ذكي منك
خالص بس بردو فاهمك ، ده أكيد طلع منك من حبك
لحازم مش عشان حاجة تانية .. وانا عارف طبعًا لو
حد حب حد بيعمل أى حاجة عشان يبقى معاه حتى لو
بتصرفات غلط غصب عنه**

ثم تابع تحت تركيزها التام معه :

**_ف انا بقى جاى اتفق معاك على كام ترغاية كدا
تقربك من حازم وتنسيه اللي حصل ده
حدقته بعدم استيعاب لبضع لحظات ثم تساءلت
بسخرية :**

_ده بجد؟

أجابها بجمود ولا مبالاة وامتلت نبرته بالملل :

_وشى بيقول إنها نكتة؟

لأنت بالصمت وهى توزع أنظارها من حولها بتفكير
ثم مدت يدها قائلة :

_مممكن موبايلك؟

تساءل بعدم فهم :
_ليه؟

ردت بحدة :
_موبايلك !

_مممم

غمغم بفهم وهو يلوى شفتيه بعدم اكتراث، وأخرج
جوّاله من جيبه وأعطاه لها ، فأخذته وقامت بإغلاق
التشغيل تمامًا، ثم انتشله من يدها وهو يقول بملل :

_ارتاحتي كدا؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تقول :

_معلش انت مهتم تساعدني ليه يعني؟

_قولتلك حازم اخويا ومصلحته تهمني ، وانا متأكد
إن مصلحته هتبقى معاك حتى لو هو نفسه مش
مقتنع ..

ثم أضاف بمقت واضح :

_مى متفئش لحازم؁ ومن أول ماقرر يتقدم لها وانا
عمرى ما اقتتعت بيها .. عمرها ما حبتة بجد ولا
خافت عليه ..

مى أنانية وكل اللى بيهمها نفسها وإنه يعمل لها اللى
هى عايزاه وخلص من غير ما تقدم له هى حاجة

صمت للحظة ثم أضاف :

_إنما انتِ بتحبينه بجد ، مش كدا؟

تتهدت بتعب و ردت بقلة حيلة :

_اكثر ما انت متخيل بكتير

ضيق عينيه متسائلًا :

_مع إنه يعنى مكانش مديكى ريق حلو

بدا عليها الحزن وهى تجيب :

وپردو معرفتش اطلّعه من دماغى

ضحك باستهزاء وقال :

بس مكانش له لازمة بردو ال show اللى عملتية
ده ..

مش عشان مى خالص هى متهمنيش .. بس حاجة
زى دى أكيد سابت حاجة فى نفسيته بردو، بتتهميه
إنه اتهجم عليكِ وبتاع!، مش حلوة.

ردت بحنق :

معرفتتش افكر كويس بقى ، لما لقيته رفضني
بالطريقة دى اتغاظت وكنت عايزة اعاقبه بأى حاجة
وخالص

طالعتة بنظرات حزينة بشدة واستطردت :

بس انا بجد ممكن اعتذرله على ده لحد ما يسامحني
.. قول له إني فعلا مكانش قصدي، انا بس أسلوبه
معايا زعلني شوية ف خرج مني رد فعل مش
محسوب .. بس ده مش معناه إني هحب اضايقه والله
خالص، بالعكس ده انا اتمنّاه الرضا يرضي!

رمقها بنظرات غامضة للحظة .. اثنتين .. ثلاثة
تدرجياً اعتلته ابتسامة واسعة .. ابتسامة قمة في
الغرابة حتى أثارت بداخلها التوجس والريبة ..

تحرك بهدوء تام إلى باب الشقة وفتحته على مهل،
لتظهر من خلفه (مى) !
واقفة كالصنم، جمود غريب يبدو على وجهها وهي
تفرّق نظرها بينه وبينها ..

اتسعت عيني نرجس بذهول وعجزت عن التحرك
إنشأً واحداً ..

دلفت ميّ بخطوات بطيئة ولكن ثابتة، ثابتة على
عكس التخبط والتشتت الذي سيطر عليها من الداخل
..

وقفت بمواجهتها ، تطالعتها بالعديد من النظرات
المختلفة من صدمة وحزن واستحقار .. تعبيرات
وجهها ثابتة ولكن عينيها تنطق بكل شيء .. لمعان
حدقتيها عبر بوضوح عمّا بداخلها من ألم وحزن ،
خرج صوتها متحشرجاً وكأن الحروف توقفت
بحلقها:

_بتحبي جوزى يانرجس؟

اعتلتها ابتسامة ساخرة، وتابعت بعدم تصديق :
_مكانش عندك مشكلة تهدي حياتي عادي عشان
نفسك!؟!

أعدت طرف حجابها للخلف وهي تتطلع من حولها
بعدم استيعاب ، بينما شعرت نرجس بأن لسانها مقيد
تماماً ولم تعلن نظراتها عن رد فعل واضح ، فيما ظل
فخر واقفاً عند الباب يراقب المشهد بوجه خالٍ من أى
تعبير ..

تحولت ملامح مى تدريجياً .. انمحت معالم الضعف
والحزن وأظلمت حدقتيها بغضب عميق ، تضاعفت
الحدة على وجهها وازدادت جموداً .. وبظرف لحظة
كانت تسقط يدها على وجنتها لتطبع عليها صفة
قوية خرجت فيها كل ماتحمل من غضب وكل ما
تحملته من ألم طوال اليومين السابقين ..

الفصل الواحد والعشرون {وقع في المحذور}

قبل بضع سويعات كان فخر يدق فوق باب الغرفة
بعنف وهو يناديها :

_مي ! ، مي اطلعي هنا حالاً يلا لازم نتكلم

وقف رؤوف بجواره يتساءل بعدم فهم :

_ما تفهمني يا بني في ايه؟

رد فخر بتعجل :

_معلش يا خالي استنى وهشرح لك بعدين ..

عاد يطرق على الباب وهو يهتف بإصرار :

انا مش هتحرك من هنا إلا لما تطلعي يامىّ ..
قصرّيتها واطلعي دلوقتي وخلصينا

مرت ثوانى معدودة وقبل أن يعود لقرع الباب من جديد سمع صوت مقبض الباب، فكبح يده عن متابعة الطرق وراقب فتح الباب ببطء لتظهر من خلفه بوجهها الشاحب من أثر البكاء وهى تلف حجابها باهمال، وطالعتة بعدم اهتمام، فنطق مباشرةً :

عايزك فى مشوار مهم

غلبها التعجب وقطبت حاجبها بتساؤل، فأردف :

لو اللى فى دماغى مشي زى ما انا حاسبها يبقى
كل حاجة خلصت إن شاء الله .. البسي وتعالى معايا
يلا

بعد وصول فخر إلى شقة نرجس ، كانت مي مختبئة
خلف السلم التابع للبناية تستمع لصوت حوارهما من
بعيد .. وثم ما إن أُغلق الباب حتى تحركت واقتربت
من الباب لتسمع حديثهما _ كما أمرها فخر_ ..

*

*

*

عودة للوقت الحالى ..

أسندت رأسها على نافذة السيارة وعينيها الحزینتین
شاردة فی الطريق ، لم تنظر تجاه فخر الذى يقود
السيارة بجوارها ويلقى عليها نظرة بين الحين والآخر
.. تغزوه الحيرة عمّا يجب قوله ليخفف عنها صدمتها
فی صديقتها المقربة والوحيدة ..

استمرت وصلة طويلة من الصمت قطعها هو بصوته:

_ انتِ تمام؟

لم تتحرك قيد أنملة واكتفت بالرد دون أن تنظر له :

_ مش عارفة

صمتت للحظات .. تراكت العبرات بمقلتيها شيئاً

فشيئاً وهي تردد بندم :

_ هقول لحازم ايه ولا هكلمه ازاي؟ انا موثقتش فيه

على قد ما بيتق فيا ..

تحشرج صوتها أكثر عند نزول أولى دمعاتها :

_ انا خذلته!

رد فخر باستنكار :

_مش للدرجة دى يامى خذلتيه ايه وهبل ايه؟ انتِ
معذورة ومحدث له حق يحكم عليكِ ، وحازم أول
واحد مش هيغلطك ولا هيلومك وانا اضمن لك ده ..
صدقينى ده أول ما يشوفك بتضحكي بس فى وشه لا
هيكلمك فى حاجة ولا هيفتح الموضوع أصلا وهيعتبر
ان مفيش حاجة حصلت

أطلقت زفيرًا مطولاً ولم تحيد بنظرها عن نفس النقطة
التي شردت بها منذ بداية الطريق ..

استمعت لسؤاله يقول :

_عايزة تروحي فى حتة ولا نرجع لخالي؟

حركت رأسها لتتنظر له بحيرة .. يطالعها بطرف عينيه
بترقب بينما يبذل نظره بينها وبين طريقه .. ينتظر
سماع كلمة معينة، وقد حققتها له وقالتها :

_ لا .. وديني بيتي

ابتسم بهدوء شديد وركز نظره مع الطريق .. ابتسامة
عبّرت عن سروره بتحقيق ما سعى له منذ البداية ..

رائعة نكهة الانتصار ! .. حتى فى أصغر الأشياء لا
تفقد لذتها أبدًا ..

- .
- .
- .

وصل لوجهته أمام البناية المقصودة، وبمجرد توقّف
السيارة أخرج هاتفه فورًا وطلب رقم أخيه والذي لم
يتأخر عليه بالرد، فهمّ بالتحدث :

_ايوة يازيزو .. اسمع، عبدالله هيبات عندنا النهاردة
، لو حازم كلمك عشان يجي ياخده قول له إنه هيقعد
معانا وصمم على كلامك ..

راقبته مي بعدم فهم، بينما طالعها هو بابتسامه واثقة
وهو يجيب على زياد :

_لا أصل حازم ومي مش فاضيين النهاردة ..
ارتفع حاجبها باستنكار فضحك ، ثم واصل مكالمته
بتأفف :

_اقفل يازيزو يخربيت غباوتك! اعمل اللي بقول لك
عليه وخلص .. يلا سلام

أغلق الهاتف ثم نظر لها متحدتًا :

سَرَّحت لك الواد الصغير اهو، اختلي بالراجل بقى ..
اعمليله أكلة حلوة واتعشوا سوا ، شوفوا فيلم بتحبوه
،قضوا ليلة رايقة لوحدكوا كدا تتسيكوا يومين الكئابة
الى فاتوا دول .. ومنتكلميش فى الموضوع النهاردة
ولا تتناقشي، واوعدك هو نفسه مش هيتكلم خالص،
انا عارف حازم ..

ظهرت على محياها ابتسامة ممتنة كثيرًا وقالت :
شكرا يا فخر، انت أجدع أخ فى الدنيا والله ربنا
يخليك

ابتسم بهدوء وأوماً قائلاً :

يلا يلا انزلي عشان تظبطي نفسك قبل ما يرجع، لو
قابلته بكرة لقيته لسة قالب وشه هنخطف ابنك على
فكرة

ضحكت بخفة وفتحت باب السيارة ثم ترجلت منها
بعدها قالت :

_خَلِّيْ بِاَلِكْ مِنْ نَفْسِكْ .. سَلَامْ

*

*

_اَيُوَّة اِيَه لُزُوْمَه الْبِيَاتِ دَه يَعْنِي مَشْ فَاهَمْ؟

رَدَدْ حَازِمْ بِسُؤَالِهْ وَهُوَ يَقُوْدُ سِيَارْتَهْ بِيْدٍ وَيَرْفَعُ
بِالْآخْرَى هَاتْفَهْ عَلَى أذْنَهْ ..

.

.

وقف زياد بجانب النافذة تاركًا عبدالله يقفز فوق
السريير بحماس، وأجاب :

_ ياعم هو الواد بيحبنا وعايز يقعد معانا، فيها ايه؟
هو احنا أغراب؟

صاح عبدالله دون أن يتوقف عن القفز :
_ لا انا عايز اروّح البيت، مش عايز اقعد هنا

_ الواد مصمم يقعد يا حازم متكسرش بخاطره وخليه
يقعد

بادر زياد برده فورًا ولم يلقِ اهتمامًا لذلك الصغير
المشاغب، ثم أغلق المكالمة بنفاد صبر :

_ اتكل على الله بقى متصدعناش .. سلام

أغلق الهاتف ثم التفت لهذا الذي يقفز بكل قوته
وتعتليه ضحكة عريضة مستمتعة، وخصلات شعره
الناعمة تتصاعد وتهبط مع حركاته ..

هتف زياد بملل :

ما تنزل يالا من على السرير انت فاكر نفسك فى
الملاهي ولا ايه؟

استجاب عبدالله لطلبه ولكن لم ينزل على الأرض، بل
قفز عليه ليتمسك بعنقه بقوة، فالتقطه زياد بين يديه
وهو يتوجع من رقبته التى شعر بها قد التوت، بينما
هتف الصغير بصوت حماسى :

لف بيا وطوحنى شوية

انا بتطوح خلة ياخويا، الفّ ايه؟

صرخ الصغير بصوت مرتفع :

_عشان خاطر يبيبي

أغمض زياد عينيه بانزعاج شديد من صوته الذى
اخترق أذنيه حتى أوشك على تدميرها .. ثم صاح به:

_انت جايب الصوت ده كله منين!؟!

رفعه زياد بيديه ليجعل ساقيه يلتقا حول خصره، ثم
اقترح قائلا :

_بقول لك ايه .. تيجى نجيب اندومي انا وانت ومريم؟

هز عبدالله رأسه عدة مرات وذراعيه لاتزال متعلقة
برقبة زياد، ونطق بحماس :

_ايوة ايوة، وخالو فخر معانا

أجابہ زياد بابتسامة مضجرة :

_ لا خالو فخر ده يا حبيبي راجل فقري .. لو عرف إتنا
جبناه هيطلع يجرى و رانا .. مش عشان خايف علينا
لا احنا نوع عادي، بس عشان بيكره ريحته أكثر ما
بيكره بسمه، شوف درجة الكره بقى واصله لفين؟

_ ليه دي جميلة

ردد زياد باستنكار شديد :

_ بسمه؟!!

_ لا ريحة الاندومي

هز رأسه برضا وهمهم قائلاً :

_ اه كدا .. كنت هخبط دماغك بحاجة دلوقتي بس

لحقت نفسك

*

*

*

خرجت ياسمين إلى ساحة الشقة لتجد والدتها جالسة
على أحد المقاعد، فقالت :

_ نعم ياماما، بتنادي؟

_ ايوة عايزاك تفضي نفسك بكرة بحواراتك بمشاريعك
بالصداع ده كله، عشان هتنزل بكرة

_ فين؟

_ هنروح نشتريلك شوية لبس .. حاجة عدلة غير اللي
عندك عشان انا زهقت

تساءلت بعدم فهم :

_زهقتي من ايه؟

نهضت ناهد وهى تقول بضجر :

_من النزول والكلام مع زيزو اللى مبيخلصش .. انا
عايزة اى خطوة فعلية، شغل العيال ده مش هينفع ..
بكرة هنجيب لبس جديد كدا شيك عشان يتشدّ لك
شوية وينجز بقى ويعمل حاجة

شعرت ياسمين بدمائها تغلي فى عروقها و ردت
بانفعال طفيف :

_ماما ارجوك كفاية بقى انا تعبت .. حرام عليك انت
مش عارفة بتحسسيني ب ايه كل ما بتقولي كدا،
ارحميني بقى!

تعجبت ناهد من نبرتها وهتفت باستنكار شديد :

_ ارحمك؟؟

أجابت ياسمين بعصبية ظهرت بنبرتها ولكنها حافظت على انخفاض صوتها رغم ذلك :

_ اه ياماما .. تعتقيني لوجه الله شوية .. تحاولي مرة واحدة تحسسيني إني غالية حتى لو من ورا قلبك!

أدمعت عينيها بتأثر شديد وهي تخرج كل ما تكبته منذ سنوات :

_ ليه بتعامليني بالطريقة دي؟ ، ده انا حتى بنتك الوحيدة

ليه مبتخافيش عليا؟

بشوف البنات أمهم بتحسّسهم إنهم غاليين ومش أى حد يقدر ينولهم .. لكن انتِ بتعملي ايه؟ بتشوفي مين معاه فلوس عشان ترميني ليه

ثم تابعت بيقين وحرز بالغ :

انا متأكدة لو زيزو كان واحد على قدّه عمرك ما كنتِ هتقبلي اقرب منه .. ولو كان واحد زبالة وأخلاقه زفت وهيعيشني فى تعاسة باقي عمرى مش هيفرق معاكِ وهتسيبيني معاه عادى طالما معاه فلوس

وأضافت بعزم :

**_بس انا جبت أخرى خلاص .. ومش هستحمل
الطريقة الرخيصة اللي بتعرضيني بيها قدامه كأنك
بتبيعي سلعة عندك .. انا اكتفيت !**

**ختمت كلماتها بتأوه مرتفع أثر صفة قوية تلقته من
ناهد، ألحقت بيدها تقبض على شعرها بعنف وهي
تهتف بغلظة وغضب :**

**_ده انتِ نسيتي نفسك خالص وخذتي على أمك اوى!
، مين اللي اداكي حبوب الشجاعة دي وجابك تقفي
قدامي تقولي الكلمتين دول؟!**

وجهت لها صفة أقوى عن السابقة وهي تتابع :

**_انتِ فاكرة نفسك ايه يابِت؟ فاكراي مش هعرف
اكسر رقبتك ولا ايه؟! انا مش مخلّفاكي عشان
تخرجي عن طوعى .. ولو حصل و عملتيها هدفنك
مكانك !**

شرعت ناهد فى ضربها بعنف وقسوة دون الالتفات
لصرخاتها المتألّمة تحت يديها الخشنتين، لتخرج بها
كل ما حملته من غيظ تجاه هذه الكلمات ..

يبدو أن الحقيقة تغضب الكثير من الناس فعلاً، حتى
يصل بهم الأمر إلى محاولتهم إجبار الآخرين على
إنكارها

*

*

دخل حازم إلى شقّته وأغلق الباب من خلفه على مهل
.. سار خطوتين وتوقف عند الثالثة عندما وجدها آتية
من الداخل .. خطواتها بطيئة مترددة تبدو منها
حيرتها .. تضم قبضتيها ببعضهما وتفركهما بتوتر ..
مرتدية منامة ذات لون بنفسجى فاتح من خامة
الستان مكتملة الأكمام وتترك شعرها البنى منسدلاً
بأكمله ..

بدا عليه الاندهاش من وجودها ولم يحرك ساكناً، فقط
ارتكزت عينيه عليها، وأول ما مرّ على باله أنها هنا
لمعاتبته وتوبيخه على فعلته التي لم يفعلها ..

ولكن لحظة!

لا يبدو عليها ذلك ..

نظراتها لا تحمل أى نوع من أنواع اللوم ، فقط
يغزوها الحزن و .. الندم!!؟

ما الذى فعله فخر؟ أيمكن أن يكون قد نجح بجعلها
تصدقته؟

خرج عن تفكيره وشعر بأنه متشجع قليلاً على
التحدث ولكن لم تتكون معه الحروف رغم ذلك، لا

يطاوعه عقله على فتح الموضوع إلا لو بادرت هي
بالتحدث وحسب ..

فقرر انتظار سماعها أولاً ..

تعَلَّقت أنظارهما ببعضهما لوقت لم يعلماه ، هو يعلوه
الحيرة وهي تحاول منع دموعها من النزول ..

لم يتطلب منها الأمر أن تلفظ ما بداخلها، هو بالفعل
شعر بها ..

رأى احتياجها له .. رغبته في معانقته .. رجاءها ألا
يرفضها ..

رسم ابتسامة صغيرة على محياه أتبعها باقترابه منها
على مهل، باعد بين ذراعيه قليلاً ؛دليلاً على ترحيبه
بها ، وفي لحظة واحدة كانت تركز صوبه حتى

ارتمت بأحضانها ; كمن وجد الماء بعد أيام حالكة من
العطش ..

اشتاقت لرائحته كما اشتاق لعبيرها ، دفن رأسه بين
ثنايا عنقها وضمها بقوة على قدر شوقه لها .. مرت
الساعات من دونها وكأنها شهور ، والآن يقيدها بين
ذراعيه كما لو أنها ستهرب منه وتبتعد مجددًا ..

لم يدري أنها بالأساس تود الهروب من العالم بأكمله
وتبقى بين ذراعيه أبد الدهر ..

خرج منها همسًا خفيًا بجوار أذنه لم ينطق سوى
بجملته صغيرة ، أخرجت فيها القليل من شعورها
بتأنيب الذات والحزن :

انا آسفة

شش ششش

غمغم بخفوت وهو يمسح فوق شعرها بأنامله بلطف
ثم أردف بهمس شديد وصوت حنون :

انسي كل ده .. انا مبسوط إنك جيتي

أسحرتها نبرته الهادئة وجملته التي اختصرت الكثير،
أحست بشفتيه تقبلان وجنتها بهدوء شديد، ثم عاد
للخلف قليلاً ونظر بداخل عينيها بابتسامة واسعة ..
ابتسامة حفرت بداخلها الاطمئنان والراحة بشكل
عميق وقوى

*

*

*

حاولت ياسمين ضبط توازنها بعدما دفعتها أمها إلى
الغرفة بعنف ..

أخذت ناهد الهاتف من فوق الكومود، ثم خرجت
وأغلقت الباب ..

وقفت ياسمين في مكانها تتسدل دموعها بشهقات
مرتفعة، وهي تستمع لصوت المفتاح يتحرك في الباب
مختلطاً مع صوت ناهد المتوعد :

انا هربيكي من أول وجديد يا ياسمين .. وابقى
ورينى هتقفي قصاد امك بعد كدا ازاي !

غادرت والدتها بعد تأكدها من حبسها بالداخل ..
أصبحت أنفاسها غير منتظمة أثناء البكاء ولم تقدر
على التحكم بدموعها ، نظرت تجاه المرآة لترى

شعرها الأشعث ووجهها الملطخ بالجروح والدماء،
وكأنها خرجت للتو من معركة مع حيوان برى ..

انكسر قلبها كثيرًا .. ؛لأول مرة تقسو أمها عليها بهذا
الشكل حتى وصل بها الأمر إلى صدم وجهها بطرف
الكرسي الخشبي أثناء الشد والجذب ومحاولتها للفك
من يدها ..

أهذا الحد أثارت كلماتها جنونها؟؟

تضاعفت العبرات أكثر وارتفع صوت بكاءها وارتمت
على سريرها بوهن شديد ، وانفجرت بنحيب شديد
ووصلت من البكاء استمرّت لوقت لم تعلمه ...

*

*

*

صباح اليوم التالي ..

.
تحدث حازم مع عبدالله عبر الهاتف وهو يجلس
بمكتبه فى الشركة، تحديداً فوق الكرسى الذى يمكث
خلف المكتب وهو يقول :

_ لا يا حبيبى انت خليك قاعد مع مريم وماما هتيجي
تاخذك ..

صمت قليلا ليستمع له ثم قال :

_ ماشي حاضر هكلمها دلوقتي .. سلام

أغلق معه الخط ثم قلب بالهاتف قليلاً قبل أن يسمع صوت قرع الباب فنطق بعدم اهتمام دون إبعاد نظره عن الشاشة :

ادخل

فُتح الباب ببطء شديد عبّر بوضوح عن تردد الضيف، فرفع حازم عينيه له , كان (عز)!
ضم عز شفتيه للداخل ورفع حاجبيه الاثنين بقلة حيلة ; كان يتوقع أنه سيلومه أو على الأقل سيصمت ويطالعه باستياء ، ولكن على العكس ارتسمت فوق وجهه ابتسامة صغيرة وقال :

أول مرة تيجي الشركة

تحدث عز مباشرة وهو ينفخ بملل ويتقدم صوبه :

بص انا جاى اصالحك من الآخر عشان انا عارف
انا كنت سخيف معاك ازاي ..

جلس على أحد الكرسيين المقابلين للمكتب واستأنف:

بس يعنى كنت عايزاني اعمل ايه لما اختى تجيلى
وتقول لى إنها شافت جوزها بعينيهها رايح عند
صاحبتهها .. أكيد مكنتش هقف ضدها معاك .. انت لو
مكاني كنت عملت كدا بردو صح؟

نطق حازم بهدوء :

انا فاهم يا عز ومش زعلان منك والله عادي ..

رمقه عز بترقب للحظات ثم أحنى رأسه قليلاً وهو
يتساءل :

يعنى احنا لسة اصحاب ؟

ابتسم حازم ببساطة وأجاب :

_ مستحيل نبقي غير كدا.

ثم أضاف :

_ انا كنت مقدر موفقك ومزعلتش ولا حاجة .. انسى
الحوار ده كله خلاص

رفع عز يده بحقيبة بلاستيكية بيضاء اللون ووضعها
أمامه وهو يقول :

_ طب انا جبت لك دول

سأله حازم :

_ ايه دول؟

_سندوتشين جبنه اسطنبولى

رد حازم باحباط :

_جاي تصالحنى بسندوتشات جبنه؟؟

بينما رد عز بحماس :

_فى واحد مربى معاهم عشان تحلى بيه

_انت مواركش غير الأكل يابنى آدم؟! ماترحم بطنك!

أجاب عز وهو يهّم بالنهوض :

_يا عم انا ماشي وهريحك منى ومن بطني

_ماتقعد اشرب حاجة

توجه إلى الباب وهو يهتف :

لا ورايا شغل ومتأخر ..

وقف عند الباب وقبل أن يخرج أشار له قائلاً :

هنتجمع النهاردة فى المركب زى العادة ها؟
متأخرش وهات معاك شوية سوداني

ضحك حازم وأوماً بالموافقة :

اتفقنا ...

.
.
خرج عز من الشركة صوب الشارع ثم صدح صوت
رنين هاتفه، فأخرجه من جيبه ونظر بالرقم
المجهول، تمهلت خطواته قليلاً وهو يجيب :

_ الو ... ايوة مين حضرتك؟

_ انا رنا ياعز

_ ايه ده رنا ازيك؟ معلى معرفتش صوتك اخبارك
ايه؟

_ الحمد لله تمام، ازيك انت؟

_ الحمد لله .. خير فى حاجة ولا ايه؟

_ لا مفيش .. انا خدت رقمك من غير ما مريم تعرف ،
وعايزة اكلمك بخصوصها بس

صوب انتباهه لها بالكامل وتساءل باهتمام :

_مالها؟

_هي كويسة .. المشكلة في إيد

ظهر على وجهه الملل وهو يتابع السير ببطء، ونطق
بملل :

_خير؟

_بص يا عز انا مش مرتاحة لإيد خالص بصراحة،
هو تبع شلّتنا اه وصاحبنا من زمان، بس من ساعة
ما قرّب من مريم وانا حاسة إنه مش سالك وبيلف
ويدور وبيكذب ..

وأضافت :

_انا فكرت في الأول اكلم اخواتها بس رجعت في
كلامي عشان عارفة هما بيخافوا عليها ازاي ولو
قولت كدا وشكّتهم فيه مش بعيد يعملوا فيه حاجة،

وده مش حل وهيعمل مشاكل أكثر .. ده غير إني
عارفة إنها بترتاح معاك فى الكلام أكثر من أى حد

ترددت عينيه فى الأنحاء بحيرة أثناء استماعه لبقية
حديثها :

_ انا عايزاك تخلى بالك منها يا عز .. كلمها كثير
واعرف طول الوقت هى فىن وبتعمل ايه ، انا لما
بعمل كدا بتقول لى انتِ بتخنقيني .. بس هى عمرها
ما هتضايق لو السؤال جه منك، انت مش عارف هى
بتعزك قد ايه وبتقدرك ازاي ..

تتهد بهمّ وأنهى الحوار بكلمة واحدة :

_ حاضر

*

*

*

أمام كورنيش النيل حيث قاربت الشمس على المغيب

قعد مروان بقى يزنّ عليا وهننزل يعنى هننزل ومش
عارف ايه، وانا أصلاً راجعة من الشغل مفرهضة
الحيوان مش بيحس بيا أبدا ونزلني بالعافية بردو .. ،
وفى الآخر مجابش حاجة وانا اللي اشتريت ولفقته
المول كله لحد ما ندم إنه خدني .. وأخرتها بعد
المرمطة دي كلها رجعنا بقلم روج وكيس دوريتوس

ظلتّ جهاد تثرثر بأحداث يومها السابق باندماج
واضح، تحت نظرات فخر التي تعلن عن اهتمامه بما
تقول ، منحنيًا للأمام قليلاً ليُسند مرفقيه على فخذه
ويدير رأسه لها وهو يطالعها بانصات وتركيز ..
التزمت الصمت بعدما انتبهت للصداع الذي تسببت به
في نظرها ، وضحكت ببعض الإحراج :

_سوري وجعت دماغك

أسرع ينفي قائلًا :

_لا لا كملني ..

تابع مبتسمًا بهدوء :

_انا بحب اسمع الحكاوي بتاعتك كلها

سرعان ما تسالت ضحكتها الواسعة إلى محياها ..
تلك الضحكة التي يقسم أنها تتسبب في إذابة قلبه كلما
رآها تُزيّن وجهها البديع ..

نطق ما ان تذكر شيئًا ما :

_صحيح انا شوفت تفاصيل المكاتب اللي بعنتيها ،
واتواصلت مع اتنين منهم .. واحد فيهم رد عليا
وحددت معاهم معاد انترفيو كمان

ارتفع حاجبيها بدهشة وهتفت بسعادة :
_بجد !؟

ثم استطردت :

_طب يامسهل يارب إن شاء الله تتوفق فيه وتتقبل ..
انا متفائلة على فكرة وعارفة إنك شاطر وأكيد ربنا
هيكرمك

ابتسم بامتنان وقال :

_بالمناسبة دي انا جيت لك حاجه بقى

ظهر عليها التساؤل والفضول، فنهض واقترب من
سيارته المصطفة بجوارهم وفتح بابها .. مال بجذعه
قليلاً ليحضر منها حقيبة بلاستيكية تحمل شيئاً ذو
شكل متوازي مستطيلات ..

عاد إليها وجلس بجانبها وأعطأها لها .. تناولتها
على مهل وفتحها لتستكشف ما بداخلها .. أصدرت
شهقة خفيفة وصاحت بسرور :

علبة مورو مرة واحدة؟!!

رفعت عينيها له وتساءلت بدهشة :

ليه كدا؟

أجاب بابتسامة عابثة :

_دي زى ماتقولي كدا وسيلة شكر لتعبك فى البحث
عن مكاتب الهندسة ..

_يابني ما انا أصلا عملت كدا عشان اردّ لك جمالك،
تقوم تردّ الردّ بتاعى؟

_دى مش حاجة على فكرة، انا بس بقول شكرا

_شكرا بلسانك كانت كفاية وخلص مكانش له داعي
تكلف نفسك .. طب كنت سببتها حلاوة القبول حتى

_وهو انا ضامن اتقبل؟ .. ده انا لو اتقبلت هيبقى فى
حلاوة أحسن من دي خالص

ضحكت مازحة :

_ايه هتجيب لى علبتين؟

حرك كتفه بقلة حيلة، مجيبًا :

والله لو ده اللي هيفرّحك هجيب لك ستّة

اتسعت ضحكتها حتى أوشكت على تخطي حدود
وجهها من فرط سرورها بكلماته الصغيرة .. بحق الله
من أين يأت بكل هذا اللطف؟

لم تملك سوى الكلمات للرد عليه، رغم أنها لا تكفي
مطلقًا للتعبير عن مدى امتنانها لزرع البهجة بنفسها
هكذا :

شكرا يافخر بجد انت شخصية جميلة وطيبة اوى،
يا بخت أى حد يعرفك والله

اكتفى بالرد بابتسامته المميزة المعهودة وظلت عينيه
معلّقة عليها قليلاً تطالع عينيها الواسعتين المزيّتين
بالكحل كعادتها، حتى أشعرها بالخجل فابتسمت
بنعومة، وأشاحت بنظرها بعيداً لتطالع النيل أمامها ..
سحب الهواء شعرها للخلف لتتطير خصلاته الطويلة
السوداء، وعمّ الصمت للحظات طويلة حتى نطق فجأة
وهو ينهض على عجلة :

استتي، انا جت فى دماغي حاجة دلوقتي حالاً

لم تكذب تبادر بالسؤال حتى تحرك من أمامها بسرعة
وهرول إلى سيارته مجدداً ليحضر منها دفتره ثم عاد
إليها سريعاً وجلس مكانه .. أمسك بقلمه بيمنه وفتح
صفحة بيضاء جديدة ثم شرع بالكتابة ..

ظلت حدقتها مثبتة عليه، واعتلتها ابتسامة صغيرة
وهي تراقب تركيزه الشديد فيما يكتبه بتمهل ؛حتى لا
يفقد تناسق خطه المميز ..

انتهى من تدوين عبارته، ثم نظر لها ومدّ يده بالدفتر
وهو يقول مبتسمًا :
_حاجة جديدة طازة

ضحكت وأخذته لتقرأ ما كتب بداخله :

"لا يجب أن تكون سوى الجوهرة الثمينة والنادرة ..
يُقطع لها آلاف الأميال ولا تتزحزح هي البتّة"

ظهر عليها الإعجاب الشديد و رددت بابتسامة
واسعة:

_ايه الرقة دى؟ ، بجد روعة اوى

أعدت نظرها له وتساءلت بمشاكسة :
_ هي مين بقى دى اللي غالية ومهمة اوي كدا؟

رد بلامبالاة :

_ لا عادي ده كلام بس بيجى فى عقلي ف بكتبه
حسنًا أيها الكاذب الصغير، سندّعي أننا نصدق هذا
الهرء ونتظاهر أننا لا نعلم من هي حقًا ...

*

*

*

أتى المساء ..

خرج حازم من غرفته استعدادًا للنزول، ممسكًا
بمفاتيحه مع هاتفه بيده اليمنى ..

تباطأت خطواته شيئاً فشيئاً حتى توقف تماماً ليراقب زوجته من بعيد ..

تجلس بالشرفة فوق كرسي بلاستيكي ، ترفع قدميها عليه لتلتصق بصدرها وتحيطها بذراعيها .. لم يرى وجهها بسبب تحديقها بالشارع ولكنه استطاع إدراك شهقاتها الخفيفة التي تنطلق منها رغماً عنها ..

تتهد بحزن وسار ناحيتها حتى لاحظته ميّ، فأنزلت قدميها على الأرض ومسحت وجهها بكفيها ؛كمحاولة فاشلة لتبدو طبيعية ..

يقابلها كرسي مشابه لخاصتها، فشغله هو ونظر لها عن قرب وهي تشيح بنظرها عنه، وهتفت بنبرة عادية :

_ خارج؟

بينما نطق هو مباشرةً :

_مى انا مش عبيط فكك من التمثيل ده !

استقرت عينيها الدامعتين عليه للحظات، ملأت
صدرها بالهواء ثم أفرجت عنه بعدم ارتياح، وكان
حزنها يعيق عليها عملية التنفس ..

اهتز صوتها من البكاء الذى تحاول كبته، وهى تقول:
_كانت صاحبتى وبخاف عليها بجد، وفجأة اكتشفت
إنها عمرها ما حبّتي ولا عمري كنت بهمّها ..

انسالت دموعها واضطربت نبرتها أكثر :

_طب ليه؟ عيبي كان ايه؟

نظرت له تتساءل بتشتت وألم :

_ غلطت في ايه عشان اشوف كسرة القلب دي؟

أعدت الكرة وسحبت شهيقاً عميقاً ثم زفرته، وهي
تقول بتعجب وأسى :

_ انا مش فاهمة، ليه حد يكون بيحبني واعمل معاه
كدا؟! ليه أذيه وهو بيخاف عليا وبيعتبرني أخ؟ انا
مش عارفة افهم بجد!

ضم كفها بين باطن يديه وقال بهدوء ورزانة :

_ انا حاسس بيك والله وعارف انت حاسة بايه .. بس
ياحبيبتى هي الحياة كدا .. ناس وحشة وناس حلوة
واحنا بنقابل الاتنين .. انت مغلطيش ولا فيك عيب
صدقيني، في ناس بطبعها واطية كدا وأنانية حتى لو

عملتِ وضحيّـةِ عشانهم .. الفكرة بقي إنك تدوسي
عليهم أول ما تكتشفي ندالتهم وتكملي طريقك كأنهم
مظهروش في حياتك ..

ثم استدرك قائلاً :

_ايوة عارف إنه مش سهل أكيد، بس انا متأكد
هتعرفي تـعملـيها .. عشان لو فكرتي بس خمس دقائق
هتلاقي نفسك بتهلكي روحك على حد مش بيفكر فيكي
ولا يستاهل دموعك دي .. يبقى تتعبي نفسك عشانه
ليه؟ , زي ما نسيكي ادفنيه انتِ خالص !

رفعت يدها الأخرى إلى وجهها لتمسح وجنتها من
آثار العبرات ورددت بخفوت :

_انا هبقى كويسة خالص، روح انت شوف مشوارك

ظهرت ضحكة صغيرة فوق ثغره وهو يقول :
_بصى انا نازل دلوقتي مع شلّة الطرابيش دول
عشان اتفقت معاهم ، بس اول ما ارجع هاخذك
ونتمشى شوية .. متتاميش ها؟

صمتت قليلاً ثم هزت رأسها مرتين بالموافقة وهي
تدلك عينيها بهدوء ..
نهض من مقعده واقترب منها ليقبّل رأسها بلطف
وربت فوق شعرها بهدوء :

_خلى تليفونك مفتوح هرن عليكى

*

*

*

وقف فخر أمام المرأة وهو يمشط شعره البنى، ثم
حرّك أنامله إلى الخلف بين خصلاته ليجعلها حرة
قليلاً .. ترك الفرشاة ثم التقط ساعة يده الفضية ولفها
حول معصمه الأيسر .. رفع يده ليعدّل ياقة قميصه ذو
اللون الكحلى؛ والذي صاحبه بنطال من اللون
الرمادى الفاتح ..

وأخيراً رشتين من عطره، ختامًا بمسح لحيته الكثيفة
بكفّيه؛ تأكيدًا على وضعها المهنّدم ..

طرق أحد ما على الباب، فأذن بالدخول .. التفت لها
وهي تفتح الباب بهدوء، ولكن لم تفتحه لآخره، فقط
اكتفت بجزء يسمح لها برؤيته، وقالت بابتسامة
صغيرة :

فاضي؟

رد بدهشة :

ايه ده انت جيت امتى؟

أجاب حنين بهدوء :

_ لسة دلوقتي ، مريم قالتلي آجى اقعد معاها هي وورنا
شوية قولت اسلم عليك

اقترب صوبها وفتح الباب لآخره وهو يقول باعتذار :

_ حنين انا آسف والله انا عارف مقصر معاك اوى ،
بس انا اتلخمت فى حاجات كتير ، وغير حازم ومى
كان عندهم حوار كدا وقصة ...

أسرعت تقول بقبول :

_ عادي عادي انا عارفة ومقدرة ، متعاملش على إنه
واجب عليك لازم تعمله، وقت ماتبقى فاضى كلمنى
وخلص عادي ..

ثم تابعت بابتسامة واسعة :

_ انت شكك خارج ومش هعطّك ، انا بس كنت
جايبالك هدية صغيرة عايزة اديهاك

رفعت يدها بعلبة مضغوطة بيضاء اللون ملتفة
بشريط أحمر .. أخذها منها وهو يقول :

_ على ايه التعب ده بس؟

_ ولا تعب ولا حاجة، افتحها بس وشوف هتعجبك ولا
لا

استجاب لطلبها وسحب طرف الشريط ليتحرر منه
الصندوق ثم رفع الغطاء ليكشف محتواه .. كانت
عبارة عن دفتر فخم غلافه يأخذ اللون الأسود، ومعه
قلمين من نوع فاخر يبدو عليهما الأناقة ..

انا عارفة انت بتحب الكتابة اوى ، فكرت لما اللي
معاك يخلص أكيد هتحتاج واحد جديد ف قولت اجيبه
.. يارب زوقى يطلع حلو بس

لم يستمع لها تقريبًا ، لم تبتعد نظراته عن الهدية
وشرد عقله إلى منحنى آخر .. نظراته غامضة لم
تستببط هي منها رد فعل واضح ..

لم يشعر بالارتياح ..

لم يشعر بلحظة ارتياح منذ أن تحركت مشاعره تجاه
جهاد .. ولم ينفك عقله أبدًا بإقناعه أنه شخص سيئ
وأنه يظلم تلك الجميلة معه ..

ما مسمّى أن تربط نفسك بفتاة وتحب أخرى؟

لم يعجبه إحساسه بأنه خائن !

أصابته رعشة خفيّة بأوصاله بمجرد تفكيره بهذه
الكلمة ..

يخشى أن تتعمق الأمور أكثر ويكتشف لاحقًا أنه
يستحق أن يُطلق عليه هذا اللقب !

أفاق ونظر لها ليسمع سؤاها المتردد :
_ هي معجبتكش؟

نفي قائلاً :

_ لا لا ازاي؟ بالعكس دي عجبتي جدا .. انا متشكر
اوى اوى يا حنين بجد

عادت لها ابتسامتها وأومات بهدوء :
_ العفو يا بشمهندس

*

*

*

انا واحد زبالة !!

صاح فخر بجملته بغضب وهو يجالس أصدقائه
،بمكانهم المعهود فى أحد المراكب المستأجرة الثابتة
بالقرب من الشط ..

رد حازم باعتراض :

مش للدرجة دى ياعم، ليه يعنى؟

أضاف عز وهو يتناول بعض المكسرات وسأل بملل :

**_ هو انت مش كنت قولت إن جهاد دي صديقة
وخلص أصلاً؟**

**حدقه فخر قليلاً بتعب، وهز رأسه نفيًا بقلة حيلة :
_ لا ياعز لا .. الحوار دخل فى سكة تانية غير
الصداقة خالص**

**صاح حازم بدهشة :
_ انت حبيتها يالا !!**

**لوى شفتيه بحيرة ثم أجاب باستسلام :
_ شكلها كدا**

**بينما ردد عز بذهول :
_ احنا مالنا بنقع واحد ورا التاني كدا ليه؟**

نطق زياد بلا أى اكرات وهو يفحص هاتفه :
_طب ما تفرکش مع حنين وخلص يعنى، مكبر
الموضوع ليه؟

رمقه فخر باندهاش :
_ايه البساطة دى؟

فنطق عز بيقين :

_زیزو صح .. انت سواء كنت قابلت جهاد أو لا
أساساً، انت مكنتش هتكمل مع حنين وكلنا عارفين
كدا بما فيهم حنين نفسها .. انا مش عارف انت جاى
على نفسك ليه؟

فتح زياد محادثته مع ياسمين ونظر لرسائله التى لم
تصل لها بعد .. زفر بحنق أثناء استماعه لحازم وهو
يخاطب فخر بعقلانية :

**فخر .. انا عارف إنك خايف على زعلها ، بس ده
جواز يا حبيبي مش هزار .. دي حياة كاملة لازم
تعيشها وانت راضى ومبسوط .. مفيش حد بيكمل فى
جوازة عشان بس خايف حد يزعل! لا مفيش الكلام
ده ..**

**أغلق زياد التطبيق بأكمله، وفتح جهات الاتصال
ليطلب رقمها .. ولكن لم يأتية سوى ذلك الصوت
المسجل يخبره بأنه مغلق ..**

أضاف عز فوق كلمات حازم :

**وبعدين انت لو سببتها هتبقى عملت الصبح ، عادى
هتزرعل يومين وهتعمل move on وتشوف حياتها
وتكمل عادى ، لكن انت معلقها جنبك وانت عارف
إنك مبتحبهاش ده الظلم اللى بجد ..**

بدّل نظره بينهما بحيرة ثم شردت عينيه في الفراغ
يعيد كلماتهما بداخل رأسه ، إلى أن قطع زياد حبل
أفكاره بصوته :

_معلش يا جماعة انا هخلع فى مشوار سريع كدا
وهرجع

نهض وهمّ بالمغادرة سريعاً، دون أن يبالي بتساؤلهم
عما حدث

*

*

*

بدأ الهاتف الذى يعتلي الطاولة بإصدار رنين متتابع
يعلن عن اتصال أحد ما .. توجّهت عزة إليه وأخذته

لترى اسمه على الشاشة .. زمت شفيتها بملل
وأجابت :

_نعم؟

أتاها صوت مروان متحمساً بشدة، ليقصد به
إغاظتها:

_ازيك ياخطيبي ياحبيبي ياحتى الشوكلاتة؟؟

قلبت عينيها بعصية مكتومة من استفزازه، ونفخت
بقوة ثم أجابت :

_عايز ايه ياغنت؟

رد بإحباط وقرف :

_وانا اللي بدأك يامعفنة!؟

اخلىص انا مش فايقالك

عاد لنبرته الساخرة والباردة وهو يجيب :

حماتك ياروح قلبي عازماكي على الغدا بكرة
الساعة ٤ ، متتأخريش بقى

ردت بغضب :

بطل تتااحتك دي! ، غدا ايه اللى احضره ده؟ انت
بتستعبط؟؟

متخلفيش بوعدك يا زوزو، احنا عملنا اتفاق ولازم
تتفدييه

نظرت من حولها بحنق شديد ثم ردت :

_ انت بجد عايزني اروح لك لحد بيتك كدا؟؟

_ هو مش بيتي أصلاً ده بيت امي، انا بيتي في حنة
تانية لو عايزة تروحيه هبقى اودّكي

صاحت بانفعال غضبًا :

_ انت حيوان وقدر وزبالة !

فيما أجابها هو بنبرة بريئة :

_ ربنا يسامحك يا زوزو، مش هرد عليكِ عشان انا
مؤدب ..

_ غور يامروان قبل ما آجي اقتلك !

أغلقت الهاتف بوجهه وألقته على طول بعنف، نفخت
بغضب وهممت بتذمر :

_طلع لي منين ده ياربي بس!

*

*

وقفت ياسمين أمام المرأة وهي تخفف جروحها
ببعض المناديل الورقية ، تضع فوقها القليل من الماء
ثم تعود لوضعها على وجهها ، بتأوهات خافتة تنطلق
من بين شفثيها كلمت لمست تلك الكدمات ..

وصل لأذنيها صوت جرس الباب ولكن لم تبالٍ مطلقاً

..

ربما كانت ستفعل إن علمت أنّ الطارق هو "زياد" !

.

.

فتحت له ناهد ورسمت على وجهها ابتسامة صغيرة
غير مكرثة بعض الشيء :

_ اهلا يازيزو ازيك؟

رد زياد بملل :

_ اهلا ياعمتي ..

ثم سأل بما يهّمه فورًا :

_ ياسمين هنا؟

_ اه يا حبيبي نايمة، خير؟

بكلّمها النهاردة كله تليفونها مقفول .. مش عوايدها

ردت ناهد ببساطة :

اه هي اتشغلت فى الكلية طول اليوم، ورجعت نامت
ونسيت تفتحه

غمغم بحيرة :

ممم .. مينفعش تصحّيتها؟

معلش يا حبيبي مش هينفع، هي مرهقة ومصدعة
اوى النهاردة

تتهد باستسلام وأوماً إيجاباً :

ماشى .. ياريت لما تصحى قوليلها تكلمنى

ردت ناهد بعدم اهتمام :

_ان شاء الله

ختم حوارہ بكلمة أخيرة قبل أن يتحرك ويذهب :

_سلام ..

يتبع..

الفصل الثاني والعشرون {قرار مفاجئ}

دقّت الساعة الثانية صباحًا عندما كانت تسير ميّ
بجوار زوجها حازم بأحد الشوارع الهادئة الخالية من
الناس .. يثني ذراعه لتُعلّق هيَ يدها به ، يأخذان
خطواتهما ببطء ويتسامران ..

فى الواقع هى من كانت تتحدث أكثر؁ وهذا ما سعى له
ونجح بفعله لىجعلها تتناسى حزنها قليلاً؛ فقد جذب
معها أطراف العديد من الأحاديث حتى اندمجت فى
التحدث وشرعت تثرثر بأمر الطعم والأكلات وما
شابه ..

صراحةً هو لا يهتم مطلقاً ولا يجب المطبخ ولا يتكرم
حتى بسلق بيضتين؁ ولكن إذا كان هذا ما تحبه فحتمًا
سينصت إليها بكل اهتمام ..

__وبعدين انا لسة مش ناسية لك الطاسة التيفال اللى
بوّظتهالى بالمعلقة

__وانا كنت هعرف منين إنها مينفesh تتجرّح؟

والله أول ما اتجوزنا قولتلك وحذرتك وانت عملت
نفسك أطرش

مش عوضتك وجبت لك بدالها!؟

وكنت هتبوظها بردو لولا إني لحقتك

أشاح بنظره وهو يضحك، فيما بادلته الضحك بهدوء،
قبل أن يعم الصمت للحظات ثم تقطعه هي بصوتها :

أول مرة تاخدني وننزل نتمشى سوا آخر الليل كدا ..
عمرك ما عملتها من يوم ما اتجوزنا

اعتلته ابتسامة جانبية وأجابها :

انتِ اللى بتنامي بدري

ردت عابثة :

_وانت اللي على طول عندك شغل بردو

ضحكت بخفة ثم أردفت :

_بس كله عشان بودي بس، لو صحي دلوقتي ولقانا
مش موجودين هيعيط

ضاقت عينيه بعدم اقتناع وقال :

_على ما اتذكر ان بودي اللي تقصديه ده لما صحي
مرة لقانا مش موجودين قلب البيت كباريه .. شغل
التليفزيون بصوت عالي وجاب الفاكهة والشوكولاتات
وفرشهم قدامه ولا كأنه عامل حفلة .. مش فاكرة ولا
ايه؟

ضحكت بشدة ثم هتفت :

_ لا فاكرة ..

_ بودي كبر ياميشو خلاص ومبقاش يهّمه

ابتسمت بهدوء وهى تقول :

_ الأيام جريت بسرعة اوى .. انا حاسة إنه كان عنده
ثلاث سنين من قريب واهو فجأة بقى داخل على تمانية
.. ده انا حاسة إننا متجوزين من سنتين تلاتة بس
يادوبك ..

واستأنفت مبتسمة :

_ كنت معايا من أول ما كنت لسة موظف جديد فى
شركة بابا فخر .. ودلوقتي ماشاء الله بقيت مدير
الشركة كلها بحالها وانت لسة ٣٧ سنة بس

قرصت وجنته وهى تردف بأسلوب مشاكس وكأنها
تدلل طفلاً صغيراً :

_ انا فخورة بيك اوى ياروح ميشو والله

أبعد يدها وهو يضحك ويجيب :

_ عشان واسطة بس، مش عشان سواد عيوني ولا
حاجة

ضحكت وقالت :

_ اه عشان باباك الله يرحمه كان صاحب عامر بيه

_ ايوه .. قال لك اللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش

اه بس عامر بيه مكانش هيفضل متمسك بيك لو
مكنتش مجتهد وبتهم بشغلك

نطق بكل سخريّة :

اه طبعا هو عامر بيه هيتمسك بحدّ عشان بيحبه
مثلا؟؟ ده مبيعرفش يحب حد

ثم أردف بملل :

فكك فكك غيري السيرة دي

ثبّت نظره عليها عندما انتبه لمقدمة شعرها الظاهرة
من أسفل حجابها، فرفع يده وأمسك طرف الحجاب
وجذبه بهدوء للأمام قليلاً، وهو يقول :

شعرك باين ايه اللي انت عملاه ده!

بدأت بتعديل حجابها، مجيبة :

والله البندانة بتترحلق

واصلت تعديله على مهل حتى انتهت، ثم سألته :
_ كدا تمام؟

أوما برضا :
_ اه خلاص .. ابقى زوّدي دبابيسك قبل ما تنزلي بعد
كدا

ضحكت ثم قالت :
_ حاضر .. يلا نرجع بقى عشان عبدالله

_ بردو شايلة همّه!؟

_ عشان لو قلب البيت كباريه نلحق نلمّ الموضوع

ارتفعت قهقهاتهما وتابعا السير وسط نسيمات الهواء
الخفيفة ..

لظالما كان وقتها بصحبته يجبرها على نسيان ضيقها
مهما كان ضخماً ..

تتعدى الراحة مستواها الطبيعي عندما يكون حبيبك
صديقاً مُحباً يهتم لأمرك ويسعى لإسعادك ..

*

*

ترك السكين الصغير مع الطبق فوق المكتب، بعد
انتهائه من تناول تفاحته، ثم أمسك بهاتفه وفتح
موقع التواصل الاجتماعي واتساب..

جلس فخر على الكرسي الخاص بالمكتب وشرع يدور
بين محادثات الأصدقاء دون أن يفتح واحدة منها .. لم

يهتم بالرد الآن واتجه إلى الحالات، تجول بينها قليلاً حتى وقع نظره على اسمها ففتح خاصتها ..

لم يكن يكثرث أبداً بمشاهدة هذه الحالات ولم يفكر يوماً بفتحها واستكشافها، ولكن منذ انضمامها إلى قائمة الأصدقاء أصبح يحضر هنا كل يوم ليرى أى شئ يخصها .. حتى لو نشرت صورة لقلم رصاص سيحب رؤيته طالما هي اهتمت به ..

كانت الحالة عبارة عن فيديو قصير سجّله لها مروان وهي تتناول نوعها المفضل من الشوكولا المعتادة خاصتها أثناء مشاهدة التلفاز .. صوته فى الخلفية يشبهها بالبقرة السمينة الشاردة فى حقل البرسيم، لتلتفت له بانتباه .. وقبل أن تستعد لإطلاق ردها، ضحكت عندما رأت الكاميرا موجّهة إليها، ورفعت إصبعي السبابة والوسطى وضمت الباقي، لتأخذ وضعية للتصوير ..

تفاعل فخر مع القيدىو بوضوح وقهقهه بشدة من
تعليق أخيها، ثم اعتلته ابتسامه واسعة وأضاءت
عينيه بلمعة عاشقة عند رؤية ضحكتها واستعدادها
للتصوير فى النهاية ..

رفع عينيه عن الشاشة واستقر بصره على دفتره
الذى يعتلى المكتب، فلم يلبث حتى سحبه ناحيته
وفتحه ..

أمسك بقلمه وبدأ بكتابة بعض الجمل على مهل
وبشكل منظم ومنمق ..

انتهى من تدوين كلماته وابتسامته لانتفك تزيين محياه
بوضوح ، عاد للخلف يسند ظهره عند ظهر الكرسي
بعدها كان يميل إلى المكتب ، ليكتب كلمات لم يواجه
أى صعوبة فى اختيارها ، بل أحسنّ وكأنها تخرج من
قلبه وحدها ..

أخذ نظرة سريعة على ورقته قبل أن تنبسط ابتسامته
أكثر، ثم يلحقها بنهوضه من مقعده استعدادًا للنوم
، وكتاباته لاتزال تتردد بداخل عقله :

"شعورٌ بالرّاحةِ يجتاحُ كياني كلّما رأيتها ..
وكانها تنيرُ الكونَ بأكمله بمجردِ ظُهورها ..

تطلّ فتصحبها ألواناً ترسمُ سوادَ لوحتي ..
وثرافقها شمسًا صافيةً تنيرُ سماءَ عَتمتي"

لئنهِ عباراته بجُملةٍ أخيرةٍ تركَ بينها وبين السابق
مسافةً ملحوظةً، وحرص على تنظيم خطّه بها أكثر،
وكانما كتبها بفؤاده فأصبح خطّه أفضل مما هو عليه:

"نُمتِ بهيَّةِ يا أثيرةَ الكحلِّ"

*

*

*

صباح اليوم التالي ..

وقف زياد أمام بوابة الجامعة فى وضح النهار،
يراقب كل فتاة تخرج؛ أملاً أن تخرج هى من بينهم ..

ظل واقفاً لدقائق طويلة حتى بدأ اليأس يعلن وصوله
إلى قسماته، ولكن اختفى سريعاً عندما لمح صديقتها
(منة) فهرول إليها ونادها ..

توقفت منة والتفتت لصاحب الصوت .. ابتسمت له
بهدوء وقالت :

_ اهلا يازياد ازيك؟

_ الحمد لله .. هي ياسمين مجاتش النهاردة؟

_ انا كنت لسة هسالك حالاً ،دي مجاتش امبارح ولا
جت النهاردة ودي مش عادتھا انا قلقت عليها

قاطعھا زياد وهو يضيق عينيه بتعجب :

_ مجاتش امبارح !!؟؟

_ ايوة ، انا بكلمھا من امبارح تليفونها مقفول لحد
دلوقتي ...

.

.

•
توقف فخر عن أداء التمارين وسط صالة الألعاب
الرياضية بسبب مهاتفة زياد له ، فرفع الهاتف على
أذنه بيد وأمسك بالأخرى منشفة صغيرة يجفف بها
وجهه من آثار العرق ؛جاء المجهود المستمر منذ
وقت طويل ..

__ مش فاهم يازيزو اتكلم بالراحة شوية

•
وقف زياد على الرصيف وهو يتحدث بغضب عارم :
__ بقول لك عمك بتكذب عليا ! ، امبارح روحت لها
قالتلي ياسمين تعبت فى الكلية ومصدعة، والنهاردة
شوفت صاحبته قالتلي إنها مراحتش أصلاً

بدا التعجب على وجه فخر، ثم سأله باهتمام :
__ وانت شاكك فى ايه بالظبط؟

_ معرفش بس أكيد في طبخة ريحتها زفرة من عمائل
ايد عمك .. انا أصلاً لما روحت لها حسيت في حاجة
مش مُريحة .. ناهد دي لو شافتني على باب بيتها
هتدخلني على طول وهتقول لي إنها صاحبة وتدخل
تصحبها مخصوص عشان تقابلني .. دي ما بتصدق
نقرب من بعض، أكيد مكانتش هترفض الفرصة إلا لو
في حوار مش مضبوط

_ طب خلاص تعالى دلوقتي وهن فكر مع بعض نعمل
ايه معاها

هتف زياد باستنكار وصاح بغضب وتوعد :

_ نفكر؟! لا يا حبيبي فكر مع نفسك .. انا رايح لها ولو
مشوفتش ياسمين هدغدغ البيت على دماغ ابوها !

*

*

ظَلَّت واقفة أمام باب الشقة فى انتظار أن يفتح لها
أحد ما ..

فُتِح الباب وظهر من خلفه مروان .. اعتلته ابتسامة
عريضة قمة فى البرود، بينما رمقته هى بتقرز
ونطقت بصوت منخفض :

بطل الضحكة السخيفة دي!

اتسعت ضحكته أكثر حتى ظهرت أسنانه منها .. دلفت
عزة صوبه خطوة واحدة وهى ترفع سبابتها بتتبيه :

انا جيت بس عشان مهانش عليا اكسر بخاطر أمك
.. إنما هتحرق دمى هقلب عليك التراييزة ومش
هيفرق معايا لا انت ولا أمك ..

وأسرعت تقول عندما لاحظت شفثيه تستعد للتحدث :

ومتزوّدش ولا تسمّني صوتك عشان محلفش
ارتك علقه أسوأ من اللي فاتت .. واظنك عارفني
وعارف قلبتي!

انتبهت لقدوم صابرين وهى ترحب بها بحرارة،
فرسمت ابتسامة لطيفة على محياها جمعت بها كل
البراءة فى العالم، وكأنها لم تكن ستفترس هذا البارد
منذ لحظة ..

ازيك ياطنط اخبارك ايه؟

الحمد لله يا حبيبتى تعالى اتفضلي ده بيتك اتفضلي ..

أمسكت صابرين بيدها وسحبتهامعها بهدوء وهى
تقول :

جيت فى معادك مضبوط، انا لسة مخلصه الغدا حالاً

عرضت عليها الجلوس على أحد المقاعد وهى تقول :
_ اقعدى رِيحي من المشوار لحد ما احضّر الأطباق
على السفرة

_ طب اساعدك فى حاجة؟

_ لا تسلمى يا حبيبتي اقعدى ارتاحى

توجّهت صابرين إلى الداخل سريعًا ، فى حين نظرت
عزة لمروان الذى بقى واقفًا عند الباب لم يتحرك
وهو يحدقها باستنكار ودهشة من مهارتها فى خداع
أمه , تطلعت له بنفس نظراتها البريئة تلك لتثير
استفزازه وحرّكت أهدابها بشكل متسارع أكثر من
مرة كجرو لطيف يود استعطافك ، فتبدلت ملامحه إلى
الضجر وهو يتحرك صوبها ويهمهم بسخط :

انا بردو اللى سخيف؟!!

*

*

*

جلست جهاد على الأريكة وهى تمسك هاتفها بيد
وتمسك بالشوكولا المفضلة لها باليد الأخرى ،
قضمت منها قطعة أثناء مراقبة شاشة الهاتف انتظارًا
لردّه على ما أرسلته ..

.

.

كان فخر قد أغلق المكالمة مع زياد، ولم يعبأ حتى بما
سيفعله أخوه فقد اعتاد جنونه وهو من سيتحمل
نتيجة أفعاله؛ وللصراحة هو يود بشدة أن تغضب
ناهد وتتول بعضًا من تصرفات أخيه الهوجاء؛ يبدو

أن ولعه بافتعال الشجار والمشاكل سيعود بفائدة لمرة

..

فتح تطبيق التواصل الاجتماعي واتساب ليفتح رسالتها .. فوجدها قد أرسلت صورة للشوكولاتة بين يديها وكتبت معها تعليقًا :

"رابع واحدة آكلها من امبارح"

ضحك بهدوء و ردّ ب :

"بالهنا والشفاء"

ثم كتب رسالة أخرى :

"خلي بالك بس من السكر الكثير ده عشان صحتك"

بضع ثوانٍ ووصل له ردها :

"مش انت اللى جبتي علبة بحالها؟"

"ايوة عشان تقعد معاك وقت ماتحتاجي تلاقى، مش
عشان تبليها كلها فى يوم واحد"

قهقهت بقوة ثم أرسلت له :

"طب انت فين دلوقتي؟"

"فى الجيم وهروّح خلاص"

ثم أتبعها برسالة أخرى :

"احكيلك عملت ايه؟"

ابتسمت بهدوء وأجابته بجملة المعتادة :

"اطربني ياكروان"

ارتفعت ضحكاته ونظر من حوله قليلاً ثم بادر بالرد،
دون أن تختفي ابتسامته من على ثغره :

"هندخل على شغل بعض ولا ايه؟"

"علقت معايا بسببك"

ضحك بخفة وأجاب :

"طب انا اديني خمس دقائق هغير هدومي واطلع من
المكان وهكلمك"

*

*

*

جلست صابرين عند مقدمة السفرة، جلس مروان عن
يمينها وجلست عزة على يسارها .. التفتت لها
صابرين وقالت :

_كُلّي يا حبيبتى انتِ مكسوفة؟ مبتحبيش المكرونة
البشاميل ولا ايه؟ ده مروان بييموت فيها

_ لا ياطنط بحبها طبعاً، انا باكل اهو تسلم ايدك

ربتت صابرين على يدها وهى تقول بابتسامه واسعه:

_ خدي راحتك متتكسفيش

_ لا وهى وش كسوف فعلاً

تمتم مروان بكلماته وهو ينظر بطبقه، رفع عينيه ولم يتوقع أن يكون صوته وصل إليهما، وجد أمه تطالعه بتعجب فأسرع يقول :

_ لا انا بتكلم بجد .. عزة ماشاء الله خجولة وطيبة

نظر لها وهو يحك خلف رقبته وكأنه ضُرب عليها للتو :

_ وانا يعنى كان ايه اللى هيحببني فى زوزو غير براءتها وحنية قلبها عليا؟

فهمت حركته أنه يشير إلى فعلتها القديمة عندما دفعت بعض الشباب لضربه، فأخفضت رأسها محاولة كتم ضحكاتهما ..

ابتسمت صابرين ثم اقتربت منه وهمست له بخفوت :
_طب قوم اقعء جنبها ..

أجابها بنفس مستوى صوتها :

_لا ياختي لاحسن تُعضني

حءجته بءءة وصءت على أسنانها وهى تقول :
_بطل استظراف قوم اءرك !

نفء بءأفف ونهض ممسكًا بءبقة .. اقءرب منها
وسحب الكرسى المءاور لها وءلس بعءما وضع
الءبىق على طائلة السفرة ..

نظرت له بشفتين ملتوتين بءقرز، بينما طالعها هو
بطرف عينيه بءعالٍ واستءقار ثم نظر فى بءبقة ..

عم الصمت عليهم وهم يتناولون الطعام، حتى نطقت
صابرين بنبرة متحمسة :

ناويين تحددوا معاد خطوبتكموا امتى بقى يا اولاد؟

سعلت عزة فجأة بعد شعورها بالطعام قد انحسر فجأة
بحلقها من الصدمة ، فى حين أصاب مروان نفس
الشعور ولكن من الضحك، فأشاح بنظره بعيداً وحاول
إيقاف ضحكاته ليستطع بلع الطعام الذى بقى بفمه ..

توجهت صابرين لها بكوب من الماء سريعاً وهى
تردد :

اسم الله عليكى بالراحة خدي نفسك

أخذت عزة الكوب وارتشفت منه القليل ..

استطاع مروان بلع الطعام أخيراً ثم التفت لعزة التي
احمرّ وجهها من قوة السعال وأدمعت عينيها قليلاً،
وهتف بحنان مزيف :

_سلامتك يازوزو سلامتك .. مش تاكلي بالراحة
ياحبيبيتي؟

رمقته بطرف عينيها بصرامة، وقد هدأت قليلاً
، فنظرت لصابرين وقالت :
_انا تمام خلاص متقلقيش ..

_سلامتك كُلي على مهلك

أومات عزة بهدوء ولم تعقب، راقبت صابرين جيداً
حتى رأتها تتابع غداءها ، فاستغلت عدم انتباهها لهما

وقامت بغيرز شوكتها بقدم مروان من أسفل الطاولة،
فارتفع صوت تأوهاتة بشكل ملحوظ، لفت انتباه
والدته فتساءلت :

__مالك يامروان فى ايه؟

رد محاولاً إخفاء تألمه :

__مفيش مفيش، رجلى اتخبطت فى رجل الكرسي ..

__انتوا اتحسدتوا ولا ايه يا حبايبي مالكووا النهاردة؟

رد مروان بتشنج من أثر التوجع ومع ذلك لم تخلو
نبرته عن بروده وسخريته :

ايوة شكلنا فعلاً .. عصفورتين بالجمال والتفاهم
واللطافة دي كلها لازم يتحسدوا أكيد .. قومي يامًا
بَحْرِينَا !

*

*

*

انتبهت ياسمين لصوت الطرق المتتابع فوق باب
الشقة وهى تجلس فوق سريرها .. كانت دقاته قوية
أثارت قلقها بعض الشيء ولكنها لم تتحرك ؛لن تستطيع
استكشاف الطارق على أى حال ؛فهى محاصرة بين
جدران غرفتها ..

ظلت صامتة تنتظر أن يملّ ويذهب ؛فأما قد خرجت
منذ قليل وليس هناك من يستقبل ذلك المتطفل الذى
أصرّ على مواصلة قرع الباب ..

بربك فلتذهب الآن .. ألا يوجد احتمال ألا نكون في
المنزل؟ ..

•
•
توقف زياد عن طرق الباب وهو يزفر بغضب، وتمتم
بحقنق :

__ يعني الاول تكذب ودلوقتي مبيتفتحش ..

ثم أردف بعزم :

__ طب وراك وراك بردو ياناها

توجّه إلى السلم وتناول درجاته بثبات وهو يهمهم :

_ نرجع لشغل العيال الصغيرين بتاع زمان بقى

.

.

خرج إلى الشارع ووزع بصره يمينًا ويسارًا حتى
وجد مُرادَه ; أحجارًا صغيرة مناسبة للإزعاج ولكن لن
تسبب ضررًا جسيمًا ..

حمل ثلاثة بين يديه ثم صوّب نظره على شرفة
الطابق الثالث ونوافذه .. ثم رماها بكل قوته ; مرة عند
الشرفة ومرتين عند نافذتين ; من بينهما كانت نافذة
ياسمين التي انتفضت فجأة عند سماعها صوت
اصطدام الحجر بشباكها ..

ظنت أنها تخيلات أو أن طائرًا ما قد ارتطم
بالزجاج ولم تهتم، ولكن توجست عند تكرار الأمر ..

نهضت واقتربت من النافذة بترقب وفتحتها لتراه
يستعد لرمي المزيد ، ارتفع حاجبها بذهول بينما
صاح هو بمجرد رؤيتها :

_ ما انتوا موجودين اهو، او مال في ايه؟!

تساءلت باندهاش :

_ هو انت اللى كنت بتخبط دلوقتي؟!

اقترب ناحية البناية ليقف أسفل النافذة مباشرة ، دقق
النظر بوجهها قليلاً ولكن لم يرى جيداً فقد كان
شعرها منسدلاً على الجانبين يخفي نصف وجهها،
وتساءل بتعجب :

ايه اللي فى وشك ده؟؟

اختلقت كذبة صغيرة وقالت :

لا مفيش ده انا وقعت واتخبطت امبارح

مفتحتيش الباب ليه؟

لظالما فشلت فى اختلاق كذب مقنع، وتوترت قليلاً
حتى نطقت بما أتى على بالها :

مسمعتوش

ربما لو كانت صمتت كان أفضل من هذا الرد الغبي
الذى لن ينطلي على طفل لم يتعدى الرابعة .. حتى لو
كانت تضع سماعات أذن كانت ستسمعه ؛فلقد كان
يوشك على كسر الباب من قوة الدق عليه ..

شعر زياد بصبره ينفذ من هذه الالتواءات المستمرة،
وصاح بغضب :
_ هو فى ايه بالظبط !!

أسرعت ياسمين تشير إليه بالهدوء و حذّرتَه بصوت
منخفض :

_ زيزو احنا فى الشارع

أخفض صوته قليلاً ولكن لم تخلو نبرته من الحدة
والغضب :

_ ياسمين انتِ لو منطقتيش ايه اللى بيحصل دلوقتي
حالا انا هعمل لكوا فضيحة هنا !

ماما مش هنا وانا لوحدي يازيزو، أكيد مينفمش
تدخل

رد باندهاش :

تقومي تسيبيني اولع؟ ميهونش عليكِ حتى تتكلمي
من ورا الباب؟ .. وبعدين انا هتكلم معاكي على السلم
كلمتين وخلص انا كدا كدا مش هدخل طالما امك مش
هنا، انتِ فاكراي ايه؟

انا عارفة والله عارفة، بس معش امشي دلوقتي
ونتكلم بعدين

لا مش همشي غير لما افهم .. امك حوّرت عليا
ومرضتش تخليني اقبلكِ وانتِ دلوقتي مبيتفتحيش
الباب .. انا عملت حاجة غلط ولا ايه مش فاهم!

_ لا لا انت معملتش حاجة صدقني، بس عشان
خاطري امشي وهفهمك بعدين

_ دي آخر مرة هقول لك افتحي الباب!

زفرت بحنق من عناده وصمتت، فقال وهو يستعد
لدخول البناية :

_ انا هكسر الكالون
_ استنى بس استنى!

نظرت حولها بحيرة وتوتر ثم نطقت :
_ المفتاح ..

أخفّضت صوتها عند أقلّ مستوى حتى أصبحت تحرك
شفّتها فقط فلم يستطع استدراك ما تعنيه وهز رأسه
بتساؤل :
_ايه؟

أعدت الكرة وهى تحاول توضيح حركة شفّتها
ليفهمها :

"تحت الدوّاسة"

لم ترفع صوتها فى قولها، وحرّكت يديها على شكل
مستطيل كإشارة للسجادة الصغيرة التى تتقدم الباب ..
فهتف بفهم وهو يتجه إلى الداخل :

_خلاص فهمت ماشي ..

*

*

*

يجلس فخر بسيارته المصطفة بالقرب من بناية معينة
.. تلك البناية التي ترددت عينيه بينها وبين الفراغ
أكثر من مرة بحيرة شديدة ..

انتبه لرنين هاتفه فأجابه فورًا :
_ايوة يا حازم

_ايه؟ عملت ايه مع حنين؟

_قدام بيتها لسة مطلعتش

رد حازم بملل :

_ وواقف تعمل ايه؟

أجاب فخر بضيق :

**_مش عارف المفروض اقول لها ايه وافتح
الموضوع ازاي**

غلبه التردد والحزن وأردف :

**_حازم انا حاسس إني غلظت لما خطبتها من الأول ..
عشمتها وعلقتها بيا وجاي دلوقتي افسخ الخطوبة
كدا واجيب رقبتها الأرض! انا حاسس إني وحش
اوى بجد**

**_يا بني انت بتحب جلد الذات وخلص؟ ، وانت يعني
لما خطبتها كنت ناوي إنك هتفسخ؟؟**

رد مدافعًا عن نفسه :

**والله لأ، انا مكانش فى دماغى كدا، انا كنت فاكر إني
عادي هبقى مبسوط، خصوصاً إن مكانش فيها حاجة
مضايقتى يعنى، معرفش ليه معرفتش أحس ناحيتها
بأى حاجة**

**لآخر مرة هقول لك يا فخر نهاية قصتك مع حنين
كانت محسومة من يوم ما خطبتها، واليوم ده كان
مسيره جاي جاي .. اتفضل اطلع لها وانهي
الموضوع ده وسيب البنت تشوف حياتها بقى
وتطلعك من دماغها !**

*

*

**فتح زياد باب الشقة بذلك المفتاح الاحتياطي الذى
أخبرته ياسمين به، دخل خطوتين وناداهما وهو يبحث**

عنها بعينه بكل زاوية ، استمع لصوتها ممتزجًا
بصوت طرقها على باب غرفتها :

"انا هنا يازيزو"

سار ناحية الصوت ووقف أمام الغرفة وقرع على
الباب مرتين :

_ياسمين؟

أجابته من خلف الباب :

_بص انا من الآخر متعاقبة واتحبست فى الأوضة
وماما لسة منسيتش الموضوع

قطب حاجبيه باندهاش بينما يستمع لباقي كلماتها :

_____ انا خلّيتك تدخل عشان انا عارفاك عنيد و هتعمل
مشاكل، بس عشان خاطري بقى امشي، اديك فهمت
اللى حصل اهو

تساءل بتعجب كبير :

_____ استّتي .. يعنى هى اللى ضربتك مش اتخبطتي زى
ماقولتي !؟

تهدت بهمّ واستسلمت لقول الحقيقة :
_____ ايوة

ارتفع حاجبيه بذهول :

_____ ليه عملتي ايه لـ ده كله!؟
_____ قولتلها كلمتين مش حلوين اتترفت بسببهم

_ انتِ قاعدة كدا من امتي؟

_ اول امبارح بالليل

_ ارجعي لورا !

تعجبت من أمره المباشر وسألت بعدم فهم :

_ ايه؟

_ ارجعي لورا ابعدني عن الباب

_ ليه؟

_ اسمعي الكلام بسرعة

استجابت له وعادت للخلف وقالت :

_اهو

ابتعد زياد للخلف قليلاً ثم وبكلّ قوته رفع قدمه ليكسر الباب ، فانكسر المقبض وفُتِح الباب بعنف مما أثار فزعها ..

اقترب منها وأمسك بيدها ليجذبها تجاهه وهو يقول
بغضب :

_بتخبّي عليا انا يا ياسمين !؟

التمعت عينيها بالدموع ولم تتحدث ، فيما وزّع زياد أنظاره على وجهها المشوّه بعينين متسعة بذهول شديد و ردد بعدم استيعاب :

_دى ست مريضة نفسياً !

ركز بصره على عينيها وهو يردف بعصبية :
_ كل ده عشان كلمتين قولتيهم!؟!

أجابته بنبرة متعبة ومرتعدة :

_ ايه اللي انت عملته ده حرام عليك انت مش عارف
كدا هتزوّد المشكلة ازاي !

صاح زياد بغضب قوي يصارع لكتمه قدر المستطاع:

_ هي هتخوّفنا ولا ايه!؟ , ايه محدش هيعرف يوقفها
عند حدّها!؟!

ثم أردف وهو يسحبها من يدها إلى الخارج :
_ تعالي

ولكنها لم تطاوعه وأوقفته قائلة :

_أجي فين مش هينفع

نظر لها بحدة قوية ونطق متكئاً على كلماته بغضب :

_ياسمين متعصبينيش اكثر ما انا بَغلي ! .. امشي يلا

!!

*

*

*

فتحت حنين باب شقتها وسرعان ما غزت الابتسامة
وجهها عند رؤيته وقالت بترحيب :

_ازيك يافخر انا كنت لسة هكلمك

اعتلته ابتسامة صغيرة.. ابتسامة مهمومة بعض
الشيء ونطق بهدوء :

_ عايز اتكلم معاك في حاجة

غلبها التعجب من نبرته المقلقة وأفسحت له المجال
للدخول :

_ تعالى ادخل

دلف فخر على مهل ، ردت حنين الباب ولم تغلقه
بالكامل .. ثم اتجهت صوبه وهي تتساءل باهتمام :

_ خير في ايه؟

رأت التردد بعينيه المشتتة .. سكوته طال .. مقلتيه
تدور من حوله بحثًا عن كلمات مناسبة لقول ما
يحبسه بحلقه ..

زاد قلقها ومع ذلك لم تتطرق وانتظرتة حتى يأخذ وقته
، ومن ثم انتبهت آذانها معه عندما قال :

بصي يا حنين ..

صمت قليلًا وتطلع لعينيها التي تطالعه بترقب وانتباه
، تنهد بثقل وقال :

انتِ دايماً عايزاني صريح معاكِ ، وانا مقدرش
اعمل غير كدا عشان انا مش بتاع حوارات ولا لف
ودوران ..

فخر لو سمحت اتكلم من غير مقدمات وطلع اللى فى قلبك direct (مباشرة)

أخذ نفسًا عميقًا ثم أخرجه بهدوء، وقال :

حنين انتِ عارفة طبيعة علاقتنا ومبتضحكيش على نفسك .. وعارفة بردو إن خطوة الخطوبة دي خدناها ك محاولة عشان نقرب من بعض شوية ، بس ...

ترك عبارته معلقة ليبحت عن كلمة يقولها ، فلم تتركه محتارًا كثيرًا وهتفت هى بإدراك :

بس لقيت نفسك مش عارف تحبني ف جيت النهاردة تفسخ الخطوبة !

تعجب من نبرتها الثابتة فى قول جملتها, ثم شرع بالتحدث :

_ اسمعي يا حنين ...

_ قابلت واحدة وحبّيتها يافخر؟

قاطعته بسؤالها المباشر وهى تطالعه بعينين تلمعان
بالحزن ..

اتضح التعجب على قسماته كثيرًا ; لم يكن ينوي
إخبارها حتى لا تحزن أكثر .. كيف شعرت بذلك؟

سألها بتردد :

_ ليه بتقولي كدا؟

حركت كتفها بشئ من اللامبالاة :

_ طول الوقت حاسة إن ده هيجصل ..

راقبت صمته وتتهيدته المهمومة، فأردفت :

_ طالما سكتت يبقى حصل

تابعت بصوت مهزوز بوضوح :

_ عشان انت كدا كدا قلبك فاضي وسهل يتتاخذ باللى
تعرف تشده .. مكانش مع حنين ولا عرف يقبلها حتى

_ متقوليش كدا يا حنين ده انت تستاهلي أحسن حد فى
الدنيا .. انا عشان متأكد إنك خسارة فيا مش عايزك
تكملي معايا، عشان مش هعرف ادّيكى ولو شوية من
اللى بتدّيهونى .. انت لازم تبقى مع حد بيحبك أكثر ما
بتحبيه ومش عايز حاجة من الدنيا غيرك وكل اللى
بيدور عليه انت وبس!

واصل بقلة حيلة ويأس :

للاسف انا معرفتش ابقى الشخص ده ، بس
صدقيني انتِ تستاهليه .. ، خسارة واحدة فى طبيبتك
وجمال قلبك تضيع عمرها مع واحد زيي

وزّعت أنظارها فى الأنحاء .. تحاول حبس دموعها
قدر الإمكان .. إصبعي الإبهام والسبابة فى يدها
اليسرى يحرّكان دبّلتها المحيطة بإصبعها فى اليد
اليمنى ، تستعد لخلعها وكأنها ستززع جزءاً من
روحها ..

أومات بتفهم وابتلعت غصتها وهى تقول :

انا من أول يوم اتخطبنا فيه وانا عارفة كويس ان
اليوم ده هيجي .. كان عندي أمل صغير اه إنه
ميحصلش بس بردو كنت عاملة حسابه ..

نظرت بعينيه بابتسامة صغيرة متألّمة :

_وانا تمام يافخر ، انا فاهمة وعارفة إنه مش
بمزاجك .. انت ادّتي فرصة احاول احبّيك فيا وانا
فشلت، ده مش ذنبك .. عادى مش مشكلة انا مش
هاخذ حاجة بالعافية

خلعت دبلتها بهدوء ومدّتها له ببطء ، أخفض عينيه
لها ولم يرفع يده ليأخذها بل عاد ينظر لها بأسى :

_انا آسف ياحنين، والله ما كان يهون عليا زعلك أبدًا
..

ترقرقت الدموع بعينيه أكثر واتسعت ابتسامتها
الهادئة وهى تقول :

_ انا مش ز علانة .. والله بجد مش ز علانة ، ومش
عايزاك تحس إنك ظلمتني أو حاجة، بالعكس .. انا
ممتنة ليك عشان حاولت تقبلني وادتني فرصة ..
وممتنة لصراحتك وإنك جيت دوغرى عشان اللي كان
هيز على بجد إنك تعلقني جنبك وانت عارف إنك بتحب
واحدة تانية ..

اتسعت ابتسامتها أكثر وهزت رأسها تعبيرًا عن
خضوعها للقدر :

_ عادى .. انا مؤمنة إن مش كل اللي بنعوزه بناخده

رفعت الدبلة له أكثر لتشجعه على أخذها ..

تتهد بهمّ ومد يده على مهل حتى أخذها وضمها بين
ثنايا كفه ثم عاد ينظر لها .. لابتسامتها التي لم تفارق
محياتها رغم وضوح احتباس الدموع بعينيها .. و
رددت ببساطة :

ربنا يوفئك ويوفقتي يا فخر

ابتسم لها ابتسامة ظهر فيها ضيقه من حزنها ، ولكن
ما باليد حيلة .. عاجلاً أم آجلاً كان سيقف بهذه
المواجهة :

خلى بالك من نفسك

هزت رأسها إيجاباً بابتسامة صغيرة، قبل أن يتحرك
إلى الباب ويفتحة ببطء ، ألقى إليها نظرة مطولة
أخيرة ختمها بابتسامة صغيرة كانت قد ردتها إليه
وهي تشير إليه بالسلام .. وآخر سلام.

استدار وخرج من المنزل وأغلق الباب من خلفه ..
ظلت واقفة كما هي .. تحديق بطيفه بشرود .. تتحسس
مكان دبلتها الدافئ بصمت .. انتهى الأمر فقط بإطلاق

تهيدة طويلة مليئة بالحزن مع الإفراج عن بعض
الدموع الصغيرة لتتسابق فوق وجنتها ..

ولكن لن يطول الحزن .. هي متيقنة من هذا من قلبها
؛فتصالح المرء مع قرارات القدر يجعله متأكدًا أنه إن
أحزنه مرة الآن، سيسعده مرة أخرى لاحقًا

*

*

في غرفته، جلس بجوارها فوق الأريكة الصغيرة
القابعة في الزاوية .. وضع البعض من سائل مطهر
فوق قفظة نظيفة ثم وضع الزجاجاة على الطاولة
الصغيرة أمامه ..

التفت زياد لها وأحاط رأسها بيده من الخلف ليثبت
رأسها ويمنعها من التحرك، أثناء شروعه في مداواة

جروحها بحذر وهدوء شديد، ومع ذلك تألمت بمجرد لمسها وأغمضت عينيها بتوجع ..

قطب حاجبيه بنفور وعدم رضا من منظر تلك الكدمات؛ لم يكن ليتحمل رؤية خدشاً بسيطاً بها والآن يرى ملامحها أصبحت تقريباً مختفية أسفل كل هذه الجروح ..

لو فقط تركوه على تلك المرأة المجنونة لما تردد في نسفها تمامًا، ولكنه يتحامل على نفسه ويمنع نفسه عنوة؛ ليس لأنها عمته بقدر ما يهتم لحزن فراشته الصغيرة على تلك العجوز التي حكم عليها أن تكون أمها ..

طرقت سحر فوق الباب _ المفتوح بالفعل _ ولكن لزيادة احترام الخصوصية، فأذن لها زياد بالدخول ..

دخلت واقتربت منهما، وقالت وهي تضع الأغراض
على الطاولة :

_جبت لها لوز طبي ومكعبات تلج

_شكرا يا ست سحر تعبناك، روي انتِ خلاص

نظرت سحر لياسمين وقالت :

_الف سلامة عليكِ يا حبيبتي

ابتسمت لها ياسمين بلطف :

_الله يسلمك شكرا

خرجت سحر وتركتها معاً ..

التقط زياد مكعباً من الثلج ووضعهُ بهدوءٍ على جانب
جبهتها المتورّم وقال :

خَلِيكَ حَظَاه دَقِيقَةً وَبَعْدِيْنَ هَظ لَكَ مَرَهْم حَلْوٍ
هِيخْفَفَهَا شَوِيَّةً ..

أومأت بالإيجاب وأمسكت بقطعة الثلج بدلاً منه، فيما
التقط هو أحد الضمادات الطبية ووضعها على أحد
الجروح بحرص وهدوء ..

نظرت له ياسمين برجاء وتوسّلته قائلة :

زِيو عَشَان خَاطِرِي اوعى تَكَلِّمَهَا .. مَامَا لُو حَسْت
إِنْ طَرِيْقَتَكَ مَش عَجْبَاهَا وَبِتتَحَدَاهَا هَتَعْنَد أَكْثَر
وَهِيَطْلَع عَلَى دِمَاغِي اَنَا .. اَللّهُ يَخْلِيكَ مَتَكَلِّمَهَا ش
عشاني

حذقها بعدم استيعاب للحظات وأجاب :

_ هو احنا فين هنا؟! ، انتِ بتتكلمي على أمك ولا
على سجان خايفة تكلميه لـ يكهربك!! ، فوق ياسمين
وخففي شخصيتك المتزعزعة دي شوية بقى!

ردت بانفعال خفيف :

_ يعني عايزني اعمل ايه؟ .. دي امي! مستني مني
اروح اضربها مثلاً ولا ايه مش فاهمة

رد باستخفاف :

_ يعني هي لو مكانتش أمك كنتِ هتعملي حاجة؟!
عبس وجهها بوضوح وأشاحت بوجهها بعيداً ; ما
الداعي لتذكيرها الآن بضعف شخصيتها الذي تمقته
كل المقت وتعجز عن التخلص منه ..

لاحظ تجهم وجهها فسارع بتليين نبرته قليلاً وهو
يردف :

_ياسمين انا مقصدش اضايقك والله انا بتكلم كدا
عشان خايف عليكي .. انا مش عايز حد يدوس لك
على طرف ويقدر يهزك كدا

أجابته بضيق شديد وقلة حيلة :
_انت فاكُرُه بمزاجي!؟!

أنهى النقاش بقوله :
_خلاص انسي مش مهم دلوقتي ..
ثم أضاف وهو يهمّ بالنهوض :
_انا هروح اعمل لنا شاى بلبن

ردت بعدم اهتمام :

_مش عايزة

نطق وهو يتجه إلى الباب دون أن ينظر إليها :

_مش باخد رأيك أساسًا هتشربيه عافية

*

*

عدل عز معطفه الطّبي الذي يرتديه وهو يسير بأحد
أروقة المشفى، ثم وضع يديه بجيبى المعطف وتابع
طريقه بخطوات متمهلة إلى أن توقف؛ بسبب تعجبه
من رؤية مريم وهى تتبع إحدى الممرضات التى
صاحت بمجرد رؤيته :

_أخيرًا يادكتور بقالنا ساعة بنلفّ ندور عليك ..

ثم أشارت على مريم وهى تقول :

_البنت الحلوة دي بتسأل عليك وصممت تشوفك

لم تبتعد أنظاره عنها، لاحظ وجهها الباهت وعينيها
المجهدين .. حتمًا كانت تبكي!

شعر بالقلق وأسرع يخاطب الممرضة :

_خلاص شكرا روجي انتِ خلاص

أومأت وسارت في طريقها، فيما اقترب منها عز
وتساءل باهتمام :

_ايه يامريم في ايه مالك؟

ردت بصوت متعب بعض الشيء :

_مفيش حاجة، انا بس .. عايزة اتكلم معاك شوية لو
فاضي ...

•
•
•
دخل إلى مكتبه الفارغ وأفسح لها المجال للدخول ..
فدلفت ثم أغلق الباب خلفها ..

جلست عند أقرب مقعد وجدته أمامها ودلّكت عينيها
بإرهاق .. التفتت له عندما جلس على مقعد يجاورها
وقال :

__ها؟ ايه الحوار؟

نطقت بصوت محبط :

__متضايقة اوي يا عز .. مخنوقة ومحدث فاضيلى ..
عايزة اتكلم مع حد قادر يسمعي شوية

تساءل بنبرة أوضح بها اكترائه بالأمر :
_ ايه اللي مضايك طيب؟ حصل حاجة؟

أجابت بـ شبه انفعال أعلنت به عن نفاذ صبرها :

_ مفيش حاجة بتحصل غير جوا دماغي بس! ، انا
قربت اخبط راسي في الحيط من كُتر التفكير .. ومش
بفكر غير في الأفكار اللي بتتكد عليا و غصب عني
مبعرفش ابعدا عني، بتفضل لازقة فيا حالفة تخليني
أنام معيطة!

صمتت والتقطت أنفاسها بعنف أثر حنقها واستياءها
.. وضعت يدها على وجهها وحكت جبهتها بيأس ..

بقي يراقبها بصمت تام ، يبدو عليه تأثره وضيقه من
حزنها ولكنه فضل السكوت ليترك لها مساحة التحدث
كما تريد ..

انخفضت نبرتها كثيرًا عن السابق ، حملت كل التعب
والإحباط والحزن في آن واحد :

_ انا على طول قلقانة .. على طول خائفة .. كل شوية
دماغي تسوّحني وتقول لي ان كل اللي بحبهم
هيزهقوا ويبعدوا عني ، لدرجة إنّي ساعات ببقى
عايزة اقطع علاقتي بيهم قبل ما يعملوها همّا واتصدم
..

تابعت بأسى وألم :

دائماً مُخيّ مصدعني بفكرة إن معنديش حاجة حلوة
تخلي حد يتمسك بيّا .. محدش هيستحمل عُقدي
وقرفي وشكّي اللي شغّال عمّال على بطّال في إن حب
حد ليّا يقلّ .. انا حتى اخواتي بسألهم بيحبوني ولا لا
من كُتر ما انا مش واثقة في نفسي ومش شايفة في
نفسي ميزة ..

أدمعت عينيها و رددت بهمّ :

نفسى اتظمن مرّة إن في واحد بس على الأقل مش
هيستغنى عنيّ ..

تعلّقت عينيّه بها بينما تتطلّع هي من حولها بتشتت
وحزن ;يود إخبارها أنه موجود .. هو لن يتركها حتى
إن فعلت هي .. هو الشخص الذي يصلح لبث
الاطمئنان بقلبها ؛فقط إن منحته فرصة ..

صدقاً هو لن يمانع في حرق العالم إن بقيت فقط
جالسة أمامه هكذا .. فماذا سيفعل إن اقتربت أكثر؟

*

*

*

ارتمت جهاد على الأريكة الخاصة بشقتها وهي
تتحدث ضاحكة :

رغينا كثير النهاردة وقعد يحكي لي على الجيم
والكوتش والتمرين .. والله دمه خفيف ولذيذ ..

وتابعت :

انت عارف؟ ، انا مبهورة بيه إنه بعد كل اللي شافه
في حياته من أبوه ده لسة عايز يبقى إنسان كويس

وطيب .. مش عايز عقدته تتحكم فيه وتخليه واحد
وحش ، بيتعامل بطريقة بسيطة كدا تحسه شبهنا
ومننا مش من الجماعة اللي اول ما يبقوا معاهم
فلوس يتتطوا على الخلق ..

بات مروان يحدقها بصمت وترقب وهو يجلس على
أحد الكراسي، رافعاً قدمًا فوق الأخرى ويحاصر لفافة
مشتعلة من التبغ بين إصبعي السبابة والوسطى ،
تعجبت من سكوته وتساءلت :

___ايه ؟

نطق بتوجس وشكّ :

___ل يكون اتقلب على وشه وحبك يابت!

طالعتة جهاد باستخفاف شديد وهي تقول :

___متزيطش يامروان وتأقور، يحب مين!

رد بلامبالاة :

_ واحد بيتكلم معاك كل شوية ويحب يقابلك ويحب لك مورو ويشاركك كل حاجة بيعملها حتى كتاباته .. يبقى ايه؟

صاحت باستنكار :

_ هو مينفعل حد يعمل كدا مع صاحبه عادى؟ ليه لازم كل حاجة ندخلها فى السكّة دي؟ .. فخر بيرتاح لي بس شوية عشان انا مش مقيداه ،مش مضطر يرسم قدامي صورة معينة عشان ميتفهمش غلط بالعكس بسببه ياخذ راحته .. ومش معنى إن حد مرتاح لحد شوية يبقى بيحبه

_ وليه لأ يعني؟

أجابته بنبرة متيقنة :

عشان فخر مش هيسيب كل ولاد الأكاير اللي
حواليه ويبص لموظفة صغيرة بتشتغل فى شركة
أبوه .. خليك واقعي وبطل عبط .. ، انا حتى مش البت
فاتنة الجمال يعني عشان ينجذب لي .. فكك من الهبل

ده

أخذ نفساً من سيجارته ثم خرجت كلماته مع الدخان
من فمه :

طب سيبك منه هو ، انتِ ايه موقفك ناحيته؟

أجابت فوراً وبدون تفكير :

موقفي متغيرش يامروان ومش هعامله أكثر من
صاحب .. وحتى لو حسيت إنني بحبه همنع نفسي
بالعافية عشان انا وهو مستحيل نبقى مع بعض .. حظ
الكلمتين دول فى دماغك بقى واوزن الكلام بعد كدا
قبل ما تقوله

*

*

*

خطت ياسمين آخر درجة من السلم ووقعت مقلتيها
على السيدة سحر فتوجهت إليها وهي تقول :
_طنط سحر لو سمحتي هو زيزو فين؟

ردت سحر ضاحكة :

_بيغك في الشاي بلبن جوا

ضحكت ياسمين ثم قالت :

_طب معلىش ممكن تقوليله إني هقعد استتاه في
الجنينة؟

قبل أن تبادر سحر بردها انتفضت كلتاهما فجأة على صوت دق عنيف على الباب، وتطلعا لبعضهما بتوجس وعدم فهم ..

أخذت (بسمه) خطواتها على الدرج بثبات وهى تصيح بانزعاج :

مين المتخلف اللى بيخبط بالطريقة دي !

أسرعت سحر إلى الباب وفتحته لتدخل منه ناهد بعواصف غضبها، والتي اشتعلت أكثر عندما رأت ابنتها أمام عينيها تقف على بُعد صغير منها ..

ارتعدت ياسمين وهى تراقب خطواتها المنفصلة ناحيتها فأسرعت تتحدث :

ماما استنى انا هفهمك اللى حصل

لم تواتيها الفرصة لمتابعة تبريرها وصاحت بتأوه
عندما قبضت ناهد على شعرها بعنف وهي تصيح
بغضب :

_ انتِ وخداها معايا عند مش كدا؟ بتتحدّيني يعني
وحاطّة راسك بـ راسي!!

حاولت سحر فض الأمر وهي تقول :
_ بالراحة ياناهد هانم, كل حاجة ليها حل، اهدي
صرخت ناهد بها غضبًا :
_ مالكيش دعوة ياسحر !

لم تهتم بسمة بما يحدث وظلت واقفة بمنتصف السلم
تكتفي بالمشاهدة فقط ..

فيما حضر زياد وهرول إليهما سريعًا .. أبعد يد ناهد
عنها بعنف وحال بينهما بعدما جذب ياسمين خلف
ظهره ووقف أمامها كالدرع الحصين، وهدر بغضب :

ابعد ي ايديك انتِ جاية تكلمي عليها؟! مش كفاية
اللى عملتيه؟؟

خرج عامر من غرفة مكتبه بتمهل شديد وركّز بصره
عليهم دون أى اهتمام .. وهو لا يكثرث مطلقًا بأى مما
يحدث فى هذا المنزل الأشبه بالسيرك الذى لا يخلو
من الضجيج والإزعاج ..

تطلعت ناهد لزياد بعينين يقفز منها الحنق .. نطقت
بنبرة منخفضة تنذر بانطلاق غضبها قريبًا :

انتِ فاكر نفسك مين عشان تقف قدامي وتتكلم معايا
كدا؟!؟

فُتِحَ باب القِيلا بهدوء ودلف منه فخر بصمت تام ..
عقد حاجبيه بعدم فهم لسبب هذا التجمع .. لم ينتبه له
أحد ؛ فكانت أنظارهم منصبة على زياد الذي تضاعفت
حدة ملامحه أكثر من حدثها المعتادة حتى أصبحت
مخيفة، ونطق بهدوء شديد يتخلله التوعد والصرامة:

صدقيني لولا إنك محسوبة عليا عمتي مكنتش
هعدي اللي عملتية ده !

اتسعت عينيها بذهول واستنكار، ثم هتفت باستهزاء :
خلي بالك من كلامك يا ابن أمينة

بدا الحنق على وجه فخر من كلماتها حينما فهم فوراً
أنها تنعته بهذا اللقب لتقول أن أمه لم تفلح بتربيته ..
ضم شفثيه بغیظ شديد وكان على وشك الرد عليها، بل
وحتى افتعال شجار معها ؛ فعندما يصل الأمر لوالدته

ليحترق الجميع من الأكبر للأصغر، ولن يمانع في
دهس أي ممن يمستّها بنصف كلمة ..

أخذ خطوة واحدة استعدادًا للاقتراب منها، ولكنه
امتنع عن أخذ الثانية عندما رد زياد بدلًا منه ..

لم يظهر الغضب على وجه زياد كما حدث مع أخيه
ولم يتنازل عن بروده المعتاد، رغم رغبته في صفعها
لتجروها على قول اسم أمه على لسانها العفن ..
على النقيض اعتلته ابتسامة واسعة مليئة بالتهكم
والاستخفاف وقال ببرود :

أُكبر شرف ليا إني ابقى ابن أمينة ولو فاكرة إنك كدا
بتهنيني تبقي مغفلة ياناهد هانم .. أمينة دي لو
حاولتي تبقي زيها مش هتحصلي ربعها حتى!

ظهر بعض الرضا على وجه فخر وهز رأسه بتشجيع
.. في حين صاحت ناهد بغضب :

انت نسيت نفسك خالص !

ثم واصلت بعناد :

انت مالکش دعوة بيا ولا بأسلوبي مع بنتي ..
ومتعلمش نفسك فتوة عليا، انت مالکش علاقة بيا ولا
بيها عشان تتحمق اوى وتتكلم بالطريقة دي

رد زياد بعناد أكبر منها :

وانا مش هسيبها تروح معاكمي واللى عندك اعمليه

شعر بوكزة ياسمين الخفيفة لذراعه، فأدار وجهه
وألقى نظرة سريعة على عينيها الخائفتين التي
ترجوه أن يخفف حدته معها .. ثم عاد ينظر لعمته

التي اقتربت منه خطوة لتتنظر بعينيه عن قرب بقوة
وتحدٍ :

_ دي بنتي انا ومحدثش له كلمة عليها غيرى .. ولو
دفنتها حية انت مش من حقك تحاسبني ولا تتحشر
أساسًا !

دخل صوت بسمة في الحوار وهي تقول بضجر :

_ انت عايز تعمل مشاكل وخلص ليه؟ ، ما كل واحد
حر في عياله مالك محروق اوي ليه كدا؟

نظرا الأخوان لتلك المرأة بنفس النظرات الحادة التي
تعبّر بوضوح عن عدم تحملهم حتى لسماع صوتها،
والذي تبعه صوت عامر يقول بعدم اكتراث :

سيبها يازياد تروح مع امها ومتكبرش الموضوع ..
أمها أدري بمصلحتها بلاش شغل الجدعنة الزايد ده!

طالعه زياد بدون رد فعل مطلقاً .. ؛ هذا المعتاد من
"عامر تليد"، لن يتوقع منه غير ذلك بالطبع ..

لم تصمت بسمة وأضافت :

مفيش واحدة هتضرب بنتها إلا لو غلظت أكيد
وعملت حاجة .. أم ومن حقها تربي بنتها، بتدخل انت
ليه؟

أغمض زياد عينيه محاولاً كبت غيظه منها ؛ لا ينجح
أحد في إثارة غضبه كما تفعل هي بطلتها المستفزة ..

شعرت ناهد بالانتصار بعد وقوفها معها، ووقع
نظرها على فخر الواقف بعيداً صامتاً منذ مجيئه،
وقالت :

_ايه يافخر؟ مش ناوي تقول حاجة انت كمان وتعقل
اخوك؟

لم يبالي بالتدخل نهائياً واكثر فقط بتعديل كلمتها قائلاً
بمئل :

_مهندس فخر !

وزّع زياد أنظاره على الجميع بصمت تام لوقت قصير
..

استدار بتمهّل ونظر لياسمين التي لم تنطق بكلمة
وظلّت غارقة في القلق والخوف منذ بداية الحديث ..

أومات له بهدوء تعبيرًا عن استسلامها للأمر حتى
تتجنب أى مشاكل، واستعدت للتحرك صوب والدتها
ولكنه أوقفها بذراعه الذى رفعه أمامها، تزامنًا مع
التفاته للجميع وهو يقول ببرود تام :

_ احنا قدامنا خمس ايام لحد يوم الجمعة، ولحد ما
يجي الجمعة ياسمين هتفضل هنا .. مش عند فيكوا
لاسمح الله لا خالص بس انتوا عارفين ترتيبات
المناسبات دي بتبقى كتير ازاي ومتعبة ف الاحسن
تفضل مع ولاد خالها

ثم واصل ببرود أكبر :

_ ياترى ايه المناسبة؟ ، انا هكتب كتابي على ياسمين
يوم الجمعة إن شاء الله .. أى استفسارات؟ زغروطة
بقي!

لم تستطع سحر كبت سعادتها بمجرد سماع تلك
الكلمات، وصاحت بعفوية :

_يا الف نهار أبيض !

ومن ثم أطلقت زغرودة طويلة، غير مبالية بهولاء
المندهشين يحاولون استيعاب ما سمعوه للتو ..

اعتلت فخر ضحكة عريضة، ألحقتها بجملة قديمة كان
زياد قد وجهها له يومًا :

!!! That's my boy _

يتبع ..

□ بالمناسبة يارفاق □

كلمة "أثير" في المشهد الثاني للفصل تعني (مفضّل)
.. وعبارة "أثيرة الكحل" تعني (المفضلة للكحل)
;فيما معناه أن الكحل هو من يُفضّل أن يُزيّن عينيها
دوناً عن باقي النساء ؛لجمالها وتمييزها ..

وفعلياً أنا من أكبر المعجبين بلطافة ورُقّي صديقتنا
فخر وبكلماته الرقيقة .. ♥ □

الفصل الثالث والعشرون {المهندس وأثيرة الكحل}

__ مش هتقولي حاجة؟

نطق زياد بجملته وهو يجلس بجوارها فوق المقعد
الذي يتوسط حديقة المنزل الواسعة ..

كانت تحرق في الفراغ بصمت .. عقلها يسبح في عالم
آخر منذ وقع قراره على مسامعها وكأنه تسبب في
حالة من الشلل الدماغي أوقفت لسانها عن تجميع
الحروف ..

ابتلعت جوفها وأجبرت نفسها على تكوين كلماتها
بصعوبة وحرّكت عينيها تجاهه وقالت :

انا مش فاهمة حاجة

تنهد وتحدث بهدوء :

**_بصي انا عارف انا فاجئتك جدا بالموضوع، بس انا
مكنتش هعرف اسيبهم يكسروا مناخيري ويمشوا
كلامهم في الآخر ..**

ثم أضاف :

**_لو مش جاهزة وده متوقع طبعا وانا مقدر، ممكن
نأجله شوية عادي**

رددت بعدم استيعاب :

_نأجله؟!!

أوما مؤكداً :

**_ايوة نأجله مش نلغيه .. انا مقولتس كدا عشان
اضحك عليهم انا عايزك بجد وجاهز نكتب كتابنا
دلوقتي كمان!**

اتسعت عينيها وظلت تحملق بوجهه بدهشة ثم ردت
بتلعثم من فرط دهولها :

_ي.يعنى ايه؟ يعنى ايه ده!؟؟

_يعني عايز اتجوزك وشاريكي .. واضحة

زاد اتساع عينيها أكثر وصاحت :

_انا!؟

_ايوة يا ياسمين مالك؟ ماتفوقي

تفرقت نظراتها فى جميع الأنحاء تحاول الاستيعاب ثم
عادت تنظر له وقد تراكمت دموع الفرحة بعينيها
وهى تتساءل بنبرة مرتعشة :

_ انت بتتكلم بجد؟

_ اه والله

ابتسم بهدوء ثم استطرد :

_ بصي .. انا قولتلك قبل كدا إني بحوِّش عشان اجيب
عربية .. بس احنا هنركن العربية دلوقتي ونجهِّز
شقتنا الأول واحدة واحدة سوا .. حتى حاجة صغيرة
على قدنا كدا مش لازم فشخرة وخلص يعني

أجابت بتعجب وعدم رضا :

_ بس انت كان نفسك تجيب العربية
طالعتها بطرف عينيه عابثًا :

_ بس نفسي اعيش معاك انت أكثر

عاد الذهول يرسم معالمه على وجهها ; لم يكن ليأتِ
في أحلامها حتى أن تسمع منه جُملة كهذه .. ولم
يقف الأمر عند هذا الحد، بل قام بإيصال دهشتها إلى
ذروتها حينما اتسعت ابتسامته أكثر ونطق برقّة
وهدوء :

_ انا بحبك يافراشة

جحظت عينيها عن آخرها وانتفضت منتصبية فجأة ..
نهض هو الآخر وطالعتها بتعجب وهي تهز رأسها نفياً
بشكل متسارع :

_ لا لا انت مش في وعيك على فكرة انت مش حاسس
باللى بتقوله

ضحك بخفة بينما تابعت هي بصوت يوشك على
البكاء :

_ يا إما انا اللي شاربة حاجة وبيتهالي!

أمسك بيدها وهو يقول :

_ ياسمين اهدي ..

نظر بعينيها مباشرةً و ردد بصوت هادئ شعرت على
أثره ببعض السكينة :

_ لا انتِ شاربة حاجة ولا انا مش في وعيي، وانا
حاسس بالكلام اللي بقوله كويس .. مش ناقص غير
تقولي بس إنك موافقة وانا أوعدك هعمل كل اللي
اقدر عليه عشان تبقي مبسوطة

ارتكزت عينيها على حدقتيه بصمت تام ، شفيتها
منفرجتين قليلاً من عدم التصديق .. مقلتها تلمع

بذلك البريق الذى لا يظهر سوى له .. تلك النظرة
العاشقة التى تعلن بوضوح كم هى غارقة به منذ زمن
وكم تحب كل تفاصيله ;وجهه وصوته وابتسامته ..

لم تكن قادرة بالمرّة على استيعاب ما تواجهه .. لقد
كان حبيبها سرًا بينها وبين نفسها ولم تكن لتجرؤ
يومًا على البوح بذلك .. والآن هو يلبي أمنيتها
ويعترف بحبه لها .. بل ويطلب أن تكون زوجته فى
أقرب وقت !!

لطفًا لطفًا لا تصبح حلمًا فى النهاية ..

أفاقت على صوته الذى نطق بعد ملاحظة سكوتها :

__ها؟ ابدأ فى التجهيزات ولّا ايه؟

قرار مصيري كهذا لم تكن مستعدة له بالطبع ..

بلحظة واحدة غير متوقعة انقلب الصديق فجأة إلى
حبيب يود نقش اسمه بجوار اسمها ..

أصابتها رجفة قوية من الخوف الذي ضرب أوصالها
فجأة .. ليس قلقاً منه ولكن خطوة كبيرة كخطوة
الزواج ليست بشئ بسيط، ناهيك عن كونه زواج
مفاجئ سيتم بعد خمسة أيام دون أى مقدمات ولا
حتى مسبقاً بخطبة لشهرين على الأقل ..

ولكنها لن تقدر على التفريط فيه ..

ليذهب الخوف إلى الجحيم، فهي تعلم أنه لن يدوم
عندما يستوعب عقلها أنها برفقة أكثر من تهتم لأمره
وتترك أى شئ لأجله ..

بانت تلك الابتسامة الناعمة خاصتها على محياها
وهزت رأسها مرتين بالقبول، مما ساعد في ظهور
ضحكته الواسعة على وجهه بسرور وفرحة غامرة

*

*

*

يعني تمام جاهز خلاص؟

خاطبته جهاد عبر الهاتف وعلى وجهها ابتسامة
متحمسة قليلاً بعدما أبلغها بموعد مقابلة العمل في
الغد ..

.

وقف فخر أمام خزانة الملابس وهو يضع الهاتف
على أذنه مجيباً :

اه جهّزت ورقي بس لسة بشوف هلبس ايه ..

اقترح لك انا طقم حلو؟

هتفا الاثنان معًا بنفس الوقت :

"اطربني ياكروان"

ارتفعت قهقهاتهما بشدة قبل أن تهتف هي :

حفظتك خلاص

هدأت ضحكاته قليلاً حتى تبقت ابتسامة خفيفة فوق

محياه، وقال :

طب قولي ياستي

بص انا شوفت لك صورة قبل كدا كنت لابس فيها

بليزر بيچ وحاسة إنه هيبقى حلو مع بنطلون أسود

وقميص ابيض كدا

تطلع لسترته البيج بتردد ثم نظر للرمادية المجاورة
لها وقال :

_مش عارف، حاسس الرصاصي أشيك

ثم أضاف وهو يسحب الشمّاعتين اللتان تحملان
السترتين :

_بصي هجرّب الاتنين واوريكي استني

.

.

لم تعلم كم مر عليها من الوقت وهي بنفس تلك
الضحكة البلهاء المرسومة على وجهها وتحقق
بالهاتف في انتظار أن يرسل الصور ..

ذلك الشعور بأن هناك أحدٌ ما يحب مشاركتك أموره
رائع بحق .. يغرس السعادة بقلبك دون سابق إنذار

تصوّب كل انتباهها لشاشة الهاتف عندما أرسل لها
صورتين .. كلتاهما بنفس الوضعية وهو يقف أمام
المرآة ويرفع الهاتف ليلتقط صورة انعكاسه .. الأولى
بقميص أبيض تعتليه السترة البيج، والثانية بنفس
القميص ولكن مع السترة الرمادية ..

مرّت بين الصورتين أكثر من مرة ثم راسلته كتابيًا :

"لا انا شايفة البيج أحلى .. شوف اللي يريّحك بس انا
رأيي إن البيج حلو ولذيذ معاك"

بضع ثوان ووصلها رده :

"خلاص هفكر واشوف"

ثم أضاف رسالة أخرى :

"هروح اكوي القميص بقى"

ضحكت واكتفت بالرد بـ :

"تمام"

*

*

*

بآخر الليل، حيث تخطت الساعة الثانية صباحًا ..

.

دخل زياد لغرفة أخته بعدما دق الباب وسمع إذنها من
الداخل، أسند يده على المقبض وهو يقول :
_كويس إنك صاحية .. تعالي عايزك تشوفي ياسمين

نظرت له وهى تجلس على السرير و ردت بتعجب :
_اشوفها ليه مالها؟

_اصل انا خبطت عليها مفتحتش .. تقريبًا نايمة بس
عايز اتظمن عليها، وأكيد ميصحش ادخل عليها وهى
نايمة كدا، عايزك انتِ تدخلي تشوفها ...

.
. .
. .

خرجت مريم من الغرفة التى جهزت مؤخرًا لاستقبال
ياسمين، وأغلقت الباب خلفها ثم اتجهت لأخيها الذى
بقى فى الخارج ينتظرها وقالت :

_ نايمة وكويسة متقلقش

_ طب الحمد لله ..

و أردف :

_ انا نازل بقى، عايزة حاجة؟

_ رايح فين فى نص الليل كدا؟

_ هروح الفّ شوية كدا وارجع

خاطبته برجاء :

_ طب ما تاخدني معاك انا زهقانة ومش عارفة انام

من بدري

همهم بسخط :

_الواحد ميعرفش يختلي بنفسه أبدا

ثم بادر بالقبول قائلاً :

_ماشي بس متقوليش لفخر

_اقول ايه؟

فهمت فوراً وشهقت بدهشة :

_انت هتاخذ العربية؟!

رفع يده بالمفاتيح وهو يضحك، فقالت :

_انت مبتحرمش؟ ، افرض عرف؟

_متخافيش مش هيعرف

_ خدت المفاتيح ازاي؟

_ اتسحبت بخفة أقدامي اللي زي النسمة وخذتها ..

تساءلت بتعجب :

_ محسّش بيك؟

_ ده غرقان في سابع نومة ..

ثم قال :

_ يلا انجزي البسي وخلصي .. لو خدتي اكثر من

عشر دقائق همشي واسيبك

.

.

•
على جانب الطريق حيث السيارة متوقفة ويقفان
أمامها يستندان على مقدمتها، بين يديهما كوبين من
البلاستيك يحتويان عصير الفراولة ..

تحدثت مريم وهي تشعر بالهواء اللطيف يحرك
خصلاتها :

_ يعني انت بجد بتحب ياسمين؟

أجاب زياد دون أن يصوّب بصره لها :

_ وانا هكذب عليكِ يعني؟

_ لا انا قصدي انت متأكد من كدا ولا هيطلع مجرد
إعجاب فى الآخر؟

نظر لها وهو يجيب باستهزاء :

_مريم انا مش عيّل مراهق شنبه لسه طالع أول
امبارح!

ضحكت بخفة وارتشفت العصير عن طريق الماصّة
المرفقة به، ثم استمعت له يقول باستهانة :
_الدور والباقي عليكِ انتِ يا اللي ماسكة فى إياد
المصدّي

طالعه باستنكار لكلمته، وأجابت :

_ايه الألفاظ بتاعتك دي؟ وبعدين إياد محترم وابن
ناس ومخلص

نطق بمنتهى اللامبالاة والاستصغار :

_ماشاء الله تلت صفات معدّوش من قدامه حتى ..
درجة أولى عمى!

التفتا الاثنان لصوت شاب مرّ بجوارهما وهو يقول
بوقاحة :

_ ماتشوف لك حته متدارية احسن عشان تاخذ راحتك
راقبه زياد وخرج ردّه فورًا دون تفكير :

_ هشوف حته متدارية عشان احشي معدتك طوب
ياللا!

استعد زياد إلى الذهاب إليه لولا يدها التي منعته :
_ زيزو مش وقت خناق لو سمحت احنا مش ناقصين
مشاكل عشان خاطري ..

لم يعيره الشاب اهتمامًا وواصل طريقه بينما ظل زياد
يحدجه بحنق .. زفر بملل والتفت لها قائلاً :

ما كنت هروقه ياهادمة الملذات ..

بقول لك ايه يلا نروح خلاص، كفاية كدا

استجاب لها وتحرك معها إلى السيارة وركبها ثم
غادرا

*

*

انا تستغفلوني وتأخذوا العربية من ورايا ياشوية
كلاب؟! فاكرييني عشان نايم مش هعرف؟

هكذا تحدث فخر وهو يقف أمام هذين المقيدين
بمقعديهما وسط ساحة غرفته ..

كانا الاثنان شبه نيام ؛بسبب انتقالهم من الفراش
مباشرة إلى غرفة فخر الذي لم يترك لهما المجال
لغسل وجهيهما حتى، بل اقتحم غرفة كل واحد
وأمسك به كالأرنب الصغير وجذبه إلى هنا ثم قام
بربطه في الكرسي ..

نظرت مريم بعينيها النصف مفتوحة إلى زياد بجانبها
وتساءلت بملل :

_ هو ده اللي مش هيعرف؟

تطلع لها بجانب عينيه ثم نظر لأخيه وقال :

_ انت عرفت ازاي؟ انا ركنتها زي ماكانت بالظبط

ابتسم فخر بسخرية وعقد ذراعيه أمام صدره وهو
يقول :

_تقديرك للمسافات مكانش دقيق يا استاذ .. , انا
سايب العربية جنب السور بمسافة متر ، نزلت
دلوقتي لقيتها متر ونص!

تمتم زياد بضجر :

_يا عم كان يوم مالوش ملامح يوم ماطلعت مهندس
يا عم !

كان فخر بكامل أناقته ;حيث مشط شعره بعناية
وارتدى قميصاً أبيض اللون يصاحبه سترة رسمية
من اللون البيج مع بنطال أسود ..
همّ بالخروج وهو يقول :

_انا ماشي عشان عندي interview للشغل
وهسيبكوا كدا لحد ما ارجع .. لو اتقبلت هفككوا .. لو
متقبلتش هتفضلوا كدا لحد ما اقدم في مكتب جديد إن
شاء الله ..

خرج وأغلق الباب من خلفه، تاركًا هذين الاثنين
ينظران لبعضهما بملل حتى نطقت مريم :

_ كل مرة بمشي وراك باخذ على عيني!

_ والله محدش قال لك تلزقي فيا وتيجي معايا بقى ...

*

*

*

بعد مرور بضع سويعات ..

خرج من البناية التي يقبع بها المكتب المقصود
لمقابلة العمل .. تفاجأ بوجودها على مقربة منه، وقد

لاحظته بمجرد خروجه من البوابة، فهرولت إليه
وهي تهتف باهتمام شديد :

_ها عملت ايه؟

تساعل فخر باندهاش :

_انتِ جيتي لحد هنا؟!

_ايوة طبعا، مش انا اللي رشحتك المكتب؟ لازم
اعرف التفاصيل .. طمنني عملت ايه؟

أجاب بابتسامة صغيرة لم يظهر بها حماس :

_الحمد لله اتقبلت

صاحت جهاد بسعادة شديدة وصفقت بعفوية :

الله بجد!! .. الف الف مبروك

توقفت عن متابعة تهنئتها وتلاشت ضحكتها ليحلّ
مكانها التعجب وتساءلت :

بس مالك شكك مش مبسوط ليه؟

رد بلامبالاة بعض الشيء :

لا مبسوط عادي بس انا اتقبلت عشان اسم ابويا
مش عشاني .. اتقبلت لما عرفوا إني ابن عامر تليد
مش عشان حاسين إني مناسب بجد

هممت بتأفف :

يااه على المثالية بتاعة المهندسين دي!

غلبها التساؤل وأفصحت عن تعجبها :

**_ اومال مكنتش بتتقبل ليه زمان طالما ابوك معروف
كدا؟**

**_ لأ ماهو مش كل الناس عارفة ابويا يعني، مش
محمد صلاح هوّ!**

ضحكت ثم قالت :

**_ ياسيدى المهم إنك اتقبلت وخلص، وانت لما تشتغل
هتثبت لهم إنك مالکش دعوة بـ باباك وإنك شاطر ..
فكّ كدا متبقاش نكد**

ضحك بهدوء وأجاب :

_ خلاص ما انا مبسوط اهو مقولتتش حاجة

**أشارت برأسها على سترته وهى تقول بابتسامه
مغرورة :**

سمعت كلامي ولبست البليزر البيج زى ماقولتلك

ابتسم ولم يفصح عمّا بداخله ;بأنه لم يلبسه سوى
لأنها اختارته ليس أكثر، واكتفى ب :

لقيته عجبني

تحدثت بابتسامة متحمسة وهى تهتمّ بالتحرك :

طب تعالى تعالى احنا لازم نروح نجيبك حاجة حلوة
بمناسبة الشغل الجديد

سار بجوارها وهو يتساعل :

انتِ معندكيش شغل النهاردة ولا ايه؟

_ لا مش هروح .. انا ليا يومين إجازة فى الشهر،
هاخد واحد منهم النهاردة ونحتفل بيك ..

نظرت له وهى تسير بتمهل :

_ اجيبك كيلو تفاح؟

_ انتِ رايحة تزوري واحد عيان؟!!

ردت ضاحكة :

_ مش انت اللى بتحبُّه؟

قُطع حوارهما بفتاة جميلة ذات مظهر حسن فاتن،
أوقفتها وابتسمت بشكل جذاب لجهاذ وهى تسألها :

_ لو سمحتي انا آسفة على العطلة بس عايزة اعرف
هو فى صيدلية فى الشارع ده اسمها صيدلية دكتور
علاء راضي؟

نظرت جهاد لفخر وهى تقول :
_والله مش عارفة، انت تعرف؟

رد فخر وهو ينظر للفتاة :

_لا والله اصل احنا مش من المنطقة دى ف منعرفش
حاجة هنا

ضحكت بهدوء وقالت وهى تستعد للمغادرة :

_خلاص مش مشكلة شكرا

ذهبت البنت فى طريقها، بينما تابعا الاثنان السير و
رددت جهاد بانبهار واضح :

**_يالهوي على القمر البت مفيهاش غلطة, ايه الجمال
ده؟! .. ماشاء الله ماشاء الله، يارب ما احسدها
ويحصل لها حاجة .. مش عارفة الواحد مش حلو زي
النسوان دول كدا ليه!**

ضحك فخر وقال :

_بس انتِ حلوة على فكرة

_بس مش زيها

أجابها برزانة وهدوء :

**_مش لازم تبقي زيها عشان تبقي حلوة .. انتِ ليك
جمالك وهي ليها جمال تاني .. مش صح تحطي نفسك
فى مقارنات، كل بنت بتختلف حلاوتها عن الثانية**

ردت ببساطة وعدم اهتمام :

_ انا مش بقارن نفسي ومش متضايقه من شكلي
عادي .. بس انا عارفة نفسي مش حلوة يعنى .. اللي
هو بنت عاديه زى أغلب البنات مش ال واو اللي تشد
نظر أى حد كدا زى ما البنت دي لفتت نظري

أطال النظر لها للحظات ثم صوّب بصره أمامه والتزم
الصمت ;لن ينهرها على حماقتها رغم رغبته فى ذلك
..

بحق السماء كيف ترى وجهها كل يوم فى المرآة ولم
تنتبه لمدى رونق عينيها الخلابه مثلاً! ..

ربما كانت تلك الفتاة أجمل ولكنها ليست أجمل فى
نظره ؛فهي لا تمتلك تلك العيون الواسعة والمميزة
التي احتكرتها جهاد لنفسها فقط، ولن ترى مقلتيه
مثيلاً لها حتى لو حاولوا إقناعه بغير ذلك ..

سيظل عقله يراها "تحفة" لم ولن تتكرر ..

بربك أيتها الغزالة الصغيرة! ماذا فعلتِ حتى أصبحَ
متيمًا بكِ هكذا !

_المهم هنروح فين بقى؟

انتبه لسؤالها وأجاب :

_شوفي انتِ عايزة ايه

_انت صاحب الحفلة لازم انت اللى تختار

توقف عندما وصل لموقع سيارته الذى تركها به،
فتوقفت معه وطالعتة وهو يدور بعينيه من حوله
بتفكير ثم قال :

_مفيش حاجة في دماغي .. بصى قوليلي انتِ نفسك
تعملي ايه ونعمله

ضحكت وأجابت :

_ لا انا نفسي فى حاجات كتير اوي لو قعدت اعدّ مش
هنخلص

_ قوليلي أى حاجة منهم

صمتت قليلاً لتتذكر والتمعت عينيها باهتمام وهى
تقول :

_ مثلاً نفسي اتعلمّ skate .. نفسي اطلع جبل واعمل
camping فى الصحرا .. نفسي اركب خيل ..

وتابعت ضاحكة :

_ نفسي اركب موتسيكلات .. بحس إنها بتديك
إحساس حرية كدا وانت منطلق والهوا بيخبط فى
وشك

ثم أضافت :

_عايزة اتعلم اضرب نار .. ونفسي اعزف بيانو .. لا
لا انا عايزة حاجات كتير اوي وكلها صعبة مفيش
حاجة سريعة كدا تتعمل صد رد

أردفت بعبارتها الأخيرة وهى تضحك ، فيما شاركها
الضحك بهدوء وقال :

_بصي هو بالنسبة لـ skate ف للاسف عندي معاه
عقدة عشان جرّبتة من تلت سنين ووقعت بسببه و
دراعي اتكسر .. والموتسيكلات دى بردو ركبتها قبل
كدا واتقلبت بيه ف حرّمت اقرب منه تاني عشان قعدت
فى المستشفى يجي شهرين بعدها ..

ارتفعت ضحكاتهما وهى تطالعه بدهشة، فبادلها
الضحك وهو يقول :

_ لا انا حياتي مليانة حوادث انت متعرفيش

ثم تابع :

_ ضرب النار ده بقى صدقيني مش هتلاقي فيه اى متعة زى ما انت متخيلة، بس طالما عايزة تجربى ممكن اعلمك مرة مش مشكلة ..

ثم اختتم قائلاً :

_ كدا هنصفي على الخيل عشان ده الحاجة اللي انا عملتها كتير وهرف افيدك فيها .. تعالى هودىكي اسطبل رايق هتتبسطي فيه

فغرت عينيها بذهول :

_ ايه ده بالسهولة دى؟!!

_ اه عادي، انا روحت كتير والمكان حلو هيعجبك

تساءلت بابتسامة مندهشة :

_ انت بتعرف تركب خيل؟!!

رد ضاحكًا :

_ لا هو أكيد مش همسك الحصان واطلع ارمح بيه
يعنى، بس عندي فكرة كدا

_ اه بس بتركب لوحديك من غير ما حد يساعدك

_ ايوة اه

_ طب ده حلو، انا أصلاً موصلتش للمرحلة دي ومش
هعرف اركبه

ضحك وهو يُخرج مفاتيحه من جيبه ويستعد للتوجه
إلى مقعد السائق :

_ تعالي بس وهنتصرف، يلا

*

*

*

_ احلفي !!

صاحت (منّة) بعينين جاحظتين من الصدمة وهي
تجلس على السرير الخاص بالغرفة التي تمكث بها
ياسمين مؤقتًا في القيلا .. كانت تطالعها بعدم تصديق
بعدها سمعت منها خبر عقد قرانها المفاجئ ..

ضحكت ياسمين وأومات بتأكيد :

_ مش مصدقة نفسي يامنة بجد والله، مرعوبة اطلع
بحلم فى الآخر ولا حاجة

هتفت منة وهى تضحك بلامح لاتزال تلوها
الدهشة:

_يخربيتك! ، الناس بتأخدها واحدة واحدة وانتوا
نطيتوا فجأة على الجواز كدا، ايه ده؟!!

تحدثت ياسمين بنبرة خجولة بعض الشئ مفعمة
بالسعادة والفرح :

_قال لي إنه كدا هيتظمن عليا عشان محدش هيبقى
مسؤول عني غيرُه ولا حد هيبقى له كلمة عليا غيرُه،
وإن لو ماما فكرت تعمل معايا كدا تاني ساعتها يبقى
له حق يحاسبها عشان انا بقيت اخصه مش اخصها
هى

صاحت منة بضحكة عريضة :

_ياعيني ياعيني ده ايه الحلاوة دي؟! .. ماتشوفيلي
اخوه كدا ولا صاحبه ولا اى حاجة من ريحته طيب

ضربتها ياسمين بخفة وهى تضحك :

_اتلمّي اسكتي!

هتفت منة واحتملت نبرتها جدية واضحة وهى تقول:

_يعني انتِ أكيد عايزاه ولا موافقة بس عشان تهربي
من أمك؟

ردت ياسمين باستنكار :

_بتهزري يامنة؟ او مال لو مكنتش بحكيك كل شوية
انا بحبه قد ايه

_ايوة انا عارفة بس بردو قرار كتب الكتاب ده قرار
مش سهل .. انت بعد كام يوم هتتجوزي وانت حتى
معتيش فترة خطوبة تمهّدي بيها الموضوع

هتفت ياسمين بقليل من التشتت :

_بصي انا مش هنكر إن انا طبعا متلغطة وخايفة من
فكرة الجواز، وطبعا مكنتش جاهزة ليها نهائي

رقّ صوتها بحب واضح وتابعت :

_بس كل التوتر ده بيروح أول ما يجي فى دماغي
إني هبقى معاه .. انا هبقى مرات الراجل اللي بقاله
سنين مبيروحش عن بالي يامنة! .. انا من صدمتي
إن ده بيتحقق فى يوم وليلة كدا مش عارفة اعبر عن
فرحتي حتى .. بس انا فى الحقيقة قلبي بيرقص بجد

سكتت للحظة ثم أضافت :

_ انا كنت بحبه اه قبل ما نبقي اصحاب بس مكنتش
متعشمة عشان علاقتنا مكنتش احسن حاجة بسبب
ماما .. بس من ساعة ما قرّينا من بعض اتعلّقت بيه
جدا لدرجة إنه لو غاب عني حياتي هتبقى سودا اوى
ووحشة

_ للدرجة دي!

ضحكت منة ثم تابعت بعدم فهم :

_ ايه اللي محبّك فيه اوي كدا؟؟

غلبتها ابتسامة هادئة وضوت عينيها بلمعة مغلقة
بالحب :

_ مخليني واثقة فى نفسي ..

استرسلت بنبرة ظهرت بها كل مشاعر سعادتها
بالأمر :

لما بقول له إن زوقي وحش ومبعرفش اختار حاجة
حلوة بيبعثلي لبسه وصوره عشان ياخذ رأيي فيهم
وبيقول لي انا بمشي وراكي وانا مغمض عشان
عارف إن زوقك هيعجبني ..

لما بقول إن شكلي وحش فى الصور ومش بحب
اتصور بيقول لي ضحكك جميلة لازم تصوريها

لما باجي مرة اقول له إن شكلي مبهدل النهاردة
ومش حلو بيقول لي بالعكس انت احلويتي ووشك
منور

تضاعف بريق عينيها بعشق واضح :

_والله وشي ما بينور إلا وانا معاه بس ..

اندهشت منة أكثر وهتفت ضاحكة :

**_ده انتِ غرقانة يابت ايه ده! اهدي على نفسك شوية
بدل ما تتسكي على دماغك، بالراحة!**

نهرتها ياسمين بسخط :

**_منة متتغابيش وتخوفيني انا داخلة على جواز
خلاص، متخلّيش اروح اقول له الغيها وابوظ الدنيا**

قهقهت منة ثم قالت :

**_خلاص خلاص .. المهم هنعمل ايه بقى فى الفستان
والميكاب والحاجات دي كلها؟ ، فكرتي فى حاجة؟؟**

*

*

بساحة واسعة جدًا مخصصة لاحتواء الأحصنة ،منهم
الواقفون بالجوار ومنهم مَنْ يتسابقون بقيادة
المدرّبين ..

كانت تتطلع جهاد إلى الأجواء بانبهار شديد وهي
تسير ببطء بجوار فخر ؛الذي كان قد خلع سترته
مسبقًا وبقي يعلّقها على ذراعه ..

أدار وجهه لها ليرى ضحكتها العريضة تتسع على
وجهها أكثر فأكثر ، ابتسم بهدوء وقال :

عجبك المكان؟

نظرت له وصاحت بحماس بالغ :

ده رهيب !!

اكتفى بابتسامة صغيرة ثم تطلع من حوله قليلاً حتى
وقعت عينيه على فتاة طويلة ذات جسد ممشوق
وشعر قصير، لوّح لها بالسلام عندما انتبهت له
فابتسمت بترحيب وتقدمت صوبه حتى وقفت أمامه
وقالت :

_ اهلا اهلا ازيك يا بشمهندس اخبارك ايه؟

_ الحمد لله يا هدير ازيك انت؟

ابتسمت هدير وأومات بالإيجاب :

_ تمام الحمد لله ..

نظر فخر لجهد مخاطباً هدير :

_دي جهاد .. أول مرة تركب خيل وعايزك تساعديها
و تاخديها بالراحة كدا عشان معندهاش خلفية عن
الموضوع

ضحكت هدير وسلّمت عليها بلطف :

_اهلا نورتي .. اتفضلوا تعالو ..

اكتفت جهاد بابتسامة ودودة وايماءة خفيفة، قبل أن
تسبقهم هدير ببضع خطوات وهي تنادي على أحد
العاملين لإحضار الأحصنة ..

رفعت جهاد عينيها لفخر وسألته بهمس :

_انت ضامنها ؟

نظر لها وأجاب :

_متقلقيش دي بتركب خيل بقالها سنين وفاهمة ..
خليكي معاها بس

_ لا انت هتروح فين متسبنيش لو حدي

_ مش هروح في حته، انا قصدي يعني اسمعي كلامها

.

.

قامت هدير بمساعدة جهاد في امتطاء الفرس، أثناء
وقوف فخر بجوارهما واكتفاه بالمراقبة .. نظر
لجهاد بعد استقرارها وسألها :

_ تمام؟

اعتلتها ابتسامة صغيرة تحمل بعض القلق :

_ تمام

: خاطبتها هدير لتتأكد :

_مرتاحة كدا ولا ايه؟

_اه بس انا هعمل ايه بقى؟

_متعمليش حاجة، انا همشييه معايا عادي وانتِ
هتتفرجي

_طب على مهلك بس ..

ضحكت هدير و ردّت :

_حاضر

راقب فخر وجهها المتوجس وقال ضاحكًا :

_انتِ خايفة؟

لا عادي

ولكن لم تكن إجابتها صادقة حقًا؛ فقد ارتعدت بمجرد شعورها بالحصان يتحرك دون أن تقوده هدير ودون أن تقترب منه بعد؛ في الواقع لم تكن حركة قوية أو تتم عن استعداده للذهاب، ولكن لجهلها بالخيل توقعت أنه سيسير وحده، فما كان عليها سوى أن تمسكت بلجامه، ولسوء حظها جذبته بقوة مما بث للجواد إشارة بالانطلاق بسرعة ..

ولكنها لم تصاحبه؛ فقد التف ذراعي فخر حول خصرها بخفة يد، وسحبها من فوق ظهر الفرس بحركة سريعة وعنيفة بعض الشيء، بنفس اللحظة التي ركض بها الحصان يسابق الريح ..

حدث الأمر في غضون ثانية ليس أكثر، فلم تستوعب شيئاً بعد صرختها العفوية من تفاجؤها بجذبها إلى

الأسفل حتى كادت تقع ولكن يده المحكمة حولها
منعتها عن ملامسة الأرض ..

رمشت عينيها عدة مرات وهي تشعر به يساعدها في
الوقوف بتوازن ثم أبعد يده عنها وهو يقول :
_ انتِ بتشدّي اللجام ليه؟ مين قال لك تعملي كدا؟

نظرت له وهي تتنفس بعدم انتظام بسيط :
_ مكانش قصدي

نظرت حولها فوجدت هدير على بُعد مسافة منهما قد
أوقفت الحصان وبدأت تمسد فوق شعره بهدوء ..

عادت تنظر له وقالت :

_ انا متشكرة لسرعة البديهة اللي عندك انا كان
زمانى مكسورة دلوقتي

ثم أسرعت تقول :

_بص خلاص انا رجعت فى كلامي يلا نروح

ضحك وقال :

_احنا معملناش حاجة

_مش هستنى لما اختم اليوم في المستشفى لأ

نطقت بجملتها وهى تستعد للتحرك إلى الخارج ولكنه أوقفها بقوله :

_استنى بس .. انت مش قولتي نفسك تركبي خيل؟

_كنت فاكرة الموضوع سهل بس لأ خلاص مش
عايزة

هتف بهدوء وهو يبتسم :

_طب خلاص متركييش لوحدك .. اركبي مع حد
أحسن

أصرت قائلة :

_لا لوحدني ولا مع حد، انا عايزة امشي

_يا بنتي اسمعي الكلام ..

أمسك بيدها وجذبها معه متابعًا :

_تعالى بس اركبي ورايا وانا هاخذ بالي متخافيش يلا

..

لم تكن مقتنعة تمامًا بهذا، ولكنها استسلمت له فقط
عندما قال أنها ستراققه ..

ربما لو كانت سترافق أحد المدربين والذين هم ذوي
خبرة بالفعل لترددت، ولكن مصاحبة فخر الذي بالكاد
يعلم القليل عن الأمر كانت أكثر اطمئنانًا ..
كيف هذا؟ لا تعلم

لا تجد تفسيرًا لهذا؛ هي بالفعل تشعر معه بالأمان
والسكينة .. نظراته الهادئة تريحها .. عندما يصيبها
القلق مرّة تجده يتطاير ويتلاشى فورًا؛ بمجرد رؤية
نظراته الرزينة وسماع كلماته الساحرة ..

لم يسبق لها وشعرت بمثل هذه المشاعر المضطربة
والتي لا تعلم ماهيتها .. ولكنها حتمًا مطمئنة ..
وهذا يكفي ...

*

*

*

فتحت ياسمين باب الغرفة بعدما قرع أحد ما فوقه ..
ابتسمت بمجرد رؤيته وقالت :

_ازيك يازيزو؟

_كويس .. مش هتيجي تاكلي؟

لاحظت تغير نبرته وضيقه البادي على وجهه،
فتساءلت بتعجب :

_مالك؟

رد بلامبالاة :

اتخانقت فى بسمه كالعاده و ابويا جه فى صفها
كالعاده وانا بتمنى اولع فى البيت ده كالعاده!

ضحكت من كل هذه "كالعاده" التى سمعتها، ثم
قالت:

ماتحاول تتجنبها خالص .. اعتبرها مش موجوده

احنا كدا كدا معتبرينها مش موجوده، وده تحديداً
اللى بيخليها تتخانق فينا .. بتعمل منظر كدا عشان
متحسش إنها مجرد بُرص صغير مالوش اعتبار

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها وهى تقول
؛محاولة تحسين مزاجه قليلاً :

طب تيجي نلعب لودو سوا؟
ضحك بخفة واعترض قائلاً :

_ لودو ايه لأ، تعالي نلعب بلاستيشن

_ مش بفهم فيه، عمري ما لعبته

سألها بحماس :

_ مش صعب على فكرة، اعلمك؟

ابتسمت عندما شعرت أنه بدأ يتناسى ما يغضبه
واهتم الآن بأمر اللعبة ، فأومات بمحبة :

_ ماشي يلا

*

*

*

أوقف سيارته أمام بنايتها مباشرةً ، التفت لها عندما
قالت بامتنان وابتسامة مسرورة :

_شكرا اوي اوي يا فخر، انا اتبسّطت النهاردة اوى ..

ابتسم بهدوء وقال :

_يارب دائماً

ثم تابع قائلاً :

_على فكرة كتب كتاب زيزو وياسمين يوم الجمعة
الجاية فى البيت، هنستناكي

بدت الدهشة على وجهها وضحكت بسعادة :

_ايه ده ايه الأخبار الحلوة دي؟! الف الف مبروك، انا
مكنتش اعرف انهم مخطوبين

لا هما مكانوش مخطوبين فعلا بس كتب الكتاب ده
حصل كدا فجأة .. بصي حوار طويل مش مهم، المهم
إن العيال هتتجوز وعايزين نعمل معاهم الواجب

رددت بحفاوة وحماس :

وأحلى واجب كمان .. انا ممكن آجي مع ياسمين
اقف معاها من أول اليوم لو حبت، قول لها وعرفني
ولو كدا هجيلها الصبح بدري إن شاء الله، معنديش
مشكلة بجد انا كدا كدا يوم الاجازة ده ببقى فاضية

خلاص تمام هقول لها واكلمك

رددت وهى تفتح باب السيارة وهى تقول :

تمام ، سألني عليهم بقى لحد ما اشوفهم وبارك
لهم بنفسى ..

ثم ختمت :

_ عايز حاجة؟

نطق ما ان تذكر شيئاً ما :

_ استني صحيح

طالعه بانتباه و رآته يلتقط دفتره من صندوق
السيارة .. فتح صفحاته حتى توقف عند صفحة
بيضاء، ثم هتف وهو يمسك بقلمه ويستعد للكتابة :

_ افكرت حاجة جديدة

ابتسمت باهتمام وانتظرته حتى ينته من تدوين كلماته

..

بضع ثوان فقط مرّت قبل أن ينظر لها ويضع الدفتر
بين يديها وتعلوه ابتسامة صغيرة ..

"على يقين بأنها لا تحتاج إلى الاستعانة بالكحل لتبدو أجمل، وإنما الكحل هو المحفوظ بملازمة حدقتي المما خاصتها .."

ارتفع حاجبها باندهاش ورفعت عينيها له فجأة،
بينما اتسعت ابتسامته وقال :

المرّة دي الكلام ليك عشان تنسي الكلام اللي قولتيه
لما شوفتي البنت الحلوة إياها ..

ما مقدار السعادة التي اخترقت قلبها في هذه اللحظة؟
، حتمًا تخطت أي مستوى ممكن ، غطت قلبها بدرجة
لمست جميع أوصالها وجعلت عينيها تدمعان من فرط
البهجة ..

عجزت عن إيجاد رد يتناسب مع سرورها، ولكن
عينها أرسلت له كل معاني الامتتان والسعادة
; ونظرتها تلك كانت كافية لإسعاده هو، حتى أكثر
منها ..

سُرَّ كثيرًا كونه سبب تلك الإبتسامة الجميلة على
محياتها والنظرات المشرقة ، وغلبه التفكير للحظة
; أهذه العبارة فقط أسعدتها؟ إذا ماذا إن اكتشفت أنّ
كل ما كان يعرضه عليها لم يكن مجرد كلمات مرّت
على باله كما يدّعي، وإنما خرجت من قلبه .. لأجلها
وحسب!

أطلقت زفيرًا امتزج بحديثها الممتن :
_فخر انا مش عارفة اقول لك ايه بجد والله

عادت تنظر للدفتري لتقرأها مجددًا وتتسع ضحكتها
أكثر، رفعت عينيها له من جديد وأردفت :

هو مينفّش تقطع الورقة دي وتدهاني؟ عايزة
احتفظ بيها

هز رأسه بترحيب والتقط منها الدفتر وفصل عنه
الورقة ، ولكنه لم يعطها لها فى الحال، بل بدأ بطويها
عدة مرات بشكل أثار فضولها لما يحاول تشكيله ..

طوية من الأعلى وأخرى من الأسفل ومن ثم بضع
ثنيات من الجوانب بحرص، إلى أن تكونت بين يديه
نجمة خماسية، ثم أمسك طرفها ومدّها لها

ضحكت بشدة وأخذتها منه وهى تقول :

انا كدا هستخسر افتح الورقة ل احسن الشكل يبوظ

رد مبتسمًا :

_ عادي ، كل ما تفتحيها تعاليلي اعملهاك من أول
وجديد ..

اعتلتها ابتسامة واسعة وطالعه للحظات بعينيها
الواسعتين التي انحفرت صورتها بفؤاده منذ زمن ،
ثم قالت بهدوء ونبرة أوضحت بها كم تعنيها من
قلبها:

_ شكراً يافخر .. بجد شكراً اوي

*

*

*

_ فاشلة فاشلة فاشلة!

كرر زياد تلك الكلمة أكثر من مرة لياسمين الجالسة
بجواره أمام جهاز "البلايستيشن" ، بينما وكزته هي
في ذراعه قائلة :

_عرفت عرفت!

ثم تابعت بملل وهي ترمي له ذراع اللعبة :

_قولتلك انا مبفهمش فى اللعبة دي

_لا هتتعلمها عافية .. يا إما بقى لما نروح بيتنا
هجيب اصحابي كل يوم يلعبوها معايا وهقرفك

ردت باستتكار :

_يا راجل؟ انت جايب البيت لاصحابك ولا ايه؟

_اومال هلعب مع مين؟ ما انا لازم العب

نفخت فى وجهه بقوة مما جعله يغمض عينيه عفويًا،
ودفعها بخفة للخلف :

ايه الزعايب دي؟!

اعتدلت ثم سحبت منه الذراع مجددًا وصاحت بتأفف :
اتفضل علّمني من الأول تاني !

*

*

*

أخذت مريم خطواتها على الدرج وهى تهندم من
ملابسها التى تكوّنت من بنطال واسع من اللون
النيبى مع بلوزة من اللون السّكري .. تترك خصلات
شعرها الصفراء منسدلة تصل حتى كتفيها وتضع

القليل من مساحيق التجميل _ رغم عدم احتياجها
لذلك _ , هى بالفعل تتمتع بلامح جذابة غاية فى
الجمال والرقّة ..

توجهت إلى باب المنزل لتجد فخر يدخل منه فتوقفت
أمامه وقالت :

_ كنت فين يا صايع؟ كل ده فى الانترفيو؟!

_ وانت مالك ياباردة؟ ، انت مين اللى فكك يابت؟!

_ طنط سحر دخلت شافتنا وفكّتنا يا قادر يا مفتري

رد بتوعد :

_ ماشي ماشي لما ترجعي هنتحاسب

توجهت إلى الباب خطوة وقبل أن تخرج لكمته في
ظهره بقوة جعلته يردد للأمام، التفت لها وقبل أن
يخرج منه رد فعل كانت قد هربت وأغلقت الباب
خلفها ..

هز رأسه بتوعد مهممًا :

لما تجيلي بس، والله ما هحك

سار بضع خطوات حتى اقترب من الدرج ولكنه لم
يصعد عندما رأى السيدة سحر قادمة نحوه تسأله
باهتمام :

حمدلله على السلامة، عملت ايه في موضوع
الشغل؟

الحمدلله اتقبلت

نطقت بفرحة قوية :

_جد؟ الف مبروك يا حبيبي يارب يوفئك إن شاء الله

أجابها بابتسامة صغيرة :

_الله يبارك فيك تسلمي

_اجهّزك الغدا؟

_لا ما انا خرجت واتغديت مع جهاد بعد مقابلة الشغل

ضحكت بخفة وهي تسأله بعث :

_جهاد تاني؟

ابتسم بهدوء وأوماً مؤكداً :

_تاني

اتسعت ضحكتها المشاكسة قليلاً وقالت :

_ شاغلة تفكيرك ها؟

تتهد مطولاً ثم أجاب :

_ مخبيش عليكِ ياست سحر ..

لوّحت ابتسامته العاشقة فوق ثغره وهتف بقلة حيلة :

_ عيونها لوحدها وهى متكحلة كدا بتاخذ عقلي والله ..

غلبتها ضحكة عريضة، قبل أن تسمعه يردف :

_ اقول لك على حاجة؟

أومأت مرتين بانتباه، فتابع بنفس ابتسامته وعينيه

تلمعان بحبّ جارف :

**_ انا بقيت بسجّل مكالماتنا سوا عشان كل ما احبّ
اسمع صوتها اشغله**

**ارتفع حاجبها بدهشة ; يبدو أن هناك فخر جديد وُلد
على يد جهاد .. فخر آخر مفعم بالبهجة والحيوية
والإشراق على الحياة .. لم تكن تتخيل أنها ستراه
بهذه الحالة يوماً ..**

**كم تود احتضان جهاد بقوة ؛ امتناناً لنجاحها فى إدخال
السرور على قلب منّ تعتبره أحد أبناءها ..**

انتبهت له عندما تحدث :

_ بصي كدا الجملة على دعوة فرحنا عاملة ازاي ..

تحول بصره إلى الفراغ وتضاعف بريق عينيه وهو
يردف بنبرة ولهائة ويشير بيديه بطريقة تقديمية :

"المهندس .. وأثيرة الكحل"

عاود نظره لها متابعًا :

طرب والله

لم يفارقها الدهول وهي تضحك بسعادة، وقالت :

فرحكوا مرة واحدة؟؟ ، طب استنى اعترف لها حتى
... ولآ انت قولت؟؟

لأ لسة بس هقول أكيد

_ امتى؟

أخذ نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل ، وأجاب بهدوء :
_ قُرَيْبٌ قُرَيْبٌ قُرَيْبٌ أَوْي

وقع رسميًا في دوامة الحب، وهى لم تعلم بحد ..
أسيشهد ما يترقبه عندما يقوم بإخبارها، أم أنّ
تُرَابِ أَمْشِيرِ لَدِيهِ رَأَى آخَرَ؟؟ ﴿﴾

يتبع..

الفصل الرابع والعشرون {كُشف سرُّه}

مرت الساعات حتى أتى المساء ..

أخذ زياد حبة من شريطه المعتاد ثم ارتشف معها
بعض الماء وهو يقف أمام مكتبه .. أخفض الكوب
فجأة بفرع حينما باغته صوت فتح الباب دون
استئذان، فاستدار سريعاً ليجد سحر واقفة تسارع
بالاعتذار :

معلش معلش والله ما كنت اعرف إنك هنا, انا كنت
طبقت الغسيل بس وجاية احط لك هدومك معلش والله
أسفة

أسرع يخفف عنها شعورها بالاحراج :

براحتك يا ست سحر، انتِ تدخلِي براحتك عادي
محصلش حاجة

ابتسمت بخفة ثم اتجهت إلى الخزانة لتضع الملابس
.. استغل زياد عدم انتباهها وحرك يده من خلف

ظهره بهدوء ليُخفِ الشريط أسفل بعض الأوراق التي
تعتلي المكتب ..

انتبه لدخول ياسمين من الباب تهتف بحماس :
_زيزو !

اقتربت منه وجذبت يده لتجبره على مرافقتها :
_تعالى تعالى شوف البديل اللي شوفتهالك على النت

أعاق محاولتها وحاول إيقافها بقوله :
_طب ثواني بس

قبل أن يتابع حديثه قاطعته هي بحماس مفرط :
_لا لا مفيش أي حاجة مهمة دلوقتي غير دي ، انا
عايزاك تنقي معايا الفستان كمان لازم تشوف اللي
نقيته انا اختارت حاجات روعة روعة بجد، تعالى

أردفت بآخر حديثها دون أن تلبث بموضعها وهي
تشده إلى الخارج، فاستسلم لها وخاطب سحر عندما
وصل إلى الباب :

_اقفلي الباب وراكي ياست سحر لو سمحتي

*

*

*

كانت مريم بصحبة أصدقاءها في أحد الأماكن
المفتوحة الواسعة لقضاء أمسية مليئة باللعب
والطعام والمشروبات ..

قضت معهم الكثير من الوقت قبل أن يخبرها إياد
بالنهوض معه والابتعاد عن أصدقائهم لبعض الوقت

..

كانت تشاركهم صديقتها المقربة (رنا) والتي لم
تخفض ناظريها عنهما حتى جلسا على مقربة من
"البار" التابع للمكان ..

جلست فوق الكرسي المجاور له ، فوقها سماء الليل
السوداء وحولها نسمات الهواء الخفيفة والأضواء
البيضاء التي تملأ المكان ..

_الواحد زهق من الصداق بتاعهم

تمتم إياد بجملته، فضحكت بخفة وقالت :

_ليه ده الجو حلو والله

_سيبك منهم، عايزين نشرب حاجة ونقعد لوحدنا
شوية

ابتسمت بقبول :

_اوڪي شوف نشرب ايه

ابتسم عابثاً :

_تاخدي على زوقي؟

أومات بالموافقة :

_ماشى

توجه إياذ بطلبه والذى لم تفهمه مريم فتساءلت :

_ده ايه ده معرفوش

_ده حاجة جديدة هتعجبك اوي ..

لوت شفتيها بلامبالاة وهزت رأسها برضا، قبل أن تتفاجأ بيد تمسك ذراعها بقوة، فالتفتت لصاحبها

بماغثة، لتري رنا تحدجها بحدّة وتهمس لها بأقل
صوت ممكن :
_قومتى ليه؟

_ايه فيها ايه يعنى؟

أقلت نظرة على إيد الذى ينظر لهما دون أن يهتم
بسماع حوارهما، ثم قالت :
_هتشرى ايه مع الواد ده انا سمعتكوا بتقولوا حاجة
جديدة ومش عارف ايه

_انتِ عايزة ايه يارنا؟

ردت رنا بصرامة :

_مريم تعالى اقعدى معانا متقعدوش لوحدكوا

_ليه بقى؟

_معلش حايليني

_لا انا قاعدة، روجي اقعدى انتِ

_اسمعي الكلام انا مش برتاح له يا مريم!

هتفت مريم بحدة قوية :

_رنا انا مش قايمة ومنتكلميش معايا تاني لو سمحتي

.. اتفضلي امشى وسيبينى فى حالى

زفرت رنا بعصبية مكتومة ثم تركتها وذهبت ، سارت بعيداً حتى وقفت بنقطة بعيدة عنها وعن مجموعة الأصدقاء أيضاً، وأخرجت هاتفها من جيبها ، طلبت رقمًا ما ثم انتظرت الرد حتى تحدثت فور فتح الخط :

_ايوة يا عز

*

*

*

دخل فخر إلى غرفة أخيه وهو يقول بعصبية :

_زيزو فين الشاحن بتاعي انا ...

بتر كلماته عندما وجد الغرفة فارغة، فلم يهتم ودلف

ليبحث عن الشاحن وهو يتمم بحنق :

_ولا كان ليا كلمة فى البيت ده ..

ثم تابع وهو يفتح الأدراج وشرع بالبحث :

**_كام مرة قولت ميقرّبش من حاجتي وبردو يروح
يضّيع حاجته ويقرفني انا ..**

**فتح جميع أدراج المكتب على عجلة ولم يجد شيئاً،
فاعتدل وحرّك الأوراق والأغراض من فوق المكتب
لعلّه موجود أسفلها .. ولكن بلا جدوى**

**ولكنه توقف عن متابعة البحث عندما ظهر ذلك
الشريط الذى يتبقى منه حبة واحدة قبل أن ينتهي ..**

**عقد حاجبيه بتعجب وتناوله بإصبعي السبابة والإبهام
، تفحصه بعينيه وهو يديره ليراه من الأمام والخلف،
يحاول التعرّف عليه ولكنّه غريباً عليه ..**

توزعت أنظاره من حوله قليلاً، ثم خرج من الغرفة
في طريقه إلى غرفته هو ..

تحرك سريعاً نحو هاتفه والتقطه بيده الأخرى ثم قام
بتصوير الشريط .. فتح تطبيق (واتساب) واختار
المحادثة الخاصة بابن خاله "عز" وأرسل له
الصورة .. ثم خرج من التطبيق وسارع بإجراء
اتصال سريع به ..

وضع الهاتف على أذنه بانتظار الرد، وقف أمام
نافذته المطلّة على الحديقة، فرأى أخيه بصحبة
ياسمين يجلسان يتطلعان بهاتفها لاختيار ثياب عقد
القرآن ..

أتاه الرد فأبعد نظره عنهما وصبّ انتباهه له :

_ايوة يا عز اسمع، بعنتلك صورة على الواتساب
شوفها بسرعة عايز اعرف الشريط ده بتاع ايه ..
_شريط ايه ده؟

_مش وقته يا عز الموبايل هيفصل، خلّص

_طب ثواني استنى

أبعد فخر الهاتف عن أذنه لينظر بشاشته ليتأكد من
توافر بعض الوقت قبل نفاذ البطارية ثم أعاده على
أذنه مجددًا وانتظر حتى استمع لسؤال عز :

_هو انت بتاخذ البتاع ده؟!

_لا لا انا عايز اعرف بس بتاع ايه؟

_يابني ده بتاع مرضى القلب انت مالك وماله؟ انت
حد كتبھولك بالغلط ولا ايه؟؟

لحظة طويلة من الصمت التام وكأنما توقف به الزمن
.. يحاول استيعاب هل ما سمعه صحيح أم .. لا لا
بالطبع هذا هراء!

قلب؟ .. أى قلب! .. كيف ومتى ولماذا !!

صدمة .. اندھاش .. ألم .. حزن .. اجتمعوا كلھم فوق
وجهه ليضربوه من كل جانب فى آن واحد حتى تركوه
غير قادر على التحدث ..

رمشت عينيه بضع مرات وخرج صوته متحشرجًا
يتساءل بذهول :

ق. قلب؟

هز رأسه يمينًا ويسارًا باعتراض وهمس بصوت
مهزوز :

لا مش للدرجة دي لا ..

أتاه صوت عز المتعجب يتساءل :

هو في ايه يافخر؟

ابتلع غصته وحاول توضيح صوته قليلًا وسأل
بخوف:

عز انت متأكد؟

ايوة أكيد ، هو الشريط ده بتاع مين بالظبط؟

أغلق الهاتف فجأة معلناً عن انتهاء البطارية بالكامل
.. أنت في وقتها على أي حال؛ فهو لم يكن ينوي
إخباره

توجّه بصره إلى الحديقة مجدداً وارتكزت أنظاره عليه
مطوّلاً؛ مندمجاً في التحدث معها .. يناكفها ويمازحها
ببساطة وترتفع ضحكاته بكل أريحية .. كيف يفعل هذا
وكانه مصاباً بصداع ليس أكثر؟

وكيف قام بإخفاء الأمر عن الجميع حتى أخيه!

حزن شديد أسدل خيوطه على ملامحه بأكملها قبل أن
يغمض عينيه بأسى ويمسك يديه فوق شعره للخلف
بحيرة ودهشة

.

.

كان عز يقود سيارته عندما قام بمكالمة مع فخر ..
نظر بشاشة الهاتف بعدما انتهت المكالمة بتعجب
ولكن لم يفكر بالأمر كثيرًا ؛فكان كل ما يشغل باله
الآن "مريم" ، بعدما أبلغته رنا بضرورة حضوره إلى
هناك، فلم ينتظر وانطلق إليها

*

*

*

وقفت جهاد أمام رخام المطبخ تُحرك الملاعة بداخل
كوب مشروبها الساخن لتقليب السكر ..

طالت فترة التقليب أكثر من المعتاد وظلّت تفعلها
بشكل بطئ ؛بسبب شرود عقلها إلى منحنى آخر ..

رجع عقلها إلى مشهد تمسك فخر بها حينما انتشل
جسدها بخفة من فوق الفرَس، وكأنه شعر بالخطر
قبل حدوثه فتجهّز وأنقذها قبل أن تتأذى ..

كان بالفعل يتوقع حدوث شيئاً كهذا؛ فقد كان خوفها
بادياً عليها بوضوح ويظهر عليها عدم استقرار
وضعها .. استرجعت نفسها عندما لاحظت اهتمامه
وكم كان حريصاً على الوقوف بجوارها يطالعها بحذر
واستعداد، وكأنما أصبحت ابنته الصغيرة المسؤولة
منه ..

رسم الخجل معالمه فوق قسماتها وغلبيتها ابتسامة
واسعة خجولة ومعجبة بنفس الوقت، ولكنها لم تدم
فوق وجهها طويلاً، وأسرعت تخفيها عندما أفاقت
لنفسها وذكّرت نفسها بالأمر الواقع ..

فخر لا يحبها ولن يفعل .. هذا مجرد فعل عفوي خرج
من طبيعته الشهمة فقط ولا يعني أمرًا كبيرًا كالحب ..

حمقاء انتِ بجدارة يافتاة، كيف لم تلاحظي نظراته
التي لا تظهر سوى لك؟ ، هو حتى ليس بتلك المهارة
فى إخفاءها ، فكيف لا ترينها؟

حاولت طرد التفكير من رأسها، وتوجّهت إلى الثلاجة
لتحضر منها نوعها المفضل المعتاد من الشوكولا ..
أغلقت باب الثلاجة ثم تناولت كوبها بيدها الأخرى
وخرجت صوب ساحة الشقة ..

جلست على الأريكة ووضعت الكوب مع الشوكولاتة
على المنضدة المقابلة لها، وسرعان ما وقع نظرها
على الورقة التي تركتها مسبقًا على الطاولة ..

تلك الورقة المطوية على شكل نجمة التي أخذتها منه
، لم تلبث حتى عادت لها ابتسامتها من جديد
والتقطتها بأناملها، وظلت تحملق فيها بعينين تلمعان
بوضوح وابتسامة صغيرة

*

*

*

_مش وحش بس شوفي غيرُه

هتف زياد بعدما أرتة ياسمين أحد الفساتين على
الهاتف ..

صاحت بتأفف :

_انت مفيش حاجة عجبك

_ كلهم عاجبينني عادي بس مش حاسسهم، مفيش حاجة كدا أبهرتني .. انا عايزك مثالية اليوم ده ..
حاجة كدا مبتكررش ومحدثش يعرف يبقى شبها

ابتسمت بسرور من كلماته ، ولكن سرعان ما انمحت ابتسامتها بعض الشيء وهى تقول مشيرة لجروح وكدمات وجهها التى لم تختف بعد :

_ مثالية ازاي بقى بوشى المتبهدل ده!

_ عادي احنا حابين وشك المتبهدل ده

ابتسمت بهمّ وقالت :

_ ايوة بس ده أهم يوم فى حياة أى بنت .. يوم مش بيتكرر يازيزو وابقى عاملة فيه كدا؟

أجاب وهو يضع قدمًا فوق الأخرى بلامبالاة :

_ياستي ما يمكن اموت وتكرريه عادي

صرخت بوجهه بغضب :

_ايه يازيزو اللى بتقوله ده اوعى تتكلم كدا تاني!

بينما ضحك هو بعدم اهتمام، ثم قال :

_عمومًا متقلقيش مى بنت خالي بتفهم فى الميكاب
وبتعرف عمله كويس، هخليها تظبطك ..

لم يظهر عليها رد فعل من حديثه وظلت تطالعه بوجه
متجهم وحاجبين منعقدين بضيق، فرفع حاجبيه
ببراءة متسائلًا :

_ايه؟

ردت باستياء وحنق :

_ضايقتني وقفلتني على فكرة!

ولكنه لم يأخذ الأمر على محمل الجد وعاد يضحك
مجددًا، مما أثار غيظها فصاحت :

_بقول لك نكتة انا؟؟

حاول محو ضحكته وأجاب :

_عادي ده هزار متاخديهوش على قلبك كدا

_لا متهزرش معايا تاني

رد بضحكة خفيفة وصوت ليّن على عكس حدّتها :

طب خلاص خلاص روقي .. يلا كملي وريني
الفساتين

*

*

خرجت مريم من المكان بصحبة إياد ; لم تكن تتحلى
بكامل توزانها بسبب تأثرها ببعض الكحول الذى
شربته بالداخل .. لم تكن كمية تجعلها غائبة عن
وعينا تماما ولكن تسببت لها بدوار مؤلم قليلا ؛ وهذا
ما جعلها غير قادرة على ضبط توازنها ..

سار إياد وهو يُسندها من ذراعها حتى توقف بجانب
سيارته وفتح الباب لتركب ، فتوقفت وسألته :

ايه ده انت عندك عربية من امتى؟

لا دي بتاعة واحد صاحبي خدتها منه النهاردة ،
اركبي يلا هوصلك ..

ساعدھا فی ركوب السیارة ثم أغلق الباب واتجه إلى
مقعدہ ..

لم يُدر السیارة ونظر لها متحدثًا :

_مفیش جدید فی حوار ابوكي اللي رافض ده؟

أسندت مرفقها على النافذة ودلّكت جبهتها بتعب :

_لا لسة مصمم على رأیه ..

وتابعت بیأس :

_شکلها مش هتتحل

صاح إیاد بسخط :

_یعني خلاص کدا؟!؟

_ اعمل ايه يا إيداد؟ شايف فى ايدي اعمل حاجة
ومعملتهاش؟

خيم الصمت عليهما للحظات ثم التفت لها وقال :
_ انا عندي حاجة بس مش عارف هتعجبك ولا لا

تطلعت له بانتباه :

_ ايه؟

_ نتجوز فى السر!

ردت باستنكار شديد :

_ ايه؟!؟

أسرع يوضح :

_مؤقتًا بس .. نتجوز في السر شهرين كدا وبعدين
نحط ابوكي قدام الأمر الواقع ويضطر يجوّزنا

_أو يقتلنا !

صاحت مريم بردّها بغضب امتزج بالاستهزاء من
جهله بطبع أبيها ، بينما قال :

_ماهو ساعتها اخواتك هيقفوا معاكي وهما الى
هيقتعوه بالموضوع

اعتدلت بجلستها قليلاً لتصبح موجهة ناحيته وهى
تقول بسخرية :

_ده انت بتتكلم بجد بقى!

تغلّفت نبرته بحنان شديد وقلة حيلة :

**_يامريم انا مقدرش اضيِّعك من ايدي .. معنديش
حاجة اعملها وشعوري بالعجز ده مضايقتي،
معنديش حل تاني**

**اقترب منها قليلاً وطالعتها بنظرات حانية ولهانة :
_هعمل ايه من غيرك لو بعدنا عن بعض يامريم؟**

**بدا عليها أنها تواجه صعوبة فى فتح عينيها بعض
الشيء ؛هذا الدوار يزداد بشكل مزعج!**

**ومع ذلك انطلت عليها كلماته المخادعة وظهر عليها
التأثر بها ،مما شجعه على الاقتراب منها أكثر .. رفع
يده إلى شعرها بهدوء شديد حتى تلامست أنامله مع
خصلاتها ..**

لم تقبل هى بذلك ورفعت يدها لتبعد يده وهى تقول :

_إياد انا مبحبش كدا !

**ولكنه لم يستجب لها بل وضع كفه خلف رأسها
ليقرّبها منه وهو ينظر في عينيها بعشق كاذب :**

_انا بحبك يا مريم

**لم ترضخ له وحاولت الرجوع للخلف ولكن يده
المتشبثة بمؤخرة رأسها تعيقها عن فعل ذلك ، كما أن
هذا الدوار لا يساعدها في جمع قواها ..**

_ ابعديا إياد لو سمحت

**لم يستمع لها وضاعف اقترابه منها حتى كادت أن
تلتصق بأحضانه، فرفعت يديها لتبعده من صدره
بعنف وصاحت بغضب :**

_ إِيَاد قَوْلَتِكَ أَوْعَى، بِتَعْمَلِ إِيَهُ!!

انفتح باب المقعد الخاص به فجأة وامتدت صوبه
يدين قويتين أمسكت برأسه وصدمتها بالمقود بعنف
،مما أفقده الوعي ..

اتسعت عيني مريم مما حدث بهذه السرعة ونظرت
لإياد تفحصه بخوف، بينما تركه عز بعد ما فعله به
دون أى اكتراث، وتوجّه إلى مقعدها وفتح الباب ..
أمسك بذراعها وأخرجها من السيارة عنوة :

_ تعالي انزلي!

صاحت فجأة بارتعاد :

_ عز انت ايه اللى عملته ده؟! شوفه جراه ايه

سحبها معه إلى سيارته التي صفّها خلفهم، وهمهم
بعدم اهتمام :

ياريت يكون مات وخلصنا

فتح باب المقعد المجاور للسائق وأجبرها على
الركوب ثم اتجه إلى مقعده وأدار السيارة وانطلق في
طريقه

*

*

*

دلف فخر إلى غرفة زياد الفارغة مجددًا وأغلق الباب
من خلفه، شرع بفتح كل أدراج المكتب والكومود
وحتى خزانة الملابس .. جيوب البناتيل والسترات ..
محفظته .. أى مكان يمكن أن يحمل به بطاقة طبيب

؛فقد خمن أن يكون محتفظًا ببطاقة الطبيب الذي يتابع معه حالته سرًا دون علم الجميع ..

طال البحث كثيرًا ولكنه لم ييأس بل أعاد الكرة وبحث في كل مكان مرة أخرى لعله لم يرى جيدًا في المرة الأولى .. إلى أن فتح الدرج الثالث للمكتب وبحث فيه بعناية كباقي الأدراج، حتى وقعت عينيه على بطاقة مدون عليها اسم طبيب .. التقطها بيده فورًا ونظر فيها ليقرأ اسم الطبيب وتخصصه ، حتمًا هذا هو !

أغلق الدرج ثم سارع بالعودة إلى غرفته ..
دخل واتجه إلى هاتفه المربوط بسلك الشاحن المعلق بالحائط، وشرع بنقل رقم الطبيب من البطاقة إلى قائمة اتصاله .. ثم طلب الرقم ورفع الهاتف على أذنه بانتظار الرد ..

*

*

*

وقف العربية بقول لك !

صاحت مريم بأمرها غضبًا، فاستجاب لها عز وصفّ
السيارة على جانب الطريق ..

ترجلت مريم من السيارة بغضب وأغلقت الباب بعنف،
تزامنًا مع نزوله هو الآخر .. سارت بضع خطوات
حتى وقفت أمام السيارة ونظرت له وهو يتقدم إليها
ثم صاحت بوجهه بانفعال :

انت بتراقبني يا عز !!؟

وقف أمامها يقول باستتكار :

_أکید مش براقبک بس حتی لو کنت براقبک .. انا
هعمل کدا لیه إلا عشان خایف علیک؟

_خایف علیا من ایه؟ انت فاکرني عیلة صغيرة!؟!

_ده بدل ماتشکريني إني جيت قبل ما يعمل فيک
حاجة؟؟ ازاي تتقي فيه وتمشي وراه کدا وتشربي أى
حاجة يدّهاک وخلاص!؟!

ارتفع صوتها أكثر :

_مالکش دعوة!

استطردت بعصبية شديدة :

_انت مالک بيا!؟! ، مين قال لك إني محتاجة لك ولا
محتاجة لحد أصلا! انا بعرف اخلّي بالي من نفسي
کويس

وتابعت بحدّة و غضب قوي :

_ انت فاكِر إنك لما تعمل كدا هقعد شايلة الجميل
وبشكرك كل يوم وهقعد اكلم نفسي قد ايه انت شهم
وجدع؟! .. لا يا عَزْ محدش طلب منك حاجة أصلا ،
والحركات دي مش هتخلّيني اجري عليك واقول لك
ربنا يخليك ليا

نظرت في عينيه بقسوة وواصلت حديثها الخشن :

_ اوعى تكون فاكِر إنك هتاخذني بالعافية يا عَزْ .. طول
ما انا مش عايزة مش هتقدر تشدني ناحيتك مهما
عملت ..

روح شوف حياتك وسيبني في حالي .. ودي آخر مرة
هحذرك .. صدقتي لو لقيتك في سكتي مرة تانية انا
مش هسكت لك ولا هعمل حساب إنك ابن خالي
وهضايقك بجد .. انت متعرفنيش كويس!

أنهت كلماتها وهي تحديق به بغضب مكتوم وحنق،
ولكنه لم يخرج منه ردًا ..

سكوت ..

فقط سكوت هو كل ما بدر منه .. سكوت في الواقع
كان مقلقًا ..

عينيه مثبتة عليها ونظراته غامضة .. لم تدري إن
كانت غضبًا أم لومًا أم حزنًا ..

ولكن من الواضح أن الثلاثة اجتمعوا بالفعل بداخله ..
فقط بداخله لم يفحص عن أي شيء بأقل كلمة، حتى
نظراته أخفت الأمر قدر الإمكان، حتى ظهرت خاوية
لا تحمل رد فعل ..

هل أصبح الآن الشرير الذى يطاردها ويحاول
امتلاكها رغبًا عنها؟ , كيف وهى أكثر من تعرفه ؟
ألم ترى خوفه عليها واهتمامه بأمرها حتى وهو
متقبل قرارها بعدم قبولها بالزواج منه ؛ رغبةً فى عدم
خسارتها والحفاظ على الودّ بينهما ..؟

شعر بإحباط وضيق شديد .. يبدو أنه بدأ بإهانة نفسه
معها ..

يحاول حمايتها وتراه وغداً متملّكاً فى النهاية ..

انتهى الأمر إذا .. لن يقبل بهذا وسيقوم بكسر قلبه
نصفين إن اضطر ، عوضاً عن الاحتكاك بها مرة
أخرى ..

نظر فى الأرض للحظات وأوماً بهدوء مغمغماً :

_الى تشوفيه يامریم

لم يرفع عينيه بعينيهما، وأشار لها تجاه السيارة
بجمود :

يلا عشان نروح ..

صمتت قليلاً، ثم اتجهت صوب السيارة دون إضافة
أى حرف آخر

.

.

أوقف السيارة أمام منزلها .. أسند يده اليسرى على
المقود ولم يتوجّه لها بالنظر وظل منتظراً نزولها ..

لم ينطق بنصف كلمة طوال الطريق ولم يوجّه لها
نظرة واحدة ولو جانبية حتى، وكأنه وحده في
السيارة ..

لم تترجل في الحال ونظرت له، شعرت بالتأنيب
وأفاقت لفظاً كلمة التي لم تكن لتخرج منها يوماً
.. ولكنها لا تدرك ما الذي حدث فجأة!

__عز؟

رددت اسمه بتردد، ولكنه لم يعطها فرصة لقول شيء
آخر ونطق بجملة واحدة أعلن بها عدم رغبته في
الحديث :

__تصباحي على خير يا مريم ..

تتهدت بحزن وخضعت لرغبته وأسكتت لسانها، ثم
نزلت من السيارة واتجهت إلى المنزل وهي تدير
رأسها لتلق عليه آخر نظراتها ..

ودّت بداخلها لو ألقى إليها نظرة عابرة حتى ؛ ليرى
اعتذارها البادي على وجهها، ولكنه لم يفعل ولم يلبث
مكانه، بل تحرك بالسيارة فورًا وغادر

*

*

*

ياجماعة ممكن تهدوا وتسمعوني شوية بقى؟

هكذا تحدثت حنين موجهة حديثها لصديقتها الاثنتين
الجالسين معها بساحة شقتها، بعدما اكتفت من
حديثهما فى أمر إنتهاء خَظبتها بكلمات مواساة وما
شابه ..

صمتت الفتاتين وتطلعا لها وهي تردف ببساطة :
_متعاملونيش على إني مكتئبة وحالتي تصعب على
الكافر والهبل ده، انا مش عايشة حالة صدمة يعني،
انا كنت عارفة إن ده هيحصل ومنتظراه .. اه أكيد
متضايقه بس هنسى عادي، محدش مضطر يحايلني
بكلمتين

نطقت إحدى الفتاتين بعدم اهتمام :
_طب خلاص نسينا من القصة دي

ثم تابعت بحماس :
_خلينا في الأهم .. فاكرة الصفحة بتاعة الفيسبوك
بتاعتك اللي كنت بتنزلي عليها لوحاتك ورسوماتك
وكدا؟ انتِ بقالك سبع شهور قفلاها .. ماتفتحيها

وارجعي ارسامي زيّ الأول .. هتتسي أسرع كل ما
تتشغلي بالحاجة اللي بتحبيها انا واثقة

تطلعت لها حنين قليلاً بصمت، وأجابت بحيرة :
_مش عارفة

فيما ردت الفتاة الأخرى بضحكة واسعة :
_ابدأي ياحنون وشوفي .. انتِ موهوبة وشاطرة
خسارة تضيّعي إبداعك ده، او مال مين اللي هيرسم لو
انتِ اللي مرسمتيش؟

أخذت حنين نفساً عميقاً ثم أطلقتته بتمهل وهي تتطلع
حولها بتفكير ، ابتسمت بهدوء وأجابت بتشجّع :

_ماشي

*

*

*

دلف عز لغرفته يجرّ خيبته معه، وحزن دفين يأكل
أعماقه بشكل مؤلم ..

جلس على طرف الفراش .. وجهه ثابت لا يبدو عليه
الاهتمام، على عكس داخله المهزوز واليأس ..

دخل والده من الباب الذي تُرك مفتوحًا ونطق بهدوء:
_عز؟

رفع عينيه له دون أن يجيب، فطرح رؤوف سؤاله
بقلق :

_مالك يا بني شكك متضايق كدا ليه؟

لم يرد ونظر إلى الأسفل بصمت تام، مما أثار قلق أبيه أكثر وجعله يقترب منه حتى جلس بجواره وهو يهتف باهتمام :

_ احكي لي حصل ايه طيب يمكن اساعدك

_ انت كان عندك حق!

خرج صوته خافتًا جدًا دون أن يرفع نظره له، تعجب رؤوف منه وظل يطالعه مترقبًا توضيح ..

دلك عز عينيه بأنامله بتعب ثم رفع رأسه ونظر لوالده مؤكدًا :

انت كنت صح .. مكانش المفروض افضل اتعامل
معاها بعد ما رفضتني

أدمعت عينيه بتأثر شديد ، وأضاف :

انا لو قررت من الأول متكلمش معاها كنت هعرف
اعمل كدا عادي ومن غير ما علاقتي تتغير مع فخر
وزياد .. انا بس اللى كنت بتلكك عشان مكنتش عايز
ابعد عنها

اهتز صوته كثيرًا و ردد بقلة حيلة :

انا مش عارف ايه اللى عملته غلط .. والله ما
عارف

بدا الحزن على وجه رؤوف وغلبه الضيق من عجزه
عن مساعدة ولده، لم يكن يمتلك سوى احتضانه ..

ضمه لصدره على مهل وصار يربت عليه تارة
ويمسد فوق شعره تارة أخرى ..

كان هذا أكثر مايمكن أن يعطيه له .. لم تكن الكلمات
حتى ذات فائدة ؛فهى لن تغير من ألمه شيئاً ولو قليلا

.....

*

*

باليوم التالي عند مكانهما المعهود أمام كورنيش النيل
وسط ضوء النهار ..

.

معقول !!

صاحت جهاد باندهاش شديد وعينين متسعيتين
بصدمة، وهي تجلس بجواره وتتطلع لوجهه الذي
يسوده الحزن واليأس ..

كلمت الدكتور امبارح و روحت قابلته النهاردة
عشان اعرف منه التفاصيل بالظبط .. انا لحد دلوقتي
مش مستوعب ! ، ازاي يداري حاجة زي دي عليا !
، يخبي عليا انا!؟!

استفسرت جهاد قائلة :

طب هي ايه المشكلة بالظبط؟

أجاب قائلاً :

اللى عرفته باختصار يعني إن اللى عنده اسمه
اضطراب نظم القلب.. يا إما دقائق القلب تبقى سريعة

بزيادة يابطينة زيادة .. ليه أسباب كتير منها ارتفاع
ضغط الدم والتوتر أو عيوب خلقية فى القلب أصلاً أو
مرض شريان تاجي .. حاجات كتير

والسبب اللى عند زيزو ايه؟

نظر لها متهدأ بأسى وإحباط :

مشكلة فى الصمامات ..

استطرد مسترسلاً :

الدوا اللى بياخده بيهدّي الاضطراب ده وبيظبط
النبض شوية، بس مش بينهي المشكلة .. زيزو
محتاج يعمل عملية عشان حالته تتعالج فعلاً بس هو
مش عايز يعملها

تساءلت بدهشة :

_طب ليه؟

_معرفش، انا لسة متكلمتش معاه ولا قولتله إنّي
عارف حاجة أصلاً ..

_طب ما أكيد خبّي عليك عشان ميخوّفكش

رد بانفعال طفيف :

_حاجة زيّ دي يخبّيها على أى حد إلا اخوه ياجهاد!
، دي حاجة كبيرة ولازم اعرفها، يعني ايه
ميخوّفنيش!؟

_طب اهدى بس أكيد لما تتكلم معاه هيفهمك، أكيد
عنده سبب يعني ..

عمّ الصمت وهي تراقب قسماته التي تزداد حزنًا وألمًا
.. مدت يدها بهدوء وربتت على يده بلطف :

هيبقى كويس متخافش

ألقي نظرة على يدها ثم رفع عينيه لها ليرى
ابتسامتها المفعمة بالسلام والسكينة :

لما تتكلم معاه هتقتعه يعملها وهيعملها وهيبقى
كويس وكل ده هيعدي وتتسوه .. صدقني الموضوع
كله هيعدي وهيبقى تمام، روق دماغك ومتحطش في
نفسك زيادة عن اللزوم ..

اعتلته ابتسامة جانبية صغيرة وأوماً بهدوء ولم
ينبس بكلمة ..

حاولت أن تخفف عنه همّه قليلاً، فلم يكن سوى أنها
اقترحت عليه اقتراحاً بسيطاً :

تيجي نشرب قصب؟؟

تطلع لها ضاحكاً وقال :

_يارايقة انتِ

اتسعت ضحكتها ونهضت وهى تحته على مرافقتها :

_تعالى بس يلا ..

ابتسم لها بقبول واستجاب لها ونهض معها ؛تقديرًا
لمحاولتها في تهوين الأمر عليه ..

لم يكن العصير فعلياً هو من سيغيّر مزاجه، ولكن
وجودها وابتسامتها فقط يكفيان لتهوين أى شئ ..

*

*

*

خرجت ميّ من إحدى الغرفة الخاصة بشقة والدها،
بعدها اطمأنت على ولدها النائم بالداخل .. ثم اتجهت
إلى ساحة الشقة لتجد زوجها مع أبيها يتبادلان
الحديث وهما يحتسيان الشاي، لتسمع رؤوف يقول :

والله يا بني انا مبقتش عارف اعمل ايه، مزعّني
حاله ده ومش لاقيله حل

رد حازم بحزن :

والله يا عمّي فخر نفسه قال له يقلل التعامل مع مريم
شوية عشان متفضلش في دماغه طول الوقت .. بس
هو اللي مسمعش الكلام

بادرت ميّ بالسؤال وهي تجلس معهم :

_ هو مقالش حصل ايه معاها بالظبط؟

أجاب رؤوف :

_ مرضيش يتكلم، وانا مرضتتش ازنّ بقى .. لو كان
عايز يقول كان قال

ردت ميّ بتفكير :

_ طب ما نشوف له عروسة يابابا، انا حاسة إنه لو
اتجوز هينسى مريم ويبدأ حياة جديدة ويلتفت لمراته
ويحبها

_ مش هيجبها ياميّ ودي أفضل فكرة ممكن تقوليها ..
مش ده اللي هيساعده ينساها، و البنت اللي
هيتجوزها دي هتتظلم معاه ..

قاطع حديثهم صوت جرس الباب فنهض حازم بعدما
ترك كوب الشاي، وقام بفتح الباب لاستقبال الطارق

..

نظر لهذا الشاب البسيط الواقف أمامه يحمل حِلة
سوداء مغلقة بغطاء يحيطها بالكامل لحمايتها ..

نطق الشاب قائلاً :

_ مساء الخير، ده بيت أستاذ رؤوف فايد؟

أوما حازم مجيباً :

_ ايوة اتفضل

مدّ له الثياب قائلاً :

_ البدلة دي عشانه، بعتهأ أستاذ زياد تليد

عقد حاجبيه ثم عاد خطوة للخلف ليخاطب حماه
بصوت مسموع :

_ انت مستئي بدلة من زيزو ياعمي؟

رد رؤوف بعدم فهم :

_ بدلة ايه؟

*

*

*

_ايوة ياخالي انا بعتهالك عشان تلبسها فى كتب
الكتاب، عايزك تقيسها وتلحق تعرفني الدنيا عشان لو
مضبطتش الحق ابدلها

نطق زياد برده وهو يقف أمام نافذة غرفته يخاطب
خاله على الهاتف، ليرد رؤوف بعدم اقتناع :

_يابني ولازمته ايه التعب والصداع ده ما انا عندي
البدلة بتاعتي

صاح زياد باستنكار :

_بدلة ايه ياخالي! ، هي البتاعة اللى بتلبسها من قبل
ما تتجوز دي اسمها بدلة؟؟

_بتغلط فى البدلة يالا؟ ، هتلاقي فين زيها دلوقتي
أصلاً؟ دي لوحة فنية مبتكررش

رد زياد ضاحكًا :

_ياروفا متحورّش، بدمّتك انت مقتنع باللي بتقوله ده؟

_والله شكلها حلو

_لا معلىش انا محدش يحضر كتب كتابي بالبدلة اللي من أيام الهكسوس دي ..

توجّه نظره إلى الباب الذي دلف منه فخر بعد طرقتين لا أكثر ..

تطلّع لصمته ونظراته الجامدة قليلاً، وعقد حاجبيه بتعجب، فهاتف خاله قبل أن ينهي المكالمة :

_المهم ياخالي شوفها وكلمني .. يلا سلام

أغلق الهاتف ثم سار ناحية أخيه بضع خطوات وهو
يقول :

_ايه يامعلم قالب وشك ليه؟

أغلق فخر الباب بهدوء ثم اقترب منه وألقى بطاقة
الطبيب على السرير وهو يقول :

_لقيت الكارت ده فى دُرْجك وروحت كلّمت الدكتور
النهاردة ..

صمت زياد وظل نظره معلقًا بالبطاقة بنظرات غلبها
الضجر سريعًا، وزفر بسخط استعدادًا لمواجهة مملة
ونقاش لا يريدُه ..

عقد ذراعيه ونطق مباشرةً دون مقدمات :

_ قبل ما تسألني خبييت ليه وتتخايق فيا هقول لك
عشان متشغلش بالك بالحوار وتقلق على الفاضي ..
انا بهندل الموضوع كويس متقلقش

ضحك بسخرية شديدة ثم قال باستهزاء :

_ هنبتيها عبط؟؟

هتف زياد بملل :

_ انا لو كنت قولتلك مكنتش هتفكر في حاجة غير في
الموضوع ده وكنت هتصدعني كل يوم بقلقك وزنك
على العملية .. انا مرتاح كدا

سأله بحنق :

_ وانت مش عايز تعمل العملية ليه!؟

همهم زياد بتأفف وضجر :

لا متخشش فى السكّة دي، انا مصدع لوحدى ومش ناقص

بطل الطريقة السخيفة بتاعتك دي!!

صاح فخر بعصبية ونظرات حادّة ، فردّ زياد بنفس نبرته الغير مكرثة :

فخر انا كويس .. انا بروح وباجى وبتحرك وبعمل كل حاجة ومش بشتكى ، متفكرش فى حاجة انا أصلا مش مهتم بيها

انت عارف لو معملتش العملية دي هيجصل ايه!؟

لوى شفّتيه بتفكير مصطنع ثم وضع يديه بجيوبه وهو يجيب بكل لامبالاة :

_هَيحصل ايه يعنى؟ ، هموت؟! طب ما كل الناس
بتموت فيها ايه؟ .. هتزعلوا وتعيطوا شوية وهتنسوا
وتكملوا حياتكوا زى الأول عادي .. بسيطة والله
متكبرش الموضوع

حملق به فخر بدهشة اختلطت بغضبه الذى لم ينمحي
عن وجهه بعد .. لاذ بالصمت قليلاً ثم قال :

_هو لو كان حالنا العكس وانا اللي كنت عيان كنت
هتقول نفس الكلمتين دول؟؟

زفر زياد وأشاح بوجهه ، سكت قليلاً ثم أجاب :

_انا مش زيك يا فخر .. انا فعلاً عايش مبسوط عادي
ومش بفكر فى حاجة ومش فارق معايا

بس فارق معايا انا !

صاح فخر بكلمته غضبًا من بروده، وواصل بانفعال
شديد :

هو انا مش مهم عندك؟؟ , ازای هاین عليك تقهرني
عليك كدا؟! انت عارف كويس ان موت أمك لوحده
قَطْمِ ضَهْرِي، جاي تكمل انت عليا؟! .. ايه الأنانية
دي! انا كنت فاكرنى مهم عندك أكثر من كدا
رفع زياد يديه فى الهواء ببساطة و رد بصوت مرتفع
قليلاً :

ما الدوا ممشي الدنيا اهو وانا واقف قدامك كويس

هدر فخر بعصية :

حالتك لو اتدهورت مش هينفعها دوا !

أجاب زياد بنفس مستوى صوته المرتفع ولكن نبرته
لاتزال غير مبالية :

_ خلاص يبقى ده كدا كدا قدرى ومكتوب لى .. ولو
موتش بمرضى هموت بمية طريقة تانية بردو، انت
ليه فاكر إن كُله هيفضل معاك للأبد؟؟

ردد فخر بغضب مكتوم :

_ انا مش بروح احط نفسي قدام عربية نقل واقول ده
قدرى .. طالما بايدى امشى من قدامها همشى

_ واشعرّفك إنى لو عملتها هتتجح أصلا ؟

_ نبقى عملنا اللى علينا مش قعدنا محلك سر

نفخ زياد بملل والتزم الصمت، حتى تحدث فخر مجددًا
بتساؤل :

_ انت ازاي كنت بتروح تلعب كورة وتروح الجيم
عادي كدا !؟

_ مكنتش بعمل مجهود كثير، كانت حاجات خفيفة،
وكنت باخد العلاج عادي ..

صاح فخر بغضب أوشك على تفجير أوصاله :
_ ايه الاستهتار اللي انت فيه ده !!

حاول زياد إنهاء الموضوع بقوله :

_ خلاص يافخر لو سمحت، خلاص انسى .. انا واحد
كتب كتابه بعد يومين متكّده عليه بقى ..

اقترب منه زياد بتمهل وقبّل وجنته وهو يربت على
ذراعيه بهدوء ويقول بلا أي اكرات وابتسامة باردة:

_يلا يا حبيبي روح اشغل دماغك بحاجات أهم .. اخوك
زي الفل ومش محتاج حاجة

يتبع..

الفصل الخامس والعشرون {عقد قرآن}

استيقظ الجميع فى الصباح الباكر للاستعداد إلى يوم
من أهم أيام حياتهم ..

*يوم عقد قرآن أصغر رجال العائلة (زياد)، على
فراشته الصغيرة (ياسمين)*

تقدمت سحر إلى باب القيلا لتفتح الباب للطارق،
وسرعان ما اعتلتها ابتسامة عريضة بترحيب :
_جهد!

ابتسمت جهاد و رددت بدهشة :

_ايه ده فاكراني؟

_اه ما انا شوفتك لما جيتي يوم عيد ميلاد مريم ..
معقول انساكي بردو؟ ده انتِ الغالية

كانت تقصد سحر هذه الكلمة بالفعل ؛ فمن ستكون
أغلى من حبيبة ولدها العزيز فخر؟

ولكنها بالطبع كانت لجهاد مجرد مجاملة لطيفة
أجابتها بـ :

_ربنا يخليكِ شكرا .. هي مريم هنا؟

_البنات كلهم جم وقاعدين فوق .. تعالي اتفضلي
اتفضلي

دلفت جهاد وأغلقت سحر الباب من خلفها، ثم سارت
صوب الدرج وتبعتها جهاد وقالت ضاحكة :

_البيت مقلوب وكُله عمال يلف حوالين نفسه
وقفت فوقفت جهاد معها ، ثم تابعت بعينين تلمعان
بسعادة بالغة :

_أول مرة يبقى عندنا مناسبة كبيرة زي كدا فى البيت
.. مش مصدقة إن زيزو كبر كدا وبيتجوز! ، الأيام
بتجري بسرعة والله

ابتسمت جهاد وقبل أن تبادر بأى رد، كان هناك صوتاً
غاضباً يرتفع في الأرجاء قادمًا من الدرج :

_مين النتن اللي دخل أوضتي وخذ طبق التفاح
بتاعي!! ، أقسم بالله لو عترت فيه ما هفك رقبتة من
أيدي ..

أنهى فخر كلماته الحانقة وهو يهبط على الدرج
بخطوات منفعلة ووجه عابس بوضوح يقفز منه
الغضب ..

ما إن وقعت عينيه على جهاد حتى اختفى ضيقه في
لمح البصر، وغلبت ابتسامته على غضبه، ونطق
وهو يخطو صوبها :

_ايه ده انتِ جيتي! حمدلله على السلامة اتأخرتي
ليه؟

ضحكت من هذا التغير المفاجئ وهتفت :
_ايه التحوّل ده؟

ضحكت سحر ثم خاطبتها قائلة :
_انا هروح اعمل لك حاجة تشربيها ..

ابتسمت جهاد لها بامتنان قبل أن تتركهما وتغادر، ثم
التفتت لسؤال فخر :

_جبتي الهدوم اللى هتحضري بيها معاكي؟
رفعت الحقيبة البلاستيكية التي تحملها بيدها وقالت :
_اه اهي ..

ثم أنزلتها وأردفت :

_مع إني لسة مش مقتنعة آجي واغير والبس هنا كدا
كأنه بيتي، بس لولا مريم أصرت

رد باستنكار :

_لا مقتنعة تيجي لحد هنا وتروحي تضربي المشوار
تاني عشان تغيري وتيجي تاني .. وبعدين عادي كلهم
جابوا هدومهم وهيجهزوا مع بعض مش انت لوحداك

ثم تابع :

_المهم البنات فوق قاعدين يهيصوا ويزغرطوا
وجابولنا صداع .. اطلعي يلا شاركهم وجهزي
العروسة معاهم

هزت رأسها بالإيجاب ضاحكة ثم قالت :

_ماشي بس في حاجة .. انت فاضي دقيقة كدا ؟

افضالك

خرج رده بعفوية وهو يومئ بابتسامة صغيرة،
فضحكت بسرور ثم أخرجت من جيب بنطالها ورقة،
وقالت :

انا فكّيت الورقة اللي ادتهاني ، اعملهاي على شكل
نجمة تاني زيّ الأول

اتسعت ضحكته حتى ظهرت أسنانه منها، وأخذ منها
الورقة .. شرع بثنيها بحرص وصبّ تركيزه في عمله
حتى تخرج من بين يديه مثالية قدر مايمكنه ..

طوية تلو الأخرى تلو الأخرى فعلها بمهارة وسلاسة،
حتى تشكّلت النجمة المقصودة ثم قدّمها لها بابتسامة
مفتخرة بنفسه ، فضحكت وأخذتها وهي تقول :

_ انت لازم تعلمني اعملها ازاي

رد بتعالٍ مازح :

_ لا صعبة عليكِ، انا بس اللي بعرف اعملها

_ مغرور اوي!

قاطع الحديث خروج عز من المطبخ وهو يمسك بيده
تفاحة اختفى نصفها في بطنه، وصدح صوته مكتومًا
من أجزاء التفاحة المتكدسة بفمه ولم يبتلعها بعد :

_ انا بقالي ساعة طالب شاي وسندوتش كُفتة
ومحدثش بيسأل فيا يابيت معفن

نظر له فخر واعتلاه الحنق والملل وهو يقول :

_ كان لازم اتوقع إن انت اللي خدت التفاح طبعًا

تسمر عز بموضعه وتوقف عن مضغ الطعام وظل
يحدق بوجه فخر بترقب وسكوت تام .. تبادل معه
النظرات الصامتة المليئة بالتحدي، ومن ثم فرّ هاربًا
.. فلم يلبث فخر وانطلق من خلفه قاصدًا العناد معه
كالأطفال الصغار ، تحت ضحكات جهاد المرتفعة حتى
اختفوا من أمام عينيها إلى الحديقة

*

*

*

فتحت مريم باب غرفتها للطارق الذي قرع الباب،
وابتسمت فورًا بترحيب شديد :

ايه ده جهاد ازيك؟

اقتربت منها لتقبل وجنتها اليسرى ثم اليمنى، ومن ثم
رحبت بها لتدخل جهاد وتبتسم فى وجه الجميع :

_ صباح الخير

كانت ياسمين تجلس بصحبة (مى) وصديقتها (منة)،
وترتفع من حولهم أصوات الأغاني ..

اقتربت جهاد من ياسمين أولاً واحتضنتها بسعادة :

_ الف مبروك يا حبيبتى يارب يتم لك على خير إن
شاء الله

بادلتها ياسمين العناق بابتسامة سعيدة :

_ الله يبارك فيك يا جهاد ربنا يخليكي

ابتعدت عنها ثم ألقت السلام على مى ومنة، ومن ثم
هتفت ضاحكة :

_ ها فاتني ايه بقى؟

*

*

*

مر الوقت بين غناء ورقص وتحضيرات وتوتر أيضاً
فقد شعروا بنفاذ الوقت من بين أيديهن دون إتمام
كامل التجهيزات ..

كانت تجلس ياسمين أمام المراة مستسلمة ليدَي ميّ
وهي توزّع مستحضرات التجميل على وجهها برفق
وتمهّل، بينما تقوم منة بتجهيز الفستان والحذاء
الخاصين بصديقتها، في حين صاحت مريم لتخلق
الهلع في أنفسهن :

الوقت يجري ملحقاتنا نخلص حاجة، ملحقاتنا
نخلص أي حاجة!

لتسارع جهاد بالرد :

_ اهدي شوية متخافيش هنلحق

بينما صاحت مريم بتوتر شديد :

_ انا جزمتي مش لاقياها كمان .. حد يدّيني تليفونه
دقيقة عشان تليفوني فاصل بسرعة الله يخليكوا

أعطتها جهاد هاتفها :

_ خدي خدي

أخذت مريم الهاتف وقامت بالاتصال على السيدة
سحر ثم تحدثت عندما أجابتها :

_ طنط سحر لو سمحتي انتِ شوفتي الجزمة الفضي
بتاعتي؟

استمعت لها عبر الهاتف ومن ثم تحركت سريعًا إلى
السرير لتتخف وتتنظر من أسفله، ثم خاطبت سحر :

مش موجودة لأ

ثم أنصتت لها عندما تذكرت :

ايوة ايوة انا حطيتها فى الدولاب من تحت صحيح

هرولت مريم إلى خزانة الملابس وفتحتها لتتنظر فى
الأسفل، و هتفت عندما وجدتها :

اه خلاص لقيتها، تسلمي ياطنط شكرا

أغلقت الهاتف ثم أعطته لجهاد، ومن ثم سحبت
فستانها واتجهت إلى الحمام الملحق بالغرفة وهى
تقول :

انا هخش البس .. يلا انجزوا بسرعة شوية مفيش
وقت

تحدثت ياسمين مخاطبة ميّ :

بلاش تكتّري مش عايزة شكلي يبقى زي البهلوان

ما انتِ قولتيلي بس كدا الجروح مش هتختفي مية
فى المية لعلمك ..

ردت ياسمين بملل :

هو مين مشافنيش بيها أصلا؟ كدا كدا محدش
هيحضر غير العيلة وكلهم شافوا وشّي من قبلها،
مش محتاجة اداري عليهم .. انا بس مش عايزاها
واضحة وخلص عشان الصور

ابتسمت ميّ وهى تتابع عملها :

متقلقيش هتبقى قمر ..

استمعنَ لصوت طرقات على الباب، فاتجّعت أقربهم
إلى الباب (منة) وفتحت لناهد التي لم تبادر بالدخول
واكتفت بالسؤال ببعض التردد :

ازيك يامنة؟

كويسة ياطنط اتفضلي ادخلي

لم تفعّلها ناهد وشرعت تدلك يديها ببعضهما بشئ من
التوتر :

هي ياسمين جهزت؟

لا لسة .. بس متقلقيش هنظبطها

ابتسمت ناهد بهدوء ثم قالت :

_طيب خلاص لما تجهز هاجي اشوفها

_تمام براحتك

تركت ناهد ابتسامة صغيرة أخيرة ثم تحركت وغادرت فأغلقت منة الباب والتفت لهنّ .. وقع نظرها على ياسمين التي ظهر عليها الحزن الشديد ; أتتركها والدتها بيوم مهم كهذا ولا تشاركها يومها منذ بدايته؟

نظرت لها جهاد بعدما لاحظت استياءها، وأوضحت لها :

_على فكرة هي خايفة تواجهك، تقريبًا حاسة إن وجودها هيضايقتك ..

رددت ياسمين بصوت مهزوز وحزين :

_ازاي بس!

_كانت متوترة وهى بتتكلم وعايزة تدخل بس باين
عليها فعلا أنها قلقانة تكوني يعني شايلة منها بعد
اللى حصل .. هى خايفة تتكدي بسببها

وافقتها منة قائلة :

_ايوة فعلا كان باين عليها كدا

بينما ربتت مى على كتفها :

_متقلقيش هي أكيد مستتية لما تخلصي وتتكلم معاكي
..

ثم أردفت :

_يلا نكمل؟

تهدت ياسمين بإحباط ثم نظرت تجاه ميّ باستسلام
وصمت

*

*

*

وعلى عكس التوتر المسيطر على الأجواء في غرفة
الفتيات .. كان الشباب مجتمعين في غرفة فخر ،
يتوزعون في الأرجاء، فكان فخر وعز على السرير
يأكلون التفاح، وحازم على المقعد الخاص بالمكتب ،
بينما جلس زياد على الأرضية يحتسي مشروبه
الخاص (الشاي بالحليب) بكل هدوء واستمتاع ..

قال عز والطعام بفمه :

احنا المفروض نلبس امتي يا جماعة؟

نطق زياد بلامبالاة :

_ لسة بدري ياعم

_ انا لسة مَكوتش القميص

أجابه حازم وهو يُخرج من جيبه علبة السجائر
خاصته :

_ هتلق عادي معانا وقت

نظر فخر لحازم وأسرع ينطق باعتراض :

_ ايه ايه هتعمل ايه؟ بطلنا خلاص محدش هيدخن هنا

رمقه حازم باستتكار :

_ وانت من امتي مبتحبش السجاير؟ ما انا بشر بها
قدامك على طول

بقيت بكرها دلوقتي، شيل مش وقته

نظر زياد بطرف عينيه لأخيه ولم يعقب بشئ، بعدما أدرك أنه لم يعترض على التدخين الآن إلا خوفاً عليه بعد معرفته بأمر مرضه ، فتهد بضجر وعاد يرتشف مشروبه بلامبالاة وعدم اهتمام

*

*

*

أتى المساء وتبقى فقط دقائق على موعد عقد القرآن

..

دلف فخر من باب المنزل بعدما كان في الحديقة، مرتدياً ملابس البيت العادية، ليرى أخته تهبط على الدرج بكامل أناقتها؛ حيث ارتدت فستاناً بسيطاً من

اللون البنفسجي الغامق، مع حذاء فضي ذو كعب
يصدح صوته مع كل درجة تخطوها .. تترك شعرها
الأصفر منسدلاً على كتفيها وتضع بعض مساحيق
التجميل التي برزت جمال ملامحها الطفولية الهادئة
وزرقتيها الساحرتين ..

التفتت لصوته يهتف بإعجاب شديد وضحكة عابثة :

الله الله على الجمال ده كله! ، كل الحلاوة دي عندنا
فى البيت؟؟ يا بختنا والله

ضحكت وهى تتخطى آخر درجة من السلم واقتربت
منه، فمد يده لها لتمسك يده، وجعلها تلتف حول
نفسها بهدوء متابعاً :

روما السندريلا هتغطي على الكل النهاردة زي
عادتها ..

وقفت عن الدوران عندما قابلت وجهه واتسعت
ضحكتها أكثر بسرور .. ؛لظالما كان يعاملها كفتاته
المدللة ويتغزل بها كلما رآها متأنقة ..

تحسد نفسها حقًا بامتلاك أخ حنون مثله ينجح في بث
الثقة بنفسها لأعلى درجة، ويشعرها أنها بالفعل
أروع الفتيات وأكثرهم جمالاً ..

سألها قائلاً :

_اومال فين الباقيين؟

_نازلين ورايا ، انت لسة ملبستش ليه؟

_طالع اهو

صاحت بسخط :

لسة فاكر يافخر؟

ليه وانا بقف تسع ساعات قدام المرايا زيّ ناس؟ ..
انتِ عديّ لي لحد ٦٠ هتلاقيني خلّصت وواقف قدامك
طب يلا يلا روح متضيعش الوقت ..

أنهت جملتها وهي تتركه وتتحرك إلى الحديقة، بينما
اتجه هو إلى الدرج وصعد إلى الأعلى ..

•
•
ما إن وصل عند اخر درجة حتى رأى ميّ ومنة
يستعدان للنزول، فابتسم لهما قائلاً :

صباح الفل

ابتسمت له منة قائلة :

_ازيك يابشمهندس؟

بينما صاحت مىّ بحنق :

_لسة ملبستش ياكلب الشوارع؟

أشاح لها بوجهه باستهزاء وهو يستعد لمواصلة
طريقه :

_روحي يابت مالكيش دعوة

_والله حيوان

ضحك ولم يجبها وتابع السير، حتى رأى جهاد تخرج
من غرفة مريم، فتباطأت خطواته تدريجياً وسرعان
ما ظهرت لمعة عينيه المميزة بمجرد ظهورها في
كامل رونقها وبساطتها .. كانت ترتدي فستاناً من
اللون الأصفر الفاتح، مكتمل الأكمام و يصل حتى آخر

قدميها ، وترفع شعرها الأسود للأعلى بشكل منمق
ومرتب ..

تبًا، لقد اختارت اللون الذي يفضله عليها كثيرًا
وصففت شعرها بالطريقة التي يحبها أيضًا .. أتسعى
لجعله يفقد أعصابه ويقوم الآن بكل غباء وتهوّر
بمعانقتها وإفساد الأمور أم ماذا !؟

هز رأسه اعتراضًا على حماقته ؛فبالطبع إن فعل ذلك
مع فتاة مجنونة مثلها، لن يأخذ منها سوى صفقة
قوية تُفقد النطق ليومين على الأقل ..

رسم ابتسامته على ثغره عندما قابلته هي بابتسامة
صغيرة، اقترب منها قليلًا ليرى عينيها السودايتين
المحاطتين بالكحل وملامحها الخلابة التي ارتسمت
صورتها بين خلايا عقله ..

واقعيًا هي لم تكن تملك كل هذا الجمال الذي يراه، بل
على العكس، طوال عمرها لم تكن سوى فتاة عادية

وبسيطة ليست من تجذب النظر بجمالها مطلقًا ..
ولكن من الواضح أن رؤية حبيبك بقلبك قبل عينيك
يجعلك تراه مثاليًا لا يُقارن بأي أحد، حتى بمن يُضرب
بهم المثل في الجمال ..

«تحفة»

لن تتغير نظرتَه لها بِكونها «تحفة»

تحفته الخاصة التي يود حمايتها والاحتفاظ بها بعيدًا
عن الجميع، حتى لا تُصاب بأي خدش، وحتى يتأمل
بجمالها وحده؛ فقط يجلس أمامها في هدوء يحدق في
تفاصيلها لساعات دون كلل أو ملل، ودون حتى أن
ينبس بحرف ..

لسة ملبستش؟

تساءلت جهاد بدهشة، فرد فخر بتذمر :

فاضل مين مسألش السؤال ده!

ثم أجاب ضاحكًا :

رايح البس حاضر

نطقت وهي تستعد للمغادرة :

طب مش هعطّك، يلا روح بسرعة

امتنعت عن أخذ خطواتها ونظرت له لتسمعه يردد

جملة صغيرة وقعت على مسامعها مرتين مسبقًا :

حلو الاصفر عليكي

اعتلتها ضحكة عريضة خجولة، ثم ردت بمشاكسة :
_مفيش الوان تانية حلوة عليا طيب؟

حرك كتفه الأيمن بخفة مجيبًا بابتسامة لامعة :

_كله حلو عليكِ، بس قولتلك .. بحسّه هو بالذات
مختلف معاكِ

اتسعت ابتسامتها أكثر ثم ردت قبل أن تتركه
وتتحرك:

_طب يلا روح البس وقتنا ضيق، يلا

*

*

*

وقفت ياسمين أمام المرأة، تمرر أعينها على فستانها
وشعرها المصفف بعناية ووجهها المزين ببعض
مساحيق التجميل بشكل جذاب هادئ ..

طال نظرها لنفسها كثيرًا، ارتسمت ابتسامة صغيرة
على وجهها حملت الإعجاب والرضا؛ لم يسبق لها
ورأت نفسها بهذا الجمال؛ بغض النظر عن بعض
الجروح التي لم تختف تمامًا عن وجهها، ولكنها لن
تُلاحظ إلا بالتدقيق عن قُرب، وهي ستحرص قدر
المستطاع على عدم التعامل مع أحد بشكل مطول،
فقط تبادل السلام بشكل سريع وكفى ..

نظرت لتلك المنطقة المتورمة على جانب جبهتها
فأحكمت نزول خصلات شعرها عليها ..

أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل لتهدئ من
توترها قليلًا .. حانت اللحظة المنتظرة والجميع في
انتظارها الآن بالأسفل ..

يفصل بينها وبين زوجها بضع دقائق وحسب ..
الأمر جنوني بالفعل ولكنه .. رائع!

التفتت لطرقات خفيفة على باب الغرفة فسمحت
بالدخول ..

دلفت ناهد بهدوء شديد ونظرت لها بابتسامة عذبة ..

اعتلت ياسمين ابتسامة صغيرة لم تخلو من توترها
ولم تتطق بشئ ..

اقتربت ناهد بهدوء وهى تلقي نظراتها على جسد
ابنتها من أعلى لأسفل حتى ارتكزت عينيها على
مقلتيها ونطقت بصوت ناعم ملئ بالإعجاب :

شككك حلو اوي يا ياسمين

اتسعت ابتسامة ياسمين أكثر ونظرت فى الأرض،
فيما اقتربت ناهد أكثر وأردفت :

البيت كان وحش من غيرك في الخمس أيام اللى
قعدتيهم هنا دول

رفعت عينيها وتطلعت لعيني والدتها .. غلبها التعجب
قليلاً؛ لم ترى يوماً تلك النظرات عليها .. نظرات الندم
والاعتذار؛ والتي أفصحت عنها بكلماتها المهزوزة :

_ انا أسفة يا حبيبتى انا عارفة انا زودتها اوي معاكي
.. حقك عليا، كانت تتكسر ايدي قبل ما اعمل فيك كدا

بدت الدهشة على وجه ياسمين وامتزجت بها السعادة
سريعًا؛ لم تتوقع أبدًا أن تقوم أمها بالاعتذار لها
والاهتمام بأمرها ..

تحدثت ناهد بحب ونظرات حانية صادقة :

_ انتِ غالية عندي والله يا ياسمين .. عمري ما كنت
هرميكي لحد وخلص زي ماحسيتي، انا لو مكنتش
عارفة زيزو كويس مكنتش سمحت لكتب الكتاب ده
يتم

وأضافت وهى تربت على يدها :

_انا مش عايزة اليوم ده يعدّي وانتِ زعلانة منّي ..
مش عايزة يوم حلو فى حياتك كدا يتعكر بسببي انا ..
انا عارفة إنك اكيد عايزاني جنبك صح؟

أدمعت عينيها بتأثر وأومات مرتين بهدوء، فابتسمت
ناهد وتابعت :

_وانا موجودة وهعمل لك أى حاجة تعوّض اللي انا
عملته

تراكمت دموع ياسمين بعينيها أكثر وأجابت بابتسامة
مسرورة جدًا :

_انا مش عايزة حاجة .. كفاية إنك جيتي وراضتيني
دي عندي بالدنيا كلها ياماما والله

ابتسمت ناهد واقتربت منها لتضمها إليها بهدوء،
عانقتها بحنوٍ شديد .. عناق لم تعطه لابنتها منذ زمن
طويل .. حاصرتها بين ذراعيها أكثر بحب وشوق
وكانها غابت عنها لشهور ..

التفت يدي ياسمين حول أمها واحتضنتها بسعادة
بالغة، حقاً لم تكن لتكتمل سعادتها لولا تلك الكلمات
الصغيرة وهذا العناق الحنون

*

*

بهدية المنزل التي جهزت بالعديد من الأنوار والزينة
للاحتفال ..

كان يجلس العم رؤوف برفقة حفيده بالجوار وهو
يداعبه ويمازحه ويحتسى معه مشروباً غازياً ..

فى حىن وقف الشبان الأربعة بجانب بعضهم ؛فخر
على اليسار وحازم باليمن ويتوسطهما زياد وعز ..
أمسوا الثلاثة يشاكسون صاحب الليلة بالكلمات
المستمرة التى تعبر عن فرحتهم به، و ولولتهم بنفس
الوقت عن إقحام نفسه فى مصيبة كبيرة كالزواج
ومسؤولياته التى لا تنتهى ..

كانت جهاد واقفة مع مريم ومىّ ومنة ولكن عينيها
موجهة لفخر وأصدقائه بضحكة خفيفة .. لم تنصت
جيداً لحديث الفتيات ، وتعلق بصرها بحركات فخر
العفوية تجاه أخيه ؛حيث ظل طوال الوقت وأثناء
اندماجهم فى الحديث والمزاح، يعدل من مظهر أخيه
بلمسات صغيرة .. مرة ينفذ له بعض حبات الغبار
من على سترته، وأخرى يعدل له ياقة قميصه أو
يهندم طرف السترة ؛وكأنه ولده الصغير الذى
يحرص بشدة على ظهوره فى صورة مثالية باهرة ..

ابتسمت بهدوء شديد وإعجاب واضح من شعوره
الإرادي بالمسؤولية تجاه أحبائه وأصدقائه، قبل
إعجابها بعد ذلك بمظهره الأنيق وملابسه المهندمة
الفخمة؛ التي تكونت من بنطال أسود اللون مع قميص
من نفس اللون وفوقه سترة رسمية من اللون
النيبي، لحيته مرتبة وشعره البني مصفف للخلف
بعناية شديدة، وكأنه أخرج حسّه الهندسي في
تمشيظه فأصبحت جميع خصلاته متفقة في اتجاه
واحد.. وقد أضاف تناسق جسده الطويل مع ملابسه
جاذبية واضحة..

كان وسيماً بحق!

لاحظته قد وجه بصره إليها فابتسمت له بنعومة..
وبدوره وضع يديه في جيوبه وابتسم لها ابتسامة
واسعة، ألحقها بغمزة صغيرة جعلتها تضحك بخجل
وتبعد وجهها تتجنب النظر له..

•
_بس بس اركن انت وهو مش عايز اسمع صوتكوا
تاني ..

هتف زياد بجملته وهو يقلت من بينهم استعدادًا
للذهاب إليها .. هلت بطلتها الرقيقة أخيرًا وهي تمسك
بيد والدتها وتعلوها ابتسامة ناعمة خفيفة، فستانها
ذو اللون السكري بدا وكأنه فصل لها خصيصًا
ليحتوي جسدها الهزيل والقصير ويظهره في أبهى
صورة .. يحدد خصرها ثم ينزل باقيه بوسع بسيط ..
أكامه تصل لأسفل مرفقيها وتترين منطقة الصدر
بأكملها بحبات صغيرة لامعة ..

كان فستانًا رقيقًا جدًا أضاف لرقتها الربانية أضعافًا ..
هناك سلسلة ذهبية تأخذ شكل فراشة تزين جيدها
وحذاءها ذو الكعب العالي تقريبًا اختفى أسفل طبقة

فستانها الطويل .. بالإضافة لشعرها البنى المنسدل
بحرية ..

ترفع يدها إلى شعرها لتتأكد من نزول خصلاته على
موضع التورم المزعج ذاك، يبدو عليها التوتر كثيرًا
؛خاصة مع تركيز الجميع معها .. ولكنها أجبرت
نفسها على عدم الالتفات لهم والتركيز فقط معه ..

رغمًا عنها التفتت له ؛فقد كانت جاذبيته طاغية ..
لأول مرة تراه بالحلة السوداء ؛وياليتها يرتديها دائما
فقد كان فاتنًا بها حقًا وهو يلبسها مع قميصه الأبيض
ويُخرج طرفي القميص من أسفل السترة بشكل مرتب
..

تخلّ عن لحيته الخفيفة وصار حليق الذقن في هذا
اليوم، في حين لم يتنازل شعره عن طبيعته المموجة

ولكنه غير وضع خصلاته المعتاد؛ فحوّلها من تركّها
بعشوائية إلى تمشيّطها للخلف بشكل منظم ومرتب ..

وأخيراً رسم ابتسامته المميزة على ثغره، لتزداد
جاذبية ملامحه الحادة أكثر ..

ما ان اقترب منها حتى تركتها ناهد وأفسحت لها
المجال لمقابلته وحدها .. رفعت عينيها له بنظرة
عابرة قبل أن تخفض رأسها للأسفل بخجل وتسمعه
يقول بنبرة منبهرة :

شكلك يهبل!

اتسعت ابتسامتها كثيراً، ثم رفعت وجهها له و ردت
بخفوت :

وانت كمان

ابتسم ثم قال :

المأذون وصل على فكرة

أخذت نفساً عميقاً وزفرته بصعوبة من فرط التوتر،
ثم نبست :

حاسة ان قلبي بيدق بسرعة

لو مش من الفرحة هقوم اخربها عليهم كلهم وابوظ
اليوم ده

ضحكت بشدة ثم قالت :

لا من الفرحة إن شاء الله

اعتلته ضحكة خفيفة ومد يده لها يعرض عليها
التمسك به :

طب يلا

ابتسمت واحتضنت كفه بكفها وسارت معه ..

*

*

*

وصلا إلى المقاعد التي جُهِزت مسبقاً بشكل متناسق،
فقد كان هناك المقعد الخاص بالمأذون في المنتصف،
وعلى الجانبين مقعدين متقابلين كبيرين يتسع كلُّ
منهما لشخصين، ويتوسط الثلاث مقاعد منضدة
منخفضة ..

نظرت ياسمين للمأذون ورددت بهدوء :

مساء الخير

اهلا اهلا اتفضلي مساء النور

استمعت لترحيبه وهى تجلس على المقعد المجاور
وتتكمش على نفسها بخجل ، فيما اتجه زياد إلى
المقعد المقابل لها وقبل أن يجلس نظر لفخر الواقف
بالقرب منه وسأله بهمس :

ابوك فين؟

رد فخر :

نازل دلوقتي، انا بعنت حنان تستعجله

وقفت ناهد بجوار ابنتها وأمسكت يدها، فلم تلبث
ياسمين حتى تشبثت بيدها قويا؛ فهذا يساعدها على
التغلب على توترها قليلاً .. رفعت رأسها لتنظر لها
بابتسامة شغوفة وقد عاد شعرها للخلف نتيجة
حركتها وظهرت تلك الكدمة التى لم يستطع المكياج
السيطرة عليها، وهذا ما لفت نظر المأذون وجعله
يعقد حاجبيه بتعجب شديد ..

وزعت ياسمين أنظارها من حولها فوقعت نظرة
خاطفة على المأذون، وسرعان ما ركزت اهتمامها له
عندما أشار لها بالاقتراب قليلاً وهو يقول :
_ لو سمحتي يابنتي سؤال

مالت بجزعها ناحيته بانتباه، بينما انحنى هو أيضاً
إليها ليجعل الكلام سراً بينهما، وسألها :
_ انتِ مجبورة على الجواز دي ولا ايه؟

اندهشت ياسمين وهتفت :
_ ايه! .. لأ لأ، ليه بتقول كدا حضرتك؟

استطاع المأذون التقاط آثار الجروح أيضاً عندما
اقترب وجهها منه، وسألها :
_ او مال ايه اللي فى وشك ده؟

توترت ياسمين وأسرعت ترتب شعرها كما كان :
_ لا دي حادثة قديمة بس

ظن المأذون أن توترها يعني كذبها ؛كونها خائفة
منهم .. فنهض فورًا وقال :

_ انتوا بتهزروا؟! انتوا ضاربين البنت وعاملينها
جوازة؟!!

التفت الجميع له بتعجب، ونهضت ياسمين فجأة
تحاول التوضيح له ولكنه لم يعطها فرصة وقال :
_ متخافيش انا مش هسيبك هنا

التفت لزياد الذي اقترب منه يتسائل بعدم فهم :
_ في ايه حضرتك مالك؟

رد المأذون بحنق :

_في إنكوا مجرمين وعايزين تجوزوا البنت الغلبنة
دي بالعافية

صاح زياد بدهشة :

_ايه اللي بتقوله ده !

نطق المأذون بتوعد :

_انا لا هسيبك لا انت ولا كل اللي اشتراك في الجريمة
دي، وهاخدها دلوقتي وهطلع بيها على القسم
وهحبسكوا

اتسعت عيني ياسمين بذهول وتضاعف توترها أكثر،
بينما نطق زياد بملل :

_يا عم الله يرضى علينا و عليك، قسم ايه وهبل ايه!

•
كانت الفتيات يقفن بعيداً قليلاً يراقبن المشهد باهتمام،
وقد تبادلت جهاد الضحك مع مريم بصمت ..

•
ارتفع صوت المأذون ينهره :
_متحاولش تخلق كدبة تنقذ نفسك بيها انا عارف اللى
زيك كويس

بادر رؤوف بالتحدث بهدوء :
_يافندم بالراحة بس، انت فاهم الموضوع غلط

خاطبه المأذون بغضب :
_انت هتتستر عليه؟؟ ده انتوا عاملين عصابة على
البنيت بقى

تحدثت ناهد قائلة بضجر :

_ ما قالتك إنها حادثة ياعم المأذون ما تهدي نفسك شوية!

_ وانا عبيط بقي عشان اصدقها؟

رد زياد بدهشة :

_ هي صاحبة الشأن وبتقول لك حادثة

رد عليه باستنكار :

_ على أساس إنك مش مهددها عشان تقول كدا؟؟

مال حازم على أذن عز الواقف بجانبه يكرر جملة واحدة بسرعة :

امسك فخر امسك فخر امسك فخر ...

كان بالفعل يحفظ صديقه وانفعاله السريع عن ظهر قلب، فلم يكذب فيه كلماته حتى انتفض بخفة على صياح فخر يطغى على أصوات الجميع بصوت جهوري غاضب :

ايه بقى!! ، احنا هنقعد كدا لـ بكرة ولا ايه !!

حضرت بسمة مؤخرًا ووقفت بعيدًا عن الجميع تراقب الوضع بعدم فهم وعدم اهتمام بنفس الوقت ..

أسرع عز يمسك بذراع فخر وهو يخاطبه بخفوت :

مش وقت عصبية دلوقتي، اهدى

ولكنه لم يلتفت له وأردف بنفاد صبر وهو يحاول
التملص من يد عز الذي يقيد ذراعه بقوة :

_بقول لك ايه، روح شوف طريقك يلا مش عايز
تكتب متكتبش، انت هتتعبنا معاك ليه؟

ضاعف عز قوته وأجبره على الرجوع خطوة للخلف
وهو يقول :

_اهدى بقى خَلينا نلمّ الحوار

.

حضر عامر في نهاية النقاش، وسار ناحيتهم بتمهل
يطالعهم بتعجب يحاول فهم هذا المشهد الذي يبدو
عليه الحدة ..

.

جذبت ياسمين انتباه المأذون بقولها :

_لو سمحت اسمعني .. دي حادثة حصلت مالهاش
دعوة بحاجة ومحدث مدّ ايده عليّا ، بس احنا مكناش
هنعرف نأجل كتب الكتاب ف اضطريت احضر كدا ..
انا ليلة عمري هتبولظ كدا من فضلك اتفضل اقعد،
والله مافي حاجة غصب عني متقلقش ..

تطلع لها بحيرة ولكنه خضع فى النهاية لوجهها
الصادق ونظراتها التى ترجوه بعدم تخريب يومها ..
فلم يكن سوى أنه تنهد باستسلام وجلس بمقعده ..

_ايه اللى بيحصل في ايه؟

خرج سؤال عامر بهدوء شديد يبدو عليه عدم اكترائه
فعلياً بالأمر .. فأجابه زياد :

مفیش حاجة یاعامر بیه ، اتفضل عشان نبدا

•
اتجه عامر إلى المقعد الذي تشغله ياسمين وجلس بجانبها من ناحية المأذون ؛كونه وكيلها .. بينما جلس زياد على المقعد المقابل، تحديداً أمام والده واستعد الجميع لمراسم عقد القرآن ..

•
بدأ المأذون أولاً بالتسمية ثم ألحقها بقراءة بعض الآيات من القرآن عن الزواج وذكر بعض الأحاديث النبوية.. ومن ثم بدأ بلفظ الكلمات التي يجب أن يكررها الزوج ووكيل الزوجة ..؛فقام زياد بتكرار الكلمات خلف المأذون وهو يعلق يده بيد أبيه .. وكذلك عامر بدوره ،تحت أنظار الجميع وتركيزهم معهم بأعين مليئة بالسعادة والمحبة وابتسامات واسعة فرحة ..

وبعد وقت قليل قام زياد بالإمضاء على عقد الزواج،
ثم أتى دورها واقتربت بهدوء وكتبت اسمها، ثم
تركت القلم وعادت للخلف ونظرت له بابتسامة
خجولة قابلها هو بابتسامة عذبة .. وقد كان
الشاهدين على العقد هما فخر والخال رؤوف ..

وانتهى إتمام تفاصيل العقد، وصدح صوت المأذون :
"بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"

لترتفع بعدها الزغاريد حتى من قبل أن يتفوه بآخر
حرف ..

انطلقت الزغاريد من بين شفتي جميع الفتيات
بالإضافة لناهد وسحر ..

نهضا العروسين وشرعا بتبادل المباركات والعناق
مع الجميع .. فكان أول من احتضنه هو فخر صاحب
لقب أكثر شخص سعيد اليوم, فهذا الذي يتزوج لم
يكن أخًا وحسب، بل ابنه وصديقه وأكثر من يعط
روحًا لحياته ..

_مبروك يا زينو الف مبروك يا حبيبي ربنا يكتبك
الخير دائمًا يارب

احتضنه زياد بحب مجيبًا :

_ربنا يخليك ليا يا بشمهندس

ابتعد فخر عنه وابتسم له بهدوء، قبل أن يقترب
رؤوف ويعانق ولد أخته وهو يقول :

_على الله تعقل بقى وتبطل تتخانق فى الناس

بإدله زياد العناق وهو يقول :

_مقدرش ياخالي ده اسلوب حياة .. انا لولا عارف
ياسمين هتزعل كنت اتخانقت فى حد دلوقتي

ضربه رؤوف على ظهره بخفة ثم هتف ضاحكًا :
_الف مبروك يا بني ربنا يوفقكوا سوا ويحميكوا

_الله يبارك فيك ياخالي تسلم

ابتعد رؤوف ليلحق به عامر ..!
وقف أمام ولده واقترب منه بهدوء وضمه لصدره
وهو يقول :

_الف مبروك يا زياد

شعر زياد بتخدير طفيف فى أوصاله، وراحت عينيه
تدور من حوله بحيرة .. هذه حرفياً أول مرة يتلقى
عناقاً من والده ! ، حتى مع معرفته أنه مجرد عناق
بارد فعله عامر فقط لخداع الضيوف بعلاقة الأب
وابنه الطبيعية .. ولكنه مع ذلك أثار فى داخله التشتت
والحيرة ..

ابتعد عنه زياد على مهل ثم نطق بصوت لم يحمل رد
فعل سوى الجمود :

_الله يبارك فيك يا عامر بيه ..

تهاتفت الفتيات على ياسمين بعدما هنأته ناهد أولاً
وضمتها بحنان، وبدأن جميعاً باحتضانها وتهنئتها،
مع إضافة الكثير من الدعوات بأن يمنحهما الله
السعادة والهدوء طوال حياتهما ..

انتهت المباركات بعد وقت قصير، ثم تقدم زياد إليها
بهدوء ووقف أمامها .. ابتسم لها ولكنها لم تطل
النظر لعينيه من الخجل ونكست رأسها للأسفل،
فسمعتة يهمس لها :

مبروك يا فراسة

ارتفعت نبضات قلبها تزامناً مع تضاعف خجلها،
واتسعت ابتسامتها أكثر مجيبة بخفوت :

الله يبارك فيك

تساعل ضاحكاً :

المفروض نعمل ايه بقى؟

رفعت عينيها له وعادت للخلف قليلاً دون أن تحرك
قدميها :

_أكيد مش هتحضنني لأ!

ضحك بعنف، ثم قال :

_محدثش هيقول عليك حاجة متخافيش

هزت رأسها نفياً وهي تتحاشى النظر له :

_لا انا بتكسف بتكسف بجد مش هينفع خالص، والله
ممکن اسيب المكان واطلع اجري وافضحك

_لا لا على ايه .. خلاص

مد يديه لها وهو يقول :

_هاتي ايدك

لم تطاوعه ونظرت له بجانب عينيها بترقب، فقال :

_مش هاكك ياستي هاتي

وضعت كفيها بين راحتيه بتردد، فضم أصابعه حول يديها الناعمتين ثم اقترب منها بتمهل حتى قبل رأسها بلطف ..

ابتسمت بهدوء ثم نظرت له عندما ابتعد عنها وقال :

_اهو نعمل أى منظر

ضحكت بشدة، ولم تسحب يدها من بين كفيها، بل حرّكتها بتوتر وسعادة بنفس الوقت

-
-
-

كان يقف عز بالجوار مع ابن اخته عبدالله، يناكفه ويشاكسه وترتفع ضحكاته بصحبته ..

لم يكن منتبهًا لعينها التي تراقبه بتركيز دون ملاحظة الجميع ..

تعلّقت عيني مريم به وبابتسامته وخفة ظله التي لا تفارقه .. حقًا كيف يمكنه فعل ذلك؟ يتعامل وكأنه سعيد من أعماقه، فلا يشك أحد أبدًا بقدر ما يحمله بداخله من كرب وضيق ..

هي مدركة تمامًا ذلك الشرخ الذي تسببت هي به ..

تراه ينجح في إخفائه حتى عن نفسه، ولكنها تعلم أنه موجود .. لم ولن يستطع دفته

ظهر عليها الحزن بوضوح، عيونها الزرقاء امتلأت بالدموع التي رفضت الإفراج عنها ..
أبعدت نظرها عنه وتتهدت بهمّ شديد ..
لو علم فقط ما تعانيه مع نفسها ولم تفصح عنه حتى لأقرب الأقرين لها، لأشفق عليها وسامحها على الحماقات التي تفوّت بها ..

تعلم تمام المعرفة أنه أكثر من سيفهما ويربت عليها، ولكنها تصرّ على التكتّم والصمت ..

لماذا؟ .. لا تملك أدنى فكرة ..

*

*

*

بالقرب من المنضدة الكبيرة التي تحمل الطعام
المخصص للضيوف .. وقفت جهاد واحتست القليل
من الماء ولكنها لم تشعر بسهولة نزول الماء في
حلقها عندما أطبقت بسمه على أنفاسها بوجهها
المقيت ..

وضعت الكوب على الطاولة، قبل ان تتقدم بسمه إليها
وتجذبها من يدها وتجبرها على السير معها بضع
خطوات بعيداً عن المنضدة :
_تعالى هنا يابت!

اتسعت عيني جهاد باندهاش من فظاظتها، بينما
تابعت بسمه بغطرسة وغرور :

ـ انا شايفاكى عمّالة تلقى فى البيت رايحة جاية ولا
كأنه بيت أهلك كدا؟ انتِ خدتي علينا اوي كدا ليه!
انتِ فاكرة نفسك ايه؟

ظهر الغضب على وجه جهاد، ثم تمت بصوت
مسموع وهى تستعد للتوجه إلى المنضدة الخاصة
بالطعام :

ـ لا بصي بقى عشان انتِ شكك مش لاقية حد يلّمك
وفاكرانى غلبانة وهسكت لك يا عقربة يابنت العقارب

أمسكت جهاد بكوب زجاجي وارتفع صوتها أكثر :
ـ انا مخنوقة منك أصلاً من آخر مرة وكويس إنها
جت من عندك

هَمَّت بِالْعُودَةِ إِلَيْهَا لِتَكْسِرَ الْكُؤُوبَ عَلَى رَأْسِ تِلْكَ الْحَيَّةِ
سَلِيْطَةِ اللِّسَانِ، وَلَكِنْ أُعِيْقَتْ حَرَكَتُهَا بِفِعْلِ فَخْرِ الَّذِي
وَقَفَ أَمَامَهَا فَجَاءَتْ :

جهد يخربيتك هتعملي ايه؟

حاولت مقاومة ذراعيه بعدما أمسك بها ليمنعها عنوة
وصاحت بغضب :

اوعى والله لـ افرج عليها الخلق، دي فاكراني على
نياتي وهروح اعيط على جنب

تطلعت لها جهد بغضب وأردفت :

ده انا لو كانوا سابوني عليكى المرة اللي فاتت
مكنتيش طلعتي من المستشفى يا أم لسان زفر !
رددت بسمة باستحقار واشمئزاز :

_ واحدة شلق وبيئة وأخرى الشارع اللي اتربيتي فيه،
وانا هعرف اطلعك برا بطريقتي دلوقتي

اشتعلت جهاد أكثر وتضاعفت مقاومتها لفخر ولكنها
لم تستطع التحرر من يديه القويتين رغم ذلك،
وصرخت متوعدة بغضب شديد :

_ وربنا لـ اضربها!!! !!

_ خلاص يا جهاد بقى سيبك منها

نظرت له جهاد بغضب :

_ انت خايف عليها ولا ايه؟

_ انا خايف عليك انت يا غبية ! ، دي هتدخلك فى
مشاكل مالهاش آخر ..

أمسك بذراعيها الاثنتين ليقيدّها عن الحركة ونظر
لبسمة قائلاً :

_روحي شوفي حالك يابسة ومتحطيش العُقدة في
المنشار

ثم سحب جهاد معه رغماً عنها :

_تعالى معايا يلا امشي ...

*

*

*

كانت ياسمين تقف بصحبة زياد يتبادلان الحديث،
حتى تطفّل عليهما شابّ ما وهو يمسك بقطعة من

إحدى الحلويات المقدمة للضيوف، كان قد أكل منها
قطعة وهو يقول :

__ مساء الأنااس

نظر زياد إلى صديقه و رد باعتراض :

__ متسرقش الكلام بتاعي يالا

ضحك الشاب وأكل القطعة الباقية بيده ثم تساءل :

__ مش هتتصوروا ولا ايه؟

التفت زياد لياسمين وقال :

معرفتكيش .. ده خالد صاحبي ، هو اللي هيصورنا
وربنا يستر وميحطّيش فلتر بـ ودان حمار

ضحكت ياسمين ثم نظرت لخالد وقالت :
فرصة سعيدة

انا أسعد

ثم تطلع لزياد وهز رأسه بتشجيع :
يلا؟

لم يعطه جوابًا فوريًا، بل نظر لها أولاً يطالعها
بتساؤل فهزّت رأسها بالموافقة :

ماشي

تحركوا الثلاثة بضع خطوات حتى وقفوا بمكان ذو
إضاءة عالية والذي كان يجلس به عز يتناول بعض
الشطائر، فزجره زياد :

_ انت يا بلّاعة الأكل! هنجبّي التلاجة منك بعد كدا

طالعه عز بقرف و رد بسخط :

_ كل ما يشوفني بأكل يطفّحني اللقمة!

_ طب روح شوف لك حطة تانية عشان هنتصور هنا

صاح باحتجاج :

_ ما أرض الله واسعة يا تتح، حبكت على مكان قرمط
وتتصور؟!

_ايوة هو المكان ده عاجبني .. يلا طير

_حسبى الله ونعم الوكيل

تمتم عز بكلماته وهو ينهض آخذاً معه طبقه ..

التفت زياد لياسمين التى صارت تضحك، و أشار لها
بالوقوف بجواره ..

خفت ضحكاتها قليلاً ووقفت بجانبه على استحياء،
فيما ابتعد خالد عنهم قليلاً بمسافة مناسبة لالتقاط
الصور ..

تفاجئت ياسمين بذراعه يلتف حول خصرها ويجذبها
له رغماً عنها حتى التصقت به، فالتسعت عينيها
بدهشة وهمست له بضيق :

_زيزو انا قولتلك بتكسف بقى، ابعده شوية

أجابها بنفس مستوى الصوت المنخفض وقال
باستتكار :

_بتكسفي من دي؟ ، احنا بالمنظر ده مش هنجيب
عيال كدا

جحظت عينيها بخجل شديد ولكمته في كتفه صائحة
بحدة :

_زيزو !!

ضحك وهو يطالع وجهها الذي احمرّ خجلاً، وقال :
_فكي شوية يا سو متحسنيش إنك مش طيقاني

_طب متلرقش اوي بس

_والله مستحمي!

ضحكت من ردّه الذي لفظه ببراءة جادة، بينما أردف
هو باعتراض :

_هي الناس بتلبس كعب وتطول وانتِ تلبسيه
وتقصري ولا ايه؟

_لا هتقعد بقى تسفّ على طولي وترخمّ عليا هتقمص
واسيبك وامشي

ارتفعت ضحكاته ثم قال :

_طب راضييني يلا وخدي وضعية بنت ناس شوية،
متبقيش متخشبة كدا

زفرت بضجر وحاولت التغلب على خجلها قليلاً ،
استعدت لأخذ الصورة ونظرت تجاه الكاميرا، اقتربت
منه أكثر ومدت كفّها ناحيته حتى استقر على بطنه
بتردد .. فابتسم زياد مشاكساً :

_ايوة كدا اشتغلي معايا شوية

أبعدت يدها فجأة وابتعد جذعها للخلف قليلاً ولكنها لم
تستطع أخذ خطوة ؛بسبب يده التي تقيد خصرها
النحيل، وهتفت بصرامة :

_هتخط أي تعليقات هرجع في كلامي والله، انا هفرقع
من الكسوف لوحدي ومش مستحيلة أصلاً

غمغم زياد بملل :

_يارب صبرني !

*

*

*

بنقطة بعيدة عن الجميع، وخلف بعض الشجيرات
التي تحيط بالحديقة كان يجلس فخر على الأرض
بجوار جهاد، يثنيان ركبتيهما لتقترب من صدرهما
قليلاً؛ هي تحيط قدميها بيديها بينما يسند هو ذراعيه
على ركبتيه ..

نجح أخيراً بعد معاناة بترويضها وجعلها تنسى بسمة
وإزعاجها وتندمج في التحدث معه بعدة مواضيع
مختلفة .. وقد ارتفعت ضحكاتهما قليلاً بعد إنتهاء
جهاد من قصّ بعض المناوشات التي تحدث بينها
وبين أخيها كالمقط والفأر ..

هدأت ضحكاتها قليلاً وصمتت للحظات ثم قالت :

_ انا بقالي كتير برغي في أي هبل

نظر لها و رد بابتسامة بسيطة :

_ انا بحب اسمع اي هبل بترغي فيه

اعتلتها ابتسامة واسعة وأشاحت بنظرها إلى الفراغ

..

خيم السكوت عليهما لوقت ملحوظ انقضى في توزيع
أنظارهما على اللاشئ ..

طال الصمت كثيراً وشردت جهاد بالأغنية التي تتردد
بداخل رأسها ..

قررت الإفصاح عنها وقطعت الصمت بصوتها الهادئ
يغني بنعومة وصوت منخفض :

_وجودك شئ مكمّني لإني لوحدني مش هقدر ..

صمتت للحظة ثم نظرت له وضحكت ثم أكملت :

_ملاحك كلها مني يادوب الإسم متغير

**ابتسم فخر وأكمل هو، مما جعلها تضحك بحماس
لمشاركتها :**

_مجرد بس ما تصبرني وتقول لي انا جنبك ..

تطيّب خاطري من همّي بكلمة طالعة من قلبك

اتسعت ضحكتها وشرعا الاثنان بتكملة الأغنية سويًا

في صوت واحد بهدوء :

_وبحتاجك وتحتاجلي ..

مابيننا ألف حلقة وصل ..

وبشبهه لك وتشبهه لي .. في حب الخير وطيبة الأصل

ماليش غيرك أكيد لكن ..

محدث فينا مختار حد ..

انا وانت حكاية ناس ..

مقاسمين الحياة مع بعض

ومن ثم اختتما الأغنية بضحكات عالية تخلها صوتها

وهي تقول :

_صوتنا وحش صح؟

فهقه وأجاب :

_محدث سامعنا بقى خلينا براحتنا

هدأت ضحكاتهما شيئاً فشيئاً ثم قالت :

_الاغنية دي قديمة بس بحبها اوي

سكت لبضع لحظات ثم نظر لها ونطق بسلاسة
وهدوء شديد :

_وانا بحبك انتِ

التفتت له بغتة وظهر التفاجؤ على وجهها، بينما رقت
نبرته أكثر وتعلقت عينيه العاشقتين بحدقتيها
الكحيلتين، وأردف مؤكداً :

_انا بحبك يا جهاد !..

يتبع ..

الفصل السادس والعشرون {مصباح مؤقت}

حدقت بوجهه بعينين متسعيتين عن آخرهما حتى
كادت تخرج من محجريها .. شعرت بشلل مفاجئ
ضرب جسدها حتى ربط لسانها ..
تحاول استيعاب ما وقع على مسامعها للتو ..

ماذا يعني يحبها؟ هذا مستحيل ..
لمَ سيحب (فخر تليد) فتاة بسيطة كـ (جهاد نصر)!

ماذا يحاول أن يفعل وما الذي يسعى للوصول إليه؟
كلمة "حب" كلمة كبيرة وعميقة، يستحيل أن تتحقق
بين شخصين يبتعدان كل البعد عن بعضهما

رأت ابتسامته الهادئة على وجهه وهو يقول بقلّة
حيلّة وعينين لامعتين بوضوح :

الكلام اللى كنت بكتبه وبتشوفيه مكانش كلام بسجّله
عشان جه فى دماغى وخلص .. ده كان بيبقى ليك
انتِ

لم يتغير ذهولها ولم تفارقها الصدمة ..

لم تتنطق بشئ مطلقًا، عقلها حرفيًا توقف عن العمل،
وتبعثرت الحروف بعيدًا عن لسانها ..

أبعدت وجهها عنه وزاغت عينيها في الأنحاء ..
ابتلعت غصتها بصعوبة وهي تستمع لعقلها يحثها
على الهروب ..

أجل، تود الاختفاء في الحال والابتعاد عن نظره بأي
طريقة ..

أسرعت بالنهوض وبالكاد خرجت الكلمات من حلقها
بخفوت :

_. انا لازم امشي

نهض فخر وأوقفها قبل أن تتحرك محاولًا النقاش :

جهد استني، انا بس ...

قاطعته بصوت مهزوز ومتوسل، وهي تتحاشى النظر
له وتحاول تخطي جسده الواقف أمامها :

ارجوك ارجوك انا عايزة امشي من فضلك

نجحت في التملص منه وسرعان ما ركضت بأقصى
سرعة يسمح بها حذاءها ذو الكعب العالي، وفي خلال
ثوانٍ كانت تركت القيلا بأكملها واختفت في طريقها ..
ظلّ مراقبًا إياها حتى اختفت من أمامه بعينين يملؤها
التردد والحيرة .. لا يدري أقال شيئًا خاطئًا أم أن قرار
اعترافه بأكملها من الأساس كان خاطئًا !

التفت لصوت مريم تناديه من خلفه :

فخر يلا عشان نتصور كلنا مع بعض ..

استدار ونظر لها وهي تتقدم صوبه :

_ ايه واقف لوحدك ليه؟

رد باقتضاب :

_ مفيش، يلا

تساءلت وهي تبحث بعينيها من حولها :

_ هي جهاد فين؟

*

*

وقفت جهاد أمام باب شقتها، رفعت طرف فستانها الأصفر حتى تصل لجيب بنطالها الذي ترتديه من أسفله، وأخرجت المفاتيح ثم فتحت الباب ودخلت ..

أغلقت الباب ووقفت من خلفه، تحديق من حولها
بتشوش شديد، تشعر بأنفاسها غير مرتاحة وكأنما
هناك من يعتصر رقبتها بين أصابعه ..

اختلفت الدهشة بالعديد من المشاعر المختلفة ;من
حيرة وخوف وعدم تصديق ..

أحاطت رأسها بيديها وأخفت وجهها بين ذراعيها،
وكانت حلت عليها مصيبة أو ما شابه !.....

*

*

*

انتهت الأمسية بعد وقت ليس بطويل، وبدأ الجميع
بالمغادرة ..

اقترَب فخر من زياد وأحاط كتفه بذراعه ، وبيده
الأخرى رفع مفاتيحه أمام وجهه :

خد

نظر زياد للمفاتيح متسائلاً بعدم فهم :

ده ايه ده؟

هعمل لك استثناء النهاردة بمناسبة جوازك وادّيك
العربية، بس ده مش معناه إني هسيبك طبعاً لو
رجعت لي فيها خدش

عقد زياد حاجبيه بتعجب شديد ورجع للخلف باندھاش
؛ أهذا أخيه الذى لن يمانع فى التنازل عن إخوته
شخصياً ولا يتنازل عن سيارته؟ .. حتماً قاموا بتبديله
بشخص آخر!

حرك رأسه بتساؤل، ونطق بعدم استيعاب :

_ آخذ العربية؟؟

ردّ فخر مؤكداً :

_ خدها وروّقوا على نفسكوا كدا في أي حنة، عيش
عشان مش هتاخدها تاني

_ انت وقعت على دماغك ولا ايه؟

هتف فخر بملل :

_ هتمشي ولا اغيّر رأيي؟

أسرع زياد ينتشل منه المفاتيح :

_ لا تغير رأيك ايه؟ ، ده انا هتجوز كل يوم بعد كدا ..

ضحك فخر وداعب شعره بمشاكسة، تزامناً مع
تحركه بعيداً عنه ليتجه صوب ياسمين الواقفة
بصحبة والدتها وصديقتها منة ..

وقف بالقرب منهم وقال :

يلا يا جماعة هوصلكوا

ردت منة قائلة :

لا انا اخويا جه ياخذني ومستتيني ..

نظرت لياسمين واحتضنتها مردفة :

الف مبروك يا حبيبتي ربنا يسعدكوا إن شاء الله

الله يبارك فيك خلي بالك من نفسك

ابتسمت منة و ردت قبل أن تغادر :

_حاضر .. يلا سلام

_سلام

أجابتها ياسمين، قبل أن تلتفت لزياد وهو يقول :

_يلا انا خدت عربية فخر هنروح بيها

ردت ياسمين بعدم رضا :

_انت مبتزهقش من اللى بيعمله فيك؟

_لا المرة دي واخذها بمزاجه .. شكله شارب حاجة،

يلا بسرعة قبل ما يفوق

سار صوب السيارة تاركًا إياها تتبادل الضحك مع أمها، قبل أن يلحقا به .. واتجهت ياسمين فورًا إلى

المقعد الخلفي ولكنها توقفت على يد والدتها تسحبها
من ذراعها :

_رايحة فين انتِ؟ اقعدى جنبه

ردت ياسمين بدهشة :

_طب وانتِ؟

_انا هقعد ورا مالكيش دعوة

لم يبدأ الاقتناع على وجه ياسمين ولكن لم تعطها أمها
فرصة للنقاش وركبت فى الخلف، فما كان على
ياسمين سوى قبول رغبتها والركوب فى المقعد
الأمامي

•
كان يقف فخر شارد الذهن ويديه مختفية بجيوب
بنطاله .. أفاق على صوت حازم الذي وقف بجواره
وهو يقول :

_ سرحان في ايه؟

تنهد مطولاً وصمت للحظات، ثم أجاب :

_ قولت لجهاد إني بحبها

اندهش حازم صائحاً :

_ احلف!

ثم تساءل :

_ وقالتك ايه؟

نيس فخر باحباط :

_مردتش، اتوترت ومشييت بسرعة .. حتى مستنتش
تاخذ هدومها وسابتها هنا

سكت حازم للحظة ثم قال :
_وده اللي قالقك يعني؟

_هو المفروض يطممني؟

_اصل ده طبيعي المفروض .. ماهي أكيد اتكسفت
عشان كدا مشيت، اديها وقتها بردو ما انت فاجئتها ..
سيبها تترجم الدنيا بالراحة

صمت فخر قليلاً ثم هز رأسه باقتناع :

_عندك حق ..

_يلا انا هتكلم على الله عشان ميّ وعبدالله فى العربية

أضاف ما ان تذكر شيئاً :

_صح انت هتبدأ شغل بكرة!

ابتسم فخر بهدوء :

_اه ان شاء الله

ضحك حازم بحماس ووكزه فى ذراعه عابثاً :

_ايوة بقى البشمهندس رجع أخيراً .. ربنا يوفقك

يا عم ياذن الله وترتاح هناك

ابتسم فخر مجيباً :

_يارب ..

*

*

*

استقرت السيارة أمام البناية الخاصة بمنزل العمه
ناهد ..

همّت ناهد بالترجل من السيارة وهى تقول :
_تسلم يا حبيبي على التوصيلة دي ..

ثم خاطبت ابنتها :
_هسبقك انا يا ياسمين

فيما ردت ياسمين بغباء :

_طب و ليه؟ ما انا طالعة معاكي

صوّبت لها ناهد لكمة في كتفها من الخلف بغيظ مما
جعلها تتأوه بخفوت، ثم نزلت من السيارة تاركة
إياهما وحدهما ..

التفتت ياسمين لزياد الذي لاحظته يضحك وقالت :

_ايه؟

_يعني الست بتديكي الفرصة وبتقول لك هسبقك
عشان تسيب لنا مساحة وانتِ جموسة!

رمقته بترقب وعادت بجذعها للخلف بتوجس :

_مساحة ايه انت عايز ايه بالظبط؟

زفر زياد بنفاد صبر وتمتم بضجر :

_ لا اله إلا الله .. غبية غباء مش طبيعي

صاحت ياسمين بصوت متعب أوضح معاناتها في
إيجاد ما يجب فعله :

_ انا مطلوب مني اعمل ايه مش فاهمة انتوا مستنين
مني ايه!

وكأنها أوشكت على البكاء فعلاً من فرط الضغط الذي
تضعه على نفسها .. أصبحت الآن متزوجة ولا تعلم
طريقة التعامل التي يجب اتباعها، وتحاول جاهدة في
الإسراع بإمام جميع الأمور ؛ خوفاً من أن ينزعج من
حماقتها أو يملّ منها ..

فيما فهم زياد تمامًا كل هذا دون أن تفصح عنه، فهو
على كل حال عليم بطبيعة شخصيتها المنطوية
والضعيفة ..

أمسك يدها بهدوء ليمتص توترها ونطق بجدية
وهدوء :

ياسمين، بصي لي كدا واسمعيني كويس .. انا
فاهمك كويس وعارف إنك في حالة قلق من الحوارات
اللى بتحصل فجأة دي .. وعشان كدا انا مش عايزك
تفكري إن في أسلوب جديد لازم تاخديه معايا، لا
خالص انا عايزك تعامليني زي ما احنا صحاب عادي
..

ثم أردف بتأكيد :

انتِ مش محتاجة تغيّري أسلوب معاملتك معايا
عشان وضعنا اختلف، لا عادي انا عايز نفس طريقتك
لما كنا اصحاب تبقى هيّ هيّ طريقة التعامل بتاعة
دلوقتي بردو ..

تمسك بيدها أكثر ليبت لها السكنينة وتابع :

انا عارف إنك خايفة ومش هزعل لو صارحتيني
على فكرة .. وانا بأكد لك اهو مفيش حاجة اتغيرت،
انتِ هتفضلي قاعدة مع ماما عادي جدا زي
الأول لحد ما تاخدي عليا وتتأقلمي مع الوضع، وإن
شاء الله لما نروح نعيش في بيتنا هتكوني ارتاحتي
واتعودتي عليا .. متفكريش بقى في مراحل لسة
مجاش وقتها

تطلع لعينيها بثبات وهو يعني حديثه جيداً :

_ انا عمري ما هطلب اخذك معايا إلا وانتِ متطمنة
وعايزة كدا أكثر مني كمان ..

ثم ضحك وأنهى الحديث قائلاً :

_ ببساطة انا لسة زي ما انا زيزو المطرَقع اللي كل
شوية ياخذك تاكلوا شاورما .. بس كدا

ضحكت بخفة وقبضت على يده بهدوء ؛ شعورًا
بالأمان والسكون .. وكأنه حرفيًا اقتص قلَقها بكلماته
الصادقة ، ووضع الهدوء بدلًا منه ليتوغل حتى أعمق
نقطة بأوصالها

*

*

*

جلس فخر على الكرسي الخاص بمكتبه، بعدما أطفأ
أنوار الغرفة وترك المصباح الصغير الخاص بالمكتب
فقط ..

شرع يقلّب بين صفحات دفتره بتمهل ويمرر عينيه
على كل صفحة بشكل سريع ثم ينتقل للصفحة التالية
..

لا يهم إن كان ذلك يعتبر غرورًا ولكنه حقًا معجب
كثيرًا بكلماته وخطّه وطريقة تنظيم عباراته وخواطره
بين الورق ..

ابتسم برضا، قبل ان يلتقط قلمه الأسود استعدادًا
لإضافة شئ جديد ..

حصر القلم بين أنامله وبدأ بكتابة حروفه بهدوء
وبشكل منظم :

"أنا السماء المظلمة .. وهي النجم الوحيد
الذي يغمرها بالنور"

*

*

*

كانت السيارة مصطفة على جانب الطريق .. تضربهما
نسمات هواء الليل من كل جانب .. يعم الهدوء من
حولهما عدا أصوات بعض السيارات التي تمر
بجانبهما ..

جلست ياسمين على مؤخرة السيارة ; ولقصر قامتها
بالطبع كانت قدميها تتدلى في الهواء فصارت تحركها
بحركة منتظمة هادئة، وهي تتناول الشاورما بصحبة
زياد ; الذي وقف بجوارها بعدما خلع سترته السوداء
وبقى بقميصه الأبيض ذو الثلاث أزرار المفتوحة
والأكمام المرفوعة حتى منتصف معصميه ..

_بس المحل اللي فات كان أحسن على فكرة
نطق زياد بعبارته قبل أن يأكل قضمة صغيرة، فردت
ياسمين :

_والله بالعكس، ده بتاع المرّادي طعمها أحلى

استند على السيارة وصمت قليلاً ، أكل قضمة أخرى
وظل صامتاً حتى ابتلعها .. ثم التفت لها وتساءل
باهتمام :

_ عايزة تقولي ايه؟

التفتت له وضحكت بتعجب مجيبة :
_ مين قال إني عايزة اقول حاجة؟

غمز لها عابثًا :
_ بحس بيك

ضحكت بخفة وأشاحت بنظرها إلى الفراغ .. صمتت
لوقت قصير ثم أعادت النظر له قائلة :

_ زيزو انت بتحبني بجد ؟

_ ممم

غمغم ببساطة وهو يأكل طعامه ويهز رأسه بتأكيد،
فتساءلت :

___ليه؟

بلع لقمته ثم أجاب بسؤال :

___ليه يعني ايه؟

___ليه حبتني انا؟ ايه اللي شدك فيا لدرجة إنك تحبني!؟

وكأنه كان جاهزاً للرد، فلم يأخذ وقتاً حتى أجاب :

___انتِ تركيبك كلها على بعضها تخلي أي حد يحبك

ظهرت الدهشة بعينيها وعدم التصديق ، فأردف :

انتِ مش عارفة قيمة نفسك على فكرة، بس
صدقيني انتِ اللي يستغنى عنك يبقى غبي .. انا بثق
فيك وبحبك وبرتاح بوجودك معايا، ولو فضلنا
قاعدين القعدة دي اسبوعين متواصلين هفضل
مبسوط كمان

تلاأت الدموع بعينيها وصارت توزع أنظارها من
حولها بذهول شديد، خرجت منها شهقة لا إرادية
أعلنت عن شروعهها في البكاء وقد فرّت الدموع من
عينيها ..

أسرع زياد يتساءل بعدم فهم :

انا قولت ايه طيب؟ مالك بتعيطي ليه؟

نظرت له و ردت بصوت ملئ بالبكاء :

عشان مبسوطة

ضحك زياد بخفة وقال :

_طب مبسوطة المفروض تضحكي، ليه العياط يابنت
البومة؟

أخفت وجهها بين كفيها وهي تقول :

_مش صدقة إنك بتقول لي الكلام ده، انا خايفة يطلع
حلم والله قلبي هيقف

ارتفعت ضحكاته واقترب منها، أمسك بيدها ليبعداها
عن وجهها بهدوء ثم نظر لعينيها عن قرب ونبس
برقة :

_مفيش حاجة حلم يا ياسمين، اللى بيحصل دلوقتي
حقيقة ..

نظرت له بعينيها الدامعتين، لم ترى همّه المختفي
خلف نظراته المحبة واستمعت له يقول بصوت
يائس:

_بس بلاش تتعلقي بيا .. احنا حبايب وبنقضي وقت
حلو سوا بس مش لازم تتعلقي وتحطي أمك كله عليا
.. مش عشان انا ناوي امشي أكيد، بس الظروف
ممکن هي اللي تجبرنا على كذا

تخوّفت من كلماته و ردت بتعجب واهتزاز :
_قصدك ايه؟

ابتسم بسكون ليُدخل عليها الاطمئنان وقال :
_مقصدش حاجة، انا بس معرفش الدنيا مخبيّة لنا ايه
.. مش عايزك متعلقة بيا ولا متعلقة بحد عمومًا
عشان لو بعد عنك تفضلي كويسة ومنتأثرش

لاحظ ازدياد الخوف على وجهها فأسرع يقول :

مش قصدي إني هبعد والله العظيم بالعكس ده انا
مش عايز غيرك .. انا بتكلم بشكل عام على اصحابك
واهلك وأي حد تحبيه عامة يعني بس

هدأ روعها قليلاً وزفرت بهدوء ثم أومات مرتين
بفهم، قبل أن تتطلع لابتسامته العذبة التي تملأ محياها
..

دارت كلماته بعقلها لتقلقها، ولكنها أجبرت نفسها
على عدم الالتفات لها؛ بعد اقتناعها بأنه يقول هذا
فقط للحفاظ على ثباتها النفسي وحمايتها من
الصددمات في الآخرين ..

ربما لو عرفت السر وراء كلماته حقاً لانفجرت في
البكاء ليلاً لا تعد ولا تحصى!.....

*

*

*

بِنهار اليوم التالي بعد الثالثة عصرًا ..

خرجت مريم من باب القِبالا لتقابل هذا الذي ينتظرها
فى الخارج .. سارت صوبه بخطوات منفعلة، حتى
نطقت فور وقوفها بمواجهته :

_ انت ايه اللي جابك هنا؟

نظر لها إياد، حيث كانت جبهته يتضح عليها ضمادة
طبية ؛نتيجة ما فعله عز به سابقًا، وقال :

_ مش انتِ اللي مبرديش عليا؟!!

ردت بغضب مكتوم :

_ انت بتفهم منين بالطبط؟ ، انا بعنت لك وقولتلك مش
عايزة اشوف وشك تاني! ، ايه مش واضحة؟

أجاب إياد ببساطة :

_ ليه ده كله مش فاهم! .. انتِ فكراني كنت هعمل لك
حاجة غصب عنك!؟

_ عز لو مكانش موجود اه كنت هتعمل يا إياد ..

سرعان ما ظهر الغيظ على وجهه مجيبًا :

_ متجيبيليش سيرة النبي آدم ده عشان انا مانع نفسي
اروح اكسر له ايده مخصوص عشائك

ردت ساخرة :

_ لا فيك الخير !

تتهد إياي بملل، ثم لانت نبرته قليلاً عندما تابع :

_ مريم انا بحبك وانتِ بتحبيني .. مينفعش تقولي
مش عايزة اكمل بالبساطة دي وتهدي اللي بينا

صاحت بتعجب واستتكار :

_ بينا ايه يا بني، احنا لسة مبقاش في حاجة بينا
عشان اهدّها !

اعتراها الغضب وأردفت بصرامة :

_ اياي احنا علاقتنا انتهت .. من النهاردة انا هعتبر
كأنك مدخلتش حياتي أصلاً وانت ياريت تتعايش مع
ده بردو ومنعملش مشاكل مع بعض اكر من كدا

رد بحدّة :

_مش بالسهولة دي !

نطقت بقوة واضحة وتهديد :

_لا هي بالسهولة دي ، ولو ممشتش دلوقتي هعمل
لك مشاكل كتير يا إياد!

_ده آخر كلام عندك !؟

تركته مريم وسارت بضع خطوات بعيدًا عنه وهي
تتادي حارس المنزل :

_عم صبري ! ، عم صبري لو سمحت تعالى

أتى "صبري" سريعًا وهز رأسه بانتباه :

_أوَمري ياست البنات

ردت وهى تشير على إيد :

_الراجل ده ميدخلش البيت تاني .. ولو صمّم بعد كدا
يدخل اطلب له البوليس ومتستّاش
أوما بطاعة قائلاً :

_لو عايزة اكلم البوليس دلوقتي براحتك

ردت عليه وهى تنظر لإيد بنظرات جافة :

_لا معلى هندیله فرصة أخيرة يختفي من وشنا
خالص

رمقها إيد بنظرات غامضة للحظات، ثم هز رأسه
بتوعد :

_ماشي يامریم!

ثم تحرك وغادر المكان تحت عينيها التى راقبته
بنظرات مقت وعدم اهتمام ..

•
•
•
عادت مريم إلى غرفتها وهي تتفخ بضيق شديد، قبل
أن تتناول هاتفها، لتجد مكالمة فائتة من فخر ..
أعادت هي الاتصال به ولم يأخذ وقتًا حتى أجابها،
فهتفت :

ايه يافيرو انت رنيت عليا دلوقتي

رد فخر وهو يقود سيارته بيد ويرفع الهاتف على
أذنه بيده الأخرى :

اه لسة مخلص شغل قوت اكلّمك زي ماقولتيلي

ابتسمت وردت بحماس :

_وايه الاخبار عملت ايه؟

_الحمد لله كان يوم لذيذ، مشتغلتنش كثير طبعًا من أولها، كانت حاجات خفيفة كدا .. واتعرفت على زمائلي بردو والدنيا كويسة يعني

_طب الحمد لله يا حبيبي يارب تروح معاهم ويكتبلك الخير وسطهم يارب

ثم أردفت :

_انت جاي دلوقتي؟

_اه هعدّي على جهاد الاول بس اديها هدومها وبعدين جاي

_طب متأخرش عشان نتغدى مع بعض

_ماشي حاضر ..

أغلق المكالمة وترك الهاتف بجواره، ثم صوّب نظره
إلى طريقه ..

اعتلاه شئ من الإحباط عندما تذكر عدم رد جهاد على
اتصالاته ..

ودّ لو استطاع مشاركتها يومه الأول بالعمل ايضاً ،
ولكنها لا تجيب ..

أصبح الأمر مبهمًا الآن ولا يعلم حتى إن أجابت هل
كان سيستطيع التحدث بأريحية كما السابق، أم سيقيد
لسانه بسبب صمتها وعدم وضوح رد فعلها على
اعترافه الأخير بحبه ..

يرجو بداخله حقًا ألا يكون قد تعجّل وأفسد الأمر ...

*

*

جالسة على أريكتها تضم قدميها لصدرها، عينيها مصوبة إلى اللاشئ وذهنها غارق في عالم آخر حتى أنها لم تنتبه لصوت أخيها "مروان" وهو يصيح :

مخبّية اكياس النسكافيه فين يابت انتِ؟ انا عارفك
جلدة وتموتي لو خدت منها

لم يكن عقلها حاضرًا بالفعل ولم تنتبه له مطلقًا، مما أثار تعجبه، واقترب منها ليضربها بخفة في ذراعها :

الوو

أفاقت من شرودها ونظرت له مجيبة بخفوت :
_ايه؟

_صباح الخير ياختي

أنزلت قدميها إلى الأرض وهتفت بعدم اهتمام :
_عايز ايه؟

_مالك مش طبيعية النهاردة كدا ليه؟

نهضت وهى تدلك رأسها بتعب وتجيب :
_مصدعة شوية

كانت على وشك التوجّه إلى الداخل، إلا أنها توقفت
عندما استمعت لصوت جرس الباب فاتجهت صوبه

ونظرت من خلال فتحة العين الخاصة بالباب ..
اتسعت عينيها بصدمة وسيطر التوتر على أعصابها
بأكملها، وسرعان ما تراجعت للخلف ونظرت لمروان
الذي بدا عليه التساؤل .. هرولت إليه وهمست له
بخفوت :

ده فخر

طالعتها بعدم فهم و رد بنفس مستوى الصوت :

وانتِ وشك اتخطف كدا ليه يعني؟

افتح له ومتقول هوش إني هنا، قول له نايمة ولا
حاجة

تضاعف تعجبه أكثر وتساءل :

ده من امتي ده؟ ، هو عمل لك ايه بالظبط؟

نطقت وهى تدفعه تجاه الباب :

_مش وقته روح يلا

زفر بملل وسار إلى الباب، بينما اختبئت هى جانباً
حتى لا تظهر وتسمع الحوار بنفس الوقت ..

.

ابتسم مروان بلُطف بعدما فتح الباب ونطق بترحيب :

_ايه النور ده يا بشمهندس اتفضل

ضحك فخر بهدوء وقال :

_ازيك يامتر اخبارك ايه؟

_الحمد لله تمام تعالى اتفضل ادخل

رفض فخر مجيبًا :

_ لا لا انا بس كنت جاي ادي لجهاد هدمها وامشي

نظر مروان للحقيبة البلاستيكية التي رفعها فخر
أمامه وتساءل متعجبًا :

_ هدم ايه دي؟

_ اصل هي جت عندنا امبارح الصبح بدري وقعدت مع
البنات وكدا وبالليل غيرت هدمها عشان كتب كتاب
اخويا

هز رأسه بفهم وأخذ الحقيبة وهو يقول :

_ مكنتش تعبت نفسك، انا كنت هاجي آخدهم كدا كدا

_ولا تعب ولا حاجة عادي

صمت للحظة، ثم سأله بشئ من التردد :

_هي جهاد كويسة؟

ضيق مروان عينيه قليلاً وقال بشكّ :

_وهي مش هتبقى كويسة ليه؟

_لا انا بس رنيت عليها مردتش ف بتظمن عليها مش
اكثر

_اه .. هي تمام، نايمة دلوقتي.. تعالى اشرب حاجة
واصحّيها

لا خلاص على ايه؟ مرة ثانية إن شاء الله .. عن
أذنك

أوما مروان قائلًا :

في حفظ الله، مع السلامة.

أغلق الباب بعد مغادرته ثم التفت لجهاد التي اقتربت
منه بتمهل وهو يلقي بالحقيبة جانبًا بعدم اهتمام :
هدومك يا أبله ..

تطلع لصمتها وعينيها التي تجوّلت بين جميع الأنحاء
بإرهاق من أثر التفكير المفرط .. ثم تساءل بجدية :
ماتتكمي بقي وفهميني حصل ايه؟

الترمت السكوت لبرهة .. نظرت له بجانب عينيها و
ردت بجمود :

_ قال لي إنه يحبني

اتسعت عينيّه باندھاش :

_ والنعمة!؟

وتابع ضاحكًا :

_ مش قولتلك؟ قولتلك انا ولا مقولتتش؟ ، عشان
متشكّيش فى كلام الخبرة تاني

نظرت له بعدم اكتر اث وقالت :

_ وانت تعرف منين إنه بجد؟

_ بجد ازاي؟

حرّكت كتفها بإحباط :

_ليه متقولش إنه متحمس بس شوية في الأول
وبعدين هيكتشف إنه لا بيحبني ولا نيّلة وإنه بس كان
مرتاح معايا شوية وخلص زهق ..

تطلع من حوله ولوى شفّتيه بلامبالاة :

_معتقدش إنه عنده ١٦ سنة ولسة مش بيعرف يحدد
مشاعره يعني..

ردت بضيق :

_يبقى قالها وهو عارف إنها مش حقيقية عشان
يتسلّى شوية ويقضي معايا وقت وبعدين يرميني في
الزباله، عشان عارف إني واحدة عادية ومالهش حد
قدّه يقف قصاده

صاح باندهاش :

_ايه ده لأ ميتهيايش خالص إنه كدا، ده محترم وابن
ناس

نظرت له باستنكار وهتفت ساخرة :

_طب ما انت قدام الناس كلها محترم وابن ناس وفي
السر مقضيها

وزع أنظاره يمينا ويسارا وحك مؤخرة رأسه مجيبا :
_صح

ثم أردف :

_بس ليه ميطلعش بيحبك بجد يعني؟

_عشان انا عارفة آخري كويس ومش بضحك على
نفسي .. انا معنديش أى حاجة مميزة تخليه يحبني،

وحتى لو حبني دلوقتي مش هيفضل يحبني للآخر ..
وانا مش هستنى اتعلق بيه وبعدين يختفي

سألها باستغراب وترقب :

_بمعنى؟

زاغت عينيها في الفراغ، وصمتت لوقت طويل وكان
الحروف متعسرة في الخروج من بين شفثيها ،
ابتلعت غصتها ونطقت بجُملة لم يطاوعها قلبها في
قولها ولكن عقلها لا يرى أنسب منها ..

مقاومة متضادة بين العضوين انتهت في النهاية
بإخراص القلب تمامًا وترجيح كفة الميزان لصالح
عقلها :

_انا مش عايزة اشوفه ولا اقابله تاني!! ..

*

*

*

منذ لحظة مجيئه إلى منزلها وحتى شروق شمس
اليوم التالي لم يتوقف عقله عن التفكير لدقيقة واحدة

..

حتى محاولة إشغال نفسه بالعمل باءت بالفشل ..
لا يزال يحاول التواصل معها ولكنها مختلفة، حتى
على مواقع التواصل الاجتماعي لم تظهر ..

تسارع الغضب في التسلسل إلى خلاياه عند شعوره
بأنها تهرب من مواجهته .. حسناً إن كانت لا تريده
فلتقلها وتنتهي القصة وحسب، ولكن لا تتركه في
منطقة رمادية لا تصل إلى الأسود ولا إلى الأبيض ..

قرر الذهاب إليها ليضعها في المواجهة دون سابق إنذار .. على الأقل إن سمع صوتها ورأى تعبيرات وجهها سيستتبط منهما القبول أو الرفض ..

ترجلت من سيارة الأجرة أمام بنايتها وأغلقت الباب من خلفها، حيث شمس العصر الهادئة قليلاً مقارنة بالظهيرة ..

غادر سائق الأجرة تزامناً مع توجهها صوب باب البناية ولكنها توقفت على صوته من خلفها :

_جهد

توغل التوتر بأعماقها فوراً ثم استدارت له ترمقه بتعجب :

_انت مستتيني ولا ايه؟

اقترب خطوتين ليقف في مواجهتها مباشرة وقال :
_ايوة وعايز اتكلم معاكي ..

تصنعت البلاهة رغم يقينها مما يريد التحدث فيه ولم
تتبس بكلمة، فتحدث هو :

_خُليكي دوغري معايا ياجهاد ولو مش عايزة قولي
مش عايزة وفضيها سيرة، إنما سكوتك ده ظروفه ايه
عايز افهم

ردت بملل :

_انا بس مشغولة ومش فاضية

سألها مباشرةً :

_ انتِ بتهربي مني؟؟

_ ههرب من ايه؟

_ شوفي انتِ

ردت بحدة :

_ انا مبهربش!

_ او مال مبرديش عليا ليه؟

زفرت بضجر شديد ثم خرجت كلماتها باختناق :
_ فخر احنا الحوار بيننا كبر اوي وانا مكنتش متوقعة
كدا .. انا كنت فاكرة اننا فترة وهنبعد عن بعض
أصلا، ومن يوم ما عرفتك مكانش فى نيّتي اخليّك

تحبني ولا الهبل ده، انا حبيت صداقتك بس عشان
مش اى حد يعرف يصاحبك وكبررتي قدام معارفي
اكنك ليك اسم وعيلة وفلوس .. لكن لحد كدا لا
مينفعش ومش هينفع !

_ثواني ثواني ..

نطق برده بتعجب شديد، ثم تساعل بعدم فهم :
_يعني ايه مش اى حد يعرف يصاحبك وكبرتك قدام
معارفك دي؟

حرك رأسه بتساؤل وهو يرمقها بدهشة، وتابع بشئ
من السخرية :

_انت كنت واخداها تحدي يعني ولا كنت بتتفخري
بمعرفتي قدامهم ولا ايه انا مش فاهم!

صمتت وترددت عينيها من حولها بتشتت وارتباك ..
ما هذا الغباء الذي انسكب منها فجأة!

توترت أنفاسه قليلاً بعد رؤية سكوتها، واهتزت نبرته
بعض الشيء؛ خوفاً أن يكون هذا حقيقياً :

_ لَأ أَكِيد مَش قِصْدَكَ كِدَا

ظلت حدقتيه معلقةً بوجهها، على عكس مقلتيها التي
تتفرق في الأرجاء عدا عينييه ..

انعقدا حاجبيه بحيرة وحاول استجماع كلماته
بصعوبة:

_ اَنْتِ ..

انقطعت عبارته وهو يتطلع من حوله يحاول
الاستيعاب، ثم ابتلع جوفه وأردف بسخرية :

_ انتِ كنتِ بتلعي؟؟

أمسى يحدق بها .. ينتظر أن تتطق بكلمة ليّنة .. تبادر
بتوضيح مخالف لما فهم ..

ولكن بالفعل ضاعت الحروف كلها من شفّتها فلم
تتبس ببنت شفة ..

وقعت الحقيقة عليه كخنجر حاد اخترق قلبه بعنف ..
ظن نفسه شيئاً مهماً بالنسبة لها، بينما أصبح في
النهاية مجرد دمية !..

دمية أنيقة اقتنتها بغرور لتعرضها أمام الآخرين
ويتساءلون من أين أحضرتها، وعندما تفقد اهتمامهم
تُلقي دون تفكير مع النفايات ..

في لمح البصر هوى جسده من أعلى سماء السرور
والراحة إلى حفرة عميقة مليئة بالكآبة والوَحْشة ..

معلومٌ تمامًا أن الحياة مليئة بالمرتفعات والمنخفضات
..

ولكن لم تضطر لأن تكون بهذه القسوة؟

استقرت عينيها عليه أخيرًا لترى مقلتيه تدور من
حواله بصمت و ملامحه يكابد بعنف لتظهر جامدة ..
ولكن عينيهِ لا تساعده، بل انصبَّت منها كل معالم
الألم والصدمة والانكسار .. والخذلان.

أخذت نفسًا بصعوبة واسترجعت نفسها .. اقتربت منه قليلاً وخرجت الكلمات من بين شفتيها بتردد :

_ف.فخر .. ا.انا مش .. قصدي، انا ...

_وصل!

قاطعها بكلمته الصارمة دون أن ينظر لها وهو يهز رأسه بالإيجاب .. ثم رفع عينيه لها مؤكدًا بصوت خالٍ من أي رد فعل :

_قصداك وصل ..

*

*

*

وقفت مَيّ في المطبخ تقوم بتقطيع الجزر لتحضير
السلطة .. انتبهت لدخول حازم إليها حتى وقف
بجانبها وهو يقول :

_ ايه ياميشو الجمال ده كله ده؟ حتى وانتِ بتقطعي
جزر بتحلوي؟؟

أردف بجملته وهو يلتقط جزرة سليمة ويأكل منها
طرفها، بينما ضحكت مَيّ وهي تطالعه بشك :
_ الدلع ده دايمًا بيبقى وراه حاجة هتضايقني

رد بابتسامة عريضة :

_ بحب نباهتك ياحياتي والله

نظرت له بعينين متسعيتين، صارخة :

_ اوعى تكون كبيت الشاي على السجادة تاني!!

_ لا لا متقلقيش السجادة كويسة

أعادت نظرها لعملها، متسائلة :

_ او مال ايه؟

_ امي عايزة تروح لاهلها في الاسماعيلية وعايزانا

نروح معاها

اعتلاها الغيظ فور سماعها تلك الكلمات و رددت

بضجر :

_ ياريتك كبيت الشاي يا حازم

_ بصي انا عارف والله إنك مبتحبيش تروحي هناك ..

بس كله عشان امي اعمل ايه؟

أكل قطعة أخرى من الجزرة، قبل أن تهتف ميّ :
_روح انت وهيّ انا مش رايحة

_ياحبيبي مش هينفع ..

نطقت بحدة قوية :

_متحاولش تقتعني عشان مهما عملت وانتطت
"لأ" هتفضل "لأ"

_طب اسمعيني بس ..

قاطعته وهيّ تطالعه بضيق :

_ياحازم انت ليه مش فاهم إنهم بيكرهوني؟ مش
مجرد عدم قبول لأ دول بيكرهوني من قلبهم ..

_ انا عارف والله كل ده، وعارف إنهم متسلطين ومش
بيحبوكي عشان مش غلبانة ومش عارفين يمشوكي
ويشكّلوكي على مزاجهم .. بس وجودك يا حبيبتي
تحديدًا هو اللي بيخليهم يتخرسوا خالص عن
موضوع العرايس

غلبها الغضب بشدة، قبل أن يستطرد قائلاً :

_ فأكرة آخر مرة روحت لوحدي مع امي خالتي نجية
عملت ايه؟ مسابتيش إلا لما فرّجتني صور بنات البلد
كلها ومنزلتني من على وداني ولا بطلت تسخين فيا
عشان تكرّهي فيك ..

صكت على أسنانها وهي تتحدث، وتقبض يدها على
السكين بغضب :

_متفكر نيش بموضوع العرايس ده بدل ما اتجنن
واغزك بالسكينة اللي في ايدي

_وانا مالي! روعي عُزي نجية
صرخت بوجهه فجأة وهى توجه السكين ناحيته :
_عليك وعلى نجية !

ضحك وهو يمسك بيدها ليبعد عنه السكين بهدوء :
_اهدي بس ..

عادت لتكمل عملها وهى تهتف بحنق :
_هتروحوا امتى؟

_لسة مقررناش

ثم أضاف قائلاً :

_ هو يوم ياميّ، استحملي يوم واحد

_ امك لما بتروح هناك بتبقى عايزة تبات وتقعّد كثير

_ مالناش دعوة بيها احنا هنرجع، ولما تحب تيجي
هبقى اروح اخداها عادي لكن احنا أكيد مش هنقعّد

طالعتة بطرف عينيها بعدم تصديق، فأردف :

_ والله ما هنبات .. انا عندي شغل أساساً مش هينفع
اغيب اكثر من يوم

صمتت وأبعدت نظرها عنه وهي تتفخ بضجر،

فوكزها حازم بخفة وهو يقول :

_ ها قولتي ايه؟

تطلعت له بغیظ مكتوم ثم ردت باستسلام :

_اللى تشوفه يا حازم

*

*

_ده بجد؟! قالتك كدا فى وشك عادى كدا!؟!

صاح زياد مندهشاً مما سمعه من أخيه، وهو يقف
أمامه وسط ساحة غرفته ..

كان يجلس فخر على طرف فراشه، يحدق فى اللاشئ
بصمت تام .. لم ينطق بحرف واكتفى فقط بهز رأسه
بالإيجاب ببطء

زاغت عيني زياد من حوله بذهول امتزج فوراً
بغضب شديد أعلن عنه بقوله :

_ انت ازاي سكتت لها !!

لم يعطه فخر إجابة .. لم يظهر عليه رد فعل .. ظل
صامتاً لبرهة طويلة .. لم تفارق مقلتيه نفس النقطة
التي يحدق بها منذ مدة، ونطق بصوت متحشرج :

_ تبقى فاكر نفسك غالي عند حد ومهم عنده، ومرة
واحدة تلاقيه ضربك قلم يفوّك عشان تشوف قيمتك
الفعليّة في نظره حقيرة قد ايه!

رفع رأسه لينظر له ويتساءل باستهزاء :

هو انا المفروض رد فعلي يبقى ازاي؟ .. انا حاسس ان مخي مهتج!

تطلع من حوله ضاحكًا بسخرية :
المفروض اعيط ولا ازعق ولا ...

ترك عبارته معلقة وهو يوزع أنظاره فى الأنحاء بعدم استيعاب، بينما نطق زياد ببرود ودون تفكير :

المفروض تديها على وشها قلمين!

وأكد مردفًا :

ده اللي كان مفروض تعمله

نهض فخر واقترب من نافذة غرفته الكبيرة بخطوات
ثقيلة، وكأنه يجرّ أحمالاً تتخطى قدرة قدميه ..

حقًا مرّت كلماتها عليه كقطار دهب ضلوعه بأكملها
..

شرد في الفراغ وردد بصوت مهزوز وخافت :

_ انا عارف إن مش لازم كل اللي نحبهم يحبونا .. لو
كانت بس قالت انا مبحبكش كنت هقبل الموضوع
وهنسحب وهحترم رغبتها ..

كسى الحزن عينيه واضطرب صوته أكثر بأسى :
_ بس ليه قالت لي كدا؟

رفع عينيه لأخيه وانعقد حاجبيه غضبًا :

_ حتى لو دي الحقيقة انا مكنتش عايز اعرفها، ايه
اللى أجبرها تقولها لي؟ .. كانت كذبت عليا
عادي أحسن ما تقلل مني وتحسني إنّي تافه اوي
كدا وماليش قيمة!

أغمض عينيه بيأس وأخفض رأسه ليدفن رأسه بين
كفّيه، ثم مسح يده فوق شعره إلى الخلف ونطق بنبرة
مهتزة متسائلًا بضعف وقلّة حيلة :

_ انا مكنتش وحش والله، ليه يحصل معايا كدا؟

غلبت زياد معالم الهمّ والحزن، ثم اقترب منه على
مهل ..

لم يستطع إيجاد إجابة واحدة تخفف عنه ألمه، ولكنه
استطاع منحه عناقًا قويًا، كمحاولة بائسة لتهوين
الأمر ..

أحاط جسده بين ذراعيه وشرع يربت على ظهره
بهدوء ..

أسند فخر ذقنه على كتف أخيه بتعب دون أن يبادل
العناق، حتى هذا أصبح صعبًا .. كل شيء فجأة أصبح
ثقيلًا ، جسده مرتخي وهنأ، بالكاد يساعده على
الوقوف بثبات ..

ارتعشت يده وأصابتها تلك الرجفة اللاإرادية المعتادة
التي تجتاحه كلما شعر بالضيق والضغط ..
ظل صامتًا .. عينيّه تلمعان بحزن وكسرة ..
لم تعبر نظراته سوى عن القليل فقط مما يحبسه
بداخله، وقرر حبسه إلى أجل لا يعلمه ..

هذا هو ، وهذه طبيعته .. يفصح عن القليل ويدفن
الكثير بين ثنايا قلبه لاقتناعه بعدم فائدة البوح أصلاً
بأى شئ

لن يفهم أحد ..

لن يكثر أحد ..

ولن يساعد أحد بشئ.

شرد ذهنه إلى آخر عبارة سجّلها بدفتره ..

ومنحه عقله تحديثاً جديداً بعبارة جديدة ..

.

"اتضح أنّ النجم لم يكن سوى مصباح مؤقت،
انتهت صلاحيته وأندثر شعاعه، وعاد الظلام
من جديد .."

يتبع ..

الفصل السابع والعشرون { عتمة }

صباح يوم جديد ..

وقفت عزة بصحبة الأطفال في الروضة وهي تركز على التأكد من حفظهم للحروف العربية والكلمات التي تعلموها، فصارت تسأل كل واحد منهم سؤالاً بسيطاً؛ ك أن يخبرها بكلمة تبدأ بحرف معين أو يتهجى تلك الكلمة ..

بعد انتهاءها من أسئلتها وقفت عند مقدمة الفصل وهي تهتف بضحكة فخورة :

انا مبسوطة منكوا كلكوا اوي النهاردة .. المرة الجاية هناخد كلمات جديدة وهنسمع شوية من القديم بردو عشان يثبت في دماغنا

تطفل عليهم صوت رجولي أتاهم من نافذة الفصل :

يا مس انا متسألتش زيهم!

نظرت عزة إليه واتسعت عينيها باندهاش، بينما
ابتسم مروان ابتسامته الباردة المعتادة وأسند ذراعيه
على الشباك وخاطب الأطفال قائلاً :

بتفهموا حاجة من المس دي يا اولاد؟؟ أصل انا عايز
أخذ عندها درس نحو ومتردد

اعتلاها الغيظ وخرجت من الفصل بانفعال، بينما ابتعد
هو عن النافذة واقترب منها عندما خرجت ووقفت
أمامه تهتف بغضب :

انت بتعمل ايه هنا !؟!

رد مبتسمًا :

جاي اسلم عليكى يازوزو

فردت هي بحنق وعبوس :

_ اوعى تقول لي إن طنط مستتية نتقابل تاني

_ لا لا امي عدت المرحلة دي خلاص، امي مستتية
خطوبتنا دلوقتي

رفعت حاجبيها بدهوة ثم نطقت بغضب :
_ هو انت داخل حياتي تقرفني انت وأمك!؟!

_ والله باين

صكت على أسنانها بغيظ :

_ مروان متعصبينيش .. انا مش هفضل عايشة
التمثيلية دي كثير

رد بلامبالاة :
_ اديكي بتتسلي

_ لا معش انا زهقت مش عايزة اتسلي تاني

نطق بملل :

_ بقول لك ايه متصدعناش، هي مقابلتين تاني كدا
وهقول لها إننا مش هنكمل وننقل الحوار

_ ولازمتهم ايه المقابلتين دول؟

أجابها بعدم اكتر اث :

_ اكون جهزت نفسي لـ زنّ امي على عروسة جديدة،
عشان انا ماليش خُلق دلوقتي

صدح صوت رنين هاتفه المحمول يقاطع حوارهما،
فأخرجه من جيبه وأجاب :
_ايوة يا جهاد ..

ارتفع حاجبي عزة باستنكار، قبل أن يعم الصمت
ليستمع لها عبر الهاتف ثم يختم المكالمة بـ :

_خلاص ماشي هجيك ... سلام

أغلق مكالمته القصيرة وأعاد الهاتف بجيبه، ثم التفت
لعزة التي صاحت بسخط :

_طب ما كنت كلمت جهاد ياخويا تيجي تعمل خطيبتك،
على الأقل هتموت عليك اهو وكانت هتعمل الدور حلو

ضحك مروان بشدة، ولم يرغب بمصارحتها بأنها
أخته .. لا يعلم لماذا ولكنه استشف الغيرة من نبرتها
وأعجبه الأمر

قبل أن يتوجّه بالرد عليها كانت قد تركته وعادت
لفصلها بعدما نطقت بحلق :

_امشي يامروان بدل ما افضحك واقول إنك عايز
تخطف عيّل من العيال ! ..

*

*

*

بمقر العمل الجديد الذي انضم له فخر مؤخرًا ..
كان يجلس على المكتب المخصص له، يتجول بقلمه
بين ساحة الورقة البيضاء ليملاها ببعض الرسوم

الهندسية، ويده الأخرى يستند عليها بذقنه .. عينيه
منصبه باهتمام لما يفعل .. بدا عليه الإرهاق معلناً
عن هروب النوم عن عينيه طوال الليلة الماضية ..

انتبه لزميله يجلس على طرف المكتب أمامه وهو يمد
له شطيرة ويقول :

_صَبِّحْ يَاعَم

رفع فخر عينيه لينظر له بابتسامة صغيرة :

_مَتَشَكَّرْ يَاطَارِقْ أَنَا فَطَرْتُ فِي الْبَيْتِ

_يَاعَمْ دَه سَنَدَوْتَشْ صَغِيرْ، شَارَكْنَا وَخِلَاصْ

_تَسَلِّمْ مَشْ جَعَانْ وَاللَّهِ، بِأَلْهِنَا وَالشِّفَا أَنْتَوَا

أبعد يده بالشطيرة قليلاً وتساءل بتعجب :
_ انت منمتش كويس ولا ايه؟

تطلع له فخر متسائلاً :
_ عرفت منين؟

_ وشك باين عليه

ضحك فخر ضحكة جانبية محبطة وهو يقول :
_ هو واضح اوي؟

ضحك طارق بخفة :

_ يعني مش اوي

ثم استطرد قائلاً :

_ لو عندك أرق انا اعرف منوم حلو هيساعدك

رد فخر بعدم اهتمام :

_ لا مش لازم انا تمام

عاد طارق يمد له الشطيرة :

_ كُل السندوتش يسندك بقى

أجابه ضاحكًا :

_ يا بني والله ما جعان

نهض طارق وهو يقول :

_ خلاص هجيب لك خربوش شاي يفوّك ..

ضحك له فخر بهدوء، ثم عاد ينظر لورقته ليستكمل

ما كان يفعله

*

*

*

انتِ ازاي يطلع منك كلام زي ده !!

صاح مروان بغضب فى وجه جهاد وهو يقف أمامها
وسط ساحة شقتها ..

اقتربت منه جهاد خطوتين وهى تقول باكية :

مكانش قصدي .. والله ما اعرف ازاي اتكلمت كدا،
انا بس خوفت يكون فاكرنى مهمة بيه، مكنتش
عايزاه يتعشم فيا

رد باستنكار :

والله؟ ، يعني انتِ عشان متخليهوش يتعشم فيكِ
ديبتي في وشه كلمتين زبالة وبكل بساطة بتقوليله
انتِ فايدتكِ بس كانتِ اني اتمنظر بيكِ قدام اصحابي!
، ده تمام عندكِ صح؟

ردت بقلة حيلة والدموع تنسال من بين جفنيها :
مقصدتش كدا، والله ما قصدت كدا .. انتِ عارفني
غبية ومبفكرش في الكلام اللي بقوله، بس ...

منعها عن مواصلة عبارتها بعبارة حادة :
انتِ محتاجة دكتور ياجهاد !

ثم زجرها بنبرة غليظة لأول مرة تسمعها منه :

انتِ مش عارفة تعالجي عقدة النقص اللي اتزرعت
فيكِ من يوم ما عرفتي غلطة ابوكي وامك، لحد ما

كبرّتها معاكِ وبقيتي تجرّي فيها ناس مالهاش ذنب

..

استطرد بضيق شديد :

طول الوقت حاسة بالعار وحاسة إنك صغيرة وقليلة
كأنك انتِ اللي غلّطتي .. وانا طول عمري بحاول
اخليكي متتأثر يش بالعقدة دي وكل اللي بتطلبه بعمله
وبجيبه لحد عندك، حتى وانا عارف إنك مش محتاجة
الحاجة دي فعلاً، انتِ بس عايزاها عشان تعلي على
اصحابك وتحسي إنك أحسن منهم .. وانا مبعلقش
وبسكت وبقول معلى يمكن ده اللي هيخليها تثق في
نفسها ومتحسش إنها أقل من حد ..

أردف بإحباط يتخلله اللوم :

كنت فاكِر إني بساعدك بس طلعت برّبي فيكي أنانية
وقلة تمييز .. معرفتيش تفرّقي بين الناس اللي بتحس

وبين الجزم والشنط والهدوم اللي بترميها بعد ما
تتنططي بيها شوية ..

لم تتوقف العبرات عن التتابع فوق وجنتيها، حتى
نطق مروان بأخر ما عنده :

_بس انا ماليش دعوة بيك تاني يا جهاد .. خلصت كدا
خلاص .. انا برا الليلة كلها خالص .. شيلي مشاكلك
لوحدك !

نطق جملته الأخيرة بصوت جهوري أفرعها، قبل أن
يتحرك إلى الباب ويغادر، غير مبالياً ببكاءها الذي
تضاعف بعد رحيله وظلت غارقة به لوقت لم تعلمه

...

*

*

دلف فخر من باب المنزل وهو يضع المفاتيح بجيبه،
تسارعت معالم الملل بالسيطرة على وجهه بعدما رأى
العائلة تجتمع حول طاولة السفرة لتناول الطعام ..

حاول الهرب منهم والسير بخفة إلى الدرج للاختفاء
بغرفته، ولكن لم تسنح له الفرصة ووقف على صوت
عمته المرتفع :

الناس بتقول سلام عليكم ولآ مساء الخير وهي
داخلة

قلب عينيه من حوله بملل ونطق دون أن يلتفت لها :
سلام عليكم ومساء الخير ياعمتي

ثم همّ بمواصلة طريقه ولكنه توقف مجددًا عندما
صاحت بسخط :

_تعالى اقعد معانا ولا احنا مش قد المقام ياروح
عمتك!

نظر للأعلى ونفخ بمنتهى الاختناق ثم استدار وتوجّه
إليهم حتى يتجنب أي جدال ..

كان عامر يجلس عند المقدمة، يجاوره عن اليمين
بسمة وبجانبها مريم، وعن اليسار ناهد وبجوارها
ياسمين، ومن ثم بجانب ياسمين يجلس زياد؛ الذي
أسند ظهره للخلف وترك الطعام وانشغل بمشروب
الشاي بالحليب فقط ..

تقدم فخر وجلس بجانب اخته وهو يتمتم مع نفسه :

يارب نخلص

لم ينظر تجاه أحد وظلّ مصوبًا أنظاره على الطاولة والأطباق .. يريد فقط أن يبقى صامتًا حتى تنقضي بضع دقائق وينسحب من بينهم، ولكن ناهد كان لها رأي آخر ولم تتركه وشأنه :

كنت فين يا حبيبي؟

رد باقتضاب دون أن ينظر لها :

في الشغل

اه ما انا عارفة بس شغلك بيخلص الساعة ٣، ايه اللى أخرك لحد ٥؟

نظر لها بجانب عينيه بنظرات شرسة عبّرت بوضوح
عن عدم تحمّل أي كلمة من أحد ، و رد بصوت حاد :

_ انا في تحقيق هنا؟؟

نظر عامر لاخته بطرف أعينه بلامبالاة والتزم
الصمت ..

في حين تبادلت ياسمين نظراتها الغير راضية مع
زياد وكأنها تطلب مساعدته في التحدث بأي شئ
ليقاطع أمها ويوقفها قبل ان تزيد الأمر حدة، بينما
غمز لها زياد وهز رأسه بثقة إشارة لها بأن تصمت
وتشاهد الشجار الذي ينتظر حدوثه ..

ردت ناهد قائلة :

_ ولا تحقيق ولا حاجة يا حبيبي احنا بنتظن عليك ..

ثم تابعت بغيرسة :

_وبعدين انت عارف إن انا جاية لكوا على الغدا، مش
قادر تيجي بدري شوية وتستقبلني ولا مشاويرك أهم
من عمك؟!

عجبًا ! تلك المرأة تريد الجميع أن يتأهبوا لوجودها
كالوزير الذى يجب على الجميع الوقوف حوله بثبات
والقيام بالتحية العسكرية له ..

تسارع الغضب في السيطرة عليه، فلم يشعر بنفسه
وهو يضرب يده على الطاولة بعنف ليمسك بالسكين
الصغير الخاص بالطعام، فأسرعت مريم بأمساک
معصمه قبل أن يرفع يده ويظهر السكين أمام الجميع،
وكأنها كانت متوقعة هذا، وهمست له :

_اعصابك اعصابك، فكك منها

بينما كان يراقب زياد هذا الموقف وعينيه تلمعان
بحماس، يترقب أن يفعل أخوه ويقوم بالتهور على
الجميع فى أي لحظة ..

زفرت بسمة بنفاد صبر من ثرثرة ناهد وتحدثت :
_ماتاكلي ياناهد وبلاش نتكلم على الأكل

التفتت ناهد لبسمة وصاحت بكل سخط :
_ما ناقص تربية الشوارع هى اللى تقول نسكت
ونتكلم امتى كمان!

نبتت بسمة بنبرة مهددة :
_متعديش حدودك ياناهد ومتنسيش إنك فى بيتي

_يا بت ماتبطلي البجاجة اللي انت فيها دي! ، بيتك ايه
يا ام بيت؟ انت عشان قعدتي فيه شوية خلاص بقيتي
تبعنا ولا ايه؟؟

صاح عامر بغضب :

_ناهد! ، خفي بقى!

صاحت ناهد باستحقار :

_انت بتكلمني انا وسايب فردة الشبشب دي؟؟

وقفت بسمة فجأة بانفعال :

_لا انت زودتيها على الآخر!

فلم تلبث ناهد حتى نهضت هي الأخرى وقالت بتحد :

_ايه بقى هتعملي ايه بسلامتك كدا؟؟

_ لا انا ممكن اعمل كثير اوي لعلمك .. انتِ ايه؟
مالكيش كبير ولا ايه؟

وقفت ياسمين لتحاول تهدئة أمها، تزامناً مع وقوف
عامر و مريم لجعل بسمة تتراجع .. في حين بقى
الشابان يتابعان الموقف بهدوء تام؛ فخر يراقب
بمنتهى الملل وعدم الاكتراث وهو يأكل قطعة من
الخيار، بينما تعلو الضحكة وجه زياد وهو يطالعهم
باستمتاع أثناء احتساء مشروبه المفضل، وتمتم
ببرود :

_ عيلة بنت كلب بس بتضحك

*

*

*

احتوت البطانية جسد جهاد أسفلها لتخفيه حتى ذقتها
.. لم يظهر منها سوى عينيها التي تورّمت من فرط
البكاء، والتي لم تكتفِ بعد، بل واصلت ذرف الدموع
كفيض لا يمكن إيقافه ..

تكاثرت العبرات بشكل خائق حتى شعرت بأنفاسها
تُسلب منها، فاعتدلت وهي تبعد الفراش لتسمح
بمجال أكبر للهواء وتُسهل دخوله لرئتيها، وجلست
تستند بظهرها على مقدمة السرير ..

ارتفعت شهقاتها اللاإرادية، وكلما مسحت وجنتيها
من الدموع تعوّضها عينيها أضعافاً، وكأنها تعاندها
وتتحداهما ..

توزعت أنظارها من حولها بتيه واضطراب، حتى
استقرت على الكومود، تحديداً على ورقته !

ورقته المميزة التي لاتزال محتفظة بشكل النجمة
المعهود، ولم تفتحها منذ شكّلها لها ..

مدت يدها بتمهل والتقطتها بأناملها .. ظلت تحديق
فيها لوقت طويل حتى تشوّشت الرؤية تماماً بسبب
تراكم العبرات بداخل حدقتيها ..

انسدلت إحدى دموعها على الورقة وهي تفحصها
بين يديها بحيرة .. تودّ أن تفتحها لتقرأ تلك الكلمات
اللطيفة التي كتبها لها ؛ لقد حفظتها عن ظهر قلب
على أي حال ولكن رؤية الكلمات والتطلع لخطه
المنظم يلمسها بشكل آخر ..

ولكنها خائفة ..

خائفة ألا تستطيع اللجوء إليه لتطلب منه إعادتها
لشكل النجمة كما كان ..
وتظل الورقة منبسطة إلى الأبد ...

*

*

*

في المساء ..

جلست ياسمين فوق سريرها وهي تتحدث بالهاتف
والابتسامة لم تفارق وجهها طوال المكالمة ..

ـ خلاص طالما خرجت مع اصحابك النهاردة ننزل
احنا بكرة مش مشكلة

بادرت ياسمين باقتراحها، فعارضها زياد قائلاً :

لا لا انا ساعتين وهطير منهم وهعدّي عليكى، على
١١ كدا اجهزي

ردت باستتكار :

هننزل الساعة ١١ يازيزو؟؟ او مال هنرجع امتى؟

مش خلاص متجوزين؟ نرجع الفجر بقى براحتنا
عادي محدش له عندنا حاجة

غلبتها ضحكة خجولة وصمتت قليلاً، ثم هتفت :

بس ماما ممكن مترضاش

أجابها بسخط :

_ياسمين بطلي غباوة، انا اللي كلمتي بتمشي دلوقتي
مش أمك .. ولو قالتك نص كلمة حطي صباك في
عنيها

ضحكت ثم تساءلت :

_طب هنروح فين؟

_مش عارف، تروحي سينما؟

_يااه .. انا بقالي تقريبًا خمس سنين معدتش من قدام
سينما

ردد بدهشة :

_خمس سنين؟! ليه خمس سنين!؟

ماما مالهاش في الأفلام، وانت عارف .. مكنتش
بخرج إلا معاها

خلاص يبقى نروح النهاردة في حفلة ١٢ ، هخلص
مع العيال دي وهرنّ عليكي

*

*

*

بنفس المكان المعتاد المفضل للشباب للتجمع سويًا ..
ذلك المركب المتوقف على ضفاف النيل الذي
يستأجرونه لهم هم فقط ؛لقضاء الوقت معًا آخر الليل
..

تنوّعت المواضيع واختلفت الأحاديث ولم يشارك فخر
في أيّ منها ولو بكلمة .. فقط يكتفي بالاستماع، وإن
نظر له أحد يبتسم له فقط ويهز رأسه بانتباه، رغم

عدم تركيزه أصلاً في حرف واحد من كل ما يتفوهون
به ..

عقله ضائع في عالم آخر، أصبح الشرود روتينه
الجديد ويلزمه دون شعور منه .. لم ينتشله من بحر
أفكاره إلا صوت حازم يناديه فالتفت له، ليردف
حازم:

__مالك متغير النهاردة كدا ليه؟

استعد للنهوض وهو يقول :

__دماغي وجعاني منمتش كويس، انا همشي النهاردة
كملوا انتوا

ليحتج عز قائلاً :

__احنا ملحقناش نقعد

أجابه مغادرًا :

_ معلىش ياعز تتعوّض

ثم ترك المكان واختفى فى طريقه سريعًا، قبل أن
ينظر عز لزياد ويقول :

_ فى ايه ماله؟

زفر زياد بحنق :

_ جهاد ..

تساءل حازم :

_ مالها؟

فرّق نظراته بين الاثنين بحيرة، ثم قال :

كالشريد الذي فقد وجهته، لا يعلم إلى أين يتجه ولكنه
لا يهتم؛ فقط يسعى لإشغال نفسه برؤية الناس
والسيارات والسماء والنجوم .. أي محاولة فاشلة
لطرده التفكير من رأسه ولو دقائق ..

يحاول إجبار عقله على عدم التفكير بها والرجوع
لحياته السابقة كما لو لم تظهر في حياته من الأساس
.. هي لم تفكر به أبدا فلم يضعها محل الاهتمام!

هذا ما اعتقده هو، ولكنها فعليًا لم تكن كذلك قط، بل
استحوذت جميع تفاصيله على تفكيرها ولم تفارق
ذهنها ..

لقد قضت وقت طويل جدًا في الحيرة والتردد، تمسك
بالهاتف وتحقق بإسمه .. كلما اقترب اصبعها من زر
الاتصال تتراجع فجأة وتعيد النظر ..

تخشى مواجهته و رد فعله عندما يرى اسمها على الشاشة ..

لا تعلم ما الذى يجب قوله وما الكلمات التى يمكنها أن تُحدث فرقاً ..

ماذا إن لم يُجب؟ وهذا الاحتمال ال "شبه أكيد" بالطبع، ولكن ماذا أيضاً إن أجاب لينهرها بكلمات غاضبة لا تريد سماعها؟ ، لقد اعتادت على هدوءه ورزاقته وكلامه المعسول وابتسامته المميزة الجذابة التى تعلوه عندما يراها ..

لا تريد أن يتغير هذا .. لا تريد أن تتحول ابتسامته الحب إلى التجهم والمقت!

شعرت باليأس وأرهقها التفكير فلم تملك أدنى سلاح سوى البكاء ..

البكاء والبكاء دون توقف، حتى يتكرم أحد ما وينتشلها من بئر حزنها يوماً

*

*

*

خرجت مريم من البوابة الكبيرة الخاصة بالقبيلة وهي
تتظر بهاتفها المحمول .. أخذت العديد من الخطوات
بعيداً عن المنزل، إلى أن شهقت فجأة بفرع عندما
قبضت يد قوية على ذراعها لتوقفها عن المشي،
والتفتت له سريعاً ليتبدل التفاجؤ إلى الغضب عندما
رأت وجهه وسحبت ذراعها بعنف وصاحت بحدة :

__ انت بايع بقى مش كدا؟

ابتسم إياد ببرود وقال :

__ انا سبتك تهدي شوية حلوين اهو عشان نعرف
نتكلم

_ هو انا بتكلم صيني ولا ايه؟ , انا كلامي كان مباشر
وقولت لأ واضحة

تابعت بغضب شديد :

_ "لأ" مش معناها حاول تاني ولا معناها ادّيني وقتي
.. لأ معناها لأ !

رد بإصرار وصوت خشن :

_ وانا مش هسيبك يامريم !

هتفت ساخرة :

_ لا متفكرش لما تقول كدا هشوفك متمسك بيا
وبتحبني وهدوب قدامك! .. انا قولتلك خلصت ،
خلصت يعني انتهت .. محتاج توضيح تاني ولا فهمت
خلاص؟

أنهت كلماتها وهي تستعد للمغادرة والابتعاد عنه
ولكنه منعها بقبضته التي أمسكت ذراعها بعنف
ليجذبها إليه ويجعلها تنظر بعينيه القاتمة وهو يردد
بنبرة صارمة :

مريم أنت ليا ومهما عملتي مش هسيبك، احنا
هنتجوز سواء بمزاجك أو لأ

بدا الاندهاش على وجهها وحاولت إخفاء اضطرابها
من كلماته الواعدة ونبرته الخشنة، وصاحت بقوة
مزيفة وهي تحاول فكّ ساعدها من يده :

انت اتهبلت ولأ ايه! انت فاكر نفسك تقدر تجبرني
على حاجة!؟

أوماً واثقًا :

_اه يامريم .. عشان لو محصلش انا ممكن اعمل
حاجات كتير مش هتعجبك

وتابع بكل حقارة ووضاعة :

_أبسطها مثلًا إني انزل لك صور بلبس مش تمام
واقول إن انتِ اللي باعتها لي .. أو ريكوردات بصوتك
وانتِ بتعرضي نفسك عليا بمنتهى الرُخص عادي ..
وانتِ عارفة إن ده مش صعب وال AI (الذكاء
الاصطناعي) يقدر يعمل أي حاجة

تابع ضاحكًا باستفزاز :

_وتتشهري ياروحي وتبقي حديث الساعة

جحظت عينيها بصدمة شديدة وشعرت بلسانها توقف
عن العمل، لم يمر على بالها أبدًا أنه يتمتع بكل هذا
الانحطاط والانحدار !

بينما أضاف هو ببرود وتبجح :

لا والسيناريو الأجمد بقى إن ابوكي هيصدق بمنتهى
السهولة وهيعمل فيك العجب .. وانا وانت عارفينه
كويس، يصدق أي حد وميصدقكيش انتِ

تضاعفت الصدمة عليها أكثر، ولأول مرة تشعر بكل
هذا الندم لدرجة أنها ودت لو قطعت لسانها فى الحال
لتنقم منه بعد تحدثه مع ذلك الوضع بشأن طباع
والدها ..

هاهو يستغل الأمر لصالحه الآن لعلمه أن عامر لم
يكن يساندها يومًا ولن يفعل، وبالفعل سيكذبها
ويصدقها ..

ولن ننسى بالطبع أن ضعفها كان عامل مساعد
بجدارة، فقد كان يعلم تمامًا أنها بمجرد أن تسمع منه
تلك الكلمات ستتكمش وتخضع له ولن تخبر أحد
لخوفها من تنفيذ تهديده ..

تشجع أكثر على متابعة حديثه عندما رأى تشتتها،
وقال :

_قدامك اسبوع تحاولي تقنعي ابوكي تاني .. لو فضل
مصمم على رأيه يبقى هنتجوز فى السر زي ما
قولتلك قبل كدا .. اشطا؟

ترك ذراعها بعنف وهو يرمقها بحدة وعدم اكتراث،
ثم تحرك وغادر تاركًا إياها واقفة كالصنم تتطلع من
حولها بصدمة قوية، وعينيها تصارع للسيطرة على
الدموع قبل أن تنفجر

*

*

*

تخطت الساعة الثانية عشر، وقد استقر الثنائي
"زيزو والفراشة" بصالة السينما الواسعة، تحديداً
في المنتصف .. ولم تكن الصالة مليئة بالناس بل
كانت أغلب المقاعد فارغة ...

لم يكفأ عن الثرثرة حتى بعدما بدأ الفيلم، وظلاً
يتهامسان بخفوت لعدم إزعاج الآخرين، وراحت
ياسمين تتحدث باندماج :

أصلاً ولاد الدفعة بتاعتنا دول كلهم كحيانيين انا مش
عارفة منة ازاي معجبة بواحد منهم، وفضلت مركزة
معاه بقى طول السنة و تراقب فى الفيسبوك بتاعه
ليل نهار .. انا قولت لو الواد متقدم لهاش هتنهار
وتتنحر مثلاً!

ثم تابعت، تحت أنظاره التي ترمقها باهتمام شديد
وكأنه أمرًا مصيريًا :

_ مفيش ياخويا يومين ولقتها مرة واحدة اتقفلت
خالص .. في ايه يامنة؟ مفيش .. عمل لك ايه يامنة؟
معملش حاجة ، المهم طلعت في الآخر اكتشفت إنه
بتاع بنات وبيتلرق في بنات الدفعة كلهم .. راحت
فاكساله وشافت أشرف

رد ضاحكًا بدهشة :

_ ايه الموقف اون السريع ده!

بادلته الضحك مجيبة :

_ مبتضيعش وقت

ثم واصلت قصتها :

المهم اشرف ده يبقى صاحب الواد الصايح ده بس
مش شبهه خالص هو محترم عنه .. معرفش ايه اللي
لمهم على بعض ...

ظلت تثرثر وتقص الحكاية وهي تصوّب أنظارها على
الفيلم، لم تنتبه لوجهه الذي تغيّر بعدما أتاه شعور
قوي بعدم الراحة سيطر على جسده، تحديداً فوق
صدره .. كان يحاول تجاهله إلى أن يتلاشى وحده،
ولكنه على العكس ازداد أكثر وأصاب أنفاسه بشيء
من التوتر ..

قاطعها بصوت متحشرج وهو يهمّ بالنهوض :

ياسمين معلش خمس دقائق وراجعلك ..

تساءلت وهي تراقب مغادرته :

في حاجة ولا ايه؟

مفیش، خلیکی هنا بس ...

.
.

خرج من الصلاة إلى الرواق وسار بضع خطوات
بتمهل وهو يحاول التقاط أنفاسه بانتظام، حتى وقف
فجأة واستند على الحائط بعد شعوره بدوار قاتل
أصاب رأسه فجأة، وأغمض عينيه معتصرًا جفنيه
بألم ..

يزداد ضيق التنفس مع زيادة ضربات قلبه بشكل
ملحوظ، حاول فتح عينيه فرأى الصورة مشوشة
والمكان يترنح من حوله كالتاحونة .. أغمض عينيه
مجددًا وظل مستندًا على الجدار بعدم اتزان، رفع يده
الأخرى ليضعها على رأسه وكأنه هكذا سيتحكم قليلًا
في قوة هذا الدوار المزعج ..

خرجت ياسمين من باب الصالة لتراه يقف على
مسافة أمتار منها .. اعتلاها التعجب واقتربت ناحيته
بخطوات بطيئة منادية من خلفه :

"زيزو؟"

لم يلتفت إليها، أو بالأحرى لم يجد الفرصة لفعلها
؛فقد خائته عضلاته واستسلمت للسكون وهوى
جسده أرضاً، بنفس اللحظة التي صرخت بها ياسمين
بفزع وركضت صوبه بأسرع ما لديها، جثت على
ركبتيها بجواره وهي تتفحصه برعب وارتجاف،
تحاول محادثته لتبقيه بوعيه بكلمات غير مرتبة
مرتعشة من فرط الذعر، ومقلتيها يقفز منها الصدمة
والخوف وقلة الحيلة ..

عينيه نصف مفتوحة توشك على الانغلاق، يصارع
للبقاء بوعيه ولكن جسده لا يسمح له، خارت قواه
تماماً .. صورة وجهها المرتعد أمامه كان آخر ما يراه

قبل أن تتشوش الصورة تدريجياً حتى اختفت .. وساد
الظلام بتقابل جفنيه معاً .. واستكان جسده كلياً دون
حركة أخرى

فقد وعيه بالكامل وفقدت هي ثباتها معه، حتى من
قبل معرفتها بمقاومته اليائسة مع مرضه التي
ستحطم كيائها بكل تأكيد ..

كما الحال مع تلك البريئة صاحبة الأعين الزرقاء
الصافية، التي انتصرت عليها الحماقة لتفريق على
صدمة موجعة أخذت تبكي على أثرها طوال الليل ..

ومن جهة أخرى، غمرت التعاسة وجه (المهندس)
وانطفأ نوره ..

وذبلت عيني (أثيرة الكحل) وأصبحت وحيدة ..
لتنفصل متلازمة "المهندس وأثيرة الكحل" وتنشطر
إلى نصفين ; ذهب كلُّ منهما في طريق مضاد للآخر،
ولكن كلاهما شاق وعصيب ..

لَمَ اشْتَدَّت العتمة بقوتها فجأة وحلَّت بِنِسلها على
الجميع هكذا ؟
يتبع ..

الفصل الثامن والعشرون {تراب أمشير}

أعلن المنبه الذي يعتلي الكومود عن تخطي الساعة
الواحدة صباحًا ..

يعم ظلام تام على الغرفة عدا ضوء خافت قادم من
الشارع يتسلل من خلال النافذة ..

مُستلقي فخر على ظهره فوق الفراش، عينيه مرتكزة
على السقف بثبات، تتشابك أصابعه لتتكون بيديه
عقدة يُسندها على بطنه ..

يحيط به هدوء شديد لم يكن مُحببًا له كثيرًا ؛فقد كان
يساعد أصوات عقله في الارتفاع أكثر بشكل مرهق ..

تجول بين كل الأوضاع مرارًا وتكرارًا ؛علّه يرتاح
بأحدهم ويندمج بالنوم، ولكن بلا جدوى .. حتى
استقر في النهاية متمدداً على ظهره يحدق بالسقف
إلى أن غير معلوم ..

زفر بحنق واضح، قبل أن ينهض ليجلس على طرف
الفراش ويُنزل قدميه على الأرض، ويفتح المصباح
الصغير المجاور له ..

مع قلة النوم تصبح مشاعر التوتر والانفعال أعلى ..
ورغم نجاحه في دفنها، إلا أنها أثبتت وجودها بتلك
الارتجافة العصبية التي تصيب يده .. فأطلق زفيرًا

آخر باختناق وضم قبضته محاولاً إيقاف هذه اللعنة
النفسية التي لا تتوي تركه أبداً ..

وقع بصره على دفتره المتروك مسبقاً فوق الكومود،
انحنى قليلاً ليسحبه بيده ويفتحه وينبش بين صفحاته
بلا هدف .. وصل إلى آخر صفحة مكتوب فيها، ثم
تلاها بصفحة جديدة بيضاء .. شرد للحظات بعينين
غامضتين وملامح لا تحمل أى رد فعل .. أمسك بقلمه
على مهل وشرع يخط كلماته ببطء :
"ظن أن جروحه ستشفى بها .."

فتركت هي واحداً أعمق منهم جميعاً"

انتهى من الكتابة وظل محققاً قليلاً بتلك الحروف التي
افتقدت لحسن خطه المعروف بسبب رجفة يده،
وقسمات وجهه ثابتة تماماً وكأنه لا يبالي ..

استمع لصوت هاتفه المحمول يبلغه بمتصل ما، فأخذه
من فوق الكومود ونظر لـ إسم المتصل :
"Yasmine"

عقد حاجبيه بتعجب من اتصالها في هذا الوقت، ثم
أجاب :

_ الو*

*

*

*

لم يختلف الظلام في غرفة مريم عن غرفته، يعمها
هدوء تام يشوبه أصوات شهقاتها الخافتة أثر البكاء

..

تركّت المجال لدموعها لتتنسّل كما تريد، وبقتّ جالسة
على السرير تضمّ قدميها لصدرها ..

انكسر الظلام بضوء هاتفها الذي تركته على الفراش
بجوارها، التقطته ونظرت بالشاشة لتجد المتصل
صديقتها رنا، فتحت الخط وأجابتها :

_ الو ..

فيما صاحت رنا فور تلقيها الإجابة :

_ انتِ بردو لسة قاعدة تعطي يا مريم!؟

ردت بصوت يغلفه الدموع :

_ مش عارفة انام

_ مريم انا هجيلك بكرة الصبح بدري وهنقعد ونفكر
بالراحة هنعمل ايه مع المتخلف ده .. دلوقتي ارتاحي
وبطلي عياط والصبح هنشوف حلّ إن شاء الله
متخافيش

صمتت مريم قليلاً ثم تحدثت بصوت مهزوز وخافت :

_ هو انا للدرجة دي عبيطة يارنا؟ ، ده انا أصلاً
مبعرفش اثق في حد، ايه اللي خلاني آخذ راحتني معاه
كدا! كان ساحرلي ولا ايه؟

هزت رأسها بالنفي رفضاً لهذا الواقع المؤلم، مردفة
:

_ مستحيل اللي بيحصل ده، مش ده إياد اللي انا
عارفاه لأ انا في كابوس أكيد

هتفت رنا راجية :

_ ممكن بس عشان خاطري تحاولي تبطلي تفكير
وترتاحي؟ ، وعد مني وخديها كلمة مني احنا

هنتصرف مع الحيوان ده .. ولو فِكر يعمل فيها
محدث قده وينفذ تهديده وحياة ربنا لاكله بسناني
وما هيهمني حد !

*

*

*

دخلت ياسمين إلى دورة المياه الخاصة بالمشفى، ولم
تكد تغلق الباب حتى تسارعت دموعها بالنزول ..
عانت كثيرًا في الخارج لتتماسك وتمنع دموعها،
ولكن لم تقوَ على ذلك كثيرًا، فلم تجد ملجأً للانفجار
سوى الاختفاء بالحمام ..

ارتفع صوت بكاءها فوضعت يدها على فمها لتمنع
وصول صوتها إلى الخارج، ورغم ذلك لم تكتمها

بالكامل فقد سيطر النحيب عليها دون إرادتها
وانفجرت ببكاء قوي يصعب السيطرة عليه ..

مرّ صوته على بالها بحوار قديم بينهما :

_"ايوة بس ده أهم يوم فى حياة أى بنت .. يوم مش
بيتكرر يازيزو وابقى عاملة فيه كدا؟_"

"ياستي ما يمكن اموت وتكرريه عادى"

أغمضت عينيها وارتفع صوت البكاء أكثر واهتز
جسدها بعنف من قوة النحيب، قبل أن تتذكر حديثاً
آخر :

"بس بلاش تتعلّقي بيا .. احنا حبايب وبنقضى وقت
حلو سوا بس مش لازم تتعلّقي وتحطي أملك كله عليا

.. مش عشان انا ناوي امشي أكيد، بس الظروف
ممکن هي اللي تجبرنا على كذا"

الآن فقط فهمت مقصده من وراء تلك الكلمات .. إنه
ينتظر يوم موته بصدر رحب وبمنتهى البساطة!!
اجهشت بالبكاء بشكل هستيري حتى شعرت بصعوبة
دخول الهواء لصدرها .. ؛اتفقت الصدمة مع الحزن
عليها ليقبضا كلاهما فوق رئتيها ويعتصرا قلبها حدّ
الألم، حتى شعرت بعدم قدرتها على الوقوف

فكرة خسارته تصيب فؤادها بغصة موجعة تشعر على
أثرها وكأنه سيتوقف عن النبض بالفعل!
هي لن تتحمل ذلك .. حقاً قلبها الضعيف لن يستطع
مجابة ذلك ؛ليس بعدما أصبح جزءاً منها وملاً
حياتها بالبهجة والألوان الزاهية ..

بدأ عقلها بإفافتها وتذكيرها بعدم فائدة النحيب الآن ،
بل يجب عليها القيام بواجبها تجاهه ومساندته حتى
يتعافى ..

لا مجال للزعزعة، يتعين أن تظل قوية وصامدة ..

حاولت استعادة رباطة جأشها وأخذت شهيقاً عميقاً
وزفرته على مهل .. توقفت عن البكاء قليلاً وسارت
إلى الحوض، ثم فتحت الصنبور وغسلت وجهها ثلاث
مرات حتى بدأت في اقتناء الهدوء تدريجياً

.

.

قرعت على الباب مرتين ثم دخلت إلى الغرفة، صوّبت
نظرها إلى الفراش الذي كان جالساً فوقه ويسند
ظهره على مقدمة السرير ، نظر لها عند دخولها
ورفع يديه في الهواء قائلاً بنفس أسلوبه الساخر
،حتى مع وضوح التعب على وجهه :

احنا اتحسدنا .. اكيد اتحسدنا !

أغلقت ياسمين الباب دون أن يبدو عليها استجابة
لكلماته، كانت ملامحها جامدة يظهر عليها الاستياء
والضيق .. اقتربت منه على مهل حتى استقرت على
الكرسي المجاور له وظلت تحدجه بنفس نظراتها،
فقلب عينيه من حوله بملل عندما أدرك سبب غضبها،
وقال :

ياسمين انا كويس، الحوار مش مستاهل

اسكت خالص!!

صرخت بوجهه فجأة مما فاجئه وجعله يتراجع للخلف
فجأة مندهشاً، بينما تابعت هي بحنق شديد :

**_ وإياك تتكلم بالطريقة المستفزة دي معايا تاني
عشان مضربكش !**

**مد يده لها بحذر وهو يقول بنبرة لا تخلو من بروده
المعتاد :**

_ اهدي بس

**دفعت يده عنها بعنف وصاحت بعصية :
_ متترفزنيش !**

_ خلاص طيب بالراحة مش هنعرف نتكلم كدا

أطلقت زفيرًا غاضبًا وأشاحت بنظرها ملتزمة الصمت

..

تساءل زياد مترقبًا :

_ اوعي تكوني كلمتي حد وقولتيله؟

_ كلمت فخر ومريم بس مريم مردتش وفخر زمانه
جاي

تتهد بارتياح مهممًا :

_ الحمد لله كويس إنها مردتش..

_ هو انا ممكن اعرف خبييت عليا ليه؟

نطقت سؤالها بغضب ; اختلطت به السخرية في

حديثها التالي :

_ اومال ايه اللي بحبك وبتثق فيكي وبرتاح معاكي
والكلام اللي بلفت دماغي بيه ده! .. بتثق فيا ازاي
وانت مخبي عليا حاجة كبيرة زي دي؟!!

مال دي ومال الثقة يا ياسمين؟ انا مكنتش عايز
اخوفك وانكد عليكِ واخليكي تعيطي كل شوية زي
ما عيظتي دلوقتي

رمقته من أعلى لأسفل ثم ردت بكبرياء وعناد :
مكنتش بعيط على فكرة

رد بملل واستخفاف :
باين على وشك انا مش اعمى.

اخرس يامطرقع !

نطقت جملتها بقرف واستحقار مصطنع، فيما ضحك
هو بصمت، قبل أن تتحدث مجددًا بحنق :

_بس لأ ده مش مبرر، بردو كان لازم تعرّفني ..

نظر لها بضجر وأجاب :

_ياسمين انا مش عايز اصعب على حد ولا عايز حد
يشيل همّي ويشفق عليا، انا مبسوط كدا

صاحت باندهاش :

_انا مش أي حد انا المفروض مراتك !

قاطع الحديث صوت طرقات على الباب ألحقت بدخول
فخر متعجلاً يبدو عليه التوتر والقلق، فأسرع زياد
يقول :

_انا كويس وتمام والموضوع عدّي، ياسمين اللي
بتخاف بزيادة بس .. روق دمك انا زي الفل

نهضت ياسمين وجلست عند مؤخرة السرير لتترك
المقعد لفخر؛ الذي اقترب منه وهو يرمقه بخوف
ممتزجًا بغضب، وقال :

حرام عليك والله اللي بتعمله فيا ده!

أشار له زياد بالجلوس قائلاً :

اقعد بس اقعد

استجاب فخر لطلبه وجلس، ثم طالعه بجدية ونطق
مباشرةً :

زياد انا مش قادر اتناقش معاك تاني .. بس العملية
دي هتتعمل وفي أقرب وقت، ماشي؟

نظر زياد أمامه ونفخ قويًا بمنتهى الضجر، مما أثار
انفعال فخر مردفًا :

انت حابب المعاناة يعني ولآ ايه ؟! ، انا مش لاقى
أي سبب لرفضك ومش عايز الاقي أصلاً عشان
مفيش حاجة هتقتعني كدا كدا ..

توزعت أنظار ياسمين بينهما بدهشة، إلى أن
استقرت على زياد و رددت بتعجب :
انت المفروض تعمل عملية ورافض؟؟!

رفع زياد يده ليوقفها عن مواصلة الحديث ثم خاطب
كليهما :

محدثش يبدأ معايا الحوار ده وللمرة الأخيرة هقول
انا فعلاً كويس ، عادي شوية تعب ممكن يحصلوا لأي
حد واديني بقيت تمام وهروّح .. خلاص كدا؟
كانت ياسمين على وشك الاعتراض، إلا أن فخر
سبقها مغنفاً إياه :

ياخي ارحمني بقى وحس بيا شوية !! ، حاول دقيقة
واحدة بس تبطل غياب وتفكر فى اللي حواليك .. انت
ليه عايز تشيلني فوق طاقتي حرام عليك كفاية اللي
انا فيه!

امتنع عن إضافة كلمة أخرى وغطى عينيه بكفه بتعب
وإرهاق، فيما ظلت يده الثانية مسنودة على قدمه وقد
ظهرت عليها ارتجافتها الانفعالية المعتادة؛ والتي
لاحظها زياد، فتقدم صوبه وأمسك بيده قويا ليهدئه
قائلاً :

خلاص يافخر خلاص، اهدى على أعصابك شوية

لم يجد منه ردًا .. انتظره حتى أن ينظر له ولكنه لم
يفعل، زفر بهمّ وحيرة ونظر لياسمين التي تترقبه
باهتمام وعينيها تتوسل إليه بشدة هامسة له :

_لازم عملها عشان تبقى كويس يازيزو مش هينفع
تفضل كدا

زاغت حدقتيه في الأنحاء بتردد وظل صامتًا لبرهة،
إلى أن تنهد باستسلام وخرج صوته خافتًا :

_حاضر .. حاضر عملها

أبعد فخر يده عن وجهه ونظر له بشك، فيما اشترط
زياد فورًا :

_بس عندي شرط

ثم وجه حديثه لكليهما :

_محدث يعرف .. ولا حتى مريم ولا حتى خالي
رؤوف

رد فخر باستنكار متعجبًا :

_ايه؟ هتعملها من ورا الناس كلها يعني؟

أصر زياد قائلاً :

_اه عادي ، اللي يسألك قول له بايت عند صاحبه وّلا مسافر قول أي حاجة المهم الموضوع ميطلعش برا عنكوا انتوا الاتنين .. انا مش هرتاح وانا حاسس إنّي محور الأخبار كدا وكلّهُ قلقان ومركز معايا .. ممكن وّلا ايه بقي؟

أوما فخر باستسلام متممًا :

_ماشي اللي تشوفه

التفت زياد لياسمين يطالعها بتساؤل، فهزت رأسها إيجابًا أكثر من مرة بالموافقة ..

نهض فخر وهو يقول :

_ انا هروح اسأل الدكتور ينفع تمشي دلوقتي ولا لأ ..

سار إلى الخارج وأغلق الباب من خلفه، دون أن
ينتبه لعيني ياسمين التي راقبته بتعجب، ثم التفتت
لزياد متسائلة :

_ هو كويس ؟

حذق زياد في أثره وهمهم بِشروء :

_ اتمنى

*

*

*

بعد مرور يومين لم يتغير بهما الحال كثيرًا ..

شارفت الساعة على إتمام الخامسة عصرًا، حينما
خرج عز من البوابة الكبيرة الخاصة بالمشفى متجهًا
لرنا التي وقفت في انتظاره، وتساءل بتعجب :

_ هو الكلام مهم اوي كدا لدرجة إنك تيجي لحد هنا؟

نظرت له مجيبة :

_ اه مهم .. مهم اوي، مريم مش تمام ومحدث غيرك
ممکن يساعدني

صبّ كل اهتمامه لها فورًا وتساءل :

_ مش تمام ايه؟ في ايه؟

أجابته بسخط واستهزاء :

_اياد قليل الأصل، بيهددها إنه هيعمل لها فضايح لو
متجوز هاش، مديها اسبوع تقنع باباها بالجوازة دي
يا إما يتجوزها في السر

صاح بذهول شديد :

_فضايح ايه وعبط ايه؟! ازاي يعني!؟

تهدت بإحباط قائلة :

_وقفها وهددها في وشها إنه هيعمل لها صور
وقويسات fake "مزيفة" .. انا كنت قاعدة معاها
دلوقتي ومبطلتش عياط من ساعتها، وانا ايدي
مربوطة للاسف ومحتاجك تساعدني

تمتم عز مع نفسه بسخرية :

بان على حقيقته بسرعة كدا؟

ثم خاطبها قائلاً باستهانة واستتكار :

ليه مقالتيش لفخر أول ما اتعوج عليها كدا؟ كان زمانه دفنُه بالحيا في لحظتها أصلاً وريحنا منه

خايفة إياد يعند ويعمل كدا فعلاً، وانت اكثر واحد عارف ابوها وعارف ممكن يعمل فيها ايه لو وصل له حاجة زي دي

ثم أضافت :

وبعدين فخر عصبي ومش بعيد يوذي نفسه في دهية عشان النكرة ده .. انا جيت لك انت عشان عارفة إنك مبتستعجلش وبتفكر كويس قبل ما تعمل أي حاجة

قطب حاجبيه بضيق وشردت عينيه في اللاشئ وتهد بهم، قبل أن ينظر إليها عندما استطردت :

_وعلى فكرة انا جاية لك من وراها ومحدث يعرف
إني قولتلك وياريت الموضوع مينتشرش لحد ما
نخلص منه، لو فكرت وهتقدر تعمل حاجة قول لي
وانا معاك وهعمل اللي تقول عليه

رد بنظرات غامضة لم يظهر منها أى تلميح لما ينوي فعله وقال بنبرة جامدة :

_لا انسي انتِ الحوار ده، انا هتعامل معاه لوحدي

*

*

*

خرجت ياسمين من بوابة الجامعة برفقة صديقتها
منة وجوار منة زميلًا لهما كانت منشغلة معه
بالحديث، بينما ورّعت ياسمين اهتمامها للبحث من
حولها عن عزيزها "المطرقع" كما أصبحت تناديه
مؤخرًا؛ فقد هاتفها سابقًا بأنه سينتظرها أمام البوابة
..

احتلتها ابتسامتها الواسعة بمجرد رؤيته يقترب منها،
حتى وقف بجوارها وخاطبها بابتسامة عابثة :
_ مساء الأنااس

ضحكت وأجابت مشاكسة :
_ مساء البطيخ عشان بحبه أكثر

ضحك بخفة ثم نظر لمنة ورفع يده بالسّلام، فبادلته
منة نفس الإشارة ثم نظرت لزميلها الواقف بجوارها
وعرّفته قائلة :

ده محمود زميلنا فى الكلية يايزو

أوما زياد قائلاً بعدم اهتمام :

اهلاً

أماء "محمود" له أيضاً واكتفى بابتسامة صغيرة، ثم
نظر للفتاتين قائلاً :

انا همشي بقى اشوفكوا بكرة إن شاء الله

ثم صوّب نظره لياسمين متذكراً شيئاً :

اه صحيح يا ياسمين

ثم تخطى منة واقترب منها، تحت تركيز زياد معه
وهو يقول :

_ هي محاضرة دكتور صبري معادها اتغير؟

ردت ياسمين ببراعة حمقاء :

_ اه اتبدلت مع دكتورة ايناس

_ هي ايناس بتدينا الساعة كام أصلا؟ انا مش بحضر
لها

_ ايناس كانت بتدينا ٩ ، بس هتبقى ١١ وصبري هو
اللى هيبقى ٩

_ هو هياخد غياب صح؟

ضحكت بخفة قائلة :

_ هو على طول بياخد غياب يامحمود!

بدل زياد نظراته المستنكرة والساخرة، بين فراشته
السانجة وذلك الأبله الذي يحاول فتح أي حوار أخرق
معها .. عقد ذراعيه ببعضهما أمام صدره وظلّ
يستمع إليه منتظرًا إياه حتى ينتهي من بصق كلماته
؛ علّه يجد بينها كلمة لا تعجبه فيأخذها حجة ويكسر
فكّه ..

_ طب معلى انا آخر محاضرة محضرتهاش، مينفعش
لو سجلتيها تبعتهالي لو سمحتي؟

حركت كتفيها قائلة بنبرة عادية :

_ تمام مش مشكلة

ابتسم محمود وقال وهو يضع يده على ذراعها :
_شكرًا اوي انتِ جدعة جدا و ...

انقطعت كلماته وابتلع حروفه فجأة حينما ارتد للخلف
بعنف أثر لكمة قوية أخذها من زياد دون سابق إنذار
..

ولم يقف زياد عند هذا الحد بل كان يتجه إليه ليسدد
له المزيد، ولكن أعاقته ياسمين بجسدها الصغير
وهي تقف أمامه صائحة بذعر :

_زيزو مش كدا اهدى!

اقتربت منة من محمود وهي تتطلع للجميع باندهاش،
بينما ارتفع صوت زياد وهو يطالعه بشرّ ويحاول
إبعاد ياسمين التي أحكمت يدها حوله :

_مش مالي عينك انا ولا ايه!

توجه محمود صوبه بغضب ينوي رد هذه اللكمة،
ولكن كان الناس قد اجتمعوا من حولهم فمنعه اُحدهم
عن مواصلة طريقه وحاولوا تهدئة الأمور ..

لم ينوي زياد التراجع ولم تفارقه علامات الشراسة
والغضب، ولكنه انسحب فقط عندما أصرت ياسمين
على جذبته من ذراعه للمغادرة وهي ترجوه بعينين
متوسلة توشك على البكاء :

**_عشان خاطري يازيزو يلا نمشي عشان خاطري
بلاش مشاكل ابوس إيدك يلا نمشي من هنا**

لم تكن تفكر بأي شئ سوى به وبمرضه الذي عرفته
مؤخرًا، وخافت أن يتضخم الشجار ويصيبه شيئًا مع
العنف والغضب، فيجعل يوم السينما هذا يتكرر
مجددًا، وهي حقًا لن تتحمل أن تعيش ذلك اليوم
المروّع مرة أخرى ..

نظر لعينيها الدامعتين وخفف مقاومته بشكل ملحوظ،
ثم رمى أنظاره على الجميع من حوله، قبل أن ينفخ
بغضب ويستسلم لرغبتها ويبتعد عنها ويذهب، فلم
تلبث حتى لحقت به دون أن تلقي ولو نظرة صغيرة
على أحد من خلفها

*

*

*

واصلت سحر الطرق على باب غرفة مريم وهي تقول
بقلق :

مريم يا حبيبتى انتِ مطلعتيش من الأوضة النهاردة
خالص، لو في حاجة يابنتى عرّفينى متقلقتيش عليكِ

.

كانت مريم بالداخل تكفكف دموعها وتحاول إظهار
صوتها عاديًا عند الرد :

_مفيش ياطنط انا ماليش نفس اتكلم مع حد بس

_طب اطلعي اتغدي حتى

_انا لما اجوع هنزل آكل لوحدي متشيليش همّ

تتهدت سحر وردت بقلة حيلة :

_خلاص اللي يريحك .. انا تحت لو عوزتي حاجة

لم تأخذ سحر منها ردًا، فما كان عليها إلا المغادرة ..
بينما استمرت مريم في ذرف الدموع من جديد؛ وكان
كل البكاء الذي استمر طوال اليومين الماضيين لم
يكفي

*

*

*

على جانب طريق جانبي خالٍ من الناس تقريبًا، يضم
بعض البنايات وبضع سيارات مصطفة بالجوار
وحسب ..

صارت ياسمين تسير بجانبه تحاول التحدث إليه
ولكنه لا يآبه، ووجهه لا يزال مكفهرًا بضيق شديد ..
كانت خطواته واسعة وسريعة فقط، ولكن لتلحقه تلك
القصيرة كانت تقريبًا تركض حتى انقطعت أنفاسها،
فنفد صبرها وصاحت بانفعال :

اقف يا يزو بقى انا تعبت بجد !

توقف فجأة ونظر لها بتجهم، فوقفت معه وهى تلهث
أنفاسها بعنف قائلة :

يخربيتك مجرّيني وراك بقالك تسعة كيلو !

متكلمنيش خالص يا ياسمين عشان مطلقش قرفي
عليك انت!

اصطنعت البراءة وقالت بصوت رقيق من الدرجة
الأولى ؛لتجعله يضعف أمامها :

ليه يازيزو انا عملت ايه؟

ولكن نظراتها لم تنطلي عليه ولم يهدأ غضبه وأجاب
بحنق :

انت ازاي تسبيه يحط ايده على دراعك؟

_ انا اكد مكنتش هسمح له طبعًا، ده انا يادوبك لسة
بستوعب لقيتك خبطته فى وشه على طول!

_ وكنت هكسر رقبتة كمان بس انتِ اللى وقفتيني

ثم تابع بغضب شديد :

_ مسكتيني ليه؟ خايفة عليه ولا ايه ياختي!؟

ردت بسرعة لتوضح :

_ يا حبيبي والله انا خوفت عليك انت ومكنتش عايزاك
تدخل فى مشاكل وقرف .. انا مين هيهمني غيرك فى
الليلة دي يعني!؟

صمت زياد تمامًا وظل محددًا بوجهها بهدوء وكأنه
لا يزال يترجم الكلمات بداخل عقله، لم يأخذ شئ
تركيزه سوى تلك الكلمة العفوية التي خرجت منها،

فضاقت عينيه بلؤم ومال برأسه قليلاً ليطالعهها بعث
ويقول :

_حبيبي؟

حدجته بشفتين ملتويتين بضجر يتخلله الخجل،
وأشاحت بنظرها وهي تهمهم باستنكار :

_شوف بيركز في ايه ده كمان!

منع ضحكته من الظهور، وعاد لمعالم الحنق قائلاً :

_بردو لسة متترفز ومش رايق

_خلاص يازيزو بقى! ده واد اهيل ميستاھلش تحرق
دمك عشائنه

_ايه يعني المفروض اعمل ايه لما اشوف واحد
بيتمحس في مراتي كدا؟!_

ضحكت وحاصرت وجهه بين أصابعها، مُدلة إياه
كطفل صغير :

_محدث يقدر ياككوت مراتك يامطرقع انت

أبعد يدها عنه وهو يهز رأسه بالنفي عابسًا :

_مش هياكل معايا الكلام ده، اوعي

هتفت بتأفف :

يوه بقى! ، ايه اللي يرضيك دلوقتي يعني؟

مط شفتيه وتطلع من حوله متصنعا التفكير، ثم نظر
لها ورفع كتفيه بلامبالاة :

بوسة

تحوّلت ملامحها إلى الرفض والاستتكار :

ايه !! لا طبعا

تساءل رافعًا حاجبيه ببرود :

ليه؟

مش هعمل كدا انا! ، خليك زعلان احسن

نطق بوجه برئ :

دي بوسة بريئة في الخد بس، مفيهاش حاجة

خالص

_قولتك مش هعمل كدا، وخصوصًا في الشارع كمان

_احنا في شارع مقطوع مفيش غيرنا .. يلا انجزي

صاحت بإصرار :

_لأ

_يعني اهون عليكِ افضل زعلان؟

رمقته بطرف عينيها بصمت، ثم نفخت بغضب مكتوم
وهي تحدجه بعصبية، بينما ابتسم هو بسلام منتظرًا
إياها، وعينه تقمصت البراعة بجدارة ..

اقتربت منه خطوة لتبقى بقربه كثيرًا ثم تطلعت بكل
الأرجاء لتتأكد من عدم وجود أحد ..

بسبب فرق الطول بينهما، اضطرت لتقف على أطراف أصابعها لتصل لوجهه، وقد ساعدها بدورها ومال إليها قليلاً حتى وصلت لوجنته وطبعت قبلة خفيفة سريعة ثم ابتعدت، لم تكذ شفيتها أن تلمس خده حتى رجعت للخلف فوراً وأبعدت نظرها عنه بخجل .. فهتف زياد بعدم رضا :

ده اسمه ايه بقى؟ ايه البوسة اللي على الهوا دي!

والله لمستك ياكداب

تفاجئت بيده تمسك بذقنها ليقربها منه على حين غرة، وألصق شفتيه بخدها الناعم ليترك عليه قبلة قوية وعميقة، غير مبالياً بيديها التي تحاول إبعاده باندهاش وخجل شديد يكاد يفتك بأوصالها .. استطاعت الإفلات منه فقط عندما تركها هو وعادت خطوة للخلف وهي ترمقه بذهول شديد، بينما نطق هو ببرود :

بتتعمل كدا !

احمرّ وجهها كثيرًا ; لا تدري خجلًا أم غضبًا ..
ونهرته بحنق :

ايه اللي انت عملته ده!! ، ازاي تفاجئني كدا !؟

رفع يديه في الهواء بلامبالاة، تاركًا اللوم عليها :
ما انتِ اللي طمّعتيني لما قولتي حبيبي .. الرجالة
ياحبيبيتي مابيصدقوا يلزقوا

وافرض كان حد شافنا !؟

رد دون أدنى اهتمام :

براحتي، محدش له حاجة عندي

أمست ترمقه بعصية و غضب، فقال بمنتهى الملل
وعدم الاكتراث :

متبصليش كدا انا في ناس كتير قالولي إني جوزك
فمشيت وراهم ..

*

*

*

ده بجد؟ احنا خلاص حياتنا هتفضل مع المستويات
دي؟ مرة نرجس ومرة إياد!

صاح رؤوف بكلماته بسخط وهو يقف أمام ولده
بساحة شقته، فى حين تطلع له عز بإحباط وهو يجيب
بهدوء :

_ عرف يستغل نقطة ضعفها يابابا للأسف، مريم مش
واثقة فى نفسها بواحد فى المية وهو طول الوقت كان
بيحسسها إنها مميزة وجميلة ومهمة وتستهال تاخذ
كل حاجة هى عايزاها .. بس بكلام كله كذب
واستعباط

حدق رؤوف فى الأنحاء بغضب، ثم قال :
_ وهنعمل ايه؟

_ أولاً انا مش عايز الحوار ده يوصل لبيت تليد
نهائي، وده معناه إن الكلام ده هيفضل بيني وبينك،
متكلمش فيه مع أى حد ولا حتى مى وحازم

تساءل رؤوف بتعجب :

_وازاي اخواتها ميعرفوش؟

_اسمع كلامي ياروفا انا عارف بقول لك ايه ، فخر
بالذات على آخره ومش مستحمل ضغط اكثر من اللي
هو فيه .. الحوار ده احنا هنخلصه انا وانت في
السكّت، ده طبعًا لو عايز تحط ايدك معايا .. لو مش
عايز براحتك

_ازاي مش هعوز ياعز؟ مريم زيها زي ميّ عندي،
أكيد مش هسيبها

طالعه عز بجانب عينيه بترقب :

_اه بس الطريقة مش لونك ومش هتعجبك

تطلع رؤوف لابنه عاقدًا حاجبيه بحيرة :

انت بتفكر فى ايه بالظبط؟ ...

*

*

*

وقف فخر أمام سيارته المركونة بساحة القيلا، يفتح
مقدمتها ليحاول إصلاح عطل ما قد أصابها .. يرتدي
بنطالاً أسود اللون وتيشرت أبيض ضيق بنصف كُمّين
يبرز قسمات صدره وعضلات ذراعه، وقد احتل
التأفف والاختناق ملامح وجهه بعد محاولته لأكثر من
مرة ولم يفلح، ولكن مع ذلك واصل المحاولة ..

وقف حارس المنزل "صبري" بجواره وهو يقول :

طب مانكلم حد يصلحها يابيه بدل ما تتعب نفسك

عدّل فخر على كلمته دون أن ينظر إليه وهو منشغل
بعمله :

_مهندس يا صبري!

.
.
دلفت جهاد من بوابة القيلا بخطوات مترددة، تأخذ
خطوة وتراجع خطوتين .. لم تكف عن التفكير طوال
الطريق ولم يمل عقلها من حثها على أن تعود
أدراجها، ولكن تجد قلبها يشد يدها ويركض صوبه
متلهفًا، حتى مع يقينه بأنه لن يفتح له ذراعيه ..

توقفت تمامًا عندما رآته على مرمي بصرها،
وارتعشت خلاياها بأكملها .. شعرت بانسحاب أنفاسها
فجأة وتعلقت عينيها به لتراقب أصغر حركاته .. يميل
بجذعه قليلًا على السيارة ومنهمك بما يفعل، خصلات
شعره البينة متناثرة على جبهته، كما تكاثرت فوقه
حبات العرق بعد قضاء وقت طويل في الشمس الحارة
يحاول إصلاح تلك السيارة العنيدة ..

صدح صوت الحارس يعرض عليه قائلاً :
_ اعمل لك شاي ياهندسة؟

لتستمع إلى صوته الذي اشتاقت له كثيرًا :

_ شاي ايه يا صبري انا بولع وانا واقف!

نفخ باختناق شديد ثم أردف :

_ روح هات لي تفاح وسكينة صغيرة

نطق صبري ببلاهة :

_ هي العربية عايزة سكينة؟

رد فخر محاولاً السيطرة على أعصابه :

_السكينة للتفاح يا صبري !!

رد صبري وهو يتحرك مسرعًا :

_ايوة ايوة حاضر عنيا

استكمل فخر عمله بضجر، ثم خاطب السيارة برجاء :

_شدي حيلك بقى ياغالية طلّعتي عيني، هعمل ايه من

غيرك لو جراك حاجة دلوقتي؟

.

اكتفت جهاد من المراقبة وملأت صدرها بالهواء عن

طريق سحب شهيق عميق، ثم أطلقتها على مهل

لتهدئ نفسها ثم اقتربت منه ..

.

توقف عن متابعة العمل عندما استمع لطرفتين خفيفتين على السيارة من أحد ما وقف بجوار باب السائق، ولكنه لم يراه بسبب غطاء السيارة المفتوح الذي يفصل بينهما، فاعتدل وانتصب واقفاً ليراه ..
تصلب بموضعه تمامًا، لم تصدر منه أدنى حركة بمجرد رؤية وجهها .. حتى وجهه لم يبدُ عليه رد فعل، فقط عينيه مثبتة عليها بغموض وصمت تام ..

ظلت محدقة إياه بعينين تتلأأ بها الدموع، توجست من صمته الطويل وارتبكت من نظراته المرتكزة عليها .. تحاول استنباط أي رد ملحوظ ولكنه غامضاً كالصندوق الأسود ..

وقف أمامها صلباً تماماً غير مهتماً، ولكن بداخله يقسم أن الاهتزاز الذي أصابه كفيل بهز الأرض أسفله ..

كان يعافر للسير في درب النسيان والتخطي، ورغم
عجزه عن هذا إلا انه على الأقل شعر ببعض القوة
التي تكفي لمواصلة حياته بشكل مستقر إلى حد ما ،
ولكن بظهورها الآن فقد عاد لأعماق نقطة الصفر ..!

بعد وقت قصير استطاعت أخيراً رؤية الغضب في
عينيه مخلوطاً بالسخرية، أسند يده على طرف غطاء
السيارة المرفوع، وخرج صوته متهكماً :

اللعبة وحشتك ولا ايه؟

ضمت شفثيها بارتباك وصمتت قليلاً ثم نطقت بصوت
خافت لم يكد يظهر :

انا آسفة.

انتفض جسدها فجأة عندما أغلق الغطاء بعنف
وغضب، ثم اقترب منها ووقف أمامها يقول بحنق :

_دي أغبي جملة ممكن تقوليها !

_فخر ممكن تسمعي؟

ولكنه لم يعطها الفرصة وهتف بغضب مدفون
بأعماقه :

_قدامك تلت ثواني تختفي فيهم دلوقتي قبل ما اعمل
حاجة تضايقك !

صاحت بعناد :

_لا مش همشي غير لما تسمع !!

وأردفت بانفعال والدموع متحجرة بعينيها :

_لازم تعرف ان الكلام ده مطلعش من قلبي وإني
عمري ما اعتبرتك حاجة تافهة، انا كل اللي كنت بفكر
فيه أبعدك عني وخلص مفكرتش فى العبط اللي
بيطلع مني !

ظل وجهه غير مبالياً رغم تأثره بما قالتة الآن عن
محاولة إبعاده، وأجاب ببرود :

_كلمة "مش موافقة" لوحدها كانت كافية !

لتنعكس كلمتها الآن وتقول برجاء وألم :

_بس انا مش عايزاك تبعد

اعتلته الدهشة وصاح بتعجب :

_انتِ عايزة ايه بالظبط انا مش فاهم حاجة !

تحدثت بحزن شديد :

_فخر افهمني .. انا عمري فى حياتي ما تخيلت ولا
حتى جه فى أحلامي إنك تحبني انا !، خوفت حبك
مبيقاش بجد ويطلع على دماغى تعب ووجع مالمش
آخر

ردد بحنق متعجبًا :

_هو كل اللى كنت بعمله مكاش بيحسك بأى حاجة؟
مكنتيش بتشكى حتى؟

زمت شفتيها بقلة حيلة وأجابت :

_لا كنت بحس بس كنت بنكر، وكنت مقتنعة إن
دماغى هى اللى عايزة تفسرها كدا لكن نيتك الحقيقية
مش كدا ..

أجابها بغضب ووجه مكفهر :

_واديي اتكلمت وقولتها واضحة وصريحة .. وعملت
ايه انت؟ مسكتي كرامتي مرمطي ابوها !!

ارتفع صوته بحدة بآخر جملة، مما جعلها تتوتر أكثر،
ثم نطقت بنبرة مهزوزة :

_مكانش قصدي .. انا كان كل اللي ف دماغي
احسسك إن انا مش لقمة سهلة، عشان لو كنت بتفكر
تلاعبني ترجع

تشج وجهه باستتكار :

_بلاعبك ايه!

أوضحت قائلة :

_انا شايفة علاقتنا دي مستحيلة لدرجة إنك حتى لما
قولتها واضحة وصريحة بردو مصدقتكش

وأضافت :

_بص للواقع يافخر! ، شوف انت فين وانا فين ..
أكيد لو حد زيك قال لي بحبك مكنتش هصدق وهخاف
يكون بيضيع معايا وقت ويرميني فى الآخر

رد ساخرًا :

_ودلوقتي مصدقة؟

غمرت الدموع عينيها وأومات مرتين بتأكيد، فسألها
ببرود :

_اشمعنا؟

أفرجت عن أول دمعة بعد محاولات عديدة في
حبسها، وأجابت بصوت يملؤه الحزن والاضطراب :

_ نظرتك ليا لما طلع مني الكلام الغبي ده مكانتش
هتطلع إلا من واحد قلبه اتكسر عشان بيحب بجد!

تابعت دون أن تبعد مقلتيها عن عينيه التي تحاول
الاحتفاظ ببرودها :

_ لما قعدت الفترة اللي فاتت وافكرت كل اللي عملته
عشاني لقيته ميطلعش إلا من حد بيحب فعلاً

اقتربت منه خطوة واسترسلت :

_ مكنتش بتشتكي من أي حاجة بعملها مع إني عارفة
إني ساعات ببقى غبية ومستفزة .. مكنتش بتعلق
على اي حاجة بعملها أو بقولها إلا بالكلام حلو ..
مكنتش شايف فيا عيب مع إني كنت بقول لك دوغري
انا فيا عيب كذا وكذا وكذا .. بس انت بردو قررت
متشوفهاش ومتركزش فيها

اعتلته ابتسامة جانبية متهكمة وهو يقول :

_مكانش ينفع تحسي ده بدري شوية؟

ردت بنبرة تنبئ بأنها شارفت على البكاء :

_غصب عني

توزعت أنظاره من حوله ومط شفتيه بإحباط، هز

رأسه بيأس قائلاً بصوت مرهق :

_انا كنت واقف على الحاقّة وكنت فاكرك بتشدّيني

لورا بس طلعتي بتزقيني!

نظر بداخل عينيها بعتاب وخيبة أمل :

_بنيت على وجودك تقريباً كل حاجة وفي ثانية واحدة

هدّيتها فوق دماغي

هز رأسه بإحباط وحرك كتفه بقلّة حيلة مردفاً
بخفوت:

_ انا للأسف اتعثّمت .. اتعثّمت بزيادة

انسابت دموعها على وجنتيها وهي تقول بنبرة
متوسلة :

_ بس انا ممكن اصلح كل ده وابني معاك من أول
وجديد

طالعتها بنظرات ساكنة تمامًا، وأجاب بهدوء ونبرة
خاوية :

_ انا معنديش طاقة أمسك طوبة حتى!

رمقته بصمت وحدثت بعينيه البنيتين لبرهة .. سكتت قليلاً ثم همت بإخراج ورقة من جيبها وهي تقول :

_فاكر دي؟

أخفض رأسه لينظر إلى الورقة التي فقدت شكل
النجمة وبقت فقط مطوية نصفين ..
لم يُبدِ رد فعل واضح وعاد ينظر لها عندما نطقت
بحزن :

_انا مبطلتش ابص فيها طول الأيام اللي فاتت

رد ببرود ولا مبالاة :

_اقطعها لو تعبكي

بالعكس دي بتطمني .. بحس إنها مدياني أمل إني
مش هحفظ بيها لوحدها وهتكتبلي غيرها قريب

أبعد نظره عنها مبتسمًا بسخرية، ولكنها لم تبالِ
باستهزائه وأردفت مؤكدة :

انا مستنياك ترجع توريني الحاجات اللي بتكتبها
تاني يافخر!

تغيرت معالم السخرية تدريجيًا إلى الجمود وظل
يحملق بها بنظرات حانقة، ثم قال بضراوة بعض
الشيء :

عايزة تشوفي الجديد ؟ تمام وماله؟

لم تفهم مقصده ولم تتل الفرصة لتستفسر، فقد تحرك فوراً وتخطاها ليفتح باب مقعد السائق فابتعدت قليلاً لتعطه المساحة لفتحه، ووقفت ترمقه باهتمام ..

سحب دفتره المستقر سابقاً في السيارة وأسنده على سقف العربية وقطع منه ورقة كان قد دوّن عليها كلمات من قبل، ثم أغلق الدفتر ..

التفت لها ومدّ لها الورقة وملامحه تطالعها ببرود شديد، بينما نظرت له بعدم فهم قبل أن تتناول منه الورقة بهدوء وتقرأ ما فيها :

"رغبت في استنشاق بعض النسيم فأصابك ألمٌ مرير

..

لتتبين بعدها أن ماقابلته لم يكن سوى تراب أمشير"

انعقدا حاجبيها بتعجب، أخذت أنفاسها بشئ من عدم
الراحة وأدمعت عينيها .. لم ترفع حدقتيها عن الورقة
وظلت عينيها تحملق بتلك الحروف بِشروء ..

رياح أمشير ..

تلك الرياح التي تات بتقلبات جوية ما بين البرودة
والحرارة المرتفعة، تمتلك الجانب الحسن كالمساعدة
في نضج الزرع وما شابه .. ولكن هذا لا يشفع
لجانبها المكروه ;من قوة طقسها السيئ وشراسة
العواصف المحملة بالرمال والأتربة ..

أصبحت هي الآن تُشبهه بالجانب المؤذي فقط ..
;العاصفة القاسية التي يجب حماية النفس منها وليس
الاقتراب منها أو الوقوف في مواجهتها !..

حتى أنها لم تتجاهل دقته في اختيار كلماته، فقد كتبها
"تراب" وليس "رياح"، ليؤكد تمتعها بالجانب
السيئ فقط وعدم امتلاكها للجانب الجيد !

انسالت الكثير من الدموع على وجنتيها، قبل أن تبعد
نظرها أخيرًا عن الورقة وترفع عينيها له لترى
وجهه البارد ..

لا يعطوه سوى المثل .. الجمود .. عدم الاكتراث ..
الجفاء!

جميعها تعبيرات اجتمعت بنظرته الأخيرة التي ألقاها
لها، قبل أن يلتقط دفتره ويتركها متجهًا إلى المنزل

.....

يتبع ..

الفصل التاسع والعشرون {ظرف وفيديو}

"هي طبيعة النبي آدم كذا دائماً .. متذمر وغبى
ومبىحش بقيمة الحاجة اللي فى ايده لحد ما تضيع

..

انا مش عارفة آخرتها ايه بصراحة بس انا متأكدة
إني مش مستعدة افرط فيك مهما حاولت تبعدني

انا يمكن زقيتك من على الحافة زي ما بتقول، بس انا
معايا حبل وعايزة الحقك بيه قبل ما توصل للأرض ..
جرّب تمسكّه، صدّقني مش هيطلع مقطوع"

.

كانت هذه آخر رسالة أرسلتها له بصوتها بعد العديد
من الرسائل التي تعلم أنه لن يرد عليها .. يراها
ويسمعها ولكنه لا يبادر بأي رد .. ورغم ذلك تحافظ
على مراسلته دون ملل ..

كان قد صفّ سيارته بالقرب من محل عمله وظل
جالساً فيها ينصت لصوتها الذي يهز قلبه في كل مرة
يسمعه

انتهى من الاستماع تزامناً مع ظهور الحزن مختلطاً
بالضيق والحنق على وجهه، بقدر ما يؤثر صوتها به
إلا أن غضبه منها لا يزال يقوده ويمنعه من الالتفات
إليها أو إلى ندمها وألمها الباديين في نبرتها ..

تهد بهمّ شديد وبقي يتطلع إلى الأنحاء من حوله
بسكون، وقع نظره على دفتره الذي لا يفارقه أبداً
والتقطه بهدوء .. فتحه وقلب بين صفحاته بتمهل
حتى وقعت عينيه على عبارة قديمة كتبها :

"كنت تشعر وكأن فؤادك سيقفز من بين أضلعك

بمجرد رؤيتها

والآن بتّ تمزق عقلك لقتل ذكرياتك بصحبتها .."

ارتسمت فوق قسماته ضحكة جانبية ساخرة ; لم
يتوقع أن يعيش ما يكتبه بهذه الحرفية، وكان عقله
كان يتنبأ بالمستقبل ..

تخطى هذه الصفحة والتالية والتالية، حتى وصل
لصفحة بيضاء فارغة .. أمسك بقلمه الأسود ونصّ
كلماته بتمهل :

"أهدرت طاقتك مع الآخرين، ونسيت أن توفر
البعض لنفسك ..

فنسوك هم، وأصبحت الآن تحاول ترميم ما تبقى
من قلبك"

*

*

*

كانت تقف جهاد أمام حوض الحمام لتغسل أسنانها
قبل الذهاب إلى العمل، يبدو عليها الإرهاق والتعب

لم يساندها النوم طوال الأيام القليلة الماضية، وكلّما
زارها قليلاً يسرع بالهروب من عينيها بعد ساعتين
على الأكثر، ليجعلها تنهض وتدور حول نفسها،
مستسلمة لتفكير مزعج يكاد يحطم رأسها ..

تفاجئت بفكرة سريعة أصابت رأسها، فتوقفت عن
استكمال غسل أسنانها فجأة وتوزعت أنظارها من
حولها بتعجب .. ولم تلبث حتى قامت بشطف فمها
سريعاً ثم ركضت إلى الخارج ..

توجهت سريعاً إلى هاتفها الذي يعتلي الطاولة، ثم
فتحت قائمة الاتصال وأسرعت في النزول للأسفل
كثيراً حتى تصل لاتصالات يوم عقد قرآن زياد، لتبحث
عن رقم السيدة سحر! ؛فقد تذكرت أن مريم حادثتها
من هاتفها ورقمها موجود معها بالفعل ..

لا تعلم لم شعرت ببعض الأمل بأنه سيكون هناك
وسيلة تواصل بينها وبين فخر، رغم أنها غير متأكدة
إذا كان قد قصّ لها ما حدث بينهما أم لا، فهي تعلم
أنه يثق بها ..

ولكنها ستجري المحاولة على أي حال وليكن ما يكن

وصلت للرقم وطلبتّه، وضعت الهاتف على أذنها
وانتظرت الرد بحرارة .. دق قلبها فجأة عندما فُتح
الخط وأتاها صوتها تقول "الو"

ابتلعت غصتها و ردت بخفوت :
_الو..

_مين معايا؟

ضمت شفثيها بتردد وأجابت باضطراب :

ا. انا جهاد ياطنط سحر

عضت شفرتها السفلية بترقب وقلق من أن تجد منها
الرفض أو اللوم أو الغضب، ولكن على النقيض
استمعت لسيل من الترحيب والسرور باتصالها ..
وحينها فقط تنهدت بارتياح وشكرت الله بداخلها ..

ايه ده ازيك يا جهاد يا حبيبي اخبارك ايه؟ ايه
المفاجأة الحلوة دي؟ ، معلى والله معرفتش صوتك
والرقم مش متسجل .. عاملة ايه يا حبيبي ليه مش
بتزورينا وتقعدي معانا شوية؟

تحدثت جهاد براحة :

مشاغل والله ياطنط حضرتك عارفة بقى الدنيا تلاهي

ثم تسألت بنبرة حاولت إخراجها عادية :

_ وفخر عامل ايه؟ نزل الشغل ولا لسة؟

_ اه نزل من نص ساعة تقريباً

ثم تابعت ضاحكة :

_ هو مبيردش عليك ولا ايه؟

ضحكت جهاد بسخرية وغمرت الدموع عينيها، هو
بالفعل لا يجيبها مطلقاً .. زفرت بهدوء محاولة
الحفاظ على نبرتها المرححة :

_ اه انا كلمته مردش، تقريباً مش سامع التليفون

صمتت قليلاً ثم أعادت سؤاها الأول مرة أخرى
باهتمام وتوتر :

هو عامل ايه؟

تهدت سحر بيأس وهي تقول :

والله يابنتي شكله متغير بقاله فترة، كل ما أسأله
يقول لي مضغوط بس ومش عارف ايه .. شكل في
حاجة حصلت بس مش عايز يتكلم، هو مقالكيش
حاجة خالص؟

تضاعفت الدموع بين جفنيها وأخذت شهيقاً ثم نطقت:

لا مقالش بس هي فترات بتيجي على الواحد كدا
بيبقى مخنوق وبعدين بيرجع زي الأول عادي
متقلقيش

شردت عينيها في اللاشئ وأردفت بعزم وتأكيد :

هيرجع زي الأول انا عارفة!

*

*

وضع حازم بصندوق السيارة آخر حقيبة من حقائب
والدته التي حزمتهما للذهاب إلى عائلتها في
الإسماعيلية، وهو يصيح متأففاً :

___ ايه يا امي الشنط دي كلها؟ انتِ ناوية تقعدى قد ايه
هناك؟

ردت (ولاء) ضاحكة وهى تتجه لركوب السيارة :
___ كلها حاجات مهمة على فكرة

أغلق صندوق السيارة مجيباً باستنكار :

_ انتِ كل حاجة عندك مهمة ..

تابع وهو يتجه لمقعد السائق :

_ انتِ لو لقيتي كيس زباله مقطوع هتشوفيه مهم
بردو

_ ياواد بطل طولة لسانك دي!

صاح بدهشة وسخط :

_ واد؟ حازم حميد بيتقال له واد؟! والله عيب على
منصبي حتى

_ مش كل شوية تخنقنا بقى بمنصبك وقرفك، انت
هتكبر عليا ولا ايه؟

أدار السيارة وهو يهتمهم بسخرية :

_ لا ياستي منقدرش

تحرك في طريقه، وطرحت ولاء سؤالا باهتمام :

_ كلمت مي تشوفها فين؟

_ اه هنروح لها المول ونعدّي على عمّي رؤوف ندّيله

الحاجات اللي هي جابتها، وبعدين نشق طريقنا إن

شاء الله

_ هو كان لازم الطلبات دي على الصبح كدا؟

_ ما انت عارفة مي بتشيل همّ ابوها وبتحب تريّحه

عشان يعتبر قاعد لوحده، عز أغلب الوقت في

المستشفى مش فاضي

ابتسمت ولأء برضا قائلة :

_ربنا يحميها بنت أصول .. اعرف ناس والله أول ما
بتتجوز بتعتبر نفسها ضيفة عند أهلها

ابتسم حازم وشردت عينيه بحب قائلاً :

_مي جميلة في كل حاجة والله يا أمي، هدية ربنا ليّا
وعوضي عن أي حاجة وحشة شوفتها في حياتي ..
بشوفها بس همّي بيروح لوحده والله

ابتسمت ولأء بحنان وقالت :

_ربنا يخليكوا لبعض يا حبيبي ويهدي سرکوا .. بس
شدوا حيلکوا شوية وهاتهلوي أحفاد كثير يملوا البيت
حواليا

ضحك حازم وسألها مازحًا :

_عايزة كام واحد يا لولو؟

_يعنى تمانية تسعة كدا

ارتفعت ضحكاته باندهاش وقال :

_ياالهوي يا امي ليه كل ده؟

_نفسى البيت يبقى فيه عيال كتير، كفاية معرفتش
اخلف غيرك، عوضني انت بقى بأحفاد .. وبعدين
عشان عبدالله يبقى معاه اخوات يسندوه مش يبقى
لوحده كدا

تتهد حازم وهمهم بهدوء :

_ربنا يسهل الحال ياستي إن شاء الله.

*

*

*

أطلق إِياد عدة تأوهات متألّمة خافتة وهو يستعد
للعودة إلى وعيه بفعل تربيت خفيف فوق وجهه بيد
أحد لا يعرفه ..

فتح عينيه بصعوبة وألم حتى ظهر أمامه وجه رجل
يبدو عليه النشاط والحيوية رغم كبر سنه، ابتسامته
المتأنية تعلو محياه الطيب .. كانت تقريبًا ابتسامات
ساخرة؟ لم يستطع أن يحدد؛ فقد تورّمت عينيه من
آثار الضرب حتى تشوشت الرؤية ..

اتسعت ابتسامته "رؤوف" وهو يميل على ركبتيه
أمام ذلك المقيد أرضًا وقال :

اخيرا ياراجل! مكانوش قلمين كؤموك كدا

لم يكن الأمر عبارة عن "قلمين" فعليًا كما يقول، بل كانت الكدمات تغطي وجه الفتى حتى أنها لم تترك إنشًا سليمًا ..

بدا الحنق على وجه إيد ونطق بصوت مجهد :

انت مين؟

انا اللي شيلتك من ايد عز قبل ما تفتس يا حبيبي

طرح رؤوف ردّه بوجه بارد، ثم أضاف :

بس اعذرني مش هقدر اعمل كدا تاني .. مش

عشان انا مبقدرش عليه لأ، ده عشان انا اللي عايز

كدا

ظل إيد يحدقه بملامح متعبة يغلفها السخط والضيق،

بينما تابع رؤوف ببرود أكبر :

والله لو تعرفني هتعرف إنني مش بقبل أساليب
البطجية دي أبدا، بس بصراحة انت مينفعش معاك
غير كدا

تطلع إيد من حوله ليستكشف المكان بنظرة سريعة،
فوجد نفسه جالسًا على أرضية الرواق، قدميه مقيدة
ويديه مقيدة خلف ظهره ..

قبل أن يعيد النظر لروؤوف، جذب نظره عز الذي أتى
واقترب منهما بخطوات متمهلة ووجه لا يكثر بشئ
..

وقف خلف أبيه، وضع يديه في جيوبه بهدوء، عينيه
مثبتة على إيد بنظرات غريبة أثارت في نفسه الريبة
.. وسرعان ما اعتلته ابتسامة متشفية باردة وهتف
بنبرة هادئة تمامًا لا تخلو من الغرابة والسخرية :

انت يا ض كنت فاكرا إنك هتيجي تعمل اللى انت
عايزه مع مريم وتخلع كدا عادي؟

أظلمت عينيه بشرّ لأول مرة يبدو على شخصية
هادئة ومسالمة مثل عز، ولكن كل شئ يختلف عندما
يتعلق الأمر بأميرته ذات الزرقتين الساحرتين والوجه
الحسن .. لن يتجاهل كل من يضايقها بأقل كلمة، وإن
أحزنها العالم بأكمله فلن يمانع في حرق العالم عن
بكرة أبيه ..

بينما هتف رؤوف بهدوء :

حاول تبص لمميزات قعدتك هنا عشان تهون على
نفسك شوية

استنكره إياد قائلاً بصوت يبدو عليه التعب :

وايه الميزة اللى هتطلع من ربطتي دي؟

رمقه رؤوف ببرود للحظات، ثم نطق بنفس هدوءه :
_إنك موقعتش فى ايد فخر مثلاً

ثم ضحك وأردف وهو يهّم بالوقوف :
_صدقني احنا حنينين عليك اوي .. انت متعرفش فخر
كان ممكن يعمل فيك ايه، ده حظك إنك معنا احنا

رفع إيد نظره لعز ليرى ملامحه التى لا تتم بالخير،
وبدّل نظره بين الاثنين بصمت تام .. مع كل الألم الذى
يعصف بوجهه الآن ويُقال أنه محظوظ لوجوده
معهما؟ ، إذا كانا هكذا ويقول أنهما رحيمين به،
فماذا كان سيفعل به فخر؟ .. ذلك المهندس مستعد
لدقّ عنق كل من يقترب من أحياءه حتى ولو اضطر
لخسارة أشياء أخرى أمام فعلته، فكل الأولوية تكمن
في ألاّ ينجو بفعلته كلّ من يمسّهم بأقل ضرر ..

انتبهوا جميعاً لصوت جرس الباب، فتبادل عز النظر
مع والده بتعجب، ثم نطق رؤوف وهو يتجه إلى
الخارج :

_ اخفي المصيبة ده!

.
.

فتح رؤوف الباب ليجد ابنته واقفة أمامه، فضحك
وقال بترحيب :

_ اهلاً اهلاً يا ست البنات

اقتربت منه لتقبّله مرة عن اليمين وأخرى عن اليسار
وهي تقول :

_ عامل ايه يا بابا؟

_ الحمد لله يا حبيبي، اومال عبدالله فين؟

_ مستني في العربية مع حازم تحت، انا جيت ادّيك
الحاجات اللي قولتلي إنك محتاجها

رفعت له بعض الحقائب البلاستيكية التي تحوي
الأغراض، فرد رؤوف مندهشًا :

_ طب ليه يابنتي بس؟ ما عز كان هيجيبهم، ده الواحد
يخاف يتكلم قدامك تاني

ضحكت وقالت :

_ هو انا غريبة يابابا؟ عادي يعني

أخذ منها الحقايب وهو يقول :

_طب ماتدخلي

_لا مش هلحق، حازم مستعجل عشان نروح مشوار
الإسماعيلية الهمّ ده، ادعيلي أمسك أعصابي عن
الناس اللى هناك دول

ارتاح رؤوف وحمد الله بداخله على عدم قبولها
للدخول، فقد يُكشف أمره مع هذا المعتوه الذى
اختطفه مع ابنه .. وضحك قائلاً :

_هو يوم وهيعدي، زقيه بقى وخلص

ردت وهى تستعد للمغادرة :

_طب يلا انا همشي وهبقى اكلمك .. سلملي على عزو
واضربه قلم نيابة عنّي لحد ما آجي انكش فيه بنفسي

.....

*

*

*

مع حلول وقت العصر ..

تناول زياد كوب الشاي بالحليب بيده اليمنى بعدما أخذ
دواءه أولاً ثم ألقاه بمثل على المكتب، توجه إلى
النافذة الكبيرة التابعة لغرفته وتوقف يتمتع بالهواء
ونسماته مع التلذذ بمشروبه بهدوء شديد ..

أخرجه من استمتاعه صوت دقات الباب، فالتفت
ناحيته وأذن بالدخول .. دلف فخر بتمهل، فابتسم زياد
واقترب منه صائحاً :

_ يا فوقاً ! .. جيت فى وقتك والله، تعالى دوق الجمال
والدلال ده

قرب زياد الكوب منه فأسرع فخر يمسك ذراعه
بقبضته ليمنعه :

__إياك، ابعء!

بينما أصر زياد وارتفعت ضحكاته وهو يحاول
مقاومته وتقريب المشروب منه ليجعله يشتم رائحته
رغمًا عنه :

__دوق بس دووق!

__والله لو هقعد مع بسمة ارحم من إني احط البتاع ده
في بقي .. ارجع لورا ياسفيه يامراهق بدل ما اكسرلك
الكباية

استسلم زياد لرغبته، وارتشف هو منه، بعدما قال :

__والله ما بتفهم ياوغد يافاسق، ده عالم تاني ده!

اكتفى فخر واحتملت نبرته بعض الجدية قائلاً :

_خَلِينَا فِي الْمَهْمِ بَقَى وَكِفَايَةَ عِبْطِ

_أَوْمَرِ

نطق زياد بكلمته ثم ألحقها باحتساء المشروب خلال
استماعه له يقول مباشرةً :

_مَعَاد الْعَمَلِيَّةِ هِيَبْقَى السَّبْتِ الْجَايِ!

توقف زياد عن استكمال مشروبه وأنزل الكوب من
على شفتيه، قائلاً بدهشة :

_بِالسَّرْعَةِ دِي؟! ، دِه النَّهَارْدَةَ الْآتَيْنِ!

_أَيُّوَةَ أَنَا أَتَكَلَّمْتُ مَعَ الْمَسْتَشْفَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتَّاحِ
نَعْمَلْهَا بَدْرِي، لِيَهْ نَتَأَخَّرُ؟

صمت زياد وزاغت عينيه فى الأرجاء بحيرة ولم
ينبس بكلمة، راقبه فخر جيداً واستدرك سريعاً ما
يشعر به من تخبيط وخوف .. وصدقاً هو يخاف
أضعاف أضعافه ولكنه لا يبيّن؛ ليس سهلاً أبداً أن
يقوم أخيه بعملية "قلب مفتوح" تتأرجح احتمالاتها
بين نجاحها وعدم خروجها حياً من غرفة العمليات
أصلاً ! .. ولكنه رغم كل شئ يحاول التمسك بالهدوء
قدر المستطاع، على الأقل أمامه ..

حمم بخفوت ووضع يده على كتفه وهتف بهدوء :
_ زيزو انا مش هخبّي عليك انا طبعاً قلقان زيّيك
.. بس هل الحل إنك متعملهاش؟ أكيد لأ

نظر له زياد بصمت، بينما أردف هو بهمّ :
_ انت مش عارف تعيش حياتك يا زياد وحالتك بتطور
يوم عن يوم .. انت حتى وانت مواظب على الدوا

وقعت من طولك وروحت المستشفى .. لا بتعرف
تلعب كورة زي ما بتحب ولا بتعرف تعمل كل حاجة
فى الجيم، وأصغر مجهود مش مسموح لك بيه، حتى
المشي لو طوّلت فيه بتتعب، طب دي حياة دي؟؟

زفر زياد باستسلام وأوماً موافقاً :
_ خلاص اديني ساكت اهو مقولتش حاجة

ابتسم فخر برزانه واقترب منه ليقبل رأسه بهدوء
وهو يقول :

_ خير يا حبيبي متخافش، ان شاء الله هتقوم بالسلامة
وهتبقى زي الفل

اكتفى زياد بالرد بابتسامة ممتنة وإيماءة بسيطة ولم
يقول شيئاً ..

*

*

*

وقفت جهاد أمام النافذة وهى منشغلة بالهاتف لتطلب رقم مروان .. ترددت في ذلك بعض الشئ ولكنها لن تتركه مبتعدًا عنها هكذا طويلًا، تعلم أنه لن يرضيها بإجابة مثل كل الاتصالات السابقة ولكنها لن تمل وستواصل إزعاجه حتى يجيب ..

.

.

كانت تجلس عزة بجوار صابرين فوق الأريكة ،فقد استجابت عزة لدعوتها اللحوحة على احتساء بعض الشاي وتناول الكعك بصحبتها ..

ورغم حديقة الليمون التى اعتصرتها على نفسها لتلبي الدعوة، إلا أنها اندمجت معها دون أن تشعر

؛فقد أحضرت صابرين ألبوم ذكرياتها الخاص بصور مروان في طفولته، ومع كل صورة تريها لعزة تحكي معها قصة الصورة ومناسبتها وما حدث ذلك اليوم ..

بينما كان مروان جالساً على الكرسي المجاور يتطلع لشاشة هاتفه غير مهتم بتاتاً، ولم يكن تركيزه منصب لحديثهما وضحكاتهما من الأساس، بل بقي يتصفح الهاتف بصمت تام ووجه مضجر ..

_الصورة دي بقى كنا في اسكندرية، يا حبيبي كان عيان ساعتها معرفش يتبسط بالسفريّة .. سافرنا من هنا وتعب هناك على طول

تساءلت عزة وهي تطالع الصورة بابتسامة صغيرة :
_ هو كان عنده كام سنة وقتها؟

كان خمس سنين.. بصي التيشرت الحلو اللي كان
لابسُه ده؟ كان بيحبه اوي وابوه منهُ لله اتعصب عليه
راح قطعه بالمقص ونكّد عليه

راحت تقلب بين الصور وتمتت بصوت مسموع :
_الله يرحمه، من رحمة ربنا مات بدري

ضحكت عزة بشدة وهي تقول :
_ده حضرتك شايلة منه كثير بقى!

بادلتها صابرين الضحك بخفة وظهر عليها الإحباط
وهي تقول :

_والله يا عزة انت متعرفيش كنت بحبه قد ايه، بس
من ساعة ما اتجوز عليا وحبها اكرت مني فجأة بقيت
بقرف منه ومن وجوده وبكره قعدته وريحته

ردت عزة مندهشة :

_ايه ده انا مكنتش اعرف إنك ليك ضرة ياطنط

ردت صابرين بعدم اكتر اث :

_يلا الله يرحمها هي كمان، الحمد لله مكانش في تعامل
كثير معاها

ثم هممت بخفوت :

_عقبال بنتها اللي طلعتلي في البخت

وكان جهاد كانت تسمعها في تلك اللحظة فعاندتها
واتصلت على مروان بنفس الوقت ..

قاطعته عما كان يفعله باتصالها، نظر لاسمها المنير
على الشاشة وغلبته الحيرة والضيق .. تردد قليلاً
؛أيتغاضى عن الأمر ويردّ عليها، أم يتجاهلها ليثبت

غضبه منها حتى الآن .. هو حقًا مغتاظ منها بشدة
ويريد تأديبها حتى تتيقن أنه اكتفى ولن يقوم
بإرضائها وتلبية رغباتها الأنانية التي لا تنتهي ..

استقر في النهاية على إغلاق الهاتف وعدم الرد، ثم
رفع عينيه ليجد عزة تتوسط الأريكة وحدها ممسكة
بألبوم الصور وتشاهدها باهتمام، بعدما تركتها
صابرين لتحضر الشاي ..

ضحكت عزة بهدوء وخاطبته دون أن تنظر له :
شكلك كان نكتة يامروان .. منظر المحامي الكاريزما
اللى عامله ده هيضيع خالص بعد الصور دي

لم يبالٍ مطلقًا وأشاح بنظره، فرفعت عينيها لتتطلع
لصمته و وجهه البارد، فقالت باستغراب :

مالك؟

التفت لها وسألها فجأة :

عزة انتِ عايزة ايه بالظبط؟

تعجبت من حدته الغريبة، وتساءلت بعدم فهم :

عايزة ايه فى ايه؟

تحدث ببرود قائلاً :

كل ما بطلب منك تيجي بشوفك قد ايه ضاربة نفسك

بمية جزمة وانتِ جاية وبستغرب ايه اللي مخليكي

تسمعي كلامي؟، ايه اللي يجبرك تعملي حاجة مش

عجباكي؟ مستتية ايه؟

قطبت حاجبيها بتعجب شديد، واعتدلت بجلستها

لتوجه جسدها ناحيته وتقول مضيقة عينيها بتساؤل

وترقب :

_ انت شايف إن انا بعمل كدا عشان عايزة منك حاجة؟

_ مفيش مبرر يخليكي تعملي المسرحية دي إلا لو
بتدوري على حاجة, قصري المسافات بقى وقولي
على طول بتسعي لإيه بالظبط؟

كساها الذهول وظلت تحملق به بصمت تام، ثم نظقت
بشيء من السخرية مع الحنق :

_ للدرجة دي شايفني مصلحجية ومش بعمل حاجة إلا
بمقابل؟

احتدت نظراتها له بغضب مكتوم والتزمت السكوت
لبرهة؛ لا ترغم نفسها على تمثيل هذه "المسرحية"
إلا لأجله فقط..

هى تحبه، وهو يعلم ذلك؛ حتى مع إنكارها وعنادها
والتفوه طوال الوقت بعدم تحملها له ولبروده، ولكن
قلبها لا يزال متعلقًا به ..

قصدها في الخدمة ولبت رغبته؛ فقط لأن قلبها هو
من قادها ولم يطاوعها بأن ترفض وتتركه يذهب
خائبًا .. وهو وغد لا يُقدّر ويظنها فى النهاية تخطط
لشئ وتهم لمصلحتها فقط ..

نهضت من مقعدها وسحبت حقيبتها بيدها استعدادًا
للمغادرة، ونظرت له مردفة باشمئزاز :

مروان انت زبالة، بجد زبالة!

طرحت سبابها الأخير ثم اتجهت إلى الباب بانفعال،
وخرجت وشفعت الباب من خلفها ..

*

*

*

دلف فخر لغرفته وأغلق الباب من خلفه، تحرك صوب
الفراش بثقل وهو يفكّ بضعة أزرار من قميصه حتى
ترك نصفه فقط مغلقًا .. ولم يكمل فتح البقية حينما
ارتدى على السرير بإجهاد واضح، أغمض عينيه
بتعب وأطلق زفيرًا مطولًا على مهل ..

فتح عينيه بعد ثوانٍ وهدق بالسقف بشروء، يشفق
حقًا على عقله الذي أوشك على الاحتراق من فرط
التفكير ..

كل الأحداث تتداخل مع بعضها بنفس الوقت؛ قصته
مع أثيرة الكحل التي ظن أنها انتهت ولكن من

الواضح أنها تعترض على هذه الفكرة .. مرض أخيه
والعملية التي قارب على إجرائها .. أخته التي تبدل
حالتها وترفض إخباره بما يشغل بالها، وتستمر بقول
أنها بخير ولكنه لا يصدقها ..

نفخ باختناق شديد ونهض ليبدل ملابسه وينال قسطاً
من الراحة لوقت قصير ..

فقط ساعة .. لا يتمنى سوى ساعة واحدة على الأقل
دون تفكير في كل الهموم والمشاكل التي لا تنتهي ..

اتجه إلى مكتبه وفتح الدرج الأول ليضع فيه مفاتيحه،
كان يوشك على إغلاق الدرج بعدما ترك به المفاتيح،
ولكنه توقف فجأة وأمعن النظر بداخله .. هذا الظرف
لا يخصه !

مد يده إلى هذا الظرف وتطلع إليه بتعجب وفضول،
قام بفتحه ليجد بداخله ورقة تحمل بعض الكلمات التي
قرأها باهتمام :

"مينف عش الخلاف بيننا يضيّع مننالو يوم ..
في واحد عايز الثاني عشان يسند عليه ويقوم"

شق الذهول طريقه إلى وجهه، ورفع عينيه عن
الورقة ليحدق بالفراغ بدهشة، تلك الكلمات تخص
الأغنية التي غناها معها سابقًا .. كيف أحضرت هذه
الورقة إلى مكتبه؟!

قبل أن تتواصل تساؤلاته بداخل رأسه، عادت عينيه
تعيد قراءة الكلمات مجددًا، ولكن تلك المرة بلامح
يبدو عليها التأثر والحزن ؛لقد اختارت جزءًا يعبر
عنهما بدقة .. وليست من أي أغنية وحسب، بل تلك
تحديدًا التي تُذكره بها ..

تُعلمه أولاً بعدم فائدة استمرار الانفصال والألم،
وتختتمها باحتياج كل منهما إلى الآخر ليصبح أقوى

..

عاد الفضول يراوده من جديد، فأسرع يحضر
حاسوبه المحمول من الدرج الثاني، ثم أخذه وجلس
على السرير ووضع أمامه، وبدأ بفتح تسجيلات
كاميرة المراقبة المخفية بساعة الحائط؛ تحديداً آخر
تسجيل ..

دخلت إلى الغرفة وأغلقت الباب بهدوء ثم سارعت
بوضع الظرف في الدرج ومن ثم أغلقته ..
وقفت مكانها قليلاً بسكون تام، ثم استدارت لتنظر
إلى الساعة وتقول :

انا عارفة إن انا مينفعلش ادخل هنا !

تعلقت حدقتيه بالشاشة في انتباه شديد وتركيز مع كل تفاصيلها، عينيها التي تدور من حولها بتشتت، وحرزها الذي أهلك وجهها وسلب منه روحه، وأخيرا نبرتها اليائسة وهي تردف بأسى :

_بس انا مش لقياك يا فخر .. انت مبتردش عليا
وبطّلت تيجي الشركة زي الأول، معرفتش اعمل ايه
غير كدا

تتهدت بهدوء ثم أضافت وهي لاتزال توزع أنظارها
في الأنحاء بحيرة :

_انا فاكرة لما قولتلي قبل كدا إنك حاطط كاميرا فى
أوضتك .. ولما تشوف الفيديو ده عايزاك تعرف
حاجة واحدة واضحة ومالهاش تلميحات

التزمت الصمت للحظات ثم أفرجت عن مكنونها بنبرة
شغوفة :

_ انا بحبك يا فخر .. بحبك بجد!

.

رعشة قوية سرت بأعماقه بعد سماع ذلك الاعتراف،
اهتز قلبه والتمعت عينيه بتأثر لم ينتبه هو له .. يفتن
نفسه أنه لا يبالي ولكن في الحقيقة ستبقى تلك
الجملة تحوم حول رأسه دون توقف ..

.

حركت كتفها بقلّة حيلة مردفة :

_ انا مش عايزة أي حاجة غير إنك تبقى موجود بس

ثم تابعت :

وهفضل احاول معاك لحد ما نرجع زي الأول عشان
انا حاسة إني لسة في قلبك ..

سكتت لحظة ثم نطقت بمرارة، وقد خرجت الكلمات
منها بصعوبة خوفاً أن يحدث ما تخشاه :

أوعدك لو أكدت لي إنك خلاص كرهتني فعلاً انا
هختفي من حياتك خالص كأني مُت وسيرتي انتهت
خالص

غصة مؤلمة أصابت فؤاده فجأة بعد سماع تلك
الجملة .. أي اختفاء هذا! هو لن يسمح بذلك ..

رباه ما هذا التذبذب؟! , سابقاً كان يعارض ظهورها
؛لشعوره بأنه لن يتحرك خطوة طالما هي أمامه،
والآن يريد الركض إليها ليحثها على المحاولة وعدم

الاستسلام، كبرياءه عنيف وقاتل لا يسمح له بالسير
وراء قلبه، ولكنه يأمل أن تستطع هي تحطيمه
وتُخلصه منه ...

انتهت المشاهدة بخروجها من الغرفة دون إضافة
كلمة أخرى، فأغلق الحاسوب ونهض سريعاً إلى
الخارج ..

.

.

أخذ درجات السلم بخطوات خفيفة وسريعة وهو
ينادي على السيدة السحر، فلم تتأخر بالحضور وأتت
قائلة :

___ايه يابشمهندس خير؟

تخطى آخر درجة وسار ناحيتها .. وقف أمامها
وصمت قليلاً يفكر، ثم سألها متصنعاً الشك، وكأنه لم
يتأكد من شاشة حاسوبه للتو :

_ هي جهاد جت هنا؟

ابتسمت سحر ابتسامة عابثة وهي تقول :

_ عرفت ازاي؟ هي هديتها مميزة اوي كدا؟

_ هدية ايه؟

_ هي قالتلي انها عايزة تدخل تسبيك هدية

_ يعني انت اللي دخلتيها؟؟

توترت سحر قليلاً وقالت :

اه، انا محستش إنك هتضايق يعني قولت أكيد بتثق
فيها .. انا آسفة لو زعلت

أجابها بنبرة هادئة وقال :

لا مش متضايق ولا حاجة عادي .. انا بس اتفاجئت

ثم تساعل :

هي جت امتي؟

الصبح بدري قبل ما تروح شغلها، هي كانت مستتية
برا في الأول وانا طلعت قابلتها، وقالتلي إنها عايزة
تحط لك هدية في الأوضة من غير ما حد في البيت
ياخد باله، وساعتها أصلا انت وابوك واخوك نزلتوا
الشغل ومريم وبسمة هانم كانوا نايمين، ف قولتلها
تدخل

سكت بعد انتهاءها من التحدث وشردت عينيه في الفراغ للحظات، قبل أن ينتبه لها عندما قالت ضاحكة:

__ طلعت حلوة؟

أجاب بعدم تركيز :

__ هي ايه؟

__ الهدية

__ اه .. اه اه أكيد حلوة، هي جهاد هيجي منها حاجة وحشة؟

تصنّع الحب والحماس بنبرته جيدًا أمامها، فاتسعت ضحكتها وربتت على راسه بحنوّ :

__ ربنا يوفقوا يا حبيبي إن شاء الله ويجمعكوا ببعض في أسرع وقت

ابتسم لها بامتنان وشرد في دعوتها الأخيرة مهمماً:

_يارب....

*

*

اجتمعت العائلة على طاولة السفرة الطويلة لتناول
الغداء، كان يجلس في المقدمة أكبرهم سنًا (خال
حازم) .. ويتوزع البقية على جميع المقاعد، من
بينهم ولاء التي يجاورها ولدها حازم، وبجانبه مي
ويتوسطهما صغيرهما عبدالله

ارتفع صوت الخال يأمر الخادمة بوضع أفضل الطعام
أمام ضيوفه، فابتسم حازم وخاطبه قائلاً :

_ربنا يخليك ياخالي ده الأكل كثير اهو

رد الخال (أحمد) بترحاب صادق :

_هو انتوا بتيجوا كل يوم؟ كلوا متتكسفوش ولو في
حاجة مش عجاكوا اتكلموا وهنغيرها على طول

_تسلم ياخالي الف شكر

نظر أحمد لعبدالله وخاطبه قائلاً :

_الأكل عاجبك يا عبدالله؟

التفت له الصغير وابتسم ببراعة :

_ايوة شكرا

_بالهنا والشفأ يا حبيبي

كانت الخالة (نجية) تجاور أحمد عن اليمين، حيث كانت هي التي تليه وتصغره بثلاث سنوات، وتسبق ثلاث بنات أخريات .. أولهم والدة حازم (ولاء) التي تزوجت رجلاً من القاهرة فظلت بعيدة عن عائلتها تزورهم من السنة للأخرى، وفي الواقع هي أكثرهم طيبة ونقاء، حتى رغم خبث أخواتها، إلا أنهن لم يستطعن تدنيسها .. ربما لأنها قضت أغلب أوقاتها مع أخيها الحكيم والعطوف أحمد ..

كان الطفل عبدالله يتمتع بشعر كثيف ناعم وطويل قليلاً، حيث تنساب خصلاته على جبهته وتغطي أذنيه .. فالتفتت له نجية لتصب عليه تعليقها الذي لم يطلبه أحد وتقول :

__ عبدالله يا حبيبي انت شايف من شعرك اللي نازل على عينك ده؟

تطلعت لها مىّ بجانب عينيها وكانت على وشك الرد
ولكن نبرتها كانت تبدو مازحة، فسكتت .. بينما نظر
لها عبدالله وضحك بتوتر بعض الشيء وقال :

_ اه عادي

فتابعت نجية :

_ بس يا حبيبي المفروض تقصّره شوية بدل ما تبان
شبه البنات ويتتريقوا عليك فى المدرسة ولّا حاجة
وكزها أحمد بذراعها لتتوقف عن الحديث وحدجها
بحدة ..

لم يعرف عبدالله ما المفترض أن يقوله، ولكن لم
تعجبه كلماتها، ولم يملك سوى الصمت والنظر فى
طبقه بانكماش .. بينما أبت مىّ أن تصمت وأجابت

بنبرة لطيفة تخلو من الحدة تمامًا، ولكن كلماتها أرسلت لها عدم رغبتها بتدخلها في أمور ولدها :

_عبدالله شكله حلو في أي حاجة ياطنط .. حتى لو شعره منكوش بيفضل زي القمر بردو

ردت نجية بنبرة ودودة من الدرجة الأولى :

_انا مقولتش إن شكله وحش طبعاً ده زينة الولاد كلهم، انا بس مش عايز حد يضايقه بالكلام ولا يقول له نص كلمة

لم يرفع حازم عينيه عن طبقه ولكنه لم يكن يتناول شيئاً وظلت عينيه تدور من حوله بحنق وعدم قبول .. هو يعلم أنها لا تتحدث هكذا إلا لتثير استفزاز مي فقط ، كان يريد أن يعطها هو ردًا حادًا يخرسها ولكنه إن فعلها سيهدمون المنزل فوق رأسه وسيقللون من

شان والدته كونها "لم تفلح بتربيته" ، فقرر ترك
جميلته القوية تقوم بالأمر ..

ابتسمت ميّ ببرود وتحدثت بهدوء شديد وقالت :

_ لا ياطنط متقلقيش أمه في ضره ومبتسكتش لأي
حد يضايقه .. عبدالله بيحب شعره كدا وانا بحب
اشوفه كدا، حضرتك حابة الولاد شعرها يبقى قصير
اعملي كدا مع ولادك وأحفادك، مش مع ابني اللي
يخصني

اتكأت على كلمتها الأخيرة لتبرز تمامًا أنها هي فقط
من يُسمح لها بالتعليق على ولدها، وتخبرها بوضوح
ألا تحشر أنفسها فيما لا يعنيتها وتهتم بشؤونها ..

ظهرت ابتسامه حازم على وجهه بمنتهى الرضا وهو
لا يزال يخفض رأسه ولا ينظر بوجه أحد، ولكنه أخفى
ابتسامته سريعاً عندما توجه له الحديث، فرفع عينيه
لنجية وهي تقول بغضب :

ـ ماتربي مراتك يا حازم وعرفها هي بتتكلم مع مين! ،
ولأ عادي تسيبها تتكلم وترد وانت قاعد عادي كدا
وعامل اهل؟؟

نطق أحمد بصرامة :

ـ جرا ايه يانجية!؟

فيما رفع حازم حاجبيه بلامبالاة وأجابها ضاحكاً بشئ
من البرود :

**_ماهو لو انا اللي اتكلمت كنتوا هتضربوا الاطباق فى
وشّي**

**ثم اخذت ضحكته الساخرة، وتبقت على محياه
ابتسامة هادئة تمامًا، وأردف مُعليًا من شأن زوجته :**

**_مش حاجة تعيبي على فكرة لما مراتي تتكلم وانا
قاعد، احنا الاتنين واحد وهي عارفة حدودها
كويس مش محتاجة حد يعرفها ..**

ثم أضاف :

**_ميّ طول عمرها متربية ياخالتي وحضرتك اكثر
واحدة عارفة إنها بتسمع كثير وبتسكت ..**

احتدت نبرته قليلاً بجملته التالية :

_بس عبدالله خط أحمر!

حاولت ميّ كتم ابتهامتها الفخورة بزوجه الذي لا
يسمح لأحد بالتقليل منها بأقل كلمة، بينما شعر
عبدالله بعودة ثقته بنفسه بعد صدّ أبويه لتلك الكلمات
التي أزعجته ..

نظرت ولاء لولدها ترمقه بلوم، فربت حازم على
ذراعها بعدم اهتمام ثم نهض من مقعده، فتبعته ميّ
فوراً ووقفت هي الأخرى، ونهض عبدالله معهما ..

نظر حازم لخاله واستأذن منه قبل المغادرة بصحبة
عائلته، تاركاً هذه الأجواء الخائفة :

__ عن إذنبك ياخالي

*

*

*

بعد مرور خمسة أيام.. مساء يوم الجمعة

.

بملعب واسع ذو أرضية خضراء مجهزة للعب كرة
القدم، فارغًا تمامًا لم يظهر به سوى زياد بصحبة
ياسمين فقط..

دلفت ياسمين إلى تلك الساحة الواسعة وهي تتسائل
باستتكار :

_ احنا هنخرج هنا!؟!

وقفت وطالعه باستفهام، فنظر لها وقال بهدوء :

_ عايز اللعب معاك، انا حاجز الملعب لينا احنا بس

ردت باندهاش :

_ لعب ايه يازيزو دلوقتي؟؟ ، مكانش ينفع ده يستنى
لما تعمل العملية الأول يعني؟

أجابها بكل بساطة ولامبالاة :

_ وافرض ملحقتش؟

صاحت بدهشة :

_ زياد متتكلمش كدا والله العظيم هديك بالقلم وهقعد
اعيط !

أدمعت عينيها بالفعل فدأكت عينيها لتمنع انفجار

دموعها، فضحك زياد وأسرع يقول :

_ طب خلاص خلاص بلاش نكد ..

ثم أردف :

_ انا بحب العب كورة وعايز العب معاك انت، ينفع؟

حدقته بضيق قائلة :

_ انت ليه مستهتر ومستفز كدا؟

ارتفعت قهقهاته، ثم أجاب :

_ انا مش هطلع اجري واعمل مجهود يعني، احنا
بنسلي وقتنا بس كدا وخلص

تطلعت من حولها بعدم اقتناع، ولكنها مع ذلك أعلنت
القبول .. ؛موعد العملية صباح الغد وتعلم أنه يخفي
خوفه بداخله ولا يبيديه، فعمل تلبية رغبته واندماجه
فيما يحب سيجعله يخفف من قلقه قليلاً ..

نظرت له قائلة :

_بس انا مبعرفش العب على فكرة

_عبّطي عادي

ضحكت بهدوء، ثم أخرجت من جيبها رابطة شعر
صغيرة معلّقة بها فراشة صغيرة وردية اللون،
وأعطتها له :

_طب خد اربطلي شعري

استدرت لتواجهه بظهرها، فضحك بهدوء وبدأ بجمع
شعرها إلى الخلف وهو يقول :

_ده طلب قصاد طلب يعني؟

_لا انا اللي بحب اتدّع

طرحت ردها بمشاكسة، فضحك بشدة وهو يربط
خصلاتها البنية ويقيدها بالرابطة لتبقى ذيل حصان،

وقد حرص على تعديل الفراشة الخاصة بالرابطة
لتظهر بوضوح ..

استدراات له مجددًا بعدما انتهى، وأردفت بحماس :
_يلا هات الكورة

مر الوقت في اللعب وبقي الاثنان يتبادلان الكرة
بينهما ;فكان زياد يوجه الكرة لها بلباقة، أما هي
فتركها في اتجاه آخر غير اتجاهه، حيث يقف يسارًا
وتركلها هي يمينًا كالبهاء، فينقلب وجهه بتعبيرات
مضجرة تجعلها تفهقه بشدة ..

ثم شرعا بتغيير نمط اللعب قليلًا، فوقفت ياسمين
كحارس مرمى أمام الشبكة، وبدوره وقف على
مسافة مناسبة لركل الكرة ..

ركزت ياسمين معه جيدًا وهي تستعد في موضعها
لصدّها ..

عاد زياد خطوتين للخلف ثم تقدم وركل الكرة بمهارة،
فتخطت الكرة ياسمين واخترقت الشبكة، لم يظهر
عليها سوى الملل ونظرت له بقرف؛ فهذه ليست
المرّة الأولى التي يفعلها، بل مرّت دقائق كثيرة من
المحاولات البائسة في صدّ الكرة ..

رمقها زياد باستصغار مازح واقترب منها وهو يبسط
يده للأسفل إشارة لقصر قامتها، فنكرته في كتفه بقوة
وابتعدت عنه ..

•
بدّل معها الأدوار فوقف هو أمام الشبكة ووقفت هي
بعيدًا لتركل الكرة، استعد لها جيدًا وراقبها بتركيز ..

تقدمت ياسمين وركلت الكرة فلم تتجه إلى مجال الشبكة أصلاً وتدحرجت إلى أقصى اليمين ..

وعلى هذا الحال في كل المحاولات، تركلها فتلقاها بعيداً أو توجهها مباشرة للشبكة ولكنه يصدّها بسهولة ..

بعد دقائق طويلة، كانت الفتاة لم تستسلم بعد واستعدت لركل الكرة بنفس القابلية والشغف، بينما وقف زياد عند طرف الشبكة مستنداً على عمودها بجانب جسده، عاقداً ذراعيه أمام صدره، والضجر يعلو وجهه بوضوح ..

أشارت له بأن يستعد، ولكنه أشار لها صوب الشبكة بطريقة مسرحية بمعنى "تفضلي، المجال كله لك"

حدقته بملل ولم تعيره اهتمامًا وركلتها على أي حال،
ولكنها لم تدخل الشبكة رغم ذلك .. راقب زياد الكرة
وهي تبتعد عنهما بملل تام، فقد كان متيقنًا أن هذا ما
سيحدث ..

بعد محاولات عديدة منها لإقناعه بأن يعطيها فرصة
أخرى ويستعد للعب باهتمام، كان وقف في المنتصف
وركز بصره على الكرة ، راقب ياسمين وهي تعود
للخلف ثم ركلتها بقوة، وقد دخلت إلى الشبكة !

اتسعت أعينها بدهشة وصرخت هي عاليًا بفرحة
وصارت تقفز بسعادة جلية وعدم تصديق، بينما
ضحك زياد وسار إليها وهو يصفق ويصفر، وكأنها
حققت إنجازًا مستحيلًا ...

وفي النهاية استسلما للجلوس على الأرضية
الخضراء للارتياح قليلًا، وأخذا يتجادبان أطراف
الحديث لوقت طويل جدا

*

*

*

فتح رؤوف باب الشقة لابنة اخته "مريم"، فقد كان
بانتظارها بعدما أصر عليها بالحضور لأمر طارئ ..
نظرت له بعينيها المرهقتين من آثار البكاء ووجها
الذي فقد نوره وأصبح ذابلاً ..

اقترب منها وضمها لصدره بحنان، فبادلتها مريم
العناق بارتياح واستمعت لصوته الخافت الهادئ
يقول:

__ عاملة ايه يا حبيبتى؟

__ الحمد لله ياخالو اخبارك ايه انت؟

رد وهو يفصل العناق، ثم يغلق الباب بعد دخولها :

_ الحمد لله، تعالي خشي

_ ايه الموضوع الضروري ده؟ انا قلقت وانت بتكلمني

أشار لها بالدخول وتقدم أمامها خطوة فଲحقت به، إلى أن وصل لإحدى غرف المنزل وفتح الباب، فدخلت معه والتعجب يعلوها، إلى أن وقعت عينيها على إياد!

اتسعت مقلتيها بدهشة وبدلت نظرها بينه وبين خالها أكثر من مرة، رأت الفوضى التي تغطيه ووجهه الذي اختفى خلف الجروح والكدمات، وجسده المنهك الذي ظل تحت رحمتها لخمسة أيام حتى الآن..

نظرت لخالها وهتفت بذهول :

_ ايه ده!

رفع كتفيه بلامبالاة مجيبًا :

حقك

تطلعت من حولها باندهاش، ثم أعادت بصرها له
وتساءلت :

هي رنا اللي قالت لك؟

ايوة

سكتت قليلًا تفكر في عدة أفكار، ثم بصرتة هاتفة
بترقب :

خالو هو انت اللي عملت كدا؟!!

أعطاها رؤوف الإجابة التي تخشاها :

لم يقل اسمه مباشرة ولكنها واضحة وضوح الشمس،
من غير عز سيفعل ذلك؟

بدا الحزن الشديد على وجهها وأكل الندم قلبها أكثر
مما سبق .. بعد ما تفوّتت به من كلمات جارحة يقوم
بمساعتها!؟

بدلت نظرها إلى إيدٍ وظلت صامتة لثوانٍ طويلة،
اقتربت منه بخطوات بطيئة وهي تنظر بداخل عينيه
التي تراقب إقبالها عليه بتمهل .. لم يعلم إن كانت
غضبًا أم عتابًا أم كرهاً!..

وقفت أمامه مباشرةً وبقت تطالعه بجمودٍ وحدة، وفي
لحظة واحدة كانت تميل إليه لتطبع على وجهه صفة
قوية دوى صوتها بأنحاء الغرفة .. صفة عنيفة
ومؤلمة بحق!

أثارت فعلتها اندهاش الاثتين معًا؛ فمريم لم تتجراً
يوماً على المساس بنملة، كانت إذا أحزنها أحد
تتكمش على نفسها وتبكي مستسلمة للأمر الواقع
دون أخذ رد فعل .. لطالما كانا أخواها الاثنان هما من
يقفان معها ويعاقبان أي شخص يضايقها بكلمة؛ لم
تكن سوى قطتهما الصغيرة التي يحرصان على
حمايتها من أقل نسمة باردة ..

ولكن يبدو أن القطة كبرت الآن ونمت أظافرها،
وأصبحت خدشتها موجعة تترك جروحاً لا تلتئم
بسهولة ..

لم يفارق الذهول حدقتي إياد وهو يتطلع لعينيها التي
قفزت منها نظرات مقت وشر غريبة لم يرها تخرج
منها يوماً، ونطقت متكئة على حروفها :

انا لو هتمنى حاجة واحدة فى حياتي هتبقى إنك
تفضل فى ايد عز باقى حياتك !

تركت له آخر نظرات متقرزة منه، ثم خرجت من
الغرفة، وخرج رؤوف خلفها

*

*

*

تخطت الساعة الثانية صباحًا حينما دلفت ياسمين
بصحبة زياد إلى مدخل بنايتها وهى تبادلته الضحك
على بعض الأحاديث التى ظلّ يتسامران بها طوال
الطريق، إلى أن وصلا لدرج صغير عبارة عن ثلاث
درجات يتم تخطيهم للوصول لباب المصعد ..

صعدت ياسمين درجة منهم بينما ظل زياد مكانه،
فطالت قامتها بالنسبة له قليلاً وصارت عينيها تقابل
عينية بدلاً من أن ترفعها كالعادة، وضحكت قائلة :
_ ايه هتوصلني لحد فوق كمان؟

رد عابثاً :

_ وماله انا مواريش حاجة
وكزته بكتفه بخفة وضحكت :

_ روح وارتاح شوية عشان لازم نصحى بدري، بطل
دلع

ارتكزت أنظاره عليها وتغير وجهه إلى القلق
والتوجس .. كانت تراقب سكوته وتعبيرات وجهه
التي بهتت وافتقدت لمرحه المعتاد .. هو يستطيع
تقمصه ببراعة حتى في أحلك الأوقات ولكنها ترى
داخله جيداً وتشعر به ..

لأذ بالصمت لوقت طويل ثم نطق بصوت متحشرج :
_ياسمين انا خايف..

ليس هو من يصرّح بأي مشاعر مضطربة تصيبه ..
لظالما كان يُصدّر الوجه البارد الغير مبالي بأي شئ
؛كونه غير مقتنع أبدًا أن كشف ضعفك أو خوفك لأحد
سيساعدك، بل على العكس سيستغله من يريد
تحطيمك ..

لكن أمام عينيها البريئة يتغير كل ذلك، ويكمن
الارتياح فقط لا أكثر ..

لم تتغير ملامحها عنه كثيرًا ؛فهي أيضًا تموت
بداخلها رعبًا ولكنها تحرص ألا تكشف هذا أمامه،
وسمعه يتابع بصوت مهزوز ويأيس :

خايف تحصل غلطة مش محسوبة تموتني ولا ادخل
بسببها فى غيبوبة مقومش منها ..

وتتهد بهمّ مردفًا :

انا مش عايز اموت فى مستشفى يافراشة انا عايز
افضل وسطيكوا

ارتعدت أوصالها بشدة بعد كلماته، وأسرعت تمسك
بكفّه بين يديها لتطمئنّه، متحدثّة بحزن :

بعد الشر عليك ياروح الفراشة ده انا قلبي يقف
فيها! ، متكلمش كدا يازيزو عشان خاطري، ليه
بتفكر فى الكلام الوحش ده بس؟

لن تنكر أن تلك الأفكار السوداء تروادها أيضًا وتشعر
بأنها ستهزمها وتجعلها تفقد أعصابها، ولكنها تعود

لتركيزها سريعًا وتحافظ على صمودها؛ فقط لأجله،
فهو يحتاج من يأخذ بيده لطريق الطمأنينة وليس من
يبكي ويندب ..

تمسكت بكفه أكثر وابتسمت له ابتسامة مليئة
بالسكينة :

انت هتبقى كويس واليوم ده هيعدي وهنساها
خالص صدقني

تعلقت أعينها ببعضهما للحظات مليئة بالصمت ..
راودته رغبة قوية في عناقها فلم يمنع نفسه ولم
يفكر بالأمر حتى، وفاجئها بإحاطة خصرها النحيف
بذراعيه قويًا ..

كان يتوقع أن ترفض ذلك من خجلها المعتاد، ولكنها خالفت توقعاته، فهذه المرة كانت تود هي أصلاً فعل ذلك إلا أن خجلها الزائد منعها، ولكنه الآن أعطاها الفرصة وأخذ الخطوة الأولى ..

التف ذراعها حول كتفه بتمهل شديد، ورفعت يدها الثانية لتمسد شعره الأسود بهدوء ..

ما إن شعر باستجابتها وقبولها حتى تشجع على ضمها أكثر حتى كاد يدفنها ب صدره .. وللحق إن كان يمكنه ذلك لما تردد مطلقاً ..

دثر وجهه بعنقها ليُشعرها بأنفاسه الساخنة على رقبتها، أناملها تتخلل خصلات شعره المموجة ذهاباً وإياباً، وكأنه ولدها الصغير الذى يشكو ويرتجف من قساوة الدنيا وهى الحزن الدافئ الذى يحرص على منحه تهويده مطمئنة تريح قلبه ..

ترقرقت الدموع بعينيها حتى خانتها إحداهما وانسالت
على وجنتها، ولكنها حاولت كبت البقية وشرعت
تهمس بجانب أذنه بصوتها الناعم :

هتعدّي وهتبقى تمام إن شاء الله .. والله ما بطلت
ادعيلك من ساعة ما عرفت

واصلت مداعبة شعره وهى تشعر بأنفاسه المضطربة
تلفح عنقها، فشددت ذراعها حول كتفه أكثر متابعة :

ربنا عالم انا ممكن يجرا لي ايه لو حصل لك حاجة،
هيلطف بيّا ومش هيبتليني إن شاء الله بحاجة صعبة
اوي زي دي .. إن شاء الله هيقف جنبي

كانت تجاهد لتبدو متماسكة ولا تظهر الدموع
بصوتها، يتخطى الأمر قوتها ولكنها مُصرّة على
المقاومة وتُجبر نفسها على التماسك وإظهار
الاطمئنان والتفاؤل لتبث له الأمل والهدوء ..

لم يرد تركها، يتمنى من أعماقه أن يتوقف الزمن
قليلاً ويبقى بأحضانها هكذا إلى مدة تصل لساعات ..

سُرَّ كثيراً بأنه نال أول عناق بينهما وبقي بقربها إلى
هذا الحد ..

وبنفس اللحظة يرتعش قلبه بشدة ؛خوفاً أن يكون
العناق الأخير !.....

يتبع..

الفصل الثالثون {سخرية القدر}

فخر .. زياد .. ياسمين

كان هذا ترتيبهم من اليسار لليمين وهم يجاورون بعضهم فوق صف المقاعد الخاصة بالمشفى .. يعمهم الصمت التام، وكأن المواضيع انتهت ولم يتبق شيئاً للتحديث به .. لم يُعجب فخر هذا الوضع ونطق معترضاً :

_ ايه يا جماعة السكوت ده؟

أجابه زياد ببرود :

_ افتح لك أنغامي؟

تمتم فخر وهو يرمقه بقرف :

_ عيل سخيف

ضحك زياد وقال :

**_طب اقول لك ايه يعني؟ عايز تتكلم اتكلم يلا ادينا
سامعين ..**

**قاطعهم ظهور الممرضة بالقرب منهم وهى تقول
بابتسامة صغيرة :
_استاذ زياد ..**

**التفتوا الثلاثة إليها، فخاطبته مردفة :
_اتفضل احنا جاهزين**

**دقت قلوبهم معاً بنفس اللحظة ؛لقد حانت ساعة
الصفير وماهي إلا لحظات قليلة تفصل بينه وبين
تمدده على سرير المشفى تاركًا جسده بين أيدي الأطباء
نهضوا الثلاثة، وقد سبق فخر بالتحرك وتوجه إلى
الممرضة مبتعدًا عنهما بضع خطوات ليسألها بينه
وبينها بصوت منخفض :**

_ لو سمحتي هي العملية دي بتاخذ وقت ايه؟

_ والله هي بتختلف من واحد للتاني .. بتوصل من ساعتين لست ساعات، حسب كل حالة

ردد بدهشة :

_ ست ساعات!

ظهرت ملامح الهم فوق وجهه، ثم قال :

_ طب لو حصل مضاعفات بعدها لاقدّر الله، بتبقى كبيرة ولا مقدور عليها ولا ايه؟

انشغل فخر بسؤال الممرضة عما يخشاه ليستعلم منها
بأكبر قدر من المعلومات، بينما كانت ياسمين من

خلفه تـتمسك بيد زياد قوياً وتطالعه بنظراتها الهادئة
قائلة :

_ربنا معاك وهيقف جنبك بإذن الله، انا مستنياك هنا
يامطرقع لحد ما ماتطلع بالسلامة إن شاء الله

ضحك من هذا اللقب الذي أصبح لا يفارق لسانها، ثم
أوماً بخفة، قبل أن تشير إليه بالاقتراب قائلة :

_انزل شوية

مال بجذعه إليها قليلاً وهو يرمقها بانتباه؛ ظناً أنها
ستخبره بسرٍ ما .. ولكنها فاجئته بقبلة ناعمة على
وجنته اليمنى، بينما لمست وجنته اليسرى بكفها
بأطف ..

بدا عليه الذهول، وسرعان ما اعتلته ابتسامة صغيرة
وأغمض عينيه باستمتاع؛ فقد طالت قبلتها وتركتها
عميقة ورقيقة .. لا تعلم كيف تجرأت وفعلتها، ولكنها
شعرت بالانتصار أخيرًا أنها هزمت خجلها المبالغ فيه
وفعلت ما أحسّت أنها تريد فعله وحسب ..

ابتعدت عنه بعد لحظات لتري ابتسامته التي اتسعت
على محياه، وقبل أن ينطق بكلمة كانت هي تسبقه
وتُسكته بإشارة من يدها المرفوعة أمام شفيتها
؛بمعنى ألا يتكلم ويضع أي تعليق .. فقط ليأخذ القبلة
ويصمت ..

ابتسم بهدوء ثم أخفض رأسه لينظر لدبلته التي تحيط
إصبع البنصر بيده اليسرى، نزعها من يده بهدوء
وأعطاها لها وهو يقول :

خَلِيهَا مَعَاكِي ، لَوْ طَلَعْتَ كَوَيْسَ ابْقِي رَجْعَهَا لِي

لَمَّا !

عدلت كلمته فورًا، ثم أردفت بتأكيد وقد ارتجف
فؤادها بخوف :

"لَمَّا" تطلع مش "لو" .. انا مش هقدر استحمل
"لو" دي

ابتسم وأوماً بإيجاب، ثم ترك الدبلة بين ثنايا كفها ..
فضمت أصابعها عليها وتمسكت بها بقوة، مقررّة
الحفاظ عليها من أقل خدش حتى يعود إليها ويرتديها
مجددًا

*

*

*

كانت تجلس جهاد خلف مكتبها الخاص، تسند ظهرها للخلف وتتحرك بالكرسي يمينًا ويسارًا ببطء عن طريق العجلات التي تصاحبه .. شاردة في الفراغ وابتسامة صغيرة تكسو ثغرها دون أن تنتبه، انتبهت لصوت تصفير زميلتها "رانيا" التي تتخذ المكتب المجاور، فحركت رأسها فقط لتتنظر لها وتسمعها تقول ضاحكة بعث :

__ الجميل بيحب ولا ايه؟

توجه بصرها إلى الفراغ مجددًا، مجيبة بشرود :

__ اه والله يارانيا

صاحت رانيا بدهشة :

__ ايه ده بجد؟! ده انا كنت بهزر

ثم نهضت بسرعة وسارت صوبها حتى جلست على
طرف المكتب وقالت بحماس وفضول :

_ مين مين؟ حد اعرفه؟

تقدمت جهاد بجسدها واستندت بذراعيها على
المكتب:

_ مش حد من الشركة لأ

_ طب مين بس؟ قولي متخافيش مش هحسدك

ضحكت جهاد بسخرية، وغمغمت :

_ مش مستتية حسد والله، هي خربت أصلا

نبت رانيا بتعجب :

_ ليه كدا حصل ايه؟

نظرت لها وقد تغلّفت نبرتها وعينيها بالحزن قائلة :
_ زعلته ومش راضي يكلمني خالص

_ هي حاجة كبيرة اوي يعني؟

صمتت وأشاحت بنظرها وهي تهز رأسها بيأس ؛فـ
وصف الأمر أصعب مما يمكن ..

لاحظت رانيا تعاستها الواضحة، فحاولت تخفيف
همّها قليلاً وقالت :

_ يابنتي عادي ما أي اتنين بتحصل بينهم مشاكل
وبيتصالحوا، طالما بيحبك وبتحبيه خلاص مفيش
حاجة تانية فارقة بعد كدا، ومهما حصل واتخاصمتوا
هترجعوا تاني عادي

نظرت لها جهاد ولمعت عينيها قليلاً عندما شعرت
ببعض الأمل من كلماتها، أيمن ذلك حقاً؟ حتى وإن
كان احتمالها ضئيلاً فهو كافي لجعلها تواصل
المحاولة دون أن تيأس ..

راقبت رانيا ملامحها التي فرّ منها بعض البؤس
بمجرد سماع كلماتها، فضحكت وقالت متيقنة :

_ بتحييه اوي ها؟

اعتلتها ابتسامة واسعة بحب وتطلعت من حولها
بهيام، وهي تجيب :

_ بحس إني ببقى على طبيعتي معاه .. مش محتاجة
امثل ولا ابروز نفسي بصورة معينة عشان أعجب،

بالعكس ده بيقبل أى عك بعمله وبيضحك وياخد كل
حاجة بسلاسة وبساطة كدا ..

شردت عينيها فى الفراغ واتسعت ابتسامتها أكثر
مردفة بنبرة ولهانة :

_ انا عمري ما حد اختارني دوناً عن باقي الناس ..
هو الوحيد اللي اختارني وحسني إني مميزة
وجمييلة واستاهل كل حاجة حلوة

نظرت لها وأضافت بحب واضح :

_ والله مابشوف عيوبه من جمال قلبه وطيبته .. راجل
بجد وجدع وهادي .. راسي كدا وعاقل وبيعرف يختار
كلامه ، يخليكي مرتاحة وانتِ بتتكلمي معاه عشان
عارفة إنه مش هيدّيكى أي كلمة تقفلك .. بالعكس ده
هيسمّعك كلام حلو يحسسك إن الدنيا حلوة ومفيهاش
هم ومشاكل وتعب ..

عاد الحزن يسيطر على وجهها مجدداً ونطقت غاضبة
من نفسها :

_ انا غبية اوي يارانيا، بجد غبية واستاهل كل اللي
يجرالي .. انا متعصبة من عبطي لدرجة إني عايزة
اقوم اخبط راسي فى الحيط واقسم مُخي نصين عشان
فكر يقول له كلام متخلف زي ده

هتفت رانيا قائلة :

_ بصي أيًا كان اللي قولتيه أكيد لما تعتذري وتوضحي
قصدك هيفهم ويعديها ..

ثم ربتت على يدها مبتسمة بهدوء، مردفة :

_ متر عَليش نفسك إن شاء الله الموضوع هيرجع
لطبيعته متقلقيش

*

*

مرّ أكثر من ثلاث ساعات ..

وقت طويل لم ينقضي إلا في الصمت والتوتر والدعاء

..

استقرت ياسمين على أحد المقاعد تردد مع نفسها
بآيات قرآنية وأدعية لا حصر لها، بينما لم يستطع
فخر الثبات بموضعه .. تارة يجلس بجوارها وتارة
ينهض ويدور حول نفسه بلا هدف .. يشعر بأعصابه
تحترق بداخله ؛ هذا الانتظار يثير غضبه حقاً

بسطت ياسمين كفها الأيسر ليقع بصرها على دبلته
التي لم تفارق باطن يدها، حملت بها قليلاً ثم حركت

عينيها إلى دبلتها التي تزيّن إصبع البنصر، والتي
يصحبها خاتم آخر ذو تصميم ناعم ورقيق ..

ارتكز بصرها عليهما معًا وشردت عينيها مع ابتسامة
صغيرة ظهرت عليها دون أن تشعر حينما تذكرت
الليلة التي تسبق عقد قرآنهم ;حيث دلف إلى غرفتها
ورفع أمامها علبة فخمة سوداء من القطيفة وهو
يقول :

"الدبل اللى أمك اختارتها دي مش داخلة دماغى،
روحت غيرتها الصبح وجبت دول .. لو معجبتكيش
مش هرجع بتوع ناهد بردو"

ضحكت بشدة وهى تلتقط منه العلبة عندما تركها بين
يديها، فتحتها بهدوء لتجد الدبلتين يجاوران بعضهما،
سرعان ما غلفتها ضحكتها السعيدة ونظرت له
بإعجاب شديد :

حلوين اوي!

و ده كمان

نظرت للعبة الثانية التي أخرجها من جيبه وتأخذ اللون الأحمر، فالتقطتها منه بتعجب وفتحتها لتجد خاتمًا رقيقًا ذو ذوق رفيع يتوسط ساحة اللعبة، فأتسعت عينيها باندهاش وقالت :

زيزو احنا مش جنبنا الذهب امبارح خلاص؟

لا دي حاجة تانية مالهاش علاقة بالذهب، دي هدية على جنب مالهاش دعوة بحاجة ومش عايزك تقلعيه، انا جايبهواك خفيف كدا عشان تلبسيه مع الدبلة ..

اتسعت ضحكتها أكثر والتمعت عينيها بسعادة غامرة
هاتفة بصوت يوشك على البكاء :

_ على ايه كل التكاليف دي بس؟

_ انتِ تستاهلي كل حاجة يا سو .. بس ده مش معناه
تفكسي للذهب بردو، انا عارفك ممكن تتجنني
وتروحي تبيعيهم عشان تجيبي سلاسل وتوك على
شكل فراشات ..

لم تشعر بضحكتها التي ظهرت على محياها قبل أن
تفيق للواقع وتتنهد مطولاً، ثم ترفع عينيها لفخر
الواقف أمامها مستنداً بظهره على الحائط، عاقداً
ذراعيه وينظر في الأرضية بصمت تام ..

مر الوقت عليهما وكأنه أيام .. أيام من الخوف والقلق
والتوتر المهلك .. دقائق أخرى وسيفقدان عقليهما
بالفعل

بعد وقت قليل، حدث تغيرٌ أخيرًا وخرج الطبيب من
الغرفة، فقفزا فورًا يتطلعان له بقلق وضربات قلبهما
ترتفع بقوة، وبادر فخر بالتحدث :
_ارجوك قول حاجة تطمئني!

ابتسم الطبيب بهدوء وقال :
_متقلقوش الحمدلله عدت على خير ، الموضوع كان
صعب شوية بس بفضل ربنا مشي كويس .. هو
دلوقتي هيتنقل للعناية المركزة ولو الأمور مشيت
طبيعي هيطلع منها بعد يومين إن شاء الله ، لو لاقدر
الله حصلت أي أعراض هيضطر يفضل فيها شوية ..
بس الأهم ان الصعب عدى الحمدلله، احنا في آخر
الطريق يعني ..

أغمضت ياسمين عينيها بارتياح ومسدت فوق شعرها
بيديها الاثنتين وهي تطلق زفيرًا طويلًا وعميقًا،
وكأنها كانت تختنق ووجدت الهواء الآن .. بينما تنهد
فخر براحة شديدة ثم خرجت كلماته من أعماقه
بصدق :

_ انا متشكر اوي اوي، حقيقي مش عارف اقول لك
ايه، انت مش عارف عملت فينا ايه والله

اتسعت ابتسامة الطبيب أكثر وربت على ذراعه
بهدوء :

_ ربنا كبير .. حمدلله على سلامته، لو في جديد
هبلّغكوا على طول

أوماً له فخر عدة مرات، قبل أن يغادر الطبيب ..
التفت فخر لياسمين التي غلبتها ضحكة عريضة
بسعادة وهي تمسح دموعها التي تراكت بمقلتيها،
فابتسم لها وظل يحمد الله عدة مرات بهمس خفيف،
وراحة قوية لم يسبق له وشعر بها تجتاحه إلى هذا
الحد

*

*

*

فتح عز باب الشقة ودلف بهدوء، وقع بصره على
أبيه وهو يقف أمام المرآة يضع ثلجاً على رأسه
ويتفحص جرحاً قد أصابه ..

توجه عز له بقلق وقال :

_في ايه يا بابا حصل ايه؟

نظر له رؤوف وأنزل الثلج من فوق رأسه، وهو
يجيب بملل :
_إياد هرب!

صاح باندهاش :
_هرب!!

_عرف يفكّ نفسه ولما طلع من الأوضة وشافني
ادّاني على دماغني وجري

تسارع الغضب بالسيطرة على وجهه وتطلع من حوله
بتوعد وحنق، ومن ثم أسرع بالاقتراب من والده
ليفحص جرحه قائلاً :

_طب انت تمام؟ وريني ..

رد رؤوف بهدوء :
_بسيطة خلاص، هي شوية وهتلم

ثم سأله :
_مكلمتش فخر؟
_اكلمه اقول له ايه؟

أجاب رؤوف بضجر :
_تقول له على إياد ياعز

_لأ مقولتش ومش فايق اتناقش بصراحة، عايز تقول
له كلمه انت وقول له

ضربه رؤوف في كتفه قائلاً وهو يبتعد عنه :

_طب غور وانت مالکش لازمة كدا ...

*

*

*

انتهى فخر من نصّ طلباته على صاحب محل البقالة
ثم انتظره حتى يحضرها ويجمعها بحقيبة بلاستيكية
..

ظل واقفاً يتطلع من حوله دون هدف، إلى ان توقفت
عينيه فجأة على شئ ما في البقالة لفت انتباهه ..
الشوكولا المفضلة لها !

تذكرها بمجرد أن لمح الشوكولاتة، وتعلقت عينيه بها
طويلاً بشرود ..

لم ينتبه لابتسامته الباهتة التي علت محياه أو بلامح
الحزن التي نقشت معالمها على قسماته ..

ابتعد ناظريه عنها عندما خاطبه صاحب البقالة وهو
يمد له حقيبة طلباته، فأخذها فخر شاكراً إياه و أعطاه
المال ثم همّ بالمغادرة .. وقبل أن يغادر ألقى نظرة
أخرى خاطفة على الشوكلاتة وكأنه يودعها ..

اشتاق لها حقاً .. لا يدري ما الذي يمنعه من محادثتها
ولكن الأمور معقدة ومُحيرة، كلاهما مشتت وتائه لا
يعلم ما المفترض أن يفعله وما المفترض ألا يفعله ..

لم الحياة ليست سهلة؟ ، لم لا نذهب لعناق من نحب
بكل بساطة دون إرهاق رأسنا في التفكير بـ
"المفترض" و "الغير مفترض" !

.

.

عاد إلى المشفى حتى وصل لياسمين التي بقت جالسة
وحدها بعدما أخبرها أنه سيشتري بعض الأغراض
من الخارج ..

جلس بجوارها وأعطاها الحقيبة، فالتفتت له متعجبة:
_ ايه ده؟

_ انتِ مفطرتيش ومكلتيش حاجة، خدي اسندي نفسك
_ تعبت نفسك ليه طيب؟ مكانش له لزوم

_ طب خدي بس.. مالوش لزوم ازاي؟، كفاية عليا
واحد، مش ناقص تقعي من طولك و احطك جنبه

ضحكت بخفة وأخذت منه الحقيبة، مهمة :

_ شكرًا يافخر ربنا يخليك

*

*

*

انتهت حنين من إتمام لوحتها بعدما تركت آخر لمسة
بالفرشاة ..

ابتعدت للخلف قليلاً لتأخذ نظرة عامة على اللوحة
بأكملها ثم ضحكت بإعجاب ونطقت مفتخرة بنفسها :

تسلم إيدك يابت يا حنون والله

نهضت من مقعدها واتجهت صوب هاتفها لتفتح
تطبيق التواصل الاجتماعي فيسبوك وتستكشف
الإشعارات الجديدة التي وصلتها ; من إعجابات
وتعليقات على آخر لوحة نشرتها على صفحتها ..

بدأت بقراءة التعليقات واحد تلو الآخر، ومع كل تعليق تتسع ضحكتها بسعادة ..؛ الجميع منبهر بفنّها وكأنها فريدة من نوعها وليس بمقدور أحد الوصول لمستواها ..

انتهت من التعليقات ثم دخلت إلى الرسائل المرسلة من بعض المتابعين، لتري الكثير منهم يمدحون فنّها ولوحاتها .. إلى أن وقفت قليلاً عند أحدهم .. كان مثل الآخرين يبرز انبهاره برسمها ولكنه أضاف فوق كلماته جملة جذبت انتباهها كثيراً :

"لو حابة تعرضيها في معرض وتتعرفي اكثر انا ممكن اساعدك .. لوحاتك جميلة جدا وتستاهل تنتشر وتتشاف، خسارة تبقى مقتصرة على الفيسبوك بس"

صبت انتباهها للأمر، وأرسلت له نصاً :

"ممكن تفاصيل؟"

*

*

*

بعد مرور يومين ..

ركضت ياسمين برواق المشفى بسرعة وتلهف شديد،
خطواتها متسارعة غير ثابتة إلى إن غلبها التباطؤ
عندما وصلت للغرفة المقصودة، فتوقفت وطرقت
بهدوء رغم رغبتها في اقتحام الغرفة الآن والركض
إليه ولكنها تمهلت فقط لعدم تعكير راحته .. فتحت
الباب بحرص فرأت فخر على مرمى بصرها يقف أمام
الفراش الذى يشغله زياد بجسده المسترخي، مغمض
العينين ومرتاحًا تمامًا غارقًا فى عالم اللاوعي ..

نادته بخفوت شديد فالتفت لها واقترب منها،
فتساءلت وهي تعلق نظرها بزياد :

___ايه الاخبار؟

أجابها فخر بهدوء :

___الحمد لله حالته مستقرة، يادوبك خارج من العناية
آخر الليل

ابتسمت باطمئنان ثم سألته :

___طب مفاقش؟

___لأ لسة، بس الممرضة قالتلي إنه فاق امبارح وهو
في العناية بس مكانش مركز كان في حالة هلاوس
كدا .. ربنا يسهل إن شاء الله ويفوق النهاردة

تمنت ذلك من أعماقها مهمة :

_ يارب ..

هتف فخر قائلاً :

_ اسمعي انا هروح البيت بس بسرعة اغيّر هدومي
دي عشان بقالي بيها يومين، وهرجعك على طول

طالعته بعدم اقتناع :

_ فخر انت منمتش أصلاً ولازم ترتاح ، روح نام
شوية وانا هفضل معاه عادي

اعترض فخر قائلاً وهو يهم بالمغادرة :

_ لا لا انا هروح ساعة بالكثير وهرجع، لو احتاجتي
حاجة بس كلميني ..

*

*

*

ترجلت حين من سيارة الأجرة أمام الموقع المقصود
ثم أغلقت الباب وغادر السائق .. وقفت تتطلع من
حولها ببعض التوتر، أعادت خصلة من شعرها
القصير خلف أذنها وهي تتطلع من حولها انتظاراً
لهذا الذي أخبرها بأن تأتِ إلى المعرض وسيقابلها
هناك ..

انتبهت لصوت هادئ من خلفها ينطق بإسمها :

انسة حنين؟

التفتت له لترى ابتسامته البسيطة التي تعلو محياه،
وجهه بشوش وملامحه يبدو عليها الرزانة والهدوء،

يبدو عليه أنه في أوائل الثلاثينات .. أسمر البشرة
وحليق الذقن وشعره أسود مصفف بعناية ..

تساءلت بلطف :

_ هو حضرتك اللي كلمتني على المعرض؟

أوماً بابتسامة صغيرة ومد يده لها بالسلام :

_ ايوة .. بلال كرم

بادلته السلام مجيبة :

_ اهلا وسهلا

أشار لها تجاه باب المعرض :

_ تعالي اتفضلي

سارت بجواره على مسافة صغيرة واستمعت له
يقول:

_ انتِ جيتِ المعرضِ ده قبلِ كدا؟

_ الحقيقة لأ، سمعت عنه بس

_ المعرض ده كبير وبتتعرض فيه لوحات كثير
وبيجيله ناس كثير جدا .. انا متأكد لو عرضتي فيه
شغلك هيفرق معاكِ وهينقلك في حنة تانية

توقفت عن السير فتوقف معها وطالعتها بتساؤل،
فقالَت :

_ معلش انا عايزة اسأل سؤال كدا اعذرني

أوما بانتباه :

_ اتفضلني

هو حضرتك ليه مهتم بشغلي اوي كدا؟

غلبته تلك الإبتسامة الهادئة مجددًا وأجابها :

انا بهتم بشغل أي حد فنان فعلاً، انت مش أول
واحدة اكلمها عشان تعرض حاجتها .. انا بحب الرسم
وبقدره وبقدر أي حد عنده الموهبة وبحاول أساعده
..

ثم أضاف بنفس الهدوء :

لو حاسة إنك قلقانة مني ممكن تمشي عادي لو ده
اللي هيرحك، بس على الأقل خدي نظرة جوا ..
هتشوفي حاجات حلوة كتير على فكرة وهتقابلي كتير
من نفس مجالك وهتحببهم .. جربي، لو دخلتي
ومعجبكيش الوضع امشي زي ماتحبي

بدلت نظرها بينه وبين باب المعرض، لا يبدو عليه أنه يحبك شيئاً ما؛ فهو أيضاً رسّام وقد رأت لوحاته التي ينشرها على حسابه وكم نالت إعجاب الكثير من المتابعين الذين يتخطون متابعيها أضعاف ..

غير أن هذا المعرض معروف بالفعل وهي لم تتسنى لها الفرصة لزيارته يوماً، ربما إن غادرت ستفوت فرصة ستحدث فارقاً في مشوار الرسم الذي تهتم لأجله أكثر من أي شيء آخر ..

نظرت له وارتسمت فوق محياها ابتسامة صغيرة
قائلة :

_تمام، يلا ..

*

*

*

دلف فخر إلى غرفته فجأة، مما أثار فزع الخادمة
حنان التي كانت بالداخل تقف بمنتصف الغرفة ..

رغم أن تطفل أي أحد على غرفته يثير اشتعال
أعصابه، إلا أنه لم يظهر عليه سوى ابتسامة ساخرة
وباردة .. فقد اعتاد هذا على أي حال، ويقصد تمامًا
ألا يأخذ رد فعل صارم تجاهها ..

ولكن طفح الكيل الآن!

اقترب منها ببطء شديد وهو يرمقها بنظرات ثابتة
وباردة بثت بداخلها الريبة والقلق، حاولت تدارج
نفسها سريعًا والتحدث بنبرة عادية :

ست سحر قالت لي احط الهدوم فى الدولاب بس

وقف واتسعت ابتسامته المتهكمة أكثر، صمت قليلاً
ولم يحيد بنظره عنها فارتبكت كثيراً .. نطق بهدوء
شديد جداً :

ولاءك لبسمة مش هينفكك والله

ثم تابع بنبرة رغم هدوءها إلا أنها غليظة ومتوعدة :
حذرتك مرة .. واثنين .. وعشرة، واستحملتك كثير
اوي وانتِ اللى فيكِ مبيتغيرش

رمقها بنظرات شرسة وتابع بنفس الصوت الساكن
والصارم :

مستهيفاني يا حنان؟

توترت كثيرًا من نبرته الغير مُبشرة، وهزت رأسها
بالنفي أكثر من مرة وقبل أن تُنكر بلسانها، كان
يواصل هو قائلاً :

_بسمة مفهّماكي إني اهيل وبقول كلام فى الهواء،
مش كدا؟

وصلت لذروة ارتباكها بسبب صوته الذى يبدو عليه
التوعد والضراوة، وتحدثت باهتزاز قائلة :
_فخر بيه انا

_مهندس فخر !!
ارتفع صوته فجأة بتعديل كلمتها، فانتفض جسدها
وهى تغرق ببحر التوتر والقلق .. بينما تابع بغضب :

_قدامك حاجة من اتنين ياحنان ، أولهم تلمّي هدومك
من سُكات وتمشي من هنا ووشك الحلو ده ميبانش

قدا مي تاني .. يا إما بقى تروحي تجري على بسمة
تقوليلها الحقيني ده عايز يمشيّني ف تبعتهالي تتخانق
فيّا ولا أجدعها كلب حراسة جاي ينبح عليا شوية
ويصدعني ويخرّجني عن شعوري ! .. وياريت
تختاري التاني عشان جناني يطع عليكوا انتوا
الاتنين واخلص منكوا

حاولت النقاش معه وتحدثت بنبرة ليّنة :
_ حضرتك بس انا مش ...

_ برا !!

قاطعها للمرة الثانية بصياح جهوري مرعب، ففزعت
بشدة وقررت الخروج لتتقذ نفسها قبل أن ينسحب
فتيل غضبه ويقوم بخنقها الآن

*

*

*

جسده ساكن تمامًا، ملامحه مرتخية وعضلاته
مستكينة براحة، ويحيطه الهدوء من كل جانب ..
كانت تجلس ياسمين على المقعد المجاور له، والذي
لم تترك بينه وبين الفراش أى مسافة، تميل بجذعها
إليه وتستند على طرف السرير بذراعها، بينما تمد
ذراعها الآخر له لتمرر أناملها بين خصلاته السوداء
بنعومة وبحركة منتظمة هادئة ..

عينيها تراقبه لا تتبعد عنه للحظة رغم سكونه وعدم
شعوره بها .. تأمل أن يفتح عينيه في أي لحظة
وترى مقلتيه السوداتين وابتسامته المرححة .. تنتظره
ليأخذ دبلته ويرتديها بنفسه ثم يسترد عافيته ويأخذها
ليأكلا "الشاورما" كما تعودت منه، أو يحتسي معها
الشاي بالحليب أو يلعبا معاً كرة القدم مرة أخرى ..

لينهض فقط وليفعل ما يريد، لن تعترض .. فقط
ليستعيد صحته ويبقى بخير

*

*

وقف فخر أمام المرأة عاري الصدر مرتدياً بنطاله
الكحلي فقط .. يحيط رقبته بمنشفة صغيرة كان يجفف
بها شعره بعد أخذ حمام دافئ .. قبل أن يترك خصلاته
المبتلة مبعثرة على عينيهِ، فأعادها إلى الخلف بيده
بعدم اهتمام ..

أمسك المنشفة ليلقيها على السرير ثم يلتقط قميصه
الأبيض الذي جهزه مسبقاً على الكرسي، ارتدى الكمّ
الأول ولم يكديتبع حتى تفاجأ بباب غرفته يُفتح
بعنف ..

استدار إلى الباب سريعًا وسرعان ما تصنع الخجل
والاندھاش قائلاً :

_ياكسوفي! .. مش تخبّطي يامرات ابويا عشان الحق
استر نفسي؟

كان في الأصل يستعد لأن يهبّ بوجه من تجراً على
الدخول هكذا، ولكن ما إن وجدها بسمة حتى غير
رأيه وقرر اتخاذ البرود رقيقاً له ؛ليشعل غيظها ..

توجهت له بسمة بخطوات منفعلة، بينما ارتدى هو
كُمّه الثاني ثم بدأ بغلق أزراره من أسفل لأعلى، وهو
يستمتع إليها تهتف بغضب :

_بص بقى يا فخر واسمعي كويس

_اطربني ياكروان

طرح رده بكل برود دون أن ينظر إليها، ويصب
اهتمامه لأزراره التي يغلقها، فلم تدعه يُكمل عمله
وجذبت يده بعنف وهي تقول :

انت فاكر نفسك ايه بالظبط عشان تطرد حنان؟ ،
مش انت اللى ليك حُكم فى البيت ده ومش من حقك
تقول مين يمشي ومين يقعد هنا

نظر لمعصمه المقيد بين أصابع قبضتها، ثم أعاد
النظر لها مجددًا قائلاً بكل هدوء :

ممكن بس اقفل القميص عشان لسة مستحمي
وهيجيلي برد؟

رفعت حاجبيها دهشةً من بروده وتضاعف الغضب
فوق وجهها أكثر، بينما رمقها هو بعدم اكتراث
وسحب يده منها بعنف، ثم واصل غلق آخر بضعة
أزرار وهو يقول ببرود مستفز :

_ انا من حقي اعمل أى حاجة انا عايزها، خصوصًا
اللى بيضايقك !..!

أنهى إغلاق أزراره ثم نظر لها متابعًا :

_ ويستحسن تستعملي معايا أسلوب خاص يحمل
بعض الرقيّ والاحترام، عشان انا مش زي أي حُثالة
تعرفيه في حياتك

ردت بكل سخريّة :

_ والله؟ وانت تبقى مين بقى؟

رفع يديه فى الهواء قائلاً بمنتهى البساطة :

_ مهندس فخر تليد

لم يقل سواها مُبينًا أن الإسم يكفي، فصاحت بمنتهى
التهكم والاستهزاء :

_ مالك معرّضها في حق نفسك كذا ليه؟ يطلع ايه
مهندس فخر تليد يعني؟

_ صاحب الإبتسامة الأوسم والوجه الألف على
الإطلاق

خرج رده المستفز فورًا وكأنه جهّز الرد مسبقًا، ثم
أضاف بنظرات مستصغرة حانقة :

_ يكفي قدرة تحمّله العالية لقرفك انتِ والبيت ده!

حدجته بصرامة لبضع لحظات ثم نطقت :

_ انت عايز ايه بالظبط يافخر؟

رد ساخرًا :

_انا بردو اللي عايز؟

سكت لحظة ثم أردف باستهانة :

_محدث عايز غيرك يا بسمة، والمشكلة إنك فاكرة
إني هسيبك تاخديها !

_انا هاخذ أي حاجة انا عايزاها غصب عنك وعن
ابوك نفسه

رد بذهول ساخر :

_بجد؟ ازاي بقى؟

اعتلتها ابتسامه جانبية واثقة وقالت :

انت مستهون بيا من زمان اوي يافخر ومتعرفش انا
ممکن اعمل ايه

طب ماتقوليلي يمكن ابطال استهون بيكي

طرح رده بعدم اكثر اث، ثم أضاف قائلاً :

احنا عارفين كلنا إنك مش عايزة غير الفلوس، ده
أمر مفروغ منه .. بس قوليلي هتعملي ايه عشان
تاخديها بقي؟

أجابت بإصرار وعزم :

بأي طريقة .. حتى لو اضطريت اخلص منك انت
واخوك لو وقفتموا في طريقي

ابتسم بتهكم وقال :

_ايواا اطلعي بقى من صورة الملاك اللى رسماها
على ابويا دي وخلينا دوغري مع بعض

نطقت بعناد :

_وهفضل رسماها يافخر! ، الصورة دي هي اللى
خّلت ابوك يكتبلي كذا حاجة بـ إسمي وهى اللى
هتخليه يكمل لحد ما كل حاجة تبقى بتاعتي ..
وساعتها هرميكوا وهرمي عامر نفسه برا

ارتفع حاجبيه بدهشة كانت في الواقع ساخرة، ولكنها
ظنت أنه مذهول فعلاً، فتابعت مؤكدة :

_ايوة هعمل كدا ! ، وّلا انت فاكر إني متجوزاه عشان
دايبة فيه؟ ، انا مبحبش ابوك وعمري ما هحبه

_ولا انا بحبه عادي

رفع كتفيه بلامبالاة وهو يلفظ رده بكل بساطة وعدم
اكتراث، ثم أردف قائلاً :

_بس عامر بيه مش اهل عشان يديكي كل حاجة
يابسمة

_عندي مية طريقة اخليه يكتبهالي وهو مش حاسس
ومش داري بروحه .. هتلاقيه صاحي في يوم بيلف
حوالين نفسه ويبشده في شعره من اللي عملته فيه ..

حملك بها بثبات لوقت طويل، نظراته غريبة .. ليست
حادة أو جامدة ولكنها ثلجية ومريية، شبح ابتسامة
يلوح على ثغره لم يتضح إن كانت استهزاء أو ثقة أو
.. انتصار!

تدرّجياً اتسعت ابتسامته بشكلٍ أخافها، وأخفض رأسه للأسفل يقهقه بعنف، تحت نظراتها المرتابة والمتعجبة منه .. ولم تلبث حتى نبست بحنق :

بتضحك على ايه؟

هدأت ضحكاته قليلاً ثم رفع رأسه ونظر لها مجيئاً :

بضحك على سخرية القدر !

ثم استرسل ببرود شديد :

انتِ بقالك كثير اوي سايبه عليا حنان تلف في أوضتي عشان تلقطي أي حاجة تمسكيها علياً وتذلّيني بيها وتكسري غروري .. بس دلوقتي شوفي ايه اللي حصل؟ انا اللي هذلك وهكسر رقبتك!

واختتم مفسراً :

_الى قولتيه دلوقتي اتصوّر صوت وصورة يابسة
.... وعجبي!

أردف كلمته الأخيرة بطريقة مسرحية مليئة
بالسخرية ..

شعرت بسمة برجفة غريبة أصابت أعماقها ولكنها
نجحت بإظهار الصلابة من الخارج، بينما تابع فخر :

_ياترى بقى عامر بيه لما يشوف الفيديو ده ممكن
يعمل ايه؟

ابتسم واثقاً من اهتزازها الداخلي الذي يعصف بها
الآن، وأردف :

يوسفني اقول لك يا بسمة إنك مشوفتيش وشه
الحقيقي لحد دلوقتي وفاكرة إنك تقدري عليه بس لأ،
عامر بيه راجل جاحد وقلبه حجر، ومبيحبش ولاده
أصلاً .. يعني انتِ بالنسبale ولا شئ ومش هيمانع
يقتلك عادي

ردت بثبات نجحت في تقمصه :

انتِ فاكِر إن الكلام ده هيخوِّفني؟

والله لما تخافي ده مش عيب بالعكس، ده لمصلحتك
انتِ

صمت قليلاً وابتسامته الباردة لاتزال تعلقو محياه،
ومن ثم تحدث قائلاً :

_بصي سيبك من الفيديو، تعالي نفترض إنه
متصورش أصلا .. انتِ فاكرة إنه حتى لو مسمعش
الكلام ده هيفضل متمسك بيك؟

سكت للحظات ثم استطرد بهدوء :

_بسمة انتِ ست حلوة .. شكك أصغر من سنك ب
١٠ ١٥ سنة ومهتمة برشاقتك وشعرك ولبسك
وبشرك، وعشان كدا عجبتيه .. لكن أول ما تكبري
شوية وكل ده يبدأ يروح هتلاقي نفسك في الشارع

حرك كتفيه بلامبالاة متابعًا باستهزاء :

_انتِ اديتي لنفسك حجم زايد عن اللزوم وفاكرة
عشان بيعاملك حلو تبقي مهمة عنده .. بس الحقيقة

المرة إن انت مجرد واحدة عجبته وبتشاركه السرير
مش اكثر .. في الحلال اه، بس ده مش معناه إنك
غالية عنده .. صدقيني أول ما يزهدق هيرميكي على
طول

ثم أسرع يوضح باستفزاز :

ايوة انا عارف إنه كاتبك حاجات كتير ب اسمك، و
ده تحديداً التمن قصاد تلبية رغباته البشرية المعروفة

واختتم بكل وقاحة واستخفاف، ملاحظاً احمرار
وجهها من الغضب :

زي مانتني متجوزاه عشان الفلوس هو متجوزك
عشان جسمك .. علاقة رخيصة بامتياز!

وصلت بسمة لذروة غيظها ولم تشعر بنفسها إلا
وهي ترفع يدها استعدادًا لصفعه بقوة، ولكنه أسرع
بإعاقة طريق يدها وقبض على معصمها بقسوة قبل
أن تفعلها، وقد انمحت السخرية من فوق ملامحه
وتبدلت بالغضب والشر، وهو ينطق بصوت غليظ
مُحذّر :

_ مزَعَّك الأمر الواقع اوي؟! ماتبصي لنفسك شوية
واعرفي حجمك بقى

صرخ بوجهها بصوت جهوري مرعب :
_ فاكرة نفسك مين عشان ترفعي ايدك على فخر تليد
ياتربية الزرايب !!

شدد قبضته على يدها أكثر حتى آلمتها، وتابع متكئًا
على كل حرف يخرج من بين شفتيه :

انا هوريكي أيام زي الفل يابسة .. مش هبعت له
الفيديو دلوقتي لأ .. هبعته لما اكتفي الأول من توترك
وقلقك لحد ما صوت دقات قلبك من الخوف توصل لي
من على بُعد .. هسيبك قاعدة مرعوبة ومش عارفة
تنامي عشان خايفة عامر يدخل البيت مرّة وهو
عارف أصلك ويعمل فيك حاجة

حاولت تحرير يدها من قبضته وهي ترمقه بشرّ
وتوعد، وتقول بتحد :

انت متعرفش آخري يافخر! ، صدقتي انا أسوأ مما
تتخيل بكثير وهتندم إنك حطيت راسك ب راسي

رد بسخرية واستخفاف وهو يترك يدها بعنف :

وانا مستتي آخرك ياقلب فخر !

*

*

*

تحرك جفنيه بحركة عصبية لا إرادية استعدادًا للعودة إلى وعيه، صدره يعلو ويهبط بأنفاس منتظمة هادئة، فتح عينيه ببطء، وقد أخذ وقتًا لتكوين الصورة أمام عينيه بكامل وضوحها .. بقت عينيه نصف مفتوحة وهو يحملق بالسقف بتعب محاولاً تحديد هذا المكان، هذا ليس نفسه الذي رآه البارحة .. لم يكن بكامل وعيه حينها ولكنه تذكر لمحات سريعة عن استيقاظه في غرفة العناية ورؤية الممرضة التي أخبرته ببضع كلمات لم يميزها، ومن ثم استسلامه للسكون في غضون دقائق ..

تجددت الصورة بوجه ياسمين التي ما إن لاحظته
حتى نهضت وجلست بجواره على السرير وتطلعت له
بسعادة هاتفة بتلهف :

زیزو!

نظر لها بعينيه المجهدين واعتلته ابتسامة خفيفة، ثم
نطق بصوت متعب هامس جدًا، ولكنها سمعته بفضل
الهدوء المحيط بهما :

ايه يافراشة؟

اتسعت ضحكتها عن آخرها و ردت مشاكسة :

حمد لله على السلامة يامطرقع

ابتسم بهدوء، ثم سألها بنفس مستوى الصوت
الخافت :

_ هو انا طوّلت؟

_ لا مش اوي

تساءل مجددًا وحروفه تنطلق منه بصعوبة :

_ ايه اللى حصل؟

_ ولا حاجة، العملية اتعملت السبت وفضلت فى
العناية الحد والاتنين، والنهاردة التلات اهو

_ فخر فين؟

ردت بأسى :

_ يا عيني ده منامش خالص اليومين اللى فاتوا .. انا
كنت باجيلك فترة الجامعة بس وهو بيفضل الليل كله

هنا .. قولته يروح يرتاح بس مرضيش، زمانه جاي
هو قال لي هيغير هدومه ويجي

خرج صوته مجهداً وهو يسألها :
_فترة الجامعة ازاي يعني؟

أوضحت له قائلة :

_انا مكنتش بروح الجامعة، انا كنت بقول لماما اني
نازلة الجامعة وباجي هنا، ولما يجي معاد رجوعي
للبيت بمشي

ثم أضافت بحزن :

_والله ما كان بيهون عليا امشي واسيبك بس فخر
اللى أصرّ عشان ماما متشكش فيا

قاطع الحديث صوت رنين هاتفها، فأخرجته من جيبها
ونظرت في الشاشة ثم قالت :

_ ده فخر

ثم أجابته سريعًا :

_ ايوة يابشمهندس

ابتسمت بسمة عريضة ونظرت لزياد وهي تقول :

_ لا ده كويس اوي الحمد لله، فاق واتكلم معايا

رد فخر بذهول وهو يأخذ خطواته فوق سلم المنزل :

_ بجد! امتي؟؟

_ لسة حالًا

شعر بارتياح شديد اجتاح أعماقه، ثم تساءل باهتمام:

_ هو تمام يعني؟ مبيشتكيش من حاجة أو كدا؟

كان ينتظر إجابة ياسمين عليه ولكنه تفاجأ بصوت أخيه يخاطبه بطريقته المرححة وهي مغلفة بالتعب
بوضوح :

_ ازاي اصحى مشوفكش جنبى ياوغد يافاسق؟

توقف عن مواصلة طريقه وسرعان ما تسالت
ضحكته إلى وجهه قبل أن يجيبه بعناد :

_ ده انا مقومتش من جنبك ياسفيه يامراهق! ،
اشمعنا فوقت في الخمس دقايق اللى مشيت فيهم؟

ضحك أكثر ثم حملت نبرته بعض الجدية ونطق
بسرور :

حمد لله على السلامة يا حبيبي يارب ما نعتب باب
المستشفيات دي تاني

ثم أكمل باقي درجات السلم المتبقية وهو يردف :
انت تمام ولا حاسس بحاجة؟

لم يختلف عن زياد أسلوبه الغير مبالي المعتاد رغم
وهنه الواضح وهو يجيب :

اهو المهم عايش وخلص

صاح فخر بملل وهو يتجه إلى باب المنزل للخروج :
يعني ايه حالتك بردو؟

أجاب بخفوت :

كويس ياعم عادي

توجّه فخر إلى سيارته وهو يقول :

طب بص انا هخلّص مشوار سريع كدا وهجيبك على
طول، مش هتأخر .. قول لياسمين تروح تجيبك
الدكتور عشان يشوفك ولو في أي جديد خلّياها تكلمني

.....

*

*

*

فتحت عزة باب شقتها لهذا الواقف يمسك بوردة
وحيدة حمراء اللون ويمدها له قائلاً دون مقدمات :

مساء الخير انا جاي اصالحك

ارتفع حاجبها باستنكار وسخرية، فضحك وأردف :

مكاش قصدي اضايك على فكرة، مفكرتش إنك
هتحمقي كدا معش خلاص متز عيش

تطلعت له بقرف وقالت :

انت كلامك ده يقفل الواحد إنه يصالحك أصلا

ياستي انت عارفة اللي جوايا بقي، نيتي خير ده
المهم

رمقته باستنكار قائلة :

مش هتتشل لو قولت آسف على فكرة

رد بعناد :

طب ما انت شتمتيني ومتكلمتش

_ لا انا مشتمتش، دي حقيقتك المطلقة!

ضحك ومد لها الوردة قائلا :

_ طب خدي دي

نظرت للوردة باستحغار ثم نظرت له مجددًا وهتفت :

_ جاي تصالحي بوردة واحدة؟

_ انتِ عارفة مدفوع فيها كام؟

_ دي كلها بـ ١٠ جنيه يامعفن

صاح متخذًا وجهًا بريئًا :

والله جبتها ب ١٨ !

لوت شفيتها باستهزاء :

وعامل لي فيها محامي وليك اسم؟ جتك خيبة

عادت ملامحه لمعالم الضجر، وألقى الوردة من خلفه
بعدم اهتمام وهو يقول بملل :

ده على أساس إنك بت رومانسية وبتاعة ورد أصلاً
!؟ ، انجري البسي هنروح ناكل سندوتشين كبدة أفيد
..

صاحت بسخط :

ايه ده ما تتكلم عدل، انا بشحت منك ولا ايه؟

ردد بدهشة وحنق :

_يعني انا اللي عازم أصلا وبتبجّحي؟؟

أشاحت بيدها وهي تتحرك إلى الداخل مهمة بعدم
اكتراث :

_اتنيل يا ابو ١٨ جنيه!

*

*

على الأريكة التي تتوسط ساحة الشقة، تمددت جهاد
فوقها على جانبها الأيمن، يبدو على وجهها أنها
انتهت للتو من نوبة طويلة من البكاء انتهت
بإرهاقها، فجعلتها تستلقي مكانها وهنا .. أغمضت
عينها بإجهاد، وقد أصاب قلبها شعور سيئ، وكأنه

يواجه صعوبة في انتظام نبضاته .. ولكنها لم تبال
إطلاقاً، بل تمنّت أن يتوقف عن عمله وينتهي أمرها
على تلك الأريكة البائسة ..

يسود هدوء تام من حولها، حتى انقطع بصوت جرس
الباب ففتحت عينيها بانتباه ..

بدا عليها التذمر من اختيار ضيفها الثقيل لهذا الوقت،
وفكرت في تركه منتظراً حتى يمل ويذهب .. ولكنه
أصرّ و رن الجرس مجدداً، فنفخت بملل ونهضت
لتفتح ..

اقتربت من الباب ونظرت من خلال فتحة العين أولاً ..
لا تدري ما كل هذا الحماس الذي أصابها وهي تسرع
بفتح الباب بلهفة وتنطق اسمه بفرحة عارمة :

"فخر!"

تطلع إليها بحدقتيه البنيتين المميزتين، ولم ينبس
بكلمة ..

تعلقت عينيه بها بصمت طويل .. لم تكن نظراته
محملة بالغضب والجفاء كآخر مقابلة، بل على العكس
إنها مليئة بالحب والشوق!!

غمرتها الدهشة وحاولت السيطرة على قلبها الذي
يقفز بين ضلوعها؛ هل قرر مسامحتها وإعادة
الأحوال لطبيعتها الحُلوة السابقة أم أنها تتخيل
ما تتمنى رؤيته فقط؟

اعتلته ابتسامة جانبية؛ خاضعًا لمشاعره، وحرّك
رأسه باستسلام :

وحشتيني

كلمة صغيرة لا تتعدى السبعة أحرف، ولكنها كانت
كافية بقدر الجبال لتجعلها تتدفع نحوه بعنف وترتمي
بأحضانها وتتمسك به بقوة ..

مال إليها قليلاً لفرق الطول البسيط بينهما، والتفت
ذراعيه حول خصرها ليضمها إلى صدره الواسع ..
بينما أحاطت هي رقبته وكتفه بيديها وطمرت وجهها
بين ثنايا عنقه ليخرج صوت بكاءها مكتوماً .. بدأت
تبكي كثيراً حتى شعر بدموعها على عنقه وقميصه
تضمه بقوة كطفلة تائهة وجدت أباهها بعد أيام من
الخوف والارتجاف، وقد حضر الآن ليطمئنها ويعيدها
إلى منزلها الآمن ..

لن تبالغ إن وصفته ملجأها .. مسكنها ومصدر
راحتها .. رفيقها الذي يربط على قلبها بحب والوحيد
الذي ينتزع الظلمة والقلق من حولها ليبدّلها بالسكينة
والنور والدفئ ..

لم ترتخ يدها عنه مطلقاً بل اشتدت حوله أكثر
وتمسكت به بكل قوتها وكأنها تخشى هروبه منها ..
لو كان بإمكانها الاندثار بأعماقه والاختفاء عن العالم
بأكمله، لفعلتها في التو واللحظة ..

عادت للخلف بعد دقائق لتتظر له ؛لم تبتعد إلا
استجابة لرغبتها في رؤية وجهه فقط، ملامحه التي
اشتاق لها بشدة .. تتساب دموعها بغزارة من فرط
اشتياقها وسعادتها بوجوده ..

رفعت يديها له بهدوء وحاصرت وجهه بين كفيها
الرقيقين، وهي تتشرب ملامحه الجذابة بابتسامة
مشرقة .. مجرد وقوفه أمامها أنار وجهها ودبّ فيه
الحيوية والبهجة ..

مررت إبهامها على وجهه ولحيته بنعومة، ونطقت
متوسلة بصوت مبجوح وخافت لم يكد يظهر :

متمشيش تاني

ارتسمت على وجهه ابتسامته الخلابة المميزة، ورفع
كفه ليمسك بأحد كفوفها التي تلامس وجنتيه، قرب
يدها من شفثيه بهدوء ليقبّل باطن كفّها برقّة، مما
ساهم في اتساع ضحكها حتى ظهر صفّ أسنانها
بأكملها وضافت حدقتيها من وسعها ..

عينيهِ الساحرتين .. ابتسامته الجذابة .. نظراته
الحنونة .. لن تطلب من الحياة شيئاً سوى أن تحمق
بهم هكذا حتى تُشبع عينيها منهم، دون النطق بحرف
واحد...

يتبع..

الفصل الواحد والثلاثون {ملهى ليلي}

فتحت جهاذ عينيها وأفافت من أحلامها الوردية إلى
الواقع الرمادي الباهت ..

استوعبت تمددها على الأريكة وحيدة، فنهضت بتمهل
والتعجب يعلوها، إلى أن تحولت ملامحها بالتدريج
إلى الإحباط والألم .. برودة شديدة أصابت جسدها
فجأة بعدما ضربها الواقع بحقيقة أنه لم يكن إلا مجرد
حلم ..

هو لم يأت إليها .. فخر لم يحضر ليعيد أيامهما
الجميلة السابقة كما تخيلت .. فقط كانت تتمنى ..
ولكنها لم تتحقق!

*

*

تحرك زياد ببطء وحذر ليرتفع قليلاً بدلاً من التسطح
بالكامل على الفراش، وقد ساعدته ياسمين ووضعت
الوسادات من خلف ظهره ليستند عليها براحة .. ثم

التفت لها عندما قالت بابتسامة واسعة وهي تجلس
أمامه على طرف السرير :

_مش ناسي حاجة؟

تطلع لها متصنعا التفكير، ثم أجاب بشكّ وكأنه لا يعلم
مقصدها بالفعل :

_الدبلة؟

ضحكت وفتحت قبضتها لتظهر الدبلة في راحة كفّها،
ثم مدتها له وهي تقول :

_لو كنت غلطت كنت هنكد عليك

ضحك بهدوء وأخذها منها وارتداها بتمهل، ثم قال
بنفس مستوى صوته الواهن والخافت مع ظهور
مشاكسته المعتادة بين ثنايا نبرته :

طب فين الخاتم اللي جبتھولك بقى عشان انكّد عليكِ
انا؟

رفعت يدها، موجّهة ظهر يدها له، ليري إصبعها
بوضوح، وقالت بعناد :

انسى يامطرقع مش هتعرف، انا مقلعتوش من
ساعة ما جبتّه

لوّحت ضحكته على محياه، ثم سألها :

طب ليه مش لابسة باقي الذهب؟

اعتلتها ابتسامة مشاكسة وخجولة بنفس الوقت وهي
تجيب :

_لما نبقى تحت سقف واحد هلبسُه

ضحك بعث وأجاب :

_طب ما نروح بكرة؟

تساءلت ببلاهة :

_نروح فين؟

_تحت سقف واحد

صاحت باستنكار :

_ انت فى ايه ولا ايه يازيزو دلوقتي؟ وبعدين انت
لسة مجبتش الشقة أصلاً فين السقف ده؟
أجاب، وصوته لايزال محافظاً على نفس نبرته
المجهدة وصوته الهادئ :

_ سقف أوضتي عادي

أشاحت بنظرها بعيداً وأجابت بمزاح بدا وكأنه جاد
من ملامح وجهها العابسة :

_ لا ياخويا اخاف بسمة تبلعني

ضحك بشدة وعلق موافقاً :

_ لا خلاص بلاش فعلاً .. ده احنا تعابين ومش
عارفين نسلك منها

بأدلته الضحك بهدوء، وخيم الصمت للحظات قبل أن
يأمرها قائلاً :

_كلمي فخر شوفيه فين دلوقتي ..

ثم أضاف باستنكار :

_مشوار ايه اللي أهم مني ده أصلاً؟

أخرجت هاتفها من جيبها وهي ترد ضاحكة :

_أكيد مش هيسيبك إلا لو حاجة مهمة يعني ..

_طب رني بس واقرفيه، انا عايزه يتعصب

*

*

*

يبدو أن رغبة زياد الصغيرة كانت تحققت بالفعل، وقد وصل فخر لأعلى مستوى من العصبية حينما قص عليه رؤوف حكاية إياد، فصدح صوته يقول بغضب :

_ازاي تحصل حاجة زي دي ومتعرفنيش ياخالي؟! ،
انا بقيت طيشة هنا ولا ايه؟

ردد كلماته الغاضبة وهو يقف بساحة الشقة، بينما يجلس رؤوف على المقعد المقابل له ويتحدث بهدوء:

_يابني ده واد أهبل أصلا مكانش يستاهل نهتم كلنا
بيه كدا

تساعل فخر بحنق واستنكار :

**_ اومّال كلمنتي ليه بقى وقولتلي تعالى؟ لازمته ايه
تقول لي بعد ما عملتوا كل حاجة خلاص؟**

**_ عشان مبحبش اخبّي عليك حاجة، خصوصًا إنه
موضوع يخص اختك**

**زفر فخر بقوة محاولًا السيطرة على أعصابه ومسد
شعره البني للخلف بضيق، ظهرت على يده تلك
الرجفة الإرادية التي تصيبه مع كل لحظة انفعال ،
فلاحظها رؤوف وقال :**

**_ ماتهدى على نفسك بقى بدل ما أعصابك تفرقع في
مرّة! ، شعرك هيشيب بدري من حرقه الدم دي كلها**

**نظر له فخر وعينيه تشتعل بغضب شديد، يجاهد
ليدفنه بداخله .. بينما قال رؤوف برزانة :**

اقعد يافخر اقعد

نفخ بقوة واستجاب لطلبه وجلس بجواره، فأردف
رؤوف :

احنا مكانش قصدنا نخبي عليك ، بس عز قال لي
إنك مضبوط ومكانش عايز يزودها عليك قولنا نقوم
احنا بالحوار احنا مش غُرب يعني

احتق وجهه واحتدت ملامحه أكثر مما هي عليه، و
رد بحق :

يزودها يعني ايه؟! .. أنا اول واحد لازم يعرف
بحاجة زي دي، مريم تخصصني قبل ما تخصصكوا ياخالي
وانا اللي لازم اجيب لها حقها طالما لسة مموتش وفيها
نفس .. الكلب ده انا كنت هعرف اتصرف معاه كويس
ومكانش هيعرف يهرب مني زي ماهرب منكوا

رد رؤوف بيقين ؛لمعرفته بطبع ابن اخته جيداً و علمه
بأنه لن يتجاهل الأمر :

_ انا مش بحكيك عشان تحطه فى دماغك على فكرة!
هتف فخر باستتكار :

_ او مال اسيبه يقلت بعملته كدا عادي؟

_ ده عيل تافه يافخر ومكانش هيعمل حاجة كدا كدا،
هو بس اتنفخ عشان مريم غلبانة وبتخاف

صاح بقوة وحدة :

_ فكرة أنه يقول لها الكلمتين دول حتى لو مش فى
نيته يعمل حاجة بردو يتحاسب عليها ويتقطع له
لسانه على الأقل!

_ احنا بعد اللي عملناه فيه أصلاً أكيد خاف واختفى،
معتقدش خالص إنه هيقرب منها تاني .. انساه بقى
وشوف حياتك

نفخ للمرة التي لا يعلم عددها ودأك وجهه بكفيه بتعب
والتزم الصمت

*

*

استند مروان على مؤخرة السيارة بجوار عزة،
وشرعا الاثنان يتناول شطائر الكبدة التي اشتريها
سويًا ..

أكلت عزة قزمة صغيرة ثم تحدثت متسائلة :

_ بس يعني انت ايه اللي خلّاك تحس على دمك وتيجي
تصالحني كدا؟ مش عوايدك دي

رد مروان بنبرة جادة جدًا وكأنه يتحدث بصدق وليس
بسخرية :

_والله ياروزو انا كلمة زبالة اللي قولتها دي سابت
في نفسي أثر طويل منيّميش طول الليل، فضلت
اسأل نفسي ياترى عملت ايه لدرجة إني استحق
الكلمة دي، قولت يمكن لو صالحتها محسش بالذنب
واعرف انام

ارتكزت عينيها عليه طوال سماع حديثه ولم تفارقها
نظرات القرف والضجر حتى أنهى كلماته، ثم أشاحت
بنظرها وواصلت تناول طعامها في حين ضحك
مروان مع نفسه بصمت ..

خيم السكوت لدقائق معدودة انقضت في تناول
الشطائر، إلى أن قطعه مروان بصوته فجأة :

_بقول لك ايه ياروزو ماتيجي اخطبك!

ردت عزة بملل ظناً أنه يريد ذلك ؛ استكمالاً لرحلة
التمثيل التافهة تلك :

_ مروان! ، فكك من العبط ده، انا آخري اقبل
عزومتين عند أمك وخلص إنما نمثل خطوبة لأدي
وسعت ومش هعملها، انسى!

أجاب مروان بهدوء :

_ بس انا مش قصدي نضحك على امي، انا بتكلم بجد
.. نتخطب بجد قدام الناس كلها!

التفتت له قاطبة حاجبها بتعجب شديد، رمشت عدة
مرات بعدم استيعاب ثم ردت باستهزاء :

_ ده اسمه ايه بقى؟

بقول عايز اخطبك

حدفته بنظرات مرتابة متوجسة لوقت ملحوظ، ثم
تساءلت ببلاهة :

انت عيان ولا ايه؟

قابلها بضحكة بسيطة ثم استرسل قائلاً :

بصي يازوزو انا مش هنكر إني أول ما عرفتك
اتعاملت معاكي زي ما تعاملت مع أي بنت بشوفها،
مجرد واحدة بضيع معاها وقت وكام يوم وتتقلب زي
اللى قبلها .. بس لما قلبتك انتِ كان الحوار فارق
معايا .. كنت بنكر بصراحة ومش مهتم، بس لما
جيتي المكتب تتخانقي معايا وشوفتك تاني مخبيش
عليك اتبسطت ..

ثم واصل أسفل نظراتها التي تراقبه بحاجبين مرتفعين بذهول وفاه مفتوح ببلاهة :

_حتى بعد ما طلّعتي عليا شوية بلطجية يضربوني انا مشيلتش منك .. مع إن لو أي حد غيرك عمل كدا أقسم بالله ما كنت سكتت إلا لما سبت ضلوعه كلها متجيسة ..

إنما انتِ مختلفة .. لما طلبت مساعدتك تحايلي امي جيت لك وسيبت كل اللي اعرفهم عشان انتِ فعلاً مختلفة

وجهت بصرها إلى الفراغ تحاول استيعاب ما قال، ثم عادت تنظر له تقول باستحقار :

**بص ما هو يا إما انت وقعت على دماغك يا إما عايز
منّي حاجة مش هتعجبني وبتاكل بعقلي حلاوة ..
الكلام ده ميطلعش من قلبك أبدا يا توكسيك يا بتاع
النسوان!**

**صاح بدهوة قوية وكأنه رضيعًا يحلق في سماء
البراءة ظلم بكلمتها :**

انا توكسيك يا عزة!؟

**ارتفع حاجبيها تعجبًا من تعجبه، وردت باستنكار :
انت متفاجئ؟ ، ده انت اللي اخترعت الكلمة أصلًا! ،
انا استحالة ارمي نفسي مع واحد توكسيك زيك،
مستحيل لايمكن أبدا !**

تساءل ببراءة :

ليه عملت ايه يعني؟

**انت بلسانك قولت إنك مش بتاع جواز، جاي دلوقتي
تخطبني تعمل بيا ايه؟ بطل لف ودوران**

أجاب ضاحكًا بسخرية :

**مش يمكن خلال فترة خطوبتنا مخي يتهبل واحب
اتجوزك؟**

**حملقت بوجهه بصمت تام، والتخوف والتعجب
يقفزان من وجهها، ثم رددت بشك :**

انت قالقتني ياراجل انت وشكك وراك مصيبة!

ضحك بهدوء وأجاب :

**_والله أبدا كل الفكرة إني عايز ادي لنفسي فرصة
معاك مش أكثر .. وبعدين يا عزة هو انت حد بيقدر
عليك؟ ما انت لو شوفتيني بلعب معاك مش هتسكتي**

ظلت صامته لا تدري ماتقول، بينما أردف مروان :

**_ادي لنفسك فرصة انت كمان، مش يمكن تعرفي ت
fix him زي مايقولوا؟**

ردت باستهانة :

**_ده انا لو لميت الشارع كله يحاول معاك مش
هيحوق فيك**

أجابها ببساطة ونبرة لطيفة :

**_ايوة عشان الشارع كله مش زيك، انت لوحداك
تعملي اللي ميتعملش ومستبعدش عنك أي حاجة**

أصابها بعض الفخر بنفسها بعدما أشعرها أنه قوية
ومميزة، ولكنها لم تعطه ردًا وظلت تتطلع من حولها
بصمت ..

ظل مترقبًا إياها بتركيز، إلى أن سحبها من شرودها
قائلًا :

_ها قولتي ايه؟

احتفظت بصمتها للحظات ثم أطلقت زفيرًا مطولًا، قبل
أن تدير رأسها لتتنظر له وتقول بتأفف :

_حاسة إنّي هقضي حياتي كلها بندم إنّي قولت الكلمة
دي بس ماشي، موافقة!

ضحك مروان صائحا :

_بجد؟

أجابت باستسلام وإحباط :

_اه انا اتعودت على القرارات الغبية بقى خلاص،
مجتث عليك ..

علت ضحكاته ووكزها بمرفقه في ذراعها ثم تابع
تناول الطعام معها وسط نسمات الهواء الخفيفة ...

*

*

*

بعد مرور خمسة أيام تقريبا ..

.

وضع عز طبق بانيه الدجاج مع طبق المعكرونة على
رخامة المطبخ وشرع بتناولهم خلسة دون علم أبيه
؛فقد خصصهم رؤوف جانبًا لابنته وحفيده عندما
يأتيا، ولكن عز كان له رأي آخر وقرر نسفهم جميعًا
دون اكترات لأي أحد ..

انتفض جسده عندما تفاجأ بصوت والده يصيح
بدهشة :

_بتعمل ايه يا عز !

نظر له عز وفمه ملئ بالطعام، وخرج صوته مكتومًا
يجيب ببساطة :

_بأكل

اقترب منه رؤوف قائلاً باستنكار :

**_ احنا لسة مخلصين أكل من ساعة واحدة ومليت
بطنك أكل يكفّيك تلت أيام!**

**رد عز دون اهتمام وهو يواصل تناول الطعام :
_ هاكل تاني بردو**

_ حرام عليك ده نصيب اختك وابنها لما ييجوا

نطق عز بتأفف وهو يقضم قطعة من الدجاج :

**_ تروح تاكل فى بيت جوزها بقى، مش هنصرف
عليها قبل وبعد الجواز كمان ..**

**_ هي قالتلي إن أكلي وحشها ياحيوان ونفسها تاكل
من إيدي حاجة**

أجاب ببرود :

_فرصة ثانية إن شاء الله

_ولما تيجي اقول لها ايه بقى؟

_متفتحتهاش أصلاً

حاول رؤوف أخذ الطبق من أمامه :

_اوعي يا عز

فلم يلبث عز حتى تشبث بالطبق بشدة وكأنه يتمسك
بروحه، وصاح مُحتجًا :

_سيب ياروفا متجوّعش ابنك وتفتري عليه

عانده رؤوف وظل ممسكًا بالطبق :

_هو حد بيفتري غيرك؟ الأكل ده كله محدش طبيعي
يقدر ياكله

صاح عز بصوت مرتفع مزعج :

_ وربنا لو ما سيبت الطبق لـ اسيب البيت وامشي!!

لم يتحمل رؤوف صوته العالي وابتعد عنه وهو يلكمه
في كتفه بعنف ..

انتبها لصوت جرس الباب فلم يلقِ عز اهتمامًا
وواصل طعامه، بينما خرج رؤوف وهو يتمتم بعدة
شتائم في ولده ومعدته التي أصبحت مخزن للطعام ..

•
اتجه إلى باب الشقة وفتحه ، غلبته ابتسامة واسعة
بترحيب :

_ايه القمر اللي منورنا ده؟

ضحكت مريم بسرور ودلفت وهي تقول :

_ازيك ياخالو

_الحمد لله يا حبيبي تعالى

دخلت بضع خطوات وهي تتطلع من حولها بتردد،
ولم تأخذ وقتًا حتى أفصحت عن مبتغاها :

_خالو انا عايزة اتكلم مع عز ، هو موجود؟

*

*

*

_انا عايز امشي من هنا .. انا اتخنقت خلاص مش
هستحمل دقيقة تاني!!

ردد زياد كلماته بضيق شديد وهو يجلس فوق سرير
المشفى، ووجهه متجهم ينم عن استعداده للكم أي
أحد أمامه .. فتحدثت ياسمين الجالسة عن يمينه :

مش لما تخف شوية طيب؟

رد زياد بنبرة منخفضة رغم غضبه ؛ليس احترامًا
لأحد ولكن تعبته لا يجعله قادرًا على رفع صوته :

انا مش هخف طول ما انا في المكان الكئيب ده،
ياتمشوني بالذوق يا إما والله اعمل لكوا فضايح هنا

رد عليه فخر الجالس فوق المقعد الذي يجاوره عن
يساره :

طب بالراحة بس ..

ضحك بخفة ثم تابع :

_ انت مش فاكّر المنهج بتاعك اللي خلّتني ماشي عليه؟

نظر له زياد بجانب عينيه بحنق، بينما واصل فخر :

_ " اصنع من كل بلوى حلوى " .. اديك هنا على الأقل مش بتشوف وش بسمة ولا مضطر تسمع صوتها النشاذ

تساءل زياد بترقب :

_ انت اتخانقت فيها ولا ايه؟

رد فخر بكل لامبالاة :

**_ومش أي خناقة .. دي زمانها بتحضر لي السكينة
دلوقتي**

**تغيرت معالم الضيق من فوق وجه زياد فجأة
واشتعلت عينيه بحماس :**

**_ده شغل على تقيل بقى! ، حلو استناني اطلع من هنا
ونجهز لها احنا القناصة**

عارضته ياسمين صائحة :

_اخرس يا وشّ المشاكل!

**استمعوا لصوت طرقات هادئة فوق الباب فسمح فخر
بالدخول ..**

**دخل الطبيب وعلى وجهه ابتسامة بشوشة، وقال
مخاطبًا زياد :**

_صباح الخير، عامل ايه النهاردة؟

_زفت! ، زفت خالص وعايز امشي

بصق رده فورًا بمنتهى الاختناق والملل، فتساءل
فخر:

_هو مينفعلش يمشي ويرتاح في البيت؟

أوما الطبيب وأجاب موجهًا حديثه لزياد :

_ينفع بس في تعليمات لازم تمشي عليها .. انت
هتتابع معايا لمدة تلت شهور أول ب اول، وخلال
التلت شهور دول ممنوع بتاتا أقل مجهود حتى لو
حاسس نفسك عندك طاقة وقادر تعمل كل حاجة،
مفيش شغل ولا جيم ولا جري ولا حتى مَشِي أبعد من
مساحة البيت، بلاش انفعال وعصبية ياريت .. ده

غير إن في نظام غذائي معين لازم تمشي عليه ولو
أهملت فيه هترجع تشتكي تاني على فكرة!

ردد زياد مترقبًا :

_استنى .. النظام الغذائي ده فيه شاورما صح؟

_لا طبعا أي أكل من برا مش مسموح نهائي ..

صاح بحزن وحسرة :

_ليه كدا ليه!

تابع الطبيب برنامجه الغذائي قائلاً :

_ممنوع السكر وممنوع الملح بردو ، الكافيين
والدهون المهدرجة محظورين تمامًا .. مسموح بـ
السّمك والألبان بمشتقاتها والخضار والبيض والرز

والشوفان .. هكتبك كل النظام فى ورقة، بس ياريت
السمك بالذات تكثر منه عشان هيساعدك تخف أسرع

رد زياد بتأفف :

_مش بحب السمك انا !

هتف الطبيب ضاحكًا :

_معلش تعالى على نفسك التلت شهور دول بس
وبعدين اعمل اللي يعجبك ..

تطلع زياد من حوله بوجه مكفهر، ومن ثم التفت له
فجأة عندما انعدت الكلمات برأسه، ونطق بدهشة :

_انت قولت ايه؟ الكافيين ممنوع؟ يعني مفيش شاي
بلبن!؟

أجاب الطبيب :

لا خَليها لبن لوحدہ الفترة دي بس

عبس وجهه كثيرًا وقال متذمرًا :

لأ متهزرش! ، يعني ايه تلت شهر من غير
شاورما وشاي بلبن؟ موّتوني أحسن بدل ما تدفنوني
بالحيا كدا

أخذ فخر يرت عليه ويقول بأسى شديد :

معلش يا حبيبي انا عارف الموضوع مأسوي
بالنسبة لك قد ايه

تلت شهر يافخر! ، تلت شهر بحالهم

ظل يثرثر ويندب على حياته التي ستنتهي بدون
الشاورما والشاي بالحليب، وفخر بجواره يواسيه

ويربت على كتفه بجدية وكأنه أمر مفتح .. بينما
حدقت ياسمين هذين التافهين بتعجب انقلب سريعاً
إلى الملل، ثم التفتت للطبيب وقالت :
_هنعمل كل اللى قولته يادكتور متشكرين لحضرتك
جدا

*

*

*

دخل عز إلى الشرفة وجلس على الكرسي المقابل
لمقعد مريم التي جلست بانتظاره بعدما ترك لهما
رؤوف المجال للتحدث ..

نظر لها ونبس باهتمام :

_ايه يامريم خير؟ إياد كلمك تاني ولا ايه؟!!

نفت برأسها يميناً ويساراً دون أن تتكلم، فأردف
متسائلاً :

_طب ايه؟

أخذت وقتاً في السكوت ؛تحاول ترتيب كلماتها ..
تشعر بصعوبة في التحدث ولكنها لن يهدأ لها بال إلا
عندما تفصح عما يساورها .. لقد ظلت صامتة طوال
سنتين واكتفت إلى هذا الحد

طال صمتها وهي تحملق بكل شئ حولها إلا عينيه،
على عكس مقلتيه المثبتة عليها بتساؤل وحيرة ..
ارتكزت حدقتيها عليه أخيراً وبدأت بتجميع حروفها :

_عز اناا .. انا عايزة اعتذرلك على الكلام البايخ اللي
قولته ساعة ما جيت وخذتني من إياد

تغير وجهه وأبعد ناظريه عنها متتهداً بسأم، بينما
أضافت هي :

_ انا عارفة إنها متأخرة اوي بس انا مبطلتش تفكير
من ساعتها، انا والله كنت عايزة اعتذرك في
ليلتها بس ..

تركت جملتها معلقة للحظات ثم أكملت متتهدة بهمّ :
_ بس خوفت تصدني وترد عليا بكلام يزود ز علي ..

رد عز بخفوت ملتزمًا بإظهار عدم الاهتمام في
صوته:

_ مش مهم يامريم انا نسيت أصلاً

_ لا انت منستش متضحكش عليا !

هتفت بعبارتها بحدة وضيق، فلم يكن رد فعله سوى
السكوت والاكتفاء بتوزيع نظراته في الأنحاء ..

انا عايزة اصارك بحاجة ..

انصب اهتمامه لها مجددًا وهي تكمل بصوت متوتر
بعض الشيء :

انا بقالي سنتين سيياك مقتنع إني رفضتك عشان
شايفاك اخويا والكلام ده كله، بس ده مش صح .. انا
ولا رفضت عشان كدا ولا رفضت عشان فيك عيب
بردو خالص، بالعكس ده انا بشوفك أحسن راجل في
الدنيا

راقبت انتباهه معها والتمعت عينيها بحزن دفين :

انت عزيز عليا اوي يا عز اكثر مما تتخيل، طول
عمري شايفاك تستاهل تبقى مرتاح ومبسوط .. وانا
مش هتلاقي معايا الاتنين!

ظهر التساؤل فوق قسماته فسردت ما تعنيه :

_انت هتعاني معايا، وانا مش أنانية عشان اخذك
لنفسي وانا عارفة إن العُقد اللي جوايا هتخلّيك عايش
في قرف وكآبة، وهتندم في الآخر إنك ضيعت حياتك
جنبي ..

واستطردت بسخرية :

_انا مش البنت المُرِيحة اللي هتعيش معاها حياة
زوجية سعيدة مليانة حب وهنا .. لأ انا مش كدا، انا
دماغي بتوديني وتجبيني وأقل كلمة هتقولها دماغي
هتترجمها لمليون حاجة وأصغر تصرف هيطلع منك
هحس إنك مش بتحبني.. وهقعد اعيط واسألك كل
شوية بتحبني ولا لأ وهتسييني ولا لأ، لحد ما تتخفق
وتكرهني

تراكمت الدموع بين جفنيها وتابعت بصوت مهتز :

انا مكنتش عايزة أوصل معاك لمرحلة إنك متبقاش
طاقتي يا عز، صعبة عليا اوي الفكرة دي

لأذ بالصمت للحظات واعتلته ابتسامة جانبية يائسة
وهو يقول :

مريم انا مش لسة عارفك من تلت اربع سنين ولا
٢٠ سنة حتى .. انا معاكي من يوم ما فتحتي عينك
على الدنيا، عارف كل تفاصيلك حتى اللي انتِ مش
واخدة بالك منها أصلاً، كبرنا مع بعض وانا فاهم
كويس طبيعة كل عقدك ومشاكلك، ورغم كل ده قلبي
مختارش غيرك

سكت لثانية ثم نطق بصدق، وحبّه يتأرجح بين
حذقيته :

انتِ دايماً شايقة كل البنات أحسن منك، بس عنياً
عمرها ما شافت واحدة أحسن منك!

أطلق زفيرًا مهمومًا ثم صرّح قائلاً :

_لما رفضتيني واتحطيت قدام واقع إني لازم انساكي،
حاولت ابص لعيوبك واركز فيها عشان اتقفل منك
شوية واطلّعك من دماغي، بس معرفتش ..
كنت بلاقي نفسي مبتكرش حاجة غير ضحكك
وكلامك وهزارك وعيونك وحبك للقطط وشكك وانتِ
بتجري وراهم كل ما تشوفيهم ..

تأمل وجهها البرئ الفاتن وزرقة عينيها التي تنافس
لون البحر الصافي، وأردف بصدق وولع :

_انا حبيتك بجد يا مريم مش مجرد انبهار أو إعجاب
وخلص .. حتى عُقدك اللي خايفة منها دي انا عمري
ما حسيت إنها هتتعبني، بالعكس انا كنت متأكد إني

هعرف اتعامل معاها واعيشك مطمئنة ومتأكدة إني
مش هسيبك ..

وأردف بصوت يغمره اليأس :

_ازاي هسيبك أصلا وانا كل يوم بتمنى من ربنا
يجمعني بيك حتى وانا فاقد الأمل! .. كنت برجع اقول
لأ بردو ربنا قادر يزرع حبي في قلبك حتى لو اللي
بيحصل حواليا مبيقولش كدا .. ازاي هاجي في الآخر
استغني عنك بعد ما تبقي في ايدي؟؟

تأثر فؤادها وتذبذبت عواطفها بكلماته، حتى بث
بأوصالها اضطراباً شديداً لم تجد منه مخرجاً سوى
الهروب، فسارعت بالتهوض وهي تقول بتوتر
واضح:

معلش انا مضطرة امشي دلوقتي

وقف عز وأسرع يعيقها عن التحرك بامساک معصمها
وهو يقول :

استتي انا لسة مخلصتش!

التفتت لتتظر له وقبل أن تُبدِ اعتراضاً سبقها هو
برمي سؤاله فوراً :

هو لو خوفك ده مكانش موجود كنتِ قولتيلي
موافقة أول ما طلبتك؟؟

طرح سؤاله مباشرة ليكتم أنفاسها في حفرة التوتر
أكثر، ظلت محدقة إياه بتشتت يكاد يفتتها .. هربت كل
الحروف من لسانها حتى لم يتبق شيئاً ليساعدها في
الرد .. لم تجد أي رد تجيبه به سوى أنها أفلتت من
قبضته وخرجت مسرعة لتفر من هذا الوضع الذي

يضغط على عقلها، وتركته يراقب مغادرتها بأعين
حزينة تائهاة

*

*

*

دخل حازم بخطوات ثابتة إلى مكتب عامر بعدما سمع
إذنه بالدخول، مرتدياً ملابس رسمية; بنطال أسود
وقميص سماوي وسترة كلاسيكية سوداء، ويمسك
بيده ملفاً ما ..

تحرك صوب عامر قائلاً برسمية :

مساء الخير يافندم

أجاب عامر بعدم اهتمام وهو يصب أنظاره إلى شاشة
الحاسوب المحمول :

مساء النور

وضع حازم الملف أمامه ثم عاد خطوة للخلف وضم يديه ببعضهما أمام بطنه وهو يقف بظهر مفرد وقامة مستقيمة :

جمعت لحضرتك كل معلومات الشركة الجديدة قبل ما نتفق معاهم
ورأيك ايه؟

أجاب حازم بعملية :

بصراحة انا شايف إنهم مش سالكين وهيتعبونا، في حاجات عرفتها عنهم غير اللي قالوها يوم الاجتماع .. هي مش حاجات كبيرة يعني بس كونهم مش واضحين من الأول يبقى قلق، وحضرتك أدري بردو وتفهم عني

أوماً عامر بهدوء مجيباً :

__ خلاص انا هشوف المعلومات دي الأول وبعدين
هقول لك قراري تبلّغهم بيه

__ تمام

رفع عينيه عن الشاشة متسائلاً :

__ زياد مختفي اليومين دول ليه يا حازم؟

أجاب بهدوء :

__ طلب أجازة وخذها يافندم

__ ده ليه؟

مقالش حاجة، هو قال لي ضروري بس

رد عامر بصرامة قوية :

وانت من امتي بتدي أجازات لحد من غير سبب
واضح؟!!

أدرك حازم أن عامر يشك بأنه يتهاون مع زياد؛ كونه
صديقه، فأجاب بنفس نبرة الاحترام :

يافندم حضرتك عارفني مش بتساهل مع أي حد،
بس انا توقعت أصلاً إني لو رفضت ادّهاله ممكن
حضرتك تضايق منّي يعني ..

لا مش هتضايق، أي حد بيشتغل هنا زيه زي الباقي
حتى لو ابني ..

أوما حازم بفهم، وقال :

_تحت أمرك ، وعموما هو قال لي مش هيطول إن
شاء الله وهيرجع على طول

أعاد عامر بصره إلى الحاسوب وهو يقول بضجر :

_ابقى استعجله شوية لما تشوفه، مش انا اللي هروح
اشتغل بداله!

*

*

مرت عدة أيام لم يبالِ خلالها فخر بشئ سوى بأخيه،
يذهب لعمله ثم يعود ليظل بجواره طيلة اليوم تقريبا
ويحرص على تنفيذ كل تعليمات الطبيب فيختنق زياد

ويتشاجر معه كلامياً فيعانده فخر ويظلاً هكذا طوال
النهار والليل يتناكفان كالأطفال الصغار ..

وقد شاركهم ياسمين بحضورها لبضعة ساعات بعد
انتهاء يومها الدراسي، بالإضافة لمريم، ليجتمعوا
الأربعة بغرفة زياد يتسامرون ويضحكون ويتحدثون
بعده مواضيع _ لا تحمل أمر عملية زياد بالطبع لعدم
معرفة مريم _ ، ويقضون وقتاً خفيفاً يهون على كل
واحد همّه قليلاً ...

•
•
مساء إحدى الليالي الساكنة ..

•
ارتفع صوت مريم تأذن بدخول الطارق على غرفتها
وهي تجلس فوق سطح الفراش، راقبت فتح الباب
حتى ظهر من خلفه فخر بابتسامة هادئة على وجهه،
فاتسعت ابتسامتها وقالت :

_ تعالیٰ یافیرو ادخل _

أغلق الباب من خلفه ثم اقترب منها وجلس على
طرف السرير وسألها :

_ عاملة ايه؟ _

_ الحمد لله _

رمقها بعدم تصديق وقال :

_ أكيد؟ _

ردت ضاحكة :

_ ليه لأ يعني؟ _

_ يمكن حوار إيد لسة بتفكري فيه وّلا حاجة

تغيرت ملامحها والتزمت السكوت لثوانٍ، واستدركت
قائلة بيقين :

_ عز قال لك

_ لأ خالي، انا عارف من فترة بس اترددت آجي اكلّمك
عشان مفكر كيش واضايقك ..

سكت قليلاً ثم قال :

_ بس انا معرفتش اكبر دماغي يامرّيم، انا زعلان
منك فعلاً ومش هعرف ارتاح إلا لما اعاتبك

تطلعت له باهتمام، فتابع :

_طول عمرك لما بتحصل لك اصغر مشكلة بتجري
عليا .. ايه اللي اختلف المرة دي؟ ليه معرفتتش؟!!

تتفست بهم وأجابت بحزن :

_خوفت يافخر .. انا كنت عارفة إنك مش هتسكت له
وخوفت يتغاظ ويتشجع يعمل كدا

_مكانش هيعرف يعمل لك حاجة لو كنتِ صدرتيني
انا! انا كنت هعرف اوقفه عند حده

تضاعف الحزن على وجهها وهتفت بحيرة :

_فخر انا صداع اوي ومشاكلي مقرفة .. مش عايزة
ابقى ثقيلة عليك واخنقك، انت استحملت مني كثير
من واحنا صغيرين لحد دلوقتي

رد مستنكرًا :

_ تخنقيني ايه يامريم؟ ايه العبط ده؟

_ انا المفروض خلاص كبرت واحل مشاكلي لوحدي،
مش كل ماتحصل حاجة اجيلك زي العيال كدا

_ و طالما انا موجود ليه تضطري تحليها لوحداك؟ ليه
منحلّهاش سوا؟ ، مشكلتي مشكلتك ومشكلتك
مشكلتي .. احنا متعودين على كدا من زمان

_ ومشاكلي طول عمرها أكثر من مشاكلك وانت
عمرك ما بتتكلم عشان متزعّليش، حتى لو مزهقتش
دلوقتي هتزهق بعدين وتجبب آخرك منّي
أجاب نافيًا كلامها :

_ لا يامريم انا مبتكلمش عشان عمري ماحسيت كدا
أصلا، بالعكس انا ببقى مبسوط وانا حاسس إنك

بتتحمي فيا وبعرف اطمنك .. اللي هيزهق ده يبقى
حد مبيحبكيش يا مريم وانتِ أغلى عندي من أي حد

سعدت بجملته الأخيرة بينما تستمع له يتابع :

_متفكريش كدا تاني لو سمحتي .. انا الحاجة الوحيدة
اللى هتضايقتني إنك متجيش تحكي لي حاجة، بس كدا

اتسعت ابتسامتها بارتياح وسرور، واقتربت منه
معانقة إياه بقوة ..

ابتسم فخر وأحاط ظهرها بذراعه ليضمها إلى صدره
بحنان، فيما رفع يده الأخرى يربت فوق شعرها
بأنطف ..

لم تشعر طوال حياتها بأنها هي الأخت الكبرى، بل
على العكس لطالما أحست أنها أخته الصغيرة المدللة

التي تنتظره كل يوم ليحضر لها الشوكولا والحلوى ..
لم يفارقها يوماً ولم يتجاهل أي شيء أحزنها مهما كان
صغيراً .. منذ نعومة أظافرها وهي تركض إليه وتجده
يفتح لها ذراعيه بكل ترحاب ..

كل حاجة في حياتي مكانتش هتعدّي من غيرك
يا فخر .. انا مبسوطة إنك موجود وعمرك ما سبت
الظروف تطلعك وحش

نطقت كلماتها وهي تقصد أبيها بكلمة "الظروف" ..
ارتعدت طوال حياتها أن يترك بصمته في أخويها
ويصبحا مثله ..

معاناتهم السابقة مع والدهم وحياتهم المزرية التي
لا تزال محفورة بداخلهم حتى هذا الوقت، وتلك
السنوات التي لم يروا فيها سوى نقطة بيضاء صغيرة
وسط بحر من الظلمة والقسوة ..

ليست بالظروف المشجعة لأحد بأن يكبر مستقر
نفسياً، ولكنهم سعوا بكل قوتهم حتى نجحوا .. لم
تختلف بعض الجروح حتماً ولكنهم يتأقلمون جيداً ..

أبعدها عن أحضانه بتمهل وابتسم لها بحنوّ ثم قبل
رأسها بهدوء، قبل أن يختم الحديث قائلاً :

_تصبحي على خير ..

خرج من غرفة أخته متجهًا إلى غرفته، أخرج هاتفه
من جيب بنطاله القطني بعدما شعر باهتزازه يعلن عن
رسائل وصلته .. فتح الشاشة ووجد أن المرسل هي
جهاد

لا يعلم ما تلك الارتجافة الداخلية التي تصيبه كلما
حضرت سيرتها، رغم أنها لا تخرج من رأسه ولو
لدقيقة ..

كان مترددًا في فتح الرسائل ولكنه عندما رآها من
خارج التطبيق، وجد أنها تشاركه موقعًا ما يصحبه
رسالة صوتية .. ترددت الكثير من السيناريوهات
بداخل عقله؛ أبرزهم ماذا إن حدثت لها مشكلة أو
أصابها مكروه ..

فتح التطبيق ثم فتح المحادثة واستمع لصوتها ..
اعتراه التعجب الشديد فور سماع نبرتها؛ كان يبدو
عليها أنها تواجه صعوبة في تجميع حروفها ولسانها
ثقيل يجاهد لينطق الكلمات :

المكان ده انا اول مرة اروح له بس .. بس عجبي،
ج.جرب تروح مرة هتتبسط انت كمان، انا .. انا

اتصاحبت على ناس كثير حلوين هنا على فكرة، لو
عايز اعرفك عليهم

لأول مرة يسمع منها هذه الطريقة في التحدث، غلبه
الشك وأسرع يلقي نظرة على الموقع الذي أرسلته،
للتحقق مخاوفه ويكتشف أنه ملهى ليلي .. تضاعف
الذهول على وجهه أكثر و ردد بعدم استيعاب :

_ شاربة !!!!

*

*

*

اقترب زياد من باب غرفته بعدما طرق أحدهم فوقه
وفتح الباب، اتسعت ابتسامته وصاح بترحيب :

_ الفراشة جت!

لوّحت ضحكتها الواسعة على محياها وهي تدخل،
حاملة حقيبة بلاستيكية بين يديها، وقالت :

_ جبت لك مفاجأة مش هتعجبك

قطب حاجبيه بعدم فهم وأغلق الباب، ثم نظر لها
قائلا:

_ انتِ غلطتي في الجُملة؟

أجابت ياسمين وهي تضع الحقيبة على الطاولة :

_ لا مغلطتش هي فعلا مش هتعجبك

_ اوّمال جيبهالي ليه؟

أخرجت محتوى الحقيبة والذي كان عبارة عن طبق
طعام ملفوف بورق معدني "فويل"، وأجابت :
_ عشان لازم تاكله

سرعان ما أدرك وصاح باعتراض شديد :
_ سمك !!

نظرت له وضحكت :
_ ايوة

_ سمك بالليل يا ياسمين؟

_ يعني لو الصبح هتاكله وانت فرحان؟؟

همهم وهو يتجه للجلوس على الفراش :

_ ياريتني ما فتحت لك

ضحكت واقتربت منه حتى جلست بجواره، وقالت :

_ انا عملته بنفسي على فكرة

أجابها بضجر :

_ مش هاكله متحاوليش، انا بقالي كتير جاي على نفسي وبطفحه كل شوية لحد ما ست سحر شكت إنني كائن بحري، خلاص زهقت بقي

لوت شفتيها بإحباط وأجابت بحزن :

_ ده انا كنت هفصصه لك بإيدي!

رمقها بجانب عينيه مطولاً، ثم نطق عابثاً :

_ هتفصصيه بس؟

ردت باستتكار :

_ عايزني از غطك كمان؟

_ وفيها ايه؟ مش عيان وطالع من عملية وحقى آكل

من إيدك؟

_ ليه انت صغير!؟

_ لأ انا اللي بحب اتدلع

ارتفعت ضحكتها بعدما شاكسها بتلك الجملة التي
قالتها له سابقاً، ثم أشاحت بنظرها تتطلع من حولها
بتفكير، ثم قالت :
_بس هتاكله كله

ضحك واشترط قائلاً :
_لو طلع مش محروق!

*

*

*

ارتفعت أصوات الأغاني الصاخبة أكثر بمجرد فتح
باب المكان ليدخل من خلاله فخر .. وقف قليلاً لتدور
عينيه في الأرجاء بتعجب وانزعاج شديد من هذه
الأصوات التي تكفي لتعطيل وظيفة أذنيك لثلاثة أيام
على الأقل ;حقاً كيف يتحمل أحدهم الجلوس في هذا
الضجيج والإزعاج أكثر من ربع ساعة!

أصوات عالية بشكل مبالغ وأضواء ملونة تتلاعب في
الساحة لتصنع جواً منعشاً .. هناك من يرقص في
الساحة وهناك من يجلس جانباً مكتفياً باحتساء
المشاريب .. شاب يتودد لإحدى الفتيات ؛ رغبة في
التعارف، وآخر ملأ بطنه بالكحوليات حتى استقر
مغشياً عليه في الزاوية ..

ظهر التقزز على وجه فخر وهو يسير من بينهم
بتمهل ويراقب الجميع بصمت تام، رائحة النبيذ
والسجائر وكل ما لذ وطاب من تلك المواد
المخدرة تعم المكان حتى أصبحت غير محتملة ..

لم يكن يراقبهم لإعجابه بهم بالطبع، ولا اهتماماً
باستتكار أفعالهم حتى، فليفعلوا ما يشاؤون
وليحترقوا جميعاً .. فقط عينيه مهتمة بالتركيز في
وجوههم بحثاً عنها ليس إلا، وأفكاره تتضارب بداخل

رأسه محاولاً استيعاب أنها بالفعل تجلس وسط هولاء
السفهاء ..

بحق الله، ماذا أصاب عقلها حتى تأتِ إلى مكبّ
النفايات هذا !!

التقطها بصره أخيراً، ووجدها جالسة على "البار"
تستند عليه بذراعها، ويدها الأخرى تتمسك بـ
مشروبٍ ما تحتسيه بصمت وهي تشاهد الجميع
بأعين شبه مغلقة ومتعبة .. حتى الكوب ترفعه
لشفتيها بصعوبة وكان يدها تخدّرت ..

سارع بالتوجه إليها ووقف أمامها يقول بغضب
مختلطاً بالذهول :

_جهاد!! ، ايه اللى بتهيبه ده !؟

نظرت له وقد أخذت لحظات لتستطع تحديد هويته
بسبب آثار الثمالة مع عدم ثبات الإضاءة التي تعلو
وتتطفئ أكثر من مرة في الثانية ..

فغرت فاها بضحكة واسعة وصاحت بسعادة :

_ايه ده فخر! انت بتيجي هنا؟! انا مشوفتكش انت
كنت قاعد فين؟؟

عقد حاجبيه باستغراب شديد .. هي من راسلته أصلاً،
ألهده الدرجة غاب عقلها !

تغيرت معالم وجهه إلى الغضب، وانتشل الكوب من
يدها فجأة ووضعها جانباً، ثم أمسك برسغها محاولاً
جذبها معه :

_يلا احنا لازم نمشي

قاومته باعتراض قائلة :

_ليه؟ لسة بدري

حدجها بحدة قوية وصك على أسنانه وهو يقول :

_بقول لك هنمشي حالاً!

قبل أن يأخذ منها ردًا كان انتباهه قد تصوّب نحو أحدٍ

ما يقترب منها وهو يقول :

_ايه ياچوچو، مش تيجي تقدي معانا شوية؟؟

رمقه فخر بعينين ضيقتين محاولاً استيعاب ما وقع

على مسامعه للتو .. هل دلّها حقًا أم أنه أخطأ السمع

؟! ، ليته فقط تأثير الأغاني الصاخبة على أذنيه حتى

لا يقوم بدفنه الآن!

فرّق نظره بينها وبين هذا الأحمق مرتين، حتى استقر
بصره عليها مرددًا بتعجب وكأنه يتأكد مما سمعه :

جوجو؟!

وقفت جهاد بجانب فخر وهي تخاطبه بصوت ثقيل :

معرفتكش .. ده ميدو، لسة عارفاه النهاردة

ثم نظرت لـ "ميدو" وقالت :

فخر .. My ex !

أردفت كلمتها الأخيرة وهي تضحك ضحكة مرتفعة
غير واضح إن كانت من الثمالة أم أنها سخرية،
ولكنها حتمًا غير واعية ..

بينما تطلع لها فخر بدهشة مما يراه ; ما الذي حدث
لجميلته المشاغبة ذات العيون الكحيلية؟

أكلّ هذا بسبب حديثه معها يوم حضرت إلى منزله؟ ..
لم يلحظ أن كلماته من الممكن أن تكون قاسية إلى
هذا الحد! .. سيقوم بصفع نفسه فعلاً إن كان هو
السبب في جعلها تئأس لدرجة المجئ إلى هذا المكان
الذنيء ..

انتبه لصوت هذا المدعو "ميدو" يخاطبه قائلاً :
_ انت فخر؟ دي قارفانا بسيرتك من بدري ..

وتابع وهو ينظر لجهد بابتسامة لئيمة ونظرات
غريبة :

_ بقى يهون عليك تزعل القمر ده ياعم فخر؟ ازاي
مش مقدر قيمة الجوهرة اللي فى ايدك؟

احتدت نظرات فخر بوضوح واستعد بركان غضبه
للاتفجار ؛ هل أصبح هذا النكرة هو من يُقدّر قيمتها
أكثر منه؟ كيف يتجرأ على مغازلتها هكذا من
الأساس؟ هذا مرفوض! ..

غير مسموح لأي مخلوق بالنظر حتى لأثيرة الكحل
خاصته، مهما بلغت أهميته ..

ليذهب خلفه معها إلى قاع جهنم الآن ؛ فحتى كبرياءه
لا يستطيع أن يجعله ينكر فكرة أنها تخصّه .. وهو لا
يقبل بلمس أي حد لأي مما يخصه!

اقترب منه فخر بتمهل حتى وقف أمام وجهه مباشرة
وهو يطالعه بنظرات مشتتة، انطلقت حروفه بحدة
يصحح له كلمته بنبرة جامدة ومخيفة :

مهندس فخر!

وسرعان ما ألحق كلمتيه بـ ضربة رأس قوية وجّهها
لهذا التافه فجعلته يقع أرضاً، ولم يسمح له حتى
باستيعاب ما حدث، بل انحنى صوبه ليرفعه من
ملابسه حتى صدمه بطرف "البار" وانهاه عليه بعدة
لكمات عنيفة؛ نبعت من غيرته المشتعلة التي أعمته
عن أي شيء آخر، لم تكن هناك أي فكرة تدور برأسه
غير أن هذا الحقير يحاول التقرب من زهرته وأن
يأخذ مكانه!

كان الجميع قد التف حولهما مترددين في التدخل
والانخراط مع هذا الغاضب الذي يبدو أنه سيقوم بهدّ
المكان فوق رأس ذلك المسكين الذي لا يجد فرصة
للدفاع عن نفسه، بينما وقفت جهاد مشدوهة تحديق
فيما يحدث بنظرات مذهولة يتخللها التعب وصعوبة
فتح عينيها ..

اكتفى فخر من تسديد ضرباته له _ أو للدقة هو لم
يكتفِ فعلاً، ولكنه توقف فقط حتى لا يتسبب بقتله
، و أمسك به كالدجاجة وأعادته للخلف قليلاً، ثم وبكل
قوته أزاحه فوق سطح البار ناحية النادل ليقع من
خلفه على الأرضية ويسارع النادل فى التراجع للخلف
بفرع، وقد ساهم بالطبع فى تهشم كل الأكواب التى
كانت تعلى البار ..

لم يبالِ بأي نظرات مندهشة أو مذعورة من حوله،
واتجه صوبها ليمسك برسغها بقوة ويسحبها معه
عنوة إلى الخارج، متملصاً من بين الجميع

خرجا من المكان إلى الشارع الخالي من الناس
؛لتطرف تلك المنطقة عن الشوارع الحيوية، ثم توقف
ونظر لها ينهرها بغضب :

_انتِ من امتي بتيجي أماكن زي دي ياجهاد!!

ردت مدافعة عن نفسها بلامبالاة، بصوتها المتعب :
_دي أول مرة

_هي هبت منك ولا ايه؟

زجرها بحدة شديدة، فلم يبدُ عليها رد فعل سوى رفع
كتفها بعدم اكترات وهي تجيب :

_انا كنت عايزة مكان افصل فيه وسألت اصحابي
قالولي آجي هنا

_اصحابك اه!

ضحك بسخرية، ثم أردف :

**_مفیش حد جايك ورا غير اصحابك دول!، ولسة
متمسكة بيهم معرفش ليه**

ثم استطرده بحنق شديد :

**_اصحابك دول لو بيحبوكي من الأول مكانوش
هيحسسوكي إنك مش شبيههم .. مكانوش هيخلوكي
طول الوقت عايزة تبقي احسن منهم وأهم منهم في
كل صغيرة وكبيرة، فوقي لنفسك وبطلّي تمشي وراهم**

أجابته دون أن تحفل للأمر بقدر ذرة :

**_أو يمكن انا اللي عندي نقص ومركزة زيادة عن
اللزوم؟**

**صمت وظل محددًا إياها، ولاتزال آثار الدهول تعلو
وجهه، ثم نطق بعدم تصديق ولوم :**

_ انا عمري ماتخيلت إنك تشرابي يا جهاد! ازاي توصل
بيك كدا؟!

_ ايه مصدوم فيا؟

رددت سؤالها بكل تهكم، ومن ثم واصلت بعدم
اهتمام:

_ انت مش قطعت علاقتك بيا خلاص؟ فارق معاك
دلوقتي في ايه؟

سكتت ثم واصلت بصوتها الثقيل، ونبرتها هادئة
تمامًا تثبت بأسها ورضوخها إلى حيث تُحرّكها
الموجة دون أن تبد أي مقاومة :

_ انا مش فارقة مع نفسي أصلا ، جهاد دي كلها على
بعضها كدا مش فارقة معايا .. اللي هو خلاص بقى ..

همشي سايبه الدنيا تجيبني وتحطني زي ماتحب
واخبط في أي حاجة وخلص

تشتج وجهه باستتكار :

_ايه الاستسلام ده؟ انتِ كويسة ونضيفه ياجهاد، ليه
عايزة تهدي حياتك؟

ردت بشئ من السخرية :

_بالعكس انا بحاول ابنيها ..

واسترسلت بألم مختلفِ خلف معالم اللامبالاة :

_انتوا سبتوني لوحدي وانا مش عايزة ابقى لوحدي
.. كنت عايزة اتعرف على ناس كتير واقعد في دوشة
تسكت دماغي قبل ما اخبطها في عمود واخلص!

هتف بسخط :

ده مش مبرر يخليكي تشربي !

ما انا قولتلك مش فارقة .. افهم الجُملة يافخر! انا
مش مهتمة بأي حاجة .. ببساطة كنت عايزة مكان
يسحبني من التفكير اللى كَل دماغي ومقعدش لوحدي
، واديني لقيته هنا .. بس كدا

صاح بغضب حتى كادت عروقه تنفجر :

ولو حد طمع فيك زي الحيوان اللى جوا ده كنت
عملتي ايه؟ لو حد استغلك وانتِ مسطولة كدا كنتِ
هتتصرفي ازاي!؟

صمتت .. لم ترد بأى شيء .. تحدق في الأرجاء
بعينيها التي تكابد لتظل واعية .. أخذت نظرة عابرة
على وجهه الحانق قبل أن تعود لتطالع كل شيء
حولها مجددًا وهي تحتفظ بصمتها لوقت طويل ..

بعد دقائق استقرت حدقتها عليه أخيراً، وسألته
مباشرة :

_فخر انت شايفني ازاي دلوقتي؟

قطب حاجبيه باستفهام :

_يعني ايه؟

_يعني لسة شايفني بنفس الطريقة اللي كنت بتحبنى
بيها ولا خلاص شغفك ناحيتي راح وقفلت ونسيتني؟

رمشت عينيه أكثر من مرة وشبح ابتسامة ساخرة
علا محياه ;كيف ينساها وقد ملكت عقله حتى أصغر
خلياه .. لا تمر الدقيقة دون أن تمر هي على باله
حتى شارف على فقدان أعصابه..

لم يريحها صمته وأدمعت عيناها، متحدثة بصوت
مهزوز بشدة :

__ هو انا وحشة كدا؟

__ انتِ مش وحشة بس اللي حسيتَه منك كان وحش.

قدّم رده بنبرة محبّطة وسكت للحظات يراقب حزنها،
ثم نطق بعصبية طفيفة، وقد أفرج عن عتاب كتّمه
بداخله منذ يوم افتراقهما :

__ بكل وضوح بتقوليلي انت صغير ومالكش لازمة
غير إنك تحسّن صورتِي قدام اصحابي .. مجرد
"شيء" عايزة تحركيه بمزاجك وفي الآخر هترميه

حملت نبرته الكبرياء والغرور وهو يواصل :

_ انا مبقبلش ده ياجهاد، انا قيمتي كبيرة اوي أكبر
من أى حد تعرفيه فى حياتك .. وانا مبتمسكش بحد
مش عارف يقدرها !

وأضاف بغضب :

_ لقيتني في الآخر مش مهم عندك زي ما انت مهمة
عندي ومعرفتك بيا حصلت عشان تخدم عقدة غبية
عندك مش اكثر !!

تتهد بعد لحظات انفعاله وصمت لعدة ثوانٍ، ذلك
عينيه بتعب ثم ردد بحزن :

_ انا طلعت بالنسبة لك ولا حاجة

_ انت بالنسبة لي كل حاجة!

ألقت ردها فورًا وكأنه كان جاهزًا، فنظر لها والتمزم
بصمته .. فيما تابعت هي :

_ انت قيمتك عندي أكبر من اللى ممكن تشوفها من
اصحابك وقرائبيك، حتى أهلك!

بدأت العبرات تتسال على وجهها وتحدثت بصوت
مغلف بالبكاء والوجع :

_ انت ليه مش حاسس بيا؟ .. فخر انا شايفاك حاجة
كبيرة لدرجة إنها مش هتسيب الناس كلها وتبقى فى
ايدي .. فاهم يعني ايه شايفة نفسي أقل منك
ومستكتراك عليا؟ طول ما الاحساس ده فى دماغى
مكنتش هعرف اصدق إنك هتفضل معايا على طول..
خوفت اتعشم وبعدين تبطل تحبني .. خوفت من
الضلمة اللى هبقى فيها بعد ما تسيبني وانا راسمة
حياتي على أساس وجودك .. مكنتش هقدر اتعلق بيك
وبعدين الاقايك سبتني ..

مكنتش هستحمل والله قلبي ساعتها ما كان هيقدر
يكمل من غيرك

لمست كلماتها قلبه وجعلت ثباته يهتز ولكنه لم
يكشفه إلى الخارج وظل صامتًا يراقبها .. يراقب
عيونها الواسعة التي تأسره وتفقده استقراره كلما
تأملها، وقد تأثر جمالها بدموعها التي تنهمر على
وجنتيها كالفيض وهي تواصل التحدث بانهايار
وجنون :

_ انا حياتي بقت جميلة عشان انت دخلتها بس،
مفيش حد عمل اللي عملته معايا .. انا بحبك والله،
والله العظيم ما بكذب، والله ما بكذب ... اديني فرصة
وهتبتلك انا هعمل عشانك أى حاجة مهما كانت كبيرة
والله جربني انا هبقى واحدة تانية

أسرع بأمساک يديها ليهدئ من اضطرابها قبل أن
يحطم توازنها، قائلاً :

**_جهد جهاد! اهدي شوية خلاص، ممكن نروح
دلوقتي ونتكلم بعدين لو سمحتي؟**

**زلزلت كيانه بيكائها المرير وكلماتها الراجية، لم
يسبق له وشهد جميلته تصل لحالة كهذه .. وبسببه!
قبل أن يبدأ بتأنيب نفسه وجدها تخفض رأسها لتخرج
من جيب بنطالها ورقة ثم تنظر له وهي تلتقط أنفاسها
بصعوبة وتقول بضعف وتوسل :**

**_انا لسة معايا ورقتك لحد دلوقتي .. مش بطّعتها من
جيبى أبدا .. مستنياك تيجي وتعملهاى بشكل النجمة
تاني**

**نظر للورقة بحيرة وهمّ .. لم لا يأخذها ليشكل لها
النجمة ويعود كل شئ لأصله؟ ما تلك الغصة
المجهولة التي تقف بينهما !**

شعرت جهاد بألم مفاجئ يعصف بمعدتها ولكنها
تجاهلته وتحدثت منفجرة ببكاء ليس له نهاية. :

انت اكيد شايفني وحشة عشان دخلت حياتك وانا
عارفة إنك خاطب .. بس والله العظيم والله العظيم ما
كان في نيّتي اخذك منها ولا ابوظ علاقتكوا ببعض ..
والله ربنا وحده عالم انا كنت أصلا حابة علاقتكوا
ببعض ازاي، انا متخيلتش إني ممكن اوصل لمستوى
إني اخليك تحبني ده، والله معدّاش على حساباتي أبدا
.. انا كان غرضي واضح لما قرّبت منك و اه كان
غرض اناني وناقص واستاهل اتعاقب عليه كمان،
بس مش هينفع تعاقبني للأبد حرام عليك .. كل الكلام
الغبي اللى قولته مكانش حقيقي والله مش حقيقي انا
اكثر واحدة عارفة قيمتك كويس ..

انقطعت كلماتها المنهارة بتأوه خرج منها بعفوية،
مما أثار قلقه واقترب منها قليلاً يتساءل :

مالك في ايه؟

ارتكز بصرها في الفراغ وهي تجد صعوبة في أخذ
أنفاسها، وكأن هناك أحداً يطبق على مجرى التنفس
ويعيق راحته ..

شعرت بالغثيان وهرولت إلى جانب الحائط لتميل
بجذعها وتتقيأ بعنف وتفرغ كل ما يبطنها .. بينما
اقترب منها فخر ووقف بجوارها يطالعها بتفحص
وقلق زائد

انتهى القيء في النهاية بسعال قوي ممزوج بأنين
خافت متقطع، قبل أن تعتدل وتتصب واقفة بعدم
ثبات، فأخرج هو من جيبه منديلاً ورقياً وأعطاه لها
وهو يتساءل باهتمام :

ايه اللي حصل؟

لم تجبه وأخذت منه المنديل ورفعته إلى وجهها بعدم وعي، فلم يقترب المنديل من فمها بل اتجه إلى أذنها، فأمسك فخر بيدها ليوجها إلى شفيتها صائحًا بملل :

رايحة فين بوك هنا!

مسحت فمها وأنفاسها لاتزال مشتتة غير منتظمة، سرعان ما اختل توازنها وكانت على وشك الوقوع أرضًا، لولا يده التي أنقذتها وأمسكت بذراعيها، هاتفًا بفرع :

مالك ياجهاد !!

أطرقت رأسها للأسفل بسبب الدوار القاتل الذي أصابها، ونطقت بخفوت وتألم :

انا مش كويسة .. مش كويسة خالص

اهتزت قدميها أكثر وزاد ثقل جسدها حتى أوشكت
على أن تهوي أرضاً ولكنه أسرع بإحاطة خصرها
بيميناه ليجعلها تقف رغماً عنها :

_ اقفى يا جهاد اسندي نفسك! ، حاسة ب ايه طيب
عرّفيني

نظرت بداخل بُنيّتيه القريبتين منها، عينيها تكابد
لتظل مفتوحة وهي ترى قلقة ينهش ملامحه وخوفه
يقفز من وجهه بوضوح .. تشوشت صورته أمام
عينيها وانسابت أعصابها، فما ان لاحظ شروعه في
إغلاق عينيها ودخولها في حالة إغماء حتى صاح
باعتراض :

_ لا لا لا جهاد لا فوقى!

ولكنها لم تستجب له وغالبًا لم تسمعه أصلاً وارتخى
جسدها بين يديه باستسلام تام، فلم يكن سوى أنه
أحكم يده على خصرها ووضع ذراعه الأخرى أسفل
ركبتيها ليحملها بين ذراعيه ويتجه إلى سيارته....

*

*

*

وقفت بسمة أمام نافذة الغرفة الكبيرة تراقب سيارة
عامر التي اصطفت بداخل ساحة المنزل وترجل منه
متجهًا إلى المنزل، عقدت ذراعيها أمام صدرها وظلت
كما هي منتظرة حتى يأتيها، وعينيها تحرق أمامها
تعلن عن نية حقيرة وخبيثة تنوي تنفيذها..

بضع دقائق حتى شعرت بخطواته تقترب من الباب
فتحوّلت ملامحها من التوعد والشر فجأة إلى
الانكسار والبكاء وقلّة الحيلة، ورسمتهم على وجهها
ببراءة وهي تركض إليه بعد دخوله لتلقي بنفسها
بأحضانها وهي تبكي بقوة :

_عامر الحقني انت فين وساييني من بدري،
متسبنيش في البيت ده تاني انا مش هقدر استحمل
اكثر من كدا خلاص

تساءل عامر بعدم فهم :
_في ايه حصل ايه؟

خرجت من أحضانها وهي تحاول تنظيم تنفسها
المضطرب، و براءة متقنة تغلف ملامحها وصوتها :

_ انا بقالي كتير مستحمة اللى بيعملوه معايا ولادك
وبسكت وبقول لنفسى معلى عدي عشان جوزك
وبلاش تعملي مشاكل .. استحملت عناد فخر بالذات
ومحاولاته طول الوقت إنه يضايقتني ويطلعني وحشة
عشان تكرهني .. بس خلاص بعد اللى حصل ده انا
مش هقدر اعيش مع البني آدم ده فى بيت واحد
انتهت كدا

نطق عامر بنفاد صبر :

_ ماتفهميني عمل لك ايه يابسة وبطلني نواح!

صاحت بكل غضب و قهر :

_ ابنك المحترم حاول يتحرش بيا يا عامر !!!

يتبع..

الفصل الثاني والثلاثون {رأسًا على عقب}

_بس خلاص مش قادر، فيّصت

**نبس زياد بكلماته وفمه لم يفرغ من الطعام بعد، بينما
أمسكت ياسمين بقطعة أخرى من السمك وقالت :**

_طب دي بس!

_ لا لا كفاية

_ اسمع الكلام!

نظقت أمرها بحدة وهي تحشر اللقمة بفمه رغماً عنه، فطالعتها بحنق ومضغ الطعام على مضض ثم قال بصوت مكتوم بسبب كثرة الطعام :

_ دي اللي فرقت يعني؟

جهزت لقمة أخرى وهي تقول :

_ انت قولت هتخلصه كله أصلاً، نفذ كلامك ..

رفعت القطعة الثانية ناحية شفثيه، فأسرع يهز رأسه بالنفي أكثر من مرة مجيباً :

_ والله ما ...

لم تسنح له الفرصة لتكملة الجُملة ؛حينما وضعتها
بفمه فوراً، فأزاح يدها بغضب وهو يغمغم باعتراض
.. فيما جلست تضحك، ثم بدأت تلملم بقايا الطعام
والمناديل وغيرها، وهي تقول :

__ عشان تتغذى وتخف بسرعة

__ انتِ بتفطّسيني كدا مش بتغذيني!

ضحكت ثم وضعت الطبق بالكيس ونهضت لتلق
النفائيات بالسلة المجاورة للسريـر، ثم شرعت بمسح
يدها بمناديل مبللة وهي تقول :

__ طب انا همشي بقى عشان متأخرش

أمسك بكوب الماء ونهض يقول :

_استني هوصلك

شرب الماء وهو يستمع لها تعترض :

_لا طبعاً انت مينفعلش تتحرك من البيت دلوقتي

وضع الكوب الفارغ على المنضدة وهو يقول :

_ياستي ما انا كويس عادي

ليتفاجأ بصوتها الغاضب يثير فزعه فجأة :

_بطل الاستهتار بتاعك ده متعصبينش !!

فأسرع يقول :

_طب خلاص خلاص، مالك بقيتي عصبية كدا ليه؟

ثم أضاف :

_ خلاص استني فخر لما يجي يوصلك بالعربية

اتجهت صوب الأريكة لتحمل حقيبتها وتعلقها على
كتفها :

_ لا لا انا هطلب اوبر عادي

_ مينفعش تروحي لوحدك!

_ هو انا صغيرة يازيزو؟

واستطردت بضيق وعدم رضا :

_ وبعدين انا ما صدقت بقيت حرة عن ماما شوية
عشان تسيبني اتحرك لوحدني .. انا اتعودت إنها معايا
في أصغر خطوة بأخدها وختنتني مش معتمدة على
نفسي ولا فاهمة حاجة في الدنيا وده مش عاجبني،
عايزة اتعود اعمل كل حاجة لوحدني بقي، عايزة
احس إني كبرت شوية

هز رأسه بتفهم وأجاب بملل :

مش فكرة صغيرة يا سو، فكرة قلق .. ما فخر
الشحط بقلق عليه بردو

ضحكت وربتت على كتفه وهي تقول :

متقلقش هكلمك أول ما اوصل .. يلا سلام

*

*

وقف فخر برواق المشفى منتظرًا خروج الطبيب،
يستند بظهره على الحائط ويضع يديه في جيوب
بنطاله .. عينيه مثبتة بنقطة فارغة بالأرضية تعلن
عن غرقه في شروود تام ..

كلماتها تتردد بداخل عقله من أول كلمة حتى آخرها ..
يرى صورتها أمام عينيه وهي تبكي بحرقة وكأنها
خسرت كل شيء .. هشاشتها وعدم رزانة تفكيرها
بعدها تناثرت بقايا الأمل بداخلها حتى لم يعد لها أثر ..

تغير اتجاه بصره إلى الورقة التي احتفظ بها
وأخرجها من جيبه؛ تلك الورقة المعهودة التي لم
تتخلّ جهاد عنها، منتظرة أن يأتيها ويعيدها لشكل
النجمة كما ترجو ..

زفر بهمّ وحزن، قبل أن ينتبه لخروج الطيبة من
غرفتها، فتوجّه إليها يتساءل باهتمام :
_ خير مالها؟ ايه اللي حصل لها؟!_

أجابته الطيبة بأسف :

_ تسمم كحول

ضاقت المسافة بين حاجبيه بتعجب ، أكثرت منه إلى
هذه الدرجة!؟

أردفت الطيبة بعملية :

_بس الحمد لله هي أحسن، حالة القيء دي ساعدتها
وخففت الموضوع، واحنا عملنا غسيل معدة وبقت
كويسة .. هترتاح شوية وإن شاء الله على الصبح
بالكثير هتكون فاقت

أوما فخر بهدوء ونبس شاكرًا :

_الحمد لله، متشكر جدا

•
•
متممة فوق سرير المشفى غائبة إلى عالم آخر ..
يغطيها الفراش حتى منتصف جسدها، يدا بجوارها

والأخرى على بطنها .. فقدت خصلات شعرها
السوداء ترتبها وتناثرت على الوسادة بعشوائية ..

شغل فخر المقعد الصغير الذى يجاور السرير مباشرة
وتعلقت عينيه بها .. يتأمل ملامحها المرتخية وهي
مستسلمة لخروجها عن الواقع، يظهر الإعياء
بوضوح على وجهها ويعن التعب حصاره حول
قسماتها ..

ولكن عجبًا ! لازالت رائعة ..

حتى مع شحوبها ووهنها لم تتنازل عن رونقها _ في
نظره _ ، لا يزال يرى بساطة وجمال وجهها الهادئ ..
لا يزال يراها بقلبه!

ارتسمت فوق ثغره ابتسامة صغيرة هادئة وهو يتذكر
جملة كتبها سابقاً، وترددت بين شفثيه دون وعي :

"دُمتِ بهيَّة يا أثيرة الكحل"

مرت بضع ثوان دام خلالها الصمت التام .. لم تبعد
مقلتيه عنها وكأنها ستعرض لشيء ما أثناء نومها
ويجب مراقبتها ..

ولكن واقعياً لم يكن ذلك إلا لاشتياقه لها وحسب ..
بالفعل لا يدرك أحد كم اشتاق لعينيها الكحيلّة
وحركاتها المجنونة وضحكتها الواسعة التي تتسبب
في انغلاق عينيها بشكل عفوي ساحر ..

لاحظ فجأة ارتجافة جفنيها تشير لاستعدادها بفتح
عينيها .. لم تقدر حتى أن تفتحهما بالكامل، وكان

هناك أحد يضغط فوقها بشدة، فاستقرت شبه مغلقة،
بالكاد تحدد نصف الصورة ..

تقدم فخر بجذعه صوبها وطالعها باهتمام وتفحص،
رأى شبح ابتسامة صغيرة تعلوها ; لو كان بعيداً قليلاً
لما رآها .. ثم أغمضت عينيها من جديد وخرجت منها
كلمة خافتة غير واعية، بالكاد استطاع التقاطها :

"حبيبي"

ارتفع حاجبيه بدهشة، تزامناً مع اختفاء ابتسامتها
وعودتها إلى غيابها عن الواقع بوهن شديد .. يبدو
أن الإرهاق يقتلها أو أن آثار الكحول لم تتمحي بعد ..

توزعت أنظاره من حوله قليلاً وابتلع جوفه، قبل أن يعود بظهره للخلف كما كان، ثم يركز بصره على الورقة التي بيده من جديد ..

شردت عينيه وهو يحملق بها بسكون تام، إلى أن بدأ تحريكها بين أصابعه ليثنيها بهدوء ويطوي أطرافها بسلاسة وبُطء شديد وكأنه متردد في ذلك ..

طوية .. اثنتان .. ثلاثة، وعشر .. حتى تشكّلت النجمة في النهاية، وبقي يحدقها بصمت وعينين لامعتين بحزن ..

أبعد نظره عنها وتطلع من حوله حتى وقع بصره على هاتفها المستقر فوق المنضدة الصغيرة المجاورة للسرير، سكن لثانية ثم تقدم صوبه وسحبه بيده .. أنار شاشته ليجد أنه مقفل ببصمة إصبعها، فلم يتردد في تقريبه من يدها ثم إمساك إصبعها بهدوء شديد ليضعه على موضع البصمة ..

نجح في فتحه فترك يدها بتمهل، ثم نظر في الهاتف
وفتح رسائل (واتساب) .. اختار منها محادثة مروان
تحديدًا وأرسل له موقع المشفى ثم أرسل كتابيًا :

"مروان انا تعبت وقاعدة في المستشفى لوحدي،
تعالى بسرعة لو سمحت"

ثم أغلق الهاتف ووضعها كما كان، قبل أن ينهض
بهدوء .. بقى واقفًا لبعض الوقت ;يترك لها نظراته
الأخيرة ليشبع عينيه من رؤيتها قبل أن تغيب عنه ..

مال إليها قليلًا، تحديدًا لذراعها الممدد بجانب
جسدها، ووضع نجمته الورقية أسفل كفّها .. أحكم
اختفائها تحت يدها حتى لا تراها الممرضة أو
الطبيبة وتغيّر ان موضعها ؛يحرص كثيرًا أن تستيقظ

لتجدها بيدها وتكون أول شيء تراه سودايتها
الجميلتين ..

رمى لوجهها آخر نظرة وأكثر نظرة امتلأت بحبه
الجارف لها، ثم تحرك وسار إلى الخارج مغادراً

.....

*

*

*

مركز تجميل واسع ومتميز يبدو عليه الفخامة
والشهرة، به العديد من العاملين والكثير من العميلات
ذوات الطبقة العالية بالمجتمع ..

دخلت بسمة إليه بجسدها الممشوق، قسماته محددة
بفستانها الأسود الضيق الذي يصل حتى ركبتيهما
وتصل أكمامه لأسفل مرفقها .. شعرها الطويل ينسدل

على ظهرها وتزين وجهها ببعض مستحضرات
التجميل وتحمل حقيبة من اللون الأحمر مطابقة للون
حذاءها ذو الكعب العالي ..

ويالعجائب القدر، هذا المكان بأكمله يخصها وحدها
؛فقد اشتراه لها عامر منذ مايقارب الأربع سنوات،
بعد وصلات عديدة من الغنج والدلال ورسم البراءة
والصفاء التي اعتادت على خداعه بها ..

اتجهت إليها إحدى العاملات وهي تقول بترحيب :
_ أهلا أهلا يا بسمة هانم اتفضلتي، تحبي اعمل لك
حاجة تشربيهها؟

ردت بسمة بعجرفة :
_ لا شكرا روجي انتِ

نفذت الفتاة طلبها وغادرت، بينما وقفت بسمة تراقب المكان قليلاً، ثم أخرجت هاتفها لترسل رسالة صوتية إلى زوجها تقول :

_عمر يا حبيبي انا نزلت افكّ عن نفسي شوية واشوف اخبار ال beauty center بالمرّة .. مش قادرة اقعّد في البيت بصراحة، نفسيّتي تعبانة اوي وعازية اصفّي دماغي شوية في أي مكان هادي .. متقلّش عليا لو اتأخرت

ثم اغلقت الهاتف وأعادته إلى حقيبتها، وتُغلفها ابتسامة خبيثة؛ تدرك أن عمر يستشيط غضباً الآن ويستعد لتفجيرهِ بوجهه فخر بمجرد دخوله من المنزل ..

تقع نفسها أنها حقاً تريد الترويح عن نفسها، إلا أن السبب الحقيقي وراء هروبها من المنزل هو خوفها

من فخر .. تعلم بداخلها أنها لو كانت حاضرة للموقف
لكان انتهى أمرها أسفل غضبه وجنونه، ولكنها تنكر
وتدّعي القوة وعدم الاهتمام

*

*

دخل فخر من باب المنزل وأغلق الباب من خلفه،
وضع المفاتيح بجيب بنطاله وسار صوب الدرج ..
رأى أخيه يهبط من الأعلى بتمهل وتقابلت أعينهما،
فنطقا الاثنان معاً بنفس اللحظة :

"ايه ياسفيه يامراهق/أهلا ياواغد يافاسق"

ضحك زياد ونزل حتى وقف عند آخر الدرج وهو
يتساءل بفضول :

كنت فين؟

أزاحه فخر من وجهه مجيبًا :

وانت مالك!

فخر!!

صوت عامر الغاضب صدح بالأرجاء فجأة بعدما خرج
من غرفة مكتبه

غلب كلاهما التعجب من نبرته الغريبة، واستدار فخر
لينظر له باستفهام، فلم يلبث عامر حتى اقترب منه
بخطوات ثابتة والغضب يرسم علاماته فوق قسماته،
إلى أن وقف أمامه وهوى على وجهه بصفعة قوية
مفاجئة ..

اتسعت عيني زياد بذهول لدرجة أنه تسمّر بموضعه
دون حركة؛ فقط يفرّق عينيه بين أبيه وأخيه

نظر فخر لعامر بنظرات تحمل عدة ردود فعل مختلفة
وغامضة؛ أبرزهم التعجب وعدم الفهم ..

لقد مرت أعوام .. أعوام كان يتجنب والده فيها قدر ما
يمكنه بعدما دُفنت تلك الفترة التي لم يشهد بها سوى
الضرب والإهانة والظلم .. أعوام يحاول خلالها
التعافي من تلك الأيام المظلمة، والآن يريد عامر
إحياءها؛ وبصفحة واحدة استطاع أن يلقي به إلى
حفرة الماضي بعدما خرج منها سالمًا بمعجزة .. أو
"شبه سالم"

أمسكه عامر من طرف قميصه بيده اليمنى ليقربه
إليه بعنف وهو ينطق بغضب شديد :

**_ انت فَجَرْت وعينك وسعت اوي ، محدش بقى عارف
يحكمك ولا بقيت تعمل اعتبار لحد حتى ابوك!**

صاح زياد بتجهم وهو يقف خلف أخيه :

_ هو في ايه!!

**رفع فخر يده خلف ظهره إشارة له بالأ يتدخل، ولم
تحيد نظراته الباردة عن والده وهو يستمع له يصرخ
بوجهه بصوت مرعب :**

**_ كل ده عمال تمثل عليا إنك بتكرهها ومن ورايا
عينك معاها !! ، بتبص لمرات ابوك وتتحرش بيها
ياوسخ!! هي وصلت بيك لكدا؟! للدرجة دي مبقاش
ليك كبير خلاص ومبتعملش حساب لحد!؟**

انصدم زياد حتى شعر بأنه غير قادر على إبداء أي
رد فعل من فرط الدهشة، بينما بدأ فخر بترجمة
الموضوع وصدّم بداخله بمدى قذارة تلك الحيّة ..
وبرغم رغبته الجامحة في دق عنقها الآن لوصولها
إلى ذلك المستوى المتدنّي، إلا أنه نجح في كبت
غضبه وإظهار البرود وهو يقول بعدم اهتمام مع
القليل من التعجب :

اتحرش بـ مين يا عامر بيه؟ ، طب على الأقل كنت
أسألها فين الدليل؟ فين الإثبات اللي يثبت عمّلتني؟

استطرد ساخرًا :

اه خلاص نسيت إنها ملاك مبيكدبش .. ازاي
البراءة دي هتكذب؟ فخر طبعا هو اللي كداب .. فخر
انت اتعودتوا عليه فعلاً مُنحط ويطلع منه التصرفات
دي

سكت للحظات ثم قال :

_بس انا هقولها لك واضحه يا عامر بيه ومش هكررها

نظر بعيني والده بثبات وبقوة واضحه تنم عن عدم
مرور الجبن من جانبه حتى، واتكأ على كل حرف
يخرج من بين شفثيه :

_ انا معملتش كدا !..!

وأضاف باشمئزاز :

_بسمة دي انا بقرف ابص فى وشها أصلاً، ازاي
هفكر اقرب منها؟

نيس عامر بحنق :

_انت لسة مكمل فى الدور؟

أمسك فخر بيد والده لئيبعدها عن قميصه، وهو يقول
بصرامة ونظراته ثلجية وحادة :

_ انا اتربيت على إيد أمينة وانت اكثر واحد عارفها !
، قارن بيني وبين واحدة اتربت فى صناديق الزبالة
وهتعرف مين اللي بيكذب ...

همّ بالمغادرة وتحرك خطوة من جانبه، ولكنه شعر
بقبضة عامر على ذراعه توقفه لتعيده خطوة للخلف،
ثم طالعه بقسوة وهو يقول بسخرية :

_ لو فاكر إن أبوك بقى تافه وأيام زمان انتهت تبقى
غلطان! ، طول ما بتتعوج هتشوف منها تاني يافخر
وأسوأ كمان لحد ما تلاقي القوة الكدابة اللي انت فيها
دي طارت مع أقل نسمة هوا !

رمش فخر مرتين بعينيه التي بصرت الفراغ للحظات
;كيف يقوم أب بسكب الملح على جرح ولده ويخبره

كلمات بمثل هذا الجحود؟ كيف يسعى أب لكسر ولده
بدلاً من الإمساك بيده ليأخذه إلى بر الأمان والسلامة
؟..

ومع ذلك ظل محتفظاً ببروده وثباته وقوته التي يقسم
أن يظل متمسكاً بها رغم أنف الجميع :

وانت لو فاكّر إني لسة العيل الصغير اللي أول ما
ترعّقه هيجري يستخبّي منك تبقى غلطان .. فخر كبير
والزمن اتغيّر، ومش هيسمح لك تعيد الشريط ده تاني
مهما حاولت !

نزع ذراعه من قبضته بعنف ثم اتجه صوب الخارج،
وقد هرول زياد سريعاً ليلحق به دون أن يترك ولو
نظرة صغيرة إلى والده

*

*

*

بأحد المقاهي المفتوحة الواسعة .. كانت مريم تجلس وحدها وسط هدوء الليل ؛كمحاولة لنيل بعضاً من الهدوء والراحة، بين يديها كوب القهوة المثلجة ولكنها توقفت عن احتساءه عندما شردت في اللاشئ

..

كلمات عز لاتزال تتكرر على مسامعها وكأنها معزوفة مفضلة لأذنيها، تحاول إشغال نفسها بأى شيء ولكن تفشل بجدارة ..

لن تنكر أنه لطالما شغل تفكيرها ولكن ليس إلى هذا الحد، هذه المرة مختلفة ؛ربما مواجعتهم غيرت الكثير وجعلته لا يفارق بالها للحظة ..

كلماته عن مدى عشقه لها وكيف ينتظرها حتى وهو يائس .. لم تتوقع يوماً أنها ستناول كل هذا الكم من

الحب ولكنها مشتتة ; اهتزاز ثقتها بنفسها جعلها
مقتنعة أنه لا يستحقها

هي تحبه .. بالفعل تحبه!، ولهذا السبب تحديداً تريده
أن يتزوج من غيرها ؛ لاقتناعها أنها سترهقه
وتُصعب عليه حياته ..

تائهة ومهزوزة .. لا تدري أتبتعد لتتفادى حدوث أي
مشكلات بينهما، أم تقترب لتري ابتسامته وسعادته
بوجودها ..

أطلقت تهيدة مهمومة وتابعت تناول مشروبها
بصمت وحيرة

*

*

*

_اقسم بالله اول ماتدخل من باب البيت لاطبق على
زمارة رقبتها ..

صاح زياد بغضب شديد، وهو يجلس بجوار فخر
بداخل السيارة، بعدما قرر مشاركته فى الدوران فى
الشوارع بلا هدف ..

كان فخر يكتفى بالقيادة بسكوت تام، لا يتضح أى رد
فعل على وجهه، ملامحه جامدة تمامًا وعينيه مثبتة
على طريقه ..

نظر زياد صوبه وأردف بحنق :

_انا مش هسيب الولية دي وتولع المشاكل اللى
هيعملها معايا ابويا هي كدا كدا خربانة خلاص،
نخربها بالمرّة بقى

نطق فخر بهدوء مريب دون أن ينظر له :

_بطل غباء وفكر بعقلك دقيقة واحدة قبل ما تعمل
حاجة

صاح زياد بتعجب واستنكار :

_انت ازاي رايق كدا؟ انا قولت عصبيتك مش
هنعرف نلمها ومش هنعرف نحوش بسمة من تحت
إيدك

لم يكن ليتفوه بتلك الكلمات لو استطاع رؤية دماغه
التي تغلي بأوصاله وعروقه التي توشك على
الانفجار، ولكنه يصر على دفنه والاحتفاظ ببعض
العقلانية؛ فلو أطلق سراح غضبه الآن سيتحكم
الغضب به ويجعله يتصرف بجنون ..

أطلق زفيرًا قويًا ثم نظر له وقال :

_عائزين نفس غلنا من بسمة؟.. تمام بكل سرور،
بس بنصاحة .. بلاش التهور بتاعك والاستعجال ده

عاد ينظر للطريق، بينما رد زياد بملل :

_بمعنى؟

نطق فخر وعينيه لاتزال مثبتة أمامه :

_ايه اللي ممكن يخلي غيظك منها يهدى من غير ما
تدخل فى حوارات مع ابوك؟

حدقه زياد مطولاً وهز رأسه بعدم فهم، فنظر له فخر
بعدهما لاحظ صمته، ولفظ الإجابة بثقة :

عمتك!

تشنج وجه زياد باستتكار :

عمتك ايه؟

عمتك قادرة وأكثر واحدة تعرف تجيب آخر بسمة
وابوك مبيقدرش عليها، مش هيتخاق فيها زي ما
بيعمل معانا

وهي هيفرق معاها أصلاً؟

رد فخر بيقين :

ياض انت فاكر عمتك بتكرهنا ولا ايه؟ ، هي اه
تقيلة شوية وفيها حبة طمع .. بس مبتكرهناش
بالعكس احنا لو قولنالها بصي بسمة قالت على فخر
ايه هتيجي تطربقها على دماغها

بصر زياد الفراغ أمامه بتفكير وعدم اقتناع، ثم انتبه
له عندما قال :

_ انا هروّحك وهروح ابات فى شقتنا القديمة
النهاردة، ابقى كّم عمّك الصبح وقول لها

رد زياد بحنق :

_ شقة ايه اللى تبات فيها؟! هي حتة الناموسة دي
هتخوّفنا ولا ايه؟

_ انا مش طايق حد ومش طايق نفسي .. لو قعدت
هناك وصوتها بس عدّى جنب ودني مش هعرف
امسك نفسي والدنيا هتقوم أكثر .. كدا أحسن عشان
معملش مصيبة!

*

*

*

صباح اليوم التالي ..

فتحت جهاد عينيها بتمهل وعادت إلى وعيها ولكن لم يتركها الشعور بالتعب والإجهاد، حركت رأسها وأخذت نظرة سريعة على الغرفة من حولها، تحركت ببطء وهي تشعر بالصداع يفتك برأسها، استطاعت الجلوس أخيرًا وظهرت النجمة الورقية بعدما أبعدت يدها، فوق بصرها عليها .. تملكها الذهول والتقطتها فورًا، تعمقت في النظر لها وعينيها تلتمع ; لا تدري حزنًا لعدم وجوده، أم فرحًا بالنجم الذي رد لها الابتسامة والحماس ..

استدركت رسائله الخفيّة التي يرسلها لها من خلال
استجابته لتكوين النجم، يخبرها ألا تفقد الأمل فهو لن
يتركها .. كما شكّل لها النجمة الآن سيأتي إليها
ويفعلها مجددًا كما اتفقا ..

غلقتها ابتسامة جميلة وأخذت شهيقًا عميقًا ثم زفرته
بارتياح وشردت مقلتيها في الفراغ وسط صمت شديد
يكسو المكان ..

التفتت لباب الغرفة وهو يُفتح بهدوء ليدخل منه
مروان .. اتسعت عينيها بعدم تصديق وتقدمت
بجسدها للأمام كرد فعل عفوي من اندهاشها،
وصاحت باشتياق :

مروان!

تحرك مروان إليها سريعًا فوجدها تمد ذراعيها
استعدادًا لعناقه، فاستجاب لها فورًا وسمح لها
باحتمضانه بعدما جلس على طرف الفراش أمامها
مباشرة.. شعر بيديها التي قيدت رقبته بقوة
وأنفاسها المتوترة أثناء ذرف الدموع، استمع
لصوتها الحزين يعاتبه باستياء :

هونت عليك تختفي كدا من غير ما تسأل عليا؟
افرض كنت مُت ولا جرافي حاجة؟ مفكرتش فيا ليه!
ده انت الوحيد اللي باقيلي تسييني لوحدني كدا!؟

ضمها له بحنان وهو يقول متأسفًا ويربت على
ظهرها بهدوء :

حقك عليا، انا كبرتها انا عارف، متزعليش مني انا
كنت كدا كدا هجيك والله، مكنتش هسيبك

مسد خصلاتها الطويلة بأطف ثم قال :

سلامتك ياجهاد، ايه اللي حصل لك؟

خرجت من أحضانه متراجعة للخلف لتتظر له
متسائلة :

_ انت عرفت منين؟

أجاب ببديهية :

_ ما انتِ اللى بعنتيلي المكان، انتِ لسة مصحيتيش
ولا ايه؟

_ مكان ايه؟

_ بعنتيلي لوكيشن المستشفى وقولتيلي تعالى انا
لوحدي

عقدت حاجبيها بعدم فهم، ثم أخفضت يدها لجيبها
لتخرج الهاتف فلم تجده، نظرت من حولها فرأته على

المنضدة .. تناولته سريعًا وفتحته فوجدت رسائل لا
تتذكر متى أرسلتها، أبعدت حدقتها عن الهاتف إلى
الفراغ تفكر ; وكان الاحتمال الأكيد بالنسبة لها أنها
أرسلتها وهي في حالتها المزرية السابقة، فاستيقظت
الآن لا تتذكر ..

عادت تنظر للهاتف، ثم صاحت قائلة :

_الرسائل وصلت لك الساعة ١١ بالليل يامعفن وانت
جايلي الساعة ١٠ الصبح !

_انتِ بقرة يابت؟ ، انا هنا من بالليل انتِ اللي
مقومتيش ولا حسيتي .. انا كنت في الحمام دلوقتي
بس

ثم أضاف سؤالاً مهمًا :

_ممكن اعرف ايه اللي حصل بقى عشان تيجي هنا؟؟

*

*

*

توجهت ناهد إلى الطاولة لتلتقط هاتفها الذي صدح
رنينه يعلن عن متصل ما، ابتسمت وأجابت قائلة :

الو .. ازيك يازيزو؟ اخبارك ايه يا حبيبي؟

رد بعدم اهتمام :

الحمد لله ياعمتي ازيك انت

كويسة الحمد لله، هي ياسمين مبردش عليك ولا
ايه؟

_ لا انا عارف هي فى الكلية ومش فاضية دلوقتي الله
يعينها، انا عايزك انتِ ياعمتي .. قولت انتِ مش
غريبة ولازم تعرفي اللى بيحصل برديو

_ استر يارب، في ايه؟

_ بسمه

انقلبت ملامح وجهها إلى التقرز وهي تجيب :
_ قطعت سيرتها الهباب، ياريت تقول لي ماتت

_ كان نفسي والله، بس لأ دي عاملة زي البرص
مبتموتش بسرعة

_ او مال مالها ؟

أجابها زياد باختناق :

ولّعت الدنيا بين فخر و ابويا و اتبّلت عليه إنه
اتحرش بيها و الجوّ مقلوب من امبارح

هتفت ناهد بذهول و عدم استيعاب :

نعم نعم؟ ايه اللى انا سمعته ده؟! انت بتهزر ولا
ايه؟

لا مبهرش، ابويا اتخانى فيه و ضربه كمان و فخر
مش قاعد فى البيت من امبارح

صاحت بدهشة :

و عامر صدّقها؟!!

من غير مجهود والله ياعمتي

*

*

*

فتحت السيدة سحر باب القيلا لتدخل منه ناهد
بعواصف غضبها وصوتها يرتفع بقوة بين جدران
المنزل :

بسمّة !

سارت بخطوات غاضبة، وارتفاع صوتها يكاد يوقظ
الأموات من قبورهم :

_ انتِ يا حيوانة يا اللي اسمك بسمة انزيلي هنا !!

.

.

كانت تجلس مريم بغرفتها عندما استمعت لصياح
عمتها، ظنت أنها ستبدأ شجار عادي كالذي يحدث
دائمًا، فنفخت بملل والتقطت سماعات الرأس الكبيرة
لتغطي بها أذنيها وتستمع إلى بعض الأغاني حتى
ينتهي هذا الصداع ..

.

.

هرول زياد فوق الدرج واتجه صوبها وهو يقول
بابتسامة غير واضحة؛ فرحةً بغضبها الذي يوشك
على هدم البيت :

_ أعصابك يا عمتي، متدخليش في مشاكل عشان
واحدة زي دي

التفتت له ناهد وصاحت بحنق شديد :

_هاتلي البت دي حالاً بدل ما اطلع انا ارميها من فوق
!

بقت سحر واقفة بعيداً تراقب الوضع بصمت تام،
بينما صدح صوت بسمة المستفز وهي تهبط على
الدرج بخطوات ثابتة :

_ايه الصوت العالي وقلة الاحترام دي؟ انتِ فاكرة
نفسك فين هنا؟!

رمقتها ناهد بنظرات نارية تكاد تلتهمها، ولم تستطع
انتظارها حتى تُتَهِى آخر درجتين من السلم، بل سارت
صوبها بخطوات منفعة وفوراً قبضت على شعرها
لتجرّها معها كالماعز، فارتفع حاجبي زياد بدهشة
وظهرت ابتسامته أكثر .. فيما اتجهت سحر استعداداً

لمحاولة تهدئة الأمور ولكن منعها زياد وأمسك
بمعصمها، نظرت له فغمز لها وأوماً بثقة ..

ارتفع صوت ناهد وهي تشدد قبضتها على شعرها
ويدها الأخرى توجه لها العديد من الصفعات، غير
مبالية بصراخها بين يديها :

فخر مين يابنت الكلب اللي يتحرش بواحدة زيك! ،
المهندس المحترم اللي يساوي رقبة مليون صرصاره
زيك هيفكر يبص لك انتِ ليه؟ ، ده لو كان مقضيها
مع النسوان يمين وشمال عمره ما كان يبص لك انتِ
بردو! ، انتِ أحقر من إنه ياخذ باله إنك معدية جنبه
أصلاً .. ماتعرفي أصلك يابت انتِ محدش هيعرف
يلمك ولا ايه!!

صاحت بجملتها الأخيرة بصوت جهوري أعلى من
ذي قبل وهي تواصل ضربها بعنف، وكأنها كانت تعلم
مدى غيظ فخر منها فقررت أن تخمد ناره قليلاً ..

بينما وقف زياد يضحك بشدة ويضع يده على فمه
محاوًلاً ألا يُخرج أصوات ضحكاته ..

قوة ناهد كانت توحى بأنه لن يقدر أحد على إيقافها أو
تهديتها .. إلا أن عامر كان قد حضر بعدما كان يجلس
في الحديقة ووصلت له أصواتهما، وحاول إبعاد أخته
بقوة، إلى أن نجح بعد معاناة وصاح بحنق :
_ كفاية بقي ياناهد ايه الجنان ده !

كانت تقف مريم أمام المرأة وهي تتمايل باندماج مع
الأغاني، وقد ساعدت سماعات الرأس الكبيرة في
تركيز صوت الأغاني فقط لأذنيها وعدم سماع أي من
تلك الصراعات في الأسفل _ التي قصدت ألا تسمعها
ورفعت الصوت لمستوى عال _

تمسك بظلاء الشفاه وتلَوّن به شفيتها بكل سكينة ..
ومن ثم تطلعت لنفسها بإعجاب بعدما انتهت،
وأرسلت لانعكاسها قبلة سريعة على الهواء ..

•
•
تراجعت ناهد خطوة للخلف عندما وقف عامر بينها
وبين بسمة وصرخت في وجهه بغضب عارم :
_ انت ايه يا اخي!! ، فصيلة أهلك ايه؟ ، تطلع مين
دي عشان تيجي على ابنك عشانها؟ ، ده لو ابوك
نفسه اتهم ابنك بحاجة بردو متستغناش عنه لحد ما
تعرف إذا كان الكلام صح ولا لأ

رفعت سبابتها واستطردت بنظرات حادة وصوت أحدّ:

انا بنتي لو حد اتهمها بحاجة يا عامر مش هسيبه
يشوفني مصدقاه، حتى لو من جوايا مصدقة ومكذبة
بنتي مش هيبين ولا اتكلم .. كنت هروح الأول اتأكد
مع نفسي لو حدي ولو كانت غلظت كنت هكسر رقبتها
.. إنما لو طلع الحيوان اللى بيتكلم كداب كنت اروح
اقصف عمره واقطع خبره عشان فكر يتكلم عليها
نص كلمة مش حلوة

تسللت السخرية بين طيات غضبها متابعة :

لكن انت؟ انت عادي .. بكل سهولة كدا بتصدقها
وتمد ايدك عليه عشانها .. ابنك اللى من دمك تسبيه
وتقف جنب واحدة من الشارع قيمتها متوصلش
لجزمتك حتى! انت دماغك فيها ايه؟؟!

حدجها بصرامة وقبل أن يرد عليها بشيء كانت
تدفعه من صدره بعنف وتبتعد عن الجميع لتغادر
بهممات حانقة :

_غور من وشي .. عالم لمامة !

*

*

*

يجلس فخر خلف مكتبه الخاص بمحلّ عمله، يرفع
الهاتف على أذنه بيده اليسرى ويده اليمنى تحرك
القلم فوق الورقة ليرسم خربشات عشوائية بلا هدف
.. تعاليه ضحكة واسعة بعد سماع تلك كوميديا التي
سردها عليه أخيه، وأجابه قائلاً :

_مش قولتلك عمتك مش هتسكت؟ والله انا أول مرة
أحبها كدا

_بصراحة قامت بالواجب ونص، بسمه وشها اتبهدل
على الآخر وقاعدة تعيط وتندب ومصداً عانا

اعتلته ضحكة غريبة وهتف بتوعد :

_بتعيط من دلوقتي؟ او مال لو مكناش بنسخن لسة؟

تحمس زياد من نبرة أخيه التي يعلمها جيداً وسأل :

_وحياة ابوك لـ تقول لي ناوي على ايه، مش هقدر
استنى

_مش وقت رغي انا ورايا شغل

نظر بالهاتف ليجد حازم يهاتفه، فأغلق مع زياد قائلاً:

_اقفل دلوقتي حازم بيتصل

لم ينتظر سماع ردّه وأغلق الهاتف بوجهه، ثم أجاب
حازم :

_ ايه يا بتاع ميشو؟

ضحك حازم وقال :

_ ما بلاش عشان مقعدش اذلك لما تتجوز انت كمان!

_ لما اتجوز مش هنسى اصحابي زيّك

_ والله يا عم ما لاقى وقت ابص ورايا .. ابوك
مفهرضني اليومين دول عشان في صفقة جديدة
وقرف، ومي انت عارف بتتكد عليا لما تلاقيني طول
اليوم برا ف على ايه خلّيني في البيت أحسن

ضحك فخر ثم نطق قائلا :

_ طب وبعدين؟ هنشوفك امتى؟

_ ادعيلي أخذ إفراج قريب بقى ! .. دي دماغها
مترجبة غلط والله .. امبارح انا من الصبح وانا فى
الشركة واتأخرت عن معادي شوية، وارد يحصل
يعني مش مصيبة .. طلعت هي بقى فوق دماغي انت
روح فيين .. سايبني لوحد يبي .. بتطفش من
البيت وبطلت تحبيني ..

وعبط كثير كدا لحد ما زهقت و سبتها ودخلت انام ..
تسكت بقى وتلمّ الليلة؟ لا أبدا، أول ما صحيت
مسكتني كملت عليا

ارتفعت ضحكات فخر بشدة، ثم تمتم بقلق :

_ انا كل ما بكلمك بعيد النظر تاني فى حوار الجواز ده
والله

*

*

*

تجهّزت جهاد للرحيل من المشفى وارتدت حذاءها
وهي تقول :

_ على فكرة انا لسة مش طيقاك وزعلانة منك

صاح مروان بتذمر وهو يقف بالقرب من باب الغرفة:

_ ما خلصنا بقي!

نظرت له جهاد وهتفت بحنق :

_ انا لو كنت استندلت معاك وقعدت مردش عليك كنت
هتضايق ولا لا؟

أجاب مروان يسايرها :
_ طب اجيبك مورو وتسامحيني؟

لأ
_

ضحك قائلاً :
_ هجيبك اتنين

رمقته بجانب عينيها للحظة ثم حركت رأسها بكبرياء
مصتنع :
_ هاتلي اربعة

لوى شفتيه باستنكار :
_ ليه كل ده إن شاء الله؟

_ انا هقسّمهم براحتي مالکش دعوة

_ طب حاضر عنيا، خلينا فى المهم بقى .. انا عندي
ليكي خبر مش هتصدقيه

_ لو وحش متقولش عشان مش مستحمله

نطق مروان مباشرةً :

_ انا بحضر لـ خطوبتي مع عزة

_ هاهاها ماشي يا لطافة

تصنعت الضحك المستهزئ ونطقت بسخريتها، وهي
تضع هاتفها بجيب بنطالها، ثم استمعت له يقول :

_ انا مبهرش، انا هخطب عزة بجد وقريب كمان

التفتت له وتطلعت له بنظرات استعجاب و عدم فهم،
وردت ببلاهة :

_ ده ازاي يعني؟

رفع كتفيه تعبيرًا عن عدم المعرفة، بينما هزت هي
رأسها تحاول استيعاب ماسمعه وقالت :

_ استنى .. مش عزة دي اللي كسّحتك في المستشفى
وبتاكلوا فى بعض زي القط والفار؟

ضحك ببلاهة وقال ساخرًا :

_ شوفتي الزمن؟

انتبها لدخول الممرضة بعدما طرقت مرتين أولاً ثم
نظرت لجهاد وقالت :

_ انا كنت جاية اشوفك لو محتاجة حاجة

ابتسمت جهاد ببشاشة :

_ ربنا يخليكي يارب، تسلمي .. انا خلاص بقيت
كويسة وماشية الحمدلله

ردت الممرضة مبتسمة :

_ طب الحمدلله، حمدلله على السلامة

ثم همت بالخروج وقد وقع بصرها على ذلك الواقف
يطالعا بتركيز وعلى وجهه ابتسامة مميزة ؛ لا تنكر
أنها ابتسامة جذابة ولكنها شعرت بالقلق من نظراته

العميقة، فتركت نظرات زائغة بينه وبين جهاد ثم
خرجت في الحال ..

اقتربت منه جهاد ولكمته في كتفه بعنف :
_ ماتلم بقى ! حتى الممرضين مش عاتقهم؟

_ مستشفى خاصة ومليانة نسوان نضيفة كلها، مش
نطلع منها بملاك رحمة صغير حتى؟

_ انت مش لسة قايل لي هتخطب وهتعقل خلاص؟

_ مقولتش هعقل دي، انتِ اللى جبتياها من دماغك

دفعته من ذراعه بغضب :

_ طب امشي قدامي .. امشي!

•
وصلا إلى صالة الاستقبال ووقفا أمام موظفة
الاستقبال التي يفصل بينها وبينهما مكتب خشبي كبير
.. وسألت جهاد بهدوء :

_لو سمحتي انا جيت امبارح بالليل، اسمي جهاد
نصر، وعايذة اعرف تكلفة المستشفى يعني عشان
ماشية دلوقتي

أومات الموظفة بابتسامة صغيرة :

_تمام ثواني

نظرت الفتاة في شاشة الحاسوب الذي يقبع أمامها
لترى الاسم، في حين مال مروان على أذن أخته
ليهامسها :

شكّلهم هينفخوكي في الفلوس، انا مش هدفح حاجة
على فكرة ماليش دعوة

وكزته في ذراعه بقوة ليصمت، ثم انتبهت للموظفة
عندما قالت :

حضرتك حسابك مدفوع من امبارح أصلا

رددت بدهشة :

مدفوع؟! ، كّله!؟!

أكدت الموظفة بهدوء :

اه كّله

أدارت رأسها لتتنظر لمروان وتتبادل معه النظر، فرأته
يمط شفّتيه بلامبالاة بمعنى أنّه كان يتوقع ذلك ..

*

*

*

كان قد أتى المساء وتوجهت سحر بتردد إلى غرفة
زياد التي اجتمع بها مع أخيه، بعدما سمعت
أصواتهما تعلو بحدة غير معتادة ..

احتارت أن تطرق الباب وتطمئن أم تتراجع لشعورها
بأنها لا يحق لها السؤال ..

وقبل أن تتخذ أي فعل كان الباب يُفتح بعنف ليخرج
منه فخر بوجه يسيطر عليه العصبية، حتى أنه لم
ينظر إليها ولو نظرة عابرة حتى، بل مرّ من جانبها
بخطوات منفعلة سريعة وأخذ الدرج وغادر بغضب
واضح ..

تحققت شكوكها الآن .. بالتأكيد حدث بينهما شيء!

توجهت إلى الغرفة بخطوات مترددة فوجدت زياد
يجلس على طرف السرير بوجه متجهم بوضوح،
صمتت قليلاً ثم تساءلت ببعض التوتر :

_ هو حصل حاجة يا بني؟

•
•
خرج فخر من المنزل إلى ساحة القيثا تحديداً نحو
سيارته وركبها استعداداً للخروج ..
كان على وشك تدوير السيارة ولكنه توقف فجأة
عندما لاحظ شيئاً غريباً يلطخ زجاج السيارة ..
حقاً هذه الحركة كافية لتجعله ينفجر .. الزجاج تحديداً
إن اتسخ يجن جنونه ..

نفخ بقوة وترجل من السيارة ليستكشف هذه البقعة
السائلة المستفزة، لمس تلك المادة بطرف سبابته

واشتمها محاولاً معرفة ماهيتها ولكنه لم يعرف .. لم
يعبأ وأخرج منديلاً ورقياً من جيبه ومسح إصبعه ثم
بدأ بمسح الزجاج وهو يتمم بعدة همهمات متذمرة ..

مهلاً ما الذي يحدث؟ ، لم بدأت الرؤية تتشوش هكذا
!

أغمض عينيهِ واعتصر جفنيه بقوة ثم فتحهما ولكن
لم يشهد تحسُّناً بل ازداد الأمر وعصف به دوار مؤلم
جعله يفقد توازنه ..

أعاد الكرة أكثر من مرة ; يغلق عينيهِ بقوة ثم يفتحهما
ولكن لا شيء سوى ازدياد الأمر سوءاً ..

حاول المقاومة ولكن جسده كان له رأي آخر وقرر
الاستسلام، وهوى أرضاً بعنف مستكيناً تماماً دون
حركة أخرى ...

*

*

*

بعد وقت طويل ..

هبط زياد فوق الدرج استعدادًا للخروج، واتجه صوب
الباب وخرج، ووجهه لا يزال يبدو عليه الضيق مما
حدث مع أخيه منذ قليل ..

سار إلى البوابة وقبل أن يخرج وقع بصره على
سيارة فخر التي لم تتحرك من موضعها، غلبه
التساؤل قليلاً؛ فهذه ليست عادته أن يخرج دون
سيارته .. ولكنه لم يهتم؛ لربما ذهب ليتمشى حول
المنزل أو ما شابه .. وتابع طريقه إلى الخارج

.....

*

*

*

التقط فخر نفساً عميقاً وهو يفيق للواقع ويرفع
رأسه، حيث كان جالساً على الأرضية مستنداً على
عمود رفيع بعض الشيء ..

ظهر التعجب على وجهه عندما حاول التحرك وعجز
عن ذلك؛ ليكتشف أن يديه مقيدة بإحكام مع العمود ..

رفع رأسه ليستكشف المكان من حوله، ولم يأخذ وقتاً
للتعرف عليه؛ فهذا مرآب السيارات الخاص بالقيلا ..
سرعان ما ظهر الملل والاستنكار على وجهه وهمهم
باستهزاء :

بتتكلّموا بجد؟

حرّك يديه بعنف محاولاً فك هذه الحبال ولكنها
مربوطة بقوة، فتوقف عن المحاولة ونفخ بضجر،
وبداخله يلعن فضوله الذي جعله يحاول معرفة ماهية
تلك المادة؛ التي اتضح أنها ليست سوى مخدر يفقده
وعيه لبعض الوقت حتى تتجح تلك الخبيثة في حبسه
هنا..

نظر تجاه الباب عندما فُتح فجأة لتدخل منه بسمة..
بئسًا، ليتنا ذكرنا شيئًا أفضل!

طالعتها بلامبالاة وهتف بمنتهى البرود :

غَطَّيتِي عَلَى نَوْرِ الشَّارِعِ كُلِّهِ بِسَوَادِ قَلْبِكَ يَا مَلَكَةَ
الْجَرَائِمِ وَالْفَطْرِيَّاتِ!

حدجته باستخفاف واتجهت صوبه بخطوات متمهلة
واثقة، إلى أن وصلت له وانخفضت على ركبتيها
بجواره مباشرة لتتنظر له عن قرب، وخاطبته
بسخرية:

قولتلك انا أسوأ مما تتخيل مصدقتيش

نظر لها بصمت وعدم اهتمام لبضع ثوانٍ، ثم سألها
بضحكة عريضة مستهزئة :

ضمنتي منين إن الطريقة دي هتنفع ياسوسة ؟

أجابته بسخرية :

عشان عارفة إنك بتخاف على عربيتك من الهوا
الطاير وأكيد هتحاول تعرف ايه اللي واقع عليها

_ ما كان ممكن أمسح البتاع ده من غير ما اشمّه

ردت بثقة :

_ كنت هشوف لك مية طريقة تانية عادي، انا مبالغيش

اعتلته ابتسامه جانبية غريبة وأطال النظر لوجهها
الملى بالخدوش والجروح بفضل ناهد، ثم سألها
شامتًا :

_ ألا ايه اللي عمل فى وشك كدا؟

أزاحت وجهه بخفة فجعلته ينظر أمامه، مجيبة
باستصغار :

_ هعمله فى وشك انت كمان متستعجلش

بينما ضحك فخر لوقت قصير، ثم عاد ينظر لها عندما
أردفت :

_اختصر عليك؟ .. انت مش هتطلع من هنا إلا لما
تترجاني اطلعك يا فخر

ارتاح فخر بجلسته؛ تعبيرًا عن ترحيبه بالجلوس هنا،
وأجاب دون أي اكرات :

_ادينا قاعدين

راقب ظهور التهكم على وجهها، فأردف هو ببرود
وغرور واضح بين خفايا نبرته :

_دي حاجة مستحيل تحصل زي ما مستحيل تتصفي
كدا

رددت بحنق وتهكم :

_انت بجد لسة رافع مناخيرك حتى وانت مربوط
وعارف إنك خايف مني؟

ارتكزت نظراته عليها بصمت مطول، ظل ثابتًا دون
أن يحرك ساكنًا وكأنه تم تحنيطه .. ومن ثم باغتها
باقترا به منها بحركة مفاجئة، وكأنه سيهجم عليها ..
ففرعت وتراجعت للخلف بعفوية؛ حتى مع علمها أنه
مقيد ولن يفعل شيئًا .. فيما ضحك هو باستهزاء، وقد
تحقق مبتغاه وبرهن لها أن الخائف الوحيد هي وليس
هو .. ودون أن ينطق بحرف واحد!

أشاح بوجهه لينظر أمامه وينبس بهدوء شديد :

في حاجة اسمها دفاع وهجوم يا بسمة .. انتِ بدأتِ
في العنصر الثاني بس انا لسة .. او عدك لما ادخل
فيها هتوصي بيك كويس وانتِ اللي هتترجيني
ساعتها اطلعك من دماغي

*

*

*

انتهى الطبيب من إجراء الفحوصات بعدما ذهب له
زياد للمتابعة .. جلس الطبيب على الكرسي المقابل له
أمام المكتب وسأله قائلاً :

_ انت عملت حاجة غلط، مش كدا؟

_ ضربت اخويا من شوية

نطق ردّه بوجه عابس، فغلب الملل على وجه الطبيب
وقال :

_ انا بتكلم على التعليمات اللى قولتلك اعملها عشان
العملية يازياد، انا مالي بمشاكلك العائلية؟

نظر له زياد باستيعاب ثم أجابه بترقب :

_ عملت كباية شاي بلبن صغيرة قبل ما آجيك

تغير وجه الطبيب إلى الغضب وقال :

_ زياد احنا مش اتفقنا على اللي ينفع واللى
مينفعش!؟

_ والله حطيت شاي قليل وخليت اللبن كثير

_ بس انا مقولتش قليل، انا قولت ممنوع !

نفخ زياد بسخط، فأردف الطبيب :

_ انا مش طالب منك غير تلت شهور تسمع كلامي،

مش بقول لك هتفضل كدا للأبد .. خلي عندك

مسؤولية شوية لو سمحت بقي

وافق زياد على مضمض :

_حاضر ..

ثم تساعل بعدم اهتمام :

_بس اللى شربته ده عادي ولا هموت ولا ايه؟

_لا بعد الشر مش للدرجة دي، بس متكرر هاش بعد
اذنك

تتهد بملل مجيبًا :

_طيب ..

ثم نهض مردفًا :

_انا همشي، شكرا لمجهودك

تحرك صوب الباب بضع خطوات، ثم توقف على
صوت الطبيب يقول :
_ و صالح اخوك ..

أدار جذعه للخلف لينظر له، بينما أضاف الطبيب :

_خوفه عليك يوم العملية لوحده يثبت لك إنه
بيحبك، بلاش تزعلّه، انا معرفش ايه اللي حصل
بينكوا بس انا متأكد إن مفيش حاجة تستاهل
تتخاصموا عشانها ..

ابتسم زياد بإحباط واكتفى بإيماءة خفيفة قبل أن
يلتفت للباب ويغادر

*

*

*

أظلم المكان بعدما أطفأت بسمه النور الضعيف الذي
يخص المكان وتركته يمكث في الظلام، ساعدت فتحة
التهوية الصغيرة التي تقبع أعلى الجدار في إدخال
بعض الضوء الأبيض الخافت؛ لم يكن كافياً بالطبع
لإنارة المكان بأكمله أو الرؤية بوضوح ولكنها أفضل
من اللاشيء ..

يعمّه سكون مزعج يساعد في ارتفاع أصوات أفكاره
بداخل عقله ..

لاينفك يتذكر كل ما مر به في خلال يومين فقط ..
الأول انهيار جهاد والثاني انهياره هو بسبب كلمات
والده، ولكن الفرق أنه لم يفصح عنه مثلها، بل يقصد
إخفاءه وحتى إنكاره أحياناً .. يتقن البرود و اللامبالاة
ببراعة ولكن داخله بالفعل مهشّم ..

كما أن الأمور ازدادت حدة بشجاره مع أخيه الذي
ولأول مرة يصل الأمر للتطاول بالأيدي

•
•
•
_روحَت لها !! ، يعني ايه روحَت لها دي فَهمني؟
احنا مش كنا قفلنا السيرة دي خلاص وطلَّعنا البت دي
من حياتنا!؟

كان زياد قد وقف وسط ساحة الغرفة وهو يصيح
بغضب، بعدما قصّ عليه فخر ما حدث سابقًا مع جهاد
.. وأردف بعصية واضحة :

_عجباك قلة القيمة ولا ايه!؟ رايح لها برجلك تثبت
لها إنك لسة عايزها عشان تتفرد عليك أكثر
وتحسّسها إنك تحت أمرها!؟

وقف فخر ونظر له مجيبًا :

_ كانت عيانة وراحت المستشفى يا بني آدم! ، انا لو
مكنتش موجود كان جرالها حاجة

_ ياكش تموت خالص! احنا مالنا!؟!

صاح فخر بحنق :

_ مالنا يعني ايه؟ انت من امتي قلبك بيجمد على
الناس كدا؟

قطب زياد حاجبيه بضيق شديد وهو يقول :

_ قلبي بيجمد على اللي قلبهم بيجمد عليا .. مش
بشوف واحدة احتقرتني واعتبرتني لعبة وبردو ارواح
لها زي واحد اهل وغبي زيك!

حذره فخر بحدة قوية :

اظبط كلامك معايا يا زياد!

بينما علا صوت زياد أكثر يقول بغضب وسخرية :

حارقينك اوي الكلمتين .. إنما لو طلعا منها عادي
هيبقى زي العسل على قلبك

تطلع له بغضب عارم لأول مرة يظهر على شخصية
باردة مثل زياد :

انت واحد تافه ودلداول ومعدكش كرامة أصلاً!

حدجه فخر بغضب شديد وسدد له لكمة بوجهه، فنظر
له زياد بغضب ولم يلبث حتى رد له الضربة بشكل
أقوى وأعنف حتى تركت أثراً، وهتف بصوت مرتفع :

بتشطرّ عليا؟! بتشطر عليا انا؟؟

دفعه من صدره بعنف، متابعًا :

روح اتشطرّ على اللي عملت منك اراجوز تتنطط
بيه على أصحابها .. ولّا بتيجي عندها وتقلب أرنب
؟!!

وضع فخر يده مكان الضربة ليتحسس خيط الدم
الرفيع الذي ظهر على جانب شفثيه، وهو يستمع
لزياد الذي رمقه بشراسة وواصل بحنق :

هي عملاك ايه بالظبط؟ متمسك بيها ليه؟! ، شوفت
منها ايه عشان تعمل معاها كل ده؟

حبيتها !!

تخطى صوت فخر مستوى صوت زياد في رده ..
سكت للحظة ثم تابع بصوت أهدأ قليلاً وهو يؤكد
كلمته بنبرة حازمة يختفي خلفها عشقه واهتزازة :

_ انا حبيتها .. ده كان كافي يخلىنى اتمسك بيها
واعمل عشانها أي حاجة

ردد زياد بسخط :

_ يلعن حبك ستين مرة لو هيقّل منك ! فوق لنفسك ..
مش احنا اللي حياتنا بتقف على حد ولا احنا اللي
بنمسك في حد مش مقدرنا .. ولا انت بجد لسة محتاج
حد يعرفك؟؟

اكتفى فخر بهذا القدر وقرر ترك هذا الجو المشتعل
والخروج من الغرفة، بل خارج المنزل بأكمله

•
•
انتهى من تذكر ماحدث وأطلق زفيرًا متعبًا، حتى أخيه
فشل في أن يفهمه ..

لَمَ انقلب كل شيء فجأة رأسًا على عَقِبٍ؟ ، هل اتفق
عليه الجميع في آن واحد أم ماذا؟

وجّه بصره صوب فتحة التهوية، تحديدًا إلى النجوم
التي تحتضن القمر لترسم لوحة هادئة في السماء ..

النجوم .. تذكّر على أثرها تلك النجمة الورقية التي
تركها بين يدي جميلته وتحفته الفنية ..

بكل خضوع يعترف أنه لن يكفّ عن نعتها بـ
"تحفة"، فهي مهما حدث ستظل هكذا .. غالية
ومختلفة وغير مسموح لأي أحد بلمسها، هو من
اكتشف بهاءها إذاً هو الوحيد المسموح له فقط
بالاقتراب منها ..

ممتنٌ كثيراً لهؤلاء الأغبياء الذين يمرون من حولها
مرور الكرام دون أن يلحظوا جمالها، ليصبح هو
الفنان صاحب النظرة العميقة الذي اكتشف كم هي
مبهرة وخطّابة ..

تاقت عينيه مع جمال السماء وهي مزينة بهذه
الأضواء الصغيرة .. لم يشعر بابتسامته الباهتة التي
اعتلت محياه حينما أعطاه عقله أملاً بأنها ستأتي ..
تحفته ستظهر وتطلب منه إعادة الورقة لشكل النجم
كما كان، ويقسم حينها أنه سيفعلها دون تردد ..

كانت تجلس في شرفتها تمسك بالورقة بين أناملها
وتحديق فيها بكامل شرودها، لاتزال محتفظة بشكلها
الذي تركه عليه ولا تريد فتحها؛ خوفاً ألا تعود كما
كانت ..

لو علمت أنه ينتظرها لكانت أفسدتها على الفور
وركضت إليه؛ ليقينها بأنه سيلبّي نداءها ويكوّن لها
النجم من جديد ..

تهدت بأسى شديد، ورفعت عينيها للسماء تدعو
بداخلها أن تتحسن الأمور في أقرب وقت ممكن..

أصبح كل شيء مظلمًا .. خشناً وثقيلًا
وجود كل منهما مع الآخر كان يضيف شعاعاً برّاقاً ..
كان يستطيع تهوين أصعب الظروف ..

"أتوق لقرب طيفك أيها المهندس"

"افتقدتُ عيناكِ يا أثيرةَ الكحل"

رسائل مدفونة لا تتعدى حاجز قلبيهما ..
وغيرُ معلوم متى سيصارحان بعضهما بها .. أو متى
ستخرج إلى النور على الأقل

يتبع..

الفصل الثالث والثلاثون {عودة الحبيب}

ايه يابسة العبط اللي عملتية ده؟ ، هي دي الطريقة
اللى هتاخدي بيها حقك يعني؟

نطق عامر كلماته بضجر واستتكار وهو يقف أمامها
بساحة غرفتهما الواسعة، فردت بسمه بيقين :
_ هي دي الطريقة اللى تنفع مع واحد زي فخر يا عامر

_ اشمعنا يعني؟

_ عشان يصحى ويبطل يشوف نفسه ويتأكد إنك لسة
تقدر تعمل فيه اللى انت عايزه .. فخر لازم تكسرله
غروره اللى هو فيه قبل ما ينطح فينا مرة واحدة
ومحدثش يعرف يوقفه .. واديك شوفت بنفسك بيكلمك
ازاي، لو معرفتهوش حدوده دلوقتي مش هتعرف
تسيطر عليه بعد كدا

تطلع لها عامر بحيرة، فما ان لاحظت تردده حتى
شعرت أنها أوشكت على النجاح في غسل دماغه
وأسرعت تتقمص البراعة وهي تقول بحزن :

وَلَا انت كنت عايزني اسيبه بعد اللي عملته؟ ، انا
نفسيتي متدمرة ومبقولش يا عامر ومحدث حاسس
بيا .. يمكن انسى الموضوع شوية لما أحس إنه خد
جزاءه على عمايله وخذت شوية من حقي .. وبعدين
انا مش هعذبه يعني، انا بس بفكره بحدوده اللي بدأ
يتخطاها

زفر بملل ثم سألها :

وَهتسيبيه امتي في الآخر؟

ردت وهي ترفع كتفها بلامبالاة :

عادي .. شوية يتأدب فيهم وبعدين يطلع

*

*

*

انسدلت خيوط الشمس إلى المرآب لتصدم وجهه، لم يكن يبالي بها رغم انزعاجه منها وانصب تركيزه فقط لمحاولة فك نفسه، ظل يحرك يديه لأعلى وأسفل ليحك الحبال بالعمود حتى تنقطع ..

بعد وقت قصير كان يطلق زفيرًا متعبًا بعدما ألمته ذراعيه من الحركة وتوقف عن المحاولة، وهمهم بضجر شديد :

يعني مربوط وشمس في وشي كمان؟! كثير كدا

انتبه لصوت فتح الباب، فالتفت لضيافته المتوقعة وابتسم لها بترحيب ساخر، ثم اختفت ابتسامته فجأة ليحل مكانها الملل ويقول :

مش هنخلص من أمك بقى ولا ايه؟

دخلت بسمة وأغلقت الباب من خلفها، ثم اقتربت منه حتى وقفت أمامه وعقدت ذراعيها وهي تطالعه بغطرسة وبرود .. رفع رأسه لينظر لها ويقول بجدية وكأنه أمر مصيري:

_ انا قعدتي هنا مع نفسي خلّتني افكر فى سؤال مهم على فكرة ..

وتابع :

_ انتِ دخلتيني هنا ازاي؟ .. جرّتيني ولا شدتيني بحبل؟

أردف سؤاله الأخير بضحكة واسعة باردة، بينما أجابته بسمة بعدم اهتمام :

_ قولت لصبري يجيبك ..

ردد بتعجب :

_ صبري سمع كلامك على طول كدا؟

_ هددته!

نظقت ردها بابتسامة صفراء ساخرة، فضحك مبعداً
نظره عنها وهز رأسه بفقدان أمل من هذه المرأة ..

جثت على ركبتيها أمامه لتبصر وجهه عن قرب وهي
تقول :

_ انت عارف انا جاية لك ليه؟

تطلع لها بنظرات مضجرة تقول أنه لا يحفل مطلقاً،
ولكنها أصرت على التحدث :

_ جاية مخصوص اقول لك إن عامر عارف إنك هنا ..
واثبت لك إنه بيحبني وبيصدقني انا بس، يعني
الفيديو اللي معاك ده مالوش لازمة عشان لو قولت

لعامر ده متفبرك هيصدقني بردو .. زي ماصدقني
وسمع كلامي لدرجة إنه سابك مرمي هنا زي الكلب

طالعتها ببرود تام وعينين ناعستين تعبيرًا عن مدى
ملله، ثم قال :

_ هو ده المفروض يوجعني يعني؟ عادي ده متوقع
من عامر بيه، احنا متعودين عليه كدا

تطلع من حوله متصنعاً التعجب، ثم أردف :

_ انا بس مستغرب ازاي مش قلقانة منه؟ .. يعني انتِ
بجد متطمنة عادي وانتِ بنفسك شايفاه راضي بـ
رَميتي هنا؟؟ ابنة نفسه مش فارق معاه وفاكرة نفسك
هتفرقي انتِ؟ ، والله عند أول مطب هيوركي قرفه
كله يابسمة .. خدي مني انا بتكلم في مصلحتك، انا
معاشره وعارفه كويس ..

ردت بتهكم :

لا مالکش دعوة انا عارفة مصلحتي كويس

اتسعت ضحكته عن آخرها بمنتهى الاستهانة، وهو
يقول :

والله ما هتعرفي تفضلي مسيطرة كثير زي ما انتِ
فاكرة، بطلّي غباء وفكري بمخك شوية

ابتسمت بكل استهزاء ثم نهضت وخرجت وأغلقت
الباب من خلفها دون أن تنتبه له عندما بصق في
أثرها بتقرز ووجه مشمنز ..

شعر باهتزاز هاتفه المستقر بجيبه يعلن عن اتصال
;لم يكن الاتصال الأول بل تكررت الاتصالات كثيرًا

زفر بملل ولم يعبأ الآن ؛لن يستطع الرد على أي حال
.. ثم ركز اهتمامه لمحاولة فك الحبال من جديد، وظل
يحرك يديه لتحتك الحبال بالعمود

*

*

*

_ لا مكلمنيش .. هو ضايع منك ولا ايه؟

أجاب حازم بـ ردّه وهو يقود سيارته ويضع سماعة
بلوتوث بأذنه، ليهاتفه زياد على الطرف الآخر :

_ هو برا من امبارح بس عربيته هنا متحركتش ..
وانا روحت شقتنا القديمة من شوية ومعيش المفتاح
للاسف بس خبطت محدش فتح، وكلمت طارق زميله
فى المكتب كمان قال إنه مجاش، يعني يكون راح فين
ياحازم!!؟

صاح بسؤاله الأخير بغضب وهو يقف أمام نافذة
غرفته الكبيرة، فهتف حازم :

_طب بالراحة بس، مايمكن نايم فى الشقة ومسمعش
الجرس

_بس انا خبّطت كثير، وفخر نومه خفيف كان هيحس
بيا على طول

صمت قليلاً ثم نطق بتخوّف :

_هو ممكن ابويا يكون عمل حاجة؟ ، انا عارف طالما
بسمة اللي سايقاه هتخليه يعمل أي حاجة

أجابه حازم :

_انا هنر عليه تاني .. وهعدّي على الشقة تاني بردو
زيادة تأكيد، ولو فى جديد هبلّغك

_ماشي يا حازم .. سلام

اختتم المكالمة متهدداً بهمّ وأغلق الخط، شردت عينيه
في الشارع قليلاً ثم فتح هاتفه مجدداً وبدأ بتسجيل
مقطعاً صوتياً عبر واتساب :

فخر انا مكانش قصدي از علك بالكلام البايخ بتاع
امبارح ده .. ممكن ترد عليا لو سمحت؟ محدش
هيجيلك لو عايز بس عرفني بس انت كويس ولا لا،
انا برن عليك مبردش ومش عارف اوصل لك

أرسل رسالته ثم زفر بضيق .. استدار بانتباه لباب
الغرفة عندما دخلت مريم وهي تقول :
زيزو هو فخر فين مش لقيه

سار صوب الفراش بتمهل مجيباً :

معرفش مجاش من امبارح

مجاش ازاي؟ دي عربيته تحت

جلس على طرف السرير وهو يجيب ببرود :

اه عربيته موجودة .. هو لأ

عقدت حاجبها بتساؤل، ثم سمعته يهتف باختناق :

هو بعد حوار بسمة ده بقى يقعد فى شقتنا القديمة،
بس المرة دي مش موجود هناك معرفش راح فين

عقدت حاجبها بتساؤل :

بسمة؟ مالها بسمة ايه اللي حصل؟

رفع حاجبيه باستنكار قائلاً بسخرية :

انتِ كنتِ في غيبوبة ولا ايه؟ كل اللي حصل في
البيت ده محستيش بيه؟!

_ انا برا البيت على طول يازيزو أصلاً، هعرف ايه؟

ثم تساءلت بفضول :

_ في ايه احكي لي

*

*

*

اهترأت الحبال وفقدت قوتها بعد محاولاته المتكررة ..
خرجت منه صيحة منتصرة عفويًا عندما نجح أخيراً
في قطعها وتحررت يديه، تقدم بجذعه للأمام وبدأ
بتدليك معصمه الأيمن بيده اليسرى، ومن ثم العكس
؛ بسبب تألمه من خشونة الحبال حول رسغيه ..

سارع بالنهوض وسار نحو الباب ثم فتحه ببطء شديد
وثبته على مساحة صغيرة تكفي لعينيه ليرى مَنْ
بالخارج، فلم يرى أحدًا، عدا حارسهم "صبري"
يقف على مسافة بعيدة إلى حد ما، ويسقي الحديقة
بخرطوم المياه ..

سرعان ما بدا عليه الحنق والتوعد، وواصل فتح
الباب بحذر وهدوء شديد ثم خرج واتجه بخطوات
خفيفة نحوه ..

تفاجأ صبري بيد تمسكه من خلف ملابسه فوق
الخرطوم منه ليستقر بين الزرع، ولم يكذب يستوعب
شيئًا حتى جذبته تلك اليد وصدمت وجهه بسور القيلا
..

وقف فخر من خلفه وهو يثبّت ذراعه الأيمن على
ظهر صبري ليحكم التصاق وجنته بالسور بعنف،

ويده الأخرى أدارت ذراع صبري للخلف بقسوة،
ونبس بجوار أذنه بغضب :

كنت فاكرنى هفضل مربوط جوا للأبد ولا ايه؟!

حاول صبري التحدث ببعض الثبات، وقد دبّ الخوف
بأعماقه من نبرته الغير مبشرة :

فخر بيه افهم بس ..

دفعه فخر بذراعه صائحا :

مهندس فخر!

ثم شدد قبضته على ذراعه قاصداً أن يؤلمه :

**بتقف معاها ضدي يا صبري؟ انت فاكر إنها هتعمل
فيك أكثر من اللي هعمله انا؟!!**

أسرع صبري يدافع عن نفسه بقلة حيلة :

**اقسم بالله ما كان بمزاجي .. قالتلي إن عامر بيه
هيضرنني لو مسمعتش الكلام وانا عارفه راجل
مبيرحمش حد .. انا عبد المأمور والله العظيم، انا
عمري ما كنت اتجرأ واعمل كدا بس هي قالتلي إني
لو مسمعتش الكلام هتمشيني وانا مقدرش اسيب
الشغل يابيه دي فيها خراب بيتي ، حقك عليا والله هي
اللي لوت دراعي، انا هعمل أي حاجة تطلبها عشان
اغفر غلطي والله حقك على راسي**

**صمت فخر لبضع لحظات يفكر بكلماته المتوسلة
الصادقة، ثم زفر باختناق وحرره من قبضته، فاستدار
صبري له وقبل أن يواصل اعتذاراته مجددًا سبقه
فخر بتهديد حاد :**

لو جرّبت تمشي ورا بسمة تاني انا اللي همشّيك،
وهمشّيك بعضمتين مكسورين على الأقل كمان!

لم ينتظر منه ردًا وابتعد عنه قاصدًا سيارته، ثم ركبها
ووجد مفاتيحه معلقة بمكانها المخصص _ كما تركها
البارحة قبل أن يترجل ليمسح الزجاج من مادة
المخدر سابقًا _ ، فأدار المفتاح وانطلق إلى
الخارج

*

*

*

"انا كويس .. الحربية كانت عاملة فيها بتعاقبني
وربطتني في الجراج وابوك كان عارف وعامل عبيط
.. انا عرفت اطلع دلوقتي ومشيت خلاص، بس مش
لازم تضيع في كل حته ها؟"

كان هذا محتوى التسجيل الذي أرسل لزياد من أخيه
وبات ينصت له بتركيز، حتى بدا الذهول وعدم الفهم
على وجهه؛ أي مرآب هذا الذي قُيد فيه!!

أسرع يطلب رقمه ثم وضع الهاتف على أذنه منتظرًا
الإجابة، إلى أن وصله الرد، فنطق بلهفة:

__ايوة يافخر

*

*

*

اكتفى حازم من رن الجرس ويئس أن يكون صديقه
بالداخل، فما كان عليه إلا أن يعود أدراجه .. أخذ

بضع درجات من السلم ثم توقف عندما ظهر فخر في
المقابل يصعد، فصاح مندهشًا :

_ انت كنت فين يابني انت!!

طالعه فخر بتعجب طفيف وتابع طريقه للأعلى،
فأفسح له حازم المجال ثم لحق به .. وسأل فخر بعدم
اهتمام واستنكار :

_ انت جاي تدور عليا؟

وقف أمام الباب ليفتحه بالمفتاح، فيما أجاب حازم
وهو يقف من خلفه :

_ زيزو قال لي إنك مش موجود من امبارح ومبتردش
على حد .. قلقتنا عليك

*

*

*

كانت تجلس ناهد في القفلا تعبت بهاتفها بعدم اهتمام
من داخلها أصبحت تمقت وجودها في هذا المنزل،
ولكنها تصر على البقاء هنا أغلب الوقت؛ فقط لتثير
غيظ زوجة أخيها الساقطة ..

تقدمت السيدة سحر إليها وقالت :

_ هتشر بي حاجة ياناهد هانم؟

_ لا ياسحر انا شوية وماشية أصلاً

استمعت ناهد لصوت خطوات أحد يهبط على الدرج
؛لم تحتاج للنظر صوبه لتعلم من هو؛ فلا يوجد غير
بسمة يرتدي تلك الكعوب الرفيعة التي تصدر صوتاً
مميزاً ..

تقدمت بسمة إلى باب المنزل وهي ترمق ناهد بحنق
وكره، بينما راقبتها ناهد وصاحت قائلة :

شوف البجحة بتزغُرلي ازاي!

أسرعت سحر تحاول السيطرة على غضبها قبل أن
يبدأ وهامستها وهي تقف بجوارها :

هذي بالك يا ناهد هانم، مفيش حاجة تستاهل
تحرقي أعصابك عشانها ..

تطلعت لها بسمة باستهانة وخرجت من المنزل وهي
تنفخ بسخط، في حين أراحت ناهد ظهرها للخلف
وهي تحديق في أثرها بتقزز قبل ان تستمع لسحر
تقول :

_ انا هعمل لك عصير فريش أحسن يروّق دمك

ثم دخلت وذهبت إلى الداخل، تزامناً مع حضور عامر
وجلوسه بصحبة أخته وهو يقول بملل :

_ ايه ياناهد؟ جاية تتخانقي تاني ولا ايه؟

حدقته بطرف عينيها بقرف وهي تقول :

_ صوتك بيطلع عليا انا بس، مش كدا؟ .. مش
مكسوف من نفسك وانت ماشي ورا الجربوعة دي؟!!

ردد بصرامة :

_ ماتقصريها ياناهد ومتخانيش اقلب عليك

_ اقلب عليا يا حبيبي وماله .. ما انت مخك اتلحس
خلاص!

_عامر بيه!!

صدح صوت زياد الحاد مقاطعًا حوارهما، وهو يقترب منه إلى أن وقف أمامه و ردد مباشرة :

_انت بجد كنت عارف إن بسمة حبست فخر فى الجراج وساكت!؟

نهض عامر بنفس اللحظة التى وقفت بها ناهد تنطق بفرع :

_ايه !! ، ايه اللى قولته دلوقتى ده!!؟ انا سمعت غلط ولا ايه!؟

استقرت مريم واقفة عند آخر الدرج تتابع ما يحدث من بعيد وبصمت تام ..

وقف عامر أمام ولده يرمقه بتساؤل :

_مين اللي قال لك الكلام ده؟

صاح زياد باستتكار و غضب مكتوم :

_هي ساحرة لك ولا ايه؟ ازاي تنصرها على ابنك
وتديها الفرصة تكسره وتقلّ منه كدا؟! .. انا مش
متخيل ازاي عقلك طاوعك تعرف اللي حصل وتعمل
مش واخذ بالك .. ازاي ده !!

أجابه عامر بتبجح :

_انت فاكرنى كنت هعمل فيه ايه؟ كل عقاب بيبقى
على قد الغلطة، وفخر ...

كان يوشك على تكملة حديثه ولكن قاطعه زياد بصياح
حانق :

_فخر مغلطش!! .. انت اللي عايز تشوفه غلطان
بالعافية ! ، انت اللي حابب طول الوقت تشوفنا

وحشين عشان متحسش إنا أحسن منك أو إن امي
كانت أحسن منك ..

تابع إفراغ بعضاً مما يكتبه منذ سنوات :
_ انت عايز تطلع أمينة وحشة وتستاها اللي كانت
بتشوفه منك زمان عشان تريح بالك .. عايز تيجي
قدامنا تقول " اهي تربية أمينة الواطية وطلعوا زيهم
زي في الآخر " ، بس مهما أنكرت وضحكت على
نفسك الحقيقة مش هتتغير يا عامر بيه، واحنا عمرنا
ما هنبقى زيك ولا قيمة أمينة هتقلّ عن مستواها
العالي اللي انت معرفتش تقدره !

أدمعت عيني مريم بمجرد ذكر سيرة والدتها وظلت
محتفظة بسكوتها ..

اندهش عامر من أسلوب ولده الذي يسمعه منه لأول
مرة، بينما فرقت ناهد نظراتها المذهولة بين الاثنان،
ثم أردف زياد بضيق شديد وانفعال :

_ انت ليه كل طموحك اننا نكرهك؟ بتعافر بكل ما
عندك عشان تكررنا فيك ليه؟ ليه مجربتش مرة
واحدة تقول لنا ان شالله كلمة صغيرة تبلّ ريقنا
ونفتكرها لك؟ .. ليه عايز لما تموت نقول الحمد لله بدل
الله يرحمه !!

_ انت ازاي تتكلم معايا كدا؟! انت نسيت نفسك ولا
ايه؟

زجره عامر بغضب، فلم يظهر على زياد سوى
السخرية ونطق بهدوء ينم عن يأسه :

_ غلطان اللي فهمك إن كونك أب يدريك الحق تدوس
على ولادك زي ما تحب وإنك مهما عملت فيهم لازم
تاخذ منهم احترام وتقديس احنا مش عبيد
عندك!

ترك آخر كلماته ثم تحرك صوب الخارج، وقد ركضت
مريم إليه سريعًا لترافقه

*

*

*

انتفض حازم فجأة وهو يجلس على أحد المقاعد
؛ بسبب صوت ارتطام طبق زجاجي بالحائط ألقاه فخر
بكل قوته حتى وقع مفتتًا لقطع صغيرة ..
اختلط صوت الكسر بصوته الغاضب وهو يقف بساحة
الشقة يحدث نفسه بعصبية :

لا طبعًا ازاي الملاك أبو جناحات يكذب؟ ، مستحيل
لأ أكيد فخر هو اللي عايز يخرب البيت

أمسك بدورق المياه الزجاجي ليصدمه بسن الحائط
فانكسر نصفه وبقي النصف الآخر بين يديه :

فخر هو اللى شيطان!

لم يريحه بقاء نصف الدورق سليماً فقام بضربه في
الحائط مجدداً بعنف أكبر حتى تهشم، صارخاً بغضب:

فخر فيه كل العبر !!

راقبه حازم وهو يدور حول نفسه بحثاً عن شيء آخر
ليكسره ويشفي غليله، يبدو أنه خرج عن طوره
وتملك منه الغضب ولن يهدأ إلا بكسر أي شيء صلب
يقابله، فقرر التزام الصمت وأن يتركه يفعل ما يريد
؛ لإدراكه أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي ستهدئ
غضبه بعض الشيء ..

برزت عروقه واحمرّ وجهه بغضب عارم، وهو يمسك
بكوب آخر يستعد للإطاحة به :

حَصَلت يصدقها ويكذبني في حاجة هو عارف إني
مستحيل أعملها؟! ، انا يوم ما اتحرش بواحدة
هتحرش بـ سلحفة البلاءات دي! .. هو بيحب يجي
عليا وخلص ليه؟! عملت له ايه انا!!

صرخ بعبارة الأخريرة وهو يلقي الكوب أرضاً; وكأي
شيء وقع بيده .. تحطم إلى أشلاء!
ضم حازم شفتيه بقلق من كل هذا الغضب الذي يوشك
على تفجير رأسه ومع ذلك لم ينطق بكلمة؛ فلن تفيد
الكلمات بهذا وضع ..

ارتفع صوته الأجهش أكثر حتى كاد يسبب شروخاً
بالجدران :

_ مهندس فخر يتحبس فى الجراج كأنه حرامى
غسيل ممسوك متلبس والبتاعة دي تتباجح وتشطح
فينا كدا عادى!!

تطلع من حوله بعدم استيعاب متابعًا :
_ ده حتى مَدَّاش نفسه فرصة يشكك فى كلامها حتى!
، حكم إنه أمر واقع بكلمتين صغيرين سمعهم منها
وخلص ، اومال لو مكنتش ابنه كان عمل ايه؟!!

كان كل هذا الصراخ كفيل بأن يؤلم رأسه ويصيبه
بدوار لحظي، فوضع يده على جبهته بتعب، قبل أن
يتحرك خطوة ويزيح تلك القطع الزجاجية المتناثرة
على الأرضية بغضب، ثم يستسلم للجلوس أرضاً
بجوار الحائط..

أسند ظهره على الجدار وأثنى ركبتيه لئسند عليهما
ذراعيه، عينيه مثبتة فى الفراغ بوجه مكفهر

وحاجبين منعدين بضيق وأنفاسه يلتقطها بعنف
ونهبان قوي ..

طالعه حازم بهمّ وحزن اختلط بتردده؛ أيتكلم أم يتركه
يأخذ راحته في إخراج ما بجبعته إلى النهاية تمامًا ..

ولكنه لم يتحدث مجددًا .. عينيه معلقة باللاشيء، يده
ترتعث بشكل عنيف غير معهود؛ أثر ارتجافتها
النفسية المعتادة، والتي تضاعفت هذه المرة بسبب
كل هذا الانفعال، فأضحت أقوى عن ذي قبل ..

أغمض عينيه بإجهاد، وحرّك يديه ليحيط رأسه بكفيه
ويخفي وجهه بينهما ..

وبكى!

لم يكن ليكتشف حازم بكاءه إلا بشهقاته الخافتة
وتنفسه الغير منتظم؛ فقد دفن وجهه بين ذراعيه
تمامًا يشارك دموعه مع نفسه ..

لأول مرة منذ وفاة والدته يبكي!
شعور قاتل بالضغط لم يستطع تحمله، وتلك
الشخصية القوية الغير مبالية اكتفت منه وهربت، فلم
يتبقى له سوى العبرات والبكاء ..

خرج صوته ضعيفًا خافتًا اختلفت نبرته تمامًا عن
انهياره السابق :

انا تعبت والله .. نفسي اتساب في حالي بقى .. مش
كثير عليا اعيش حياة هادية شوية، ليه صعب عليكم
تدوّهاني!

استمر في البكاء بشجن ووجع، حتى شعر بيد حازم
تلمس كتفه لتربت عليه، بعدما انخفض على ركبتيه
بجواره .. يمرر عينيه من حوله بحيرة وحزن ؛ بحثاً
عن شيء مناسب يقوله ولكن لم يجد .. لم يملك سوى
عناقاً دافئاً منحه إياه بشفقة، ضمه لصدره بقوة
واحتوى جسده المرتعش بين ذراعيه وشرع يربت
على كتفه بهدوء، شعر باستسلامه وعدم مبادرته
بأي حركة إضافية وكان تلك الدموع الصغيرة أنهكت
جسده فانتهى به المطاف يذرف عبراته بصمت
وسكون تام ..

الحاجة إلى تخفيف همك بحنان وعطف، تتخطى
حاجتك لإيجاد حل للمشكلة ..

وصديقاً يشاركك حزنك بمجرد عناق صغير، أفضل
من أن يشارك بحلول لن تفيدك وانت تقف على حافة
الهاوية ..

*

*

*

لم تتحرك ناهد من موقعها بعدما تركهما زياد،
وعينيها ثابتة على أخيها ترمقه بعدة تعابير مختلفة
;جمود .. مقت .. استحقار .. لوم
تَعَجَّب عامر من صمتها وتحديقها المريب له، إلى أن
نطقت بهدوء شديد :

_كل الناس فيها الوحش والحو يا عامر .. إلا انت
كسرت القاعدة دي ومشوفناش منك أي حاجة حلوة
.. ولا كأنك بتتنافس مع حد مين فيكوا يطلع أوحش
اكثر وهياخد جايزة فى الآخر

اختلطت نبرتها المستحقرة بالتهكم وعدم الاستيعاب،
قائلة :

_بتحبس ابنك فى الجراج وتسمح لواحدة من الشارع
تقدر عليه؟ ، امتى جبروتك وصل للمستوى ده؟

سكتت لحظة ثم استطردت باستهزاء :

_كل ده عشان بابا غصبك تتجوز امينة؟ ، للدرجة دي
غورك مجننك لدرجة إنك كنت مرتاح بـ ذلّها وكرهت
ولادك لمجرد إنها هي أمّه؟! ، ليه عملت لك ايه
عشان ده كله؟ .. ايوه كنت مغصوب تعيش معاها بس
كان ممكن تحاول تحبها يمكن تعرف .. ليه على طول
جريت لطريق كان عندك اختيار متمشيش فيه من
الأول؟

صمتت لثانية أو اثنتان، ثم أردفت :

_انا عارفة إن بابا كان شديد ومكاشش بيطببب علينا
وطول الوقت بعيد عننا .. بس ده ميعملش فيك عقدة
بشعة اوي كدا! ، بابا مكاشش زيك .. لا كان بيمد ايده
علينا ولا بيحسنا إنه بيكرهنا زي ما بتعمل مع
ولادك .. ليه قررت انت تبقى وحش كدا؟ استفدت
ايه؟!

زاغت عينيها من حولها بهمّ، حركت رأسها بشيء
من اللامبالاة وواصلت :

_انا مش هقول لك انا أم مثالية ولا انا ست بتعرف
تتعامل مع بنتها صح، لأ خالص .. انا ربّيت بنتي غلط
واكتشفت ده متأخر للأسف ، عودتها تعتمد عليا لحد
ماطلّعتها معندهاش شخصية وبتغرق في أصغر
مشكلة .. بس على الأقل ده طلع منّي عشان خايفة

عليها وعائزة احميها من قرف الدنيا وبلاويها، مش
عشان اتحكم فيها واذلها ..

طالعه باستهزاء متابعة :

إنما انت مريض نفسي يا عامر .. مفيش تصرف
واحد طلع منك عشان بتحبهم! .. مفيش واحد فيهم
هيفرق معاك حتى لو بيموت قدامك !

رفعت سبابتها أمامه بتحذير، مردفة :

بكرة يا عامر هتاخذ على دماغك جامد اوي من البت
دي! .. وساعتها لا هتلاقيني ولا هتلاقي واحد من
عيالك جنبك .. ولما تموت هتموت لوحداك لحد ما
ريحتك تطلع ومحدث يسأل فى جنتك المقرفة شبهك
!!

بصقت كلماتها الأخيرة باشمئزاز ثم توجهت إلى
الباب وغادرت، تاركة إياه يحدق في أثرها بجمود
وصمت تام

*

*

*

فتحت عزة باب المنزل لهذا "العريس" المنتظر،
بعدما اتفق معها على موعد لمقابلة خالها ليطلب يدها
..

أخذت نظرة على أناقته ومظهره المرتب ; حيث ارتدى
بنطالاً من اللون الرمادي القاتم وقميصاً أبيض اللون
مع سترة كلاسيكية من اللون البني الفاتح .. لن تنكر
أنها أعجبت بوسامته ولكنها لم تُظهر ذلك وأسرعت
تتقمص العناد والحنق :

_تأخرت ليه يا حيوان انت؟

أجابها مروان ساخطاً :

_عقبال ما لقيت عنوان خالك ياختي .. ما كنت قابلته
في بيتك وخلص، لازم تفرهضيني لحد هنا؟

_وجاي بطولك كدا ليه؟ أمك فين؟

_لما اتفق مع خالك الأول هبقى اجيبها في زيارة تانية

كان يمسك بعلبة من الكعك بين يديه، فمدها لها قليلا
وهو يقول بتفاخر :

_انا جايب جاتوه وجاي اتقدم اهو زي الناس
المحترمين .. والله ما استخسرت فيكي الدسنة ام ١٢
قطعة مع إنك متستاهلش

بطل نتانة وقرف بقى! .. وبعدين دي تخش تحطها
على الترابيزة مش تدهاني

ابتسم بعدما ألقى نظرة عابرة على فستانها البسيط ذو
اللون البنفسجي الفاتح والمزخرف بالكثير من الورود
الصغيرة الهادئة، بالإضافة لشعرها القصير المهتم
ومكياجها البسيط .. طالعها بعث ونطق غامزًا :

بس سيبك انتِ .. شكك صاروخ في الفساتين يابنت
الذينة أول مرة اشوفك بيهم
رمقته بمنتهى التقزز وزجرته بحنق :

ايه الفاظك اللي طالعة من الحمام دي؟! ، انت
هتخش تتكلم كدا قدام خالي!؟

اعتدل مروان بوقفته فورًا ورسم ابتسامة هادئة على وجهه عندما ظهر خالها من خلفها وهو يقول بترحيب :

_ أهلا وسهلا يا بني أهلا، تعالى اتفضل

تقدم مروان للداخل خطوة وبادله السلام باليد قائلاً :

_ ازيك يا عمي؟

_ الحمد لله اتفضل ..

سبقه الخال بخطوة ليأخذه إلى الصالون، بينما أدار مروان رأسه لعزة التي أغلقت الباب وتأخرت عنهم بخطوة، أرسل لها غمزة أخرى مع ابتسامة مليئة بالثقة يخبرها بها أنه سيتولّى الأمر جيدًا وسيقول موافقة خالها على الفور

*

*

*

مر حازم من بين الزجاج المتناثر على الأرضية، متوجهًا إلى باب الشقة ليفتحه ويدخل منه زياد ومريم، فنطق حازم قبل أن يسمع سؤالهم المتوقع :

كويس ودخل الحمام دلوقتي .. خشوا

بدا عليهما التعجب عندما وقعت أنظارهما على الفوضى العارمة التي أحدثها فخر، فصاحت مريم :

ايه اللي حصل ده؟

أجابها حازم بلامبالاة :
_يعني .. كان متعصب شوية

خرج فخر وهو يجفف وجهه بمنشفة صغيرة، ووقع
بصره عليهما فلم تلبث مريم حتى هرولت إليه
وعانقته بقوة محيططة رقبته بذراعيها، وهتفت بقلق
واهتمام :

_فيرو انت كويس؟

ربت فخر على ظهرها و رد بهدوء :
_انا تمام محصلش حاجة

نبت مريم بعزم :

**_المجنونة دي زودتها ع الآخر وبكرة هتعرف مقامها
كويس .. المهم انت متضايقش نفسك وانسى اللي
حصل ده عشان خاطري**

**تراجعت بهدوء لتتظر بعينيه المتعبة، فابتسم لها
ابتسامة صغيرة واكتفى بإيماءة صغيرة، ثم التفت
لزياد الذي اقترب منه بتمهل وحاول ترتيب كلماته
بقوله :**

**_انااا .. عارف إن كلامي معاك كان وحش آخر مرة
وسخيف، بس ده مكانش إلا عشان تهمني والله .. انا
كنت خايف تبقى منجرف ورا قلبك وتنسى نفسك
عشانها**

نطق فخر بجمود :

_ انا مش كدا يازياد

أوما زياد بفهم :

_ عارف .. انا آسف، مكانش ينفع امدّ ايدي على
اخويا الكبير بردو، دي غلطي حقك عليا

بادله فخر الاعتذار قائلاً :

_ انا اسف بردو عشان اتترفتت وضربتك، متزعلش
مني

اعتلت زياد ابتسامه جانبيه ونطق بترقب :

_ صافيين يعني؟

أجابه فخر باستصغار مازح :

_ انت حمار اه بس اعمل ايه بقى؟ صافيين وخلص

_ هو انتوا اتخانقتوا!؟

**رددت مريم سؤالها وهي تبدل أنظارها بين أخويها،
فتطلع لها زياد بضجر :**

**_ مريم احنا الأعراب عارفين أحداثنا اكثر منك ..
محسوبة علينا اخت على الفاضي وخلص**

أجابته ضاحكة :

_ انتوا اللي مش بتعرفوني حاجة

تقدم حازم تجاههم مخاطبًا فخر :

_ خلينا في المهم، انت هتعمل ايه دلوقتي؟

أجاب فخر بعدم اكتر اث :

_ولا حاجة .. هقعء شوية وبعءين هروح المّ حاجتي
من هناك

صاحت مريم بذهول :

_انت ناوي تقعد هنا على طول ولا ايه؟

رد بصوت مختق :

_كام يوم لحد ما ارجع لطبيعتي كدا ومزاجي يتحسن
شوية .. انا مخنوق بجد ومش طايق البيت ده خالص

نطق زياد بحنق :

_وبسمة؟

أطلق تنهيدة مطولة ثم أجاب متوعدًا :

بِسْمَةِ دِي هَفُوق لَهَا كَوِيس بَعْدِين

*

*

*

بَعْد مَرُور يَوْمِين ..

كَانَتْ تَجْلِس عِزَّة بِجَوَار خَالِهَا وَهِيَ تَرِيهِ بَعْض
الْفَسَاتِين لِيَخْتَار مَعَهَا وَاحِدًا تَرْتَدِيهِ لِحَفْلِ خَطُوبَتِهَا،
وَهْتَفَتْ بِحِمَاس :

دِه حَلُو اَوِي، اِيه رَأْيِك؟

أَجَابَهَا خَالِهَا ذُو الْوَجْهِ الطَّيِّبِ وَالْإِبْتِسَامَةِ الْبَشُوشَةِ :

حَلُو بَس لِيه نَبِيَّتِي؟ مَش غَامِق دِه؟ الْبَسِي حَاجَةٌ
فَاتِحَةٌ أَحْسَن

_بس ستايله عاجبني ..

ثم أردفت :

_طب استنى هبعته لمروان ونشوف رأييه

انشغلت بإرسال الصورة له، بينما استمعت لخالها
يتساءل بتردد :

_عزة انت مبسوفة؟

استغربت سؤاله ونظرت له قائلة :

_ليه بتقول كدا؟

_أصل الموضوع جه فجأة، الراجل يادوبك قرا معايا
فاتحة من يومين ودلوقتي بتجهزوا لخطوبتكوا بعد

اسبوعين .. حاسس إنك ملحقتيش تستوعبي حاجة،
مش حاسة إنك قلقانة أو متوترة أو مستعجلة؟

ابتسمت عزة بهدوء وقالت :

_ لا متقلقش انا مبسوفة .. هو بس مروان حبيب
يبقى في حاجة رسمي على طول عشان تبقى واضحة
قدام الناس كلها إني مخطوبأله ، لكن الخطوبة عادي
هناخد وقتنا فيها لحد ما نشوف هنتفق سوا ولا لا

ابتسم خالها باطمئنان وقال :

_ شكله واد دوغري وابن اصول، انا لما شوفته بردو
حسيت إنه جدع وارتاحت له

مطت شفيتها بحيرة وهي تتطلع في الأنحاء حولها
;بالطبع هذا اللئيم يستطيع خداع أي أحد بوجهه

الرزين وكلماته الموزونة .. وإلا كيف وقعت بحبه،
حتى بعد معرفتها بعيوبه التي تغطي عرض الحائط!؟

*

*

دلفت سحر من باب الغرفة المفتوح لترى فخر وهو
يلملم ملابسه بحقيبة ظهر متوسطة الحجم، فقاطعته
عن استكمال ما يفعله بقولها :

_يابني هو لازم يعني تسيب البيت؟ كفاية اليومين
اللى فضلت غايب فيهم

أجابها دون أن يلتفت لها :

_معلش ياست سحر، انا هرتاح كدا

_مش هتقعد تاكل معانا طيب؟

_ مش النهاردة، بالهنا والشفا انتوا

_ طب لو مش عايز تاكل براحتك، بس مش فاضي
تقعد شوية حتى؟

توقف عن عمله ونظر لها متسائلًا :
_ هو في حاجة يعني؟

_ لا بس اصل اا

ترددت سحر وحاولت خلق أي شيء يجعله يبقى، ثم
قالت :

_ عايزة افضفض معاك شوية، لو عندك وقت طبعًا

تطلع لها بانتباه مجيبًا :

_ أكيد اتفضلي ...

*

*

*

أمام بناية من البنايات التابعة لأحد الأحياء الراقية،
خرج زياد بصحبة ياسمين من مدخلها إلى الشارع
وهو يقول :

__ايه ساكتة ليه؟ ماتقولي الشقة حلوة ولا لا

أجابته بعدم اقتناع :

__غالية يازيزو غالية زيادة عن اللزوم

توقف زياد عن السير، فوقفت معه وسمعتة يقول
بمئل :

_ انا مبقولكيش قدريها، انا بقول عجبائي ولا لأ ..
انت مالك ومال الفلوس!؟

_ لا مش فكرة فلوس بس .. انا عندي تعليقات كتير
عليها
ضم يديه على بعضهما هاتفاً بضجر :

_ اطريني ياكروان

ضحكت ياسمين معلقة :

_ انت اتعديت من فخر؟

صاح بتذمر :

_ مبيقولش غيرها يخربيته فلق دماغي ..

ثم أردف :
_المهم قولي

رفعت إبهامها استعدادًا للعد وهي تتحدث بطريقة
فلسفية :

_أولاً دي فى الدور التاسع .. يعني لو الاسانسير باظ
هطلع تسع ادوار على رجلي وده هيعود عليا بفقدان
صحتي، واللي بالمناسبة انا محتجاها عشان اعرف
اشيل مسؤولية البيت

أوما زياد وهو يجاريها قائلا :

_وهو كذلك

رفعت سبابتها إشارة للعنصر الثاني، وتابعت :
_ثانيًا تشطيبها وألوانها مش عجباني .. يعني فوق
سعرها المتخلف ده هنصرف كمان دهانات جديدة
وشغل جديد

ثم رفعت إصبع الوسطى لتهتف بالعنصر الثالث :

_ثالثًا بعيدة عن ماما .. يعني لو نفترض جوالي حاجة
وانت مسافر أو مشغول أو مبتردش، وكلمتها تجيلي
.. عقبال ماتوصل لي هكون خلصت

رمقها بمنتهى التقزز مهممًا :

_اه يابير السلبيّة يا بنت البومة! .. ايه العفانة اللي
بتطلع منك دي!؟!

_انا ببص لقدام وبعمل حساب الظروف ..

أشاح برأسه بعدم اهتمام :

_ياشيخة غوري

رددت مهددة إياه بنبرة منخفضة حازمة :

_لا انت تحترم نفسك وانت بتتكلم معايا، الطريقة دي
متفغيش!

اقترب منها لينظر بداخل عينيها بتحدٍ :
_والآ؟

زاغت عينيها يمينًا ويسارًا بتفكير وتردد، ثم تصنعت
البكاء قائلة :

_انت هتضربني ولآ ايه؟

ضحك وأجاب مُعلقًا على جسدها النحيل والقصير :

انتِ مفكيش نَفْس للضرب أصلا، انا لو اديتك كفّ
على ضهرك هتخشي في غيبوبة ست ايام !

*

*

*

بعد وقت طويل كان يجلس فخر على الكرسي بجانب
المكتب مباشرة لِيُسند مرفقه على سطح المكتب
ويضع كفه على وجنته ويبدو عليه أنه شارف على
الدخول في سبات عميق من فرط الملل، بينما تثرثر
سحر بعدة حكايات غريبة ;تارة عن جارتها وتارة
عن سلفتها .. وهو يجلس لا يفهم شيئاً ولكنه
يسايرها ويهز رأسه متظاهراً بالاهتمام ..

أنقذه صوت جرس الباب قبل أن ينفجر رأسه من
الصداع، فقالت سحر :

_هروح افتح الباب واجيلك متحركش!

.

.

توجّهت سحر إلى باب القبلا لتفتح الباب لضيقتها
المنتظرة ..

أخذت جهاد خطواتها إلى الداخل دون سابق دعوة،
مطلقة زغرودة عالية وطويلة ..

أغلقت سحر الباب ثم اتجهت صوبها تطالعها
بتساؤل، بينما وقفت جهاد بمنتصف ساحة المنزل
وهي تخاطبها بشيء من الدلال :

_ازيك ياطنط؟ ، او مال خوخة فين؟

طالعتها سحر بضحكة مندهشة ونطقت مستكرة :

_مهندس فخر بقى خوخة؟

**ابتسمت وهزت كتفها الأيمن بثقة، وكأنها تخبرها
أنها تختلف عن الآخرين وهذا المهندس ليس إلا
صغيرها المدلل ..**

اتسعت ضحكتها وقالت :

_باركيلى ياطنط، انا وفخر هنتجوز خلاص!

فغرت سحر عيناها بذهول شديد وسرعان ما غزت

الفرحة وجهها تقول :

_ والله؟ يا الف نهار مبروك ايه الأخبار القمر دي!

**ومن ثم انطلقت من بين شفتيها زغرودة مطولة
خرجت من قلبها السعيد .. فشاكستها جهاد قائلة :**

_ لا زغرويتي انا احلى

فردت سحر معاندة :

_ لا طبعًا انتِ متعرفيش توصلي لمستوايا

**أخذ فخر خطواته فوق الدرج حتى وصل إلى آخره ،
فيما ظهرت بسمه عند أوله استعدادًا للنزول، بعدما
أثارت تلك الزغاريد استغرابهما ..**

**بدت الدهشة على وجهه عندما رآها واقترب منها
متسائلًا :**

_ انتِ بتعملي ايه هنا؟

بينما نظرت له جهاد بضحكة واسعة :

_ تعالى يا فخر شوف مين بيز غرط أحسن، انا ولا طنط
سحر

قبل أن يبادر برد فعل، كان صوت بسملة الغاضب
يصدح بإزعاج :

_ ايه اللي جاب المهزقة دي هنا؟!!

نظرت جهاد صوبها وتصنعت التفاجؤ :

_ ايه ده مش دي الست اللي مبتحبنيش؟

صاحت جهاد بعبارتها ببرود وهي تتجه نحوها ، حتى
اقتربت كثيرًا وقبّلتها مرة يمينًا وأخرى يسارًا، ثم
ابتعدت ونظرت في وجهها باستفزاز :

متقلقيش انا من هنا ورايح على قلبك .. كلها مسألة وقت ونتجوز انا وفخّورتى وهاجى اكنم على نفسك هنا ! ، هو يا حبيبتي غلبان مالوش فى شغل النسوان بتاعنا، لكن انا بجحة وهعرف اجيب تمامك كويس .. وفى ظرف اسبوع بالكثير هكون مطفّشاكى من غير ماتلحقى تلمى هدومك حتى! ، بعيد عنك انا عندي كمية غباء خلّت اللى دايب فيا يطفش منّي .. ما بالك انتِ بقى؟

عجرت بسمة عن الرد على هذه الجريئة الوقحة وظلت تحملق في وجهها باندهاش، بينما استدارت جهاد لتتجه صوب فخر، وصاحت وكأنها بمنزلها :

هو محدش هيجيب لي شربات ولا ايه؟

سارت حتى توقفت بجوار فخر، ثم التفتت لبسمة
تخاطبها من جديد :

_ بقولك ايه يا حجة انت، لو لا قدر الله حضرتي فرحنا
متبقيش تلبسي اصفر .. انا عارفة ان صفارك كفاية
بس مش ده المهم دلوقتي

ثم أسندت يدها على كتف فخر وواصلت بغنج وبرود:

_ ده بس عشان خوخة حبيبي بيحب يشوف الاصفر
عليا انا بس.

رمشت عينيه عدة مرات بتعجب وانعقدا حاجبيه، قبل
أن يدير رأسه لها ويطالعها باستفهام :

_ خوخة؟؟

اتسعت ابتسامتها وهزت رأسها بتأكيد :

you are my_ خوخة !

رفع حاجبيه باندھاش، ومن ثم أسرع يمسك ذراعها
ليجذبها معه إلى الخارج :

تعالى معايا

أخذها إلى الحديقة ووقف بمواجهتها وسط ضوء
النهار، ونهرها قائلاً :

ايه اللى بتعمليه ده يا جهاد؟

أجابته ببرود :

ما انت الذوق مش نافع معاك، قولت اشوف لك
أسلوب جديد

ضيق عينيه بتساؤل، ثم قال :

بس انا سايب البيت بقالي كام يوم، عرفتي منين
إني هبقى هنا دلوقتي؟

طنط سحر حبيبي كتر خيرها، كلمتها اول امبارح
وسألتها عليك قالتلي إنك سايب البيت، قولت لها
خلاص أول ما يجي قوليلي عشان في حاجة مهمة ..
ولما حضرتك جيت قامت كلمتني على طول، وأكدت
عليها تعطّك ومتسيبكش تمشي لحد ما آجي

لم يظهر عليه الاهتمام ووضع يديه بجيوب بنطاله
الأسود وبقي صامتاً يرمقها بملل، بينما وقفت هي
تتطلع له بنظرات مترقبة وبريئة؛ كجرو صغير ينتظر
صاحبه أن يلعب معه ..

بضع لحظات مرّت قبل أن تفاجئه بعبارة مباشرة لم
يسبقها أي مقدمات :

فخر انت بتحبني.

لم تكن تطرح سؤالاً، بل تخبره بمعلومة مؤكدة ..
ولعلمه بأنها صحيحة، تأثر كيانه بها واهتز داخله
دون أن يظهر ذلك على جسده أو وجهه، فيما أكملت
هي بصوت حنون :

_ وانا مش بستغل ده عشان أذك بالعكس انا عايزة
استغله نبدأ بيه من الأول وننسى كل اللي فات

تأمل عينيها الكحيله التي اشتاق لرؤيتها كثيرا ;حتى
أنه لم يركز لكامل الحديث بسبب ضياعه بين
سودايتها الواسعتين ..

_ انت بتحبني وانا بحبك وعندي استعداد اعوضك ألف
مرة عن أي حاجة وحشة حسيت بيها بسببي .. يبقى
ليه نكابر على الفاضي؟ ، مش يمكن نموت بكره؟!
مش المفروض نستغل كل دقيقة في حياتنا!؟

اقتربت منه بهدوء وقللت المسافة بينهما، لتزعزع
ثباته أكثر بقرب حدقتيها الباهيتين من خاصته،
وتقول برقّة :

صَدَّقْتَنِي جِهَادَ بَقِيَّةِ وَاحِدَةٍ تَانِيَّةٍ، مَشَّ هَتَقَدَّرُ تَزَعَّكَ
تَانِي أَبَدًا

ابْتَسَمْتَ بِأَطْفٍ وَهِيَ تَطَالَعُهُ بِأَعْيُنٍ مَتَوَسِّلَةٍ :
عَشَانَ خَاطِرِي يَا فَخْرًا ..

حَدَّقْتَ بَعَيْنِيهِ قَلِيلًا بِحَبِّ وَاضِحٍ، ثُمَّ أَرْدَفْتَ بِرَجَاءٍ وَقَلَّةِ
حِيلَةٍ :

ادِّينِي فَرَسَةً وَارْجِعْ حَبِّي زِي الْأَوَّلِ

تَرَدَّدْتَ أَنْظَارَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهَا الْقَرِيبَتَيْنِ مِنْهُ وَكَأَنَّهُ غَرِيقًا
هُزِمَ بِأَمْوَاجِ سِحْرِهِمَا ، سَكَتَ قَلِيلًا حَتَّى انْفَكَّتْ عَقْدَةُ
لِسَانِهِ وَأَعْلَنَ اسْتِسْلَامَهُ قَائِلًا بِصَوْتِ هَامِسٍ يَبُوحُ
بِعَشْقِهِ :

انا بحبك أكثر من الاول

تخدرت أطرافها لوهلة ; هل ما قاله صحيح أم أن
عقلها يلاعبها؟

استوعبت الأمر تدريجيًا، ولم تأخذ وقتًا حتى حلقت
ابتسامتها العريضة فوق محياها وانطلقت منها لمعة
عينيها المميزة ; تلك اللمعة الحماسية التي لطالما
عهدا قديمًا عادت من جديد، بعدما كانت قد انطفأت
وتلاشت لفترة ..

حتى تلك الملامح المسرورة العادية كان يفقدها ..
حقًا لقد تملكك منه بكل تفاصيلها !..

راقب نظراتها التي ترمقه بعدم تصديق، فابتسم لها
ابتسامة جانبية وحرك كتفيه باستسلام، معلنا عن
خضوعه لرغبته بعودتها ..

اتسعت ضحكتها أكثر حتى ضاقت عينيها بسعادة، مما
جعل وجهها ألطف وملامحها أكثر نعومة .. هو يفضل
تلك الضحكة العريضة التي تسبب انغلاق جفنيها
;تذيب قلبه حتى آخر إنش به ..

اعتلته ابتسامة هادئة تخفي خلفها أطناناً من الحب،
وترددت بعض الكلمات بعقله ;لم يفصح عنها واكتفى
بمحادثة نفسه بها في داخله :

”قَلْبَهَا يَقْفِزُ مِنَ السَّعَادَةِ،

وَقَلْبِي يَسْبِحُ فِي رَقَّةِ سَعَادَتِهَا“

•
لاحظها وهي تُخرج ورقتها المميزة من جيب بنطالها،
وقد فكَّتها مسبقاً وطوتها نصفين، فابتسم بهدوء ولم
يتطلب الأمر أن تنطق بطلبها، فقد فهمها جيداً ..

أخذ منها الورقة، وقبل أن يستعد لتشكيلها، قام أولاً بإخراج قلمًا من جيب بنطاله الخلفي وبدأ بإضافة بعض الكلمات في ظهر الصفحة؛ لم تخرج العبارة بخط منظم بالكامل؛ بسبب إسناد الورقة على كفّ يده، ولكن يكفي أن تكون واضحة وحسب ..

انتهى وأغلق القلم ثم أعاده بجيبه، ولم يمنحها فرصة لقراءة ما كتب، بل بدأ فورًا في طوي أطراف الورقة وجوانبها ليخلق شكل النجم المطلوب ..

كان الفضول يقتلها لمعرفة ما كتب، ولكن رغم ذلك لم تضع تعليقًا، وظلت صامتة تراقبه حتى ينتهي ..

طوية خلف أخرى وأخرى وأخرى .. حتى تكوّن النجم بين يديه، ثم رفع رأسه لها ومدّه لها مبتسمًا

ابتسامته الجذابة المميزة، مرددًا ما دونه بالورقة
للتو بصوته الرخيم الهادئ :

"دُمتِ بهيَّة يا أثيرة الكُحل"

عادت ضحكتها الواسعة ترتسم على وجهها؛ فرحة
بكلماته اللطيفة ، ثم أخذت منه النجمة الورقية
وتأملتها مطولًا بسعادة غارمة ..

لم يكن تراب أمشير بهذا السوء ؛فقد أمعن النظر
قليلاً، وأيقن أن كل تلك الرياح آخرها نورًا مبهجًا
سيضيء حياته الباهتة ..

.

.

أغلق دفتره وأطفاً مصباحه الصغير .. ترك قلمه بعد
أن ترك أولاً بضع كلمات تزيّن إحدى الصفحات :

"حتى وإن كنت بِقوّة رياح أمشير، فأنا أهْلٌ جيّدًا
لاحتواء عواصفك"

يتبع ..

الفصل الرابع والثلاثون {CLASSIC}

مرت بضعة أيام حتى حضرت الليلة التي تسبق يوم
خطبة مروان وعزة؛ حيث يقوم الجميع بالاستعدادات
والتجهيزات ..

جلست عزة بصحبة مروان بأحد المقاهي المغلقة،
يتجادلان في اختيار الطعام الذي سيقدمانه للضيوف،
فهي تريد الشيء الطبيعي والمتعارف عليه؛ الكعك
والعصير، ولكنه يعترض ويريد أن يقدم شطائر الكبدية
..

زجرته عزة باستنكار قائلة :

بطل عبط بقى، كبدية ايه اللى نديها للناس دي؟

رد مروان بجدية محاولاً إقناعها :

التورته والبيبيسي قديموا والله، لو كلوا كبدة
هيفضلوا فاكرين اليوم ده على فكرة .. وهبقى أول
عريس يقضي على عادات الجاتوه ويطلع موضة
الكبدة والحواوشي .. ونبّلع ب مخلل

مروان انا عارفة إنك بتحب سندوتشات الكبدة بس
مش لدرجة تقدمها في خطوبتك يعني .. وبعدين مخلل
ايه اللي تبّلع بيه ده!

انقطع هذا النقاش المهم جدًا بصوت هاتفه، فتناوله
من جيبيه وأجاب :

ايوة يا جهاد؟

رفع عينيه ليرى وجه عزة الذي يرمقه بسخرية
وحنق، فحاول كبت ضحكته وتابع مكالمته مع جهاد،
فاستمع لها تسأله :

_ مشوفتش طوق الشعر بتاعي الأبيض؟

_ معرفش ملبستوش

ردت جهاد بسخط :

_ انت بتهزر؟

أجاب ضاحكًا :

_ عايزاني اقول لك ايه يعني؟ .. هعرف منين انا؟!!

_ انا مش كنت بورّيك شكله مع الفستان قبل ماتمشي؟

أجاب بدرامية وبراعة ساخرة :

_ صدقيني مسرقتوش انا مبحبش اللون الابيض

صاحت بنفاد صبر :

_ ده انت سمج يا اخي! غور امشي

أبعد الهاتف عن أذنه لينظر بشاشته ويتأكد أنها
أغلقت بوجهه، فضحك ثم التفت سريعاً لعزة عندما
سألت بغضب مكتوم :

_ مين جهاد دي؟

اعتلته ابتسامة لئيمة، وردّ قاصداً استفزازها :

_ دي نزوة قديمة كدا

طالعه باستهزاء وتهكم :

_ياراجل؟

_اه بس بقالها كتير بتكلمني عشان نرجع،
مستحملتش تبعد عني قولت خلاص احايلها شوية كدا
.. بس متقلقيش اول مانتخطب هقطع علاقتي بيها
على طول

صاحت فجأة بغضب :

_تصدق إنك بجح وقذر؟ وكويس إنك عملت كدا قبل
ما البس في دبلتك بكرة .. أنا هروح اقول لخالي
الخطوبة اتلغت خلاص ووشك ده مش عايزة اشوفه
تاني!

انتفضت واقفة بعنف استعدادًا للمغادرة، فأسرع
يمسك معصمها ليووقفها وهو يقول ضاحكًا :

_ يابت اهدي بهزر، دي اختي والله

نزعت يدها من قبضته بعنف :

_ خفّ تحوير بقى!

_ اقسم بالله اختي، انا مش بكذب .. هخليها تصورلك
البطاقة لو عايزة

حدفته بتعجب وجلست على مقعدها مجددًا وهي
تتساءل باستغراب :

_ انت مقولتش قبل كدا إنك ليك اخت

_ ما انا كتوم شوية

هتفت باستفهام :

_ او مال مكنتش بشوفها ليه لما كنت بزور مامتك؟

عشان هي اختي من ابويا بس .. والجو بينها وبين
امي ملبّش ومعفر وهيقلب عواصف لو اتجمعوا في
مكان واحد

ليه؟

أجاب ببديهية :

عشان أم جهاد تبقى ضرة امي

صمتت لحظة ثم تساءلت بترقب :

طب وبالنسبة لأنهم already هيتجمعوا بكرة في
الخطوبة؟

_ربنا يستر بقى وأمي تعمل مش واخدة بالها عشان
هي اللي بتتلكك دايمًا

*

*

*

في الشقة الواسعة التي لايزال فخر مقيمًا بها وحده،
تحديدًا بالمطبخ أمام الثلاجة .. مال بجذعه قليلًا
ليبحث عن التفاح، وسرعان ما التقط واحدة ثم اعتدل
وأغلق الثلاجة .. وقبل أن يخرج سحب سكينًا صغيرًا
من فوق الرخامة لتقطيع التفاحة ..

قطع بعضًا من أطرافها وهو في طريقه إلى الخارج،
حتى استقر على الأريكة المريحة وهو يأكل القطعة
التي قطعها، ثم ترك السكينة مؤقتًا ليمسك بهاتفه
ويتفحص الرسائل وما إلى ذلك ..

كانت هي أول من يفتح محادثتها بعدما وجد منها
رسالة عبارة عن صورة لفستان ذو لون أسود
يتسطح السرير، وأسفل الصورة تعليقاً صغيراً :

حلوه؟

ضحك بخفة ثم خرج من التطبيق بأكمله وفتح جهات
الاتصال وطلب رقمها .. فتح مكبر الصوت وترك
الهاتف بجواره بعدما فُتح الخط، وهمّ يقول ضاحكاً :

الخطوبة بكرة وانت لسة بتقرري؟

مش عارفة انا متوترة اوي، انا كنت ناوية خلاص
البس الازرق بس مرة واحدة كدا حسيته وحش عليا

رد وهو يقطع شريحة من التفاحة :

مفیش حاجة هتبقى وحشة عليكِ والله، متركزیش
انتِ زیادة عن اللزوم بس

غمغت بضحكة صغيرة، ثم سألته :

طب البس ایه طیب دلّنی

أكل شريحة التفاح ثم أجابها والطعام بفمه :

البسي الفستان اللي لبستیه يوم كتب كتاب زیرو

ردت بسخط :

لا ده فستان فقر وهتبرّع بیه أصلا .. بیفكرنی
بغبائی كل ما ابص له، وهیكرّ شريط العكننة فی
دماغی تانی، وانا مش عایزة افكر الأيام اللی مكنتش
معايا فیها عشان بعیّط

ارتسمت عليه ابتسامة جانبية ثم أكمل تقطيع التفاح
وهو يقول :

_ خلاص خلاص خلّيني فى الاسود

_ وشعري؟

كانت تعرف إجابته قبل أن يلفظها ولكنها ودّت العبث
معه، واستمعت له بالفعل يقول ما توقعته :

_ ارفعيه ل فوق بتسريحة الأنااسة دي

لم يرى ابتسامتها الخجولة التي ظهرت على وجهها
؛فهي تعلم أنه يفضل تلك التسريحة عليها .. تحركت
لتجلس فوق الفراش بجوار الفستان الذي لايزال
مفروداً على السرير، وسألته :

طب و انت هتلبس ايه؟

انتهت التفاحة بعد تقطيع منظم بشكل مربع كما يفعلها دائماً، ثم بدأ ببشر الجوانب بانتظام حتى لا يخرّب شكل المكعب، إلى أن ينهيها .. فأكل شريحة إضافية وأجابها :

مخبّيش عليكِ انا مش ضامن آجي

صاحت بدهشة :

متهزرش يافخر!

والله الشغل بكرة هيبقى كتير وهيخلص عليا، لو قدرت آجي هاجي

لا أجّله، ميخصنيش

_ ما بقول لك اهو هحاول

صمتت قليلاً ثم أصرت على رأيها، هاتفة بأسلوب رسمي وكأنها تُلقي خطابًا :

_ عزيزي خوخة، أولًا انت مستفز وثانيًا انت لو مجيتش بكرة هقلبها عليك نكد لمدة سبع أيام وكل ما تبص لي هكشر في وشك تكشيرة مقرفة هتكرهك في خلقتي

فهقه بشدة، ثم حمم وأجابها بنفس طريقتهما :

_ عزيزتي چيچي، أولًا انا قمور واللي بلغك إني مستفز ليس إلا حقود تافه، وثانيًا احنا تحت أمرك، هجرّ رجليا بالعافية وهاجي حاضر

استمع لضحكاتها بنفس اللحظة التي تطفّل فيها أخيه
على المكالمة باتصاله، فالتقط الهاتف وقال :

_طب هكلمك تاني ياچيچي، زيزو بيتصل يارب ما
يبقى في مصيبة

هتفت ضاحكة :

_لا إن شاء الله خير، ابقى طمّني .. سلام

_سلام

أغلق مكالمته معها، ثم انتقل للمكالمة التالية وأجابه
بتأفف :

_ايه المواعيد التنحة دي ؟

_جايب نسوان فى البيت ولا ايه؟ .. ما صدقت تقعد
لوحدك طبعاً

_لسانك ده هقصه لك فى مره خلى بالك

ارتفعت ضحكات زياد، ثم حملت نبرته بعض الجديه
وهو يقول :

_عامل ايه طيب؟

_الحمد لله .. انتوا اخباركوا ايه؟

_انا تمام

_ومريم؟

_ لا دي بقالها ساعة ونص بتعيط، سييها فى حالها

تساعل فخر باهتمام :

_ ليه كدا! ايه اللى حصل؟

بينما أجااب زياد بلامبالاة :

_ لقت نفسها فاضية قالت تعيط

_ يا بني انت بتهزر؟ ما تشوف مالها

_ مالهاش .. قعدت تفتكر حاجات قديمة بتتكد عليها
راحت قعدت تعيط .. ما انت عارفها وش عكننة

تسيب كل حاجة حلوة وتلقظ أم الحاجة اللي تجييلها
ضيق تنفس

ثم أردف بعدم اهتمام :

_فكك هي هتهدي لوحدها .. خرينا في الأهم

_خير؟

سأله بترقب :

_انت رايق الأول؟

_الجملة دي بتيجي بعدها حاجة مش عجباني

_اه بصراحة هي مش هتعجبك بس هقولها بردو ..

انا عايز العربية بتاعتك مشوار

رد فخر باستتكار :

_ومالك متعشم اديهاك ليه كدا يعني؟

أجابه بنبرة مليئة باللفظ :

_مش انت اخويا وحببي يا فوفا؟

_ولا اخوك ولا حبيبك ولا عايز اعرفك أصلاً

فانقلبت نبرته فوراً إلى التذمر والسخط :

_متبقاش واطي يا فخر!

_زياد ..

نطق اسمه بضجر، ثم أردف بنبرة حكيمة غير

متناسبة مع محتوى كلماته :

ـ انا شخص بيحاول بصعوبة يحافظ على أدبه
وأخلاقه، متجرجرنيش عشان افقدهم وابستف أهلك
دلوقتي!

صاح زياد بغيظ وعناد :

ـ طب على فكرة بقى هاجي افسن لك الكاوتشات !

*

*

*

نهار اليوم التالي ..

جلس زياد على الأريكة التي تتوسط ساحة القيلا وهو يتحدث بالهاتف بحنق :

_ اتخنقت والله من الخضار واللبن والحاجات الصحية دي كلها .. عايز آخذ يوم free بقى واعكّ شوية

أتاه صوت ياسمين من الجهة الأخرى يصرخ به بتحذير :

_ إياك تعمل كدا يازياد متستهبلش .. انت الحمد لله اتحسنت عشان ماشي على كلام الدكتور، متبوظش كل حاجة بقى عشان خاطري

أجابها بملل شديد :

_ حاضر

ثم سألها قائلاً :

_ بقول لك ايه .. انت أمك نازلة النهاردة؟

_ هي بتنزّل كل يوم تقريبًا عشان شاغلة دماغها
بجهازى والصداع ده

_ والنهاردة بالليل هتنزل؟

_ اه غالبًا .. شافت امبارح طقم كبّة وخلاط كدا عجبها
وعايزة تجيبه، وانا هروح معاها

_ لا متروحيش اتحججى بالمذاكرة واقعدى، مش مهم
الخلاط دلوقتى

تساءلت بتعجب :

_ اشمعنا؟

_ هجيك

_تيجي تعمل ايه؟

_طب رحبي بيا من ورا قلبك حتى!

ضحكت بعنف و ردت :

_أكيد مش قصدي انا بسأل بس ليه يعني عايز تيجي
وماما مش موجودة؟

_لما آجي هتعرفي .. المهم اسمعي الكلام ومتروحيش

ردت بامتعاض :

_محببش شغل الساسبينس ده بقى

أجابها ضاحكًا بخفة :

يلا بس روجي شوفي حالك وانتظريني بالليل، سلام

انتهى من مكالمته تزامناً مع نزول مريم على الدرج
متأهبة للخروج .. كانت بكامل أناقتها ورونقها،
وكأنها لم تكن غارقة في بئر من الكآبة والبكاء بالليلة
الماضية ..

ما ان لمحها حتى ضحك وصاح مشاكساً :

ساعة كاريزما وساعة عيوطة !

تخطت آخر درجة من السلم، ثم سارت صوبه لتستمع
له يردف :

ايه عملتي موقف أون بسرعة كدا ليه؟

هتفت بأسلوب يبدو عليه الاقتناع التام :

_بص انا قررت خلاص اتبسّط بحياتي ومش هضايق
نفسي تاني، انا عايزة احافظ على بشرتي وصحتي ..
مش هحرق أعصابي كل شوية

أوما عدة مرّات يجاريها، ونطق ساخرًا :

_ايوة عارف انا الكلمتين الحمضائين اللي بيطلعوا
بعد سبع ساعات عياط دول !

*

*

*

تركت ياسمين هاتفها على الكومود وعقلها يفكّر ماذا
يحضّر لها زياد، حتى انقطع حبل أفكارها بدخول
والدتها من باب الغرفة المردود وهي تقول :

_بتذاكري يا ياسمين؟

نظرت لها مجيبة :

_ لأ بس هبدأ لسة

_ ينفع اتكلم معاك طيب؟

أومات فورًا :

_ أكيد ياماما اتفضلي

دخلت ناهد وجلست بجوارها على السرير، تتردد
عينيها من حولها بحيرة .. يبدو أنها تواجه صعوبة
في كيفية البدء بما تكتمه .. أطلقت تنهيدة مهمومة ثم
قالت :

_ عايزة اسألك حاجة

هزت ياسمين رأسها بانتباه وهي توجه جسدها ناحية
أمها قليلًا تعبيرًا عن الاهتمام ..

صمتت ناهد لوقت طويل ثم طرحت سؤالها :

_ هو انا وحشة معاكي؟

بدا التعجب فوق وجهها ; لأول مرة تتحدث والدتها
بتلك النبرة التي تحمل التردد والتوجّس، فتساءلت :

_ ليه بتقولي كدا؟

نطقت ناهد بقلق :

_ بقالي شوية بفكر في اللي حاصل بين فخر و عامر ..
وخايفة تكوني بتكرهيني زي ما ولاد خالك بيكرهوا
ابوهم

ردت بدهشة :

_ لا ياماما مش لدرجة كُرهه طبعًا، انتِ مش زي خالو
أبدا وانا مقدرش اكرهك

سكتت ناهد لثانية، ثم نبست :

_فاكرة الكلام اللي قولتية لي قبل كتب كتابك بفترة
وانا اتعصبت وضربتك وحبستك فى الأوضة؟

أشاحت ياسمين بوجهها وصمتت، بينما تابعت ناهد
بحزن :

_اليوم ده بقاله فترة مش راضي يطلع من دماغي ..
وحاسة إنك مبقتيش تحبيني من بعده

نظرت لها وسارعت بالإنكار :

_ايه ياماما اللي بتقوليه ده بس؟ مستحيل ده يحصل

صمتت ناهد لبرهة ثم تحدثت، وقد لانت نبرتها أكثر
وامتلأت بالتردد والهَمّ :

ـ انا كنت مقفلة عليكِ زيادة عن اللزوم صح؟ ،
عمري ما سبتك تاخدي خطوة برا البيت إلا وانتِ في
ضلي، حتى دروس الثانوية كلها كنتِ بتاخيها خاص
ومبتخرجيش من البيت .. يادوبك لما دخلتي الكلية
فكّتها شوية وسبتك تروحي لوحدك بعد ما عرفتكِ
الطريق، بس بردو فضلت رافضة تنزلي مع اصحابك
أو تطلعي رحلة تشوفي الدنيا ولا تفكي عن نفسك ..
أكيد من جواكي اتخنقتي منّي !

توقفت عن الحديث وأدمعت عينيها بتأنيب وشجن
; هي فقط كانت تسعى لحمايتها، ولكن يبدو أن الأمر
لم يجرِ بمصلحتها كما تخيلت .. ثم تابعت وخرج
صوتها متحشرجًا :

ـ بس انا مكانش قصدي ..

سكتت قليلًا ثم أردفت بحزن دفين :

_ يَاسمِينِ أَنْتِ بِنْتِي الْوَحِيدَةُ الَّتِي جَبْتَهَا بَعْدَ خَمْسِ
سِنِينَ بِحَالِهِمْ بِحَاوِلٍ أَخْلَفَ، كُنْتُ خَائِفَةً تَضِيعِي مِنِّي
مَكْنَتَشْ هَقْدَرِ اسْتَحْمَلِ فَيْكَ خَدَشَ .. أَنَا يَمْكُنُ حَسْسَتِكَ
إِنِّي مَشْ وَاثِقَةٌ فَيْكَ عَشَانِ كُلِّ شَوِيَّةٍ بِفَتَّشِ تَلِيفُونِكَ
وَاسْأَلِكَ بِتَكْلَمِي مِينَ وَمَشْ بِتَكْلَمِي مِينَ، بَسْ وَاللَّهِ أَبْدَا
دَهْ كُلَّهُ بَسْ مِنْ خَوْفِي عَلَيْكَ

ثم استرسلت موضحة :

_ كُنْتُ بِحَاوِلٍ اتْفَادِي أَيِّ حَاجَةٍ مَمْكُنٍ تَأْذِيكِي .. كُنْتُ
خَائِفَةً يَتَضَحَّكَ عَلَيْكَ مِنْ أَيِّ وَادٍ أَهْبَلُ وَقَلْبِكَ يَتَكْسَرُ ..
وَلَا تَعْرِفِي بِنْتِ مَشْ سَالِكَةَ مَتَحْبِكِيشْ مِنْ قَلْبِهَا
وَتَكْرَهْلِكَ الْخَيْرِ

تكدست العبرات بـ عيني ياسمين تأثراً بكلمات
والدتها، ضمت شفثيها بإحباط وقالت :

وايه النتيجة في الآخر؟ .. طلعت ضعيفة وغبية
ومش معتمدة على نفسي عشان عودتيني إنك
موجودة وبتعملي كل حاجة من أكبرها لأصغرها ..
بتختاري انتِ كل تفاصيل حياتي حتى ألوان لبسي، لا
ليا رأي ولا ليا لازمة؛ مجرد تابع ليك سايقاه وبتديله
الأمر وخلص .. دلوقتي ياماما انا لما بيبعد عنك
شوية بتسوِّح ومش ببقى عارفة اعمل ايه، عشان
اتعودت إن انتِ اللي بتتصرفي

طالعتها ناهد بحزن شديد وتحررت إحدى دموعها
المحبوسة، قبل أن تجذبها لأحضانها و تمسك شعرها
بحنان .. هامستها بصوت خافت جدًا مليء بالحزن :

والله ما كان قصدي .. والله ما كان قصدي

تتهدت ياسمين بتعب وربتت على ذراع أمها بهدوء
;ربما لا يزال هناك فرصة لتحسين الأمور، فقط
لنستغلها ونرى ماذا سننول في النهاية

*

*

*

وقف عز بمكتبه الخاص بالمشفى، تحديداً أمام
الخزانة الصغيرة التابعة للغرفة، وخلع معطفه الطبي
بتمهل .. شعر بدقة صغيرة على الباب أتبعته بفتحه
فلم يلتفت له وصاح بضجر وهو يضع المعطف
بالخزانة :

سمر انا هنا من امبارح ومنمتش ومش شايف
قدامي، مش هشوف حالات تاني، روجي شوفي حسن

لا انا عايزاك انت مش عايزة حسن

خرجت جملتها بضحكة خفيفة وهي تقف من خلفه،
فقطب حاجبيه بتعجب ؛ هذا ليس صوت الممرضة كما
ظنّ بل الصوت الأقرب لقلبه! ، التفت سريعاً ليراها
تقف على مسافة صغيرة منه .. اقترب منها خطوتين
وهو يتساءل بقلق :

_مريم! ايه اللي حصل في ايه؟

رددت باستنكار وتعجب :

_هو انت للدرجة دي اتعودت إن مريم لازم يبقى
معاها مشكلة ؟

ضحك بهدوء وأوضح :

_لا مش قصدي بس انتِ مش في العادة بتيجي هنا
يعني

لم تهتم بالرد ولاذت بالصمت .. تركز عينيها عليه
بنظرات غامضة لم يخرج منها عز بشيء محدد، فهز
رأسه بتساؤل وبقي ينتظرها أن تفصح عن سبب
وجودها ..

طال صمتها وهي لاتزال ترمقه بعدة مشاعر مختلفة،
ما بين الحب والحيرة والتخوف .. هناك صراع حاد
بين قلبها وعقلها الآن تحاول أن تأخذ جانباً منهما ..
قدومها هنا كان بفعل جرّ قلبها لها، ولكنها عندما
وقفت أمامه ونظرت بوجهه عادت الحيرة تنهش
رأسها مجدداً ..

تهددت بنفاد صبر تعبيراً بأنه طفح الكيل من كل هذا
التردد، واقتربت منه بخطوات متمهلة حتى انتهى بها
الأمر معانقة إياه بقوة! .. أحاطت خصره بذراعيها
وأراحت رأسها على صدره بهدوء، لا تعلم إن كانت
خطوة متهورة أم لا، ولكنها دفنت عقلها تماماً في تلك
اللحظة ولم تشعر بنفسها إلا وهي تتوسط صدره ..

بينما تخدّر عز بموضعه واتسعت عينيه عن آخرهما
.. وكان هناك اسمنت انسكب فوق جسده جعله
متصلبًا لا يستطيع الترحح ملليمتر واحد .. قرنيّتيه
تتجوّل بين كل أنحاء الغرفة بذهول قاتل ..

مرّت ثواني بهذا الوضع المتجمد لا يحرك ساكنًا، إلى
أن بدأ يتدارك نفسه قليلًا وحاول مقاومة صدمته
بعض الشيء، ورفع يده ببطء وتردد؛ رغبة في التأكد
أنها ليست خيالًا وأنها بين أحضانه بشحمها ولحمها!

وكانها كانت تشعر بتخبّطه، فابتعدت هي بوجهها فقط
لتنظر بداخل عينيه مباشرة دون أن تفك حصار يدها
حول جسده؛ تؤكّد له أنها موجودة بالفعل وليست
وهماً ..

سكتت قليلًا ثم قالت بقلة حيلة :

انا قولتلك اني خايفة من حاجات كثير .. بس مش
حاسة اني هبقى خايفة وانا معاك

حملك بزرقتيها بدهشة أكبر ; أهذا حقيقي أم أن قلة
النوم بعد قضاء وريته في المشفى تؤثر على عقله
؟..

تبعثر ثباته من قريبا .. عيونها الزرقاء الفاتنة تزلزل
أوصاله من بعيد، فماذا عندما تقترب إلى هذا الحد؟
أقلها ستخور قواه ويقع مغشياً في الحال ..

هي حقاً رائعة .. ملامحها تزيد جمالاً كلما اقتربت
والآن بات يرى كامل جمالها بعد هذه المسافة
الضئيلة بينهما .. بشرتها البيضاء، ابتسامتها
اللطيفة، عيونها التي أخذت لون البحر النقي،
خصلات شعرها التي تجمع بين لونه البني وصبغة
اللون الأصفر ..

كما وصفها سابقًا "مثالية" .. هي بالنسبة له
"مثالية"، لن يضاهي أحد روعتها في نظره أبدا

هو انا هبقى انانية لو قولتلك اعرض عليا الجواز
تاني؟

نطقت بسؤالها بعينين بريئتين، فرجع حاجبيه
باندهاش وهو يحدقها ببلاهة وكأنه ثملاً، يغلفه
الذهول من رأسه حتى أخمص قدميه .. لاحظها وهي
تهز رأسها له بتشجيع لينطقها، لم يكن ليقدر على
تجميع نفسه إلا عندما يُبعد نظره عن عينيها المهلكة،
فصوّب بصره جانباً وابتلع ريقه محاولاً لملمة شتات
نفسه، ولكنه واجه صعوبة رغم ذلك، فيدها لاتزال
متعلقة به وملامستها تلك غرزت بداخله اهتزازاً فتّاناً

..

أذعن لطلبها وأفاق لنفسه أخيراً، حمحم بخفة
واجتمعت الحروف بلسانه بمعاناة، إلى أن خرجت
جملته بخفوت و تيه، كأنه في عالم آخر :

ممكن تتجوزيني يا مريم؟

اتسعت ابتسامتها بهدوء شديد ; هذه الإبتسامة التي
تزيد الطينة بلّة وتعيقه عن استعادة ثباته ..

ممكن انت تقبلني مراتك يا عز؟

تأملها للحظات باندهاش وأعاد رأسه للخلف قليلاً
بتوجّس، ثم أغمض عينيه يهتم بعدة كلمات خافتة
ومتكررة استطاعت هي سماعها :

يارب ما يطلع حلم، يارب ما يطلع حلم، يارب ما يطلع
حلم، يارب ما يطلع حلم

ضحكت وأسرعت تقاطعه :

_ عز اهدي، ده مش حلم ولا حاجة متقلقش

فتح عينيه ليعيد النظر لها بنفس دهشته السابقة،
فأضافت :

_ انا بس خوفت لما يعدّي بيا العمر اندم إني ضيعتك
من ايدي ..

سكتت لثانية ثم استطرقت :

_ انا كنت خايفة اه إني معرفش اريحك، بس لما فكرت
عرفت إن لما حد بيحب بيعمل اللي يقدر عليه عشان
يريح اللي بيحبه

ثم واصلت بعبارة أوصلته لذروة الاضطراب
والصدمة:

وانا بحبك يا عز !

كادت عينيه تتطلق من محجريها من فرط اتساعها،
وفغر فاهه ببلاهة وعدم تصديق، قلبه خفق فجأة
بعنف وكأنه سيتوقف .. محال أنه سمعها منها،
بالتأكيد هذه تخيلاته ..

ابتلع ريقه يبيل حلقه الذي جف من الدهشة، ثم نطق
وكانه سكيرًا غائبًا عن الوعي :

ايه!؟

بينما استطردت مريم بهدوء :

أكيد هتحصل خلافات بس طالما مش مستغنيين عن
بعض يبقى هنعدّيها ونفضل كويسين، صح؟

لم يجب بكلمة، وظل بنفس حالته المتشنجة يحدقها
فقط لا غير، فأيقظته مريم مشددة على سؤالها :

_صح ولا لا يا عز؟

بلع جوفه للمرة التي لا يعلم عددها، وهز رأسه أكثر
من مرة بخنوع كـ طفل مهذب ينصت لكلام والدته ..
أضحكتها ملامح دهشته الظريفة، وفكّت ذراعيها من
حواله وعادت خطوة للخلف، ثم قالت :

_طب هتفضل متّح كدا كثير؟

استجمع نفسه قدر الإمكان وتطلع من حوله بتشتت،
ثم عاد ينظر لها ونبس بتشوّش :

**_ لا لا انا الحظ مبيقفش فى صفي اوي كدا، أكيد في
مصيبة جاية**

ضحكت بهدوء وأجابت :

_ صدقتي انت تستاهل تاخذ كل حاجة نفسك فيها ..

صمتت لحظة، ثم نبست برقتها المعهودة :

_ نبدأ سوا من جديد يا عز؟

**أخيرًا تلاشت الصدمة، وبدأ قلبه يستوعب هذا الواقع
الوردي .. ضوت عينيه بشعاع الحب بوضوح ولوّحت
على محياه ضحكة سعيدة ; لأول مرة تخرج من قلبه
هكذا منذ مدة طويلة .. اقترب منها بغتة وأحاط رأسها**

بإيديه ليقبّل جبهتها بعمق وقوة من فرط حماسه،
هاتفًا :

وَأَجْمَلُ بِدَايَةِ كَمَانٍ يَا فَرِحَةَ عَزَّ كَلِّهَا

*

*

*

في المساء ..

.

خرجت جهاد من مدخل البناية إلى الشارع، حيث
أقيمت الخطبة بشقة مروان؛ كونها الأوسع
وتستوعب العدد القليل المدعو للحفل ..

تطلعت يمينًا ويسارًا تترقب وصوله، ثم صبت بصرها إلى هاتفها لتتصل به، وضعت الهاتف على أذنها انتظارًا للرد، حتى سمعت كلمة "الو"، ولكنها لم تكن عبر الهاتف بل كانت واضحة مصدرها أتى من خلفها، فاستدارت بغتة لتراه واقفًا خلفها ينظر لها عابثًا، ثم تساءل :

 اتأخرت؟

قابله بابتسامة صغيرة وأجابت :

 لا دول لسة واصلين من شوية

وقف أمامها بقامته الرياضية المشدودة، تكوّنت ملبسه من بنطال أسود وقميص اسود مفتوحًا منه أول ثلاثة أزرار، ومن فوقه سترة كلاسيكية فخمة من

اللون الرمادي الفاتح .. ، ساعة اليد السوداء تلمع
حول معصمه الأيسر ورائحة عطره المميزة تفوح من
حواله .. شعره البني ذو الطول المتوسط تعود
خصلاته للخلف بشكل منظم ولحيته مرتبة بشكل
مهندم، وقد أضافت ملامحه الحادة وبنيتيه المميزتين
وسامة فوق وسامته بمظهره الأنيق ..

وضعت يدها بخصرها تعبيراً عن استنكارها وهتفت
مشاكسة :

_ انت بتقلدني ليه بقى؟

_ فين ده؟

_ لابس اسود زي

ضحك وهو يتأملها لبضع لحظات .. لقد وقع اختيارها على ذلك الفستان الأسود البسيط ;حيث لم يكن مزخرفاً بشيء سوى بإضافة خامة "الدانتيل" من منطقة الصدر والأكمام، به عدة طبقات ليمنحه حجماً "منفوش قليلاً" كفساتين التسعينات الراقية، أكمامه تصل لأسفل مرفقيها تمامًا ويصل طوله حتى منتصف ساقيها، ليظهر حذاءها الأسود ذو الكعب العالي والذي لم يجعلها تتخطى فخر رغم ذلك _

أقراطها الفضية متناسبة مع شكل العقد الفضي الذي يزين رقبتها .. شعرها الأسود مرفوع للأعلى بتلك التسريحة المتفق عليها، وتتناثر خصلاتها من الأعلى براحة، إلا أن هناك خصلتين لم يتفقا مع باقي شعرها المقيد، وانسدلا على جانبي وجهها .. وأخيرًا وأهم شيء .. الكحل الذي يحيط بحدقتيها ليرز جمالهما ..

كانت أناقتهأ كلاسيكية بحتة، وكأنها بالفعل هربت من
زمن قديم ... وللهق كانت مبهرة!

ابتسمت وسألته بنعومة :

_شكلي حلو؟

لم يأتِ بباله سوى كلمته التي اعتاد أن يلقبها بها مع
نفسه، ولأول مرة يوجهها لها الآن، وقد خرجت من
أعماقه بنبرة مفعمة بالحب والانبهار :

_تُحفة !

اتسعت ضحكتها الجميلة بسرور، ثم أسرعَت تتقدمه
خطوة وهي تحته على القدوم :

_طب تعالى نطلع يلا ..

*

*

*

_ازيك الحمد لله كويسين عدينا المرحلة دي ، قول بقى
مجهّز لي ايه، انا الفضول بياكلني من ساعتها

هتفت ياسمين كلماتها باستعجال وحماسة، بعدما دخل
زياد إلى المنزل، حتى أنها لم تترك له المجال لإلقاء
السلام .. فضحك وقال :

_اتقلي شوية انتِ فاكراني هعمل ايه يعني؟ انا بس
جايبك هدية مش أكثر

ابتسمت بحماسة أكبر وقالت :

_طب وريني

رفع أمامها حقيبة هدايا مزخرفة ببعض الألوان،
فأخذتها وفتحتها لتُخرج منه فستانًا ذو أرضية من
اللون البيج ومنقوش بالكثير من الفراشات الرقيقة
ذات اللون الأزرق .. تركت الحقيبة جانبًا وصبت
اهتمامها للفستان ورفعته أمام عينيها لتراه بأكمله،
ولكنها تفاجأت بقصره؛ بالكاد سيصل لمنتصف
فخذها، ولا يوجد به أكمام؛ فقط حمالات عريضة ..

أنزلته للأسفل ونظرت له مستكرة :

_ ايه ده يازيزو!؟

غمز لها ضاحكًا :

_ حلو صح؟

عادت تنظر للفستان بعدم رضا :

_ ده قصير اوي

أجابها ببرود :

_ خدت بالي

أعدت بصرها له قائلة بدهشة :

_ و ده حلو عندك وموافق اخرج بيه كدا عادي؟

أجابها باشمئزاز :

_ ليه ياروح امك إريل انا ولا ايه؟ ماتبطني غياب بقی!

ثم أوضح :

_ انا جايه تلبسيه فى البيت واشوفه عليكِ دلوقتي

فغرت فاها ببلاهة :

_ دلوقتي ايه؟

أكدّ هو متكنًا على حروفه :
_ هتلبسيه دلوقتي وهشوفه عليكِ دلوقتي

صرخت فجأة بأعلى صوتها :
_ ده عندها !

فزع من صوتها المزعج ومن ثم أسرع يُسكتها :
_ اخرسي يا فضيحة! .. في ايه ما عادي

_ هو ايه اللي عادي!؟!

أجاب بهدوء :

_ افهمي بس .. احنا عايزين نبدأ ناخذ على بعض
شوية، وده لما تلبسيه دلوقتي كسوفك منّي هيخفّ

ودماغك هتترجم بعد كدا إنه عادي تلبسيه تاني وتالت
قدامي، و بالتالي ده هيساعدنا فى تسهيل حاجات
تانية مستقبلية والحياة بيننا هتبقى أبسط

تراجعت بوجهها للخلف وهي ترمقه بتوجّس :
_حاجات ايه دي؟

_لما تكبري هقول لك .. يلا خشي قيسي الفستان

طالعه بحسرة درامية وهي تقول :
_زيزو انت كنت مؤدب زمان، ايه اللي حصل لك؟

_ما انا لو بقيت مؤدب معاك مش هبقى مؤدب مع
غيرك وانتِ اللي هترعلي

جحظت عينيها بصدمة :

_قصدك هتخونني !!

أجابها بعناد :

_ايوة لو ملبستي هوش هروح اشوف واحدة تانية
تلبسه .. الاختيار ليك بقي

ردت بحزم وصرامة :

_مش هلبسه يعني مش هلبسه، وأعلى ما فى خيلك
اركبه يامطرقع!

*

*

*

ارتفعت الزغاريد ترجّ أرجاء المنزل أثناء قيام
العروسين بوضع الدبّلتين بإصبع الآخر ؛ليعلننا رسمياً
ارتباطهما أمام الجميع ..

ارتدت عزة فستانًا أنيقًا وطويلاً من اللون البيج يغطي
قدميها، بأكمام شفافة إلى حد ما، وفتحة صدر ضيقة
وتترك شعرها القصير منسدلاً بحرية .. بينما تميّز
مروان ببذلته السوداء مع قميصه الأبيض، وتمشيط
شعره بترتيب وعناية ..

شعرت عزة وكأن قلبها يرفرف في السماء بمجرد أن
ألبسها مروان الدبلة؛ لم تكن تتوقع أنها ستشهد يوماً
كهذا مع هذا الوغد اللعوب، ولكن قلبها الأحمق رغم
كل شيء ذائبٌ به كقطعة سكر غرقت بالشاي فأصبح
الانفصال عنه صعباً ..

قفزت ضحكتها الواسعة على وجهها وسعادتها الجلية
تغزو ملامحها .. بينما نظر لها مروان بابتسامة
عريضة وقال :

مبروك يا زوزو

ضربته بخفة على ذراعه مجيبة بعث :

_مبروك ياتوكسيك

ارتفعت ضحكاته قائلاً :

_والله انتِ ظلماني

وقع بصره على والدته القادمة نحوه، فوقف وابتسم
لها وهي تهتمّ باحتضانه قويا وتهتف بسعادة :

_مبروك يا حبيبي ألف ألف مبروك يارب عقبال ما
يبقى الفرح بكرة

ضحك وابتعد عنها قائلاً :

_بكرة يا صابرين؟! ده ايه الطمع ده؟

بادلته الضحك ثم توجهت سريعًا إلى عزة وعانقتها
بحب :

_ الف مبروك يا حبيبي ربنا يسعدكوا يارب

_ الله يبارك فيكي يا طنط، شكرا

.

كانت تقف جهاد بعيدًا بجوار فخر تراقب الوضع
بصمت، فمال إليها قليلًا ليسألها بخفوت :
_ ايه مش هنسلم؟

_ اصبر لما صابرين تبعد شوية

تطلع إلي المجموعة المحيطة بالعروسين وهو يقول :
_ صابرين مين؟

_ امّهُ الّى سلّمت عليه دلوقتي

_ اه

همهم بتفهم وضّم يديه ببعضهما منتظرًا الوقت
المناسب _ كما ترى هي _ ، وهو يطالع الجميع من
حوله .. إلى أن انتبه لجهاد بعد ثوان معدودة تتحرك
وهي تقول :

_ يلا

.

اقتربت من مروان بخطوات متحمسة حتى قفزت بين
أحضانهِ وضمته بفرحة حقيقية :

_ عشت وشوفت اليوم الّى مارو بيخطب فيه، والله ما
مصدقة نفسي

ضحك مروان ورَبت على ظهرها بهدوء :

_بلاش العشم، يمكن افسخها

ابتعدت عنه فجأة ودفعته من صدره بحنق :

_اسكت ده احنا ما صدقنا

.

.

كانت صابرين تركز بعض نظراتها مع جهاد بحنق
 واحتجاج واضح على تقربها من ابنها هكذا، ولكن
 نبع صمتها فقط من رغبتها بعدم لفت نظر الحاضرين
 لها ..

.

نظر مروان لعزة وقال :

_دي جهاد ياعزة

صاحت عزة بضحكة مندهشة :

**_انتِ جهاد؟! ده انتِ قمورة اوي ماشاء الله ليه
مكنتش بشوفك؟**

ضحكت جهاد بسرور وامتان، ثم قالت :

_من هنا ورايح هتشوفيني كثير لحد ما تزهقي

اقتربت منها لتقبّل وجنتيها يمينًا ويسارًا وهي تقول :

**_مبروك يا حبيبتى ربنا يتمم لكوا بخير .. يارب تعرفي
تتعاملني مع الدحلاب ده!**

تلاها فخر بالتهنئة ووقف أمام مروان يخاطبه

بهدوء:

_الف مبروك يامتر عقبال الفرخ إن شاء الله

صاح مروان بترحيب :

_ايه ياهندسة النور ده؟

تبادل معه سلامًا حارًا وأردف :

_مبسوط إنك جيت والله، الله يبارك فيك

نظر فخر لعزة واكتفى بإيماءة صغيرة وابتسامة

خفيفة قائلاً :

_مبروك يا عروسة

علقت عزة يدها بذراع مروان وهي تجيب بابتسامة :

_الله يبارك فيك ميرسي

تحركت جهاد ووقفت بجوار فخر، وسألته بخفوت :
_أبيض ولا بني؟

تطلع لها بعدم استيعاب :
_ايه؟

_الجاتوه أبيض ولا بني؟

اه
_غمغم بفهم، ثم شاكسها قائلا :
_خمني كدا

ضحكت وردت بشبه يقين :

_أبيض

_ما انت شاطرة اهو

_اه انا عارفة إنك مبتحيش الشوكلاتة، بس قولت
اتأكد

ثم أمسكت بكفه وسحبته معها، مردفة :
_تعالى انا شايلة اربع حنتت لينا لوحدنا ..

وكزت عزة ذراع مروان بمرفقها وهي تراقب ابتعاد
فخر بصحبة جهاد وسألته :

_مين الواد الحليوة ده يامروان؟

التفت لها يرمقها بذهول :
_ انتِ بتقوليلي انا الكلام ده؟

فأجابت بعناد :
_ اه بقول لك انت الكلام ده

_ طب ماتقولليها فى سرك حتى! حسيني إني ليا
منظر، ولا أباجورة انا واقفة جنبك؟
ضحكت وقرصت وجنته، مدلّة إياه كالأطفال :
_ وانا اقدر ابص لحد غيرك ياميرو يا صغنون انت
يا قمر؟

أزاح يدها بقرف :
_ اوعي ياباردة

التفت لصابرين عندما وقفت بجواره تسأله بفضول :

_ مروان هو مين اللي مع جهاد ده؟

*

*

*

مر وقت قصير حتى انفردا الاثنان بالشرفة الواسعة بعيداً عن الجميع، يتبادلان الأحاديث باندماج وترتفع ضحكاتهما بين الحين والآخر .. نسيمات الهواء الخفيفة تداعب خصلاتهما كما يحلو لها

_ انت عارف قعدت قدام المرايا قد ايه بحاول اظبط حالي؟ وانت بتلبس فى خمس دقائق ومبتتعش فى حاجة ومكنتش عايز تيجي

تحدثت جهاد باستهانة وسخط، بينما أجابها فخر بنبرة مرهقة :

والله ربنا يعلم مصدع ومش نايم ازاي بس مهانش
عليا از عاك

ابتسمت بهدوء، مررت عينيها إلى الشارع قليلاً ثم
نطقت ما ان تذكرت شيئاً ما :
متصوّرناش!

أسرعت تُخرج هاتفها المحمول وفتحت الكاميرا ثم
استعدت لالتقاط صورة لأحذيتيها، أمسكت ذراعه
لتجعله يتحرك قليلاً ويقف أمامها مباشرة :
اقف كدا

سألها باستنكار :
هنصوّر رجلىنا؟

_ايوة وهنصور الجاتوه والساعة والعُقد .. انا بحب
ال details

ضحك وخضع لرغبتها ونظر معها بالشاشة ليرى
كيف خرجت الصورة التي جمعت بين حذاءه الأسود
وكعبها الذي يأخذ نفس اللون .. ثم أخذت صورة
أخرى ولكن أضافا لها يدهما اليمنى رافعين إصبعي
السبابة والوسطى فقط ..

ابتسمت برضا ثم لعبت بإعدادات التصوير قليلاً،
ففعّلت أولاً التقاط صور متتالية تلقائياً ثم فعّلت وضع
المؤقت ..

مالت على الأرض وأسندت الهاتف على الجدار
لتوسّع الكادر وتجعله يأخذهما بالكامل ..

كان فخر يقف من خلفها ببضع خطوات، فرجعتهم هي
لتجاوره ويستعدّاً لأخذ الصورة ..

تراجع بوقفته قليلاً ليسمح بظهور كامل فستانها
ومظهرها، ودسّ يديه في جيوبه .. فيما وقفت هي
تقدّم القدم اليمنى على اليسرى وتتشابك أصابع يديها
ببعضهما ..

نظرا للكاميرا ورسماً ضحكة جميلة على محياهما
حتى ألتقطت الصورة .. ومن بعدها تتابع التقاط بضع
صور إضافية تلقائياً ;منها واحدة كانا يتبادلان فيها
النظر بجانب أعينهما وهما يرفعان كلا حاجبيهما
بشكل كوميدي، ثم تبعها أخرى ضحكا فيها بقوة،
فسجّلت الكاميرا عفويتهما الناعمة ..

وأخرى ظهرت بها جهاد تضع كلتا يديها بخصرها
متصنعة التباهي والغرور، بينما فخر بجوارها ينظر
لها ويثني ركبتيه لينخفض قليلاً ويرفع كلتا يديه
ناحيتهما بأسلوب تقديمي، وكأنه يقدم فنانة لامعة إلى
السادة الحضور ..

مظهرهما الكلاسيكي الجذاب جعلهما يظهران وكأنهما
أمير بصحبة أميرته تركا عصرهما الملكي ووقعا على
هذه الأرض عن طريق الخطأ ..

رقيقان أنيقان .. ورائعان رغم بساطتهما اللامتناهية!

احتوت الصور على الكثير من الوضعيات التي يبدو
فيها أنهما عقلانيان ويتمتعان بالفخامة والرقي،
وأيضاً العديد من الصور التي يظهران فيها كطفلين
تافهين معتوهين ..

رفعت الهاتف من فوق الأرضية وهي تضحك بشدة،
ثم قالت :

_هروح اجيب الجاتوه بقى، استنّاني هنا

*

*

*

كان يجلس زياد على الكرسي يفحص هاتفه بملل
؛منتظرًا هذه البطيئة التي لا تريد الخروج من الغرفة

..

رفع عينيه ونظر صوب الستار الذي يفصل بين
الصالة والرواق الموصل للغرف، حينما شعر بحركة
عندها ..

وجدتها تقف خلفها وتمد رأسها فقط لتتظر له، فقال :

مالك ماتطلي؟

أمسكت بطرف الستار ورفعته حتى رقبته، لتحكم
إخفاء جسدها خلف الستار، وهي تهز رأسها بالنفي
أكثر من مرة بطريقة سريعة انفعالية، فزفر زياد
بضجر ونهض يقول :

_ هتطلعي ولآ آجي اجيبك انا؟

_ يازيزو وحش اوي والله وحش

_ هشوفه بردو

**نفخت ولم تتحرك من موضعها، فهددها زياد بالتقدم
صوبها خطوتين، فأسرعت تقول :**

_ خلاص خلاص اصبر!

**توقف وظلّ يرمقها بملل، إلى أن تحركت أخيرًا
وابتعدت عن الستار بخطوات مترددة؛ تضم قدميها
على بعضهما وتشد طرف الفستان للأسفل كمحاولة**

بأئسة لإخفاء قدميها ;وكان طوله سيتضاعف عندما
تستمر بجذبه هكذا ..

بينما ظهر الانبهار على وجه زياد وهو يطالعها من
أعلى لأسفل بإعجاب شديد .. ;رغم رُفَع جسدها
الواضح الذي يُظهرها كفتاة لا تتعدى الثالثة عشر،
إلا أن الفستان ناسبها كثيرًا وأضاف لها أنوثة وجمال
خاص ..

توترت من نظراته المطولة والمتعمقة لها فزودت من
شد الفستان وهي تقول وتستعد للهروب إلى الداخل :

شوفت خلاص؟ يلا حلو كدا

كانت على وشك الركض إلي غرفتها ولكنه أعاقها
وأمسك برسغها وجذبها بعنف حتى ارتطمت بصدرة،

ولم يسمح لها بالتراجع فقد شدد ذراعه حول خصرها
وهو يقول :

_تعالى هنا! ، انتِ هتقعدى بيه لحد ما امشى ياماما

حدقت بوجهه القريب منها بأعين مندهشة وهي
تقول:

_انتِ بتهزر؟!!

_لا مبهرش..

تحركت محاولة التملّص منه وهي تقول :

_لا يازيزو لأ .. انا مش مرتاحة بجد، حاسة إني
لابسة مايوه!

_متبقيش أوقر بقى!

سكنت قليلاً وبقت ثواني تحدق بمقلتيه الضيقتين،
ابتلعت ريقها تحاول الثبات أمام سحر ملامحه التي

تذوب بها عشقًا .. لطالما اعتادت على تأمل صوره
لوقت طويل جدًا دون أن تمل، والآن هو أمامها
بنفسه وقريب منها إلى حد كبير، يسمح لها
باستنشاق رائحته وإشباع عينيها من رؤية وجهه
عن قُرب ..

ليس أوسم الرجال بالطبع، ولكنه بالنسبة لها لا يُقارن
بأي أحد ..

لاحظ ضياعها بين قسَمات وجهه بصمت وتركيز،
فابتسم بهدوء شديد ثم مال إليها بتمهل حتى استقرت
شفتيه بجانب وجنتها وطبع قبلة طويلة وناعمة
؛ شعرت على أثرها بأن قواها ستتلاشى وسيقع
جسدها بين يديه في أي لحظة .. قُربه بهذه الطريقة
يهد كيائها بشكل مهلك بالفعل ؛ فهي لم يسبق لها
وشهدت هذه المشاعر المضطربة وهذا الحب العميق

..

ابتعد بعد لحظات ليعاود النظر لها من جديد ويرى
احمرار وجهها من الخجل؛ لا تعلم من القبلة أم من
بقاءها أمامه بذلك الفستان الذي يُظهر جسدها بشكل
فاتن هكذا ..

حاولت استجماع نفسها وقالت :

_ زيزو ابعـد

رد معانداً :

_ لأ

نطقت بجديّة :

_ عشان خاطري، والله ما هعرف اقعد بالفستان ده
اكثر من كدا

قبل أن تأخذ منه إجابة أسرع تقول :

وعد هلبسه مرة ثانية بجد، بس المرة دي كفاية كدا

ضم شفتيه بإحباط واستجاب لطلبها وفكّ ذراعه عن
خصرها، وهو يقول :

اللي يريحك ياستي

كانت على وشك التحرك إلى الداخل ولكنها وقفت
لحظة تفكر، ولم تستغرق وقتا في التفكير وبادرت
بالاقتراب منه لتترك قبلة صغيرة على وجنته
؛كوسيلة لطيفة لإرضاءه حتى يغفر رفضها للبقاء
بهذا الفستان .. ثم ركضت إلى الداخل سريعاً دون أن
تنظر لضحكاته الخفيفة التي غلفت محياه

*

*

*

كنت عايزة احط لك تفاح فوقيها على فكرة بس
ملقتش

هتفت جهاد قاصدة كعكته، وهي تتناول آخر قضة
من قطعها، بينما كان فخر قد انتهى من خاصته تَوًّا،
وأجابها عابثًا :

يبقى نحط على بتاع خطوبتنا احنا

ضحكت بخجل وأخفضت رأسها تطالع طبقها، تركت
شوكتها عليه بهدوء، ثم مدت يدها لتأخذ طبقه
الفارغ:

طب هات ده انا هو دييه .. وهدخل الحمام وهجيك

أوما بالموافقة ثم دخلت هي من باب الشرفة المفتوح
على مصرعيه، لم يلحظا تلك الأعين التي تترصدهما

من بعيد قليلاً، والتي توجهت صاحبها إلى فخر
بمجرد ابتعاد جهاد ..

كان يقف يولي ظهره للباب وينظر إلى الشارع، حتى
استمع لصوت نسائي يقول من خلفه :

_ استاذ فخر؟

التفت لها ليجدها السيدة صابرين، فابتسم بهدوء ومد
يده بالسلام قائلاً بنبرة مهذبة لا تخلو من غروره :

_ مهندس فخر !!

بادلته السلام بابتسامة صغيرة وقالت :

_ انا مامة العريس

_ اهلا وسهلاً

_اجيبك عصير؟

_لا متشكر، انا تمام

سكتت قليلاً وهي تطالع الأرجاء، ثم تحدثت :

_مروان قال لي إنك معرفة جهاد وإنك ناوي تتقدم لها

أوماً مؤكداً بنبرة مهذبة أخفى خلفها نيته لإثارة
غیظها :

_اه وهنعمل الخطوبة قريب كمان .. حضرتك أول
المدعوين طبعاً

سكتت قليلاً ثم سألته بترقب :

_ومرتاح بقى؟

_من ناحية ايه؟

_عمومًا .. مرتاح عمومًا مع جهاد؟

حرك كتفيه ببديهية :

_أكيد، كنت هخطبها ليه لو مش مرتاح؟

_ماهو على حسب الراحة دي مبنية على واقع ولا
وهم

أجابها بهدوء :

_مش فاهم

_قصدي انت عارف جهاد فعلا ولا مرتاح عشان هي
راسمة عليك صورة معينة مخلياك ترتاح؟

لطالما كان نبيها ويدرك عمق الأمور بمجرد التلميحات ؛ فلم يلزمه وقتاً حتى أدرك ماذا تريد أن تقول .. ولكنه فضل تصنع عدم الفهم وقال :

_بردو قصد حضرتك مش واصل لي بالظبط أفصحت صابرين عما تعنيه ببضع أسئلة :

_انت عارف أهل جهاد؟ عارف ابوها وامها كويس؟ عارف ماضيهم وحواراتهم؟!

حدقها فخر بنظرات عميقة للحظات ؛هاهي الآن تحاول تشتيت علاقتهما بكشف حقيقة الخطأ الدنيء الذي وقع فيه والديها لتجعل صورتها تهتز بنظره .. ولكنه خيب ظنها وقال :

_عارف اه ، انا عارف كل حاجة عنها .. وبحبها !

اتكأ على كلمته الأخيرة قاصدًا أن يثبت لها بأنها لن
تتجح في زرع الشك بداخله .. فنطقت صابرين
بدهشة وسخرية :

وعادي متمسك بيها وانت عارف حاجة زي دي؟!
_عشان مش هي اللي غلظت يامدام صابرين

_وضامن منين إنها متطلعش زيهم؟

_انا متأكد إنها مش زي أي حد!

أطلق رده فورًا بابتسامة باردة أثارت حنقها قليلًا، ثم
أضافت :

**بلاش تضحك على نفسك انت من جواك في سنّة
قلق إنها تكون وحشة حتى لو مش معترف بيها .. إذا
كانت أمها ست مش مضبوطة هتربي بنتها تطلع
كويسة ازاي!**

مدام صابرين!

**نطق اسمها بحدّة قوية ونبرة شرسة مختلفة تمامًا
عن بروده السابق، ثم أردف بصرامة :**

**لا انا ولا جهاد نفسها لينا علاقة بـ مشاكلك مع أمها
خالص .. أمها ماتت وربنا يرحمها مش لازم تجيبني
في سيرتها كل شوية بكلام لا بيودّي ولا يجيب ..
وجهاد انا هتجوزها وفي أقرب وقت كمان، بلاش
تستكثري عليها تبقى مبسوطة وطلّعيها من دماغك
شوية .. ركزي احسن مع مروان وجوازته ومشاكله
وسيبي البنت في حالها**

أنهى كلماته ومرّ من جانبها ليتخطاها ويترك الشرفة،
ولكنه توقف بعد بضع خطوات واستدار لينظر لها
قائلًا :

_ على فكرة .. لو وصلني إنك ضايقتي جهاد بـ كلمتين
بايخين من بتوعك انا هقف لك ومش هتعامل
بالطريقة البمبي الجميلة اللي انتِ شايفاها دلوقتي دي
بدا الذهول على قسماتها ورددت بغضب :
_ انت بتهددني؟

اعتلته ابتسامة باردة تمامًا وأوماً مجيبًا باستفزاز :

_ اه !

يتبع..

الفصل الخامس والثلاثون {كسرت الفانوس!!!؟}

احلفي!!!

هكذا صاحوا الأخوان بنفس اللحظة، وهما يجلسان على الأريكة التابعة للشقة التي يمكث بها فخر؛ فقد أتى أخيه بصحبة أخته للجلوس معه قليلاً.. وقد خرج رد فعل الشابين العفوي هذا بعد سماعهما إعلان مريم عن قبولها بالزواج من عز والدهشة تكسو

وجهيهما .. ضحكت مريم وأكدت بقولها وهي تقف
أمامهما :

_ايوة واتفق معايا كمان هروح معاه اشوف شفته

ثم أردفت بابتسامة عابثة :

_اللي هتبقى شقتنا

تابعت تحت نظراتهما المذهولة :

_هي مش متشعبة انا عارفة بس هو قال لي لو
معجبتيش هيبيعها ويجيب لي غيرها ولو عجبتني
هبدأ فى التشطيب على طول ..

صاح زياد مستنكرًا :

_هو معاه فلوس يشطب من كتر الأكل اللي بيحبيه! ،
ده بيشتغل عشان ياكل بس، مش هيصرف عليك غير
فى الأكل بس اعلمي حسابك

ردد فخر بدهشة :

_ هو ازاي مقاليش؟!

أجابته مريم :

_ لا ما انا قولتله ميقولش، انا كنت عايزا كوا تعرفوا
مني

تساءل متعجبًا :

_ وايه اللي غير رأيك مرة واحدة كدا؟

_ ولا مرة واحدة ولا حاجة، ده انا بقالي كتير اوي
مبفكرش غير في الموضوع ده ..

واصلت بقلة حيلة :

**_وبجد يافخر انا مرتاحتش إلا لما كلمته واعترفت له
إني عايزاه ..**

_ او مال مكنتيش عايزاه ليه أول ما طلبك؟

**_ مكنتش بفكر صح .. كنت فاكرة إني هتعبه وهخليه
يكرهني بسبب عقدي ومشاكلي وقلّة ثقتي بنفسي،
بس دلوقتي تفكيري اتغير .. هو فاهمني وانا بحبه
وده كافي يخلينا نعرف نتعامل سوا**

ابتسم فخر بسعادة ونهض مقترباً منها :

_ دي أحلى حاجة انا سمعتها من فترة طويلة والله

ضمها لصدره وعانقها بقوة وهو يقول :

_ ربنا يسعدك ياروما ويريح قلبك دائماً

بأدلته العناق بحب، مجيبة :

حبيبي يافيرو ربنا يخليك ليا

تراجع للخلف بهدوء وابتعد عنها لـ يليه زياد وهو
يقفز عليها فجأة ليحتضنها فارتفعت ضحكاتهما بعدما
شعرت بأنها ستقع ولكنها ضبطت توزانها وأحاطت
ظهره بعناق دافئ وهي تستمع له :

انا مبسوط اوي اوي بجد

اعتلتها ابتسامة واسعة وقالت :

تسلملي يا حبيب قلبي، عقبال ما تبقى خالو إن شاء
الله وتعلمهم يتخانقوا في الخلق زيك

عاد للوراء مبتعداً عنها لينظر لها ويأمرها هاتفاً :

مش هقبل بأقل من تسع عيال

صاحت بصدمة :

تسعة !!

ايوة وانا هجيب ستة وفخر يجيب سبعة مثلاً،
وهلمّهم كلهم فى فصل كدا واعلمّهم أصول الشقاوة
والبطجة بالورقة والمطوة .. وهاخذ فى الحصة
٤٠٠ جنيه على كل عيّل

اعترضه فخر قائلاً بجدية كبيرة :

ايه يامستر مالك حامي علينا كدا ليه؟

والله انا بديها ب ٥٠٠ أصلاً بس انا كارمكوا

لا ياغالي بحبها شوية ده احنا سألنا ولقينا إنك
أحسن واحد تطلع عيالي متشردين ولاد شوارع

قطعت مريم فصالهما وهي تقول :

_بس ياتافه انت وهو!

ثم خاطبت زياد :

_المهم الكوتشينة معاك؟

_ايوة جبتها

_اشطا انا هروح اعمل لنا عصير ونقعد نلعب ...

*

*

*

_نعم!!

فزع حازم من صوت ميّ الذي ارتفع فجأة، وهي
تجلس بجواره على سرير غرفتهما؛ بعدما أخبرها
بقدوم خالته "نجية" لزيارتها، وصاحت بغضب :

__ يعني انا اروح لحد الإسماعيلية واستحمل خالتك
وثقل دمها عشان تجيلي هيّ هنا !!

تحرك بجسده ناحيتها قليلاً وقال :

__ ماهي جاية مخصوص بقى عشانك انتِ .. عشان
هي عارفة إن وجودها هيضايقك، وشيء متوقع طبعاً
إنها عايزة تغيظك زي ما غيظتها بكلامك لما كنا
عندها

تشنج وجهها باستهزاء :

__ ايه شغل العيال ده؟

_ هي مخها صغير، جاريها وخلص

_ وهي متحججة بآيه عشان تجيلنا هنا؟ مش
المفروض تروح لـ امك؟

زاغت عينيه يمينًا ويسارًا مرتين، ثم قال :

_ ما هو اللي انا مخبيه عليك ياميشو إنها فعلاً بقالها
يومين عند امي .. بس انا مقولتش عشان محسيتش
إنك هتهتمي يعني، بس جت النهاردة بتقول لي عايزة
ازوركوا بكرة يا حازم .. اقول لها لا يعني؟ ماهي
أخرجتني

نفخت بقوة حنقًا وتذمرًا، بينما أردف حازم بهدوء :

_معلش ياميشو استحملي كام ساعة بس، هتتغدى
وتأخذ واجبها وهترجع عند امي تاني، تعالي على
نفسك شوية عشان خاطري، وبلاش تحرقى دمها
بالكلام عشان متقرفناش أكثرها؟

أشاحت بنظرها ووجهها يشتغل من الغيظ وتمتمت :

_ياربي على المصايب اللي بتطلع لي في البخت دي!

*

*

وقفت ياسمين أمام المرأة تتأمل جسدها بذلك
الفستان، حيث انفردت بنفسها بآخر الليل وسط
الهدوء، وارتدته .. أسدلت شعرها البني ومررت

أناملها بين خصلاته وأخذت تغير من وضعه ;مرة
تعيده للخلف ومرة تتركه على الجانبين .. حتى تركته
في النهاية مجتمع كله إلي جانب واحد

أخذت تحديق نفسها من أول شعرها حتى ساقها
المكشوفين، وعينيها تفصل كل معالم جسدها المحددة
من قبل الفستان .. حركت يديها على جانبي بدنها
حتى استقرت على خصرها لتتحرك يمينا ويسارا
كعارضات الأزياء..

اعتادت على رؤية هذا النمط من الفساتين فقط في
التلفاز أو المحلات ولم تكن تعيره اهتماما، تلك حرفيا
أول مرة تمتلك فستانا منهم .. وللحق أعجبها كثيرا!

لم ترض يوما عن حجم جسدها الصغير ؛فدوما ما
يشعرها بأنها لاتزال في الاعدادية أو ما شابه، ولم
يجعلها يوما تشعر بأنوثتها ..

ولكن هذا الفستان برز جمالها وقسماتها بشكل
جذاب!

اعتلتها ابتسامه راضية معجبة، ثم تمت مع نفسها
معلقة على جسدها النحيف :

لو بس نتخن شوية؟

ابتعدت عن المرأة وسارت صوب هاتفها، حينما
تذكرت أنها يجب أن تشكره عليه .. أمسكت الهاتف
وابتسامتها تغزو ثغرها حتى من قبل أن تفتح محادثته
؛فقد تذكرت استيائه المضحك عندما خلعت الفستان
وخرجت له بمنامة مغلقة حمقاء ..

بدأت بكتابة بعض الحروف وأرسلت له امتنانها :

شكرا يازيزو على الفستان ده، انا حبيته اوي على
فكرة

أرسلتها ثم كتبت أخرى :

انا مرضتش البسه عشان اتكسفت بس، مش
عشان محبتهوش .. لكن هو بجد حلو اوي وعليه
فراشات كمان زي زوقي

أرسلت ثم تطلعت من حولها قليلاً بتردد ، أعادت
نظرها للهاتف وأضافت رسالة أخرى :

انا عارفة إن كسوفي أوفر زيادة بس والله غصب
عني انا لسة مش متعوده .. يارب ماتكون اتخنقت
مني

لاحظته يكتب، وسرعان ما وصلت رسالته :

مقدرش اتخنى منك يا سو

ابتسمت بهدوء وعادت تؤكد :

استحملني شوية بس والوضع هيتغير ان شاء الله
مش هيفضل كدا

بضع ثوانٍ وأجابها :

انا استحملك العمر كله يا فراشة مش شوية بس ..

اتسعت ابتسامتها أكثر قبل أن تجده قد ألحق رسالته
بواحدة أخرى :

متضغطيش على نفسك انا مقدر والله .. خدي وقتك
عادي احنا مورانا حاجة

سكنها الارتياح بعد تلك الرسالة وابتسمت بامتنان
شديد; تشكره من قلبها حقًا لمسايرتها على مهل دون
أن يشعرها بأنها مذنبه أو أنها تبالغ ..

كانت تخشى في بعض الأوقات أن يشعر بأنها لا
تقبله أو ما شابه _ وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة
ولكن خجلها يتحكم بها , ولكنه فاجئها بتفهمه
وإدراكه طبيعة شخصيتها المنطوية التي تجهل بأغلب
أمور الحياة، وبالطبع ستأخذ وقتًا حتى تستوعب
حياتها الجديدة مع حبيبها وحلمها الذي لم يكفّ عن
مروادتها طوال سنين

*

*

نهار يوم جديد في حدود الرابعة عصرًا، صفّ فخر
سيارته السوداء على جانب الطريق ثم رفع هاتفه
المحمول وطلب رقمها، انتظر قليلًا حتى فُتِح الخط
فقال :

_ايوة يا جهاد انا وصلت عند الشركة بس هتلاقيني
ورا شوية عشان ملقتش ركنة قدام الشركة بالظبط ..
اطلعي من الباب وامشي يمين لحد ما تلاقيني ..
مستنيكي متتأخريش

أغلق معها ثم انشغل بطلب رقم شخص آخر، وضع
الهاتف على أذنه مترقبًا الرد حتى وصله صوت
أنثوي يجيب :
_الو

_ايوة يا هنا .. ينقع اقبلك النهاردة؟

صمت وأنصت لها بتركيز حتى بدا عليه الملل وقال :
_ ماشي بكرة .. بس متجيش بكرة تقوليلي بعده، انا
مش فاضي!

استمع لاعتذرها ولم يهتم وأغلق المكالمة :
_ ماشي سلام

أنهى المكالمة ثم فتح تطبيق الواتساب وحدد
المجموعة التي تضمه مع الثلاثي المعهود، ثم قرّب
الهاتف من شفّتيه قليلاً ليرسل تسجيلاً صوتياً :

"اعملوا حسابكوا هنتقابل في المركب النهاردة،
خلصوا حالكوا بدري كدا، وعز الكلب لو اتحجبت لي
بالمستشفى زي كل شوية هاجي اعمل لك فضيحة
هناك عشان تتفصل ونخلص من قرفك"

بقي لدقيقة ينتظر إجابة أي أحد، حتى بادر عز بالرد
وأرسل مقطعًا صوتيًا :

وانا لو اتفصلت هتجوز اختك ازاي!

ضحك فخر بخفوت ثم أجابه :

طلع اللي تحت البلاطة بقي وبطل نتانة وادعاء
الفقر، ده انت معاك فلوس تجيب لك ديك رومي كل
يوم

انا معايا فلوس تجييلي توينكز بالكثير.

ارتفعت ضحكات فخر من رد عز، ثم استمع لتسجيل
أتى من زياد :

بقولكوا ايه انا مش نايم ونزلت دلوقتي اشوف شقة
مع ياسمين، وشكلي هرجع مقتول وهفكس لكوا

قبل أن يستعد فخر للرد وجد عز يسجل مقطعًا صوتيًا، فانتظره حتى أرسل رسالته ردًا على زياد، ومعه رسالة نصية توحى بأن المقطع يحتوي ألفاظ سيئة :

"حط السماعة"

ضحك فخر بشدة وظل يتابع الحوار دون أن يتدخل حتى اشترك حازم بالحوار وأرسل مقطعًا :

"لا ياجدعان اياكوا تلغوها، ده انا ما هصدق اطفش من البيت، خالتي جاية عندنا وهتقعد لحد بالليل وانا مرارتي مش طالبة"

تأهب فخر للرد وعينيه تطالع الشارع من حوله، ف
لُجم لسانه فجأة عندما لاحظ جهاد قادمة ولكن هناك
من يتبعها ويضايقها بكلمات غزل سوقية رخيصة ..
ترجل من السيارة فوراً واستعد للذهاب إليها، ولكن
بعد خطوتين فقط تصلبت قدميه حينما تفاجأ بها تميل
على الأرض لتتناول طوبة من جانب الرصيف ثم
تلتفت لهذا المتحرش وتضرب رأسه بقوة دون تردد،
فصرخ الشاب بالألم شديد ..، كانت ضربة موجعة
جعلت وجهه فخر يتشنج ويصك على أسنانه وكأنه
شعر هو بالألم، وبقي مراقباً إياها وهي تهدده بصوت
مرتفع بشراسة :

غور من وشي قبل ما اجيب أجلك بيها !!

تدخل أحد المارة عندما فزع من منظر الشاب وهو
يمسك رأسه التي تنزف، ونهرها قائلاً :

ايه اللي عملتية ده الراجل دماغه اتفتحت!

نظرت لهذا المتطفل بغضب ورفعت الطوبة تهدده بها:

شوف طريقك يالا بدل ما تحصله !

عاد الرجل للخلف بتخوّف وحذر صائحًا :

ده انتِ شكك مجنونة!

ثم راح يتفحص هذا المصاب، بينما لم تحفل هي وتركت الطوبة جانبًا وابتعدت عنهما لتواصل طريقها .. سارت بضع خطوات حتى لمحت فخر يقف على بُعد مسافة صغيرة عنها، بدا عليها التفاجؤ بعض الشيء عندما أيقنت أنه رأى مافعلته وضمت شفيتها بتردد قبل أن تذهب إليه ..

كان فخر يرمقها بدهشة إلى ان وقفت أمامه، ونطق بعدم تصديق :

ايه ده؟!_

احلف لك ب ايه اني رقيقة والله !_

ضحك ولاتزال آثار الاندهاش بادية عليه :

خذت بالي_

ردت بملل :

يعني واحد بيعاكسني المفروض اعمل معاه ايه؟_

انا كنت لسة هتدخل بس لقيتك مش محتاجاني الله
اكبر قومتي بالواجب ونص .. برافو ياچيجي انا فخور
بيك للسما

فغرت عينيها بذهول كبير :

_ ايه ده بجد؟ ده انا قولت اتقفلت مني وهتعيد نظر في
الجوازة دي

ردد بعدم فهم :

_ اتقفل ليه؟

أجابت بتردد :

_ عشان اللي عملته ده يعني أكيد حسسك إني
مسترجلة أو كدا

_ والله لو ده هيخلي المناظر دي متقربش منك ف انا
مبسوط بيك وانتِ مسترجلة عادي ..

وتابع بتشجيع وحفاوة :

_ وقت الحاجة اقلبي على الكل يا حبيبيتي ميهمكيش
حد، وانا هلم وراكي عادي

ضحكت بسرور من حماسه للوقوف معها ونبرته التي
توحي بعزمه على مساندتها حقاً، ثم استمعت له
يقول :

__انا بس كنت مستغرب عشان اللي يشوفك يوم
خطوبة اخوك ميقولش إنك ممكن تعملي كدا، الفرق
شاسع

أجابته رافعة كتفيها بثقة :

"استطيع فعل الاثنين" I can do both__

ابتسم لها بافتخار وأوماً برضا :

__شطورة ياعيون فخر

برزت ضحكتها الواسعة على محياها بعد سماع تدليله
لها وكأنها ابنته الصغيرة، ومن ثم بقت تطلع له

بصمت وترقب شديد .. تلقى له نظرات جانبية تشير
بأنها تنتظر منه شيئاً ولكنه لم يفهم ماذا تريد،
وبادلها بنظرات مستفهمة ..

بدأت فى تعديل ملابسها ;قاصدة لفت نظره لبلوزتها
الصفراء، ففهم الأمر سريعاً واعتلته ضحكة واسعة
وهو يخبرها بالجملة التى تريدها :

حلو الاصفر عليكى

اتسعت ضحكتها عن آخرها ووكزته فى كتفه
بمشاكسة، ثم سألته :

طب ناوي تروح فين بقى؟

هتف بحيرة :

مش عارف، انت عايزة ايه؟

أجابت فورًا :

_نروح المول

رد معترضًا :

_مول ايه؟ هو حد قادر يلفّ؟

_انا قادرة

_انا مش قادر ..

هتفت محاولة إقناعه :

_بص احنا مش هنتأخر، انا كل اللي عايزاه شميز
منقوش أبيض فى اسود بس .. نجيبه وبعدين نقعد
فى أي حته، خلاص؟

_لا لا ماليش خُلق ارواح مولات النهاردة

والله ما هنتأخر!

خّليها بكرة أحسن

أطالت نظراتها له واحتوت عينيها الكحيلتين كل معالم
البراءة في العالم، وقالت برقّة بالغة :

عشان خاطري ياخوخة لو سمحت

تاه بعينيها المثبّثة عليه وامتتّع لسانه عن التحدّث
؛ هذه الخبيثة تعلم أنه يهتزّ أمام عينيها الواسعتين،
ولن يستمر برفضه إذا ضاعفت نعومة نظراتها .. زم
شفتيه بحيرة وتراجع عن الرفض قليلاً وهو يتساءل:

مش هنتأخر؟

أومات بتأكيد وهي لاتزال ترمقه بنفس النظرات، حتى
نجحت في هزيمته، واستسلم لها قائلاً بتأفف :

_ ماشي ياچيچي ماشيي!

*

*

وقف عز بصحبة والده في المطبخ ليعينه في تحضير
الطعام؛ فقط بالتذوق ووضع التعليقات المزعجة
وكانه ملكاً يجلس على عرشه ..

طفح الكيل برووف وصاح بانفعال :

_ اطلع برا بقى رَوشتتي !

__ انا بساعدك بدل ما تعمل لوحدك

ردد رؤوف باستنكار :

__ فين المساعدة دي؟

__ اطلب وانا هعمل

افسح رؤوف له المجال تجاه البوتاجاز :

__ اتفضل اعمل الرز

__ لا هيعجن مني اعمله انت

طرح رده ثم ضحك ببلاهة واستفزاز، فلكمه رؤوف
في ذراعه بعنف :

طب برا بقى ومشوفش وشك هنا، يا إما مالکش أكل
عندي

ياروفا هو حد يقدر يعمل أكل بحلاوة أكلك؟ انت ايدك
لما بتتخط في الحاجة بتطلع حلوة بالعافية ماشاء الله
ولا أجدعها الشيف الشربيني

أعطاه رؤوف ظهره والتفت للأواني التي لاتزال
تنضج على النار وقلبها بالملعقة :

مناكلش عقلي بالكلمتين دول، بردو انت اللي هتعمل
الغدا بكرة مش هغير رأيي

نظر عز للأعلى بمنتهى الملل واكفهر وجهه بشدة،
فنطق والده دون أن يلتفت له :

ومتقلبش وشك !

ارتفع حاجبي عز بدهشة من قدرة والده على حفظ
تصرفاته هكذا، ثم هتف بكبرياء ليغيظه :

_بكرة اتجوز مريومة حبيبتى وتعمل لى هى كل يوم
ومتحوجش لىك تانى

ضحك رؤوف باستهزاء مجيبًا :
_مريم مبتعرفش تطبخ، اتلهي!

صاح بعناد :

_هعلمها

انقطع جدالهما بصوت رنين هاتفه، فأخرجه من جيبه
ونظر بشاشته .. وبمجرد أن لمح اسمها التمعت
عينيه بحماس شديد، وأسرع إلى الخارج وهو يهمهم
بصوت مسموع :

مش كنا جنبنا سيرتها من بدري؟!

رفع رؤوف صوته ليصل له :

اتقل شوية يا بن المهووسة!

.

وقف بداخل الشرفة، وأسند يده على السور وهو

يجيب :

ايوة يا مريم ازيك؟

كانت تقف أمام المراة تمشط شعرها، وتترك الهاتف

جانبًا على مكبر الصوت :

تمام الحمد لله، أخبارك ايه انت؟

_فل جدا

ابتسمت وسأته بصوتها الرقيق :
_انت في المستشفى؟

_لا في البيت

_طب فاضي؟

_انا فاضيك على طول

انبسطت شفيتها بابتسامة خجولة، ثم تركت الفرشاة
وهي تقول :

يعني ينفع نخرج في أي حنة دلوقتي؟

دق قلبه بسعادة من طلبها ; رغم أنها ليست أول مرة
يجتمع بالخارج، ولكنها أول مرة وهي حبيبتة وليست
ابنة عمته وحسب، وخرج رده فوراً :

انا تحت بيتكوا أصلاً!

ارتفعت ضحكاتهما بشدة، ثم أجابت :

طيب أنا هلبس على طول وانزل

*

*

طال التجول بين غرف الشقة المعروضة للبيع، حتى
استقرّا الاثنان بغرفة الأطفال، وهتفت ياسمين وهي
تمرر أنظارها بين الجدران بحماس :

خلاص يازيزو انا موافقة

ردد زياد وهو يقف بجوارها :

عجبتك فعلا؟

اه، ألوانها هادية ومريحة كدا مش زي اللي فاتت
دي، كانت كئيبة اوي .. يمكن حوار بعيدة عن ماما ده
لسة موجود بس مش مشكلة بقى خلاص

على فكرة دي أقرب شوية بالنسبة للشقة اللي
فانت، ولّا انتِ مستتية شقة في العمارة اللي قدام أمك
ولا ايه حكايتك معايا؟

شعرت أنه سيقوم بضربها من نبرته الهجومية،
ولكنها قابلته بالضحك وقالت :

والله ياريت

رمقها بضجر وقرر المغادرة وتحرك خطوتين فأوقفته
قبل الثالثة وأمسكت بيده سريعًا وهي تضحك :

خلاص تعالى بس

وقف ونظر لها قائلاً :

طب ها؟ آخر كلام ناخدها ولا عايزة تفكري

_ انا عن نفسي عجباني .. لو مش عايزها عادي
نشوف غيرها

_ انا تمام، المهم انتِ

_ انا تمام بردو

_ يعني اكتب العقد؟؟

ابتسمت وأومأت بالإيجاب ثلاث مرات، ثم عادت
تطالع الجدران ذات اللون السماوي وهي تقول
بحماس :

_ الأوضة دي ألوانها حلوة بس حاسة إنني عايزة احط
تاتشات صغيرة كدا عشان الولاد يحبوها .. ممكن
اجيب شوية ستيكرات واجيب لهم النجوم الفسفور
دي اللي بتتور فى الضلمة ، أو ممكن اجيب حد يرسم

على الحيطه رسومات صغيرة .. بس خايفه حبايبي
يخافوا منها بالليل ..

ضحك زياد بخفة من عفويتها الجميلة، قبل أن يصدح
صوتها تنطق بفكرة :

_ايوة ايوة هقول له يرسم حاجات خفيفة .. يرسم
فراشات ! .. هخليه يرسم فراشات كتير وتكون
ألوانها جميلة والولاد يحبوا يبصوا لها

اتسعت ضحكتها وهي تحلم بحياتها الجديدة ثم نظرت
له وقالت :

_عارف؟ انا هبقى أقرب صاحبة ليهم ومش هضايقهم
خالص ولا هخنقهم، ومش هعمل معاهم زي ما ماما
عملت أبدا .. هخاف عليهم بس بعقل ; هسيبهم ينزلوا
ويتعاملوا مع الناس ويشوفوا حياتهم ويتفسحوا

ويخرجوا مع اصحابهم ويسافروا ويحسوا انهم
قادرين يشيلوا مسؤولية ..

تغير وجهها قليلاً وتطلعت من حولها بحيرة وتوجس
ونطقت بهم :

_بس خايفة افشل في ده

ابتسم زياد ووجه لها نظرة حانية تخبرها بأنه يثق
بقدرتها :

_هتعرفي يا سو انا متأكد، وانا هساعدك وهنريهم
سوا متقلقيش .. احنا الاتنين معقدين انا عارف، بس
انا واثق اننا هنظّلعهم أحسن منا بكثير

عادت لها ابتسامتها بعدما ارتاحت قليلا بكلماته،
وأومات بهدوء تعبيرًا عن اطمئنانها واتفاقها مع
حديثه

*

*

دلفت جهاد إلى أحد المحلات الواسعة الخاصة
بالملابس الحريمي، وفخر من خلفها يضع يديه في
جيوب بنطاله البيج؛ والذي يصحبه قميص من اللون
الكحلي، مفتوحة أزراره الثلاثة الأولى وأكمامه
مشمرة قليلاً تكشف عن معصميه، انتبه لها عندما
خاطبته قائلة :

الله يسترک فکرنی اجیب مورو واحنا مروّحین
عشان بتتکد لما ملاقیهاش فی التلاجة

همهم بضجر :

ارحمی سنانک شویة!

مرر حدقتیه بین أرجاء المحل قليلاً حتى وجد كرسيًا
فارغًا، فسارع بالتوجه إليه وجلس قائلاً :

شوفي هتعملي ايه بقى ولما نیجي ندفع اندهینی

ما اجیب لك مایة بسكر كمان یاعجوز!

وجهت سخریتها له بملل، فأجابها بارهاق :

_احمدي ربنا إني قدرت انزل بعد الشغل أصلاً، ده انا
برجع منه مضروب عيارين

ربتت على كتفه بإحباط :

_اقعد يا فخر! خليك قاعد يا حبيبي انا آسفة إني جبتك
معايا ..

*

*

*

وقفت مي أمام المرآة تتأكد من مظهرها حيث ارتدت
ملابس مناسبة لاستقبال ضيفتها الثقيلة ولملمت
شعرها البني للخلف بتسريحة مهندمة بسيطة .. وقف
طفلها عبدالله بجوارها وهو يقول :

_ماما انا جعان

_ خمس دقائق بس يابودي وهناك كلنا سوا

أجاب بامتعاض :

_ من شوية قولتي خمس دقائق بردو

_ طب اعمل ايه انا؟ ابوك اللي راح يجيبهم .. كلمه
استعجله انت بقى

انتبها لباب الشقة الذي فُتح ودخل منه حازم وهو
يقول :

_ تعالي ياماما .. اتفضلي ياخالتي نورتي

سارت مي صوبه سريعًا ووقفت لاستقبال السيدتين،
فاقتربت حماتها ولاء وقبّلتها يمينًا ويسارًا وضحكت
مي بترحيب :

_ازيك ياماما نورتينا

_بنورك ياحبيبيتي

**ثم تبعتها نجية واقتربت منها لتفعل كما فعلت أختها
وهي تقول :**

_ازيك يامي ياحبيبيتي وحشتيني انتِ و عبدالله اوي

**بادلتها مي القبلات وهي تجيها بالترحيب، دون أن
توضّح سخريتها من نفاق هذه المرأة؛ التي لو أُتيحت
لها الفرصة لتدفس رأس مي في التراب حتى تختنق،
فلن تتأخر ..**

**لم تحب هذه السيدة أبدًا أن يتحداها أحد أو يُشعرها
بأنه أقوى منها، بل على النقيض تريد كل نساء**

العائلة أن يبقين تحت أمرها وتحت كلمتها وكأنها ملكتهم .. وقد نجحت فعلاً في جعلهن يُقدّرنها ويعظّمنها كما تريد، عدا ميّ التي أحادت عن طريقها .. ورغم أنها لا تعيش معها بنفس المنزل بل وحتى نفس المحافظة، إلا أن غطرستها الجنونية لا تسمح لها بأن تتركها، بل تجعلها عازمة على ملاحقتها إلى العالم الآخر، فقط لتكسرّها وتثبت أنها هي الأقوى .. ولكن مي تدرك هذا جيداً وتعلم رغبتها في انفصال حازم عنها، ولن تسمح لأي مخلوق بتهديد استقرار منزلها مهما كان

*

*

*

خرجت جهاد من غرفة تبديل الملابس، مرتدية قميصاً منقوشاً بالأبيض والأسود مع بنطالها الواسع

ذو اللون الأسود، سارت خطوتين فقط ونظرت لفخر
الجالس أمامها على بُعد خطوات، وسألته بفضول :

_ ايه رأيك في الشميز ده؟

أخذ عليه نظرة سريعة ولم يبدُ عليه القبول، وقال :

_ مش ضيق شوية؟

نظرت لملابسها تتساءل بحيرة :

_ فين ده يافخر؟ ما عادي اهو

_ لا والله حاسّه هيلفت النظر، شوفي مقاس أكبر

هيبقى أحلى

_ ده one size . "مقاس واحد"

خلاص شوفي غيرُه، اللبس كثير

جادلته قائلة :

يا بني والله ده مقاسي! لا أصغر ولا أكبر

أجاب بنفاد صبر :

انتِ طلبتي رأيي وقولتلك مش عاجبني، براحتك بقى

نفخت بملل شديد ورمقته بحنق، ثم عادت إلى الداخل.

.

.

بضع دقائق وخرجت من جديد ببلوزة تحمل نفس اللونين ولكن قصيرة ينتهى طولها عند الخصر تمامًا، ثم تطلعت له بتساؤل، فلم ترى سوى الاعتراض والقرف على ملامحه، ومن ثم الملل التام بنبرته :

_ايه ياماما اللي انتِ عملاه ده؟ بربك مقتنعة بحتة
القماشة دي؟

_والله شيك، مالها؟

_قصيرة اوي يا جهاد !

_ما انا هلبسها على بنطلون قماش واسع شبيه
الجيبه، انت مشوفتوش بس والله مش ضيق خالص

أجاب باحتجاج :

_انتِ لو رفعتي ذراعك ل فوق شوية جسمك هيبان،
انتِ بتهزري ولا ايه؟

ضحكت وأجابت :

_مش للدرجة دي

قبل أن تكمل حديثها سبقها هو بالتحدث وقاطعها
بحسم :

_ سيئة سيئة سيئة .. قمة في السوء !

صاحت بسخط :

_ عرفت خلاص عرفت!!

.

.

بعد دقائق إضافية كانت جهاد لاتزال مختفية بالداخل
تجرب شيئاً جديداً، بينما يجلس فخر منتظراً إياها
بصمت، إلى أن رفع عينيه بانتباه إلى العاملة التابعة
للمحل وهي تقف بالقرب منه وتحدثه بصوت أنثوي
ناعم :

_ اقدر اساعدك في حاجة يافندم لحد ما هي تخلص؟

شكرها فخر قائلاً :

_ لا شكرا انا قاعد مستنيها

_ هو مفيش حاجة عجبته؟

أجاب باقتضاب :

_ اه للأسف

هتفت الفتاة بنبرة لاتزال تتخذ بعض الليونة والغنج :

_ طب انا ممكن انقي لها حاجات تانية حلوة، هي
طالبة حاجة معينة ولّا هي عايزة تشتري حاجة جديدة
عمومًا؟

بطبعه الفطن أدرك أنها لا تتساعل لرغبتها حقًا في
المساعدة، بل لمحاولتها في جذب أطراف الحديث
معه؛ فلم تفارقه نظراتها المتمعنة منذ دخوله ..

نظر لها بابتسامة صغيرة وأجاب :
_ استتي تطلع واسألها !

ضحكت بخفة ومازحته قائلة :
_ هي جايبك بالعافية صح؟ .. انا عارفة الرجالة
مبتحبش حوار ال shopping ده خالص

ابتسم لها باصفرار وأجاب بشيء من الغرور :
_ انا مبعملش حاجة بالعافية .. انا اللي بستعمل
العافية مع الناس!

توجست قليلاً من حدة نبرته في جملته الأخيرة،
وراودها شعور بأنه يهددها أو ما شابه، فعقدت
حاجبيها بتعجب وتراجعت خطوة للخلف وهي تقول :

_ هو انا ضايقت حضرتك؟

_ وهو في عشم بينكوا عشان يتضايق منك أو
ميتضايقش؟!

تدخل صوت جهاد فجأة تنطق جملتها بصرامة، فالتفتا
الاثنتان لها وقبل أن يُخرج فخر رد فعل، سبقت الفتاة
بالرد :

_ أنا بس كنت بعرض المساعدة مش اكثر
أجابتها جهاد بنبرة مختنقة :

_ كتر خيرك .. ممكن تسيبينا لوحدنا شوية؟

أومات الفتاة ببعض الإحراج ونطقت :

_تمام عن اذنكوا

تحركت وغادرت دون أن تنتبه لنظرات جهاد
المشتعلة التي تراقبها، ثم توجه بصرها إلى فخر
ونبست بغضب :

_كانت بتقول لك ايه البت دي!

_ولا حاجة

صكت على أسنانها بغيظ :

_فخر متعصبينش، انا طالعة وشايفة بصّاتها ليك
عاملة ازاي

_وانا مالي بـ بصّاتها؟! انا حتى كنت رخم في ردودي
عليها

صاحت باعتراض :
_وليه ترد عليها أصلا!؟!

أسرع يسكتها وهو يتطلع من حوله يتأكد ألا يكون
هناك من يسمعهم :
_بس! هتفرّجى الناس علينا

ثم نظر لها وقال :
_انتِ هتسيبي دي تحرق دمك يا جهاد؟ فكك منها انا
هشوفها فين تاني أساساً! كبري دماغك

أشاحت بنظرها وهي تتمتم بسخط :
_قفلتني الله يقلّ مزاجها !
ثم بصرت قميصه ذو الثلاثة أزرار المفتوحة،
واقتربت منه لتمسك بـ ياقته وتحركها بقرف :

_وايه صدرك المفتوح ده! ما أكيد عشان كدا طمعت
فيك ياسهل!

اتسعت عينيه بصدمة شديدة :

_يالهي معقول؟! .. يافضحتك ياخوخة!

نطق جملته الأخيرة وهو يضم طرفي القميص على
بعضهما بيديه الاثنتين بشكل درامي مبالغ فيه، ثم قال
بانكسار :

_استري عليا والنبى

تبخرت عصبيتها بعد حركاته المازحة، وارتفعت
ضحكاتها من جدّيته في تمثيل الحسرة، وضربت كتفه
بخفة :

يا أوقر!

ترك قميصه ونظر لها ضاحكًا :

خلينا في المهم .. حلوة البلوزة دي

قالها وهو يشير للبلوزة التي وقع عليها الدور
لتجربتها، فطالعه بطرف عينيها قائلة :

أخيرا عجبك حاجة!

اختاري انتِ حاجة عدلة من الأول

سألته بتأكيد :

يعني آخدها؟

_ اه يلا

_ طب استنى هسأل على حاجات تاني

رد بتذمر :

_ احنا مش قولنا هي بلوزة واحدة؟

_ لو ملقيتهاش خلاص مش مهم، متخافش مش
هوديك مكان تاني .. هدخل اغير بس وهسأل

*

*

*

وصل عز إلى وجهته وصف سيارته جانباً ثم التفت
لمريم الجالسة بجواره وسألها دون مقدمات :

_ كباب وكفتة ولّا نص فرخة؟

ضحكت بخفة وسألته :

_ هو ايه ده؟

_ الأكل اللي هناكله، متقلقيش انا معايا قرشين حلوين

طالعه بتفكير وقالت :

_ انا مش حاسة إني عايزة أكل، ممكن نكتفي بـ آيس
كوفي أو ميلك شيك مثلاً وخلص

_ لا طبعا انا الخروجة بالنسبة لي أكل، لازم ناكل

علت ضحكاتها وقالت :

_طب انزل بس ونتفق جوا

ترجّلا من السيارة قبل أن يغلقها عز ثم سار بجوارها
صوب أحد الأماكن المفتوحة لقضاء بعض الوقت ..
وقبل أن يصل إلى الباب انتفضت مريم بسعادة بالغة
عندما رأت هرة رمادية اللون بالقرب منها، ودون
تفكير أسرعت تتوجه إليها وهي تمد يدها لها وتدللها
بأطف :

_تعالى يا قطقوطة ياصغننة تعالى، انا معايا أكل في
شنطتي، تاخدي منه؟

ولكن لم تستجب لها الهرة وراحت تركض بعيداً
بخوف، فصاحت مريم باستياء :

_ لا لا استتي! ليه كدا انا مش هعمل لك حاجة!
اقترب منها عز وقبل أن يتحدث التفتت له وتطلعت له
بحزن شديد :

_ انا كل ما اشوف قطة بتجري مني ليه؟ هو انا شكلي
يخوف؟!!

أحني رأسه إلى الجانب قليلاً بمشاكسة، قائلاً :
_ بقى وشّ سنديلا ده هيخوف بردو؟

ابتسمت له بمجاملة ولم يتلاشى حزنها بالكامل،
ونبست :

_ طب ليه مش بيرضوا يجولي؟

زي ما انت مبتقيش في حد غريب هما مش
هيعرفوا يثقوا فيك بردو

بس في قطط بترضى مع ناس متعرفهاش عادي

في قطط كدا وقطط كدا، انت اللي بتقابلي الخوافين

سألته بصوتها الناعم ونبرتها تشير كيف تتوق لهذا
الأمر :

هو احنا لما نتجوز هينفع تخليني اربي قطة؟

تأمل زرقاوتها الجميلتين ونظراتها التي ترجوه بأن
يوافق، فابتسم لها بهدوء وأجاب :

مع إني محبهمش خالص بصراحة، بس طالما
عشاك انتِ ف انا معديش مانع نفتح مزرعة قطط في
البيت

ضوى وجهها بضحكة مفعمة بالسعادة والحيوية
وكأنه حقق لها أمرًا مبهرًا؛ فهي لم يتسنى لها تربية
القطط يومًا بسبب رفض والدها وتصبو للذهاب إلى
بيتها لتتمكن من فعل ذلك ..

ورغم عدم حب عز للحيوانات جميعها بشكل عام، إلا
أن قول "لا" لأميرته كان صعبًا بقدر صعوبة ابتعادها
عنه، ولم يطاوعه قلبه ولا لسانه في نطقها ..

وبهذه اللحظة تحديدًا بعد رؤية ضحكتها التي تُذهب
عقله وتروي روحه بالبهجة، لن يجروا على رفض
أي طلب لها لتكافئه بتلك الابتسامة العذبة البريئة
دائمًا

*

*

*

هو ده اللي هسأل على حاجات تاني ياكدابة؟
استنكرها فخر وهو يخرج معها من المحل بعدما
اشترى البلوزة، فردت هي ضاحكة :

ما انا كنت عارفك مش هتسكت إلا لما تدفع
الفلوس، ملقتش حل غير إني اضحك عليك واسيبك
قاعد واروح ادفع انا .. وبعدين انت لسة ليك عندي
فلوس المستشفى، متزودش ديوني بقي

تطلع لها باستصغار ومثل شديد :

متخلّيش اديكي فى وشك يا جهاد !

صاح صوت فتاة من خلفهم أوقفهم منادية :
"لو سمحت لو سمحت"

التفتا لها ليكتشفا أنها تلك العاملة التي أثارت حنق
جهاد بتوددها لفخر، وسرعان ما شق التجهم طريقه
فوق قسماتها وهي تراقب هذه التافهة تقترب منه
وتقول بنعومة :

_ نسيت اقول لك إن في فرع للبس الرجالي في الدور
اللي فوق، لو حابب تشتري حاجة هتلاقي أسعاره
مناسبة وفيه حاجات كتير اوي هتعجبك

أوما فخر وهو يرمقها بشيء من الاستغراب :
_ ماشي متشكر

ابتسمت له ابتسامة لعوبة وغير صافية إلى حد ما ؛لتشجعه على التقرب منها، ثم استدارت وعادت إلى المحل .. فيما تقدمت جهاد فجأة وحاولت ملاحقتها وهي تتوعد لها بغضب :

والله لـ اخزق لها عنيتها !!

سارع بفخر بمنعها ووقف أمامها ممسكًا بذراعيها قبل أن تذهب، وهو يقول :

خلاص يا جهاد خلاص

حاولت مقاومته بجنون وهي تصيح بغضب شديد :

اوعى من وشي بدل ما اطلّعه عليك انت !

يابنتي اهدي بقى يلا نمشي وخلص

دفعته من صدره بعنف وهي تصرخ باختناق :

_ ابعد ايدك غور من وشي!

عادت خطوة للخلف وهي تصرخ بانفعال :

_ انا مروحة ومنتكلمش معايا خالص ولا عايزة اسمع صوتك، فاهم؟!!

لم تترك له الفرصة لينطق بشيء، وتحركت بخطوات منفعة وسريعة بعيداً عنه، متممة بصوت مسموع :

_ ابوك على أبوها !

ظل محققاً في طيفها بدهشة ورفع يديه تعبيراً عن التساؤل، قائلاً بتعجب :

_أنا عملت ايه؟!!!

*

*

*

وقفت مي من خلف حازم وهو يرتدي قميصه،
وتتحدث بصوت منخفض مليء بالحنق :

_يعني انت تخلع وتنزل وتسييني مع نجية لوحدي؟

_ما امي معاكي اهي

ضربت ظهره بقوة ليندفع للأمام بعنف :

_انت بتهزر يا حازم؟

استدار لها وأزاحها بذراعه :

_ ايه يابت إيدك دي!!

ثم نطق ما إن تذكر شيئاً ما :

_ صحيح فين مفتاح درج المكتب عشان مش لاقيه
وعايز منه ورق

توجهت مي إلي خزانة الملابس ورفعت يدها لأول
رف لتحضره من أسفل الثياب ثم عادت إليه، فهتف
باستنكار :

_ هو ذهب عشان تخبييه في الدولاب!؟

أعطته المفتاح مجيبة :

_ عبدالله مبيسبش حاجة في حالها، خُفت يضيّعه
وسط كراكييه .. الحق عليا بحافظ على شغلك!؟

أخذ المفتاح، و ردّ وهو يتجه إلى المكتب :

_ لا ياستي، هو احنا لينا غيرك؟

أثنى ركبتيه لينخفض إلى الدرج الأخير ويفتحه ..
نبش بين الأوراق قليلاً حتى وجد مبتغاه ثم أغلق
الدرج كما كان وانتصب واقفاً ثم أعاد لها المفتاح :

_ انا هروح الشركة الأول نصاية وبعدين هقابل الشلة
ساعة بالكثير وهرجع .. مش هتأخر متقلقيش

*

*

*

على جانب الرصيف وسط هدوء الليل، كان يسير
زياد بصحبة ياسمين يتناقشان في أمور تجهيزات
الشقة، وقد علا اعتراض ياسمين تقول :

_بس انا مش عايزة أبدأ في قصص الجهاز والفرش
دي إلا لما اخلص امتحانات عشان ابقى فاضية
وفايقة للموضوع، ماما بس بتجيب شوية رفايع كدا
وبتحشرها في البيت، بس الجد بقى والحاجات الكبيرة
دي اتفقنا تبقى بعد الامتحانات ..

سألها زياد :

_انتِ هتبدأي امتي؟

_خلاص هبدأ بعد اسبوعين .. والمنهج حرفيا طاير
من دماغني، لازم المّ نفسي

ثم أردفت بتحذير :

_اوعى تروح تجيب حاجة من غيري!

_انا اقدر اجيب حاجة من غير ما آخذ رأيك!؟!

ابتسمت بسرور، وواصلت معه الطريق بخطوات
متمهلة حتى استعدا للانعطاف إلى اليمين، وبمجرد
ظهورهما على مقدمة الشارع، تصلّب زياد بموضعه
فجأة عندما وجد أن الكهرباء منقطعة بعد مسافة
أمتار وينتهي الشارع بظلام دامس يقطعه بعض
الكشافات التي يسير بها المارة ..

حاول تماكك نفسه واستدار نصف استدارة بكامل
جسده لينظر لها ويبعد نظره عن هذه العتمة،
وسرعان ما تفهمت ياسمين الموضوع وقالت :

_زیزو متقلقش خلاص .. روح رّوح انت وانا هكمل
عادي مش مشكلة

هز رأسه بالنفي وهو يبتلع ريقه وينطق باهتزاز :

_ لَأ، انا ..

ترك جملته معلقة وأغمض عينيه بقوة محاولاً إخراج صورة هذا الشارع المظلم من رأسه وقال :

_ انا مش هينفع اسيبك لوحدك

_ بس البيت على آخر الشارع خلاص، انا مش همشي كثير

فتح عينيه وظل ينفي برأسه أكثر من مرة بشكل سريع أقرب إلى هستيري ؛من الواضح أن نوبته بدأت تتملك منه، فأسرعت تتمسك بيديه الاثنتين بين كفيها لتبعث له بعض الاطمئنان، ثم قالت وهي تطالعه بنظراتها المستكينة الهادئة :

_ اهدى يازيزو والله ما يحصل حاجة، عشان خاطري متتوترش .. انا هبقى كويسة، ممكن تمشي انت؟

لم يبدُ عليه الاقتناع وبقي صامتًا، فأردفت ياسمين :

_هكلمك أول ما أوصل على طول متخافش .. يلا روح

ابتسمت له بسكينة شديدة أعطته بعض الهدوء،
وربتت على يديه بحنان تؤكد له أن كل شيء على
مايرام

*

*

*

بالمركب المجاور للشط مباشرة والمتفق عليه لتجمع
الرباعي المعهود، كان فخر وحازم هما أول من وصلا

وجلسا وحدهما في انتظار الاثنين الباقيين، فكان
يدرّش فخر معه بما حدث اليوم :

_ انا عارف مفيش حاجة بتكمل عدلة أبدا .. اليوم كان
ماشى كويس جدا لحد ما جت في الآخر اتقمصت
وسابتي ومشيت، وبكلمها مبردرش دلوقتي .. وانا
معملتش حاجة كمان .. او مال لو عملت؟

ضحك حازم معلقاً :

_ لا انت بـ اللي حكتهولي ده لو كنت عملت حاجة
كانت أقل حاجة ضربتك بنفس الطوبه اللي ضربت
بيها الواد اللي عاكسها

تبادلا الضحك قبل أن يتحدث فخر :

_ الطوبه دي اللي مستنياك بيها مي لما تروح عشان
سبتها مع خالتك وقلسعت

_دي على آخرها والله، انا خايف اقرب منها ...

ضحك فخر وقبل أن يستكمل هذه المسامرة، توقف
عن الحديث وانتبها لصوت مرتفع يأت من الشارع،
من الواضح أنه شجار ..

غلبهما التعجب والفضول، ومد فخر رأسه قليلاً ليرى
المجال المتاح أمام عينيه من الشارع، تحرك يميناً
ويساراً حتى التقط بصره حفنة من المتطفلين
يتناوشون مع أحد ما بجوار سيارة عز المجاورة
تماماً لسيارته! .. لم تكن خاصة عز موجودة منذ
ثواني؛ حتماً هذا العراك يخصه إذاً !

انتفض واقفاً بسرعة وهو يقول :

ده شكله عز قوم !

- .
- .
- .

اسمعوا كلامي يا جماعة الحوار ده هيعود عليكم
بحاجات مش هتعجبكوا، خدوها من قاصر ها و امشوا
احسن لكوا

كان يتحدث عز بهدوء غير متناسب مع طبع هؤلاء
الصوص الخمسة الذين يستعدون لضربه في أي
لحظة، ونطق الذي يتقدمهم بإصرار :

طب ايه رأيك بقى إنك هتطلع التليفون والمحفظه
ومفاتيح العربية وبردو مش هنسيبك !

تغيرت نبرة عز إلى العناد قائلاً :

ولازمتها ايه اطلعهم بقى مادام علا زي مدام علا !؟

وكزه الشاب في كتفه مرتين مجيبًا :
_ عشان انا اللي عايز كدا ياض وقصر الكلام

_ وهتعمل ايه لو قولتلك لأ؟

لم يأخذ ردًا باللسان بل تلقى ضربة موجعة ببطنه
بعصا غليظة كان يمسكها بيده، مما جعله يقع أرضًا
بألم ..

وصل فخر وحازم بنفس اللحظة وأزاح فخر هذا
المتعدّي بعنف صائحًا بغضب :

_ ابعد يالا والزم حدك !!

قام حازم بمساعدة عز في النهوض حتى وقف وبقي
الاثنان خلف صديقهما تمامًا يشاهدان استعدادهم
لمهاجمة فخر، حيث قال أحدهم بتبجح وتهديد :

انت اللي هتبعد يا حبيبي بدل ماتشوف أنيل من اللي
هيشوفه وتقعّد تعيط جنبه

لم يترك له فخر فرصته لتصنع القوة والهيبة
الحمقاء، وسدد له لكمة قوية بوجهه ..

كانت تلك الضربة بمثابة ناقوس الإعلان عن هجوم
الطرفين على بعضهما واشتعل الاشتباك بينهم؛ كلاً
منهم يقسم أن يخرج رابحاً ..

.

.

وصل زياد عن طريق سيارة "اوبر" بالقرب من
موقع الشجار وترجل من السيارة متجهًا إلى هؤلاء
المتصارعين .. لم يلحظ في البداية أنهم أصدقاؤه
وعزم فقط على الاقتراب والمشاهدة بحماس، ولكن
ما ان اتضحت هويتهم حتى زاد الحماس أضعافًا
واتسعت ضحكته وهو يصيح عاليًا :

_ ايه يا شباب؟ مش تعزموني على الحفلة؟!!

توجه إلى سيارة فخر وجرب أن يفتحها ولكنها كانت
مغلقة، فقرر المحاولة مع سيارة عز وقد كانت
مفتوحة، ففتح الصندوق الخلفي لها، ليأت بأداة
حديدية تستخدم لفك العجلات ثم انضم لهم، وأول ما
فعله هو ضرب قدم أحدهم بقوة ليفقد توازنه ويقع
أرضًا ..

أوقف أحد المتعدين الشجار وهو يصرخ بأعلى صوته
ويرفع بيده سلاحًا أبيض :

_اقسم بالله اللي هيقرب لـ ياخذها في زورّه ! ، ارجع
ياض انت وهو، ارجع !!

توقف الأربعة معًا وطالعوه بترقب وهو يردف :
_مش شوية هفيّات زيكوا اللي يعلموا علينا !

توجّه ذلك الذي يملك العصا الغليظة صوب سيارة
فخر وبكل قوّته حطّم أحد مصباحيها الخلفيين !!

لحظات من التخدير والصمت التام مرت على الجميع
.. لم ينطق فخر بحرف واحد وعينيه متسعة باندهاش
ملتزمًا بصمت مريب ..

هؤلاء المهاجمين يقفون متأهبين ويتطلعون لهم بتحدٍ وترقب، بينما وقف زياد وعز وحازم يتبادلون النظر لبعضهم بقلق وتوجس من حالة السكوت المميت التي بات فيها فخر وهو يبذل نظره بتمهل بين المصباح المكسور وبين فاعلها بغموض شديد، وأيقنوا أن بركان غضبه يتبقى له لحظات معدودة وينفجر ..

أعاد زياد نظره لذلك المتهور الغبي، وردد بعدم استيعاب :

كسرت الفانوس!!؟

خاطب حازم هذا المسكين الذي سيفقد روحه بعد ثوان، وأشار على السيارة وهو يقول :

انت سألت على عواقب فعلتك دي قبل ماتعملها؟

نظر زياد لصديقيه وهو يخاطب اللصوص ساخرًا :

_طيب انا بقول نستأذن احنا عشان هو هيقوم بيكوا
لوحدده خلاص ..

ثم أردف وهو يشير لهم بالسلام :

_حد حابب يحط وصية تانية غير كولدير الماية؟
يلا سلاماتي للجميع !

يتبع ..

الفصل السادس والثلاثون {في الخدمة يا مولاتي}

"فخر انا مكانش قصدي اتكلم بالطريقة دي، سوري
لو زعلت انا مقدرش اضايقتك والله، انا بس كنت
متعصبة ومش حاسة بنفسي، متزعش مني"

كان هذا محتوى التسجيل الصوتي الذي أرسلته جهاد
له وهي تأكل الشوكولا المعتادة خاصتها، أمست
تحقق بشاشة الهاتف تنتظر إجابته ولكن لم يأتها أي
رد، فتهدت بإحباط وألقت الهاتف بجوارها ..

*

*

*

فتح العسكري باب الحجز التابع للمخفر، ثم أفسح
المجال لدخول الثلاثي؛ فخر وزياد وحازم .. يتضح

عليهم الفوضى وملابسهم غير مرتبة تمامًا، بالإضافة
لظهور بعض الكدمات وآثار الدماء على وجوههم ..
سرعان ما استمعوا لصوت ترحيب من أحد السجناء
الموجودين وهو ينهض ويرمق فخر بعدم تصديق :

_ايه ده ياهندسة ؟ انت ايه اللي جابك تاني؟!!

اندهش فخر من وجوده وضحك قائلاً :

_رضوان يخربيتك، انت لسة هنا؟!!

_لا احنا طلعلنا وجينا مرتين وآدي الثالثة .. احنا بقينا
اصحاب مكان خلاص

اقترب منه فخر وبادله السلام بعناق بسيط، تحت
نظرات التعجب من حازم وزبياد، ثم عاد للخلف وهو
يقول :

_ مش قولتك لينا معاد تاني؟

استدار لينظر لرفيقه وقال :

_ ده رضوان، كان قاعد معايا لما ضربت قريب
المدعوة بسمة بالنار وجيت هنا

ثم خاطب رضوان مشيرًا على كلاهما :

_ ده زياد اخويا وده حازم صاحبي .. شركائي في
الجريمة

رحب بهما رضوان قائلاً :

_ منورين

ثم نظر لفخر مردفًا :

_ عملت ايه المرة دي؟!!

أجابه فخر بكل لامبالاة :

_خمس عيال كدا اتكاتروا علينا وضربنا في بعض،
بس واحد منهم مد ايده على عربييتي كسرت له
دراعه وعضمة الكتف، وعنده كام ضلع معوج كدا

اندهش رضوان للحظة ثم اتفق معه ساخرًا :

_لا مش كتير عادي .. انت زي الفل ياهندسة روح
اقعد متشغلش بالك بحد

ضحك فخر وربت على كتفه، ثم تخطاه وذهب ليجلس
بزاوية المكان، وتبعه زياد وحازم؛ فجلس الأول عن
يمينه وجلس الآخر عن يساره

عاد وجه فخر إلى التجهم وثبت بصره على الفراغ
بصمت، بينما مال حازم على أذنه قليلاً ينهره بصوت
منخفض :

_ كان لازم تفتري يعني وتلمّ الناس عليك لحد ما
جاپولك الحكومة! عجبك الرمية دي دلوقتي!؟

أجابه فخر دون تردد :

_ ولو مكانوش كلّموهم كنت هكّم عليه !

ليجيبه زياد باستنكار :

_ ياعم هو كان باقي فيه حاجة تكمل عليها أصلاً!؟
انت مشوفتش منظره ولا ايه!؟

تحدث حازم بحنق :

ما انت لو تتحكم في أعصابك شوية كان زماننا
مشينا قبل ما نتتيل هنا، إنما حضرتك تبّنت في الواد
بإيدك وسناتك واتعميت خالص ومعرفناش نسيطر
عليك .. ايه يافخر! مكاتش فانوس اللي نيجي هنا
بسببه يا اخي !!

نفخ بقوة ثم أردف بغضب :

انا حازم حميد مدير الشركة كلها اتحجز هنا وسط
شوية ال .. ناس دول؟؟!

بتر سبابه على آخر لحظة، وصمت يطالع المساجين
من حوله قبل أن يبدّلها بكلمة "ناس" خوفًا من أن
يسمعوه ويفعلوا به شيئًا ما ..

قال فخر بهدوء :

_ انا كلمت مروان أخو جهاد وزمانه جاي، هو محامي
وهيساعدنا

تساءل زياد :

_ انتوا بقيتوا اصحاب خلاص؟

_ مش اوي بس جهاد كلمتني من عنده كثير ف سجلت
الرقم، ولما افكرته قولت اكلمه .. مفيش حد في
المستشفى غير الواد اللي كومتته والباقيين جريوا أول
ما شافوا البوكس .. ومروان لو اتكلم معاه وخلاه
يتصالح الموضوع هيخلص

نيس حازم :

_ وعز المرمي في المستشفى ده هو كمان هنتظمن
عليه ازاي دلوقتي؟!!

أجاب فخر بحيرة :

_ مش عارف

خاطب زياد أخيه قائلاً :

_ تحب أصلحك الفانوس على حسابي؟

أدرك فخر إلى ماذا يسعى ورمقه بجانب عينيه بملل،
وهو يقول بفتنة :

_ مقابل إنك تاخذ العربية؟

_ أسبوع واحد بس

_ ولا نص ساعة حتى

_ ما انا مش هاخدها ببلاش اهو خليك مُنصف

رمقه فخر مطولاً بصمت وطالت نظرات الملل التام،
ثم أجابه بنفاد صبر ونبرة تنبئ بعدم تحمّله لأحد :
_بلاش تساهم في تقليص ثباتي الانفعالي عشان
مينتهيش بيك المطاف متكسح في السرير خمس
ليالي!..

*

*

*

جلس الصغير عبدالله على أرضية غرفته، منشغلاً
بالرسم والتلوين .. تتناثر من حوله الكثير من
الأوراق المليئة بالرسومات الطفولية الملونة وتتوزع
أقلام التلوين بكل الأنحاء ..

انتبه لصوت دقة صغيرة على الباب ألحقها دخول
نجية وهي تبتم له بوذ :

_ازيك يابودي؟ بتعمل ايه؟

أجابها بابتسامة صغيرة :

_برسم

_طب اقعد معاك شوية؟

لم يشعر أنه يوذ ذلك كثيرًا ولكنه بالتأكيد لن يخرجها
ويرد بـ "لا" ، فما كان عليه سوى القبول بإيماءة
خفيفة .. فانسعت ابتسامتها ودخلت وأغلقت الباب من
خلفها ..

سارت صوبه حتى جلست بجواره، فسألها :

_ هي ماما فين؟

_ ماما واقفة في المطبخ وتيتة معاها، قوت آجي انا
اقعد معاك شوية بدل ما تبقى لوحدك

ثم أردفت مدّعية اهتمامها بمشاركته :

_ بترسم ايه بقى؟

_ حاجات كتير .. برسم شجر و عربيات ومراكب
وعَجَل، وساعات حيوانات بس مش كلها بتظبط معايا

ردت بتشجيع :

_ طب والله برافو عليك

ثم أعطته مجموعة من الورق وقالت :

_ انا جايبه لك ورق تاني بقى تكمل فيه رسوماتك

أخذه منها ونظر فيه، ثم أجابها بعدم رضا :

_ بس ده مكتوب فيه!

_ لا ماهي ضهرها فاضي ارسم فيه

فحص الكلمات المدونة قليلاً ولم يفقه منها حرفاً

واحدًا، فسألها :

_ هو ايه الكلام ده!؟

_ مش عارفة والله، ده ورق لقيته مرمي برا قولت

اجيبه لك تعمل منه أشكال أو تلونها وتعملها

قصاقيص .. بس لما لقيتك بترسم قولت خلاص

اسيبك ترسم فيها

وضع الورق بجانبه بإهمال، وأجابها بمجاملة :

_شكرا ياظنط.....

*

*

*

_والله لو عملوا ايه ما هتنازل عن إنه يتحبس بعد
اللي عمله فيا !

هكذا صاح الشاب المصاب _ضحية فخر_ بعناد
ممتزجًا بالتوجّع، وهو متمدّد فوق سرير المشفى،
وجهه يكاد يكون اختفى أسفل الكدمات، والجبيرة
تحيط بكامل ذراعه الأيمن مع كتفه ..

تطلع له مروان الجالس على الكرسي المجاور
للسرير وأجاب بمثل :

متحزقش بس بدل ما تفيص مننا دلوقتي

ثم أردف بحدة وصوت مهيب :

بقولك ايه .. انا مش بدلع وأطبطب واحايل، انا جاي اعرفك آخرة الحوار والواقع اللي هيحصل .. انت هتقبل الصلح وتأخذ التعويض اللي بنقول عليه عشان تتعالج بيه وهنقل الحوار ده خالص

كان الشاب على وشك الاعتراض، ولكن لم يعطه مروان فرصة للتحدث واحتدت نبرته أكثر :

من غير نقاش كثير! .. فخر تليد مش جاي من الشارع زيك انت وشوية القوارض اللي هربوا، وابوه راجل ثقيل وهي عرف يخرججه سواء رضيت أو مرضتتش ..

ثم أضاف :

ومتساش إن في واحد منهم أصلا اتنقل على
المستشفى هو كمان .. يعني من حقه يرفع محضر
زيك وساعتها انت اللي هتلبس لوحدك وتبقى كبش
فدا لأصحابك اللي هربوا ..

أصاب الشاب بعض التوتر وابتلع ريقه بتردد، قبل أن
ينهي مروان حديثه بقوله :

أحنا بس هنديك تعويض عشان تكاليف علاجك كثير
شوية ، بس لو هتتط مش هتاخذ حاجة خالص
وبردو هيطلعوا .. ف تعقل كدا وتفكر في مصلحتك
عشان نخلص من الليلة دي بقي وكل واحد يروح
بيته !

*

*

*

ركضت في رواق المشفى بخطوات غير متزنة من
القلق .. ينبش الخوف خطوطه فوق معالم وجهها
بوضوح وهي تمرر أعينها بين أرقام الغرف .. يدق
قلبها بعنف من القلق ; لم تكذ تتمتع معه بقليل من
الهدوء حتى وقع على رأسها خبر إقامته في المشفى
بعد ضرب مبرح تعرّض له ..

وصلت مريم إلى الغرفة المقصودة، طرقت مرتين
; ولم تنتظر الإجابة ودخلت فوراً .. وقع بصرها على
جسده الذي يتسطح السرير ورأسه فقط مرفوعة على
وسادتين من خلفه .. نظر لها بوجهه المجهد
والمصاب بعدة جروح، فهرولت إليه سريعاً وهي
تتطق اسمه بهلع :

__عز!

جلست عند مؤخرة السرير وهي تطالعه بتفحص
وهلع، فأسرع يقول بصوت حاول إخفاء التعب من
طياته :

_ انا كويس كويس، جت سليمة الحمد لله ..

ثم سألها بخفوت :

_ انتِ عرفتِ ازاي؟

_ رنيت عليك كثير اوي لحد ما الممرضة سمعت
الموبايل وردت وقالتلي ..

ثم تساءلت :

_ مين عمل فيك كدا؟

خناقة مع شوية بلطجية وراحت لحالها متشغليش
بالك

ربتت على ساقه المختفية أسفل الغطاء وهي تقول :
سلامتك يا حبيبي ألف سلامة، يارب تتردّلهم أضعاف
أضعاف ويرجع لك حقك ونص

حدق بها بصمت تام لثوان .. هل نعتته بحبيبها للتو؟
، فرّت كل الكلمات من حوله وبقي فقط صوتها يتكرر
داخل أذنيه بنفس الكلمة مرارًا وتكرارًا .. يشعر أنه
سيستعيد عافيته في التو واللحظة من سروره بها ..
غلبته ابتسامة واسعة لم تخلو من الإجهاد، قبل أن
يسمعا تسأله باهتمام :

حالتك عاملة ازاي دلوقتي؟

_ضهري واجعني شوية بس الحمد لله مفيش كسور،
كام يوم وهينف إن شاء الله وارجع لطبيعتي

_وانت هتقعد الكام يوم دول في المستشفى!؟

_لا لا هطلع بكرة

_وخالو؟

_كنت لسة هكلمه اقول له إني هبات برا .. اوعي
تقولي قدامه حاجة، انا مش عايزه يعرف لا هو ولا
مي

أومات بالموافقة :

_حاضر ..

سكتت قليلاً ثم قالت :

_طب هنعمل ايه بقى لحد بكرة؟

رمقها بتعجب :

_نعمل ايه في ايه؟! انتِ هتقدي هنا ولا ايه؟

_ايوة طبعا

احتج قائلاً :

_لا مش هيحصل، روجي يا آنسة روجي شوفي حالك

_مينفعلش تفضل لوحدك

_لا مالكيش دعوة انا هبقى كويس، هي خمس دقائق
وامشي

رفعت قدميها لتجلس عاقدة ساقيهما ببعضهما وتقول
بإصرار وعناد :

مش همشي يا عز واللي عندك اعمله !

*

*

*

خرج الشبان الثلاثة بصحبة مروان من المخفر، بعد
وقت طويل مرّ بين إنهاء الإجراءات وإغلاق
المحضر، وقد تخطت الساعة الرابعة فجراً ..

بس احنا هنسيبهم ازاي بعد اللي عملوه في عز؟
هكذا نطق فخر بحنق، فنظر له مروان مجيباً ببديهية:

_زي ماهما هيسيبوك بعد اللي عملته في واحد منهم.

ثم أردف :

_ واحدة قصاد واحدة والموضوع خلص خلاص،
ومن فضلك حاول تسايس الأمور أكثر من كدا شوية
.. الظابط اتساهل معانا عشان عرفته ابوك مين، بس
مش حلوة في حقك تدخل القسم عشان عيال مالمش
لازمة زي دول

شارك حازم بالحديث قائلاً :

_ واشمعنا احنا ندفع له تعويض وهما ميدفعوش لعز؟

_ احنا مش مديين له تعويض أزيد من تمن العلاج
وبس، وعشان وضع عز دفعنا نص تكلفة علاجه،
مش كلها .. وكدا كدا ده كان عيل جبان وهينخ من

أول قلم حتى من غير تعويضات، بس ادينا بنعمل
بأصلنا عشان هو بصراحة متبهدل وهيطول في
المستشفى شوية

خاطبه فخر بامتنان شديد :

_ انا متشكر اوي يامروان، وآسف على العطلة دي
بس انت اول واحد جه في دماغي

أجابه مروان بترحيب مبتسمًا :

_ على ايه يابشمهندس؟ احنا تحت أمرك في أى وقت

ثم قال :

_ انا همشي بقى .. عايزين حاجة؟

_ لا تسلم ربنا يخليك

شكروه بامتنان ثم غادر في طريقه، تاركًا الثلاثة
واقفين يتطلعون لبعضهم .. حتى تحدث زياد :

_وبعدين؟

نظر له فخر وأجابہ :

_هنروح لعزّ أكيد

_بمناظرنا دي؟

رد عليه حازم مستنكرًا :

_هتتصور انت ولاءيه؟ ، نروح الأول نعرف حالته

وبعدين نشوف مناظرنا اللي مضايقاك!

*

*

*

لا يعلم ما الوقت الذي استغرقه لمحاولة الجلوس فقط وترك وضعية النوم، ولكنه حتمًا أطول من المعتاد ..
اعتدل بصعوبة بالغة ; ومع أصغر حركة يئن بخفوت بتألم ؛ فظهره لم يشفى بعد ولا يزال يعيقه عن التحرك بسلاسة ..

نجح أخيرًا في إنزال قدميه على الأرض بعد معاناة لا بأس بها، ثم التفت للباب عندما دخلت منه مريم ؛
والتي ما ان رآته حتى سارعت بتوبيخه :

ايه اللي قوّمك وانت تعبان ؟!!

أجابها بملل :

عايز ادخل الحمام

اقتربت منه قائلة :

طب مش تستنى لما آجي واساعدك؟ انا كنت بتكلم
في التليفون بس وطلعت عشان مزعجكش

وقفت أمامه ومدت له يدها ليستند عليها، ولكنه أبى
ذلك وقال :

لا انا تمام مش محتاج حاجة

تأهب للنهوض بحذر وببطء شديد ولكنه رغم ذلك
شعر بالألم ولم يستطع إخفاء ذلك، فما كان عليها إلا
أنها مدت ذراعها وأحاطت ظهره بهدوء، وبيدها
الأخرى تمسكت بيده ليستند عليها، وهي تقول :

متعلمش فيها الرجل الأخضر وانت نحلة من غير
جناحات

ضحك بخفة وسار معها باستسلام، وخطواتهما
متمهّلة جدًا تشعرك بأنهما سيصلان في الغد ..

بضع لحظات من الصمت حتى تحدث هو قائلاً :
ليه منمتيش لحد دلوقتي؟

همهمت بخفوت :

انا بسهر عادي، قعدت ارغي مع رنا شوية

خرجا من الغرفة وأكملنا السير بالرواق، ثم سألته
مريم بقلق :

انت متأكد إننا مش مضطرين نقعد في المستشفى
شوية؟

_ لا مش مستاهلة انا كويس

أجابته بحزن :

_ انت مش قادر تتحرك يا عز، كويس ايه بس؟

_ هرتاح في البيت متقلقيش

أضافت سؤالاً جديداً بفضول :

_ هما ضربوك ازاي؟

أجابها بلامبالاة :

_ بعيد عنك .. الواد كان ماسك شومة واداني على
ضهري بكل الغلّ اللي في الدنيا ولا كاني قتلت أمه

بدا عليها الأسى والضيق وتمتمت بمقت :

ربنا ياخذُه ويرِيحُ الناسُ منه

وصلا أخيراً إلى دورة المياه، فابتعدت عنه بهدوء
وهي توصيه بتحذير قبل أن يدخل :

انا هستناك هنا .. اتحرك على مهلك خالص واوعى
تستعجل، ها؟

أوما عز قبل أن يدخل ويغلق الباب من خلفه، بينما
وقفت مريم جانباً بانتظاره .. ولم تلحظ سير أخيها
الأصغر من خلفها ;والذي ما إن لمحها حتى سارع
بالاختباء وأوقف فخر وحازم قبل أن يتابعا السير
وجذبهما بعيداً عن مرمى نظرها وهو يقول :

مريم هنا

رد فخر بدهشة :

_ ايه اللي جابها دي!

_ اشعرّفني انا؟

تساءل حازم بعدم استيعاب :

_ ايه المشكلة يعني؟

أجابه فخر بملل :

_ لو شافت الدم وشكلنا المبهدل ده مش هتهدي إلا لما
تعرف اللي حصل، وهي عصفورة بتتخض وتتوتر
من أقل حاجة

ليقول زياد باستخفاف :

_ قولتلكوا نروح نغيّر الأول مسمعتوش كلامي

نبس حازم :

_طب وبعدين؟

تطلع فخر للاثين قليلاً ثم أخفض رأسه لملابسه حتى
استقر بصره في النهاية على حازم وقال :

_انت أنصف واحد فينا

اقترب منه وبدأ يهدم من مظهر قميصه وشعره،
وهو يتابع :

_روح انت اتظمن عليه وبلّغنا في التليفون، واحنا
هنروح نغير ونرجع ...

*

*

*

أشرقت الشمس وحلّ نور الصباح حيث قاربت
الساعة على الثامنة والنصف تقريبًا ..

طرقت السكرتيرة الخاصة بمكتب مروان على باب
مكتبه، ولكنها لم تسمع إذنه بالدخول .. أعادت قرع
الباب بصوت مسموع أكثر ولم تتلقى إجابة أيضًا،
تطلعت من حولها بتردد حتى قررت الدخول لترى ما
خطبه ..

فتحت الباب بهدوء شديد ومدت رأسها فقط لترمي
نظرة سريعة، فرأته يجلس على الكرسي الخاص
بالمكتب ويريح ظهره للخلف، بينما يرفع ساقيه على
المكتب .. مغمض العينين ليستمتع بمزاج إلى الأغاني
التي تتردد داخل أذنه عن طريق سماعات بلوتوث
صغيرة .. يبدو أنه يرفع الصوت لآخره ويسبح معها
في عالم آخر ..

كانت الفتاة تفكر فيما تقوله أو تفعله لتلفت انتباهه،
ولكنها لم تكد تصل لقرار حتى باغتها صوت عزة من
خلفها تقول فجأة :

_ انتِ بتتصنّتي عليه ولا ايه؟!
التفتت لها الفتاة وأسرعت تجيب :
_ لا طبعًا حضرتك انا بس خبّطت مردش عليا ف كنت
بشوفه

لم تبالِ عزة وبادرت بالتحرك إلى الداخل :
_ طب وسّعي

تركتها ودخلت دون أن تحفل إن كان أسلوبها فظًا أم
عاديًا ; رغمًا عنها لا تستطيع تقبل أي امرأة في محيط
مروان ؛ ليس لأنها سيئة ولكن لأنها بالتأكيد أخذت

نصيبها من الأعيه ونظراته وكلماته المعسولة التي
يتقرب بها من أي فتاة ، وهذا يثير اشتعالها ..
تعترف بكل تصالح أنها تريده لها وحدها، وليقال أنها
أنانية لا يهم ..

أغلقت الباب من خلفها بهدوء حتى لا يشعر بها .. ثم
اقتربت منه بخطوات خفيفة حتى وصلت إلى كرسيه
ووقفت من خلفه .. اعتلتها ابتسامة لئيمة قبل أن
توجه له صفعة على وجهه جعلته ينتفض فزعاً
ويعتدل سريعاً ..

نزع السماعات ونظر لها بدهشة، تزامناً مع ارتفاع
ضحكاتها وهي تتجه إلى الجلوس على أحد المقعدين
المقابلين للمكتب ..

ردد مروان بحنق :

_بتمدّي ايدك عليا يا عزة؟! هي حصلت؟؟

أجابته ببرود :

_عادي ياروحي انا خطيبتك مش حد غريب

صاح باستنكار :

_والله؟ طب لما آجي افسخك قلم يلوح رقبتك متبقيش
تتكلمي بقي، انا بردو مش غريب

ضحكت ببلاهة، بينما أضاف سؤالاً باختناق :

_ايه اللي جابك؟

_مش خطيبتك ولازم ابقى معاك أغلب وقتك؟؟

أشاح بنظره وهو يتمتم بضجر :

_ دي هتخنقنا بقى!

نطقت بحدة :

_ متبرطمش!

_ مروحتيش شغلك ليه؟

ردت مبتسمة بسماجة :

_ ادّيت لنفسى إجازة

فخمّن هو ساخرًا :

_ عشان تقرفيني طبعًا

اتسعت ضحكتها، ثم أفصحت عن مكنونها :

_ انا جاية لك عشان تخرّجني وتبسطني وتجييلي
بطاطا مشوية

صاح بطريقة سوقية ساخطًا :

_ ما اطفحك في بؤك كمان يا عمر؟!!

ردت بتقرز :

_ ايه الطريقة دي يابينة؟

_ بطاطا ايه اللي على الصبح دي؟

أجابت ببساطة :

_ نفسي فيها .. مش خطيبتك انا ولازم تدلّعها؟؟؟

**انتِ كل جملة بقى هتقعدى تقوليلى خطيبتك
وهبايتك!؟**

**ابتسمت باستفزاز لتثير غيظه وهزت رأسها إيجابًا
ثلاث مرات، فأردف بحنق :**

رَبنا ياخذك!

*

*

*

**فتحت ياسمين باب المنزل بعدما رن الجرس، وقبل
حتى أن تسمع تحيَّته بالسلام، أسرعت تقول بشكل
سريع متتابع دون أن تعطيه فرصة للتحدث :**

_ لا ماهو مش معنى إني قولتلك مش رايحة الكلية
إني فاضية وتجيلي من دلوقتي عشان نخرج، انا
بذاكر وورايا هم ما يتلم والمنهج ماسكني نازل فيا
تلطيش ومش عارفة اعمل ايه ..

_ بس !!!

أوقفها زياد صارخًا بحدّة ليكتم صوتها نهائيًا، وأردف
بحنق :

_ بالعة راديو !!

حاولت كبت ضحكاتنا وطالعتنا بطرف عينيها، ثم
قالت :

_ لامواخدة، خش تعالى

أمعنت النظر له قليلاً ولاحظت جرحاً صغيراً على
جانب وجنته فسألته :

سلامتك اتعورت في ايه؟

لا دي خناقة

رمقته بمثل شديد وقالت :

مفيش فايده فيك بردو!؟

غمعم ضاحكاً :

فكك خلينا في المهم .. انا أكيد مش جاي عشان
نخرج ع الصبح كدا، انا جاي آخذك على القيلا ..

ليه؟

طالما أمك على طول برا ومهووسة بجهازك تعالي
بدل ما تبقي لوحديك، لمي كتبك واقلامك وذاكري
عندي

ردت ببلاهة :

بس ماما لسة جوا

أجاب ببديهية :

بس هتمشي

نبست بعدم اقتناع :

لا لا، لازمها ايه يعني؟ وبعدين انت مش عندك
شغل؟

مش رايح النهاردة، هشتغل على اللاب توب

عرضت عليه رأياً آخر قائلة :
_ طب ماتقعد انت معايا احسن؟

_والشيطان تالتنا؟

ضربته في كتفه بعنف، مما جعله يرتد خطوة للوراء:
_ احترم نفسك بقى!

وضع يده على موضع الضربة بتوجع :
_ يخرييتك انا كنت فاكرك فراشة بجد ! ايه رفس البقر
ده؟!؟

*

*

*

خرجت جهاد من مدخل البناية وهي شبه تركض،
بعدها أبلغها فخر بانتظاره تحت المنزل .. لمحت
سيارته وهو يقف أمام مقدمتها، فهرولت إليه حتى
وقفت قبالة ونطقت بلهفة :

"فخر!"

اعتلته ابتسامة صغيرة لم تكد تتسع حتى تفاجأ بسيل
من الاعتذارات والتائب :

_ انا آسفة يافخر والله العظيم ما كان قصدي اضايقك
امبارح ولا اتكلم كدا .. انا عارفة إنك معملتش حاجة
بس انا اتعصبت مكنتش حاسة باللي بقولُه، متزعلش
مني مش هتتكرر والله، وعد

أشار لها باتخاذ الهدوء قليلاً وقال :

_بالراحة بس ياجهاد، مين قال إني زعلان أصلاً؟

أدمعت عينيها وهي تواصل بصوت خائف ويبدو عليه
استعدادها للبكاء :

_والله العظيم انا بحاول ابقى أحسن واحدة وابقى
هادية في تصرفاتي بس ساعات بتفلت مني، بس
والله مش ببقى قاصدة حاجة .. والله انت غالي عليا
أكثر من أي حد مقدرش ازعلك ب نص كلمة صدقتي

تطلع لعينيها بضع لحظات، وقد فهم سبب خروج
كلماتها بهذا الأسلوب الجنوني المرتعد ؛حيث نبع من
خوفها بأن يتركها .. تحرص على توضيح مدى
خروج اعتذراها من قلبها وكيف هي نادمة ؛ليغفر
ذنبها الذي تظن أنه سيحدث تشتتاً بينهما ..

عينيها السوداوتين الواسعتين ترمقه بضعف ..
ترجوه ألا ينفر منها بسبب تصرفاتها، وتخبره بأنها
مستعدة للتكفير عما اقترفته بأي شكل، وكأنه خطأ
فادح !..

لن يلوم مبالغتها في هذا الأمر؛ فهو أكثر العالمين
باهتزازها القاتل وشعورها الدائم بأنها لا تستحقه ولا
تستحق حبه ..

تأهب للرد ورقّت نبرته وهو يخاطبها بهدوء :

هو انا قولت لك عايزك أحسن واحدة قبل كدا؟؟؟ ليه
فاكرة إني هتمسك بيك لما تبقي أحسن واحدة بس؟

تطلع لها بحنان، وأردف :

_ انا مش عايزك تغيري حاجة في نفسك .. انا لما
حييتك حبيتك بعيوبك زي ما هيّ، ودلوقتي وبكرة
وبعد سنين هفضل بحبك زي ما انتِ بردو ..

رغم تأثرها بكلماته اللطيفة إلا أن حزنها كان متملّكًا
منها ..

أفرجت عن بضع دموعات من عينيها، ثم تحركت
واستسلمت للجلوس على الرصيف لتتواصل باقي
الدموع وسط شهقات لا إرادية ارتفعت فجأة .. لم
يلبث حتى جلس بجوارها فورًا وسألها بدهشة وقلق :

_ في ايه بس؟ حصل ايه؟

أدارت رأسها له مجيبة :

_ انا وحشة ومستاهلكش يا فخر .. وانت هتكتشف ده
بعد شوية وقت وهتمشي

نيس بإحباط :

_تاني ياجهاد؟ ، مش هتبطلي تقولي لدماعك الكلام
ده كل شوية بقى!؟

_انا كل شوية بستغبي واقول لك كلام متخلف يزعلك
.. ودايمًا بتصرف غلط .. انا مش حاسة إني قد
المسؤولية خالص ومش هعرف أبني حياة صح زي
ما انا متخيلة .. وهتندم إنك اتجوزتني أو حتى
عرفتني أصلا

ألحقت كلماتها بدموع إضافية يائسة ؛فهي حقًا تتوق
لتأسيس بيت مستقر وأسرة جميلة سوية، ولكن
شعورها بأنها غير مؤهلة لذلك يجعل قلبها يتفتت
حزنًا ؛كونه أكبر وأهم أحلامها ..

لقد عاشت أغلب أوقاتها وحيدة ولا تريد أن تموت
هكذا، تريد أن تبني عائلة .. هي لا تطلب الكثير؛ فقط
عائلة صغيرة تؤنسها وتهوّن عليها أعباء الحياة ..

انتبهت لفخر عندما أجابها بيقين وحسم :

_ انا متأكد إنني عمري ما هندم يا جهاد .. إحنا حتى لما
بعدنا عن بعض مندمتش، انا كان قلبي عارف إنك
مش وحشة وحاسس إن الوضع هيتحسن وهنرجع
زي الأول

تأمل عينيها التي افتقدت للكحل هذه المرّة؛ فقد
هرولت خارج الشقة بمجرد معرفتها بقدومه ولم تبالِ
بشيء سواه حينها ..

طالعتها بنظرات حانية وأردف بنبرة عاشقة بوضوح :

انتِ الحاجة الوحيدة اللي هقعء كل يوم بشكر ربنا
إني اختارتها

احتوت نظرتها له حب جارف ولكنه اختفى خلف
حزنها الذي سيطر على كل خلية بها .. أبعدت نظرها
عنه وظلت صامتة لوقت طويل .. أطلقت تنهيدة متعبة
خرجت بصعوبة وكان الدموع تسببت في اختناقها ..
شردت عينيها وأخذ السكوت وقتاً إضافياً ;مكث خلاله
فخر يتطلع لها بتمعن منتظراً أن تتمحي دموعها
وتظهر ابتسامتها ولكنها فاجئته بدموع أكثر، ونطقت
بصوت خافت :

هو انا لو مكنتش عرفت حكاية بابا وماما تفتكر
كنت هبقى زي ما انا؟ ولا كنت هبقى مقدرة نفسي
ومش مقللة من نفسي كدا !؟

خاطبها فخر بتعجب :

أنا مش فاهم انتِ ليه مصممة تشيلِي نفسك ذنبهم
أصلاً؟

ردت بشيء من الانفعال :

عشان دول أهلي! .. حتى لو عملتش حاجة هفضل
موصومة بغلظتهم همّا عشان انا تبعهم

أردفت بنبرة متألّمة :

انت عارف إن انا اتقدمت لي اربع عرسان قبل
كدا؟؟؟ .. اتنين منهم كان ممكن يحصل بيننا نصيب
بس الاتنين طنط صابرين قالتهم على القصة دي ..
وعارف عملوا ايه؟ اختفوا في لحظتها!

صمتت لحظة ثم أكّدت بشجن وحرقة :

_أي حد لما بيعرف حاجة زي دي مش بيقول
مالهاش ذنب أبدًا يافخر!

التمعت عينيه حزناً عليها وقبل أن ينطق بأي كلمة،
لاحظ تكديس الدموع بعينيها أكثر وهي تقول بكمد
ولوعة وصوتٍ مضطرب بشدة :

_انا خايفة يوم ما يبقى عندي ولاد ويعرفوا ده
ميتشرّفوش بيا ... أمهم بنت زنا وجت للدنيا من
علاقة حرام ومش هيبصوا لها وهما فرحانين بيها

تطلع لها بذهول واعتراض، صائحًا :

_ايه الكلمة الوحشة دي ياجهاد؟! ، ايه اللي بتقوليه
ده ؟!

وأضاف باقتناع وتأکید :

**_ولادك مش هيبقوا ليهم دعوة بأهلك، هما يخصوكي
انتِ وتبعك انتِ .. وانتِ مفيش حاجة تعيبك عشان
يبعدوا عنك، بالعكس انا متأكد إنهم هيحسدوا نفسهم
عشان انتِ أمهم .. إياك تفكري في الهبل ده تاني ولا
تقولي الكلام ده خالص**

**أخذت شهيقًا تحاول به تنظيم أنفاسها ثم نطقت بقلة
حيلة وحسرة :**

**_انا نفسي اخلص من العقدة دي بقى .. نفسي ابقى
واحدة تانية .. مش عارفة امتى هبطل اتعامل مع
الناس على إنهم أحسن مني .. امتى هشوف نفسي
قيمتي كبيرة!؟!**

**تابعت وصلة بكاءها ونبست بصوت يائس محمّل
بحزن عميق :**

انا تعبت والله .. مبقتش قادرة استحمل احساسى
طول الوقت انى قليلة ومش كفاية ومستاهلش حاجة

انفطر قلبه لحالتها وشعر بغصة خانقة تطرق
أوصاله .. وبات يراقب نحيبها الذى ارتفع مستواه
أكثر من السابق ..
جهاد ..

نطق باسمها وهو يحيط كتفها بيديه ليرغمها على
التوجه بجسدها ناحيته، ثم قال :
بصلى واسمعينى كويس ..

نظرت له بأعينها الذابلة، بينما تطلع لها عن قرب
بثبات، وجملة مكونة من كلمتين فقط اتكأ عليها ليثبت
مدى صدقها :

_ انا .. بحبك !

وتابع :

_ ومفيش حاجة هتغير صورتك في عيني ولا تخليني
استغنى عنك .. انتِ حاجة أساسية في حياتي لو
غابت عني ميزاني هيختلّ
تطلعت له بقلة حيلة وهي تحرك رأسها نفيًا ببطء :

_ انا مش حاسة إني هعرف أسعدك

احتضن يديها بين كفيه بدفئ، واعتلته ابتسامة
جانبية وهو يقول ببساطة شديدة :

_ انتِ لو عايزة تسعديني مش مطلوب منك حاجة
غير إنك تفضلي معايا وبس

تأمل عينيها الجميلتين وانبعثت كل معاني الحب من
نظراته المثبتة عليها، شدد تمسكه بيديها وهو يؤكد
لها بنبرة مليئة بالموودة والهيام :

طول ما انا باصص فى عنيك هفضل مبسوط!

نظراته الصادقة أراحتها بشكل لم تعهده يوماً، يملك
سحراً غريباً تتأثر به رغماً عنها .. يستطيع توطيد
السكينة والاطمئنان بقلبها وكأن شيئاً لم يكن،
ابتسامته تمتلك كل الهدوء وكأنه سلبه من العالم له
وحده ليرسخه بداخلها كلما احتاجته ..

أخفضت رأسها لتلتقط أنفاسها بقليل من الراحة
ونظرت لتشابك يديهما ببعضهما .. غلبتها نصف
ابتسامته ورفعت عينيها له لتردد بحب مختلط
بالدهشة:

_ازاي بتعرف تهندل كل حاجة مكلعة كدا يافخر؟

تعمقت بنظرها داخل عينيه البنيتين، ونطقت بعبارة
واحدة اختصرت الكثير من مشاعرها :

_انا بحس إني ملكة وانا معاك

اعتلته إحدى ابتساماته المميزة وأوماً بطريقة
مسرحة، مشاكساً :

_وانا في الخدمة يامولاتي

ضحكت باتساع وبرز جمال ملامحها البسيطة بتلك
الضحكة التي يسعى منذ وقت بأن يراها على محياها

..

وقد نالها ..

انفصل تشابك أيديهما ورفعت كفيها لتعيد شعرها
الطويل للخلف، ثم نظرت له متسائلة؛ زيادة تأكيد :

_ يعني انت بجد مش زعلان؟

_ والله العظيم مازعلان .. انا كنت مقدر إنك غيرانة
ومتعصبة عادي محطتش في دماغي حاجة

_ او مال ليه مردتش عليا لما بعنت لك بالليل

تساءل بتعجب :

_ هو مروان مقالكيش؟

قطبت حاجبيها بتساؤل :

_ يقول لي ايه؟

_ انا كنت ف القسم .. وهو كان معايا

رددت بدهشة :

_ قسم!!

تغير وجهها إلى الإحباط وأردفت :

_ قسم تاني يا فخر!؟

ضحك رافعًا كتفيه بلامبالاة، فسألته :

_ حصل ايه المرّة دي؟

_ خناقة في الشارع بس كبرت شوية وعز راح

المستشفى وكانت ليلة، بس الحمد لله عدت

تساءلت باهتمام :

طب وهو كويس؟

اه الحمد لله، طلّعنا من القسم على الفجر كدا و
روحنا له، قعدنا شوية واتطمنا وبعدين خدناه وصلناه
على البيت وجيت لك بعدها

كانت على وشك التكلّم ولكنها صمتت عندما سبقها
صوت رنين هاتفه، فتركته يجيب أولاً ..
همّ بالنهوض وهو يقول :

بقترح نقوم عشان وضعنا مش عاطفي خالص

ضحكت بهدوء ثم أمسكت بيده عندما مدّها لها ليعينها
على الوقوف، ثم أخرج الهاتف من جيبه وأجاب :

_ايوة ياهنا ..

صبت كل اهتمامها له بمجرد ما التقطت أذنيها إسم فتاة، في حين واصل مكالمته باختصار :

_تمام على ١١ هكون هناك ... ماشي سلام

أغلق الهاتف ثم نظر لها ليجدها تحدقه بصرامة وجمود، وكأنها تستعد لافتراسه، فنطق باستخفاف :

_أكيد مش بخونك ياچيچي بلاش غباوة

صمتت للحظات، ثم تحدثت بكل سكون ورزانة :

_انا بحاول احسن من مستوى هدوئي اهو

ومستعجلش واتجنن بسرعة زي ما بعمل

أوما مبتسمًا ببرود :

_ شطورة ياعيون فخر .. اثبتي على كدا بقى

_ مين هنا دي !!

صرخت بعبارتها فجأة بغضب مما أفزعه وجعله يعود للخلف بعفوية، ثم أسرع يهدئها قائلاً :

_ اهدي طيب، ما كنا ماشيين كويس مالك؟

اتخذ بعض الجدية في حديثه التالي وقال :

_ بصي اطلعي البسي عشان متتأخريش على الشركة، وفي الطريق هفهمك كل حاجة

رمقته مطولاً بعمق وضيقت جفنيها بشك :

_شكلك ناوي على حاجة مش هتعجبني

التمعت عينيه بحماس وأجاب ضاحكًا بخبت :

**_إطلاقًا .. دي هتعجبك وهنقعد قدامها ناكل مورو
وتفاح واحنا متمزجين ورايقين على الآخر!**

يتبع ..

الفصل السابع والثلاثون {شغل عصابات وبتاع}

أمام كورنيش النيل جلس مروان بصحبة عزة
يتناولان البطاطا الساخنة، استعجلت عزة في تناولها

فانتفضت بعفوية تأثرًا بسخونة الطعام على لسانها،
فضحك مروان شامتًا :

_ احسن، عشان قولتك اصبري وانتِ اللي فيكِ فيكِ

تطلعت له بتقزز ولم تعره اهتمامًا، ووجهت بصرها
للبطاطا وأكلت طرفها بحذر وشعرت أنها تتحملها
قليلاً، فتشجعت على سحبها داخل فمها وبدأت
بمضغها ثم قالت قبل أن تبتلعها :

_ انت ليه محسّسني إنك نازل معايا غصب عنك؟

_ عشان دي الحقيقة

طرح رده بلامبالاة، فنظرت له باستحقار قائلة :

_ حد يعامل خطيبته بالشكل ده؟

أشاح بيده بعدم اكتراث وأبعد نظره عنها متممًا :
_ مش هنخلص بقى

_ ده انا مروحتش الشغل عشانك

صاح باستنكار :

_ حد طلب منك حاجة ياست انتِ؟!!

أجابت قاصدة استفزازه :

_ مش عشان نخرج سوازي أي واحد وخطيبته؟

_ الكلمة دي لو اتقالت تاني هديكي غرزتين في وشك
وربنا !

ضحكت وواصلت أكل البطاطا، تزامناً مع شروعه في تناول خاصته، وسط صمت ساد عليهما لبعض الوقت وهما يراقبان الأجواء من حولهما ..

مرر مروان عينيه من حوله بنظرات عابرة غير مهتمة، إلى أن ارتكز بصره على فتاة ما تقف على مسافة صغيرة منهما تتحدث بالهاتف .. جذبته مظهرها الأنيق وشعرها الطويل المتطاير بفعل الهواء

تفاجأ بضربة قوية أصابت ظهره، وكأن حصاناً ركله، فالتفت لهذه الغاضبة وقبل أن ينهرها سبقتة بصوت يرتفع حنقاً :

_قدامي يابجح يا حيوان!؟! طب كنت حاولت توزعني حتى!

_في ايه يامجنونة انا عملت ايه!؟!

اتسعت عينيها بعدم تصديق لوجهه الذي يتساءل
بجدية وكأنه بالفعل لم يقترب أي خطأ :
_ يخربيت بجاحتك ياراجل! ، شايفاك بعنيًا وبتتكر
بردو؟!

أنكر كلامها قائلاً :
_ انتِ اللي بيتهيالك حاجات، انا مالي؟

_ يعني انت مبصّتش لواحدة دلوقتي؟

_ لا محصلش طبعاً

اعتراها الغضب ووجهت له ضربة بنفس قوة الضربة
السابقة ولكن في كتفه، ثم حملت حقيبتها ونهضت :
_ انا عارفة ان مفيش فايده فيك من الأول، غلظت لما
حسيت إن في منك أمل

ثم دفعت حقيبتها في وجهه بعنف فصاح بألم، ولم
تحفل هي وغادرت بخطوات منفعلة، في حين بقي كما
هو يضع يده على وجنته بتوجع ..

لمحها قد عادت مجددًا فعقد حاجبيه بتعجب، حتى
وجدها تأخذ باقي البطاطا خاصتها التي تركتها
مكانها، ثم تركت له سبّة أخيرة باشمئزاز قبل أن
تذهب :

زبالة .. فعلاً زبالة !

*

*

*

كان يجلس فخر بمقعد السائق منطلقاً في طريقه،
ويده مثبتة على المقود وهو يتحدث مخاطباً جهاد
التي تجاوره :

_ هنا دي شغالة في الـ beauty center بتاع بسمه

قبل أن يواصل حديثه كان صوتها يرتفع بسخط :

_ ايه السيرة النيله دي ع الصبح!!

_ يا بت اسمعي! ، البنت دي هي أول واحدة بتيجي
المكان وهي اللي معاها المفتاح .. انا بقى كلمتها
واتفقت معاها اقبالها وآخذ منها المفتاح واروح بعد
ما المكان يتقفل بالليل اجيب منه كل منتجات التجميل
الموجودة فيه

رددت بعدم فهم :

_ ايه هتسرقهم؟

نظر لها غامزًا :

_ هبوظهم!

حرّكت رأسها بدهشة، بينما أضاف وقد عادت عينيه
تتصب إلى طريقه :

_ ساعة ساعتين و نرجّعهم زي ماكانوا .. والصبح
بقي نتفرج

التمعت عينيها بحماسة، بعدما أدركت النتائج :

_ وطبعًا محدش هيثق فيها ويروح لها تاني .. ومش
بعيد يقاضوها عشان استخدام منتجات مش صالحة

ابتسم لها مجيبًا :

__بالتظبط ..

__طب ما أكيد في كاميرات مراقبة

أجابها ببديهية :

__أكيد عامل حسابي

__هتقلت منها ازاي؟

__هعطل كاميرات المراقبة بتاعة المنطقة كلها عشان
نبقى في السليم

ثم استرسل مفسرًا :

__ انا اتواصلت مع مسؤول الكهربا اللي هناك واتفقت
معاه إني أول ما ادّيله رنة يفصل العمومي لحد ما
اخلّص

__ وافرض بتاع الكهربا ده غفّك؟
أجابها بسلام وبساطة :

__ لا متقلّيش، هددته ..

•
•

وصل إلى وجهته وأوقف السيارة جانبًا، التفت لها
متطلعًا لها باهتمام قائلاً بهدوء :

__ لسة بتفكري في اللي كان مزعّك؟

هزت رأسها بالنفي مجيبة بلامبالاة :
_ لا خلاص، كبرت دماغي

ثم تطلعت له بطرف عينيها بمشاكسة :

_ انا مش بزعل وانت موجود أبدا
ضحك بهدوء، ثم قال :

_ يلا انطقي، عايزك تتحطّي في نطاق الموظف
المثالي

سكتت لبرهة توزع أنظارها يمينًا ويسارًا بتفكير، ثم
أفصحت عن مبتغاها قائلة :

_ هو انا ينفع ارواح معاك لما تقابل هنا وتجيب
الحاجات دي؟

_ليه؟

ردت بأعين متحمسة كما لو أنها ستشاركه صنع
كعكة :

_عايزة ابوظ معاك!

نطق باستنكار :

_احنا رايعين نلعب؟

_فيها ايه؟ هساعدك

_مريم هتساعدني، احنا هنخلص الموضوع

أجابت بإصرار :

هساعدك انت ومريم

لأ فكك انت، انا هخلصه قولت لك

تغيرت تعابير وجهها إلى أعلى مستويات اللطف، وقد كان الكحل محيطاً بحدقتها يبرز بريقها، تطالعه ببراعة شديدة وهي تقول بنعومة :

عشان خاطري ياخوخة لو سمحت

صمت قليلاً وهو يحملق بمقلتها الواسعتين؛ للمرة الثانية تستخدم معه هذه التلاعبات وللمرة الثانية سيخضع لها وينفذ طلبها أيضاً؛ فنظراتها بالفعل تنجح في تمثيل اللطافة والرقّة ببراعة ..

أفاق لنفسه وأبعد نظره عنها صائحاً بتذمر :

_ ياربي بطلي الحركات دي يا جهاد بقى!

تساءلت ببراعة مطلقة :

_ حركات ايه؟

نظر لها ورد بتأفف وهو يشير إليها :

_ دي!، الحركات دي .. هي دي تحديدًا

**لم تتنازل عن نفس التعبيرات وبقت ترمقه بها، بل
وضاعفتها أكثر من ذي قبل وأضافت ابتسامة امتلأت
بكل الحب والودّ .. إلى أن نفخ بحنق، ثم رد
باستسلام:**

_ ماشي ياچيحي تعالي !

صفت مرتين بسعادة غامرة، ثم ضربته بخفة على كتفه قبل أن تترجل من السيارة قائلة :

هستاك تعدي عليا، متأخرش

*

*

*

شرعت ميّ تدور حول نفسها تبحث بكل نقطة في المنزل حتى كادت تفقد عقلها ..
جثت على ركبتيها أمام أحد أدراج الكومود وبحثت بداخله حتى وجدت مجموعة من الورق، فأخرجتها والتفتت لحازم الواقف بالقرب منها ولم يكفّ عن البحث هو الآخر، وقالت :

شوف ده كدا

اقترب منها سريعًا وأخذ منها الورق وفحصه قليلًا ثم
هز رأسه نافيًا :

مش هو !

ثم ألقاه على السرير بعدم اكتراث وهو ينفخ بعصبية،
وصاح بغضب :

ايه الجنان ده! ، انا متأكد إني حطيته بنفسي، ازاي
ضاع يعني؟!!

نهضت ووقفت قبالتة مجيبة :

انا مش بقرب من الدرج ده وعارفة إنك بتشيل فيه
كل ورقك .. ايه اللي هيخليني العب فيه؟!!

صاح بانفعال :

_يعني الورق اختفى لوحده؟!!

ارتفع صوتها قليلاً تبرىئ نفسها :

_وانا هاخده اعمل بيه ايه يا حازم؟!!

نطق بحدّة واشتعال واضح :

_مي! انتِ اللي بتشيلي المفتاح بتاع الدرج ومفيش
غيري انا وانتِ اللي بنفتحه .. وبما إني مخدمت
الورق منه ف انتِ اللي مسؤولة دلوقتي تطلّعيه،
والنهاردة!!!

فزعت من صوته الذي ارتفع فجأة في آخر كلمة، قبل أن يتركها ويذهب إلى الخارج .. رفعت يدها لشعرها تمسده للخلف وهي تتفخ بتعب وحيرة

*

*

*

جلس زياد بغرفته الواسعة يتوسط الأريكة ويضع جهاز الحاسوب المحمول على منضدة منخفضة أمامه، بينما رافقته ياسمين واستقرت فوق السرير، تفترش الأوراق والملازم من حولها لتصنع حديقة عشوائية على السرير بأكمله ..

بدا عليها الملل بعد تركيز مطوّل في المذاكرة، رفعت عينيها لتلق نظرة على وجه زياد الساخط وقيامه بإتمام العمل على مضض .. يبدو أنه سيقوم بكسر الشاشة في أي لحظة قريبة؛ فكرهه للمسؤولية يتجاوز كرهه لزوجته أبيه بمستويات عديدة ..

حاجبيه منعقدان بتجهم واضح وهو يصب تركيزه
لشاشة الحاسوب محاولاً الإنتهاء في أسرع وقت
ممكن ..

اعتلتها ابتسامة جانبية ولم تخفض عينيها من عليه
;حتى وهو مكفهر تحبّ ملامحه، ولن تمنع في
مراقبة عبوسه، كما تحب مراقبة جميع حركاته
وتعابيرهِ ..

قررت مقاطعته وقالت مشاكسة :

لو كنت سمعت كلامي وقعدنا عندي مكنتش هتبقى
مكشّر كدا !

رمى لها نظرة خاطفة وأعاد نظره للشاشة مجيباً
باستنكار :

_ليه بيتكوا بيطلّ على البحر؟

_لا بس لما بتغير مكانك دماغك هتشتغل أحسن

زفر بضجر وأغلق الحاسوب ثم عاد بظهره للخلف
وهو يغمض عينيه ويتهد باختناق ..

نهضت ياسمين واقتربت منه وجلست بجواره،
وقالت:

_خلاص لو متضايق اوي كدا خد بريك شوية وكمل،
انزل اعمل لك سندوتشات؟

أجابها وهو يرتمي برأسه للخلف ولايزال مغلقاً
عينيه:

_مش عايز حاجة، عايز انام

خيم الصمت ومضى عليه وقت محتفظاً بنفس وضعه
دون أدنى حركة، أنفاسه تتوالى بانتظام ويبدو على
وجهه بعض الإرهاق، بينما كان الوقت قد مرّ عليها
وهي تُفصل ملامحه عن قرب، شعره الأسود المموج
ولحيته النامية الخفيفة .. ومع كل نظرة تتزايد بحور
حبها له، لا تدرّ ما الذي أصابها؛ تشعر أنها أدمنته أو
ما شابه!

ربتت على كتفه بهدوء وهي تحدثه بخفوت :
_زیزو؟

لم تجد منه ردًا، فأردفت :

_زیزو انت نمت؟؟

تعجبت من ولوجه السريع في النوم؛ أل هذا الحد يشعر
بالتعب؟

لم تبتعد عينيها عنه للحظة، لاتزال تتأمل وجهه
الساكن وتحفر تفاصيله داخل عقلها ..

شعرت برغبة مُلحة في مداعبة شعره، فرفعت يدها
بتردد حتى لمست أطرافه بهدوء لتختبر رد فعله، فلم
يصدر منه أي حركة، مما شجعها على التعمق قليلاً
بين خصلاته؛ أمست تحرك أناملها بنفس المنطقة
على جانب شعره فوق أذنه، وبسمة صغيرة تعلو
محياتها بوضوح ..

بقت على هذا الحال لدقائق حتى تفاجئت به يفتح عيناً
دون الأخرى ويتساءل عابثاً :

_مش ناوية تجرّبي حتة تانية؟

أبعدت يدها فوراً وهي تطالعه بأعين متسعة خجلاً،
ونطقت بدهشة :

انت منمتش؟!_

تقدم بجسده للأمام مجيبًا :

**_أكيد منمتش، هلحق أنام بسرعة كدا ازاي؟ خفي
سذاجة بقى .. وبعدين انتِ مستتياني انام ليه؟
ماتعملي كدا وانا صاحي!**

صاحت بسخط :

_اومال بتضحك عليا ليه ومفهمني إنك نايم!

أجابها بكل برود ولا مبالاة :

**_قولت يمكن لما تلاقيني مش حاسس تشجعي
تبوسيني ولا حاجة**

ضربته في كتفه بعنف :

فخر مكديش لما قال عليك مراهق بجد

*

*

*

بالمساء ..

اصطفت سيارته بجانب الرصيف، ثم أخرج هاتفه
ليهااتف أحد ما، بينما يستمع لجهاد الجالسة بجواره
تتساءل :

ايه؟ وصلنا؟

المكان في آخر الشارع، الكهربا تقطع الاول وبعدين
نروح

صمتت وانتظرته حتى ينتهي من مكالمته والتي
اقتصرت على عبارتين فقط لفظهما بعملية :

_ انا وصلت، افصل الكهربا دلوقتي هبعثك
رسالة لما اخلص

ثم أغلق الهاتف وبقي منتظرًا، فتحدثت جهاد معلقة
على تلك الفتاة التي قابلاها منذ قليل وأخذا منها
المفتاح :

_ بس شكلها حلو هنا دي

رد فخر بعدم اهتمام :

_ اشمعنا يعني؟

رفعت كتفها بلامبالاة :

_ هي عجبتي وشها سمح كدا، انت ايه رأيك؟

زم شفتيه بعدم اكثر اث وهو يتطلع من حوله :
_ معرفش، انا ..

بتر كلماته فجأة عندما فهمها، ونظر لها بمنتهى
الملل، مستدرگًا :

_ انت بتختبريني يا جهاد؟

طالعه ببراءة وقالت :

_ هختبرك ازاي؟ انا قولت ايه؟

أجابها بيقين :

_ عايزة تعرفي انا ركزت معاها ولا لأ

ردت بثقة :

_ لا لا انا عارفاك مؤدب ياخوخة مش بتبص لبنات
ولا حاجة

أوما بتمهل مغمغماً :

_ كويس

خيم الصمت للحظات وهي توزع أنظارها في الأرجاء
بتردد، قبل أن تتحدث بغباء :

_ بس انت أكيد مبتخونيش معاها، صح؟

التفت لها صائحاً بحنق :

_ انتِ مخك منقوع في مائة لفتِ؟!!

انقطع الحوار عندما انفصلت الكهرباء فجأة وحلّ
ظلام حالك، مما أثار فزعها لوهلة وصرخت صرخة
قصيرة بتفاجؤ، فأسرع يقول :

_ ايه بالراحة! ما احنا مستتين ده من بدري, مالك؟

استجمعت نفسها وردّت :

_ تمام تمام انا بس اتخضيت لما قطع مرة واحدة كدا

مررت عينيها في الأنحاء السوداء التي لم ترى منها

ولو قشّة، وأردفت بتوجس :

_ بس المنظر يخوّف بجد

فتح مصابيح السيارة وأبعد قدمه عن دواسة الفرامل

ليتحرك إلى الأمام وهو يقول :

_ شغلي كشاف تليفونك واجهزي

.

.

أوقف السيارة أمام المكان مباشرة ثم ترجلا كلاهما
واتجها صوبه بخطوات متسارعة، وكلاهما يتمسك
بهاتفه يضيء به طريقه ..

وضع فخر المفتاح بمكانه المخصص ليفتح مركز
التجميل المقصود، تحت ضوء الكشاف الخاص
بالهاتف، في حين وقفت جهاد بجواره منشغلة
بقفازات جلدية بين يديها تستعد لارتدائها ..

فُتح الباب فدخل سريعاً ومن خلفه جهاد، أغلق الباب
بعد دخولهما ثم التفت لها عندما ارتدت القفازين
وهما يكشفان أصابعها حتى نصفها، فتساءل بضجر :

بتعملي ايه يا جهاد؟

بينما ردت هي بحماسة :

عملت حسابي وجبت الجوانتي الروش ده لزوم
الدخول في المود ..

غمزت له مردفة :

_جوّ عصابات وبتاع!

رد عليها بملل :

_طب انا مضطر احبطك واقولك اقلعيه عشان هنلبس
جوانتيات تانية

أعطاها قفازات بلاستيكية خفيفة، فتطلعت لها
باستحقار قائلة :

_بقي بتاعي وحش واللي شبه الاكياس ده حلو؟

ردد بنفاد صبر :

_هو احنا هنتصور؟! احنا مش عايزين بصماتنا تتحط
على حاجة، جوانتياتك المخرومة دي هتفضحنا !

ثم أمرها بصرامة ووضوح :

قُصِرَ الكلام .. في اوضة هنا محطوط فيها كل
كراتين الـ products "منتجات" ، هروح آخذها
وانقلها على العربية، وانتِ هتاخدي كرتونة تلمّي
فيها الحاجات اللي برا .. مش عايزين نسيب أي
حاجة لا جديدة ولا قديمة

*

*

سار عز بحذر وتمهل شديد؛ ليتفادى أي حركة قد
تؤلم ظهره الذي لا يزال يعيقه عن التحرك بحرية ..
وصل إلى ساحة الشقة وأخذ أول مقعد يقابله وهو
يئن بخفوت، ارتاح بجلسته قليلاً ثم فتح هاتفه الذي
كان بيده، تحديداً على محادثته مع أميرته "مريم"،
لاحظ تسجيلاً صوتياً أرسلته منذ قليل ففتحه وسمع
صوتها الناعم يقول :

_والله يا عز كنت عايزة افضل معاك بس فخر كان
عايزني في موضوع مهم وهيطول والوقت هيتأخر،
ده حتى لسة مجاش انا قاعدة مستنياه في بيتنا القديم
.. بكرة الصبح هكون عندك إن شاء الله
ابتسم وعينه تلمعان بحب واضح، وسجل لها رسالة
صوتية :

_انا كويس متقلقيش مش محتاج حاجة، وبابا معايا
انا مش لوحدي يعني .. بكرة انا مش رايح المستشفى
على فكرة ابقى تعالي في أى وقت

أرسل رسالته تزامناً مع خروج رؤوف من المطبخ
وهو يمسك بطبقين ويتجه إلى الطاولة ليضعهما
فوقها؛ استعداداً لتناول العشاء، ويقول :

_عامل ايه دلوقتي؟

أجابه عز :

_ الحمد لله تمام

_ قادر تمشي ولا اجيب لك الأكل عندك؟

رد وهو يهم بالنهوض :

_ لا عادي هقوم

ولكن أوقفه رؤوف فوراً وهو يقول :

_ لا لا استنى اقعد خلاص

حمل رؤوف الأطباق من فوق السفرة وتوجه إليه
حتى وضعهما على المنضدة المنخفضة المقابلة له،
فاعترض عز ضاحكاً :

طب ليه كدا انا متشلش يعني

هدر رؤوف بغضب :

بعد الشر يا حيوان .. بس انت لازم ترتاح على قد
ما تقدر عشان ترجع لطبيعتك بسرعة بدل ما بقيت
تتحرك زي العيال اللي لسة بتتعلم المشي!

ضحك عز بقوة ثم ردّ قائلاً :

ماشي ياروفا مش هرد عليك ..

*

*

*

أضاف فخر صندوقاً فوق باقي الصناديق التي جمعها
بسيارته ثم أغلق باب السيارة واتجه إلى المكان من
جديد ليأخذ آخر صندوق ثم يغادر مع هذه البطيئة

التي لاتزال تلملم بضع أغراض كانت لتنته منها في
غضون خمس دقائق على الأكثر ..

دلف إلى المكان من جديد ووقع بصره على الجزء
الوحيد المضيء في المكان ; النقطة التي تقف هي بها
..

توقف عن السير وأمعن النظر فيما تفعل ; كانت تقف
أمام المرآة وتقرب وجهها من انعكاسها كثيرًا، لتوزع
طلاء الشفاه فوق شفثيها باندماج وتركيز ..

كسى الملل وجهه ولوى شفثيه بيأس، سار صوبها
ووجه لها ضربة خلف رأسها جعلت جبهتها ترتطم
بالمراة، فتأوهت بخفة واستدارت له صائحة :

_ايه يافخر ده !

نهرها بسخط :

_ انا جايبك تدلعي قدام المرايا هنا !؟

ردت باهتمام شديد :

_ ده روج من الغالي اللي بشوفه مع البلوجرز، قولت

اجربه اشوفه مختلف عن الرخيص في ايه

وجّهت الكشاف لوجهها وهي تبتسم قائلة :

_ ايه رأيك؟

نشل منها الهاتف ومن بعده احمر الشفاه ليترك

الأخير جانبًا، ثم يجذبها من يدها لتسير معه عنوة،

وهو يتمتم بنفاد صبر :

_ احميني من عَبطها يارب قبل ما اتهور عليها في

مرّة

*

*

*

دخلت مي إلى غرفة ولدها ورأته متمدداً على السرير
منشغلاً باللعب على جهاز الـ "آي باد" ، لم تنطق
بكلمة واحدة وأغلقت الباب من خلفها وذهبت لتجلس
بعيداً ..

راقبها عبدالله باهتمام حتى جلست على الكرسي
الخاص بمكتبه الصغير وأسندت يدها على المكتب،
ويظهر الهمّ والضيق على وجهها ..

استنتج الطفل فوراً أن هناك مشادةً بينها وبين حازم
؛ فهي غالباً ما تبيت معه بغرفته كلما تشاجرت مع
والده ..

ترك جهازه على الفراش ونهض متجهًا صوبها حتى
وقف أمامها وقال :

_ايه ياماما مالك؟

أجابت باقتضاب :

_مفيش

تساءل بنبرة متيقنة :

_اتخانقتي انتِ وبابا؟

ابتسمت ابتسامة لم تخرج من القلب كثيرًا، وأجابت :

_لا عادي هو نكش من اللي بيحصل كل شوية ده

وخلص، مش حاجة كبيرة يعني

لم يكن الأمر كذلك بالفعل، بل كان مشتعلًا وحازم الآن

لا يطيق النظر بوجه أي أحد بسبب هذا الورق

الضائع، وهي فشلت في إيجاده بعد ساعات من

البحث، فأنتهى الموضوع بجدال حاد بينهما; تبعه
انسحابها والابتعاد عنه إلى غرفة ابنها ..

لاحظ عبدالله بوأسها الواضح، فحاول التخفيف عنها
قائلًا :

_طب تيجي تلعبى معايا على الـ آي باد شوية؟ انا
عندي حاجات حلوة كتير

ابتسمت وداعبت شعره الناعم بلطف وهي تقول
مازحة :

_لا روح العب انت، وانا هشوف الواجبات بتاعتك
خلصت ولا لأ عشان لو طلع في حاجة ناقصة نسحب
ال آي باد ده

أجابها بغرور وهو يتحرك إلى السرير :

_شوفيهم انا مخلصهم كلهم

ضحكت ثم سألته :

_طب فين الكتب؟

_في الدرج، بس الماٲ والانجليزي في الشنطة

فتحت الدرج الأول وفتشت فيه عن أغراضه،
فأخرجت الدفاتر والكتب المدرسية خاصته ووضعها
على المكتب، ثم أغلقت الدرج وفتحت الثاني فكان
أول ما رأته رسمة طفولية جميلة من رسومه
المعتادة فأمسكت الورقة لتأملها عن قرب وهي تقول
بإعجاب :

_ايه ده يا عبدالله انت بقيت شاطر في الرسم اوي

التفت لها بحماس قائلاً :

بجد؟

اه جدا .. بس ليه مش راسم في كراسة الرسم؟
الورق ده ممكن يضيع أو يتبهدل

اقترب منها من جديد وهو يبحث في الدرج ليجمع
منه بعض الأوراق :

ما انا كنت هقول لك فعلاً تدبسيهم كلهم مع بعض
كأنهم كراسة صغيرة وارسم فيهم
أعطاها مجموعة الورق وقال :

عشان هما كلهم قد بعض ف هيبقوا حلوين لما
يتدبسوا

أخذت منه الورق والتقط بصرها الكلام المدون عليه،
فتطلعت له من باب الفضول، ولكنها سرعان ما صبت

اهتمامها له وبصرت جميع الأوراق بنظرات سريعة،
ثم نهضت وهي تقول :

_عبدالله معلى استتاني ثواني

هرولت خارج الغرفة وهي تأمل أن يصدق إحساسها،
حتى وصلت للصالة واتجهت لحازم الجالس على
طرف الأريكة وقالت :

_حازم شوف الورق ده كدا

أخذه منها ونظر فيه ولم يأخذ وقتًا حتى تعرّف عليه،
غلبته الدهشة ونظر لها هاتفًا :

_لقتيه فين؟!!

رددت بذهول :

_طلع هوّ !!

نهض واقفًا، وأجابها :

_ايوة، كان فين من بدري؟

أجابت بتعجب :

_كان مع عبدالله

رمقها بعدم فهم، بينما تابعت هي بحيرة :

_معرفةش ازاي، عبدالله مبيعرفةش يوصل للمفتاح

أصلًا انا بشيلُهُ فوق

لم تطل التفكير والتفتت تناديه فورًا :

_عبدالله! ، تعالى يا عبدالله بسرعة

بضع ثواني وأتى الصغير يطالعهما بتساؤل، فسبق
حازم بالسؤال :

_ عبدالله انت جبت الورق ده منين؟

قلق عبدالله من نبرة والده الجادة وشعر بأنه ارتكب
خطأ ما، وقال بتردد :

_ مش انا، دي طنط نجية

انتبهت مي لذلك الإسم وسألت :

_ نجية ايه!!!؟

_ هي ادتهوني قالتلي ارسم فيه

تأججت مي غضباً و عنفتة بصياح حاد، وقد خرج
غضبها من نجية في ولدها دون شعور منها :

**_وانت تسمع كلامها ليه وتروح ترسم فيه؟! مش
تسألني انا الأول؟! الورق ده تبع شغل بابا وقلبنا
عليه البيت كله من الصبح وانت رايح ترسم فيه!!**

**توتر من صراخها وبدل نظره بينها وبين والده بقلة
حيلة وأجاب مدافعاً عن نفسه بصوت مضطرب :**

**_مكنتش اعرف والله، انا معرفش ورق الشغل ده
بيبقى عامل ازاي انا عمري ماشوفته**

**سارع حازم بالاقتراب من ابنه وجثا على ركبتيه
أمامه وأمسك بيده يطمئنه :**

_ميهمش يا حبيبي خلاص عادي حصلش حاجة

أجابته ببراءة ونبرته يبدو منها تأنيب نفسه على
ما فعل :

_ انا رسمت في ورقة فيهم

_ مش مشكلة هنمسحها عادي، دي مش مصيبة يعني

أقبل عليه يقبل رأسه بهدوء وهو يتابع :

_ معلش ماما متعصبة من حاجة تانية مش منك، هي
مش قصدها تزعق .. احنا عارفين إنك مكنتش تعرف
عادي فداك

ربت على رأسه بهدوء ثم قال :

_ خش أوضتك يلا، الموضوع خلص خلاص

أنصت له عبدالله و غاب إلي غرفته، بينما اعتدل حازم
والتفت لمي التي لم تستطع كبت انفعالها وصاحت
بغضب :

هي وصلت تدخل أوضتي من ورايا وتقلب فيها
كأنها في بيت أهلها؟! ، وكم ان بتتصنت علينا عشان
تمسك أي حاجة تخلق بيننا مشاكل وخلص! ، هي
عايزة مني ايه!!

صرخت بجملتها الأخيرة بهياج وصوت جهوري،
فأسرع حازم يحاول احتواء غضبها :
اهدي طيب، بالراحة على أعصابك شوية

ثم سألتها :

انت مين قال لك أنها بتتصنت؟

تحدثت بحنق شديد :

_عرفت منين إن الدرج ده هو اللي بتشيل فيه ورقك؟
وعرفت منين ان المفتاح في الدولاب؟! .. انت لما
جيت خدت ورقك كانت هي موجودة، وميَّة في الميَّة
وقفت تلمع أوكر عشان تلقظ أي مصيبة تجود فيها
وتعملها مشكلة بيننا ..

أخذت شهيقًا تحاول به تنظيم أنفاسها المنفعلة ثم
عادت تتحدث بوعيد :

_انا جبت آخري يا حازم خلاص، ومش هاجي على
نفسي عشان حد بعد كدا .. والست دي لو داست لي
على نص طرف تاني اقسم بالله لـ اهبّ فيها وما هكتم
في نفسي، وان شالله تخرب خالص بقى !!

*

*

*

بات فخر بصحبة جهاد ومريم يقومون بفتح كل صندوق على حدى ;يفرّغونه من المنتجات ويوزّعونها على سطح معدني كبير يسعه الفرن، فيضعوا المنتجات في الفرن ويشعلوه لبضع دقائق على درجة حرارة أعلى من درجة حرارة الغرفة بقليل، ثم يخرجوها وينتظروا حتى تبرد ثم يعيدوا تخزينها بالصندوق كما كانت ..

كان التعاون قائمًا بين الثلاثة باندماج وسرعة، فكانت جهاد تستقر على الأرض تفتح الصندوق وتفرّق محتوياته على مستوى الصينية المسطحة، ثم تأخذها مريم وتضعها بالفرن بعدما تُخرج منه صينية أخرى انتهى تخريبها للتو، وتعطيها لفخر الجالس على الأرض أيضًا ;وبدوره يجمع كل المنتجات في الصندوق ثم يغلقه بإحكام ..

انقطع العمل بصوت رنين هاتفه فأخرجه من جيبه
ونظر بالإسم، ثم التفت لمريم الواقفة أمامه ومدّ لها
الهاتف :

_ ده عز، خدي ردّي عليه

سرعان ما تجمعت كل معالم الحماس على وجهها
وانتشرت منه الهاتف دون تردد وركضت إلى الشرفة
غير مبالية بنظراتهما العابثة التي لحقتها حتى اختفت
..

نظرا لبعضهما وتبادلا الضحك بخفة، قبل أن يقترب
منها قليلاً ليبقى بجوارها على الأرضية، وأمامهما
تقبع الصناديق والفوضى ..

_ رن في وقته عشان اعرف اوزّعها

نطق بجملته وهو يدس يده في جيبه ليخرج شيئاً ما،
وهي تتطلع له بفضول وانتباه ..

رفع يده بعلة سوداء طويلة ورفيعة مناسبة لاحتواء
قلم كحل، ومدّها لها وهو يقول :

جبت لك ده

نظرت للعبة ولم يتطلبها الأمر كثيراً لمعرفة ماهيته،
غلبتها ضحكة واسعة حملت بعض الاندهاش ونظرت
له بتفاجؤ، فاستمعت له يقول بمشاكسة :

انا لاحظت اني دائماً لما بشوفك مش حاطة كحل
بتبقي قاعدة بتعيطي .. قولت اجيب لك واحد تفتكريني
بيه وتفضلي تحطيه يمكن متعيطيش تاني

فَهَقَّتْ بِعَنْفٍ، ثُمَّ نَظَرَتْ لَهُ بِخَبْثٍ مَتَسَائِلَةً :
بَسْ كَدَا؟

حَرَكَ رَأْسَهُ بِاسْتِسْلَامٍ مَجِيَّبًا :
_وَعِشَانُ بَحْبِ عَيْنِيكَ وَهِيَ مَتَكْحَلَةٌ بِرَدُو

وَلَوْ مَشَّ مَتَكْحَلَةٌ مَشَّ هَتَحِبَّهَا؟

أَنَا هَتَحِبَّهَا حَتَّى لَوْ حَوْلَةٌ!

انطلقت ضحكاتها بصخب، فيما تبادل معها الضحك
بهدوء، قبل أن تأخذ منه هديته، ثم تقول :

_طَبِّ قَوْلِ لِي الْجَمَلَةَ الَّتِي بَحِبَّهَا

عقد حاجبيه متسائلًا :

_ انهي؟

_ انت عارف

ألقى نظرة عابرة على ملابسها وهو يقول :

_ ما انتِ مش لابسة اصفر النهاردة

_ لا مش دي، الثانية

رمقها بحيرة لبضع لحظات ثم تغيرت تعابيره إلى الإدراك وبدا على وجهه أنه فهمها، فاتسعت ابتسامتها وأومات له مرتين تؤكد أنها تقصد ما أتى على باله ..

ارتسمت ابتسامة جميلة على ثغره، ونظرات رقيقة تتبعث من مقلتيه وهو ينطقها بهدوء :

_ دمتِ بهيئةً يا أثيرة الكحل

ضحكت بسرور، ونظرت إلى علبة الكحل بين يديها
لحظة ثم أعادت بصرها له وسألته :

_ يعني ايه أسيرة الكحل؟

صح لها الكلمة قائلًا :

_ تؤؤ تؤؤ، أثيرة! .. بالث مش بالـس

_ طب يعني ايه؟

تعلقت عينيه العاشقتين بخاصتها متأملاً ملامحها
البسيطة، ثم أجابها بنبرة ساحرة تملكت منها حتى
أعماقها :

_يعني الكحل بيحبك ياچيجي مش انتِ اللي بتحبّيه ..
مابين كل اللي بيحطّوه هو بيفضّلك انتِ وبيحب يرسم
عينك انتِ ..

شرد بعينيها الواسعتين قليلاً، وبنبرة خافتة تبت لها
كل مشاعره نطق لقبه الوحيد الذي يرد على باله
بمجرد رؤيتها :

_عشان تحفة مش بتتكرر

دق قلبها بعنف والتمعت عينيها بسعادة وحب يفيض
من كل خلاياها ؛لم يسبق لها أبدا وعاشت شعور رائع

كهذا .. هو الوحيد الذي يراها مميزة ومختلفة وليس
هناك من يستطيع الوصول لمكانتها العالية ..
معاناتها مع قلة الثقة بنفسها تتمحي بكلمتين منه فقط
وتجعل حياتها وردية مفعمة بالحيوية والشغف ..
كانت ضائعة بين ملامحه بهيام، ولم تشعر بدمعتها
التي سالت على خدها وهي تنطق بصوت ضعيف
مهزوز :

_ انا بحبك اوي.

شقت تلك الضحكة المميزة طريقها إلى محياه، ثم
قال:

_ الدموع دي عشان فرحانة ولا افكرتي حاجة
تضايقك؟

ابتسمت بهدوء ومسحت وجنتها بأطراف أناملها،
مجيبة برقّة :

_مفيش حاجة هتضايقتي طول ما انا باصّة في وشك
يافخر ..

قابلها بابتسامه مسرورة تبعها ابتسامه أخرى
مغرورة وهو يقول :

_عشان وشي قمور انا عارف

صاحت باستنكار :

_كل ما اكلمك تقول لي قمور ! معندكش غير
"قمور" كل شوية

أجاب بجديه واضحه وكأنه يقول حقيقة لا جدال فيها:

ما عشان قмор فعلاً، هو انا كدبت؟

أجابت ساخرة :

لا العفو، محدش يقدر ينكر

تبادلًا الضحك بخفة وساد الصمت قليلاً، قبل أن تخرج
جهد بفكرة تقول :

بقول لك ايه .. ايه رأيك لو كَلّمنا واحدة تروح هناك
كأنها عميلة عادي وبعدين تعمل كأنها اكتشفت ان
الحاجات بايظة وتزعق وتعمل مشكلة؟ عشان تشجع
بقية الزباين هما كمان يتكلموا ويعملوا مشاكل
والموضوع يكبر وينتشر

طالعتها بتفكير للحظات، وهز رأسه برضا :

يمشي .. بس مين اللي هنكلمها دي؟؟

*

*

*

ده انا هو ديكوا في ستين داهية !!

صاحت بتلك الجملة زميلة جهاد بالعمل "رانيا" وهي
تقف وسط ساحة مركز التجميل والجميع يلتفت من
حولها بتعجب ..

سارعت إحدى العاملات تحاول ترويضها وهي تقول:

يا فندم بالراحة بس حضرتك ده مكان كبير ومحترم

ردت رانيا ساخرة :

_محترم اه! ، انا مبفتريش عليكوا يا حبيبي انا
عارفة كويس الحاجات الكويسة من الحاجات البايظة
.. والقرف اللي كنتي هتخطيه على وشي ده باين زي
الشمس إنه صالحيته منتهية .. والله أعلم ضحكتموا
على كام واحدة قبلي

تحدثت العاملة مدافعة عن نفسها :

_والله أبدأ، الموضوع ده جديد علينا، احنا عمرنا ما
استعملنا حاجات بايظة ..

ثم أردفت :

_بصي انا هكلم صاحبة المكان هي اللي تيجي تتفاهم
معاك

صاحت رانيا واحتدت نبرتها أكثر :

_ لا انا مش هستناك لما تكلمتها انا هطلع من هنا
على القسم على طول وتبقى تيجي تقابلني هناك بقى
!

*

*

دلفت السيدة سحر إلى المطبخ بخطوات متمهلة حتى
توقفت فجأة عندما وجدت بسملة تقوم بتحضير
القهوة، حممت بخفوت وتحدثت بتهذيب :
_ تعبتي نفسك ليه يا بسملة هانم؟ كنت قولتيلي
اعملهاك

التفتت لها بسمة وأجابت بعدم اكتراث :
_لا دي لعامر ياسحر، انتِ عارفاني ساعات بحب
اعملهاله بنفسي

_اه

غمغمت بفهم ثم قالت :

_اللي يريحك ياهانم

أمرتها بسمة بنبرة تحمل بعض الغطرسة :

_روحي اندهيلي صبري عشان عايزاه يجيب لي
حاجات

_حاضر

لم تُضف سحر كلمة أكثر من هذه، وخرجت في صمت

..

راقبتها بسمة حتى تأكدت من خروجها ثم التفتت
للقهوة التي سكبها في الفنجال للتو .. أخرجت من

جيبها علبة دواء مجهولة وفتحتها لتأخذ منها حبة،
ثم حاصرت الحبة بين إصبعي السبابة والإبهام
وضغطت عليها حتى تفتتت داخل الفنجال .. أخفت
العلبة بملابسها كما كانت ثم أخذت القهوة وخرجت

...

.

.

وصلت إلى غرفة المكتب ودخلت، لترى عامر جالساً
خلف مكتبه يصب تركيزه إلى شاشة الكمبيوتر
المحمول .. اقتربت منه بخطوات ثابتة حتى وضعت
أمامه الفنجال وهي تقول بابتسامة صغيرة :

اتفضل يا حبيبي عملتهالك بإيدي

شكرها عامر بعدم اهتمام ولم يحيد نظره عما يفعله،
ظلت هي واقفة تراقبه باهتمام حتى رآته يحتسي منه،
فاعتلتها ابتسامه مرتاحة وغير صافية، ثم قالت :

مضبوطة؟

أوما برضا :

تسلم ايدك

اتسعت ابتسامتها الخبيثة أكثر، ثم هتفت :

طب لو عوزت حاجة ابقى ابعثلي

استدارت وغادرت الغرفة، وأغلقت الباب من خلفها ..
لم تكذ تأخذ خطوتين حتى وجدت سحر قادمة نحوها
تعطيها الهاتف :

التليفون ياهانم بيرن من بدري

*

*

*

ماتعدل طريقتك مع خالتك شوية عشان نبرتك مش
عجباني يا حازم!

هكذا تحدثت نجية بنبرة واعدة وهي واقفة أمام حازم
وسط شقة ولاء، تعقد ذراعيها أمام صدرها وترمقه
بحدة .. بينما تصنع حازم البراءة وهو يقول :

وانا قولت ايه يا خالتي؟

وقفت ولاء بجوارهما تراقب الحوار بحيرة، فيما
تحدثت نجية بصرامة :

_ انت بتتهمني إني بسرقتك وبتسألني قولي ايه؟!؟

_ لا انا مقولتش كدا .. كل اللي طلعت من بوي بسالك لو دخلتني أوضتي وشوفتي ورق فيها ف ادتيه لعبدالله وانتِ فاكراه مش مهم، بس كدا ..

_ وانا هخش أوضتك عشان اجيب ورق مخصوص؟

رد حازم بهدوء :

_ الورق ده مبيطلعش برا أوضتي وعبدالله قال إن انتِ اللي ادتيه له، قولي يمكن وانتِ مش واخدة بالك تكوني طلعتيه برا ولا حاجة .. سؤال بسيط مفهوش أي اتهام زي ما افكرتية

**ايوة انا اديت لعبدالله ورق كنت لقيته مرمي براء،
لكن مدخلتش أوضتك عشان آخده .. بصيت لقيت
شكله ورق نضيف قولت خسارة نستفيد بيه**

وأردفت بتبجح :

**متبقاش مراتك بقى يا حبيبي مهملة ومبتخافش على
شغلك وتيجي تجيبها فيا انا !**

**لاذ بالصمت وهو يحدقها بنظرات غامضة حانقة
بعض الشيء ؛ هي بالطبع لن تعترف وتلفظ بلسانها
حقيقة دخولها الغرفة ..**

**تحدثت ولاء محاولة تخفيف حدة الحوار، مخاطبة
ولدها :**

طب خلاص يا بني حصل خير مش المهم لقيت
الورق؟ خلاص الحمد لله

لم يبعد حازم أنظاره الحادة عن نجية، واحتفظ بصمته
لثوانٍ، ثم قال :

انا هقفل الحوار ياخالتي وهعمل عبيط .. بس حطي
الكلمتين دول فى دماغك كويس

احتدت نبرته ونطق بعزم متكناً على حروفه :

انا مش هسيب مي! .. مهما عملتي ومهما حاولتي
الحقيقة دي مش هتتغير .. فحفاظاً على وقتي
ووقتك متجرّيش تاني عشان هتفشلي!

لفظ آخر كلماته ثم سار صوب الباب وغادر المكان
بوجه مكفهر وخطوات منفعلة

*

*

*

مرّ وقت طويل حتى انتهت بسمّة من استيعاب ما
وقعت به ومدى المشاكل التي ستواجهها فيما بعد ..
انتهى الأمر مع رانيا بدفع تعويض لها على أساس أن
هذه العبوة فقط هي الوحيدة الفاسدة، ولكن لم ينته
الأمر عند هذا الحد، بل أشاد الظابط بفحص جميع
المنتجات ..
وباللمصيبة التي حلّت عليها إن كانت هناك أخرى
غير صالحة!

وحتى يقوم فريق الفحص بإتمام عمله، كانت بسمّة
بنفس الوقت أمام شقة فخر تطرق الباب بعنف دون

توقف، إلى أن فُتح الباب فدفَعته بقوة ودخلت
كالإعصار، بينما أغلق فخر الباب بهدوء وطالعتها
بمنتهى البرود وهو يقول :

ـ سايبك في القِلا عشان تجيلي هنا؟ ، اديكي انتِ اهو
اللي بتجُرِّي شكلي

رددت بسخرية :

ـ ده انا بردو؟؟؟

اقترب منها بضع خطوات حتى وقف قبالتها قائلاً :

ـ لخصي!

أذعنت لطلبه وردت مباشرة :

_ انا لسة جاية من القسم بعد حوارات كتير مع واحدة
متخلفة قالت اني بستعمل حاجات منتهية الصلاحية،
والهانم بعد ما لميت معاها الموضوع بتشمت فيا
وتقول لي ان غيرها كتير هيتكلم ويذيع لحد ما المكان
يتقفل

رد بلا أي اكتر اثار :

_ و ؟

_ والحاجات دي جديدة وصلاحيتها مش هتخلص
بالسرعة دي!

لوى شفتيه بلامبالاة، وخبّن :

_ سوء تخزين ممكن؟

طرحت سؤالها له فورًا دون مقدمات :

انت اللي باعت البت دي عشان تعمل لي بلبله، مش
كدا؟

ارتسمت عليه ابتسامه جانبية ساخرة، وحكّ لحيته
الكثيفة بأصابعه مرتين وهو يتطلع من حوله متصنعاً
التفكير، ثم قال :

انت حاسّة ايه؟

صمتت قليلاً ثم نطقت متوعدة :

انت عارف لو اتأكدت إن ليك يد في الموضوع ده
هعمل ايه

أجابها بكل برود :

اتأكدي ياروحي انا صاحب المصيبة كلها مش مجرد
ليّا ايد بس ..

اتسعت عينيها من جرائته، بينما أردف هو بنظرات
فضولية باردة :

يلا فرّجيني هتعملي ايه

تحوّلت دهشتها إلى نظرات نارية توحى بعصبيتها
المكتومة، واحمرّ وجهها غضبًا، فيما تابع فخر
باستخفاف وتهكم :

انتِ بجد كنت فاكرة إنك عادي تربطيني في الجراج
وانا هخاف منك واعدّيها؟ .. حد قال لك إني مغلوب
على أمري ولّا ايه؟!!

تقلصت نبرة السخرية وانمحت نظراته الباردة لتتحول
إلى أخرى مظلمة ومخيفة مردفاً بصوت خشن
وثابت:

_ انا اللي يرفع عليا صوته برفع عليه سكينه! ..
واللي يدوس لي على طرف ادوس على رقبتة!!

اهتزت قليلاً من حدته المريرة ولكنها نجحت في
إخفاء ذلك وأظهرت الثبات والتحدى في قولها :
_ متفتكرش إن دي آخرتها يافخر ومتفرحش بنفسك
كدا كتير، انا بعرف اردّ اعتباري كويس اوي!

اعتلته ابتسامة واسعة قمة في الاستفزاز وعاد
لبروده الساخر قائلاً :

_ في الانتظار يا حياتي ابهريني!

يتبع..

الفصل الثامن والثلاثون {نجمة ودبلتين}

سمح حازم بدخول الموظف الذي طلب رؤيته
ليستأذنه بشيء ما، وقف أمام المكتب بثبات ونطق
باحترام :

_ صباح الخير يامستر حازم

ردد حازم بعدم اهتمام، وعينيه منخفضة لبعض
الأوراق التي يدوّن بها بضعة حروف :

_ صباح النور

نطق الموظف مباشرة لعلمه بعدم طولة باله :

_ كنت عايز اقدم على اجازة بعد اذنك

رفع حازم عينيه عن الورق وطالعه مطوياً بغموض،
عاد بجذعه للخلف ليسند ظهره إلى الكرسي وهو
يقول :

ليه خير؟

ابتلع ريقه وأجاب :

اجازة مرضية

تطلع له حازم من أعلى لأسفل باستخفاف وأجاب :
مش شايفك مشلول ولا بتفرفر قدامي يعني..

حمم الشاب بقليل من التوتر، ثم أوضح :

لا ده مش انا .. دي امي، عيانة ومحتاجة اراعيها
وكدا

تقدم للأمام وعاد يطالع أوراقه مجيبًا :
_ تجيب لي تقرير طبي بحالة والدتك وتجيبي

تحدث الشاب بضحكة بسيطة :

_ ايه ده يافندم معقول حضرتك مكذبني؟ ده احنا
عشرة يعني

ولكن لم يبادل له حازم الضحك ولو بابتسامة صفراء
حتى، ورمقه بحدّة قوية، فابتلع الموظف ضحكته
سريعًا وقال بتوتر :

_ تحت أمرك يافندم حاضر، بعد اذنك ..

اكتفى حازم بتحريك رأسه حركة خفيفة تجاه الباب
بمعنى أن يذهب، فتحرك الموظف وترك المكتب ..

التقط حازم هاتفه وقام باتصال صغير لزوجته، انتظر
الرد طويلاً حتى استمع لصوت ولده يجيب :

_ايوة يا بابا ازيك؟

ابتسم حازم مجيباً :

_ازيك يا حبيبي اخباركوا ايه؟

_الحمد لله كويسين

_ايه بتعمل ايه دلوقتي؟

_بتفرج على التليفزيون

أضاف حازم سؤالاً آخر :

_وماما فين؟

_ ايديها مش فاضية قالتلي اردّ انا
_ بتعمل ايه؟

_ بتقطع بصل

ضحك حازم ثم قال :

_ لا ربنا يقويها، ابقى قول لها إني هتأخر شوية
ماشي؟

استمع لدقات الباب فأذن بالدخول، ثم عاد لمكالمته
ليختمها بقوله :

_ وخليها تكلمني لما تخلّص

أجابه عبدالله :

_حاضر

_يلا سلام

أغلق الهاتف ثم التفت لذلك الموظف الواقف أمامه
منتظرًا أن يسمح له بالتحدث، فنطق حازم :

_أوامر

تردد الموظف في طرح طلبه، ولكنه شجع نفسه على
الإفصاح عمّا بداخله وقال :

_كنت جاي لحضرتك اطلب اجازة يومين!

رفع حازم حاجبًا دون الآخر وصاح مستنكرًا :

_انتوا متفقين عليا؟!!

_ليه هو في حد غيري طلب بردو؟؟

أجاب بنبرة متهكمة :

_ اه في، لسة طالع قبلك بنص دقيقة

رد الشاب ضاحكًا :

_ سبحان الله بقى

صمت حازم قليلًا ولم يبدُ عليه رد فعل سوى

الصرامة، ثم نطق بحنق :

_ انتوا بتمتحنوني ولا ايه؟

بدا التعجب على وجه الموظف، بينما تابع حازم بقليل

من العصبية :

_بتجربوا إذا كنت هقبل أجازتك انت وهو لأ عشان
انت شغال هنا بالواسطة وكلنا عارفين .. وطبعاً لو
قبلتك انت بعد ما رفضته تروح تنشر بين الموظفين
ده حازم بيتعامل بالواسطة وعایش علينا دور المثالي
مش كدا؟

_لا يافندم طبعاً، مستحيل حد يقدر يقول عليك نص
كلمة

صاح غضباً :

_اطلع برا قبل ما ارفدك انت وهو!

.
. .
. .

كان فخر بنفس الوقت سائراً في طريقه إلى مكتب
حازم حتى تبقى له بضع خطوات ; امتنع عن أخذها

عندما وجد الباب يُفتح من خلال ذلك الموظف ثم
وقف ونبس قبل أن يذهب :

_ انا هطلب لحضرتك قهوة تروّق أعصابك

_ برا !!

انتفض بتفاجؤ من صوته المرتفع، بنفس اللحظة
التي وجد فيها أحد الملفات يُلقى بوجهه، فسارع
بالخروج سريعًا قبل أن يتلقّى جواب فصله من
الشركة ..

التفت لفخر عندما وقف أمامه وهو يقول :

_ متفاهم ها؟

أجاب بحيوية ساخرًا :

_ جدا .. ويحب النقاش

ضحك فخر قائلاً :

ما انا لاحظت

أعطى الموظف الملف لفخر وهو يقول :

رجّعه ده يا بشمهندس إذا تكّرمت ..

.

.

ألقي فخر الملف على المكتب قبل أن يجلس أمامه

وهو يقول :

أعصابك ياعم في ايه!

غمغم حازم بضجر :

بلا قرف

استرخى بجلسته أكثر ووضع ساقياً فوق الأخرى،
وهو يقول بحكمة وعقلانية :

_أفراد المجتمع مش أكثر من شوية طفيليات
ياصديقي، ليه تحرق دمك عشانهم؟

رمقه حازم باستتكار شديد :

_شوف مين اللي بيتكلم!

ضحك فخر ثم قال :

_بقول لك ايه، انا معنديش وقت .. انا جاي عايز منك
طلب رفيع وهمشي

_عايز اجازة انت كمان ولا ايه؟!!

تساءل بعدم فهم :

_اجازة ايه؟

رد حازم بعدم اهتمام :

_لا متركزش، قول

أجاب فخر وحملت نبرته طابع الجدية والاهتمام :
_عايزك تشكر في شغل جهاد وتقول لها إنك معجب
بمجهودها في الشركة، ولو في مكافأة كمان ليها
لوحدها بعيدة عن كل الموظفين يبقى كتر خيرك

نبس حازم باستفهام :

_ده ليه يعني؟

معلش انا عايزها تحس إنها مختلفة عن بقية الموظفين وأحسن، مش عايزها تحس إنها أقل منهم

نطق حازم باستهزاء :

ياسلام؟

فرد فخر بنفس الجديدة :

حازم صدقتي الموضوع مهم مش مجرد مجاملة، ده هيفرق بجد .. اسمع كلامي

استرسل مفسرًا :

جهد طول الوقت حاسة إنها قليلة ومش عارفة تشوف قيمة نفسها لدرجة إنها مستخسراني فيها ! ، وده مش عاجبني .. انا مش عايز حد يلاحظ نظرتها لنفسها دي عشان ميغيش عليها .. أكيد لما حد

يشوفني طول الوقت مش بدّي لنفسى قيمتها هيقل
منّي هو كمان ويستهيّفني ومش هيعمل لي اعتبار ..

ثم أضاف :

فَ انا بحاول اساعدها باللي اقدر عليه .. خليك معايا
بقى وانا هديك فلوس المكافأة دي على أساس إنها
من الشركة، بس المهم تكلمها وانت بتضحك والكلام
يبقى طالع من قلبك كدا، حسسها إن الشركة من
غيرها هتتأثر

لوّحت ابتسامة واسعة فوق وجه حازم وهو يطالعه
بعينين ضيّقتين عبثًا؛ تعبيرًا عن شماتته فيه للوقوع
في الحب واستعداده لمنحه نوبات من الذل
والمشاكسة الثقيلة كما كان يفعل معه ويلقبه بـ
"يابتاع ميشو" ، فلم يأخذ فخر ثواني حتى فهمه، و
ردد بضجر :

اخرس يا حازم !

*

*

*

انتِ جامدة يارانيا، برافو عليكِ بجد

نظقت جهاد بجمالها وهي تجلس خلف مكتبها،
مخاطبة زميلتها الجالسة على المكتب المجاور لها ..
فضحكت رانيا وقالت :

ده انا كنت متقمصة الدور اوي

ردت جهاد ضاحكة باستهزاء :

احسن خليها تشيل، دي قرشانة!

أنهت جملتها تزامناً مع فتح حقيبة اليد خاصتها
لتُخرج منه كحل .. من وسط أدراج مليئة بأقلام كحل
لا تعد ولا تحصى يبقى هذا هو أقربهم وأحبهم لقلبها
؛فهذا هدية مهندسها الحبيب ..

ابتسمت بحبّ وفتحت هاتفها لترى الساعة فوجدتها
يتبقى لها دقيقتين فقط وتدق الثالثة ..
سارعت بإخراج مرآة صغيرة من حقيبتها ثم ثبتتها
على كوب الأقلام وبدأت في تحديد عينيها بالقلم،
فأزعجتها رانيا قائلة :

ما انتِ حاطة يامسرفة! بتحطي ليه تاني؟

بأكد عليه عشان بيان

نظرت لها بطرف عينيها، مردفة بابتسامة تحمل
بعض الغنج :

_ خوخة بيحبه

ضحكت رانيا وأومات غامزة :

_ ماشي ياعم .. يارب اوعدنا بواحد خوخة احنا
كمان!

ضحكت جهاد بخفوت، قبل أن تنته مما تفعل وتغلق
القلم بغطائه ، تناولت المرأة ووضعته في الحقيبة ثم
لملمت أغراضها؛متأهبة للذهاب ..

نظرت في الهاتف لتجدها الثالثة بالتمام، فانتصبت
واقفة بحماس وهي تقول :

_إفراج أخيرًا .. يلا باي زمانه مستتيني، هبقى اكلمك

أسرعت تركض إلى الخارج، دون أن تحفل بصياح
رانيا من خلفها :

_على مهلك لـ تتكفي على وشك!

*

*

جلست ياسمين فوق سور الشرفة الخاصة بغرفة زياد
وباتت تحرك قدميها في الهواء بهدوء وهي تضع
كامل تركيزها في تسميع ماحفظته للتو لزياد ;الذي
اتخذ مقعدًا بلاستيكيًا أمامها .. يضع قدمًا فوق
الأخرى ويمسك بالملزمة المدوّن بها ما تنصّه
ياسمين على مسامعه

أوقفها فجأة بقول كلمة " غلط" ، فصمتت قليلاً لتتذكر
المعلومات، ثم استطاعت التذكر وواصلت الباقي ..
ولكن لم تكذب حتى فاجئها بنفس الكلمة السابقة :
_ غلط !

صاحت باعتراض :
_ هو ايه اللي غلط؟؟

_ والله غلط .. مش ده المكتوب عندي
_ وريني

أعطاهما الملزمة لتتظر في الصفحة وتكتشف خطأها،
بقت صامته قليلاً تراجع المعلومات ثم أعادت الورق
له قائلة :

_ خذ خلاص

أعطته الورق ثم استعدت للبدء من جديد، ولكنها
توقفت قبل أن تتطرق بحرف وتطلعت من حولها
بتفكير .. ثم نشلت منه الورق مجددًا :

لا نسيت هات

لوى شفتيه بيأس وبقي منتظرًا إياها حتى تنته من
الحفظ ..

مر وقت في السكوت التام حتى انتبه لها عندما خرج
عقلها من وضع المذاكرة بأكمله وانتقل إلى تفاصيل
أخرى بعيدة عن المنهج المتراكم فوق رأسها :

صحيح مقولتكش ماما جابت لي ايه! ، جابت لي
طقم توابل شيك اوي وجابتلي شفشق مائة شكله
قمر، انا صورتهم عشان تشوفهم وتقول لي رأيك ..

نزلت من فوق السور وأخرجت هاتفها من جيبها
لتبحث عن الصورة، بينما همهم زياد بتعجب :

_ الامتحان ياا !

ردت وهي منشغلة بالهاتف :

_ اصبر يامطرقع!

استسلم لرغبتها وانتظرها صامتًا إلى أن ناولته
الهاتف :

_ بص

أخذ الهاتف ونظر بالصورة فهز رأسه بإعجاب :

_ لا حلوين فعلاً، غريبة ناهد يطلع ذوقها حلو

أخذت منه الهاتف وهي تقول بحماس واضح :
_ ان شاء الله أول ما اخلص امتحانات هتنزل معايا
نختار كل حاجة سوا، صح؟

_ أكيد، ده انا مستتيكِ عشان مجهّز لك أماكن جامدة
نروح نختار منها، انا سألت وعرفت العناوين وأول
ما تخلصي نروح

نبست باعتراض :

_ بس انت دايمًا بتختار الحاجات الغالية

_ محدش هيجب يختار الغالي بس انا مش هجهّز بيتي
كل يوم، ولازم كل حاجة تبقى نظيفة وتعيش معنا ..
ثم نهض وهو يقول :

_ انا هروح اجيب لنا عصير يطري القعدة دي شوية،
لو جيت ولقيتك ماسكة الموبايل هسحبه منك

قُطبت حاجبيها باعتراض :

_ليه بقى؟ عيلة انا؟

أجاب بعناد :

_هو كدا إن كان عاجبك

_قول بقى إنك جاييني اذاكر عندك عشان تتحكم فيا !

صفعها بخفة قائلاً :

_عشان خايف على مصلحتك يا بهيمة

فغرت عينيها بصدمة :

_وكمان بتضربني؟!

وتابعت بدرامية :

_ ده انا شكلي غلظت لما افكرت اني اختارت صح

رد وهو يمنحها صفة أخرى :

_ اترزعي يابت !

*

*

*

انتهى عز من تحضير المعكرونة بالبشاميل بصحبة
مريم وهو يعلمها كل خطوة في صنعها، بينما تنصت
هي لتعليماته باهتمام؛ ليس حباً في الطبخ أو دخول
المطبخ ولكن فقط لأجله هو؛ فهو لا يمنح اهتماماً
لشيء بقدر ما يعطيه للطعام، وهي تود كثيراً
مشاركته اهتماماته ..

وضع عز صينية البشاميل بداخل الفرن ثم أغلق باب
الفرن بإحكام، قبل أن يلتفت لمريم التي تساءلت :

_ بنسيبها قد ايه بقى؟

_ يعني .. نصاية كدا ونشيك عليها، لما تحمرّ من فوق
يبقى استوت

انخفضت قليلاً لتستند بمرفقها على الرخامة وهي
تقول :

_ عز انا اكتشفت حاجة ممكن تعمل عقبة في حياتنا
سوا

اتخذ نفس وضعها واستند على الرخامة أيضاً، وقال :
_ استر يارب

تحدثت بضحكة بها بعض السخرية :

انت اكثر حاجة بتحبّها في حياتك الأكل .. وانا أكثر
حاجة مبعرفش اعملها هي الطبخ!

أجاب بعزم ودون تفكير :

هتجوزك بردو .. حتى لو مبتعرفيش تعصري
لمونة انا راشق!

اعتلتها ضحكة واسعة مسرورة من تمسّكه الظريف
بها، تأملت ملامحه الهادئة قليلاً ونبست باستسلام
وهي تطالعه برقة :

انا بحبك والله يا عز

وكان كلمتها كانت خمراً جعل عقله يغيب عن الواقع
في لحظة .. تاه بين طيات عينيها الزرقاوتين لبرهة ..

لم يدرك هل قضى وقتًا قصيرًا أم طويلًا في تأمل
عينها ولكنه في النهاية ردد بخفوت :

_ينفع تقويلي كدا ٥٥ مرة في اليوم؟

علت ضحكاتها الناعمة بصخب، ثم قالت :
_مش كثير شوية؟

_لأ انا هبقى مبسوط عادي

نطقت بتردد :

_انا اللي محتاجك انت تقولهالي ٥٥ مرة في اليوم
عشان اتظمن إنك مبطلتش تحبني!

صاح باستنكار شديد :

_ايه يامريم العبط ده؟

ردت بنبرة جادة محتارة :

_والله خايفة تكون جواك حته اتقفلت مني بعد ما
سبتك وفضلت ساكته سنتين بحالهم .. إزاي مفقدتش
الشغف ناحيتي كل المدة دي؟

ابتسم ورد ببساطة :

_انا كنت مستعد استناكي ١٠ سنين مش سنتين بس
كمان

_وكنت هتضمن منين إنك في الآخر هتتول اللي في
بالك؟

أجاب بقله حيلة وأعين تفيض بالحب :

_مكنتش ضامن بس كدا كدا مكنتش هعرف اشوف
واحدة غيرك .. لو كانت خلصت في النهاية إننا

منبقاش لبعض واتأكدت إنك خلاص مش ليا، جايز
كنت ساعتها حاولت انساك، ومعتقدش إني كنت
هعرف خالص بس على الأقل كنت هحاول .. إنما انا
طول الوقت كنت راضي بالتفكير فيك عشان عندي
أمل

لمعت عينيها ببريق اختلطت به الكثير من المشاعر
;حبها الشديد له ولكلماته العذبة ، امتنانها لوجوده
في حياتها .. حزنها على الأيام التي أضاعتها في
الخوف والتردد، وندمها على عدم الالتفات له طوال
الأعوام الفائتة ..!

أرسلت له إحدى ابتسامتها التي يهيم بها وقالت :
_يعني أكيد هتفضل معايا؟

أجابها بحفاوة معلناً عن استحالة حدوث غير ذلك :

_ هاتي مصفى وحطّيها تحت الحنفية .. لما تلاقيها
اتمّلت مائة يبقى انا بطلت احبك

اتسعت ضحكته ووكزته في يده بخفة .. ضحكة
منبعثة من قلبها بحق .. تلك السكينة التي تشعر بها
الآن قد غابت عنها لوقت طويل، وأخيرًا قد عادت
واحتوت قلبها ..

مطمئنة .. مرتاحة وهادئة .. تنعم بلحظات لطيفة مع
أكثر من يسعى لإسعادها وحمايتها، لا تطمع في شيء
سوى حضوره وقربه منها فقط، وكل شيء بعد ذلك
سيكون بخير

*

*

*

فتحت عزة باب المنزل لهذا السمج الذي يبتسم
بسخافة ويضم وردة حمراء بين أصابع يده اليمنى،
فغلبها الضجر والاستنكار وقالت :

_ انتَ تاني؟ بنفس الوردة تاني؟

مدّ الزهرة لها، ونبس مؤكداً :

_ تاني.

رددت بسخرية :

_ وكلفت نفسك ١٨ جنيه تاني؟!!

أجابها بأسلوب جدي للغاية ليثير حنقها :

_ اه والله، عشان تعرفي إني مبستخسرش فيك حاجة

نطقت مباشرة بنبرة لا تحمل النقاش :

_ هتبطل تُقل دم وتعترف بغلطك دو غري و لا اقل
الباب في وشك ؟

ردد محتجًا :

_ غلطي!!؟

_ ايوة غلطك! ، ما انت جاي تصالحنى اهو عشان
عارف إنك غلطان ..

_ لا انا بحايك بس عشان اتقمصتي .. إنما انا
مغلطتش

شعرت برأسها يحترق من الغيظ، ولم تشعر بنفسها
إلا وهي تدفعه من صدره للخلف بقوة :

_طب غور!

**ثم أغلقت الباب بوجهه وبقت واقفة خلف الباب
تستمع له يقول :**

_كدا يازوزو تقفلي في وشي؟

صاحت بحسم :

_ولو ممشتش هفضحك في العمارة كلها

رد بنبرة مسكينة محملة بالحزن والبراءة :

**_يعني انا جاي اراضيكي وبحاول اخلي علاقتنا هادية
ومفيهاش خناق، وانتِ عملي معايا كدا؟**

اتسعت عينيها بدهشة قوية :

يابن الجزمة !!

وصاحت بانفعال :

انت كمان بتقلب التراييزة عليا ؟!

ضحك مروان وكمم فمه سريعاً قبل أن تفلت أصوات ضحكاته، ثم عاد لنبرة الحزن وهو يقول :

انا مش بقلب حاجة ياعزة، انتِ اللي بتقفي لي على الواحدة عشان تطفّشيني منك .. كنت فاكرك بتحبييني بس طلعت غلطان، انا ماشي خلاص واللي عايزاه اعلميه

ظل واقفاً منتظراً أن تفتح الباب ؛ظناً أنه استطاع خداعها بأسلوبه البرئ وستلين له .. اتسعت

ابتسامته عندما فتحت بالفعل، ولكنه صُدم بماء
ينسكب على وجهه وملابسه، مع صياحها المرتفع :

انت هتتمسكن عليا ياتنوس صابرين؟؟ ده انا
عاجناك وجايبة آخرك من زمان! انت فاكرني
مختومة على قفايا ولا ايه!؟

تطلع لها بتوعد ونبس بحنق :

وربنا يا عزة لـ اتجوزك مخصوص عشان محدش
يكلمني لما ارتك علقه كل يوم!

*

*

*

على الرصيف بأحد الشوارع الجانبية الخالية من
الناس إلا القليل .. وبجوار سيارته السوداء المصطفة
بجانب الرصيف، جلست جهاد تتناول البيتزا برفقة
فخر الذي صدح صوته يقول معترضاً :

_يا بنتي بطلي تشيلي الخضار من البيتزا هي بتتاكل
كدا

ردت جهاد وهي تنزع الطماطم من قطعها :
_ ما انا مبحبوش طيب

تساءل بضجر :

_ او مال جيناها ليه؟

_ انت اللي قولت عايزها

_ مقولتش عايزها، انا كنت بقترح عليكِ وانتِ
قولتيلي ماشي

أجابت بنفاد صبر :

_ بقول لك ايه، سييني آكل براحتي

_ بالهنا والشفافياستي مقولناش حاجة، بس ليه
نسيب المطعم ونيجي ناكل على الرصيف زي
المتسولين كدا؟ض
ردت ببلاهة :

_ ما انا اتكسفت بقى الناس النضيفة دي تشوفني وانا
بعك كدا

وأردفت :

_ وبعدين انا مش قولتك ناكل في العربية وانت
مرضتش؟

صاح بهجوم :

ده عند امك ده!

انكمشت مع نفسها مجيبة بصوت منخفض :

ما انا توقعت الرد ده بردو

التفتت له وتساءلت بفضول :

بسمة عملت ايه صحيح؟

أكل قضة من قطعة البيتزا وأجابها بعدم اكتر اثار :

دفعت غرامة كبيرة اوي كسرت ضهرها، وخذت
فترة انعزال في البيت مش عايزة تطلع

رددت بلامبالاة :

يلا ريّحت .. يارب للأبد

ساد الصمت قليلاً وهما يتناولان غداءهما ويتطلعان
من حولهما، حتى نطقت جهاد دون أن تنتظر إليه :
_المهم انت هتخطبني امتي في أيامك المعفرة دي؟

أجابها دون تفكير وببساطة شديدة :
_يلا بكرة.

نظرت له قائلة :
_انا مبهرش

أدار وجهه لها لينظر لها مؤكداً :
_ولا انا .. نجيب دبلتين النهاردة ونلبسهم بكرة
ونشرب لنا كبايتين عصير وخلصت

ده ايه السهولة دي؟ ، لأ انت لازم تروح تتقدم
لمروان رسمي وتلبس بليزر وقميص مكوي وتجيبي
علبة مورو

رد ضاحكًا :

هخطبك بعلبة مورو؟

ايوة وتتفق معاه تجيب لي شبكة ..

ثم أوضحت :

بص انا والله مش فارقة معايا كام جرام ولا كتير ولا
قليل ولا كل التفاصيل دي، انت عارف لو جيت
خطبتني بـ عَدَّين بيض هو افق عادي

وتابعت :

_بس انا كل اللي عايزاه غوايش وخلص، هات لي
كام غويشة كدا ومش عايزة حاجة تاني

_اشمعنا غوايش؟

ردت بحماس بالغ :

_عشان اشخل بيهم وانا بقطع لك الفرخة وبأكلها
لك، زي عبده وفاطمة في جلباب أبي

ضحك بعنف وهو يقول :

_انتِ عايزة تتجوزي عشان كدا صح؟

بادلته الضحك، مجيبة :

_اه عايزة اجرّبها اوي

همهما كلاهما بضحكات خافتة وواصلتا تناول الطعام،
قبل أن تسأله جهاد شيئاً جديداً :

_ هو انت بعد الجواز هتسيبني اشتغل؟

استعد لتناول قضاة جديدة وهو يجيب :

_ لو عايزة ماشي، اللي يريحك

ردت دون أي تردد :

_ لا مش عايزة، قعدني في البيت ملكة في مطبخي

اعمل لك المحمر والمشمرو واجهز لك بيجامتك لما

تيجي من برا

رد ضاحكاً :

_ ما هو في شغل في البيت بردو

_ على الأقل شغل البيت موجود في البيت، يعني
هصحي اعمله على طول .. إنما شغل براده
مواصلات وحر وقرف وتلزيق، وانا تعبت

ثم نطقت بنبرة تتخذ بعض الدلال والمشاكسة وهي
تقول :

_ انت اللي تنزل وتتعب ياخوخة يا حبيب قلبي، ليه
اتشحطط وابهدل نفسي وانت موجود؟

نبس عابثًا بابتسامة متلعبة :

_ انت تعمل اللي انت عايزه ياكحيل يارايق .. ده
ياهناه اللي يتعب عشان چيچي أصلًا
فهقتهت عاليًا وهي تقول :

_ حلو التطبيل ده

تقلصت ضحكها تدريجياً حتى تبقت ابتسامة صغيرة
تزين محياها .. شردت عينيها قليلاً ولم تلبث حتى
ظهرت بهما لمعة متشوقة وهي تتحدث بهدوء ونبرة
حالمة :

عارف؟ انا مستتية اوي نعمل أسرة صغيرة
واشوفهم حواليا .. اقوم من النوم اصحى كتاكيتي
للمدرسة واصحيك انت للشغل واعمل لكوا فطار حلو
وناكل سوا، وياخدوا مني المصروف واوصلهم تحت
البيت عشان باص المدرسة وصل .. واقعد مستنياكوا
واعمل لكوا الغدا واعمل لكوا كمان كيكة بالشوكلاتة
ونحلي بيها قدام التلفزيون.. ويبقوا عندهم شقاوة كدا
ويحبوا ينكشوا فينا كل شوية بس في نفس الوقت
حنينين وقلبهم أبيض

تخللتها السعادة بمجرد تخيل الأمر وتضاعفت لمعة
عينها وهي تطالعه عن قرب بنظرات تجمع بين
الحزن والتحرّق شوقاً لتحقيق مبتغاها :

_ انا نفسي اوي في عيلة يافخر .. مبقتش مستحمله
الحيطان اللي بكلم فيها كل يوم دي .. زهقت من
السكوت والهدوء، عايزة اقع وسط ولادي واتفرج
عليهم وهما بيجروا حواليا وعاملين دوشة ..

صمتت للحظة ثم استطردت :

_ انا عمري ما كنت بحب الدوشة وبتجنب أي تجمع
فيه كلام كثير، بس طالما مش هبقى لوحدي خليهم
يعملوا اللي هما عايزينه إن شالله ينطوا فوق راسي
ويهدلوا البيت كله

تأمل سوداوتها الواسعتين لبرهة، مدرّكاً مدى تأثيرها
بالأمر من نبرتها التي تعلن كم تتوق لتكوين عائلة
وكيف اكتفت من الوحدة التي اقتحمت حياتها لسنين
..

ابتسم لها ابتسامة بثت بداخلها الاطمئنان ونطق
بهدهوء :

احنا هنعمل أجمل عيلة سوا ياچيچي .. وعد من أول
الليلة اللي هنبقى فيها تحت سقف واحد عمرك ما
هتبقى لوحدك أبداً ..

استطاع أن يجعل السكينة تغلبها، فابتسمت براحة
وشوق شديد لرؤية هذه الأيام بأسرع وقت ...

*

*

*

بالمساء ..

قضت ياسمين كامل اليوم بالقيلا تذاكر وتحفظ وتثرثر
وأحياناً تتناكف مع زياد كلما هددها بأخذ هاتفها ..

كانت جالسة فوق السرير تميل بجذعها للأمام لتبصر
الورق بتركيز، قبل أن تعتدل وتعود للخلف وهي تنفخ
باختناق وملل، صداع مزعج يعصف برأسها ودلّكت
عينيها بارهاق شديد، فهي لم تتم سوى سويّات
قليلة قبل أن يأتيها زياد في الصباح الباكر؛ يوقظها
رغمًا عنها ويجبرها على القدوم معه ..

التفتت للباب الذي دلف منه زياد وهو يمسك بطبق
يحمل به بعض الشطائر، ويقول :

_جبت لك مربى وجبنة رومي .. طعمهم عظمة وهما
من ايدي

ابتسمت بمجاملة وأخذت منه الطبق، شاكرة إياه :
_تسلم ايدك يازيزو ربنا يخليك

تحدث وهو يتحرك إلى خزانة الملابس :
_بصي انا اصحابي جم تحت هقعدهم في الجنية
شوية وبعدين هطلع لك .. لو طلعت لقيتك ماسكة
الموبايل هسحبه منك

وقع اختياره على تيشيرت أسود اللون، أثناء
استماعه لتذمرها :

_يوه على شغل الأطفال ده بقى !

ضحك ثم أمسك بطرف تيشيرته الذي يرتديه ليهم
بخلعه ولكنه توقف على اعتراضها المفاجئ :

_ ايه ايه انت هتقلع قدامي ولا ايه!؟

رد ببديهية :

_ وفيها ايه؟

_ لا طبعا انا بتكسف

رمقها بمنتهى الملل و رد باستخفاف :

_ والله؟

**عاندها وخلعه، فأسرعت تبعد نظرها وتخفي عينيها
بكفها، بينما وقف يضحك وهو يلقي بالتيشيرت القديم
على طرف الكرسي، ظل واقفاً قليلاً وهو يمسك
بالجديد دون أن يلبسه، ثم قال :**

خلاص خلّصت

باعدت بين إصبعي يدها التي تخفي بها عينيها،
لتسترق نظرة خاطفة، فصاحت ما ان رأته :

ياكداب ياقليل الأدب !!

ضحك بصخب وارتدى التيشرت ثم قال بخبث :

ده على أساس مشوفتيش صوري في المصيف قبل
كدا؟؟؟

لا أكيد الصور مش زي الحقيقة

نبس بثقة عالية :

الحقيقة أجمد طبعًا

ردت وهى لاتزال تخبئ عيونها :
_البس يازياد بدل ما اقوم امشي بجد

_لبست من بدري على فكرة

_متكديش!

رد ضاحكًا :

_والله لبست

أعادت نفس الكرة واختطفت نظرة سريعة من أسفل
يدها، ثم أبعدت يدها عندما تأكدت من صدقه وتطلعت
له بحنق، فيما رمقها هو ببرود وهو يتجه صوب
الباب، وقال معاندًا :

انا اقلع براحتي على فكرة !

رفعت الملزمة خاصتها وألقته عليه بغضب، فأسرع
يركض إلى الخارج قبل أن تصيبه وأصوات ضحكاته
يعلو صداها

*

*

*

دلف أحد الموظفين إلى مكتب حازم وأعطاه بعض
الأوراق وهو يقول :

اتفضل يامستر حازم

أخذه حازم مغممًا :

_ ماشي ..

تحرك الموظف إلى الباب بينما فحص حازم الأوراق
ثم سارع بإيقافه قبل أن يخرج :

_ استنى يا بني، مش قولتلك تديه لعامر بيه يمضيه؟

التفت له الموظف و رد بتعجب :

_ ما انا ادتهوله وشافه وبعدين رجّع هولي، قولت يبقى
مضاه، انا مبصّتش انا خدته وطلعت على طول

نهض حازم وهو يقول بعدم اهتمام :

_ طب خلاص روح انت

.

.

طرق الباب ثم انتظر حتى أتاه الإذن من الداخل، فدلف
بخطوات ثابتة ووقف أمام المكتب يقول :

_ مساء الخير يا عامر بيه

التفت له عامر مجيبًا :

_ مساء النور

_ هو حضرتك في مشكلة في الورق ده أو حاجة؟

_ ورق ايه؟

تقدم حازم ليعطيه الورق وهو يقول :

_ انا بعته لحضرتك تمضيه وممضتش قولت آجي

استفسر يعني ..

عقد عامر حاجبيه باستغراب وهو يطالع الورق ثم
قال :

_ انا متهياي مضيته

_ لا يافندم شكّل حضرتك نسيت، ده الورق اللي بعته
مع خالد دلوقتي وبصيت فيه من غير ماتمضيه

أوما عامر إيجابًا وهو يمسك قلمه :

_ اه خالد ايوة

وضع الإمضاء على الورق ونبس باضطراب :

_ معلىش انا مخدمش بالي

_ ولا يهكم يافندم

رفع عامر يده بالورق ليعيده له ولكنه توقف فجأة
وسأله بعدم تركيز :

_مين خالد؟؟

رفع حازم حاجبيه بذهول، وأجاب متعجبًا :

_خالد يافندم موظف معانا هنا، ده انا كل شوية
بيعتهولك حضرتك نسيته ولا ايه؟

دلك عامر جبهته بتعب وهو يقول :

_دماغي مش متظبطة بقالها فترة معرفش مالي ..

_ألف سلامة، ممكن تروّح ترتاح طيب متشيلش هم
الشغل احنا هنقوم بيه عادي

هز رأسه متفقًا معه بخفوت :

تمام هقوم دلوقتي

*

*

*

جلست جهاد على أحد المقاعد التابعة لشقتها،
وخاطبت مروان الجالس بالجوار يعبث بالهاتف بعدم
اهتمام، لتتهره قائلة :

ده وقت تليفونات ده؟

نظر لها مروان بضجر :

انزل استناه على باب المدخل ولا اعمل ايه يعني؟

أشاحت بيدها بقرف وصوّبت اهتمامها للهاتف لتري
إن كان أرسل لها رسالة أو فاتتها مكالمة منه .. ولكن
لم تجد شيئاً فزفرت بتوتر والتفتت لمروان عندما
قال:

متبقيش خفيفة واهدي شوية

رمقته بعدم اكتر اث وصمتت، بينما نهض مردفاً :

انا داخل الحمام

تحرك وغاب إلى الداخل ليتركها تتآكل من الانتظار ..
هذا الانتظار يتسبب في فقدان عقلها، رغم أنه لم
يتأخر ولكنها تتوق لتلك المقابلة ..

كانت قد تجهزت لاستقباله وارتدت فستاناً صيفياً
طويلاً ذو أرضية خضراء اللون، ومنقوشاً بحبات
ليمون صغيرة صفراء اللون متوزعة في كل أنحاءه ..

تترك شعرها الأسود الطويل منسدلاً على جانبي
وجهها، وتتخذ من مساحيق التجميل الكحل وطلاء
شفاه خفيف فقط ..

استمعت لصوت الجرس يشير بحضور أحد ما،
فركضت نحو الباب فوراً وفتحته; وفي خلال لحظات
كانت الابتسامة تعلو محياها ..

طلّ بشكل جذاب دون تكلف; فقط بنطالاً عادياً بني
اللون وسترة أنيقة تأخذ لون القهوة المخففة تعطي
قميصاً أبيض اللون مفتوحاً منه أول ثلاثة أزرار
وتظهر أطراف أكمامه من تحت أكمام السترة.. شعره
البني ممشط بعناية; تماماً كلحيته الكثيفة المهدمة
بترتيب ..

علّق على فستانها بضحكة مشاكسة :

_ايه جنينة اللمون اللي هبت علينا دي؟

ضحكت وهي ترمقه باحتجاج مصتنع، ولم تعقب
وسألته بضيق :

_اتأخرت ليه؟

نطق مستنكرًا :

_اتأخرت ايه؟؟ انا متفق على ٩ وجايلك ٩ بالثانية ..
حتى كنت ناوي اخفف دقني شوية بس ملحقتش
ونزلت عشان متعود إن مواعيدي تبقى مضبوطة زي
المسطرة

_لا سيب دقنك متجيش عندها، انا بحبها ثقيلة كدا
زي بتاعة احمد حاتم

رد باستخفاف :

_ احمد حاتم مش قمور زي مهندس فخر! .. وبعدين
انا من يوم ما عرفتك وهي كدا أصلاً، انتِ
مشوفتيهاش وهي خفيفة

_ لا شوفتها في صورك القديمة .. وكانت حلوة عادي
بس كدا أحلى

سألها ضاحكًا بترقب :

_ طب ولو حلقتها خالص؟

أجابته بضجر :

_ مش هكلمك لحد ما تربّيها تاني

ضحك بخفة تزامنًا مع ظهور مروان من خلفها وهو
يقول بترحيب :

_ اهلا يابشمهندس اتفضل نورت، اتفضل

خطى فخر إلى الداخل خطوة ثم مدّ هديته الصغيرة له
وهو يقول :

_ انا جاي اتقدم رسمي اهو وجايب علبتين موروزي
ما طلبت العروسة

تطلع له مروان بجانب عينيه باستتكار :

_ جاي تتقدم بعلبتين موروزي؟؟

_ وسندوتشين كبدة!

ارتفع حاجبيه مندهشاً :

_ انت جايب كبدة؟؟

اه وصل لي إنك بتحبها

لمعت عيني مروان بحماس وصاح متفائلاً :

والله انت راجل فهمان وهتعمّر معانا .. خش تعالى
انا موافق !

سبقه مروان ليأخذه معه إلى صالة الاستقبال، فنظر
فخر لجهاد ونطق بتعجب :

ده اتثبّت بسندوتشين كبة!

ردت جهاد بفقدان أمل :

ولو جبت له تاني هيوافق المهر يبقى كيلو جوافة
وإزارة خلّ ...

*

*

*

وقفت مي أمام المرآة تمشط شعرها الطويل، في حين
وقف حازم من خلفها يبدّل ثيابه بعد عودته من
الخارج ..

ألقي إليها نظرات عابرة بين الحين والآخر بعدم رضا
عن صمتها التام؛ اعتاد على استقبالها له بحفاوة كلما
أتى وحديثها المشاكس له وسؤاله عن أخبار العمل
وكيف سار يومه .. ولكنها هذه المرة لا يعمها سوى
السكوت؛ لاتزال تفكر بأمر خالته التي تحاول تعكير
حياتها ..

فك آخر زر من قميصه ليتركه بأكمله مفتوحًا، ولم
يهتم بخلعه الآن وتوجه إليها وهي تترك الفرشاة بعد
انتهائها من تسريح شعرها ..

شعرت بيديه تلتف حول خصرها من الخلف وأنفاسه
ترطم بعنقها مع صوته الهادئ يقول :
_مش عجباني النهاردة ياميشو مالك!

ابتسمت ووضعت يدها على ذراعه الذي يحيط بطنها
وقالت :
_مفيش حاجة عادي

شدد من احتضانه لجسدها والتصق ظهرها بصدرة
أكثر، ترك قبلة رقيقة على عنقها ثم أسند ذقنه على
كتفها بهدوء ونطق بخفوت :
_متز عيش مني لما زعقت عشان الورق، انا مكانش
قصدي

حرّكت أناملها على يده بنعومة وهي تقول :

_ميهمش انا مزعلتش ولا حاجة، انا عارفة إنك
كنت متضايق

_متفكريش في نجية تاني انا وقفتها عند حدها

_يارب تكون حست على دمها أصلا

أحاط خصرها أكثر وضمها بحنان، وهو يقول عابئاً :
_ ماتفكك منها وخلينا فينا احنا .. انا بقالي كتير مش
عارف اتلمّ عليكِ على فكرة ولا حتى بنتعشى سوا

ردت باستهانة وتهكم :

_ قول لنفسك ما انت اللي ليل نهار في الشركة
وساييني

ضحك مشاكسًا :

_معنديش نظر والله عشان اسيب القمر ده واقعد
وسط الغفر اللي هناك

علت ضحكتها، ثم أدرات رأسها لتتظر له وتقول :
_طب غير هدومك لحد ما اجهّز العشا واجيلك

*

*

*

جلس فخر على الكرسي المجاور لطرف الأريكة الذي
يشغله مروان وهو يتناول شطائر الكبدة ويقول
بأسلوب حكيم من الدرجة الأولى :

_بص يا بني احنا بنشتري راجل وآخر حاجة تهمّنا
الفلوس وكل الشعارات الفكساتة دي .. شوف انت
عايز تعمل ايه وانا هعمل اللي في دماغى

ثم أشار على جهاد الجالسة على الكرسي المقابل
لفخر؛ حيث يقبع على بُعد أمتار منه :

متبصش لـ شجرة اللمون اللي لابساها دي احنا بنتنا
تتوزن بالذهب خلي بالك

ضحك فخر ونظر لها وهي تقلب عينيها من حولها
بمئل، ثم قالت :

ممكـن تنسوا اللمون بتاعي وتركزوا في اللي انتوا
فيه!

أكل مروان قضة من الشطيرة ثم قال :

بص انا مش عارف أبدأ منين، شوف انت الدنيا
وعرّفني

رد فخر :

احنا نازلين حـز كورة ولّا ايه؟!

سأله مروان بغباء :

_ انت عايز تدفع فيها كام يعني؟

كانت توشك جهاد على سبّه بأقوى الشتائم التي
وردت في قاموسها، ولكنها توقفت عندما سبقها فخر
بقوله :

_ هو انا بشتري منك طماطم يا بني آدم!؟؟ ، فوق
معايا يامروان الله يخليك وسيب السندوتش دلوقتي

_ بص اصل انا مش عايزك تحس إننا داخلين على
طمع وبنستغلك .. ف انت قول لي عرضك مبدأيا وانا
هتناقش معاك فيه

_ عرضي من ناحية ايه بالظبط؟

_ الذهب مثلاً عايز تجيب كام جرام؟

أجاب فخر ببساطة :

_ ١٧٠ كويس؟

اتسعت عينيه بصدمة وصاح بذهول :

_ ١٧٠ ؟؟! ، ١٧٠ في جهاد؟! انت عارف الذهب

بقي بكام أصلاً؟!!

رد فخر بسلام وهدوء تام :

_ جهاد تستاهل اكثر من كدا كمان، وانت بنفسك

قولتها .. تتوزن بالذهب

_ ايوه ده تعبير مجازي، إنما دي شحاتة لو جبت لها

اتنين جرام هتفرح بيهم عادي ..

صاحت جهاد بحدة :

_انت مش هتتهد بقى ولا ايه في ليلتك دي!

تحدث مروان :

_خلاص خلاص، طب والشقة؟

أجاب فخر :

_بص احنا كان عندنا شقة قديمة بس كويسة
متقلقش مش دايس عليها الزمن يعني، هنجدها
ونجيب عفش جديد وتبقى فل جدا، بس لو شوفتوها
ومعجبتكوش معنديش مشكلة عادي هنشوف غيرها

تساءل مروان معقبًا على مصطلحاته :

_هي ليه "عندنا" مش "عندي"؟؟

أوضح فخر :

ماهي دي كنا قاعدين فيها انا وأهلي قبل مانروح
القيلا، بس حالياً هي باسمي طبعاً محدش مشاركني
فيها ولا حاجة

هدية ولا ايه؟

لأ ابويا كان عايز يبيعها وانا مهانش عليا عشان
فيها ريحة والدتي الله يرحمها ف اشتريتها انا منه
وقعدت بديله جزء من الفلوس كل شهر لحد ما
خلصت تمنها من تلت سنين

غمغم مروان بفهم :

اه .. طب احنا عايزين نتفق علينا ايه و ...
قبل أن يواصل اختصر فخر الموضوع وقاطعه قائلاً :

**_ لا لا فكك احنا مش هندخل في قصص القايمة
والحوارات الفاضية دي .. انا إن شاء الله في
مقدوري اجيب كل حاجة بس واحدة واحدة، وأول ما
اخلصها نتجوز ان شاء الله .. انا مش عايز جهاد
بأكثر من شنطة هدومها، ومش لازم شنطة هدومها
كمان انا هجيب لها كل اللي تعوزُه**

**رفع مروان حاجبيه وتطلع له بذهول مضحك بعض
الشيء، ثم نظر لأخته الجالسة تحديق به بصمت تام لا
تعلم ما المفترض قوله حالياً، التفت لفخر من جديد و
ردد بتعجب :**

_ هي عجباك أوي كدا؟

ابتسم فخر ونظر لها بطرف عينيه وهو يقول بنبرة
عاشقة، ناطقاً بنفس ذلك اللقب المعتاد الذي يكفي
لوصف تقيمه الثمين لقيمتها :

جهد دي تحفة!

تحاشت النظر له وابتسمت بسرور وخجل، في حين
نظر فخر لمروان وأردف :

انا بس عايزك تحدد معاد خطوبتنا ولو في حاجة
حييت تتكلم معايا فيها تمام يعني مش هنختلف بإذن
الله

فكر مروان قليلا ثم رد بحيرة :

مش عارف، اعتقد بعد شهر هيبقى كويس

لأ بعيد، قربها شوية

_ ٣ اسابيع؟

_ اسبوع !

اعترض مروان قائلاً :

_ لأ اسبوعين حلوين اوي

_ ١٠ أيام وهنزل اجيب لك سندوتشين كبدة تاني!

أعلن مروان القبول :

_ على بركة الله، نقرا الفاتحة

اندهشت جهاد وانفرج محياها بضحكة واسعة، ومن
ثم بعفوية انطلقت زغرودة عالية من بين شفثيها
بفرحة عارمة ..

.
. .
. .
ولم تقف الزغاريد عند هذا الحد بل توالى بين الفتيات
في اليوم الموعود؛ حيث اتفقت جهاد مع فخر على
إقامة خطبتهم في شقتها لعدم استعدادها لدعوة
الكثيرين .. فقط وددت أن يمر اليوم بين الأحباب
المقربين فقط ..

ورغم عدم اقتناعه بالأمر في البداية إلا أنه خضع
لطلبها؛ لمعرفته بحساسية الأمر بالنسبة لها؛ فدائرة
معرفتها متقلصة جدا تقتصر فقط على مروان
وخطيبته وصديقتها رانيا، وإن أقام الحفل بمكان كبير
كما كان يفكر فكان سيكون غالبية المدعوين من
طرفه هو، وستشعر هي أكثر بوحدتها وفشلها في
تكون علاقات حقيقية مع الآخرين ..

وهذا تحديداً ما جعله يشدد على فتيات عائلته
بالوقوف جانبها طوال اليوم وعدم تركها ولو للحظة،
وبدورهن لم يتأخرن، وبقت مريم وياسمين ومي
معها منذ أول اليوم يساعدها في التحضير؛ فوضعت
لها مي مكياج اليوم وحرصت كثيراً على إتقان عملها
حتى تُظهرها في أحسن صورة، بينما قامت مريم
بتجهيز شعرها لمهارتها في تصفيف الشعر إلى حد
معقول، وقامت ياسمين بتجهيز فستانها وتلميع
حذاءها حتى لا يبقَ به ولو ذرة غبار.. وقد شاركتهن
عزة وأمست تغني وترقص، واتخذت من المكتب
طبلة لتقيم حفلة مع الفتيات ..

تجهزت الشقة بالكثير من الزينة والبالونات وارتفعت
أصوات الأغاني والاحتفالات بهذا اليوم المميز ..

كان فخر وجهاد يجلسون فوق كرسيين متجاورين،
بينما التف الجميع من حولهما يهللون ويصفقون،

وقد ازداد هتافهم بعدما قام فخر بوضع الدبلة
بإصبعها وبدورها ألبسته خاصته، ليرتفع صياحهم
المبتهج مع صفير الشباب؛ فرحةً بصديقهم ..

تتابعت التهنئات والأحضان من الجميع على
العروسين، فكان أول من قام بالتحية هو الخال
رؤوف الذي احتضنه بقوة وهو يقول بسعادة :

ربنا يتمم لك بخير يا حبيبي يارب وأشوف فرحك في
أقرب وقت

ان شاء الله يا خالي ربنا يخليك لنا وتشوف ولاد
ولادي كمان

ابتعد رؤوف وربت على كتفه بمحبة، وسرعان ما
تبعه زياد واندفع إلى أحضانه فجأة وهو يصرخ
عاليًا:

ـ يافوقا ياجامد ! ، عايزين الفرء بسرعة بقى عشان
العب بعيالك واخليهم خدامين عندي

ضحك فخر ووكزه بخفة معترضًا :

ـ ده انت اللي هتخدمهم يالا !

.

.

احتضن مروان أخته بحب وسعادة وهو يقول :

ـ مبروك يا حبيبي الف الف مبروك، عقبال ما اشوفك
في بيتك قريب ومرتاحة يارب

ـ تسلمي يامروان يا حبيبي ربنا يخليك ليا يارب

تسارعت الفتيات في احتضانها بحماس والصياح
بالعديد من التهاني والمباركات ..

بعد وقت طويل مر بين الفرحة والغناء والرقص ..
استطاع فخر أخيراً التسلل من بينهم بصحبتها وأخذها
إلى الشرفة وحدهما ..

أخذ فستانها أفتح درجات اللون الوردى، واتخذ العديد
من طبقات الشيفون، أكمامه مكتملة ومنتفخة قليلاً،
ومزيناً بالكثير من الفصوص اللامعة الصغيرة ..
شعرها الأسود منسدلاً على ظهرها وتزين وجهها
بقليل من مستحضرات التجميل، كان مظهرها غاية
في البساطة ورغم ذلك جذبت الأنظار بروعتها ..
بينما تكونت ملبسه من بنطال أسود اللون وقميص
من نفس اللون، مع سترة ذات لون "كاشمير غامق"
يغلق منها الزر الموجود في المنتصف ..

ارتسمت على ثغره ابتسامة واسعة وعينيه تفيض
بحب كبير، يتأمل ملامحها المتحمسة .. سعادتها
وضحكتها ولمعة عينيها .. نظراتها العميقة التي
تفضح عشقها له ..

طال تحديقها به فأفاقت واستجمعت نفسها لتكفّ عن
ذلك قبل أن تفقد ثباتها أمام عينيه المهلكتين، التفتت
لفستانها وسألته وهي تتحرك يمينًا ويسارًا :

شكلي حلو؟

اتسعت ابتسامته ولفظ بالكلمة التي توقعتها :

تحفة!

اقترب منها خطوة فجعل رائحة عطره تتخلل أنفاسها
بوضوح .. احتضن يدها الناعمة بين ثنايا كفه وتطلع
لها عن قرب يرسل لها حبه أكثر :

_نفسى اخبىكى فى مكان محدش يشوفك فيه غيرى
ياجهاد .. مش تملك أكيد، بس انا مش بشوفك غير
تحفة .. تحفة فنية لازم تتحفظ فى مكان بعيد والناس
هى اللي تجرى وتتعب عشان تشوف جمالها، مش
تبقى وسطهم بالبساطة دي

وكانما تسببت كلماته فى انهيار قلبها حتى شعرت
بانها غير قادرة على الوقوف باتزان .. تضاعف
لمعان عينيها حتى أوشكت على البكاء من فرط
ابتهاجها؛ تلك المعاملة على أنها شيء ثمين ومميز
تعزز ثققتها بنفسها لحدّ غير طبيعي ..

لملمت حروفها بصعوبة ونطقت بخفوت :

_هو ليه كل الناس مبتشوفنيش بعينك؟

تطلع لعينيها الكحيلتين بنظراته الهادئة ونبس بنبرة
مولعة وساحرة تحمل بعض الغرور والتميز :

_مش أي حد هيعرف يحبك زي ما المهندس فخر
بيحبك!

رمشت عدة مرات محاولة كبت دموعها قبل أن تفسد
كحلها، ونبست بهيام وابتسامة رقيقة :

_انت حظي الحلو كله والله يافخر

ضحك بهدوء ثم دس يده في جيبه وأخرج منها ورقة
تتخذ شكل النجم الذي اعتاد تشكيله لها، رفع يدها
بهدوء ليضع النجم في راحتها فنظرت له بضحكة
واسعة، تزامناً مع قوله :

_ حاجة جديدة

ضحكت بحماس وفتحت الورقة على عجلة، لتقرأ ما
تحتويه وصبت كامل تركيزها لكلماته المدونة بخط
مميز ومنظم :

"تُجْبِرُنَا الْحَيَاةُ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكَثِيرِ مِنْ
الْعَقَبَاتِ فِي دُرُوبِنَا، وَمِنْ أَجْلِ الْإِسْتِمْرَارِ
نَحْتَاجُ إِلَى الْجِهَادِ،

وَلَكِنِّي لِأَوْاصِلِ لَا أَحْتَاجُ سِوَى جِهَادٍ"

وصل قلبها إلى ذروة بهجته وبات يدق وكأنه
يتراقص فرحاً .. صوّبت نظرها إلى دبلتها التي تزين
يدها اليمنى بحب جارف ثم رفعت عينيها له بسعادة
جلية ..

لا تساعدها الكلمات في وصف مشاعرها ولكنها تأمل
أن تنجح نظراتها في إرسال كل ما بداخلها ..

تشكر القدر الذي عوّضها بعاشق مثله، وتقسم أنها
ستفعل أكثر ما بوسعها لتحافظ عليه ويبقى بقربها ..
لن يشغل بالها شيئاً سواه .. لن تهتم لأي أحد مثلما
ستفعل معه، ولن ينجح أحد في أخذ مكانه في حياتها
مهما فعل

يتبع ..

الفصل التاسع والثلاثون {عـ القهوة}

مرت الأيام بشكل مستقر إلى حد ما ..
شرع فخر فعليًا بالتحرك في مشوار تجهيز الشقة،
وبدأ أولاً بتفريغها وبيع الأغراض التي لا يستخدمها،
بالإضافة لأثاث الغرف الأخرى عدا التي يمكث بها ..
وبالطبع لم يقرب مختصات والدته؛ كملابسها
وفراشها وصندوقها الذي اعتادت الاحتفاظ فيه

بمقتنياتهما .. أي شيء يستطيع أن يمرر ذكراها بداخل رأسه يحتفظ به فوراً ويحرص على الاعتناء بها ..

وبنفس الفترة كانت اختبارات ياسمين تتوالى واحداً تلو الآخر، وكان زياد مواظباً على مساعدتها في المذاكرة طوال الوقت وأحياناً كان ينتظرها أمام الجامعة حتى تنتهي من إتمام الامتحان، أو مهابتها على الأقل عندما ينشغل بشيء ما ويتعذر عليه المجيء

..

وعلى صعيد آخر لم تكتفِ بسمة من وضع تلك الحبوب المجهولة في أي مما يحتسيه عامر .. وتنتظر لحظتها الحاسمة !

.

.

.

وقف زياد أمام بوابة الجامعة في انتظار تلك التي
هاتفته منذ دقيقة، وهي تتدب وتولول وكأن روحها
على كف عفريت ..

لمحها وهي تخرج من البوابة وتبحث عنه بأعين
تملؤها الدموع، رفع يده ليلفت نظرها له فرأته
وأسرعت تركض إليه وهي تبكي بقوة، فحاول
تهديتها قائلاً :

بالراحة بس اهدي شوية

لم تستجب له وواصلت النحيب صائحة :
حليت وحش يازيزو حليت وحش اوي

طب وفيها ايه يعني؟ ما المهم تعدي وخلص

هو ايه اللي مهم اعدي، انا متعودتش على كدا !

**ـ يعني لما تجيبى امتياز هتطلعي تلاقي الشغل
مستتيك؟؟ ما هتتيلي في البيت بردو**

ردت باحتجاج :

ـ الكلام ده مش هو اللي هيهون عليا على فكرة

ضحك وقال :

ـ طب اجيب لك حاجة حلوة تنسيكي شوية؟؟

**لم تحفل وظلت عابسة كما هي، تحاول نسيان الأمر
والكفّ عن البكاء، ولكنها انفجرت فجأة ولم تشعر
بسيل الدموع الذي فاض من عينيها كالنهر، لم يجد
زياد مايفعله سوى أنه اقترب منها وأحاط كتفها
بذراعه وضمها لصدرها مرتبًا على كتفها .. فانكتم**

صوت البكاء قليلاً عندما دفنت رأسها بصدره وظلت
تنوح وتتحسر على الدرجات التي ستخسرها ..

_بس يا فراشة بس .. هدي نفسك مكانش امتحان
يعمل فيك كدا، او مال في ثانوية عامة عملتي ايه!

أخفض بصره لها ولمس وجنتها ليرفع وجهها بلطف
ويجعلها تنظر له، وهو يقول :

_بس خلاص انسيه وفكري في المهم .. انتِ خلاص
خلصتي! .. الناس لو سابت الورقة فاضية بتطلع
فرحانة بردو عشان آخر امتحان وخدوا براءة، و ده
آخر امتحان في مسيرتك الدراسية يابنتي لازم تحتفلي
كفكفت دموعها وهدأت قليلاً وهي تهز رأسها باتفاق،
قبل أن يردف زياد بتعجب :

__ انا مش عارف انتِ ازاي جوزك زيزو وبتعيطي
على درجتين هتتقصيهم؟ ده انا مسبتش سنة في
الكلية إلا وشيلت فيها مادتين على الأقل .. ويوم ما
قررت اجتهد في سنة رابعة وافوق لنفسي شيلت
تلاتة!

طريقته الكوميديّة في التحدث أرغمتها على الضحك،
واقتمت ابتسامتها محياها من وسط كل تلك العبرات
.. فشاكسها وداعب وجنتها بسبابته وكأنه يصفعها
بإصبعه :

__ اصنع من كل بلوى حلوى ياعم وخليك رايق، كلها
يومين ونموت خَلينا نعيشهم مبسوطين احسن ما
نتجلط!

أخذت أنفاسها ببعض الهدوء وأومات بقبول ثم قالت:
__ انا عايزة آكل كنافة!

ضحك ونطق بدهشة :

_نفسك اتفتحت بسرعة !

ردت بعدم اكتر اثار :

_اصل خلاص لازم افرح فعلاً إني خلصت، مش
هستفيد حاجة بالعياط ..

ابتسم بفخر ونبس مشجعاً :

_برافو عليكِ ... تعالي انا هجيب لك كنافه من مكان
حلو

*

*

في مقر العمل جلس فخر خلف مكتبه يعبث ببعض
الأوراق ;يرتب البعض ويضع البعض الآخر في
الدرج، انتفض فجأة وعاد للخلف بعفوية عندما تفاجأ

بصديقه يرتمي على سطح المكتب دون مقدمات،
صائِحًا :

فخر!

هتف فخر بانفعال طفيف :
ايه يطارق حد يعمل كدا !!

غمز له طارق قائلاً :
المُزة مستنياك برّا

مزة ايه؟

غمز له مجددًا :
السنيرة

_ مين بردو؟

أضاف غمزة أخرى :

_ الغندورة

رد فخر بنفاد صبر :

_ ماتجز يطارق !

_ النص الثاني ياعم ماتترجم بسرعة

ردد بدهشة :

_ جهاد؟؟

_ انت عندك انصاص غيرها؟؟

لم يعره فخر اهتمامًا ونهض سريعًا ..
خرج إليها ليراها تبتسم له بمجرد أن لمحته، فتقدم
صوبها متسائلًا بقلق :
_ ايه ياچيچي في ايه!

وقف طارق من خلفه ليتابع الموقف بأعين عابثة
وضحكة واسعة تتم عن حماسه لسماع كلمات
الرومانسية والحب بينهما

ردت جهاد بضحكة خفيفة :
_ مفيش حاجة مالك مخضوض ليه؟

_ أول مرة تجيلي هنا يعني

_ عادي ياخوخة عايزة اشوفك فيها ايه؟

اتسعت ضحكة طارق ووقف بجانب فخر ليمد يده
بالسلام لجهاد وهو يقول :

_ أهلا يا آنسة جهاد ازيك؟ .. انا صاحب خوخة!

بدا الضجر على وجه فخر وأزاح طارق من وجهه
يبعده عنه، فابتعد طارق وهو يضحك ليتركهما معاً،
بينما نظر فخر لها وقال بامتعاض :

_ مينفعش خوخة دي تفضل بيني وبينك بس!؟!

اتسعت ضحكتها وحركت كتفها بلامبالاة، ثم رفعت
حقيبة بلاستيكية بيضاء اللون وهي تقول :

_ انا جيت ادّيك سندوتشات عملتهم بإيدي
تقوس حاجبيها بأسى ونطقت بنبرة مدلّلة :

انت يا حبيبي وشك اصفر خالص الفترة دي وبتهمل
في الفطار وصحتك كدا هتتاثر ..

أعطته الحقيبة بابتسامة واسعة وأضافت :

كلّ سندوتش هتلاقي فيه جبنة رومي في جبنة بيضا
عشان عارفة إنك بتحبهم على بعض، وعملت لك
اتنين طحينية معاهم عشان لو حبّيت تحلّي

ضمت كفيها على بعضهما بحماس وكأنها تغري طفلًا
صغيرًا :

ومنسيتش التفاح ! .. شوفت انا مهمة بتفاصيلك
ازاي؟

رمقها بتعجب و رد باستتكار :

هو انا في الحضانة يا جهاد ولا ايه؟

أجابت بأسلوب مدلل :

_ هو لازم تبقى في الحضانة عشان اعمل لك
سندوتشات ياخوخة؟؟ ماهو لازم تسند نفسك عشان
تعرف تشتغل وترکز

زفر باستسلام وقال :

_ طب روعي عشان محسش إن هييتي بتقع اكر من
كدا امشي

ضحكت وسأته :

_ طب هنخرج بالليل؟؟

_ هنخرج حاضر

_ هتوديني فين؟

أجاب بلامبالاة :

_اللي تحبيه

هتفت بحماس :

_عايزة اقعد على قهوة!

فردد باحتجاج :

_قهوة !!

_ايوة نفسي اوي اجرّب اقعد على قهوة، عمري ما
عملتها

_مش من حلاوتها على فكرة .. انتِ طموحك واطية
كدا ليه؟

قلبت عينيها باستخفاف :

_أحسن ماتبقى عيني واسعة واقول لك وديني
المالديف

_هو يا فوق يا تحت؟! مفيش وسط؟

نطقت لتختصر الأمر :

_خُصّ عشان تروح تاكل وتشوف شغلك، هتوديني
ولّا اتخانق فيك؟

رد بعناد :

_اتخانقي! مش هنروح قهاوي بردو

_عشان خاطري

لأ! _

لانت نبرتها كثيرًا ونطقت برقةً بالغة :
_عشان خاطري ياخوخة لو سمحت

رائع! هاهي تستخدم نفس الأسلوب مجددًا وترمقه
بتلك النظرات الناعمة مثل جرو صغير يرجوك لتلعب
معه .. صمت قليلًا وهو يحدق بعيونها الكحيلية التي
تتجح في سحبه وسلب ثباته ..

أشاح بنظره وهو ينفخ بقوة، ثم نظر لها ونبس
بسخط :

_بكرهك ياچيچي !

قهقهت وسعدت بانتصارها عليه، ثم قالت :

_متأخرش عليا .. انا همشي دلوقتي وهكلمك بعد
شوية اتأكد كلت ولا لأ

ثم تابعت وكأنها توصي ولدها ذو الست سنوات :

_كُلّ السندوتشات كلها مترميش منها ولا فتفوتة! ، و
إياك تدي لحد حاجة ولا تسيبهم ياخدوها منك ..

خفف من نبرته الرجولية وتصنّع الرقة في صوته،
مجيبًا بمنتهى السخرية :

_حاضر ياماما هخلص أكلي كله واجاوب مع المسّ
ومش هلعب في الطينة

ضحكت بشدة، ثم ردت تجاربه :

_شاطر يا حبيبي

تحولّ صوته إلى الغلظة فجأة صائحا :

_ امشي يا جهاد !

*

*

استقرا الاثنان بأحد الأماكن العامة يتناولان
"الكنافة" ; حيث وضعا الطبق الخاص بها فوق
الطاولة ويأخذان منه قطعة بقطعة ..

نظر لها زياد ونطق قبل أن يبلغ ما يفمه :

_ ايه الخطوة الجاية بقى؟

ردت ببلاهة :

_ هنروح، يعني هنعمل ايه

_قصدي في حياتنا عموماً مش في يومنا

مررت عينيها يمينا ويساراً عدة مرات ثم قالت :
_نستنى النتيجة؟

_امسك دماغك اخبطها في الترابيزة دلوقتي!؟

ضحكت من أسلوبه وهو يصك على أسنانه، ثم قالت:
_خدني بشويش بس، انا لسة مخلصه
النهاردة ملحقتش آخذ نفسي

سكتت قليلاً وأكلت قضمة من الكنافة ثم أفصحت عمّا
تفكر به منذ فترة :

بقولك ايه .. ماما النهاردة خارجة بالليل وهتطول
وهقعد لوحدي، ابقى تعالى اقعد معايا

أجاب بعدم اكتر اث وهو يتناول طعامه :

ماتيحي معايا القيلا انتِ وخلص

لا انا مجهزة لك حاجة .. كنت مستتية اخلص
امتحانات عشان اعملها و ماصدقت خلصت، انا كنت
ناوية اعملها بكرة بس مش ضامنة ماما هتتزل ولا
لا، ف قولت اخليها النهاردة طالما عارفة إنها هتتأخر

ردد بفضول :

حاجة ايه دي؟

ابتسمت له بغموض :

هتعرف لما تيحي !

*

*

*

يا امي انتِ عايزة تتخانقي وخلص؟! يفرق ايه
معاكِ إذا كانت اتخطبت ولا اتجوزت حتى؟! انتِ
هتروحي تباركيلها يعني؟؟

هكذا تحدث مروان في الهاتف وهو يجلس بأحد
الأماكن العامة الواسعة والمفتوحة، متحدثاً إلى
والدته التي لم تكفّ عن إزعاجه ولومه على عدم
إخبارها بخطبة جهاد، غلبه الملل وهو يستمع إلى
مواصلتها في الثرثرة بنفس الكلمات، فقال بنفاد
صبر:

بقول لك ايه يا صابرين انا مش فايق للحوارات دي،
يا تقفلي التليفون يا هفرکش مع عزة دلوقتي حالاً
اقسم بالله

مالها عزة؟؟

تساءلت عزة باستتكار وهي تجلس على الكرسي
المقابل له حيث تفصل بينهما منضدة صغيرة، فسارع
برسم ابتسامة واسعة على محياه ليتجنب صياحها
وشجارها المزعج :

وحشتيني يازوزو .. الخمس دقائق اللي روحتي
فيهم الحمام دول شرخوا قلبي نساير!

رفعت حاجبها بتأثر ساخر، بينما ختم مروان
المكالمة مع صابرين قائلاً :

_ يلا يا امي طيري دلوقتي ولما اجيلك نتخانق
براحتنا، سلام ..

أغلق الهاتف وألقاه على الطاولة باختناق، فعقبت
عزة بتهكم :

_ انت مطفش الناس كلها منك كدا على طول؟

رمقها بمنتهى التقزز والضجر، ثم قال :

_ مش هنروح ولا ايه؟

_ اه بس عايزة اجيب دُرة

اعترض قائلاً :

_ درة ايه؟ ما احنا لسة مبلعين قد كدا في الغدا

_ نفسي راحت لها !

_ انتِ جاية تحققي أحلامك معايا ولا ايه؟!!

رددت بضحكة مستفزة قاصدة إغاظته :

_ مش خطيبي وتعمل لي اللي انا عايزاه؟

همهم بسخط :

_ كانت خطوبة سودا ! ، قومي !!

صاح بأمره وهو ينهض فنهضت معه وردت بعناد
وعجرفة ساخرة :

_ كلّمني عدل يا اسمك ايه!

رفعت رأسها بكبرياء وسبقته بعدة خطوات، فتبعها
وهو ينفخ بملل ..

سارا بتمهل وظلت تثرثر بعدة مواضيع لم يفهم منها
شيئاً، إلى أن انكتم صوتها فجأة عندما صدح صوت
أنثوي ينادي :

مروان؟؟

التفتا الاثنان لتلك الفتاة التي تقترب منهما وهي
تتطلع لمروان محاولة التأكد إن كان هو أم لا، إلى أن
وقفت أمامه وتأكدت من ملامحه فانسعت عينيها بعدم
تصديق :

مكنتش متوقعة إني هشوفك تاني !

ضيق مروان عينيه محاولاً تذكر اسمها، فيما تأججت
عزة بنيران الغيرة وباتت تتوعد له بداخل عقلها
وتخطط كيف ستتفجر فيه وتريه من الجحيم ألواناً،
ولكن انقطعت كل أفكارها عندما فوجئت بصفعة قوية
تسقط على وجه مروان من يد الفتاة وهي تحدجه
بغضب، قبل أن تتحرك وتذهب دون إضافة أي كلمة
أخرى؛ تاركة إياه متصلباً في مكانه بدهشة، بينما
هممت عزة بضحكات تجاهد لتكتمها ..

أفاق مروان من ذهوله والتفت لهذه التي تضحك
بداخلها، فنظرت له بصمت لم يدُم لحظات قبل أن
تتفجر ضحكاتها بصخب حتى شعرت بأن أنفاسها
ستتوقف، ثم هتفت من بين قهقهاتها :

__حبايبك كثير يامتر !

*

*

*

في المساء ..

وصلت سيارة عامر إلى القيلا واستقرت في الساحة
الواسعة، ثم ترجل من السيارة وأغلقها قبل أن يستعد
للدخول إلى المنزل .. توقف على صوت جدال بين
حارس البيت وشابٍ ما، فالتفت لهما واستمع له
يخاطب الحارس الذي يحاول منعه من الدخول :
_ يا عم هو عارفني انا هكلمه دقيقة بس

ثم نظر لعامر صائحا :

_ عامر بيه عايز اكلمك كلمتين لو سمحت، انا مستني
حضرتك بقالي كثير برا

أمر عامر الحارس قائلا :

_ سيئه يا صبري

انصاع الحارس للأمر وتركه يدخل، فسأله عامر
بحدة:

_ انت مين يا بني انت وعايز ايه؟

_ انا إياد!

_ اياد مين؟

_ اياد اللي اتقدم لبنتك قبل كدا ورفضته

نفي برأسه بعدم اكتر انا :

_ مش فاكرك بردو، بس طالما رفضتك جاي ليه! انا
مبغيرش رأيي على فكرة

لا ما خلاص انا صرفت نظر عن الجواز دي .. بعد
اللي بتعمله بنتك ده مستحيل افكر أصلا اعيش مع
واحدة زيها

صاح عامر بانفعال طفيف :

وانت تطلع مين أصلا عشان تعمل نفسك حاجة
وترفض بنت تليد؟! احنا اللي مش هنقبل تافه زيك
أساسًا، روح ارجع لمقلب الزبالة اللي جيت منه
أحسن بدل ما اضايقك!

رد بوقاحة وهو يفتح هاتفه :

مقلب الزبالة ده اللي طلعت منه بنتك مش أنا !

ترك الهاتف في راحته ليسمح له بالمشاهدة، مردفًا :

وشوف بنفسك بعثالي إيه! ...

*

*

*

عند أحد المقاهي البسيطة حيث تتوزع كراسيها من حولها لتطل على الشارع في الهواء الطلق، اتخذ فخر أقصى الجانب ليبقى في أبعد نقطة مع تلك الخرقاء التي تظن أنها تفوتها متعة عالية في هذا المكان ..

أتاها فتى قصير يستعد لأخذ طلبهما وهو يحمل صينية مستديرة على يده :

أؤمروا يابهوات

أجاب فخر بعدم اكتراث :

اتنين شاي سكر برا

أوما الشاب وابتعد عنهما، ليتركها تتازع فخر قائلة :
_ انت بتطلب لي ليه؟ افرض مش عايزة شاي انا؟

_ هتشربي ايه غير شاي في القهوة!؟!

صمتت قليلاً وتطلعت للأنحاء من حولها، قبل أن تعيد
النظر إليه وتقول :

_ انت جرّبت الشيشا قبل كدا!؟!

ارتفع صوته فجأة :

_ ما ده اللي ناقص !!

أسرعت تهدئه وهي تضحك :

_ متزعقش طيب، انا أكيد مش هشرب شيشا انا
بسألك انت من باب الدردشة بس

أجابها باختناق وهو يحدقها بملل :
_ لأ مجرّبتش.

وكزته وهي تقول بضحكة مشاكسة :
_ طب خلاص متجرّش كدا

صبت اهتمامها لبلوزتها المنقوشة باللون الأبيض
والأسود، وأمسكت بطرفها من عند الأكتاف قائلة :

_ محطّتش تعليق يعني على البلوزة؟ مش ملاحظ إني
أول مرة البسها؟؟

ألقى نظرة سريعة على البلوزة قائلاً :
_ مش دي اللي روحنا اشتريناها مع بعض؟!!

_ايوة وعارفة إنك مش أول مرة تشوفها بس لازم
تعلق بردو عشان جديدة وملبستهاش غير مرة واحدة

نبس بما أتى على باله دون اهتمام باختيار كلماته :
_الله أكبر ياچيچي قمر ربنا يحميك انتِ والبلوزة من
العين ويكفيك شرّها وتبقى وش السعد عليكِ و ...

_بس بس بس اسكت خلاص!
منعته قبل أن يكمل وهي تشير له بيدها ليتوقف، ثم
أردفت :

_انا آسفة إني طلبت منك تنطق

ضحك ولاذ بالصمت، فقالت وهي تضع يدها في
جيبها :

_خلّينا في الأهم ..

أوماً مجيباً :
_ اطر بني ياكروان!

التفتا للفتى الذي وضع الشاي أمامهما فشكره فخر
بهدهوء قبل أن يذهب، ثم التفتت فخر لها عندما
أخرجت إحدى ورقتيها المميزتين وقالت :

_ انت دلوقتي سبت لي نجمتين .. الأولى لسة زي
ماهي بس الثانية مفتوحة، عايزاك تعملهالي بس
تعلمني بقي

التقط منها الورقة وهو يجيب :
_ ماشي، هعملها بالراحة وركزي معايا

استندت بذراعها على الطاولة الصغيرة التي تفصل
بينهما لتقترب منه قليلاً مصوّبة نظرها على يديه
وهي تطوي الورقة بتمهّل ووضوح ..
انتهى من بضع طويات وقبل أن يكملها أسرع
تقول:

لا لا فكّها واعملها تاني عشان اعرف احفظ

استجاب لها وأعاد الورقة لشكلها المنبسط، ثم بدأ
تكوين النجم من جديد تحت أنظارها المثبتة عليه
بتركيز بالغ وكأنه درساً سيتم اختبارها فيه ..

انتهى وقدمها لها بطريقة مسرحية فأخذتها منه وهي
تخرج ورقة أخرى من جيبها غير مهمة :

هشيلها عشان متبهدلش وهجرب فى ورقة تانية

حرك رأسه إيجابًا وتطلع لها باهتمام .. راقب
محاولتها في تقليده وتنفيذ نفس طريقته، ولكنه بعد
طويتين أوقفها قائلاً :

لا لا دي اتتيا لتحت

أنصتت له وأثنت الورقة كما قال ثم تابعت ولكنه عدل
عليها مرة أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

وأخرى .. حتى انتهت منها بعد مجهود أخذ وقتًا لا
بأس به، ثم سخطت قائلة :

دي صعبة اوي ايه ده!

ضحك وأجاب :

لما عملتها كذا مرة هتبقى سهلة

أخذ منها الورقة وضمها بين قبضته بعدم اهتمام وهو
يقول :

سيبك من الورقة بقى وقوليلي .. عملتي ايه
النهاردة في الشغل؟

ما إن حضرت سيرة العمل لم يأتِ على بالها سوى
الكلمات التي سمعتها من حازم، ونطقت بحماس شديد
وضحكة مفعمة بالسعادة والحيوية :

ده انا نسيت اقول لك .. مستر حازم النهاردة قال لي
إني مجتهدة جدا ومحدثش بيشتغل كويس زي ما انا
بشتغل، وقال هيصرف لي مكافأة كمان، انا مبسوطة
جدا ومتشجعة اشتغل اكرت بعد الكلمتين دول

اتسعت ابتسامته بهدوء شديد وبداخله يمتن لصديقه
على نجاحه في رفع معنوياتها وبث الثقة والسرور
بداخلها، وقال مدللًا إياها بعبارته المعهودة :

شطورة يا عيون فخر.

ضحكت باتساع وقالت ببهجة :

انا بحب الجملة دي اوي .. بتحسّسني إني عاملة
إنجاز

اعتلته ضحكة جانبية وهو يقول :

نقولها لك كل يوم لو عايزة ..

لم يكد ينه كلمته حتى انتفضت فجأة مطلقه صرخة
واضحة عندما شعرت بلسعة مفاجئة بمعصمها،
ونظرت ليدها سريعًا لتجد عقب سيجارة مشتعل

يحرق الكُم ففزعت وحركت ذراعها بسرعة ليقع
عقب السيجارة وتمنع تآكل القماش قبل أن يطول الكُم
بأكمله .. بينما لم يستوعب فخر أي شيء ؛ فقد حدث
كل شيء في لحظة مفاجئة .. !

بقي متطلعًا لها بقلق وهي تحملق بذلك الثقب الكبير
الذي أصاب كُمها وعيونها جاحظة باندهاش وصدمة
.. رغم وصول النار لجلدها إلا أنها لم تكن إصابة
بالغة، فلم تلتفت لها ؛ فألمها على البلوزة تعدى أي
شيء آخر ..

رفعت عينيها له ببطء وحدقته بوجه متجمد بدهشة،
بينما نظر هو لذراعها وأمسك كفها ليقرب إصابتها
من عينيهِ ويفحصها :

انتِ كويسة؟

فاجئته بارتفاع صوتها، مع دموع لم يعرف من أين
أتت بها بهذه السرعة:

_البلوزة باظت !!!

*

*

*

وقف زياد أمام باب الشقة وطرق الباب ثم انتظر الرد
.. بعد لحظات فُتح الباب فتحة صغيرة لتتظر من
خلالها ياسمين دون أن تُظهر جسدها وتقول :

_اتأخرت على فكرة

برر قائلاً :

_الطريق مش أنا

لم تهتم وفتحت الباب وهي لاتزال تخفي جسدها
خلفه، فدخل وهو يتطلع من حوله بلا هدف، ثم التفت
لها عندما أغلقت الباب؛ وسرعان ما كساه التعجب
بشدة عندما رآها مرتدية الفستان القصير ذو نقوش
الفراشات الذي أحضره لها .. ذلك تحديداً الذي
رفضت إرتدائه وكأنه سيلدغها ..

استدارت لتتظر لوجهه المستنكر وهو يقول :
_ياشيخة؟؟؟

فطننت أنه يقصد الفستان بالطبع، وضمت ساقها
ببعض الخجل وهي تقول :
_مش وعدتك هلبسه تاني؟؟ عشان تعرف إني لما
بقول كلمة بعملها ..

رفع حاجبيه بابتسامة مستفهمة :

_واشمعنا النهاردة؟

اقتربت منه بضع خطوات وهي تحرك رأسها ببساطة
مع ابتسامة صغيرة :

_عاملة لك جو رومانسي

ارتفع حاجبيه أكثر وهز رأسه باستفهام وكأنه أخطأ
السمع ويريد التأكد، فضحكت بخفة وابتعدت عنه
وهي تمسك بقداحة وتستعد لإشعال الشموع المتفرقة
من حولهما، ثم قالت أثناء تحركها بين مواضع
الشمع لتضع فيها النار :

_حطيت لك شموع كثير ريحتها حلوة .. وجهزت
أغاني حلوة نشغلها واحنا لوحدنا .. وعملت كيكة
وعصير .. وجبت عيش فينو وشيبسي ولانشون
عشان نعمل سندوشات كمان

أشعلت الشمعة الأخيرة ثم التفتت له وهي تتنفس
ببعض التوتر والخجل :
_ايه رأيك؟

وزع أنظاره على الشموع بحيرة، ثم قال :
_انا مش مصدق إن ده طالع منك بصراحة، بس لو
وقعتي على دماغك يارب ماترجعي لعقلك

ضحكت وهي تفتح هاتفها على أغنية هادئة، ثم
اتجهت لمقبس النور وهي تقول :
_بس هنعمل كدا والنور مطفي!

حاول إيقافها هاتفًا بسرعة :
_لا لا ياسمين استني !!

ولكنها فعلتها وأغلقت الأضواء، فأغلق عينيه بنفس
اللحظة وأخفض رأسه وهو يضغط على جفنيه
وكأنهما سيخوناه ويجعله يفتح عينيه ويرى الظلام.
هرولت إليه سريعًا وأمسكت بيده وهي تقول :
_زیزو زیزو اهدى لو سمحت واسمعي

هز رأسه بالرفض وبدأ قلبه يخفق بعنف وعدم
ارتياح، أحاطت وجهه بكفيها واقتربت منه قدر
مايمكنها قاصدة أن تُشعره بأنفاسها الدافئة لتؤكد له
وجودها بجواره :

_افتح عينك بس وبص لي .. متقلقش الشموع منورة
والله الدنيا مش سودا

لن ينكر شعوره ببعض الأمان عندما شعر بلمسة
يديها على وجنتيه تؤكد أنها لن تتركه، ولكن لا يزال
الخوف يضرب قلبه بعنف ويضاعف دقائقه .. في حين
أصرت هي على طلبها :

_ يلا يازيزو متخافش انا معاك .. افتح عينك بس و
ثق فيا

أطلق زفيرًا مطولًا حاول به أن يهدئ من روعه، ثم
فتح عينيه بتمهل ولم ينظر مباشرة لوجهها بل توزع
بصره على سبب خوفه، فهتت تجذبه نحوها :

_ لا لا بص لي انا .. ركز في وشي انا متبصش
حوالك

استجاب لها ووجه عينيه لوجهها وهو يلتقط انفاسه
بتوتر، فنبست بطلب غير متناسب مع حالته الحالية :

_ ممكن ترقص معايا؟

عقد حاجبيه بتعجب ولا تزال أنفاسه غير منتظمة وهو
يجيب :

_ هو ده مكانش ينفع في النور؟؟

_ لأ مكانش ينفع

رد بصرامة محاولاً التماسك قدر استطاعته :

_ ياسمين انتِ لو مفتحتيش النور دلوقتي همشي

_ اسمعني طيب !!

انبعثت من عينيها كل نظرات الطمأنينة والهدوء ولم
تتنازل يديها عن احتضان وجهه :

_ انا فكرت كثير بعد ما لقيتك خوفت لما كنا راجعين
من برا سوا ولقيت الشارع ضلّمة، وعارفة أكيد إني
مش هعالج الفوبيا دي بس على الأقل عندي أمل
اقلها شوية

لمعت عينيها بحب وعاطفة، مررت أناملها على خدّه
ولحيته الخفيفة وأردفت بهدوء أكبر ورقة شديدة :

_ انا عايزاك لو اضطريت تقعد في مكان ضلّمة بعد
كدا تفتكر ياسمين وهي بترقص معاك، مش تفتكر
الخوف اللي كنت بتحس بيه وانت صغير ..

اقتربت منه لتعطيه عناقًا صغيرًا يجعله يطمئن قليلًا،
وهي تقول :

_ متفكرش إنك في الضلّمة، فكر إنك جنبي وهتقضي
وقت حلو معايا

لم يفارقه الرعب بالكامل ولم يتوقف قلبه عن النبض
بعنف، ولكنها نجحت في جعله يستكين قليلاً بين
أحضانها قبل أن يدخل بنوبة هستيرية، وهذا إنجاز!

فصلت العناق، تزامناً مع تمسكها بيده لتضعها على
خصرها وهي تهتف بتشجيع :

يلا يازيزو يلا

رفعت كلا يديها على أكتافه وأحاطت رقبتة وهي
تطالعه بأعين تشجيعية، وتتحرك يميناً ويساراً
بحركات بطيئة مبدئية ليشاركها إياها ..

كان شبه متجمد أمامها، ولم يستطع الانسجام معها
وكأنها تحركه هي كالعرائس الخشب دون أن يبادر

هو بأي حركة .. مستسلمًا لها ولكن مشتت ومرتعد
وعقله لا يقوى على مسايرتها ..

أنزلت إحدى يديها حتى استقرت على صدره،
تستعشر ضربات قلبه المتسارعة .. ربتت عليه
مرتين وكأنها ترسل لفؤاده رسائل تحثه فيها بأن
يطمئن ويهدأ ..

أبعدت يدها عن صدره لتتوجه إلى ذراعه المحيط
بخصرها وتشدد عليه ليتمسك بها أكثر، ثم أعادت
كفها كما كان على كتفه وهي تهمهم بنبرة مليئة بكم
مهول من الهدوء والسكينة :

_بص في عيني واسرح معايا شوية، انسى أي حاجة
حوالك وحط تركيزك ليا وللأغنية بس ..

أغمض عينيه مطلقًا زفيرًا آخر ؛ استعدادًا للمحاولة
وإجبار نفسه على تجاهل الظلام .. فقط لينظر بعينيها

وسط ضوء الشموع الخافت وسيهدأ تدريجياً؛ فهي أفضل من يستطيع امتصاص قلقه، وإن أعطاها الفرصة سيتلاشى خوفه إلى حد كبير ..

ارتخت عضلاته قليلاً وبدأ بتليين تحركاته معها بشكل غير ملحوظ ولكنها شعرت به وأحسّت ببصيص استجابته؛ وقد كان هذا كافياً لتشجيعها على الاندماج في حركاتها والتعلق برقبته أكثر، وهي تتحرك معه بشكل متمهل وهادئ تماماً ..

رسمت إحدى ابتساماتها الجميلة على محياها
وتحدثت بهدوء :

__ اقول لك سر؟

تطلع لها بانتباه، فسكتت لبرهة ثم ابتسمت وكشفت
عما تخفيه :

_ انا كنت بدعي ربنا كل يوم يجعلك من نصيبي.

بدت عليه بعض علامات الدهشة، فأومأت بتأكيد
وقالت :

_ مع إن مكانش في حاجة بتقول إننا ممكن نبقي سوا،
حتى علاقتنا كقرايب مكانتش أحسن حاجة .. بس
سبحان الله بص دلوقتي بقينا فين وربنا استجاب لي
ازاي!

تأملته بنظرات هائمة حملت أطناناً من الحب
والسعادة:

_ انا مبقتش طالبة أي حاجة من الدنيا خلاص، انت
مكفيني عن كل حاجة نقصاني ..

لَوّحت ابتسامته على محياه، وشردت عينيه للحظة
في بدايتهما الحقيقية معًا؛ يوم تحدثت معه وأفصحت
عن كل مشاعرها المكسورة التي تشعر بها بسبب
ابتعاده هو وإخوته عنها وكيف تقودها أمها في
طريق لا ترغب به ..

تعلقت حدقتيه بخاصتها وتحدث بهدوء :
_ هو انتِ لو مكنتيش اتكلمتِ وقولتي لي على اللي
جواكِ كنت هبقى عامل ازاي دلوقتي؟

ابتسمت بخفة ورفعت كتفيها بلامبالاة :
_ كان زمانك بترقص مع واحدة غيري

حرك رأسه بالنفي مُضيقًا عينيه بعدم رضا :
_ مش عايز اتخيل أصلا

اتسعت ضحكتها عن آخرها، أقبلت عليه حتى دثرت
نفسها بين أحضانه وأحاطت خصره بذراعيها قويا ..
أسندت رأسها على صدره وأغلقت عينيها بابتسامة
سعيدة، وكأنما تاهت بين أعماقه .. شعرت بيديه
تقيدان جسدها برفق ومحبة، أغمض عينيهِ مستمتعا
باستنشاق عبيرها وتشبثها به ..
ضاع معها !

تملّكت منه واستحوذت عليه لدرجة أنه نسي وجود
العمة وقربها طغى على أي شيء ..

لم ينتصر على الفوبيا بهذه السهولة بالطبع، ولكن
فعلتها أحدثت معه فرقا وساعدت في تقليص بعض
الهلع الذي يصيبه كلما حضر الظلام ..

لقد حفرت بصمتها على قلبه جيدا ومنحته لحظات
مميزة ومختلفة لن تفارق رأسه لأمدٍ طويل ..

*

*

*

فتح رؤوف باب الشقة بعد دقائق متتالية عليه،
ليتسمّر فجأة في مكانه وتتسع عينيه بصدمة .. ابنة
اخته أمامه بملابس المنزل وتعمها الفوضى من أول
شعرها الغير مرتب إلى أخمص قدميها التي ترتدي
بها نعال خفيف وحسب .. وجهها مليء بكدمات
وجروح تسيل منها الدماء مختلطة بدموعها التي لا
تتوقف .. كانت في حالة يرثى لها حرفياً!

ارتمت بأحضانها وانفجرت ببيكاء مرتفع، بينما ضمها
رؤوف وهو يتسائل بهلع :

ايه يامريم ايه اللي عمل فيك كدا حصل ايه؟؟

خرج عز من الداخل يستكشف الأمر، وسرعان ما
هرول إليهما عندما وجدها بهذا الوضع ;تتمسك بأبيه

وتبكٍ وتنتحب بجنون .. حاول محدثتها والذهول يحتل
ملامحه بوضوح :

_مريم؟ مريم في ايه جراك ايه؟؟

استمرت في البكاء لوقت قصير ورؤوف يستمر في
التربيت عليها محاولاً أن يهدئها ويُسعرها بالأمان،
إلى أن استطاعت تجميع بعض الحروف التي كوّنت
منها جُمْل غير مرتبة لفظتها بصعوبة وأنفاس
متسارعة :

_إياد نفذ تهديده وراح قال لـ بابا كلام كذب، وبابا
صدَّقُه ومسابنيش إلا لما هربت انا من تحت ايده

تبادل عز النظر مع والده بتعجب شديد تحوّل سريعاً
إلى الغضب، بينما ردد رؤوف باستغراب وسخط :

احنا مش كُنا خلصنا من الواد ده؟! ، ايه اللي خلاه
يظهر تاني!

لم تكف مريم عن النحيب، وصوت بكائها الموجه
يمزق قلبيهما بألم .. لم تكن يوماً بهذا الانهيار !
علامات الضرب التي اجتاحت جسدها أفقدتها قوتها،
ولم تعد قادرة على فعل أصغر مجهود ; ولا حتى مجرد
الوقوف هكذا، فلم يكن سوى أن قدميها استسلمت
بتعب ولولا يدي عز التي أسرعت تنقذها لكانت
مستقرة على الأرض ..

أسندها من ظهرها بمساعدة رؤوف الذي تمسك
بيديها .. نظر لها عز بخوف وهي تلتقط أنفاسها
بصعوبة وكان الدموع تضغط على رنتيها، وقال وهو
يأخذها إلى الأريكة :

اهدي يامريم وهوني على نفسك بالراحة، تعالي
اقعدي ارتاحي تعالي

*

*

*

دفع فخر المال لصاحب البقالة التي ابتاع منها اثنتين
من الشوكولا التي تحبها جهاد وزجاجة مياه صغيرة،
ثم اتجه إلى سيارته التي بقت تنتظره فيها ..

ركب بمقعده وكما توقع لم تتوقف عن البكاء .. منذ
رحيلهم من المقهى وهي على هذا الحال، نظر لها
قائلًا بيأس :

خلاص يا جهاد كفاية ارحمي نفسك

البلوزة لسة جديدة يا فخر ملحقتش اتهنّي بيها
ملحقتش!

ارتفع صياحها والدموع تفيض من عينيها بغزارة،
فأجاب فخر :

_ انا مش قولتلك قهوة لأ من الأول؟؟ طبعا كان وارد
أوي يحصل كدا، ده كلهم بيدخنوا ويشيشوا مستنية
ايه مثلاً؟!

_ يعني كان لازم السيجارة تسيب الناس كلها وتيجي
فى نصيبي انا؟! .. والحيوان اللي بيرميها ده مش
هاين عليه يطفئها قبل ماتطير على الناس؟!

نطقت كلماتها بغضب قبل أن تواصل نوبة بكائها التي
من الواضح أنها ستنته في الغد على الأقل
مد لها الشوكولا وهو يقول :

_ طب خدي جبت لك مورو عشان مودك يتعدل شوية

لم تعبأ وردت :

_مش عايزة

أعطاها الزجاجاة بدلًا من الشوكولا، وقال :

_طب اشربي مائة حتى

_مش عايزة حاجة، انا عايزة اروح

مط شفتيه بإحباط ولم يتحدث مجددًا، أدار السيارة ثم
تحرك في طريقه ..

.

.

وصل لوجهته واستقر أمام بنايتها، التفت لها وقال
باهتمام :

_متسّيش تحطي مرهم على اللسعة دي
كانت قد هدأت أثناء وصولهم واكتفت من البكاء إلى
حدّ ما، ولم ترد سوى بإيماءة خفيفة فقط.. فأردف
فخر بنبرة حانية وهادئة :

_متز عlish ياچيچي فداك أي حاجة ياستي هجيب
لك مية بلوزة غيرها بس متعيطيش عشان خاطري

جفت وجهها من آثار الدموع وهي تهز رأسها
بقبول:

_خلاص مش مهم ربنا يعوض عليّا، اللي حصل
حصل.

ضحك بهدوء ثم أعطاها الشوكولا قائلاً :

_المورو بقي؟

كان يمد لها اثنتين، فسحبت واحدة وقالت :
_ هي واحدة بس

_ انا جايبهالك انتِ، انا مبحبش الشوكلاتة انتِ عارفة

ابتسمت وردت وهي تفتح باب السيارة :
_ جربها تاني ياخوخة يمكن تغيّر رأيك .. تصبح على
خير

ترجلت من السيارة وأغلقت الباب خلفها، ثم نظرت له
ولوّحت له بالوداع ، فابتسم وبادلها نفس الإشارة،
قبل أن تدير ظهرها وتختف داخل العمارة ..

كان على وشك الرحيل إلا أنه توقف على صوت
هاتفه، فأخرجه من جيبه ونظر فيه ثم أجاب :

_الو..

صمت قليلاً يستمع للطرف الآخر بانتباه ..
طال السكوت وهو ينصت بتركيز، إلى أن قطب
حاجبيه بتعجب وتغيرت معالم وجهه إلى تعبيرات غير
مُطمئنة، ونبس بعدم استيعاب :

_استنى استنى .. انت ايه اللي بتقولُه ده؟!!

يتبع ..

الفصل الأربعون {ربحت البومة}

انكشيت مريم على ذاتها متخذة طرف الأريكة
موقعها، ضمت قدميها لصدرها وهي تحتضن بين
يديها كوب الماء الذي شربت منه للتوّ .. لا يزال
وجهها مجهدًا ورطبًا من آثار الدموع التي لم تتوقف
حتى تلك اللحظة ..

انتبهت لعز وهو يجلس بجوارها ويضع بعض
المستلزمات الطبية على المنضدة المقابلة؛ استعدادًا
لمعالجة جروحها وكدماتها .. وقبل أن يلفظ بحرف

استمع لسؤال أبيه وهو يجلس على الكرسي
المجاور:

_____ كَلِّمت ولاد عمّتك؟

_____ فخر زمانه جاي وزيرو مبيردش

ظنت مريم أن حضور فخر يعني عودتها إلى المنزل،
فشرعت تهز رأسها رفضاً بجنون وتتطق بخوف :

_____ لا لا انا مش عايزة اروح البيت لا مش عايزة، انا
فلتت منه بالعافية مش هروح هناك مش هيسيبيني!

أسرع عز يتمسك بيدها ويطمئنها بقوله :

_____ اهدي اهدي مش هنسيبك ترجعي هناك متخافيش

ثم أكد رؤوف على كلماته :

**مش هتروحي في حته يامريم، انتِ هتقدي هنا في
اوضة مي لحد ما الأمور تهدي**

**رن جرس المنزل فسبق عز بالنهوض واتجه إلى
الباب ثم فتحه، ليسمح لفخر بالدخول وهو متعجل
يبحث عن أخته فقط، فما ان وقعت عينيه عليها حتى
هروول إليها يناديها بقلق :**

مريم!

**نظرت له بأعينها الباكية وقد رفعت يديها له بمجرد
اقترابه منها لتعانقه بقوة، بينما انحنى بجذعه
ناحيتها ليسمح لها باحتضانه، وبدوره ضمها له
برفق .. ربطت رقبته بين ذراعيها وكأنها تستغيث به
; هو أكثر من ينجح في سلب أي شعور سيء بداخلها
بمجرد عناق دافئ .. فأمسى يمسد خصلاتها ويربت
على ظهرها بحنان وهدوء**

تحرك قليلا ليجاورها على الأريكة وهو لا يزال منحنيًا
؛ لرفضها بأن تتركه .. جلس وبادلها العناق وهو
يستمتع لها تبكي بحرقة وألم، وهمس لها بخفوت :

_بس يا حبيبي بس انتِ معملتيش حاجة، انا
هتصرف مع الواد ده متقلقيش اهدي بس شوية

أخرجها من أحضانه بهدوء ليتفحص وجهها المشوّه،
وبدا عليه الأسى الشديد مع الغضب وهو يتمتم بعدم
تصديق :

_ازاي عمل فيك كدا !

بدّل نظره إلى خاله وعز، وتساءل :

_زيزو فين ؟

أجاب عز بعدم اكتراث :
_ معرفش، كلمته مردش ..

*

*

*

_ الكيكة دي كان ناقصها معلقتين سكر وتتظبط

ردد زياد كلماته وهو يأكل قطعة من الكعك، ويجلس
بجوار ياسمين التي تشاركه تناول قطعتها وهي تجيب
بهدوء شديد :

_ كُل وانت ساكت بدل ما البس وشك في الصينية !

عقد حاجبيه بتعجب وتطلع من حوله بتردد، قبل أن يقول :

_ لا افتريتي .. افتريتي وضوافرك طولت وقلبك جمد

تطلعت له بنظرات جانبية متصنعة التكبر وأكملت قطعتها، فضحك وأكل قزمة إضافية من خاصته وصمت قليلاً ثم قال :

_ بس انا لسة مش فاهم بردو ازاي الكسوف بتاعك ده عرفت تسيطر عليه وتخليني ارقص معاك وتلبسي الفستان وانت مرتاحة كدا ..

غمز لها متابعاً :

_ ايه اللي جراك؟

ألصقت ساقها المكشوفين ببعضهما وحاولت شدّ الفستان لتخفيهما قليلاً، وهي تقول بخجل :

**_الكلام ده هو اللي هيخليني اتكسف على فكرة،
سييني ماصدقت ابتديت افك شوية**

_ لا خلاص سحبتها .. احنا كنا فين وبقينا فين!

ابتسمت بخفة وسكتت لحظة، ثم فسرت :

**_الفكرة بس إنك قرّبت منّي الفترة الأخيرة اكثر من
الأول .. كل يوم بتاخديني البيت عندك وتذاكر معايا
وتدلعني كل شوية بـ أكل وحاجات حلوة وتهزر معايا
وتتكشني .. حسيت إني خدت عليك أكثر واتعودت
على وجودك خلاص**

**لمعت عينيه بنظرة متلاعبية وابتسامة لئيمة،
فأسرعت تحذّره قبل أن يتفوّه بكلمة :**

_ بس لسة مش مية في المية بردو، اوعى تتعشم!

تحولت ملامحه إلى الملل وأشاح بيده بعدم اكتراث،
فضحكت في داخلها ضحكة مكتومة وصمتت ..

استمعا لصوت تحريك المفتاح بموضعه في الباب،
فانتفضت ياسمين واقفة وهي تقول :

مما جت!

لم تترك له الفرصة لاستيعاب شيء وركضت إلي
الداخل بأسرع مايمكنها تحت أنظاره المندهشة ..

دخلت ناهد لتجده جالسًا فابتسمت وقالت بحفاوة :

ايه ده زيزو! ازيك يا حبيبي أخبارك ايه؟

أفاق من ذهوله والتفت لها مجيبًا :

الحمد لله يا عمتي ازيك انتِ؟

ردت وهي تضع مشترياتها أرضاً بجوار الحائط، ثم
أغلقت الباب :

_ الحمد لله، انت جيت امتي؟

_ من شوية كدا

جلست ناهد بالقرب منه وسألت عن ابنتها :

_ او مال ياسمين فين؟

نظر إلى الرواق الذي اختفت فيه ياسمين ثم نظر
لعمته مجيباً :

_ هتطلع دلوقتي

ثم قال :

_ المهم انتِ عاملة ايه؟

أجابت بارهاق :

_على آخري والله يابني قصص الجهاز دي فظيعة خالص .. والهائم سايباني لوحدي عشان امتحاناتها

ضحك زياد بهدوء وقال :

_اديها خلّصت وهنكمل احنا، اقعدى ارتاحي انتِ

ابتسمت وقالت :

_ربنا يكملها على خير يارب

قاطع الحوار خروج ياسمين وهي ترتدي منامة عادية من إحدى مناماتها المعتادة، فنظر لها زياد متعجبًا؛ كيف بدّلت الفستان بهذه السرعة .. ثم تغيّرت تعابيره إلى رفع حاجبيه باستخفاف فبادلته بنظرات

غير مبالية وصمتت محاولة منع ابتسامتها من
الظهور

*

*

*

انتِ لسة بتضحكي!؟

بادر مروان بسخطه مخاطبًا عزة على الهاتف وهو
يجلس خلف مكتبه بمقرّ عمله، استمع لضحكاتها
الصاخبة دون استطاعتها على التحكم بذاتها وأجابت:

الموقف بجد يفتّس، انت ازاي مضحككش؟

هددها بمثل قائلاً :

والله هقفل في وشك

خفت من ضحكاتها قليلاً وأجابت :

طب خلاص خلاص .. هو انت عملت لها ايه عشان
تديك بالقلم كدا؟

رد بعدم اكتر انا :

انا مش فاكرها أصلاً، فاكروش بس مش فاكرو هي
مين وعرفتها امتي

هممت بسخرية شديدة :

معذور يا حبيبي هتفتكر مين ولا مين وانت كل يوم
بتعرف ستة !

رد بنبرة عابثة :

بس مفيش واحدة فيهم شبه زوزو أبدا

لم يرى وجهها ولكنه تأكد من ظهور بسمتها التي
تخلط بين السرور والتهم، ثم أجابت :

_متاكلش بعقلي حلاوة

_انا بقول لك الحقيقة ..

ضحك بخفة وأردف :

_انا مقدرش اعدي يومي من غير العند والزن بتاعك

صاحت بدهشة :

_انا زنانه يامروان؟؟

أجاب بنبرة رومانسية تمامًا :

_طبعًا يا حبيبي ده انا بتعالج بسببك.

ردت بحنق :

_طب ومكمل معايا ليه بقى مادام جِبت لك المرض
كدا؟

برر بابتسامة باردة :

_حَبًّا في المعاناة!

_يعني انا معيِّشاك في معاناة؟؟ .. طب تمام اوي

نطقت جملتها الأخيرة ثم أغلقت الخط في وجهه دون
سماع أي كلمة منه .. نظر مروان في الهاتف ليبصر
انتهاء المكالمة فضحك مغمغماً :

_قَمَاصَة !

*

*

جلس عامر بمكتبه التابع للفيلا يحتسي قهوته
ويتفحص حاسوبه المحمول .. سمع صوت طرقات
على الباب أُتبعَت بدخول الطارق دون انتظار الإذن ..

دخل فخر بخطوات ثابتة ووجه متجهم وهو يقول
دون مقدمات :

_ احنا هنفضل في الدوامة دي لحد امتي؟! ايه
مز هقتش؟! مش هاین عليك تسيينا نحاول ننسى
الأيام السودا اللي عشناها زمان .. حابب تعيدها تاني
ليه وترجعنا للنقطة اللي طلع عينينا عشان نخرج
منها !!

تعجب عامر من دخوله وكلماته الهجومية، وصاح
بحدّة :

_ انت بتتكلم كدا ليه و ايه الدخلة دي!

تابع فخر طريقه إليه حتى ضرب يديه على سطح
المكتب بعنف، ومال ناحيته يهتف بغضب شديد :

_ ازاي تسمح لواحد جاي من الشارع يقول على بنتك
كلام زي ده؟ ازاي تصدّقه وتسيبه يغلط في حقها؟! ..
واحد زي ده لما يجي يضحك عليك بـ صور
وريكوردات متفبركة كنت تمسكه تكسر رقبتة وتدافع
عنها مش تستقوى عليها هيّ !!

قطب عامر حاجبيه بعدم فهم، ولم يكذ ينطق بكلمة
حتى أردف فخر وعينيه تشتعل بالغضب وصوته يعلو
بانفعال :

انت فاكِر إنك كدا بتربّي وخلص ندمتها؟! .. تعرف
ايه أصلا عن دور التربية ده؟! انت أهم الأمور عننا
مش عارفها ! .. انا روحت خطبت من فترة وانت
مش هنا .. زياد عمل عملية قلب مفتوح وانت مش
حاسس بأي حاجة ! ، انت خلّيت نفسك هوا في حياتنا
يا عامر بيه ، متجيش دلوقتي تحاسبنا كأنك أب بجد !!
ردد بذهول جامح :

خطوبة ايه وعملية ايه!! انا مش فاهم حاجة، هو
ايه اللي بيحصل!؟

اعتدل فخر وعاد للخلف وهو يتطلع من حوله بيأس
محدثاً نفسه بإحباط :

انا مش عارف انا جيت اعمل ايه .. عارف ان الكلام
مش هيجيب نتيجة ويردو جيت

وقف عامر وهو يردد باستفهام ونفاد صبر :

_انا مش عارف انت بتتكلم عن ايه .. ندمت مين
وتربية ايه! ماتفهمني الزعابيب دي كلها عشان ايه
بالظبط!؟!

بدا على عامر عدم الفهم بوضوح، بينما ظن فخر أنه
ينكر الأمر ويتظاهر بالبلاهة، فنطق بحنق واستنكار :

_مش بتاعك الجوّ ده يا عامر بيه، محدش بيعاقبك
هنا.

ثم أردف قبل أن يتحدث عامر بحرف :
_اعمل اللي انت عايزه براحتك انا مش هتكلم تاني
خلاص

سكت لحظة، ثم تابع بعزم وحدة :

**بس او عدك .. يوم ما هتقع مش هتلاقي ولا واحد
فينا موجود !**

**لم ينتظر تلقى أي رد فعل منه، وسار نحو الخارج
مسرعًا بانفعال واضح، تاركًا عامر في حيرة وتيه
غريب!**

**ترك الفيلا بأكملها واتجه إلى سيارته وهو يبحث
بهاتفه عن اسم ما، شعر برجفة يده اللاإرادية التي
دائمًا ما تتبع انفعاله، فسارع بترك الهاتف على سقف
السيارة قبل أن يقع، ثم نظر ليده المرتعشة، متممًا
بضيق :**

مش وقتك خالص بجد!

انتظر قليلاً وحاول السيطرة على نفسه والتنفس
بهدوء، حتى ينته تخدير أعصابه هذا .. بضع ثوانٍ
وهو يضم قبضته ويفتحها أكثر من مرة وكأنه يدربها
على العودة لطبيعتها .. ما ان شعر بأن حالتها خفّت
قليلاً حتى التقط الهاتف وتابع بحثه عن الإسم
المقصود حتى وجده، ثم اتصل به وانتظر الرد حتى
أتاه، فنطق مباشرة :

ايوة ... في واحد اسمه إياد عايزك تجيب لي قراره
وتعرف لي هو فين

فتح باب السيارة متأهباً للركوب، وأردف :

هبعت لك صورته دلوقتي ولو في معلومات تانية
عرفتها هقول لك .. المهم تعرف لي هو مرمي في
انهي خرابة دلوقتي!

*

*

*

جلس عز أمامها فوق الأريكة موجّهاً جسده ناحيتها،
يمسك بقطنة مطهرة ويخفف بها الكدمات المنتشرة
على وجهها .. كانت علامات الألم تظهر على قسماتها
كلّما لمس جروحها، ولكنها ظلت ثابتة، إلى أن
تأوهت بعفوية عندما لمس إصابة موجهة، فقال :

معلش معلش استحملي شوية

سكنت ورضخت بثبات حتى ينتهي، ساد الصمت
عليهما وهو يصب اهتمامه لمعالجة تلك الإصابات ..
فيما شردت هي إلى عالم آخر لوقت طويل ..

انقطع الصمت أخيراً بصوتها الخافت وهي تقول دون
سابق إنذار :

ممکن متر عقلیش یاعز؟!

تعجب من ذلك الطلب وقطب حاجبيه بحيرة ; هل قام
بفعل هذا الآن؟ .. لم تتركه في استفهامه كثيرًا
وأوضحت بصوت بائس :

انا عشت طول حياتي في بيت مليون زعيق وخناق
ومشاكل .. نفسي اعيش شوية في تفاهم وهدوء

واستطردت بصوت يملؤه الحزن والدموع :

لو زعلت مني عاتبني بالراحة وقول لى يامریم انا
زعلت منك عشان كذا وكذا، وانا والله ما هقاوح انا
هعرف غلطي وهعتذر .. بس متر عقلیش، انا لحد
دلوقتي لو سمعت صوت عالي بخاف وبتوتر
ومبحسش بالأمان

صمتت لحظات تحديق بعينيه المتأثرة بها، وأردفت :

_مش عايزة منك حاجة غير إنك تظمنني وانا
ساعتها والله لو طلبت روعي ما هعزها عليك،
هسعدك وهعمل لك كل حاجة بتحبها وهرضيك ..

طالعه بتوسل شديد ونطقت بضعف :

_بس خليك حنين عليا !

لمعت عينيه بأسى ؛حزناً على ما وصلت إليه .. كل
ماترغب به يقتصر فقط على يد تربت عليها وتُشعرها
بالسكينة ليس أكثر ..

ابتسم لها بهدوء وأمسك يدها برفق قائلاً بنبرة
حانية:

_ انا مقدرش اعمل اي حاجة ممكن تبعد ضحكك عن
وشك يامريم .. انا هبقى ضهرك وحمایتك وأول واحد
يمد لك ايده أول ما تتكعبلني صدقيني .. ده انتِ كل
حاجة في حياتي، ازاي هيهون عليا اخليكي تعيطي
بسببي!؟

اتسعت ابتسامته أكثر بيث لها اطمئناناً مريحاً، ونظر
لها بحب صادق استطاع أن يتخلل لقلبها ويرقد
بداخله في هدوء وراحة ..

رن جرس المنزل، فنهض عز ليفتحه ولكنه توقف
عندما أتى والده من الداخل وسبقه إلى الباب ليفتحه
لتدخل منه ميّ سريعاً تتساءل :

_ ازيك يابابا؟ مريم فين؟

أفسح لها رؤوف لتدخل، فيما وزعت أنظارها من
حولها حتى رأتها وهرولت إليها حتى مالت نحوها
واحتضنتها بقوة :

سلامتك يا حبيبتى سلامتك، منه لله الحيوان اللي كان
السبب

ابتسمت مريم وبادلتها العناق بهدوء وهي تقول :
انا كويسة الحمد لله متقلقيش

ابتعدت مي واتخذت المقعد المجاور لمريم التي
سألتها :

او مال عبدالله فين؟

في البيت مع ابوه

جلس رؤوف على المقعد الآخر وهو يستمع لعز
يخاطب أخته بسؤال :
_ انتِ عرفتِ منين؟

_ بابا كلمني وحكى لي

نظر عز لوالده وقال :
_ مبيتبش في بوك فولة ياروفا؟

أجاب رؤوف :

_ هي غريبة؟؟ وبعدين دي مجنونة .. لو معرفتش
دلوقتي هتيجي تمسك في رقبتنا عشان مقولناش في
ساعتها وانا مش ناقص دوشتها

صاحت بعتاب ودهشة :

_بقي انا دوشة يابابا؟؟؟

أجابها رؤوف بمحبة ولطف :

_انتِ مهرجان بحاله ياروح بابا

ضحك عز مع نفسه ضحكة مكتومة وأخفى فمه بيده،

لتنهره مي بغضب :

_اخرس يادكتور الحمير انت!

ضحكت مريم بهدوء، بينما نبس رؤوف وهو ينهض:

_انا هروح اعمل لنا عشا، وحدّ يكلم فخر وزيرو

عشان ياكلوا معانا

*

*

*

مرّ أسبوعان لم تغادر مريم بيت خالها وكانت ميّ
تُحضر لها من ملابسها ما تحتاجه .. وكانت تفكر في
المغادرة أكثر من مرة ولكنها تبقى لإصرار خالها
على ذلك ؛ حيث كانت تؤنسه في وحدته أثناء غياب
عز في المشفى ..

وفي مساء يوم جديد ..

دلف حازم إلى مكتب عامر بعد سماع إذنه بالدخول
ووقف أمامه بثبات ناطقًا برسومية :

مساء الخير يافندم .. حمدلله على السلامة

نظر له عامر جالسًا خلف مكتبه وسأل مستفهمًا :

الله يسلمك بس ليه؟

رد حازم باستغراب :

_ حضرتك توهت ونسيت طريق الشركة لولا إني
كلمتك !

رد عامر بدهشة :

_ انا؟!!

رد حازم بتعجب واضح على قسماته :

_ ايوة كلمت حضرتك عشان اتأخرت، وقولتلي إنك
مش عارف انت رايح فين أصلا .. ف قولتك الشركة
ف سألتني هو الطريق ازاي!

عقد عامر حاجبيه بعدم فهم، فتساءل حازم بريية :

_ هو حضرتك كويس؟ لو محتاج اجازة خدها يافندم
لحد ما ترتاح واحنا هنقوم بالشغل عادي

تطلع عامر من حوله بإجهد و نبس بعدم تركيز :
_ انا مش فاكرا ان ده حصل !

وضع يديه على رأسه بتعب وظل صامتاً لبرهة، بينما
بقي حازم واقفاً متردداً أيتحدث أم يتجاهل الأمر
ويخرج .. إلى ان حمم وقطع الصمت بقوله :

_ قادر تشوف الشغل يافندم ولا تروح وترتاح
النهاردة؟

رفع عامر رأسه ونظر له بـ سكوت دام للحظات ثم
أجاب :

_ لا انا تمام هات ..

أوما حازم بعملية :

_ تمام

فكرني ب اسمك كدا !

اندهش حازم من سؤاله المفاجئ وتجمد مكانه بذهول
محاوًلاً فهم ما يحدث !

*

*

*

جلست حنين في أحد الأماكن العامة برفقة صديقها
بلال الذي اشتدت علاقتها به مؤخرًا وأصبحا
يتشاركان اهتماماتهما ولوحاتهما وشغفها تجاه
الرسم ..

كانت ضحكاتهما ترتفع وهما يتسابقان في إنجاز
رسمة ما ؛ حيث اتفقا كلاهما على رسم نفس الشيء،
ومن ينته أولًا هو الرابع وسيطلب من الآخر شيئًا ..

تتسارع أقلامهما فوق الورقة بحرص ومهارة أثناء
التحدث في عدة مواضيع أبرزها كانت خطبتها
القديمة :

المهم ان احنا في الآخر متفقتاش يعني .. مع إنا
كان فينا من بعض حاجات كتير من ناحية الشخصية
بس ده مكانش كفاية عشان مش فاهمين بعض، ف
فسخنا

رد بلال وهو منشغل بإنهاء لوحته :
ومزعلتيش؟

ردت بنبرة عادية تمامًا وكأنها تقص عليه حكاية قبل
النوم :

أكيد زعلت .. بس بعد ما قعدت شوية وفكّرت لقيت
إننا فعلا مكناش هننفع مع بعض، انا في حاجات كتير

نقصاني فخر مكاتش مكملاهالي والعكس صحيح، انا
بردو مدتلوش اللي ناقصه ..

_زي ايه مثلاً؟

_يعني مثلاً انا واحدة خلقها ضيق جداً وبتعصب
بسرعة .. هو ميبتاش عليا بس بجد انا معنديش
طولة بال، وفخر عصبي جداً مش من النوع اللي يلمّ
الموضوع ويهدّيني لأ هو بينفعل هو كمان ومبيعرفش
يمسك نفسه ..

وأضافت وهي لاتزال تركز اهتمامها لرسمتها :

_وبصراحة انا عذراه عشان الموضوع بيبقى فعلاً
غصب عنه، ده من كُتر ما بيضغط على دماغه بقت
تجيله حالة نفسية كدا بتخلي إيده تترعش وأعصابها
تقف، وبردو مبيعرفش يبطل عصبية .. ف احنا لو كنا

اتجوزنا كنا هنختلف ونتخاق كثير جدا بسبب إن
مفیش حد بیرخي احنا الاتین هنشدّ

_طب وانتِ معرفتیش تديله ايه بقى؟

تتهدت بیأس وأجابت :

_مكنتش بحتويه! .. كنت بحبه اه بس مكنتش بحس
بيه، كنت فاکرة إن الحب عبارة عن كلام رومانسي
وخروجات وضحك وهزار وبس .. مكنتش بحط
اهتمام لمشاکله ولا اللي بیضايقه، کان یخرج معایا
مرة مثلا وهو متضايق ف احاول انا اخرجه من المود
من غیر ما اصمم اعرف المشکلة واحاول احلها معاه
..

ضحکت ببساطة وتابعت :

بس انا مبسوطه إن الموضوع خِص بهدوء ومن
غير تتشنة أو ضغينة بيننا .. الحياة عبارة عن
محطات وكل واحد يشوف المحطة اللي تناسبه
وتريحُه

وضع لمستَه الأخيرة بقلمه وصاح فورًا :
خُصت خلصت ! ، اقفى خلاص انا كسبت

غمغت حنين بصوت مستاء وقال :
يابن الرخمة ده انا كان فاضل لي حاجات بسيطة!

رد ضاحكًا :

ماليش دعوة انتِ اللي بطيئة

أسندت ذراعها على المنضدة مبتسمة باستسلام :

طب افضل ياسيدي قول .. بس بلاش جو روجي
اشحتي من حد في الشارع ولا وقفي حد قوليله إنك
معجبة بيه وهاتي رقم تليفونه والكلام ده .. اطلب
حاجة عدلة

إيدك من ضمن الطلبات المسموح بيها؟!!

نطق بجملته بكل سلاسة دون مقدمات ودون تردد،
لتتضح علامات الاندهاش على وجهها وتراجع فجأة
للخلف بصدمة، بينما أضاف هو بابتسامة متوترة
بعض الشيء :

انا سألتك على خطيبك اللي فات عشان اجس نبض
إذا كنت بتفكري فيه ولا لأ .. واتشجعت اقول لما
لقيتك بتتكلمي عادي وانت مش زعلانة أو متأثرة

أخضت بصرها قليلاً وزاغت عينيها من حولها بتوتر
وحيرة، قبل أن يستأنف بهدوء :

أنا عارف إنها مفاجأة وعشان كذا أنا مش مستني
أي رد خالص دلوقتي .. خدي الوقت اللي تحتاجيه
وردي براحتك

ضحك بتردد وهو يتابع :

أنا متوقع إنك ترفضني بصراحة، بس أنا متعودتش
أحط في نفسي حاجة، ولو رفضتي هقبل قرارك عادي
.. بس هبقى ممتن لو اديتي لنفسك فرصة نقرب
شوية يمكن ترتاحي

حممت واستجمعت نفسها ثم قالت :

_بلال انا لو رفضت مش هيبقى عشان متعلقة
بالماضي خالص .. انت شاب كويس ومؤدب ومحترم
بس انا لسة مش عارفة عنك حاجات كتير بردو
أجاب بإقناع :

_ماهي الخطوبة بتتعمل عشان كدا .. عشان نعرف
بعض كويس ونحكم إذا كنا هينفع نكمل ولا لأ

رمقته بصمت للحظة ثم سألته :

_ليه انا؟؟؟

سكت قليلاً و زم شفتيه بحيرة ثم ضحك بخفة مجيباً :
_مش عارف .. بجد مش عارف، بس انا مش شايف
غيرك !

ضوت عينيه بلمعة مميزة مردفاً :

_حاسس إن حياتي هتبقى حلوة معاك انت

شعرت حنين بصعوبة التحدث، بل وصعوبة التنفس حتى ..؛ الأمر برمته لم تستوعبه بعد، لم تجد ما ترد به على كلماته اللطيفة، ولم تُرد أن تتعجل في القبول أو الرفض ، لذلك هتفت بهدوء :

اديني وقت افكر !

*
*
*

جلس زياد في مكتبه بصحبة حازم الذي حضر إليه وجلس معه يسرد له ماحدث مع والده ..

**_ابوك بقى تايه! .. طول الوقت ناسي ومش مركز ..
ده نساني انا شخصيًا! ، حتى طريق الشركة نسيه
وتاه وانا اللي كلمته قولتله يمشي ازاي !**

**تعجب زياد ولم يحفل بالأمر كثيرًا وهو يقول :
_ ما يمكن مش نايم كويس**

**_ده مش يوم ولا يومين يازيرو الكلام ده بقاله فترة
.. أغلب الحاجات اللي تبع الشغل ناسيها وبعرفهاله
من أول وجديد كأنه موظف مبتدئ !**

**قطب زياد حاجبيه وتطلع من حوله قليلًا بتفكير وعدم
اهتمام، ثم نظر لحازم عندما أردف بيقين :
_ابوك مش كويس ومحتاج دكتور يازياد!**

أجابه بعدم اكتر اث :

_طب ما يروح.

_انت مالك مكبر دماغك كدا ليه؟

رد زياد بلامبالاة :

_المفروض اعمل ايه يعني؟ ما اللي حاسس إنه
تعبان يروح يكشف! انا مالي!؟

_مالك ازاي؟ مش ابوك ده؟!

رد ببرود :

_بقول لك ايه طالما الموضوع شاغلك اوي روح كلم
بسمة قول لها .. ولو أني أشك إنها هي اللي طيرت
دماغ الراجل بحواراتها وقرفها، بس هي اللي هتهتم
عشان هو الوحيد اللي بيقف بينها وبين فخر، ولو
ابويا فنيخ مش هتلاقي حد تتحامي فيه

ردد حازم باستتكار وتقرز من كلمته الغريبة :

_فَنَ ايه !!

*

*

*

فتحت جهاد باب الشقة بعدما سمعت صوت الجرس
وسرعان ما ابتهج وجهها عندما رآته .. ;حقاً كيف
يستطيع جعل قلبها يرفرف هكذا بمجرد ظهوره!

ألقي نظرة على ملابس البيت التي قابلته بها فقال
بتردد :

_جيت بدري؟

_ لَأ انا اللي مش لاقية حاجة البسها

نيس بملل شديد :

_ بجد ياجهاد !؟

_ والله واقفة قدام الدولار بقالي ساعة مش لاقية
حاجة .. يا إما حاجة عايزة تتكوي يا إما حاجة شفافة
عايزالها من تحت حاجة بردو لازم تتكوي .. يا اما
حاجة بنظلونها اللي لايق عليها في الغسيل يا إما

قاطعها صائحا :

_ ماتكوي يا بنت الكسولة!

ردت بلامبالاة :

_ مش قادرة بقى

طب خلاص، خدي شوفي دي أحسن

نطق عرضه الاخير وهو يمد لها حقيبة مطبوع عليها
شعار أحد المحلات المعروفة، فنظرت لها باستفهام
وقالت :

ايه ده ؟

شوف فيها

رمقته بنظرة عابرة قبل أن تأخذ الحقيبة وتكتشف ما
بداخلها .. اتسعت عينيها ونظرت له بعدم تصديق،
ولم تلبث حتى أخرجت محتوى الحقيبة على عجلة
وكانها تتأكد مما رآته .. بلوزة منقوشة باللون
الأبيض والأسود!

حملت فيها باندهاش شديد ؛لم تتوقع أن يهتم بأمر
بلوزتها التي خربت لدرجة أن يفكر في تعويضها
بأخرى ..!

_ انا عارف هي مش شبه البلوزة اللي باظت بس
اسود في ابيض بردو زيها، وحسيتها هتبقى حلوة
عليك .. لو معجبتيكيش ممكن نبدلها عادي

استمعت له أثناء تحديقها في البلوزة، تراكت
العبرات بعينيها ونظرت له قائلة بصوت مهزوز
يتضح منه أنها توشك على البكاء :
_ دي أحلى من القديمة كمان!

اتسعت ابتسامته وقال :

_ طب كويس والله ده انا كنت خايف متعجبتيكيش

عجز لسانها عن وصف سعادتها ولكنها اتضحت
كالشمس من لمعان عينيها الممتن وحبور وجهها
وكيف ضوت ملامحها بالسرور والغبطة وكأنما فعل
شيئاً لا يصدق!

لم تكن البلوزة بالطبع هي سبب فرحتها، بل تصرفه
بعينه .. اهتمامه وعدم تجاهله للأمر رغم أنها هي
شخصياً نسيته ولم تفتحه معه مجدداً ولو من باب
المزاح حتى .. ولكنه لم يخرجها من رأسه ونزل
بنفسه يدور ويبحث بعناية حتى يجد ما يعجبها
ويناسبها ..

تبسمت بامتنان شديد ونبتت بـ وئه ومحبة :
_ كثير عليا اللي بتعمله ده يافخر

بادلها بابتسامة من تلك الابتسامات الساحرة خاصته،
وأجاب بحب واضح، مشاكساً :

_ انتِ اللي كثير عليا والله ياعيون فخر.

ضحكت بخجل وأبعدت عينيها عنه؛ تحاول السيطرة
على دقات قلبها المتراقصة، ثم قالت :

_ انا هاخذ على رومانسيك دي لعلمك

ضحك ثم أردف بحماس :

_ طب يلا دلوقتي روعي البسي، انا هستناك تحت
وخشي انجزي كدا عشان انا مبحبش استنى كثير

سألته بفضول :

_ هنروح فين؟

_ لما تنزلي هنشوف، يلا روعي دلوقتي

*

*

*

أخذت بسمة خطواتها على سلم المنزل بعدما تجهّزت
للنزل، وهاتفها على أذنها تجري مكالمة مع حازم
وهي تقول :

_ انا لبست وجاية على الشركة خلاص، متخليهوش
يمشي لحد ما آجي

تخطت آخر درجة وهي تقول :

_ لا تمام انا كلمت دكتور عارفينه دلوقتي ومستتينا

اتجهت إلى الباب وهي تختم المكالمة قائلة :

_اوڪي باي

أغلت هاتفها وهي تبسم ابتسامة غريبة وعينيها
تلمع بخبث ينبئ بنية غامضة تستعد لكشفها قريباً

....

*

*

*

استند فخر على مقدمة سيارته في انتظارها، وهو
يعبث بهاتفه بغرض تسلية وقته حتى تهبط من
الأعلى .. قاطع تفحصه اتصال من أحد ما، فلم يتردد
في إجابته هاتفاً :

_ايوة ..

استمع له بانتباه حتى ظهر الاهتمام على وجهه
بوضوح ونبس بلهفة :

_أخيرًا !! ، كل ده عشان تلاقوه !؟

لم يهتم بسماع باقي حديثه وتحرك إلى مقعده وهو
يقول :

_ماشي خلاص، سلام دلوقتي

أغلق الهاتف ثم ركب سيارته وأدار المحرك، وقبل أن
يضغط على دواسة البنزين فوجئ بتلك التي تقفز
بجانبه وتزجره بحنق دون أن تغلق باب السيارة :

_انت ماشي وساييني !!

التفت لها وأجاب :

_ لا انا كنت هكّمك اقول لك إني طلع لي مشوار
وهنزل بعده، واستتيني فوق

_ مشوار ايه؟

_ إياد عرفت مكانه، لازم اروح له قبل ما يختفي

أغلقت باب السيارة وهي تقول :

_ خلاص هاجي معاك

صاح باستتكار :

_ انا طالع رحلة؟!!

_ مش هتروح لوحدك

_ هو انا صغير و لا ايه؟

_ معلى انا كدا هتظمن اكر

أمرها بحدّة :

_ انزلي ياجهاد عشان متخانقش فيك

ردت بحسم و عناد :

_ هاجي يعني هاجي ياخوخة و متناقشنيش عشان انت
عارف إني هتدلع و اتدحلب لحد ما تسمع كلامي

رمقها بغضب مكتوم، بينما طالعتة هي بابتسامة
متحدية متصنعة البراءة باستفزاز، حتى أشاح بنظره
هامسًا وهو يستعد للتحرك :

بكرهك ياچيچي!

*

*

*

وصل إلى الموقع المطلوب وصف السيارة جانبًا ثم
التفت لها يأمرها بجدية :

مش عايز اشوف جزمتهك برا العربية لحد ما ارجع !

أجابت معترضة :

لا انا هاجي معاك

أسرع يسكتها قائلاً بتهديد :

شش ششش صوتك ده ميطلعش خالص .. كلمة
واحدة وهبطح راسك في ازاز العربية دلوقتي !

ضحكت وضمت يديها على بعضهما لتجلس بأدب
ساخر وتخفض رأسها وتتخذ وضعية الفتاة مهذّبة،
قالت وهي تحاول كبت ضحكتها :

حاضر انا آسفة خلاص

تعلقت عينيه بها يرمقها بسخرية وتهكم، فرفعت
عينها له لتتظر له بطرف عينها بكل براءة وأدب ..
أوما مدعيًا تصديق تلك النظرات المخادعة، ثم ترجل
من السيارة وأغلقها عن بُعد بمفتاحها الخاص،
فصاحت بدهشة :

ايه يافخر ده!

أجابها بلامبالاة وهو يضع المفتاح بجيب بنطاله :

احتياطات عادي

رسمت كل معالم البراءة على وجهها وهي تعاتبه
بنبرة مسكينة وحزينة :

بتحبسني ياخوخة بردو؟! اهون عليك؟؟ طب
افرض اتخنقت دلوقتي من الحبسة دي!؟

سار أمام السيارة ليتجه إلى أحد الشوارع الجانبية
وهو يجيبها بعدم اكترات :

الشباك مفتوح يا حربوءة مترسميش عليا
الصعبانيات دي!

يا فخر استنى طيب .. هقول لك حاجة بس

ظلت تناديه ولكنه لم يبال بصياحها وسارع إلى
وجهته تاركًا إياها تثرثر مع نفسها ..

فقدت الأمل عندما اختفى عن بصرها ونفخت بتذمر
شديد ..

دارت عينيها من حولها بتفكير حتى توصلت إلى حل
وحيد كان هو أول ما أتى على بالها ..; القفز من
النافذة!

تحركت وأخرجت رأسها ناظرة إلى الأعلى، ثم
أخرجت يديها لتتعلق بسقف السيارة، ثم أخرجت
نصف جسدها العلوي لتجلس على الحافة وقدميها
على الكرسي داخل السيارة .. فوقفت لتضع قدميها
على الحافة ثم تقفز خارج السيارة وصاحت بانتصار،
ثم ركضت سريعًا لتلحق به

.

.

.

تخطى إيراد درجات السلم الخاص بالبنائية، ثم خرج من
بوابة المدخل إلى الشارع وهو يدخن سيجارة بيضاء
.. كان على وشك التوجه إلى اليمين ولكنه توقف
فجأة عندما لمح فخر على مسافة منه يسير تجاهه
وهو يتطلع من حوله .. لم يجد سوى أن يهرب
ويركض بأقصى ما يمكنه، فرمى السيجارة أرضاً وفر
سريعاً؛ وكان هذا أغبي رد فعل اتخذه، فقد جذب
الأنظار نحوه وأولهم نظر فخر الذي لم يلزمه الأمر
ليعرف أنه هو حتى دون أن يرى وجهه؛ فمن غيره
سيركض عندما يلحظ وجوده؟
لذا لم يقف مكانه وأسرع يلحق به فوراً ..

استمرت المطاردة لوقت طويل بين الناس والزحام
والحارات .. يحاول إيراد الاختفاء عن نظره ولكن
استطاع فخر ترصده جيداً؛ فكان الأمر بالنسبة له
حرب ويصر على الخروج منها فائزاً .. فلت مرة من
خاله ولن يدعه يفعلها مجدداً؛ فغضبه منه لم يندثر
بعد، ولن يفعل حتى ينل عقابه على كل ما سببه لأخته

بعد مسافة طويلة وقد طالت الأمتار بينهما ولكن
راقب فخر مساره جيدًا واستمر بالركض، إلى أن كبح
خطواته فجأة وتصلب بموقعه، عندما وجدته يقف على
مقربة منه وجهاد محاصرة بذراعه ! .. يحيط رقبتها
بيده واضعًا سلاحًا أبيض على عنقها

بدا عليه الإحباط ونفخ بملل وهو يتطلع من حوله
مهممًا بخفوت :

غبية غبية !!

أعاد نظره لإياد وقال بضجر :
فكك من الجو ده وخلينا نتكلم أحسن

رد إياد بسخرية :

وانا هآمن لك ليه من أساسه؟!!

نيس فخر بحنق :

_انت يالا طالما جبان كدا ورايح تتحامى فى
واحدة نفخت نفسك ليه من الأول وقررت تلعب معانا
بعد ما كُنا نسيناك وخلصنا منك؟!

نظرت جهاد من حولها بقلق تحاول إبعاد نفسها عن
طرف السكين قدر مايمكنها، بينما صاح إياد بتبجح :

_عشان ارد اعتباري من اللي عمله فيا عز هو وابوه

ردد فخر بتهكم :

_لا ياراجل!

فيما أضاف إياد متصنعا القوة والجرأة :

**_وعلى فكرة الشلة اللي اتلمّوا على عز وكسروا لك
العربية دول كانوا تبعي .. وعز هو اللي كان مقصود
أصلاً بس انتوا اللي اتدخلتوا وجبتوه لنفسكوا**

**نظر فخر لجهاد بنظرة غامضة سريعة عبّرت عن
فهمه لما يدور بخاطرها وكانت نظرتة تعني بأن
تفعلها ..**

أعاد نظره لإياد وضحك بسخرية قائلاً :

_ده انت زعيم عصابة ماشاء الله

**تلاشت معالم السخرية واحتدت نظراته ونبرته وهو
يردف :**

**_كانت آخر فرصة ليك لما هربت من عز عشان
تشوف حياتك بعيد عنا، بس طالما عملت فيها جامد
ومحدثش قادر عليك استحمل بقى!**

أُتبعَت آخِرَ كَلِمَاتِهِ بِصَرَخَةٍ مِتَالِمَةٍ مِن إِيَادٍ؛ بِسَبَبِ
جِهَادِ الَّتِي عَضَت يَدَهُ بِكُلِّ قُوَّتِهَا، ثُمَّ حَرَكَتْ مِرْفَقَهَا
لِلْخَلْفِ لِتَضْرِبَهُ فِي بَطْنِهِ بِعَنْفٍ، وَسَارَعَتْ بِالْفِرَارِ مِنْ
يَدِهِ فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي هَرَوَلَ بِهَا فِخْرٌ إِلَى إِيَادٍ قَبْلَ
أَنْ يَهْرَبَ وَسَدَدَ لَهُ لَكْمَةً قَوِيَّةً أَوْقَعَتْهُ أَرْضًا....

*

*

*

أَخْلَقَ رُؤُوفٌ هَاتِفَهُ بَعْدَمَا انْتَهَى مِنْ مَكَالِمَتِهِ ثُمَّ تَوَجَّهَ
إِلَى الشَّرْفَةِ الَّتِي جَلَسَ بِهَا عِزُّ بَرِيقَةِ مَرْيَمَ يَحْتَسِيانِ
مَشْرُوبًا سَاخِنًا، وَهَتَفَ دُونَ مَقْدَمَاتٍ :

إِيَادِ اتْحَبِسِ يَاوَلَادِ!

التفتا كلاهما له سريعًا ونهض عز متسائلًا :

_ ده ازاي ده؟

_ فخر لسة قافل معايا دلوقتي وهو اللي قال لي .. كان باعت ناس يدوروا عليه ولما لقاه راحله وخذُه قَدَم فيه بلاغ باللي عملُه وبأيت في الحجز النهاردة

ضحك عز ووجهه يظهر عليه عدم التصديق وهو يقول :

_ دي أحسن حاجة عملها فخر في حياته!

ابتسمت مريم بشرود ؛ليس لوقوع إياد بل لاهتمام أخيها ووقوفه معها وعدم قبوله لأن يمستها شخص بأصغر كلمة .. تنهدت تنهيدة مطولة وتمتمت بصوت مسموع يبدو به التشفي :

_ خد أكثر من وقته اوي .. يارب مايطلع إن شاء الله !

*

*

وقف فخر جوارها بجانب سيارته المركونة بالقرب
من المخفر، وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ويطالعها
بنظرات مريبة، فيما تعمدت هي أن تتحاشى النظر له
ورفعت يديها أمام وجهها وكأنها تتفادى أي ضربة
ستوجه لها، ولكنها لم تتفادى حديثه الحائق :

يعني اربطك عشان تسمعي الكلام ولأ اعمل ايه؟

نظرت له من خلف يديها بضحكة بلهاء، فأمسك بيدها
اليمنى ليجذبها تجاهه وهو ينهرها بغضب :

انا مش قولت تترزعي مكانك لحد ما آجي؟ وخداها
عند ولأ ايه يعني؟

الحقّ عليا كنت عايزة اساعدك؟. انا بعرف ادافع
عن نفسي على فكرة بس هو اللي خدني على خوانة

وافرض كان عمل فيك حاجة يابقرة؟! طالما انا
قولتك حاجة نفذيها وانت ساكتة !

أجابت دون قدرة على التحكّم بضحكاتها الغير مناسبة
مع حدة الموقف :

خلاص طيب متضايقش نفسك، جت سليمة خلاص

صاح بسخط :

بتضحكي على ايه ياباردة !

علت قهقهاتها أكثر رغبًا عنها، وهي تجيب :

_مش عارفة

ناظرها بضجر وترك يدها وهو يزفر بملل، ثم استمع لها تسأله :

_طب هنخرج ولآ اتلغت كدا وهنروّح؟
أجابها بعناد :

_لآ هنروّح عشان متخالفيش كلامي بعد كدا

رفعت حاجبيها باستتكار ونطقت بطريقة هجومية
وكانها تنبئ بافتراسه :
_انت بتعاقبنى!؟

نظر لها بمنتهى البرود وأجاب :
_ايوة.

انكملت باستسلام، وردت بقلة حيلة :
_اللي تشوفه

لم يمنع نفسه من الضحك وقال :

_بحبك وانتِ بتجيبى ورا !

*

*

*

بعد يومين تقريبًا ..

دخل فخر إلى الفيلا بعدما فتحت له سحر فألقى عليها
السلام بابتسامة صغيرة :

_ازيك ياست سحر؟

أجابت بترحيب حار :

_ازيك يا حبيبي عامل ايه واخبارك ايه؟ ، البيت وحش
وانت مش فيه والله

ابتسم بامتنان وقال :

_انا تمام ياست الكل متقلقيش عليا .. المهم القرد
فين؟

_سمعتك ياو غد يافاسق !!

صاح زياد بسبابه حنقاً وهو يتجه نحوه، فطالعه فخر
بعناد وقال :

_لازم تحترم اخوك الكبير ياسفيه يامراهق !

نظر زياد لسحر وقال :

_روحي اعمليله شاي بلبن ياست سحر لو سمحتي

أسرع فخر يحذرّها :

_إياك تقربني منّي الشيء ده !

خاطبه زياد بقرف :

_خليك في التفاح بس ياخويا لحد ما بطنك تزرّع !

ضحكت سحر وانسحبت قائلة :

_هعمل لكوا غدا أحسن عشان تاكلوا مع بعض ..

شكرها فخر بخفوت، ثم التفت لأخيه يقول :

_ايه بقى؟ كَلّمتني ليه؟

البومة

ابتسم بترقب ونطق بتشوق :

طفشت من البيت؟

ليحبطه زياد بقوله :

أ يا حبيبي دي لازقة بـ غرا مش بتمشي

غلب الممل على قسمتات فخر وأشاح بوجهه

باستصغار، فأوضح زياد :

قالت إنها عايزانا في حاجة مهمة وكانت عايزة
مريم بردو بس قولتلها مش هتقدر تيجي، شكل في
مصيبة

انتبها لصوت خطوات نزولها على الدرج .. فنظرا
كلاهما صوبها وراقباها حتى انتهت من جميع
الدرجات ثم سارت نحوهما بثبات ورأس مرفوع
بكبرياء واضح حتى وقفت أمامهما وقالت مباشرة :

_عندي ليكوا خبر مش لطيف أوي ..

وجّها كلاهما انتباههما لها، فصرّحت بوضوح :

_عامر عنده زهايمر واتحجز في مصحة امبارح!
صاحا الاثنان في صوت واحد بتعجب :

_ايه !!

_ده اللي حصل .. وديته للدكتور أول امبارح ومكانش
فاكرني انا أصلا، واتشخص زهايمر ومن مصلحته
إنه يفضل في مصحة وتحت عين الدكاترة ..

انفعل فخر باحتجاج :

_وانتِ ازاي تعملي كدا وتسلميه لمصحة من غير
علمنا!؟

_انا عملت التصرف السليم يابش مهندس! ، ولحد ما
يخف ان شاء الله انا اللي هتولّى كل شغله وأموره

ردد فخر باستخفاف :

_ده بأمارة ايه معلى؟

_بأمارة ده!

أجابته بصرامة وهي تضع بيده ورقة ما، فتطلع لها
واقترب زياد ليراها أيضاً، وقبل أن يكتشفا محتواها
كانت هي أوضحت بالفعل وتحدثت :

_عامر عمل لي توكيل بالتصرف في أملاكه من تلت
سنين بس مرضيناش نقول لكوا عشان كُنا عارفين
انكوا هتعرضوا وتتبحوا كتير وتعملوا لنا صداع ..
بس دلوقتي مضطرة اعرفكوا عشان الظروف اللي
احنا فيها

احتلت الصدمة ملامحها بوضوح ونظر لها زياد
صارخًا :

_مستحيل طبعا !

ردت بكل برود :

_لا مش مستحيل يا حبيبي عادي

ثم استطردت بنبرة مليئة بالاستفزاز والعجرفة :

_كل حاجة دلوقتي بقّت تحت امري ، بما فيهم الفيلا
دي .. يعني أي حاجة ليكوا هنا تلمّوها وتمشوا ..

معاكوا لحد بكرة الصبح تجيبوا اختكوا وتاخذوا
حاجتکوا عشان مش هدخل حد بعد كدا

نظرت لزياد مخاطبة إياه بغطرسة :

_وانت مش عايزة اشوفك في الشركة تاني .. وبلغ
حازم إنه مطرود هو كمان!

ثم نظرت لفخر وأردفت وهي تعنيه بالكلام :

_وياريت محدش يحاول يلعب بـ ديئه عشان
ميعرضش نفسه إني اسجنه !

اتكأت على كلمتها الأخيرة لتثبت أنها تستعد لفعالها
في أي لحظة، بينما وقف الأخوين وكأنما التصقت
أقدامها في الأرض بمسامير قوية .. يحاولان
استيعاب ما وقع على آذانهما للتو وهما يتطلعان
لبعضهما بصدمة وذهول يكاد يفجر عقليهما

يتبع ..

الفصل الواحد والأربعون {تحفة!}

انا مش مصدقة .. هي ازاي بالبجاجة دي؟!؟

نظرت لأخيها مردفة :

وبابا خلاص كدا؟!؟ انتهى أمره؟!؟

رفع زياد كتفيه بعدم معرفة وأضاف صمته إلى صمت الجميع .. لا يجد أحد أي شيء مناسب لقوله لذا كان الصمت سيد الموقف، إلى أن اعترضه فخر وهو يأتي من الداخل وصوته مختلطاً بصوت اصطدام كوب زجاجي بالحائط :

الهيّة دي بتعلم عليّا انا وتقلّ منّي كدا؟!؟ ..
بتتحداني انا وعاملة نفسها جامدة ! ، اقسم بالله ما هسيبها أم ريحة مصننة !!

تتهد رؤوف بسأم وقال :

_يا بني ارحم نفسك بقى عروقك هتطق!

**نفخ بقوة واتخذ أقرب مقعد له وارتمى عليه محاولاً
التقاط أنفاسه المتسارعة؛ أثر انفعاله .. فيما تحدث
عز بعقلانية :**

**_ممكن نفكر بشكل عملي بقى شوية ونشوف هتعملوا
ايه النهاردة؟ .. بسمة كدا كدا ده مش آخرها
وهنشوف لها صرفة، بس لحد ما نشوف انتوا
المفروض فعلاً تاخدوا حاجتكم من هناك ومحدث
يحتك بيها خالص لحد ما نلاقي حل**

نظر فخر لخاله ونبس معتذراً :

**_انا اسف على الكباية اللي اتكسرت ياخالي معلى
محسيتش بنفسى والله، هقوم الم الإزاز دلوقتي**

ابتسم رؤوف ببساطة قائلاً :

فداك المطبخ كله يابشمهندس، انا بردو هتفرق
معايا كباية؟!

ابتسم له فخر بهدوء، بينما تساءلت مريم مخاطبة
أخويها :

طب وبعدين؟ هنبات فين؟

ردد زياد بلامبالاة :

في شقة فخر

رد رؤوف :

وهتتاموا فين؟ فخر باع اللي فيها

التفت زياد لأخيه متسائلاً بدهشة :

_ انت فضيت الشقة خلاص!؟

أجاب فخر بضجر :

_ ايوة مفيش غير الاوضة اللي بنام فيها

نبس زياد وهو يمط شفتيه باستنكار :

_ وحبكت معاك دلوقتي!؟

باده فخر نفس النبرة قائلاً باستخفاف :

_ وانا كنت عامل حسابي إنها هتعمل كدا!؟

اقترح عز قائلاً :

_ خلاص مريم هتفضل هنا زي ماهي وزيرو ينام

معايا في اوضتي

علا صوت زياد يحتج بشدة :

_ لَأَمْشِ مُوَافِقًا طَبَعًا أَنَا مُبَسْتَحْمَلٌ شَخِيرًا!

أجابه عز باستحقر :

_ أنت تطول أصلاً؟

_ مَشْ عَائِزٌ أَطُولُ يَا خُوِيَا أَنَا أَنَامُ عَلَى الرَّصِيفِ
أَحْسَنُ!

أوقف فخر جدالهما وقال :

_ خَلَاصٌ خَلَاصٌ، زِيْرُو هِيْجِي مَعَايَا

نظر زياد لأخته وقال :

_ اَعْمَلِي حَسَابَكَ فِي أَوْضَةٍ نَوْمٍ تَانِيَةٍ لَمَا تَتَجَوَّزِيهِ
عَشَانْ هِيْطَفْشَكَ!

أمسك عز جهاز التحكم الخاص بالتلفاز، وألقاه عليه
صائحًا :

_ اقطم يالا !!

*

*

*

دخل حازم من باب شقته ثم أغلق الباب بعد دخوله
وسار بساحة البيت بضع خطوات، كان يبدو على
وجهه التبرّم والإحباط ولكن تسالت ابتسامته لوجهه
عندما لمح صغيره يركض إليه بحفاوة مُرحبًا به،
فاحتضنه بحماس قائلاً :

_ عامل ايه وحشتني

أجاب عبدالله بضحكة صغيرة :

_وانت كمان .. جبت لي الشوكلاتة اللي قولتلك
عليها؟

ضرب حازم جبهته قائلاً :

_اخ! نسيت

عبس الصغير وقطب حاجبيه بضيق وقال :

_انت مبقتش مهتم بيا على فكرة

_الجُملة دي بتاعة امك انا عارفها !

فهقه عبدالله وقال :

_ايوة انا غشيتها منها

ضحك حازم بهدوء وقال :

_طب وعد هجيبهاك بكرة، خلاص؟ .. أمك فين بقى؟

صاح باعتراض طفولي :

_ايه امك امك كل شوية! متبقاش vulgar (بلدي)
يا بابا

فغر حازم حدقتيه بصدمة :

_حد يكلم ابوه كدا؟!

تشنج وجه عبدالله باستهزاء وحرك رأسه يميناً
ويساراً بتهكم ليغيظه، فضربه حازم من خلف رأسه
ليرد رأسه للأمام بخفة وهو يقول بتوعدّ :

_هفضى لك بعدين!

انتبها كلاهما لصوت مي التي خرجت من غرفتها
وهي تنهر عبدالله قائلة :

_ لسة صاحي يا عبدالله!! انا مش قولتلك نام من
ساعتين!؟

ارتفعت ضحكاته وركض سريعًا إلى غرفته تجنبًا
لصراخ والدته، بينما ضحك حازم بخفة ونظر لها بعد
اختفاء عبدالله بالداخل، وخاطبها بخفوت :

_ عاملة ايه؟

_ الحمد لله

استمع لردها الروتيني وهو يجلس على الأريكة
بتثاقل ويتهد بهم، مما أثار تعجبها وجعلها تتوجه
للجلوس بجواره وتسأله باهتمام :

_ مالك يا حبيبي شكك متضايق

وجّه بصره نحوها ورمقها بصمت تام للحظات، قبل
أن ينطق دون استخدام أي مقدمات :
_مفيش شغل تاني.

تغير وجهها إلى التساؤل :
_يعني ايه؟

رسم ابتسامة واسعة بسخرية وهو يجيب :

_يعني هقع جنبك يا حبيبيتي .. هونسك طول النهار
والليل ومش هتحرك من فوق الكنبه!

هتفت بذهول :

_ليه حصل ايه؟!

*

*

*

تخطت الساعة منتصف الليل حتى دقت الثالثة صباحًا

..

اتخذ فخر الجانب الأيمن من السرير مستلقيًا على ظهره بسكون، يضع ذراعه على عينيه يغطيها؛ بعد إصرار زياد على ترك الأضواء مفتوحة ..

وتمدد زياد بالجانب الأيسر على ظهره يضع كفيه على بطنه وعينيه تحدقان في السقف بشرود ..

فوفًا !

ناداه زياد وهو يدير رأسه إليه بعدما أفاق من شروده، ليجده يغمغم دون أن يتحدث :

_مم

_انت نمت؟

سأله بغباء، فأعاد فخر غمغمة للمرة الثانية بعدم
اكتراث..

عاد زياد ينظر للأعلى وهو يقول :

_تفتكر ابوك عامل ازاي في المصحة دلوقتي؟

رد بخفوت وهو لايزال ملتزمًا بنفس وضعيته :

_الله أعلم

أُكيد زمانه بيندم على اليوم اللي جاب فيه بسمة
البيت

أبعد فخر يده عن عينيه وهو يجيب بعدم اهتمام :
مش لما يفكرها الأول!

تململ زياد ليستلقِ على جانبه ناحية فخر وهو يقول:
انا مش فاهم ازاي جاله زهايمر فجأة كدا !

رد فخر بلامبالاة وهو ينظر في السقف بتخمين :
مايكن عنده من زمان بس كان خفيف وزاد دلوقتي

تطلع زياد من حوله قليلاً ثم قال بجدية :
انت عارف اللي قاهرني بجد ايه؟

وجّه فخر بصره له بانتباه، فرد زياد بانكسار :
_ ان انا كنت هقبض بعد بكرة!

ثم أردف بحسرة :

_ مكانش ينفع تستنى يومين بس وبعدين تطردني؟!
منها لله

_ طب نام بقى عشان انا عندي شغل
_ انت بتدّني عشان بقيت عواطلي؟

ضحك فخر باستفزاز :

_ ايوة

_طب هات ٢٠٠٠ جنيه سلف بقى عشان انا كنت
متفق مع ياسمين ننزل نختر جهازنا مع بعض
ومينفعش انزل من غير فلوس

رقه فخر باستتكار وأجابه باستهزاء :

_ال ٢٠٠٠ دي آخرها تجيب لك طقم كبايات
ومعلقتين.

_مالكش دعوة انا هتصرف

_متفكرش تطلب مني جنيه واحد لحد ما اتجوّز .. انا
بجهاز زيي زيك ومش هصرف فلوسي عشان تملئ
بطنك بـ الشاور ما بتاعتك

اتسع فم زياد بضحكة بلهاء :

_قفشتني!

قفتك طبعا ما انا عارف ان التلت شهر خالصوا
والدكتور قال لك خلاص ارجع زي الأول وما هتصدق
تفتري.

أكد زياد بعزم :

ايوة طبعا هفتري ده انا محروم!

روح خُد من عز، فكك مني خالص لحد ما استقر في
بيتي ان شاء الله

صاح زياد بصدمة درامية :

انت بتفضل خطيبتك عليا؟؟

أجابه دون أدنى اكترات :

انا لو معايا مصاصة هفضلها عليك عادي

عاد زياد لوضعه الأول وتسطح على ظهره مجيبًا :
_أصيل يافوقًا

ضحك فخر بهدوء حتى تبقت ابتسامة صغيرة على
وجهه .. شرد قليلًا ودارت عينيه بين أرجاء السقف
متذكرًا إياها .. عينيها الواسعتين وشعرها الأسود
الطويل وضحكتها الصافية ..

قاطع شروده صوت زياد وهو يسأله باهتمام :

_على كدا مبسوط معاها؟

اتسعت ابتسامته دون أن يشعر ولمعت عينيه بلمعة
مميزة لا تظهر إلا لتعلن عن حبه الجارف :

_مبسوط لدرجة إني كل ما بشوفها بحس قلبي
بيرقص.

ضحك زياد باتساع وعكس وضع جسده ليتمدد على
بطنه ويُسند مرفقه على السرير ثم يضع يده على
وجنته وهو يستمع له كمن يستمع إلى قصة :

_الفوضى اللي بحس بيها في دماغي هي بترتبها ..
التفكير الكثير لما بياكل دماغي بيهدى أول ما اسمع
صوتها أي شعور مُريح بحسّه هي السبب فيه

بقت عينيه معلقة بالسقف وكان عقله خلق له
صورتها أمامه، وضحك بخفة عندما تذكر أسلوبها
العفوي معه، مستطردًا :

_بتعاملني كأني ابنها ! .. تيجي لي الشغل تديني
سندوتشات .. تكلمني تسألني فطرت ولأ لأ .. اتغديت
ولأ لأ .. حد من اصحابك ضايقك في الشغل؟ اوعى
تكون بتسوق بسرعة! .. متاكلش أكل من برّا كثير
عشان صحتك .. خلي بالك من نفسك ومن حاجتك
لاحسن حد يسرقك ... ايه رأيك تتغدى من ايدي
النهاردة؟

قهقه بخفوت ونظر له متابعًا :

_مع إنها على قدّها خالص في الطبخ بس بتحاول
عشاني

ضحك زياد متسائلًا :

_انت كلت من ايديها قبل كدا؟

لما روحت اتقدمت لها أصرت اقعد وتعمل لنا
نجرسكو انا واخوها

وكانت حلوة؟

أي حد هيدوقها مش هينبهر يعني، بس عشان هي
اللي عملتها حسيت إنها أحلى حاجة كلتها في حياتي

وافقه زياد قائلاً :

انا اتفق في الموضوع ده .. ياسمين مرة عملت لي
سمك ومكانش حلو بس كنت مبسوط وانا باكله عادي

همهم فخر بضحكات خافتة قبل أن يعود ليشرد في
اللاشيء من جديد .. اختفت ضحكاته تدريجياً بينما
غرق عقله في عدة أفكار ; أفصح عنها بعد ثوانٍ من
الصمت :

_انا بس زعلان إنها مش واثقة في حبي ليها .. طول الوقت خايفة وحاسة إني هزهق واسيبها، مع إن والله ده صعب عليا أكثر منها ..

عارف إن ده طالع من قلة ثقتها بنفسها وعقدتها من حكاية أهلها السخيفة دي، بس انا نفسي تتخطى وتنسى بقى ..

انا عايز اطمئننا .. عايز احسّسها إن أنا طول الوقت موجود وأول واحد هيجري يلحقها لو وقعت، عايزها تتأكد إنها مش قليلة زي ماهي فاكرة وتستاهل حد يتمسك بيها ويستغنى عن الناس عشانها

لم يلبث زياد حتى فصل الحوار عن حديثه، صائحا بسخط :

_إلا ما جيت مرة قولت في حقي كلمة تبلّ الريق! .. كله لجهاد بس، وانا اللي عايش معايا أكثر منها

رمقه فخر بحنق ثم دفعه فجأة بقدمه ليوقعه من فوق
السريير، وهو يقول :
_يلا يا ض من هنا!

نهض زياد من على الأرض وهو يحدجه بغضب،
والتقط الوسادة ليضربه بها في وجهه مرتين بكل
قوته :

_قاعد مع عجل .. عجل كبير !!

أمسك فخر بوسادته وألقاها عليه بعنف، هاتفاً بعناد :
_طب برّا بقى! محدش هينام على السريير ده، شوف
لك علبة تونة اتزنق فيها يلا
نيس زياد متوعداً وهو يغادر الغرفة :

والله لـ ابوظ لك الجزمة بتاعتك وابقى ورّيني
هتروح الشغل ازاي

رفع فخر صوته ليصل له صائحًا بتهديد :
قربّ منها وهتشوف شُغلك معايا يازياد !

*

*

*

خرجت مريم إلى ساحة الشقة الفارغة والهادئة
تمامًا، مرتدية منامة من اللون البنفسجي ذات أكمام
مكتملة، وقع بصرها على الشرفة المفتوحة لترى عز
جالسًا وسط سكون الليل يحتسي مشروب
"النسكافيه"، ترددت قليلا أتذهب إليه أم تعود إلى
الغرفة .. حتى استقرت في النهاية على التقدم صوبه
ودخلت بهدوء وهي تقول بصوتها الناعم :

ينفع اقطع خلوتك حبة؟

تسللت ابتسامته إلى وجهه بمجرد سماع صوتها
والتفت لها قائلاً بترحيب :

__ ده يابختي!

ضحكت بلطافة واتخذت الكرسي المقابل له، تطفّلت
نسمات الهواء على شعرها فأخذت تحركه كما يحلو
لها .. انتبهت له عندما أشار على وجهه بشكل عام،
قاصداً السؤال على وجهها الذي لم تختفِ إصاباته
بعد :

__ اخبارك ايه دلوقتي؟

أجابت بهدوء :

__ هي بتوجعني لو دوست عليها شوية بس احسن من
الأول بكتير طبعاً الحمد لله

ردد نفس كلمتها بخفوت :

_ الحمد لله.

ثم سألتها :

_ ايه اللي مسهرك؟

_ مش عارفة، بفكر كتير والنوم طائر من عيني ..

نظرت إلى الشارع بشرود، تنهدت بهمّ مردفة :

_ احنا حياتنا كلها من يوم ما اتولدت وهي متوترة
يا عز، بحاول افكر وقت كنت حاسة فيه بهدوء بس
مش لاقية .. مش عارفة ليه الاستقرار صعب عندنا
للدرجة دي!

ظهر الحزن بعيونها الزرقاء حينما نظرت له تقول

بكرب وضيق :

_ انا محتاجة ارتاح شوية، ليه أبسط حاجة زي ديّ
مستحيلة كدا؟

طالعتها بشفقة وحاول البحث عن كلمة تساعد في
تهوين الأمر ولكن لم يجد، على أي حال مجرد
الكلمات لن تُجدِ نفعًا ..

_ اقول لك حاجة بس متعلقش عشان هتكسف

انتبه لها عندما نطقت عبارتها بنظرات مترقبة،
فابتسم وأوماً بالموافقة :

_ قولي

أخذت بضع لحظات في الصمت، قبل أن يتغير لمعان
عينها إلى التشوق والحماس وهي تفصح عما تصبو
إليه ببعض الخجل :

_ انا مستتية اوي نروح بيتنا ونقعد لوحدنا في هدوء
بعيد عن الدوشة وبعيد عن الناس كلها .. نشرب شاي
وناكل ايس كريم ويبقى معانا كذا قطقوطة يلاعبونا
ويجروا حوالينا

اتسعت ابتسامته بحب واضح ولم يعلّق كما رغبت،
وهتف بشيء مختلف :
_ طب ايه رأيك نعمل أكل بُكرة وتتعلمي حاجة جديدة؟

ضحكت وسألته :

_ هتعلمني ايه؟

اقترح عليها قائلا :

_جلاش بالحمة؟

ابتسمت وأعلنت القبول :

_حلو ماشي

ساد الصمت لبرهة وهما يتطلعان إلى الشارع، تذكرت
مريم شيئاً ما فالتفتت له تسأله بنبرة مازحة :

_انت بجد بتشخر وانت نايم؟

رمقها بيأس، ثم قال :

_الواد ده عايز يخرب علينا على فكرة مترميش
ودانك ليه

ارتفعت قهقهاتهما معاً وبقيتا لوقت طويل يتسامران
بعده مواضيع مختلفة ...

*

*

*

نهار يوم جديد ..

•
_ هو انا مش هخلص منك بقى ولا ايه؟

هكذا تحدثت بسمة بملل وعجرفة وهي تهبط على
الدرج لاستقبال فخر؛ الذي أجابها باستهزاء :
_ انا اقدر استغنى عنك يا قلبي؟؟

انتهت من الدرج واقتربت منه حتى وقفت أمامه
بثبات، لتستمع إلى صوته الحاد يقول :

_ انتِ متوقعة إني هسيبك تبرطعي في القيلا كدا
واعمل عبيط؟

_ انتِ اللي قررت تلعب معايا من الأول وتخسرني ال
beauty center بتاعي .. شوفت عشان نيتك مش
صافية خدت ايه دلوقتي بداله؟؟
ضحك بمنتهى السخرية وقال :

_ لأ ما هي لو بالنيات انتِ مكنتيش هتحصلي عشة
فوق السطوح!

عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تسأله بنفاد صبر :
_ انتِ جاي عايز ايه؟

رد ببرود وعدم اهتمام :

_ جاي اقول لك إني لسة من خمس دقائق كنت برفع
قضية حجر على ابويا، وانتِ هتخسري!

رفعت حاجبيها تهكمًا وردت بصدمة ساخرة :

_وعامل فيها ملاك ومفيش منك اتين؟؟

رمقها باستصغار وظل صامتًا يحدقها بنظرات مريبة،
إلى أن تحدث بهدوء :

_فاكرة يا بسمة الفيديو اللي اتصور في اوضتي
وقولت لك هلاعبك بيه وهدّيه لعامر بيه بمزاجي؟

سكتت فعلم أنها تتذكره جيدًا، وبقت تنتظر باقي
حديثه حتى استرسل ببرود :

_الفيديو ده ورّيته له من فترة طويلة وهو
مواجهكيش الله أعلم ليه .. بس حتى لو كان عمل لك
توكيل كان زمانه راح لغاه ساعتها بعد ما شاف وشك
الحقيقي

ثم أضاف :

_ ولو افترضنا إنه مضى عليه وهو في حالته دي ، ف
العقد ده مالوش لازمة لو متوثقش في الشهر
العقاري .. ولو ابويا كان راح وشافوه هناك تايه
ومش واعي كدا مكانوش هيسجلوا العقد .. فيما معناه
من الآخر إن التوكيل ده مزور ومن قبل حتى ما
اكسب قضية الحجر انتِ هتروحي في حديد وشّ أول
ما افتح بؤي!

لأنت بصمت غريب لم بيدُ منه رد فعل واضح، فقط
نظرات جامدة لا تحفل بشيء ; حملت بعض السخرية
عندما ردت :

_ متعملش نفسك احسن منّي وانتِ رايح تحجر على
ابوك.

_ انا بحجر على ابويا عشانك انتِ مخصوص! ،
عشان احافظ على فلوسه منك

__ ده على أساس إنك مهتم اوي بيه وخايف عليه؟؟

ابتسم باستفزاز مجيبًا :

__ لا يابسة ده عند فيك مش أكثر

تصنعت البراعة في نبرتها وهي تقول :

__ انت ليه فاكرنى وحشة اوي كدا؟! ده بردو جوزى

وأكيد هحافظ على فلوسه زيك

كرر كلمتها بمنتهى الاستهزاء :

__ جوزك؟! .. جوزك ده بتروحي ترميه فى مصحة فى

يوم وليلة عادى كدا من غير ما يغمض لك جفن؟

ضيقّت عينيها ساخرة :

متحاولش تقتعني إنك متأثر عشان انا وانت عارفين
اللي فيها كويس ..

اقتربت منه خطوة ونظرت بداخل عينيه وهي تقول
بيقين تام :

انت مبتحبش ابوك يافخر ولا عمره هيصعب عليك
ولا هينول منك أي اهتمام ..

لم يظهر على وجهه تعبير يخبرها بشيء محدد،
ووقف جامدًا يحدقها بصمت، بينما استطردت هي :

انا عارفة إنك من جواك عايز تشكرني عشان
خلّصتك منه وهيختفي شوية من حياتك .. مانتاش
مجبر تعيش دور الابن البار عشان هو كدا كدا
ميستاهلش، هو اللي كرهك فيه من الاول وقفل أي
باب بينكوا، يستحمل نتيجة أفعاله بقى! انت مش

مضطر تخاف عليه وتمثّل إحساس مش طالع من
قلبك فعلاً

*

*

*

عندها حق، مش هضحك على نفسي .. انا حقيقي
مش حاسس بأي حاجة ناحية اللي بيحصل
هكذا وجّه فخر الحديث لجهاد التي جلست بصحبته
في مكانهما المعروف; كورنيش النيل ..

عينيه زائغة في الفراغ، نبرته حزينة وتائهة، داخله
مهزوز تمامًا كاهتزاز كيانه في صغره كلّما واجه
قسوة أبيه ..; الصراخ والضرب والإهانة وتلك الحياة
الغير آدمية التي شهدا ولا يزال يحاول تخطيها ..

أجل انتهت ولكنها لاتزال محفورة برأسه، لم ولن
تتركه مهما فعل ..

_ابويا نجح بجدارة إنه يبعدني عنه ... الشخص اللي
المفروض اجري عليه وقت ما احتاجه هو أول واحد
بهرب منه

خرجت كلماته بتأثر واضح، وابتلع ريقه متابعًا
بصوت متحشرج :

_انا حتى مجاش في دماغي أسألها عن مكان
المصحة اللي هو فيها .. انا بحاول اقتنع نفسي انه
فارق معايا عشان محسش إنني وحش، بس مش
عارف .. مش لاقى ذرة صغيرة جوايا واقفة معاه
عشان عمره ما عمل حاجة حلوة افكرهاله ..

ظلت عينيه مصوّبة إلى اللاشيء سابقًا في الماضي،
وابتسم بسخرية ومرارة :

_مش فإكر له غير الضرب الغبي اللي كنت باخذه كل
يوم والتاني لأسباب تافهة .. وجسم امي اللي مكانش
بيلحق يخف أصلًا عشان يكمل عليه من غير ما يتأثر
ثانية واحدة .. ولأحبسته لزياد وهو عنده اربع سنين
في الضلّمة باليومين عادي لولا ان امي كانت بتبوس
ايد عشان يطلّعه ..

شعر بغصة مؤلمة بفؤاده والتفت لها لينظر لعينيها
التي ترمقه بعطف وأسى، وأردف :

_عمرنا ما صعبنا عليه يا جهاد! وانا غصب عني مش
عارف ادّيله حاجة مشوفتهاش منه ..

أخذ شهيقًا عميقًا ثم زفره على مهل، سكت قليلًا أثناء
صمتها لتترك له فرصة التحدث براحة ..

ظهرت عليه قلة الحيلة وهو يقول :

لما كنتِ بتتكلمي عن البيت والأسرة والولاد
وشوفتك قد ايه متحمسة انا مرضتتش اتكلم عشان
عارف نَفْسك في ده قد ايه ومرضتتش احببك ... بس
لو عايزة الحقيقة انا مرعوب من فكرة الأطفال دي!

بدا التوجس والتردد فوق محياه، وهو يفسر لها :

مش ضامن اذا كانوا هيجبوني ولا لآ! .. خايف
معرفة اربّهم صح ويكبروا وهما مش قريين منّي
.. خايف اكون بدين عقدي جوايا وبنكرها، بس تطلع
عليهم هما وانا مش حاسس بنفسي

بادرت بهز رأسها نفيًا أكثر من مرة، وتحدثت
بمحاولة انتشاله من قلة الثقة بالنفس قبل ان تتمك
منه :

مستحيل ده يحصل يا فخر، صدقني مستحيل .. كونك
بتفكر كدا أصلًا معناه إنك عمرك ما هتبقى وحش

معاهم .. انت حنين وقلبك أبيض ناحية اللي
متعرفهمش، هتيجي عند ولادك اللي حته منك
وهتعاملهم وحش؟!!

مدت يدها له لتتمسك بكفه وابتسمت له ابتسامة
مريحة وهادئة، ونطقت بيقين :

_ انا متأكدة إنك هتبقى أحسن أب فى الدنيا ..
عارف ليه؟ .. عشان انت الوحيد اللي عرفت تعلقني
بيك وتحسّسني معاك بالأمان .. وزي ماكنت حنين
عليا هتبقى أحنّ وأطيب معاهم كمان

شدت احتضانها لكفه بين أصابعها الناعمة، اتسعت
بسمتها الجميلة وأردفت بامتنان :

وقت ما حسيت إني مرفوضة كنت انت الوحيد اللي
فاتح لي بابك.

رددت بهدوء وعينيها لا تحيد عن بنيّته، ترسل له
حبها المتدفق من خلال نظراتها :

انا كل حاجة حلوة في حياتي اتجسدت فيك انت
وبس يافخر .. مفيش إحساس جميل حسيته إلا وكنت
انت السبب فيه

نبرتها الصادقة أشعرته بإحساس مختلف لم يعرف
ماهيته، ولكنه مريح .. فقط مريح!

ضحكت بمشاكسة وداعبته بغمزة صغيرة، تبعثها
عبارتها المميزة :

you are my_ خوخة.

غلبته ابتسامة هادئة مسرورة حملت الكثير من
الارتياح والسكون، وحرّك يده ليتعلق هو بكفّها بدلاً
من تمسّكها به، ونبس بعشق جارف :

انتِ أجمل هدية نولتها في حياتي يا جهاد

نجحت عبارته في رفرقة ضحكتها الواسعة على
وجهها، حتى انغلق جفنيها من فرط اتساعها
وأشاحت وجهها عنه خجلاً وسعادة ..

*

*

مر يومان لم يتغير بهما الحال كثيرًا؛ فخر وزياد كما
هما يتشاركان الغرفة ويقضيان الليل كله في الشجار
والعناد كالأطفال الصغار، بينما لاتزال مريم تمكث مع
خالها مما جعل علاقتها بعز تتوطد أكثر من ذي قبل ..

استقرت الأمور إلى حدٍ ما ولم يحدث جديد، حتى
حضرت إحدى الليالي الهادئة ..

خرجت ياسمين من غرفتها إلى صالة الشقة، مرتدية
منامة مكشوفة الأذرع والكاحلين؛ حيث يصل
السروال إلى أسفل ركبتيها ..

وقع بصرها على والدتها الجالسة أمام التلفاز، والتي
ما ان رأت ابنتها قادمة نحوها حتى صاحت بسخط :

مالك يابت عمالة تخسي كدا ليه؟ مجوعاكي انا ولا
ايه؟!!

زفرت ياسمين بملل من هذه الكلمات المعتادة التي
لا تنفك تقع على مسامعها كلمت مرّت أمام والدتها،
وقبل أن ترد بشيء سمعتها تتابع :

_كُلي واتخني شوية متخلّيش الواد يطفش منك ..

لوت ياسمين شفيتها بعدم اهتمام واتخذت مقعدًا قريبًا
وهي تقول :

_سيبك مني انا والواد دلوقتي .. انا عايزة اسألك
حاجة

_ايه؟

طرحت ياسمين سؤالها باهتمام :

_انتِ بطلّتي تروحي لخالو عامر ليه؟

رمقتها ناهد بطرف عينيها :

_ومناسبتُهُ ايه السؤال دلوقتي يعني؟

حركت كتفها بلامبالاة :

_كنت بفكر بس ولاحظتك مبتروحيش

ردت ناهد بعدم اهتمام وهي توجه بصرها للتلفاز :

_اتقفلت منه من يوم ما كان موافق على حبسة فخر
في الجراج .. اتخنقت خلاص مش مستحمله سواده
وقلة ضميره

_ورأيك هيبقى ايه لو عرفتي إنه في مصحة دلوقتي؟

نظرت لها وردت باستنكار :

_فين ياختي!؟!

فيما أكدت ياسمين بقولها :

**_في مصحة .. خالو عامر جاله زهايمر ودخل
مصحة!**

حدقتها ناهد بعدم استيعاب ونطقت بتعجب :

_انتِ بتهزري ولّا ايه؟

بدت الجدية على وجه ياسمين وهي تجيب :

_لأ، زيزو لسة قافل معايا وحكى لي

تقدمت بجسدها للأمام وهي تتحدث بعدم فهم :

**_زهايمر ايه اللي جالُه يابت ما انا سايباه بيتنطط زي
الأرانب ومفهوش حاجة !**

الموضوع ظهر من فترة صغيرة وبقي يتوه وينسى كل حاجة حتى اللي يعرفهم، ف اضطروا يحجزوه في مصحة من يومين كدا

انتفضت ناهد من مكانها فورًا والتقطت هاتفها من المنضدة المنخفضة المقابلة لها، تحرّكت صوب النافذة وهي تبحث عن رقم معين لتهاثفه .. طلبته ما ان وجدته ورفعت الهاتف على أذنها في انتظار الرد استمعت لإجابته بـ "الو" فتحدثت بغضب :

ايوة يافخر! ، انت ازي متقوليش اللي حصل ده أول ما حصل؟! ، وازاي توذي ابوك مصحة بالساهل كدا؟
انت جراك ايه؟؟

.

.

كان يقود سيارته بيده اليمني ويمسك الهاتف بيده اليسرى، وهو يجيبها ببرود :

_مش انا اللي وديته ياعمتي انا اتفاجئت زي زيّك

ردت باستخفاف :

_بمعنى؟

_مش هعرف اتكلم في التليفون، لما اجيلك نتكلم

_وانت هتسيبني بأكل في بعضي هنا لحد ما تيجي؟

صف السيارة بجوار الرصيف حينما وصل لمقصده،
وأجابها :

_هما ساعتين ثلاثة بالكثير

اعترضت قائلة :

_كثير يا فخر مش هستنى ساعتين تلاتة على
موضوع مهم زي ده
أجابها بنفاد صبر :

_خلاص كلمي زيزو انا مش ناقص صداع، سلام

لم ينتظر منها ردًا وأغلق الهاتف وهو يتمم باختناق:
_عيلة هم كلها

تفحص هاتفه لبضع لحظات ثم طلب رقم جهاد، لم
تتأخر في الرد فقال :

_ايوة يا جهاد انا تحت، انزلي

أجابته قائلة :

_طب اطلع عايزة اوريك حاجة قبل ما نمشي

تساعل بفضول :

_حاجة ايه؟

_اطلع بس وهتعرف

*

*

وصل أمام باب شقتها وقرع الباب مرتين، استمع
لصوتها من الداخل يجيب دون أن تفتح الباب :

_ايوة يافخر استنى

تطلع من حوله قليلاً ملتزمًا الانتظار، ثم سمعها
مجددًا تأمره :

_غمض عينك

قطب حاجبيه باستغراب وقال :

هتُكَبِّي حاجة في وشِّي ولا ايه؟

اسمع الكلام ومتفتّحش إلا لما اقول لك

اهو ياستي خلّصينا

تحدث بملل وهو يغمض عينيه .. خيم السكون
للحظات حتى سمع صوت الباب يُفتح بتمهّل، وألحقه
صوتها تخبره بأن يفتح عينيه .. فاستجاب لها،
وسرعان ما اتسعت عينيه بدهشة عندما فوجئ
بمظهر جديد تمامًا، وغلبته ضحكة واسعة، صائحًا
بعفوية :

الله ياجهاد ايه ده!!

مرتدية البلوزة الجديدة التي اشتراها لها مع بنطال
قماشى أسود اللون .. وليس الغريب بهذا بل بالحجاب

الأبيض الذي يغطي شعرها .. لأول مرة يراها ترتدي
حجابًا !

كانت تلقه بانتظام وبشكل مرتّب وأنيق .. أضافت
الكحل لعينيها كما العادة، ورسمت ابتسامة مترقبة
على وجهها متحمسة لرؤية رد فعله الذي لم يخذلها
؛ فكان يحدقها بإعجابٍ قويٍّ وضحكة مندهشة ..
ابتسمت بدلال وخاطبته بنعومة :

_ شكلي حلو؟؟

نيس بانبهار شديد :

_ تحفة !

سعدت بسماع هذه الكلمة المتوقعة .. تلك تحديدًا هي
ما انتظرتها ..

كلمة عادية تُقال على لسان الكثيرين، ولكن يكمن
التمييز في نبرته وهو يلفظها، وكمّ الحب الكبير الذي
يظهر بصدقته البديعتين وهو يقولها ..
لطالما أحست بخروجها من قلبه وكيف يعنيه حقاً

ابتسمت له بهدوء وقالت :

_ انا مكنتش بتكلم خالص عن الموضوع ده بس انا
بقالي كتير بفكر فيه وكنت مترددة .. ولما فكرت
بعمق كتير اتأكدت ان الشيطان هو اللي عايز
يحسني إنها خطوة صعبة مش اكثر، ف عندت
وعملتها ..

ثم أضافت بعقلانية :

_ أصلاً لو فكرنا ،بعد إنه فرض أكيد، هلاقي إنه
أساساً مش هيمنعني عن أي حاجة عايزة اعملها،

اللي بعمله وانا بشعري هعرف اعمله وانا بالطرحه
عادي، ف ايه حجتي عشان ملبسهاش؟ .. و اه انا
بحب شعري بس مش لازم الناس تشوفه يعني، ما
احبُه انا في البيت مع نفسي، انا محتاجه رأي الناس
في ايه؟

ذهل كثيرًا من حديثها، و ردد بعدم استيعاب :

_ثواني .. يعني ده قرار نهائي؟؟

ابتسمت وأومات مرتين، لتتسع ضحكته الحماسية
أكثر وهو يقول :

_يعني هتنزلي معايا كدا دلوقتي!؟

انبسطت ابتسامتها وأعدت تحريك رأسها بتأكيد أكثر
من مرة ..

برزت ضحكته على محياه بشدة، حتى ظهر صف
أسنانه بأكمله، ولاتزال الدهشة محفورة على وجهه
; لا يصدق تلك المفاجأة ولا يصدق رؤيتها بتلك الطلّة
الخلّابة ..

مرر أنامله بين خصلاته يعيد شعره للخلف وهو يقول
بعدم تصديق :

_ يانهار ابيض على الجمال يا جهاد! ، انا مش لاقى
حاجة توصف سعادتي دلوقتي بجد

ضحكت برقة وهي تراقب بهجته وإشراقة وجهه ..
نظراته مسرورة كمن نال جائزة ثمينة .. يوافق نفسه
بأنه كان محققاً عندما نعتها بتحفة ; تلك أقل كلمة
تصف روعتها وسحرها ..

نطق بنبرة مهزوزة من فرط الابتهاج، وعينيه تشرق
بسعادة وافتخار :

انا فرحان بيك اوي !

ابتسمت بخجل، ثم نبست عابثة :

شطورة ها؟

قهقه بصخب، وبادر بالإجابة بحسم :

شطورة طبعا يا عيون فخر

ضحكت ضحكة واسعة مفعمة بالحيوية والحماس، ثم
قالت :

طب قول لي الجملة اللي بحبها

ابتسم لها برزانة، وحبُّه ينطلق من مقلتيه يكاد يملأ
به البناية بأكملها، ونطق ببحته المميزة والرخيمة
الهادئة :

دمتِ بهية يا أثيرة الكحل.

يتبع..

{game over} الفصل الثاني والأربعون

خرجت ناهد من مطبخها وهي تحمل طبقاً من الفاكهة
لتضعه على المنضدة المنخفضة المقابلة للأريكة
التي يشغلها زياد، وهي تخاطبه بحنق :

_بقي الافندي اخوك يجبرني مروحش اجيب الحرياية
دي من شعرها بعد كل اللي عملته؟! ، ايه خايف
عليها ولا ايه??

تطلع زياد من حوله بملل ؛فهي لم تكف عن الشرثرة
بنفس الكلمات منذ أتاها فخر من أسبوع مضى
وأخبرها بكل الأمور التي حدثت، وأضحت تزجره بين
الساعة والأخرى لإصراره على منعها من مواجهة
بسمة ..

نظر زياد لياسمين المنشغلة بهاتفها باهتمام شديد لا
تتصت لأي كلمة من حولها، ثم أعاد نظره لعمته
وقال:

**_ياعمتي هنقعد نقتعك لحد امتي؟ ، مرواحك للست
دي مش هيفيد بحاجة خالص ؛ده هيخليها تحطنا في
دماغها زيادة .. ودلوقتي كمان هي عاملة فيها
صاحبة البيت، يعني مش بعيد تتهمك إنك بتتهجمي
عليها في بيتها وتحبسك**

**صرخت فجأة بصوت مرتفع جدًا جعله يفرع في
مقعه:**

_بيتها ايه !!

فأسرع يوضح :

_مش انا مش انا, انا بتكلم على لسانها بس

**اتخذت مقعدًا للجلوس وهي تنفخ بغضب وعينيها
تتطلق بشر كفيل بإعدام بسمة حتى آخر أنفاسها :**

_والمصحة اللي راحها عامر دي فين؟

_معرفش مقالتناش

ردت باعتراض :

_وساكت عادي؟!

رفع كتفيه بلامبالاة :

_مش هترضى تقول لحد، وانا مش هتحايل عليها
يعني

تحدثت ياسمين أخيرا بعد صمت طويل :

_مينفعلش تنسوا بسمة شوية وتخليكوا معايا؟! انا
متوترة وموقع النتيجة مش عايز يفتح وهطُق !

أجابها زياد بعدم اهتمام وهو يلتقط موزة من طبق
الفاكهة :

ياستي ما كدا كدا ناجحة

لم تحفل به وعادت تتلاعب بهاتفها وهي تفرقض
أظافرها بقلق واضح، حلق بها زياد لبرهة وهو
يقشر الموزة، ثم أكل أول قضة منها ونبس ببرود :

تصدقي بالله لو طلعتي جايبية امتياز بعد المناحة
اللي عملتيها طول الامتحانات دي لـ اجيبك من شعرك

امتياز !

نطقت كلمتها وهي تبدل نظرها بينه وبين أمها بأعين
متسعة بعدم تصديق، فتقدم زياد بجسده للأمام
بانشده :

ايه؟؟

نهضت واعتلتها ضحكة واسعة خلطت بين صدمتها
وفرحتها، وأكّدت :

_مكتوب امتياز بجد !

كان أول رد فعل خرج من ناهد هو ضحكة مندهشة
ألحقتها بزغرودة طويلة عبّرت كثيرًا عن سعادتها،
بينما ضحك زياد ونهض إليها قائلاً وهو يجذبها
لأحضانه :

_يابنت الجزمة يادحيحة!

قهقهت وأحاطت خصره بهدوء وهي تستمع له :

_الف مبروك يافراشة، صبرتي ونولتي

خرجت من عناقه مجيبة :

_الله يبارك فيك يامطرع

ثم التفتت لوالدها التي اقتربت لتضمها بقوة :

_مبروك يا حبيبي انا كنت عارفة انك هتقدري

تعملها، الف الف مبروك

بادلتها ياسمين العناق وابتسامتها تحتل محياها

ببهجة :

_الله يبارك فيك ياماما ربنا يخليك ليا ...

*

*

*

في أحد الأماكن العامة ذات الطابع الهادئ والجدران
الزجاجية التي تسمح لنور الشمس بالدخول، كان
يجلس فخر وحده يتحدث في الهاتف مع أخته وهو
يقول بابتسامة صافية :

الف مبروك، ابقى باركيها بالنيابة عنّي لحد ما
اشوفها

أجابته مريم بعملية :

الله يبارك فيك، المهم انا بكلمك عشان اقول لك إننا
نازلين النهاردة انا وهي وميّ عشان هي يعني عايزة
تحتفل وتتبسط شوية، عايزاك تكلم جهاد تقول لها
تيجي معانا

خلاص تمام هبلّغها .. هتنزلوا امتي؟

وقع نظره على الباب الذي دخلت منه جهاد، فختم
مكالمته مع مريم قائلاً :

_ طيب ماشي .. سلام

قبل أن يغلق الهاتف فوجئ بها تلقي حقيبتها على
المنضدة وتجلس أمامه بوجه متجهم بشدة، ترتدي
بلوزة من اللون الأخضر القاتم وبنطال واسع من
اللون الأسود مع حجاباً مرتباً من نفس لون البنطال،
ونطقت قبل تبادل أي سلام :

_ انا انفصلت من الشركة!

قبل أن يعطها أي رد فعل كانت سبقته هي بانفعال
شديد :

مرات ابوك اللي يشيلها ويحط عليا واشوفها
مشلولة ومش لاقية كرسي بعجل تقعد عليه يارب! ،
جت الشركة وشافتني وقالتي مستغنيين عن خدماتك

سكت فخر قليلاً يراقب أنفاسها المتسارعة من
الغضب، ثم رد بمنتهى الهدوء :

شيء متوقع جداً يعني .. انا استغربت إن الخطوة
دي اتأخرت أصلاً

ردت بحنق :

ماهي مكانتش تعرف إني بشتغل هناك

قال ببديهية :

ولما شافتك وعرفت طبيعي ده يكون رد فعلها، انت
حارقة دمك ليه؟

نفخت بقوة وأشاحت بنظرها غضبًا، بينما تحدث هو
مُحافظًا على نفس هدوءه :

_متزَعِّيش نفسك خلاص، كدا كدا الوضع ده مش
هيستمر والشركة قريب هتبقى تحت ايدي انا
وهترجي تاني متقلقيش ..

التفتت له ورمقته قليلاً بصمت، ثم زفرت وقالت
بمئل :

_بقول لك ايه ماتجوزني بقى!

عَلت ضحكاته بعنف، وقال يجاريها :

_يلا بكرة

عَبس وجهها وهي تقول :

_مش بهزر

ولكنه قابلها بالضحك، وقال :

طب الشقة مخلصتش

ردت بلامبالاة :

مش مهم، نخلصها واحنا مع بعض

تبقت على وجهه ابتسامة مُحبّة وقال :

والله انا لو عليا ياچيچي كنت قولت لك نعملها
النهاردة قبل بكرة كمان، بس الشقة مبهدة وحالتها
متسُرّش، ولازم يوم فرحك تدخل بيتهك وهو جاهز
ومترب ومش ناقصه حاجة عشان تحسّي بفرحتك ..
مش تتجوزي من هنا ويوم صباحيتك تتبهدي في
ترتيب الشقة وقرفها من هنا !

ربتت على يده لتقول بعدم اهتمام :

انا راضية مالکش دعوة

عاد يقهقه مجدداً وهو يقول :

_ايه اللي كبرها في دماغك كدا مالك؟

_عشان انا طماعة .. عايزة اشوفك طول الوقت،
الساعتين بتوع كل يوم دول مش واكلين معايا
ضحك برزانه وأسند ذراعيه على المنضدة ليقترب
بجسده منها قليلاً وهو يهامسها عابثاً :

_والله بموت فيكِ

لم تستطع منع ابتسامتها الخجولة من الظهور فوق
ثغرها، تبادلت معه بضع نظرات من الحب، قبل أن
تلاحظ دفتره بجواره يعتلي المنضدة ففغرت عينيها
بحماس وضحكة واسعة :

_كتبت لي حاجة؟

ابتسم قائلاً :

_ نبيهة.

ضمت كفيها ببعضهما بحماس، وهي تردد بتشوق
شديد :

_ ورّيني ورّيني

ابتسم إعجاباً بلامحها التي أضاعت فجأة متناسية ما
كان يغضبها منذ قليل .. ؛هي تسعد كثيراً بتلك
الخواطر والعبارات التي يغازلها بها وكأنه يمنحها
هدية ثمينة ..

يجزم أنه يكتب لها خصيصاً ليرى لمعان البهجة الذي
يتخلل عينيها بهذه الرقة ..

أزاح الدفتر بهدوء ناحيتها، ثم أبعد يده وظل ساكنًا
يطالعها بابتسامة صغيرة تخبرها بأن تمسك دفتره
وتستكشفه كما تريد ..

ترددت في ذلك ولم تقترب منه؛ فهي تعلم تمامًا مدى
أهمية الدفتر له وعدم سماحه لأحد بأن يلمسه نهائيًا
..

ناظرها بتشجيع لتفتحه، فابتسمت عندما شعرت بما
يريد قوله ..؛ بالفعل غير مسموح لأحد بذلك .. ولكنها
استثناء!

هي تعني له كل شيء ولن يمانع في تعرية أسرارها
ومشاعره أمامها من أكبرها لأصغرها ..

مدت يدها للدفتر بهدوء وفتحته، نبشت بين الصفحات
بتمهل حتى وصلت لآخر صفحة تحتوي كتابة ..

صبت تركيزها لخطه المرسوم بعناية في الكلمات
المدونة :

"سِحْرُ عَيْنِيهَا يُبْحِرُ بِي إِلَى أَعْمَاقِ لَيْسَ لَهَا
نِهَآيَةٌ ..

وَقَدْ ضَعْتُ هُنَاكَ وَلَمْ أَفَكِّرْ يَوْمًا فِي طَرِيقِ
الِهْدَايَةِ"

أشرفت الضحكة محياها ولمعت عينيها بسرور شديد،
رفعت عينيها له لتقول بامتنان ومداعبة بنفس
الوقت:

__ انا بحبك ياخوخة والله.

اتسعت ابتسامته بهدوء .. ;هدوء لا يتناسب مع قلبه
الذي يقفز بين ضلوعه في تلك اللحظة .. صوتها

المحبيب لقلبه وهو ينطق أكثر الكلمات التي تطرب
أذنيه؛ لن يطلب أكثر من ذلك

_صحيح! .. البنات نازلين النهاردة يحتفلوا بـ ياسمين
عشان نجحت، ايه رأيك تروحي معاهم؟

تحدث عندما تذكر إعلامها بالأمر، فتجولت مقلتيها
من حولها قليلاً ثم رفعت كتفيها بتردد :

_مش عارفة يعني ممكن يكونوا عايزين يبقوا
لوحدهم، مبحبش اتقل على حد
رد باستنكار شديد :

_تتقلي ايه هما يطولوا تخرجي معاهم أصلاً؟ ، وعلى
فكرة هما اللي قالولي اعرض عليكِ تروحي .. بلاش
حساسية دول اخواتك مش أغراب

ابتسمت بارتياح وأومات بهدوء، التفتت لظل
الشخص الذي اقترب من طاولتهما، فرفعت عينيها له
وسرعان ما اندهشت وضحكت قائلة :

__ ايه ده طنط سحر!

نهضت لتبادلها سلامًا حارًا بينما قابلتها سحر
بحفاوة:

__ ازيك يا جهاد؟ اخبارك ايه يا حبيبيتي؟

__ الحمد لله ياطنط اتفضلي

عرضت عليها الجلوس بالمقعد المجاور لها،
فاستجابت سحر وجلست ونظرت لفخر :

__ عامل ايه يا بشمهندس؟

رد بابتسامة صغيرة :

الحمد لله

سألته جهاد :

انت مقولتليش إنها جاية ليه؟

فسرر قائلاً :

كانت مكلّماني وقاتلي عايزة تشوفني قوت لها
تيجي دلوقتي تقعد معانا شوية

نظرت لها جهاد بابتسامة ترحيبية، ثم تساءلت :

اوعي تكوني مشيتي من القِلا انتِ كمان

ردت سحر بيأس :

طبعا .. هي كانت هتسيبني قاعدة هناك بردو؟؟

لوت جهاد شفيتها بتذمر وهممت بقرف :

ولية قرشانة صحيح

التفتت سحر لفخر وقالت :

انا كنت عايزة اشوفك عشان اوريك حاجة بس

بحثت بحقيبتها البسيطة ثم أخرجت منها علبة غريبة
وأعطتها له، ثم قصت عليه حكاية صغيرة :

علبة الدوا دي انا من يجي شهر ولا شهر ونص كدا
شوفتها فى اوضة بسمة لما كنت بنضف، ولما دخلت
هي وشافتني خدت بالي منها، اتكهربت وركبها مية
عفريت ولا كاني قتلت لها قتيل وقالتلي ده دوا مهم
بتاع عامر بيه وجاي من برا واياكي تقربي منه
وتهديدات كتير مالهاش آخر .. وبصراحة انا
استغربت بس سكتت عشان انا بردو ماليش حق
اتدخل، بس قبل ما امشي بقى بيومين كدا لقيتها
مرمية في الزبالة .. مكنتش هاخدها بس بعد عمالها

دي فكرت ان الدوا ده ممكن يطلع مخدرات وّلا حاجة،
وممكن يساعذك تكسر مناخيرها وترميها في مصحة
هي كمان وتخلص منها

تناول العلبة وأدارها بين أصابعه بتفحص ليستكشف
ما هو مدوّن عليها، فأضافت سحر :

__ انا لقيت اللي مكتوب عليها كله انجليزي معرفتش
اقرا ده بتاع ايه بالظبط

__ مضادات اكتئاب !

أخبرها بهوية الدواء، قبل أن يرفع بصره لهما ويردد
بتعجب واستنكار :

__ ابويا كان بياخد مضادات اكتئاب؟ .. او مال احنا
نروح نشنق نفسنا بقى وّلا ايه؟!!

خمنت جهاد قائلة :

_مش ممكن تكون بسمة اللي بتأخدها؟

عاد يتطلع إلى العلبة بعدم اهتمام لبضع لحظات، إلى أن أتى بباله شيئاً ما، فظهر على وجهه الانتباه ونظر لهما قائلاً :

_مايكن تكون دي اللي جابت له زهايمر !

تساءلت سحر بتعجب :

_هي بتجيب زهايمر؟

أجاب بعدم يقين :

_مش متأكد بالظبط، بس انا اعرف إنها غلط على اللي سنهم كبير .. لو هو اللي كان بيأخدها والزهايمر من آثارها الجانبية يبقى هيّ السبب أكيد

سألته جهاد :

_طب ونتأكد ازاي؟

التقط هاتفه استعدادًا لطلب أحد الأرقام، وهو يقول :

_هسأل عز ...

*

*

*

_انا معجبة بجرائتك إنك تجيلي لحد هنا !

وجّهت بسمة كلماتها باستصغار لناهد الواقفة أمامها
بساحة القيلا، فردت ناهد باستهانة :

_ وانا هخاف منك ولا ايه!؟

قالت بسمة بحدة وعينيها تنبئ بلمحة تهديد :

_ اه ياناهد لازم تخافي!

**حاولت ناهد السيطرة على أعصابها قبل أن تقوم
بقتلها، وتحدثت بهدوء :**

**_ بصي انا مش جاية اتخانق فيكي عشان مالوش
لازمة، انا جاية اسالك عامر فين وهمشي**

أجابتها بعدم اهتمام :

_ يهّمك اوي يعني؟

ردت ناهد ببرود :

يهمني اه، عشان ده اخويا .. معلىش انت متعرفيش
حاجة عن الأخوة والعيلة والحاجات التافهة دي

اعتلت بسمة ابتسامة جانبية متهمة :

قال يعني انتوا عيلة بتخافوا على بعض اوي
وعندكوا أصل !

ضحكت ناهد بسخرية :

بنتعلم منك

رمقتها بسمة بصرامة ورفعت أحد حاجبيها، فأردفت
ناهد بملل :

متماطليش كتير يابسمة وانجزي .. انت مش فارقة
معايا ولا جاية اعمل معاك مشاكل، هو سؤال واحد
وعايزة إجابته من غير رغي كتير!

*

*

*

دي عزة خطيبة اخويا ..

عرّفت جهاد الفتيات على عزة، ثم قامت بالعكس
وعرّفتها عليهم قائلة :

دي مريم اخت فخر خطيبي، ودي ياسمين مرات
اخو فخر، ودي ميّ مرات صاحبه

تبادلت عزة معهم السلام بابتسامات نقية وترحيب
حار، قبل أن تتساءل مريم :

ها هنروح فين بقى؟

نظرت لها ياسمين بتردد وقالت :
_ انا هقول حاجة بس محدش يضربني

التفت الجميع لها فأردفت :

_ بصراحة انا قولت نازلة احتفل عشان اضحك على
زيرو بس .. لكن انا نازلة اختار كام حاجة من
جهازى أصلا وعازية اجيب سجادة كمان، وجايباكوا
تختاروها معايا .. ولو فضل وقت ممكن نقعد في حطة
بس او عدوني ميوصلش لزياد خالص إني جبت حاجة
.. لما ترجعوا تقولوا إننا خرجنا وبس

سألتها مي بعدم فهم :

_ طب ليه كل ده؟

**عشان هو كان متفق معايا ننزل نشوف الحاجات
سوا، بس لو نزل معايا مش هيرضى طبعًا يخليني
ادفع حاجة وهو أصلًا ساب شغله، والله أعلم هيرجع
امتى .. وانا مش عايزاه يحط نفسه تحت ضغط عشان
انا عارفاه لو معهوش مش هيقول معهوش وهيزنق
نفسه ..**

أومات مريم وهي تجاريها :

**كلام جميل، بس هو هيشوف السجادة في بيتكوا كدا
كدا**

**هقول له ماما اللي جابت بقى .. لو مش قادرين على
الف والكلام ده خلاص نأجلها مش مشكلة عادي**

ردت جهاد :

لا انا تمام، وممكن اجيب معاكي لجهازي انا بردو
لو عجبتي حاجة

ابتسمت ياسمين بحماس ؛ لوجود مشارك لها في
رحلتها :

حلو جدا

نظرت مي لمريم وقالت :

ما تجيبي انتِ كمان بالمرّة!

ضحكت مريم مجيبة :

لا انا لسة مش دلوقتي، لما نتخطب ان شاء الله

بدلت مي نظرها إلى عزة وقالت :

وانتِ خلصتي ولا لسة يا عزة؟

ردت عزة :

_ لا أنا مش محتاجة جهاز الحمد لله، شقة مروان
جاهزة ومش ناقصها حاجة

فقالَت مريم :

_ ايوه بس أكيد في حاجات عايزاها جديدة أو حاجة

أجابت عزة وهي تقبل باطن يدها مرة ثم ظهر يدها
مرة أخرى؛ تعبيرًا عن الرضا :

_ ولا جديدة ولا قديمة الحمد لله كذا زي الفل .. دي
جت من عند ربنا، انا مش حمل الصداع ده

_ اومال ايه اللي معطّكوا بقى؟

أجابت بكل سلام ولامبالاة :

_ عشان هو عيّل ملاوع وبيتسلى بيا

ارتفعت الضحكات منهنّ، واستتكرتها مريم :

_ ومكّلة معاه؟!!

أجابت بتوعدّ وهي تضحك بثقة :

_ مستتياه يجيب آخره عشان اطلع عليه كل القديم
والجديد.

*

*

*

بأحد محلات السجّاد والذي يضم مختلف الأشكال
والألوان الجذابة، وقفت ياسمين بجوار مريم وعزة
يتأملون السجاد باعجاب وحيرة، وبادرت عزة
باختيار واحدة :

_ انا حاسّة ان دي حلوة اوي

ردت ياسمين :

_ هي بردو عجباني بس ألوانها متنفّش للأسف

فخطابتها مريم :

_ طب حددي الألوان اللي انتِ عايزاها

_ بصي هي ألوان الشقة على بيچات، وانا وزيرو

اتفقتا ان العفش بتاعنا هنجيبه نبيتي ، ف انا عايزة

حاجة بيچ وممكن يبقى فيها حاجات نبيتي صغيرة كدا

.. أو ممكن بيچ بس عادي المهم تبقى حلوة ..

على مقربة منهم شردت جهاد مع مي في حوار

جانبي ;بدأ بتأفف جهاد وهي تحك رأسها :

_ الطرحة دي مش مُريحة خالص حسّاها بتأكل
دماغى

ضحكت مي وقالت :

_ مش فكرة الطرحة، انتِ اللي لسة متعودتيش .. مرة
بـ مرة هتاخدي عليها ومش هتضايقك

تجاهلت الأمر وسألتها :

_ ماعلينا .. المهم اخبارك ايه انتِ وعبدا لله ومستر
حازم؟

_ سايباهم الاتنين في البيت ..

تتهدت عندما تذكرت حال زوجها المتغير، وقالت :

_ حازم مش مبسوط خالص من يوم ما مشى من
الشركة، هو من النوع اللي بيحب يشتغل على طول،

مش بيطبق قعدة البيت .. وفخر قال لنا أصلاً أنه
وضع مؤقت بس مش عارفة افكّه ازاي لحد ما
يخلص

_ ارقصي له!

خرج ردها دون تفكير، فضحكت مي قائلة :

_ ده اللي هيفرفشه يعني??

فأجابت بثقة :

_ طبعاً، كل الرجالة بتحب كدا

ضحكت مي بخفة وسألتها :

_ وأخبار الراجل بتاعك انتِ ايه؟

لمعت شفيتها بابتسامه عريضة وقالت :
_حبيب قلبي طالع عينه في الشقة والله عشان
يظبطها في أسرع وقت ..

ابتسمت مي من نبرة الدلال والحب التي غلبت حديثها
وقالت غامزة :

_واقعة انتِ
فردت بفقدان أمل من نفسها :
_ده انا غرقانة !

قهقهت مي بعنف، ونبست :
_لدرجة دي؟

بادلتها جهاد الضحك بقلة حيلة، قبل أن تسمعها
تتساءل :

_عاجبك فيه ايه أوي كدا؟

_كل حاجة عجباني، من ساسه لراسه كدا عاجبني!
عمري ما بصيت لعيوبه ولا خدت بالي منها أساسًا

ابتعد بصرها إلى الفراغ وتعلوها ابتسامة هائلة وهي
تتحدث بحب :

_كفاية إنه مبيسبنيش لداغي .. مبيديش فرصة
للتفكير الوحش يتمنّ منّي، أول ما بيشوفني قلقانة
بيلحقتي على طول ويقول لي إنه بيحبني ويحب
يشوفني وفرحان معايا

نظرت لها وواصلت بتتيم وصبابة :

_ انا كمان عايزة ابسطه، عايزة اعوضه عن اللي شافه وهو صغير واحسسه قد ايه انا بخاف عليه وعايزة اريحه ..

تتهدت بحزن وأردفت :

_ بجد يامي انا مش بتمنى أي حاجة في الدنيا غير إن ربنا يريح قلبه وينسيه كل اللي مآثر فيه ده بأي شكل .. انا بدعي كل يوم يجعلني سبب في فرحته وراحته وأول واحدة يروح لها ويسند عليها

التفتت لمريم التي تدخلت بينهما وقالت :

_ بترغوا في ايه من غيرنا !؟

التفتت لها جهاد وقالت :

_ كنت بقول إني عايزة اجيب هدية لفخر وكنت لسة هاجي اسألك هو محتاج ايه أو نفسه في ايه

وزعت مريم أنظارها في الأرجاء بتفكير مطول ولكن
لم يخرج عقلها بشيء وقالت :
_ مش جاي في دماغي حاجة

_ مقالش قدامك عايز حاجة خالص؟

تعمقت في تفكيرها أكثر، حتى تذكرت شيئاً ما وقالت:

_ اه .. كان قال لي من قريب ان النضارة الشمس
بتاعته اتكسرت وعايز يجيب بدالها .. بس هي غالية
شوية، لو ميزانيتك متسمحش فكك منها

_ سيبك من الفلوس، المهم انت متأكدة إنه لسة
مجابهاش يعني؟ بدل ما اشترى ويطلع جابها في
الآخر

_ لا متقلقش هو مش ناوي يجيبها دلوقتي خالص

تساءلت بتعجب :

_ اشمعنا؟

_ عشانك!

قطبت حاجبيها بتعجب أكبر :

_ عشاني ازاي؟

ابتسمت بخفة وقالت :

_ قال لي ان كلّ جنيه أولى إنه يتدفع في تجهيز بيتكوا
أكثر من أي حاجة تانية

صمتت جهاد وشقت الابتسامة طريقها إلى وجهها
;ابتسامة سعيدة عاشقة وخجولة .. وتحدثت :

_ طب بصي، انا عايزة منك خدمة

*

*

*

مرت فترة لا بأس بها حتى حضر اليوم المحدد لحفل
تخرج ياسمين، حيث حضر معها زياد وناهد وجلسا
وسط الحضور يراقبانها وهي تتجه إلى المنصة
بضحكة سعيدة ومتوترة بنفس الوقت، مرتدية الرداء
الأسود فوق فستان رقيق من اللون الأزرق، وقبعة
التخرج تعلق شعرها المنسدل على كتفها ..

تتعالى أصوات التصفيق من الجميع خاصةً ناهد
الجالسة تصفق بحرارة، بينما زياد بجوارها يرفع
هاتفه بيمناه ليصوّرها ويسجل تلك اللحظة، ويده
اليسرى يضمّها لشفتيه ليخلق صفيراً عالياً ..

استلمت ياسمين شهادتها، ثم أخذت صورة رسمية
بجوار أساتذتها .. وبعد التقاط الصورة التفتت لتنظر
لهما واتسعت ضحكتها عندما رأت فرحتها بها
الحماسية .. ثم تحركت لتقف بجانب زملائها الذين
تجمعوا لأخذ بعض الصور التذكارية ..

.

.

بعد انتهاء الحفل وخروجهم إلى ساحة الجامعة،
التفت لها زياد وهو يعطيها باقة كبيرة من الزهور
ويقول :

الورد بتاعك

ابتسمت وضمته لصدرها بهدوء، ثم نظرت لوالدتها
وخاطبتها هما الاثنان بمرح :

_حسيت شكلي عبيط اوي

سارعت والدتها بالإنكار :

_خالص يا حبيبيتي ده انتِ كنتِ زي القمر

وأضاف زياد بملل :

_متحسيش تاني بعد اذنك

ثم قال فوراً:

_المهم هنروح نحتفل وناكل شاورما ولا ايه؟

همهت ياسمين :

_كنت مستتية الجملة دي والله

واستطردت :

_بس متتساش إنك مبتشتغلش ووفر فلوسك شوية

رمقها بملل و ردّ بقرف :

_متشكر على المعلومة الجديدة دي

بينما ضحكت هي وقالت :

_انا عاملة عليك بدل ما تشحت

_والله يابنتي انا كان على عيني اخذك ونروح نختار
جهازنا بقى و ننجز بس البومة منها لله وقفت حالي ..
انا ماشي دلوقتي في جيبي ١٣٠ جنيه باين!

قهقهت ياسمين، ثم تساءلت ناهد :

_وانتوا سايبين لها الشركة كدا عادي؟

لا متقلقيش انا بتواصل مع الموظفين اللي هناك من
وراها ومتابع كل جديد ..

نظر لياسمين وقال :

فُكنا من الرغي ده دلوقتي، روجي اقفي يلا عشان
اصورك

ردت بعدم اهتمام :

لا مبجيش اتصور، خلاص خدنا ذكرى وخلاص

أجابها ببرود :

انا مباحدش رأيك، ده أمر!

ابتعد للخلف قليلاً ورفع هاتفه، فزفرت بعدم حماس
ولكنها استسلمت لطلبه، فيما عادت ناهد للخلف

لتفسح المجال للكادر بأخذ ابنتها وحدها، وقفت
ياسمين بثبات تضم الورد وتضحك للصورة بهدوء ..

ركز زياد في أخذ الصورة بزاوية مناسبة، وهو
يضيق عينيه؛ لصعوبة الرؤية في ضوء الشمس ..
التقط صورتين ثم أنزل الهاتف وقال :

_ انا مش عارف اشوف كويس بس هي أكيد حلوة

_ طب صوّرنى انا وماما بقى ..

ثم نظرت لوالدتها :

_ ماما تعالى ..

تحركت ناهد صوبها ووقفت بجوارها، فالتصقت بها
ياسمين واحتضنتها بذراعيها، فابتسمت ناهد
وأحاطت خصرها بيدها ..

ابتسم زياد والتقط الصورة ثم هز رأسه برضا :
_حلوَة

ثم خاطب عمته :
_دوري يا حماتي

ضحكت ناهد وسارت صوبه لتتبادل معه الأماكن،
أخذت منه الهاتف بينما وقف هو بجانب ياسمين
وهامسها قائلاً :

_مش هقبل بحُضن أقل من بتاع ماما بعد اذنك

وكزته في كتفه وهي تضحك، قبل أن تنظر إلى
الكاميرا وتضم نفسها له قليلاً بوضعية مناسبة،
وبدوره أحاط كتفها بذراعه ويده الأخرى في جيبه
;وقد برز فرق الطول بينهما ورأسها الذي بالكاد
يصل لصدره، فعلق قائلاً :

مش كنت لبستي كعب كبير بدل ما انت مش محصلة
كتفي وعاملة زي اختي الصغيرة كدا؟!

رددت بمنتهى الملل واليأس :

ارحمني بقى!

*

*

*

خرج فخر بصحبة المحامي من قاعة المحكمة للتوّ
بعد الإعلان رسمياً عن كونه القيم على أملاك والده
وإغلاق قضية الحجر لصالحه ..

_مبروك يا بشمهندس

نطق بها المحامي بهدوء، فنظر له فخر بابتسامه
صغيرة :

_الله يبارك فيك يامتر، متشكر جداً لتعبك معايا

_ولا تعب ولا حاجة، تحت أمرك

ابتسم له فخر بهدوء وأوماً بامتنان واضح

- .
- .
- .

ركب سيارته _بعدها ترك المحامي_ ، وضع الهاتف
على أذنه ليستمع إلى صوت جهاد عبر الخط تقول :

_ على فكرة مروان زعلان إنك روحت للغريب
ومدتلوش هو القضية

ردد بدهشة :

_ وانتِ رايحة تقوليله ليه ياغبية؟؟

نبتت جهاد بسخط :

_ انا مش فاهمة انت عامل فرق ليه؟

_ ولا فرق ولا حاجة ياستي، بس انا عارفه مش
هيرضى يأخذ أتعاب، وانا مبرتاحش وفي حد له عليا
جمایل

استتبط من نبرتها أنها تودّ صفعه الآن وهي تقول :

_ طب متتكلمش تاني بقى عشان مقومش ارمي الدبلة
في الزبالة دلوقتي!

ضحك بشدة وقال :

_ انا قولت ايه؟

لم تحفل، وسألته بجدية :

_ المهم انت فين دلوقتي؟

_ في العربية .. هروح للمحامي بتاع ابويا اعرف منه

كل حاجة تخصه عشان ابقى دريان بالدنيا

_ ما كنت وكتته هو القضية، أكيد كان هيقف معاك لو

قولت له الحكاية

أجاب بعدم اكتر اث :

_ مبنقش في حد تبع عامر بيه

**_طب خلص مشوارك ولما تقعد وتروق كلمني عشان
اوريك الحاجات اللي جبتها**

**سمع نبرة الحماس من نبرتها، فلم يُرد تثبيطها
وأوضح الاهتمام في نبرته وهو يسألها :**

_اطربني ياكروان، جبت ايه؟

**كانت بالفعل ترغب بالتحدث من سرورها الشديد
بشرائهم؛ فما ان استمعت لسؤاله حتى تحدثت فوراً
وكانها كانت تنتظره :**

**_جبت طقم حل تلت مقاسات شكلها حلو اوي، بتلمع
كدا ولونها احمر .. وأطباق صيني وطاسة جرانيت،
وجبت كاتل وسكرية شكلها كيوت اوي .. وبرا
المطبخ بقى جبت بيجامتين يهبلوا بجد، وجبت**

طرحتين بر دو عشان انا لحد دلوقتي مشترتش غير
اسود و ابيض وهما اللي ماشية بيهم .. ف جبت واحدة
بيج و واحدة منقوشة كدا

رد عليها بابتسامه ونبرة حانية :

_مبروك عليك ياچيحي تعيشي وتجيبي .. بس هدي
مصاريك شوية انت لسه مرجعتيش الشغل.

_وانت فاكرني مفضية اوي يعني؟؟ انا متعودة
احوش من زمان الحمد لله ومعايا مبلغ محترم ..
هيكفي ان شاء الله اجيب التلاجة والميكرويف وشوية
تاني من رفايع المطبخ، ولما ارجع الشغل باذن الله
هشوف الباقي

_والله انا مطلبتش منك حاجة أصلا، معرفش مصممة
تجيبي ليه وتصدعي نفسك

الاسعار اوفر اوي يافخر انت هتجيب ايه ولا ايه؟
سيبك من الجدعة الزيادة دي وخلينا في المركب سوا
؛انا هرتاح واحنا بنتعب مع بعض .. وبعدين لما نجيب
احنا الاتنين هنخلص في سنة بدل ما تخلص لوحدك
في سنتين

غلبته ابتسامة مرتاحة ومسرورة باهتمامها به
وحرصها على مساعدته ولو بالقليل، تفكر فيه
وتسعى لتخفيف العبء عنه قدر مايمكنها .. تخيل
لوهلة وجود أخرى بحياته لم تكن لتعبأ به _ خاصةً
مع ظن الجميع بأنه مُرفّه من الدرجة الأولى ويتمتع
بأموال والده ليلاً ونهاراً _ ، ولكن تحفته مختلفة ..
؛تحبه هو وليس ما يملكه .. ولن تمنع إن مكثت معه
في غرفة صغيرة ؛فقط يكفيها أن تبقى معه تحت
سقفٍ واحد

*

*

*

بمكتب واسع فخم يخص أحد أكبر المحاميين، خطت
السكرتيرة طريقها داخل المكتب بعدما نالت إذنه
وتحدثت برسومية :

_مستر دياب .. في واحد اسمه فخر تلید عايز يقابل
حضرتك يافندم، بس مش واخذ معاد

انتبه المحامي "دياب" لذلك الإسم ونطق سريعًا :
_ده مش محتاج مواعيد ياخلود، خليه يتفضل طبعًا

أومات الفتاة ثم وقفت بجانب الباب وأشارت بيدها له
تعبيرًا عن ترحيبها بدخوله، فدلف فخر خطوة ثم

وقف عندما لم يسمح له غروره بتجاهل الأمر،
وهامسها قائلاً بابتسامة لطيفة :

_مهندس ياخلود .. اسمها مهندس فخر تليد!

قطبت حاجبيها باستغراب، فلم يحفل بها وتابع طريقه
إلى المكتب ليرى دياب يقف ليبادل له السلام باليد وهو
يقول بترحيب حار :

_ أهلاً أهلاً يا بشمهندس نورت المكتب

_متشكر ده من زوقك

عرض عليه الجلوس قائلاً :

_اتفضل

جلس فخر تزامناً مع جلوس دياب، وقد خرجت
السكرتيرة إلى الخارج وأغلقت الباب خلفها، قبل أن
يخاطبه دياب بابتسامة صغيرة :

_تَشْرِبُ اِيه؟

_وَلَا أَيِّ حَاجَةٍ شُكْرًا

_مِصْحَشْ دِهْ اَنْتِ اَوَّلَ مَرَّةٍ تَشْرَفْنِي

_مَعْلَشْ اَنَا مَسْتَعَجِلٌ، خَلِّيْهَا مَرَّةٍ تَانِيَّةٍ

ثُمَّ صرّح بمبتغاه مردفاً :

_بِاخْتِصَارِ عِشَانِ مَعْطَلْكَشْ اَنَا كُنْتُ جَائِي بِسْ عِشَانِ
عَائِزِ اشُوفِ كُلِّ الْأُورَاقِ الَّتِي تَخَصُّ أَمْلاكَ وَالَّذِي ..
حَضْرَتِكَ أَكِيدُ عَرَفْتُ الظُّرُوفَ الَّتِي هُوَ فِيهَا

حرك دياب رأسه إيجابًا بحزن :

_عرفت طبعًا، ربنا يشفيه ويعافيه يارب ويرجع
احسن من الأول

أوما فخر بهدوء تعبيرًا عن شكره، ثم تابع :

_وبسبب ده انا محتاج اعرف أي حاجة حضرتك
تعرفها وأي ورق موجود معاك حتى لو مش مهم،
عشان محدش يلعب من ورايا

تساعل دياب باستغراب :

_حد زيّ مين؟

أجاب فخر بلامبالاة :

_بسمة مثلاً..

ثم أضاف :

_ حضرتك لو متعرفش ف الست دي مبتحبش ابويا
ومش عايزة منه حاجة غير فلوسه، ومستبعدش
عنها إنها تفكر كمان تقتله عشان تورث، دي
معددهاش ضمير

عقد المحامي حاجبيه بتعجب، متسائلًا :

_ تورث ازاي؟ هو ردها تاني؟

تطلع له فخر بعدم فهم :

_ يردھا ايه؟؟

فجر المحامي مفاجئته بقوله :

_ ما هو عامر بيه طلقها غيابي من فترة، هو
مقالكش؟!!

تقدم فخر بجسده للأمام بانتباه، وهو يرمقه باندھاش
شديد :

قوت ايه !!

أكد له المحامي حديثه :

عامر بيه طلقها من يجي اربع شهور تقريباً

حدقه فخر بعدم تصديق نابساً :

انت متأكد من اللي بتقولُه ده؟؟

ده سايب لي نسخة من ورقة الطلاق كمان!

أسند فخر يده على المكتب ليقترّب بجذعه قليلاً وهو

يقول بتلّهف :

_ انا عايز الورقة دي !!

*

*

*

_ دي مية في المية ورقة fake ، انت فاكِر الهبل ده
هياكل معايا؟

هكذا علا صوت بسمه ؛سخطاً على تلك الورقة التي
تركها بين يديها لتكتشفها .. واقفة أمامه بساحة الفيلا
;نفس وضع المرة السابقة ولكن مع تبادل الأدوار
لتتخذ هي الدور الأضعف ..!

ابتسم فخر ببرود وقال :

_ عايزة تتأكدي خليها معاكِ واتأكدي بطريقتك

صمت قليلاً يراقب صدمتها الواضحة على قسماتها ثم
قال :

بس مش لازم تتعبي نفسك، هو بالمنطق كدا
هتلقطها يعني ..

ثم استرسل ضاحكًا باستهزاء، تحت نظراتها
المذهولة والغاضبة :

انا كنت قولتلك اني ادبت له الفيديو من فترة
واستغربت إنه مخادش رد فعل، بس طلع هو ده رد
الفعل .. الله أعلم كان ناوي يقول امتى وهيفضل
سايبك عايشة معاه من غير جواز قد ايه .. بس مش
مهم ده مش بعيد عنه كدا كدا

تابع بتشفي :

_المهم إنه أخيرا عمل حاجة عدلة في حياته قبل ما يتجنن ويبيع حبوب الاكتئاب لحد ما مخه فكّ

وقفت تطالعه بنظرات نارية تشع بالغيط حتى اعترفت بعناد وانفعال :

_انا اللي كنت بدّهاله ! ، عامر مكانش بيعرف إنه بياخذها أساسًا ، انا كنت عارفة إنها هتجيب له زهايمر لما ياخذها كل يوم لفترة .. واوعى تعمل لي فيها مصدوم ومتعصب! انت فرحان إنه راح هناك زيك زيي بالظبط ... مين كان بيحب عامر أصلا؟ ده انسان مريض وعمره ما حب حد ولا كان جواه أي حاجة حلوة

سكت لبرهة يتطلع إليها بثبات ونظرات باردة، ثم قال بسخرية :

**وَانتِ تَوقِعتي إنك لما توديه هناك مش هقف انا في
طريقك؟**

ردت بتحدٍ :

مكاش عندي مانع اخلص منك انت كمان!

**حتى لو خلصتي مني مكنتيش هتعرفي تكلمي على
طول بتوكيل مزور .. متبقيش مغفلة!**

زفر بملل ثم أردف :

**عمومًا خلينا في المفيد .. دلوقتي انا كسبت قضية
الحجر وانتِ متطلقة بقالك مدة، يعني وجودك هنا
مالوش مسمي، زائد إنك مش مرغوب فيك .. ف
قدامك دلوقتي حاجة من اتنين ..**

احتدت نبرته مع نظراته الصارمة أكثر, مستطرّدًا
بنبرة تهديد :

_ياتنظقي بكلمة واحدة مش عجباني وليلتك النهاردة
تبقى في الحجز .. ياتقفلني بؤك بـ بلاستر وتغوري
تدفني نفسك في أبعد جُحر ومشوفش وشك تاني

سكتت ثواني ثم تساءلت باستنكار :

_وانت هتسيبني امشي عادي؟

حرك كتفيه بلامبالاة :

_عادي .. البهدلة اللي هتشوفها وانت طالعة من هنا
على الجنط زيها زي بهدلة السجن الاختيار يعود
ليك

لأذت بالصمت .. صمت طويل انقضى في التفكير
وعينيها تزوغ من حولها بعدم تصديق وحيرة ;في
ثوانٍ فقط أصبحت لا تملك أي شيء، بعد كل ما كابدته
لم تفلح خطتها الجشعة .. تشعر بأن قدميها لا تقدران
على حملها من قوة الفشل الذريع الذي سيطر عليها
.. طاقة من الغضب اجتاحتها ولكنها لا تملك شيئاً
لتفعله ..

يبدو أن لحظة الاستسلام قد حانت ويجب أن تخضع
لها ..

أعادت نظرها له ولم تنطق بكلمة، أدرك هو أيّ
القرارين اختارت، وأوماً ببرود :

_ ماشي ..

عاد للخلف بظهره خطوتين مردفاً بحسم :

_ ساعة بالظبط وهرجع الاقيك لمّيتي كراكيك
ومشيتي

استدار وولّاهَا ظهرها وضحكاته ترتفع بعد قوله
الشامت :

حظ أوفر في المرة القادمة يا عزيزتي !

يتبع..

الفصل الثالث والأربعون {نَسَمَات بَرْمُودَة}

بإحدى الليالي الهادئة اجتمعت العائلة بمنزل الخال
رؤوف لقضاء أمسية عائلية خفيفة .. اتخذت جهاد
وياسمين ومريم الأريكة الكبيرة يجاورن بعضهنّ
ويتبادلن الأحاديث، بينما جلس الشباب الأربعة؛ فخر
وزياد وعز وحازم على الأرض بصحبة الطفل عبدالله
..

الكثير من الأوراق الملونة متوزعة بين الأرضية
وبين أياديهم أثناء تحدّث فخر متأففاً من تلك اللعبة :

_ انا عمري ما فهمت الـ اونو دي بجد !

نظر له حازم وأجاب بلامبالاة :

_ ومين فاهم؟ احنا بنحاييل الواد وخلص

التفت له عبدالله وقال :

_ يابابا انا فهمتها لك خمسمية مرة قبل كدا

ردد عز الجالس بجانب حازم :

_ابوك حمار معلىش

لكمه حازم بقوة في صدره فتأوه عز ورمقه بغیظ
ونبس بتوعد :

_لما نبقى لوحدنا، مش همسح كرامتك قدام ابنك

كان زياد يجلس بجوار عز، فمال على أذنه يقول :
_قوم له دلوقتي عشان كرامتك ممسوحة قدامنا احنا

أجابه عز هامساً :

_اهدى يابوتجاز! اهدى وافصل شوية

تحدث عبدالله باختصار يشرح اللعبة :

الموضوع مش صعب والله، انتوا بتاخذوا سبع
ورقات والورقة اللي قدامك على الأرض حط يا رقم
زيها يا ورقة بنفس لونها، ولو معاكش تروح تسحب
من الورق اللي على جنب ده، و آخر واحد يفضل
معاه ورق هو اللي يخسر

ترك فخر الورق وهمّ بالنهوض وهو يقول :

لأ انا رجلي نمّلت خلاص، كملّوا انتوا

جلس على طرف الأريكة الصغيرة، وحرك قدميه قليلاً
ليساعد بتحريك الدماء فيها بعد شعوره بتوقفها ..

نظرت له جهاد وكساها بعض التردد قبل أن تقرر ترك
الفتاتين وتتجه إليه، جلست بجواره بهدوء وقالت
بصوت لا يسمعه غيرهما :

_ عايزة اسأل حاجة حارقة دمي ومش عارفة اطلعها
من دماغي

فاجئته بنبرتها المشتعلة وحديثها الغير مسبق بأي
مقدمات، وقال ضاحكًا بريية :
_ في ايه؟

_ انت ازاي محبستش بسمة بعد كل اللي عملته؟؟

صمت قليلاً ثم أجابها :

_ عشان معنديش دليل .. سواء الحبوب اللي كانت
بتحطها لابويا عن قصد أو التوكيل المزور مفيش
دليل قاطع يثبت بلاويها .. وهي ببساطة أول ما تحس
بقلق هتحرق ورقة التوكيل وتتكسر أي تهمة تتوجه لها
وهتخرج منها عشان مفيش حاجة ضدها ..

وتابع :

_عارفة بقى لما تخرج كانت هتعمل ايه؟ كانت هترجع
تتنفخ تاني عشان هبان قدامها قليل الحيلة وخسران
وهتكيدني .. إنما كدا انا حسستها إني قادر عليها
وقادر اكسرها، وهتمشي بتجرّ خبيتها مش راسها
مرفوعة وشماتانة فيا

_بس كدا احنا مخلصناش منها وسهل تيجي تقرفنا
تاني

_لما تيجي هنتعامل متقلقيش ..

ساد الصمت بينهما، وانتبها لياسمين وهي تخاطب
زياد قبل أن يلعب دوره :

متحطش اصفر، حط له رقم لونه أزرق عشان
معهوش اللون ده

كانت تقصد عز بحديثها؛ فهو الذي يلي زياد في
اللعب، فصدح احتجابه :

لا ده غش ده! ، دي بتجسس على ورقي

أجابه زياد :

انت اللي مبتخبّيش ورقك يا حبيبي، متحملناش
نتيجة غباءك

وضع زياد ورقة برقم اثنان ذات لون أزرق، فارتفع
هتاف الانتصار من عز وهو يضع ورقة من نفس
الرقم ولكن بالأصفر :

شوفتوا قلة السلطان بتاعتكوا ! ، بالنيات اصلها

همهم الجميع بضحكات خافتة، قبل أن يلتفت فخر مع
جهد بحوار جديد وهي تقول :

عايزة اطلب منك طلب هيضايقك

رمقها بتعجب :

استر يارب

سكتت قليلاً ثم أفصحت عن مبتغائها مباشرة :

عايزاك تعلمني السواقة

ترقبته بقلق، فقطب حاجبيه بتساؤل :

وايه اللي هيضايقني في كدا !؟

ما انت هتعلّمني على عربيتك !

سارعت بإخفاء وجهها بكفيها لتتفادي رد فعله
المتوقّع، بينما انتفض فخر بجلسته متأهباً للصياح
ولكنه حبس اعتراضه في جوفه لكيلا يلفت نظر
الجميع، وأجابها بحق :

هعمل مسمعتش حاجة

تطلعت له بحزن برئ وقالت :

انت بتحب العربية اكثر منّي!؟

أجابها بتحذير :

متدخلهاش من السكة دي عشان مش هتجيب

تقمّصت نفس النظرات اللطيفة التي تخدعه بها كلما
طلبت منه شيئاً، ونطقت جملتها المعتادة بدلال :

_عشان خاطري ياخوخة لو سمحت

صار يحرك رأسه يميناً ويساراً أكثر من مرة :

_متحاوليش لأ مش هياكل معايا الجو ده خلاص
شطبنا

لم تستسلم وبقت تحدقه بأعين بريئة وابتسامة ناعمة
جداً وحملت ملامحها كل الرقة الموجودة بالعالم ،
اغتاظ من نفسه لتأثره بها رغم معرفته بأنها تتلاعب
به وحدجها بغضب مكتوم، فانتسعت ضحكتها ورددت
معه العبارة التي أيقنت أنه سيلفظها، وهتفا معاً بنفس
اللحظة :

_بكرهك ياچيچي!

ضحكت وأردفت بثقة :

_عادي ياروحي انا عارفة إنك تقصد العكس ها؟
موافق صح؟

زفر بملل وأجاب بامتعاض :

_هفكر ..

كانت على وشك التحدث فأوقفها قبل أن يستمع
لحرف :

_هفكر يعني هفكر .. متخلّيش اطرديك من هنا !

قهقهت بعنف ولأدت بالصمت وهي ترى ابتسامته
المستتكرة والساخرة ..

خرج رؤوف من المطبخ مع ابنته مي يحملان أطباق
الكعك الساخن، وهو يقول فخراً بنفسه :

شامّين الريحة الحلوة؟

هتفت مي قائلة :

انا اللي عاملها على فكرة

وضع رؤوف الأطباق على المنضدة وهو يقول :

كداية والله، انا اللي عاملها .. دي حطتها في الفرن

بس

ركض عبدالله نحو المنضدة واستأذن جدّه ببراءة :

انا عايز حطة يا جدو

رفع رؤوف الطبق ووجهه له وهو يدلّه :

انت تاخذ ستين حطة يا قلب جدو

ضحك عبدالله، وأخذ قطعة واحدة، ثم ابتعد وشرع
بتناولها .. فسأله حازم :

_كيكة جدو أحلى ولا بتاعة ماما يا عبدالله؟

أجاب عبدالله دون تردد :

_بتاعة جدو.

اندهشت مي وصاحت معاتبة :

_بقي كدا؟!!

ضحك عبدالله وأبعد وجهه عنها متظاهراً كأنه لم
يسمع، بينما ضحك عز بخفة ثم قال :

_طيب بما إننا متجمعين كدا، عايز اقول لكوا حاجة
مهمة

نظر بطرف عينيه لمريم، فابتسمت له بترقب وخجل،
قبل أن يعيد بصره للجميع ويردد بحماس واضح في
مقلتيه ونبرته :

_ انا ومريم قررنا نعمل خطوبتنا الاسبوع الجاي
وهنجيب شبكتها بعد بُكرة ..!

اتسعت أعين الجميع بعدم تصديق، وسبق رؤوف
بالتحدث :

_ ايه القرارات اللي بتتاخذ من ورايا دي؟؟
التفت له عز قائلاً بضحكة صغيرة :

_ قولنا نعملها لكوا مفاجأة.

توجهت الأنظار المندهشة لمريم وكأنهم يحاولون
التأكد منها، وسألها فخر :

_ ده بجد؟؟

غلبتها ابتسامة تجمع بين السعادة والقليل من التوتر،
وحركت رأسها مرتين بالإيجاب، فصاح زياد مشجعًا :

_ هو ده الكلام الصح !

نهض واتجه إلى الطاولة واستخدمها كطبله وبدأ
بالغناء :

_ يادبله الخطوبة عقبالنا كلنا
فلم يقف الجميع وشاركوه الغناء :

_ ونبني طوبة طوبة في عش حبنا .. نتهنى
بالخطوبة ونقول من قلبنا .. يادبله الخطوبة عقبالنا
كلنا

تعالَت التصفِيقَات وأصوَات التهلِيل مع صوت غنائهم
.. بالإضَافَة لزغَارِيد الفَتِيَات مع جِهَاد التي كَانت أَكْثَر
من اندمَج وابتَهَج لِابْتِهَاج مَرِيم ;حيث بَقَت تَرَاقِب
فَرِحَتهم بِهَا بِضِحْكَه وَاسْعَة وَأَعِين تَكَاد تَبْكِي من
السَعَادَة ..

لأول مرة تشعر جهاد بمعنى الدفئ حقاً .. اكتسبت
عائلة جميلة لم تكن تتوقع يوماً أن تلقاها أو أنهم
سيعاملونها كإبنة وصديقة وكأنها ترعرت معهم منذ
الصغر .. ستحسد نفسها كل يوم على امتلاكها
اصدقاء لطفاء لم يُشعروها للحظة بأنها غريبة عنهم

....

.

.

ظَلت تَفكِر في كل هَذَا بَعْدَمَا عَادت لِمَنْزِلِهَا وَاحْتَضَنْت
فِرَاشَهَا، تَعْلُوهَا ابْتِسَامَة مَرْتَا حَة وَهَادِئَة وَهِيَ تَتَطَّلَع

في الفراغ بمحبة، حتى أغمضت عينيها استعدادًا
للنوم ..

*

*

*

شقة متهاكة في بناية صغيرة ضعيفة يبدو عليها
البساطة اللامتناهية ..

أغلقت بسمة الباب بعد دخولها وهي تجرّ ذيول
خبيتها من خلفها ..

حاجبيها منعقدان بعبوس وملامحها مكفهرة ومتذمرة
بوضوح ..

تركت حقيبتها الكبيرة جانبًا وهي تتفخ باختناق، ثم
سارت داخل الشقة التي ردمها الغبار حتى أصغر ثقب
بها ..

جدران قديمة وأثاث مهترئ ورائحة تراب غير
محتملة ..

اتجهت للنوافذ وفتحتها ثم اتجهت لأقرب مقعد
وفرشت عليه وشاحها ليحول بينها وبين الغبار،
جلست وهي تنفخ للمرة الثانية كمحاولة بائسة
للسيطرة على غضبها ..

فوق غيظها من فخر؛ تضاعف غضبها أكثر عند
خروجها من الفيلا بأشياء لا تُذكر .. حاولت أخذ كل
ما يمكنها من هناك ولكن خزنة عامر اللعينة وقفت
عائق أمامها؛ فلم يخبرها عامر مسبقاً برقمها السري
بالطبع .. وانتهى الأمر في النهاية بأخذ ذهبها الخاص
وسرقة إحدى ساعاته ..

طال سكونها وسط هدوء شديد يحوم من حولها، بدأ عقلها بإعادة ترتيب أفكارها .. فكرت كثيراً بنفسها وبحالتها ; ما فائدة الغضب الآن؟؟

بالطبع هي حانقة بشدة لتلك الخسارة، ولكن حتى لو قررت المواصلة في العناد مع أولاد تليد فلن تنال شيئاً سوى تضييع وقتها مع أناس لن ييئسوا ولن يتركوها تحقق ما تريد ..

التقطت حقيبة اليد خاصتها وفتحتها لتُخرج منها الساعة وبضع أغراض من ذهبها، حدقت فيهم بعمق وظلت صامتة تفكر فيما ستفعله بهم ; كما رأة جشعة مثلها لم تكن لتكتفي بساعة ثمينة ومقتنيات ذهبية ليست قليلة بالمرّة، لذلك لم يكن رضاها كامل ولكنه كان كافياً لجعلها تبتسم وتهمهم بخفوت :

مش مشكلة .. نبدأ من الأول!

*

*

*

تناول مروان شطائر الكبدة من صاحب عربة الكبدة
المستقر بجانب الشارع، وشكره بابتسامة صغيرة، ثم
تحرك تجاه سيارته القريبة وعزة التي تستند على
مقدمتها في انتظاره ..

جاورها وأعطاه شطيرتها قائلاً :

بِالِسمِ الهاري!

أخذت منه الشطيرة وأجابت بقرف :

مش هتتشل لو اتكلمت عدل.

لم يعرها اهتمامًا وشرع في طعامه، فشاركته وأكلت

أول قضة ثم قالت :

_ انا تخنت بسبب الكبد بتاعتك دي على فكرة

تصنع الغطرسة مجيبًا :

_ عادي حتى لو تخنتي مش هسيبك متخافيش

ردت باستصغار :

_ اخاف من ايه؟ ما طز فيك ياخويا انا هموت عليك
ولأ ايه؟!

تمتم وهو يأكل شطيرته :

_ لسانك لو اتقص هتبقى زي الفل والله

صمتت وأكلت قظمة إضافية ثم قالت :

_ نتكلم بجد شوية بقى؟

أجابها بأسلوب جاد غير متناسب مع عبارته :
_ايه هتديني ورقتي؟

ضحكت وقالت :

_لا بجد والله .. انا عايزة اعرف انت ناوي على ايه؟

_من ناحية ايه؟

_من ناحيتي .. من ناحية حالنا و وضعنا

_وضعنا ايه هو انا شاقطك؟ انا مش خاطبك قدام
الدنيا كلها!؟

اعترضت على نبرة المزاح التي شابت حديثه، وقالت
بجدية :

_يامروان مبهزرش، انت عايزني بجد ولا بتقضي
معايا وقت وخلص؟؟

_وهو انا لو بقضي وقت هقول؟ ما أكيد هضحك عليك
واقول لك عايزك حتى لو مش ده اللي في قلبي

ردت بملل :

_كلامك ده هيخليني ارمي لك الدبلة وامشي

ضحك بخفوت، ثم قال :

_يعني لو قولت عايزك خلاص هتصدقني وتتطمني؟

_المفروض أي اتنين يبقى بينهم ثقة، وكل واحد يبقى
قد ثقة الثاني فيه وميكذبش عليه

أوما موافقاً على حديثها، وهتف بهدوء :

_ طيب ياستي انا عايزك ومش بقضي وقت ولا
حاجة، وأكبر دليل اني اتقدمت لك .. انا كنت هدخل
نفسي في الحوارات دي ليه لو كنت بلعب؟
_ عشان انت مش مضمون وعادي تعمل كدا وانت
بتلعب بردو

قهقهه مبعداً نظره عنها وكأنها مدحته للتو، لملم
ضحكاته قليلاً وتبقت فقط ابتسامة خفيفة على ثغره ثم
نظر لها وقال :

_ والله يازوزو انا متمسك بيك أكثر من اللي تتوقعيه
.. معرفش ليه وانت دماغك هابة منك ومفكيش ميزة
توحد ربنا، بس اهو القلب وما يريد بقى

رمقته بضجر قائلة :

_ كدا انا المفروض افرح؟؟

اتسعت ضحكته ونبس مشاكسًا :

_طب والله ما اقدر استغنى عنك .. انتِ بقيتي جزء
كبير من حياتي مش هعرف افصله عنِّي خلاص
تطلعت له بجانب عينيها بابتسامه تحاول كبتها، ثم
هتفت :

_يخربيتك أول مرة تقول كلمتين حلوين، دي تتسجل
في التاريخ دي.

ثم تمنّت قائلة باستهانة :

_يارب يكونوا طالعين من قلبك بس ..

*

*

*

صباح اليوم التالي في تمام السادسة والنصف صباحًا، وسط هدوء الصباح الذي يعمّ غرفتها، فتحت عينيها ورمشت بضع مرات حتى استطاعت هزيمة النعاس واستيقظت .. وبمجرد أن أفاقت نهضت سريعًا وعلى وجهها علامات القلق والحيرة .. نظرت للكومود فلم تجد هاتفها، فسارعت بالوقوف واستعدت للتحرك ولكن أعاقها هذا الدوار الذي أصابها لبضع ثواني ليجبرها على التوقف قليلاً حتى تعود لطبيعتها، وما ان انتهى خرجت إلى ساحة الشقة ..

التقطت هاتفها من فوق الطاولة وشرعت بطلب رقمه على عجلة؛ دون الالتفات لموعد اتصالها الغير مناسب ..

وضعت الهاتف على أذنها وترقبت ردّه بحرارة، طال صوت الجرس فازداد توترها البادي على وجهها ..

ولولا ظهور صوته النائم في النهاية لكانت انتهت
بين أمواج خوفها؛ ذلك الخوف اللعين الذي لا يفارقها
بأنه سوف يختفي من حياتها في أي وقت ..

ردت بلهفة حينما فُتح الخط :

_ايوة يافخر

أتاها صوته الناعس بخفوت :

_ايه ياجهاد؟ في حاجة ولّا ايه؟

ابتلعت ريقها وردت :

_اسفة مكانش قصدي اصّحيك، كنت بتظمن عليك

بس

.

.

أغمض عينيّه وفتحها عدة مرات؛ محاولاً تخفيف نُقل

النوم على جفنيه، وخاطبها باهتمام :

_ انا كنت لسة معاكي امبارح! .. مالك؟ حد قال لك
حاجة ولا ايه؟؟

_ لأ مفيش حاجة، انا بس قلقنت شوية عادي

لاحظ اهتزاز نبرتها فعلم أن هناك ما يسبب لها
الاضطراب، اعتدل بوضعه فاستلقى على ظهره بعدما
كان ينام على جانبه، ونطق بوضوح :

_ اتكلمي يا جهاد!

_ قولتلك خلاص مفيش حاجة، روح الحق نام شوية
قبل الشغل، يلا سلام ..

لم تمنح له الفرصة لقول شيء وأغلقت الهاتف، مما زاده تعجبًا ونظر في الهاتف بحاجبين منعقدين بحيرة وعدم فهم ..

احتفظ بموضعه قليلًا حتى يفيق، ثم أبعث الفراش الذي كان يغطي جسده به، ونهض تاركًا السرير

*

*

السابعة والنصف ..

.

ارتدت مريم ملابسها واستعدت للنزول وخرجت من غرفتها التابعة للقبلا؛ بعد عودتها إلى المنزل مع أخيها الأصغر، بينما فضل فخر المكوث في شقته ليسهل عليه أمور التجهيز بدلًا من تقليص طاقته في التردد بين هنا وهناك ..

سارت بالرواق في طريقها إلى غرفة زياد .. طرقت مرتين ولم تجد ردًا ; كانت تتوقع هذا على أي حال، فلم تتردد في فتح الباب، لتراه متمدّدًا على بطنه فوق الفراش غارقًا في نوم عميق، دلفت بخطوات خفيفة حذرة حتى لا يشعر بها، اقتربت من الكومود وأمسكت بهاتفه، وفتحت جرابه المخصص ؛ لعلمها بأنه يحتفظ بالمال في ظهره ..

وجدت ثلاث وريقات من فئة المئة جنيه، فاختلستهم وهي تضحك بشرّ مازح، ثم تركت الهاتف كما كان وهربت إلى الخارج ..

*

*

خرجت جهاد من باب البناية وسارت صوب سيارته المصطفة جانبًا، وقفت بجانب باب المقعد المجاور له ولكنها لم تركب، مالت بجسدها فقط لتتنظر له من خلال الشباك المفتوح وقالت :

انت جاي لحد هنا مخصوص؟! ما انا قولت لك
مفيش حاجة، انت قلقت ولا ايه؟؟

نظر لها فخر لحظات بصمت وأنكر قائلاً :

لا تمام عادي زي ماتحبي، انا جاي اخذك نشرب
قهوة على الكورنيش بس

لم يكن هذا مبتغاه حقًا، بل غرضه الوحيد أن يُشعرها
بقربه منها ووجوده بجانبها؛ فلم يلزمه الأمر كثيرًا
ليفهم سبب اتصالها الخائف في الصباح الباكر .. حتمًا
تملكت منها أفكارها السوداوية حتى جعلتها تهاتفه
لتتأكد هل سيجيبها بأسلوبه المعتاد أم سترى منه
تغييرًا ..

نبست بعدم اقتناع :

بدري كدا؟؟

_ عشان نروح الشغل رايقين .. يلا بس اركبي

*

*

ارتدى عز معطفه الطبي وهو يخرج من غرفته
الخاصة بالمشفى، متأهباً لبدء عمله ..

استمع لصوت عابر يعلن عن وصول رسالة إليه،
فأخرج الهاتف من جيبه ليستكشفها؛ لم يكن ينوي
الرد؛ فقط سيراها ويجيب لاحقاً، ولكن غير رأيه في
ثانية عندما قرأ اسم المرسل .. إنها من أميرته ذات
العيون الزرقاء والملامح الناعمة الفاتنة ..

توقف عن متابعة السير وفتح الرسالة فوجدها
أرسلت عبر الواتساب أرقام اللوحة الخاصة بإحدى
السيارات، ومن أسفلها رسالة نصية : "نمر الأوبر
اللي انا راكباہ"

غلبه التعجب وأرسل لها كتابيًا :

_____ ماؤه؟؟

ثم ألحقها برسالة أخرى :

_____ انتِ كويسة!؟

•
كانت تجلس في المقعد الخلفي حينما قرأت رسالته،
فكتبت :

_____ اه تمام مفيش حاجة

ثم تابعت في رسالة جديدة :

_____ ده احتياطي بس عشان قلقانة منه شوية

قرأ رسالتها ولم تتلقّى منه رد فعل لبضع ثواني، إلى
أن وجدته يتصل بها، فضحكت وأجابت بصوت
منخفض :

_ انت مش صدقني؟

أجابها :

_ لا بس خلينا على الخط كدا لحد ما توصلي

_ يا بني انا بقول لك احتياطي بس، انت عارفني اصلا
بخون خيالي ودماعي بتأفور، مش هيحصل حاجة
متقلّش

أصرّ على رأيه قائلاً :

_ بردو كدا أحسن

حاول أن يفتح معها حديثًا، فأردف :

_ رايحة فين على الصبح كدا؟

_ هتمشّي شوية كدا عشان بحب وقت الصبح ده،
وبعدين هروح البنك اجدد الفيزا بتاعتي

_ مش تعزميني عزومة مراكية حتى؟

ردت بدلال مازح :

_ لا ياببي انا عارفة إنك عندك شغل وانا مش عايزاك
تقصر فيه عشان ميخصملكش، متنساش إني هقلّبك
بكرة وهحتاج كل قرش بعد كدا

ضحك وأجابها عابثًا :

_ عقبال ماتقلّبيني واحنا متجوزين ان شاء الله
واصحى كل يوم الاقي المحفظة فاضية

فهمت بشدة وقالت متعجبة :

_ انت عاجبك ده عادي؟!!

_ اومال؟ ده انا اديكي عنيا وانا مبسوط ومزقط
كمان

رده العفوي الذي نبع من عشقه كان الفعل الأمثل
لجعل وجنتيها تتوردان بخجل وتبتسم بحب، احتارت
في الرد وبحث عقلها عن أي شيء تقوله، حتى
أنقذها السائق من حيرتها وأوقف السيارة عندما
وصل لوجهته، فسارعت بالنزول بعدما دفعت ثمن
المشوار، أغلقت باب السيارة وتركته يذهب لحال
سبيله، ثم عادت لمكالمتها قائلة :

_ وصلت يا عز خلاص

_صاغ سليم الحمد لله؟

ضحكت بخفة وردت :

_الحمد لله

_طب حمد لله على السلامة، خلي بالك من نفسك بقى

_ماشي حاضر .. ، باي باي

أنهت معه المكالمة ونظرت في الهاتف لتغلق الخط،
قبل أن تلاحظ عدة رسائل من زياد جعلتها تضحك
حينما فتحتها :

"انت يا حرامية يا نشالة!"

"ده انا هاكلك وربنا"

"الفلوس دي لو مرجعتش مش هتشوفي دراعاتك
تاني انا بحذرك!"

أرسلت له تسجيلاً صوتياً يقول :

_ انت صاحي تبص في الجراب على طول يامادي
ياكلب الفلوس؟؟

بضع لحظات وأتاها رده برسالة صوتية :

_ حسيت بيك وانت بتقفلي باب الاوضة وراكي،
توقعت على طول إنك عملتيها، هو انا عارفك
امبارح؟؟

فسجّلت هي مقطعاً يقول :

_ يعني عارفني ولسة بتحطها في نفس المكان وانت
عارف إني هاخدها؟ دي مشكلتك بقى يابابا انا ماليش
دعوة

أجابها بتهديد ووعيد :

الفلوس لو رجعت ناقصة جنيه واحد يابنت
البجحة ليلتك هتبقى طين!

ردت باستتكار واستحقار :

هو انا واخدة أملاكك ولّا ايه؟ دول ٦٠٠ جنيه
يامعفن

أرسل لها مقطعًا صوتيًا يقول فيه بعناد :

والله لو خمسة جنيه ما تاخديها! ، انا الحاجة تطلع
مني بمزاجي يامتطلعش حتى لو فلنة مقطعة ... شغل
انتش واجري ده مش معايا ده انا بلطجي وايدي
طويلة!

فأرسلت له منهية الحوار :

طب اتكل دلوقتي لما اجيلك نشوف الحوار ده ...

*

*

*

جلسا أمام كورنيش النيل وهواء الصباح اللطيف
يضربهما من كل جانب .. اشترى هو كوب القهوة كما
أراد، بينما أبت هي احتساءها واختارت بدلاً منها
الشوكولا المفضلة لها ..

تبعثرت خصلاته البنيّة بفعل الهواء وهو يرتشف
القليل من قهوته مستمتعاً بطعمها مع نسيمات الرياح
الخفيفة، نظر لها ليجدها تعيد طرف طرحتها على
كتفها بعدما حرّكها الهواء ثم قضمت قطعة من
الشوكولا ..

خاطبها بهدوء :

كنتِ بتفكري كثير امبارح؟

ردت بلامبالاة :

_ لا عادي

سألها بنبرة أوضحت اهتمامه بمعرفة ما الخطب :

_ او مال؟

صمتت قليلاً تتطلع للمكان من حولها، ثم تنهدت بهم
وأفصحت :

_ حلمت حلم مش حلو

نظرت له ليجده يحرك رأسه بتساؤل وفضول،
فأدمعت عينيها بحزن دفين وأردفت باهتزاز :

حلمت إنك مش صافيلي ولسة جواك حته زعلانة
مني، وبسببها اتقفلت مني وسيبتني

غلب اليأس على قسماته و ردد بإحباط :

تاني ياجهاد؟

تراكمت الدموع بعينيها، وتحدثت وكأنه كان يحتاج
توضيحًا مثل هذا حقًا :

والله انا اتغيرت يافخر، انا بقيت عاقلة وراسية
مبقتش سطحية زي الأول ولا بقيت ببص لغيري ..
حتى اصحابي اللي كنت بحاول انافسهم دول قطعت
علاقتي بيهم خالص وابتديت من الأول، والله انا
مبقتش أنانية زي ما انت فاكر انا اتغيرت وعرفت
غلطتي

منعها من مواصلة تبريرها وقال :

_ انا عارف، والله عارف ومصدقك .. فهمني بس هو
انا قولت حاجة قبل كدا حسستك اني لسة شايل منك؟
انتظر منها ردًا فحركت رأسها نفيًا، فاستطرد :

_ ده مجرد حلم عشان انتِ اللي دايمًا بتفكري في ده ،
انسي ارجوكِ واهدي شوية، انا نسيت كل ده ومش
بفكر في حاجة غير في حياتنا الجايّة وبس

سكت قليلًا ثم أردف بنبرة صادقة :

_ هرجع اقول لك للمرة المليون انا بحبك ومش شايف
غيرك وبُعدك عني هيعمل فيا أكثر ما هيعمل فيكِ
بكتير ..

سكت لحظة يتأمل عيونها الكحيلية بحب فائض،
ونبس بهيام خرج من أعماقه :

_ انا حياتي كانت ماسخة وانتِ اللي ادتيها نكهة
يا جهاد

حملت فيه برهة، لمستها عبارته وجعلتها تبتسم
رغم بوأسها، فلم يتوقف هو عند هذا الحد وأضاف :

_ طب اقول لك حاجة تثبت لك إنك غير أي حد
عندي؟؟

راقبته بفضول وهزت رأسها بانتباه، فقال :
_ انا موافق اعلمك السواقة زي ما كنتِ عايزة

ضحكت بهدوء وسألته بترقب :

مش خايف على العربية؟؟

خايف طبعا بس هكتف الدعاء وخلص بقى

قهقهت ووزعت أنظارها من حولها قليلاً، ثم أعادت
بصرها له وسألته بغرور مازح :

انا أهم من العربية يعني؟؟

ابتسم بؤدّ ولم يفكر كثيراً في إجابته الواثقة :

انتِ أهم مني شخصياً

تبسّمت برقة واهتز قلبها بسرور وارتياح من جملته
الأخيرة، ثم أخفضت رأسها تتحاشى النظر له من
الخجل ..

تناست قلقها وهدأ قلبها .. كان يرى هذا من تهديدتها
المرتاحة وملامحها التي اختفى عنها الحزن، ابتسم
بهدوء ودسّ يده في جيبه ثم أخرج منها شيئاً ما
; شيئاً لطالما يسعد قلبها مهما بلغت درجة حزنها ..
نجمة ورقية جاهزة تضم بعضاً من كلماته المعسولة
.. مدها له بهدوء، اجتاحتها ضحكة واسعة عندما
رأتها ونظرت له نظرة ودودة قبل أن تأخذها منه
وتسارع بفتحها، بسطت الورقة بأكملها وارتكز
اهتمامها لتلك الكلمات التي دق قلبها على اثرها :

**"فقط لتبتسمي دائماً يا تحفتي الفنيّة
وأعدك أنني بارع كفاية لتقدير حسن تفاصيلك"**

*

*

*

باليوم التالي في وقت الظهرية تقريبا، دخل زياد إلى شقته الفارغة برفقة ياسمين وأغلق الباب من خلفه، تردد صدى صوتها في الأرجاء بسبب الخلاء :

_مش شايفة جديد يعني .. فين اللي بتقول هتورّ هوني ده؟؟

أجابها بضجر :

_الصبر الصبر!

سار إلى الداخل فلحقت به، حتى وصلا إلى غرفة النوم الكبيرة .. ظهر التفاجؤ على وجهها حينما رأت أثاث غرفة جديد يشغل الساحة ;سرير واسع ينقصه مرتبة ودولاب كبير وسرّاحة تحمل العديد من الأدراج

التفتت له قائلة بدهشة :

_ انت جبتهم امتي !!؟

_ امبارح بالليل

_ انت مقولتليش إنك هتجيب الاوضة دلوقتي!

_ مش اختارناها سوا وعجبتك؟

_ ايوة افكرتك هتجزها مش هتجيبها بسرعة كدا

رد ضاحكًا وهو يقترب منها :

_ قولت الحقهم قبل ما الحاجة تغلى

أعدت نظرها للغرفة تتأملها بأعين لامعة، وابتسمت بحماس، قبل أن تستمع إليه يقول :

_المرتبة بقى هنجيبها في الآخر خالص عشان
متتركنش وتلم تراب من دلوقتي .. وبالمره نجيب
معاها مراتب اوضة الاطفال لما نفرشها الأول

نظرت له بضحكة متشوقة لحدوث هذا في أقرب
وقت، ثم نظرت للغرفة مجددًا قبل أن تتحدث بتفكير :

_بس انا حاسة ان النظام ده مش عاجبني .. متهيألي
لو عكسنا مكان السرير والتسريحة هيبقى أحسن
أحاط ظهرها بذراعه وجذبها نحوه حتى التصقت به
وهو يطالعها بعث، وداعبها قائلاً :

_يا عم نجيب كل حاجة الأول وشقلب فيهم انت
براحتك

شعرت بالخجل من فعلته، وضحكت بيأس قائلة :

_مش كل ما نبقى لوحدنا تعمل الحركات دي!

شدد حصاره حولها وقربها منه أكثر وهو يقول :
_عندك اعتراض؟

تصدت له وحاولت إبعاده بهدوء :
_بس يازيزو! ، احنا لازم نمشي عشان نلحق عز
ومريم

_ده لسة هيروحوا بالليل!
_بردو لازم نبقى معاهم .. يلا اوعى

ابتعد عنها بتمهل وهو يقول :
_والله انتِ فقريّة وبترفسي النعمة

رددت باستنكار :

_النعمة دي اللي هي انت يعني؟؟

اتخذت ملامحه علامات الغرور مجيبًا :
_ وهو في أحسن منّي؟؟

رمقته بتهكم واستخفاف وتركته وخرجت من الغرفة،
فصاح وهو يتبعها :

_ ايه ده ايه البصات دي؟ لا انكري بقى عشان تبقى
اخرتك معايا النهاردة !

*

*

*

بالمساء في أحد محلات الذهب الواسعة، وقفت مريم
بصحبة جهاد وعمتها ناهد أمام صاحب المكان؛ الذي
يفصل بينه وبينهم الخزانة الزجاجية المعروض فيها

العديد من الاكسسورات الذهبية المختلفة .. بينما
وقف فخر وعز والخال رؤوف من خلفهم بمسافة
صغيرة يتسامرون بعدة أحاديث ..

وضع العامل أمام السيدات عدة خواتم مختلفة الأشكال
حتى يخترن منه واحدًا، فوق اختيار ناهد على واحد
منهم بعدما أمسكته وتفحصته، وعرضته على مريم :

حلوه

نظرت مريم له بعدم حماس :

حاسة ان زوقه قديم شوية ياعمته

أجابت ناهد :

بس متين مش هيتكسر بسهولة

جذبت جهاد اهتمامها بقولها :

_طب بصي ده

نظرت مريم للخاتم الذي بيدها وبدا عليها الإعجاب :

_لذيذ ده ..

التفتت من خلفها وأردفت :

_عز .. شوف كدا

اقترب منها عز ليري الخاتم وتبعه والده وفخر، ثم

قال :

_حلو

طالعه بملل :

_دي تاسع مرة تقول لي حلو على حاجة، متحايلنيش
وخلص!

_طب ماهو حلو فعلاً، انا مش شايف فيه مشكلة

نظرت لفخر الواقف خلف عز مباشرة من ناحية
اليمين، ومدت له الخاتم قائلة :

_فيرو ايه رأيك؟

رأى الخاتم وقال :

_جميل ياروما والله، المهم رأيك انتِ

ثم نظرت لخالها الواقف بجوار عز من الناحية
اليسرى، متسائلة :

_وانت ياخالو؟

_مش شايفه وحش بصراحة، بس شوفي اللي يعجبك
بردو

رجعت ببصرها إلى الخواتم واختارت واحدًا آخر، ثم
التفتت لهما مجددًا ورفعت الاثنان أمامهم :
_طيب ده ولّا ده؟

اختار عز الخاتم المعلق بيدها اليسرى :
_ده

واتفق معه والده واختار نفس الخاتم :
_اه ده حلو

وجّهت بصرها لفخر قائلة :
_وانت؟

فاتخذ فخر نفس اختيارهما :

_ده بردو

ولت ظهرها لهم وهي تقول بعدم اهتمام :

_لأ مش عاجبني، هاخذ التاني

تطلع عز لفخر بعدم فهم رافعاً يديه باستنكار

وتساؤل، فضحك فخر موضحاً :

_هي كدا على طول .. اتعود بقي

*

*

في الخارج بالقرب من المكان كانت تقف سيارة حازم
على جانب الطريق، يجلس بمقعده وزوجته بجواره،

وفي المقعد الخلفي زياد وياسمين يتوسطهما عبدالله

..

اتفقا الخمسة جميعاً على نفس مشروب القصب
_ بعدما قرروا البقاء في الخارج حتى لا يزدحم المكان
بهم_ ، وجلسوا في صمت تام يحتسون العصير عن
طريق الماصّات ؛ إلى أن يتكرم هولاء البطيئين في
الداخل ويخرجوا ..

انقطع الصمت بصوت زياد الساخط :

_ القصب ده متخفف بماية زيادة عن اللزوم ولا انا
متهياي؟

لم يأخذ ردًا من أحد، فنظر لعبدالله وقال :

_ عاجبك البتاع ده؟

أوماً عبدالله عدة مرات بالإيجاب أثناء استمراره في تناول العصير دون أن تتفصل شفثيه عن الماصة، فعلق زياد عليه قائلاً :

طب خذ نفسك!

علا صوت رنين هاتف مي، فنظرت في الشاشة لترى اسم المتصل وهممت :

دي جهاد

فتحت الخط وأجابت :

ايوة يا جهاد، عملتوا ايه؟

صمتت قليلاً تستمع إليها، ثم ختمت المكالمة بقولها :

طيب حاضر ، سلام

انتبعت إلى سؤال حازم :

ايه خلصوا؟؟

_لأ مريم عايزاني انا وياسمين عشان تاخذ رأينا

غلب المثل على زياد وتمتم باختناق :

_ده احنا مش هنروح النهاردة!

خاطبت ميّ ياسمين قائلة :

يلا يا سو؟

اعترضها زياد رافعاً سبابته بتحذير :

_عندك! ، انا بس اللي بقول الكلمة دي .. متعديش

حدودك!

تطلعت له مي بنظرات تهديد، ونبست بحدة :
_ انت بتكلمني انا كدا؟؟

أجابها معاندًا :

_ اه

فنظرت مي لولدها وقالت :
_ بودي حبيبي خُد حق ماما

لم يفكر عبدالله كثيرًا وقام فورًا بضرب زياد في بطنه
بكفه بقوة، مما جعله يميل للأمام بتوجع صائحًا :
_ يابن الكلب!!

اندهش حازم وأدار وجهه له قائلاً :

_ انت بتشتتم؟!!

ثم نظر لولده وقال :

_ خذ حق بابا كمان يابودي !

لم يلبث عبدالله ورفع يده لإعادة الكرة ولكن استطاع
زياد إعاقته وأمسك بذراعه الصغير قائلاً :

_ ايه ياوض ياواطي ده؟ هو احنا مش اصحاب؟ بتمد
ايدك عليا عشانهم؟؟

أجاب عبدالله متحدياً :

_ ايوة مالکش دعوة بيهم!

حرك زياد رأسه بدرامية قائلاً :

خذلتني.

ضحكت الفتاتين ثم ترجلا من السيارة وتركا الثلاثة
معاً يسودهم الصمت، حتى خاطب زياد حازم بضجر :

هات لنا دور قصب كمان

*

*

*

انتشرت الزغاريد بين أرجاء المكان احتفالاً بخطبة
الثنائي المعهود؛ ليلتهما المنتظرة قد حضرت ويتبقى
فقط لحظات قبل ارتداء الدبل ..

مكان واسع مفتوح مجهّز لاستيعاب الكثير من
المدعوين، مزين بالعديد من الأنوار الزاهرة ..

دخلت جهاد بصحبة مروان وعزة إلى المكان، مرتدية
فستانًا بسيطًا من اللون الأصفر الفاتح مع حجاب
مرتب ذو لون سكري مماثل للون حذاءها وحقيبتها
الصغيرة ..

مررت عينيها من حولها بحثًا عنه وهي تتخذ
خطواتها بتمهّل ..

التفتت لمروان وهو يخاطبها بملل :
_يلا هاتي كنزات البيبيسي ويلا نمشي

وكزته عزة بكتفه، ساخطة :
_متكسفناش!

خاطبتهما جهاد بنفاد صبر :
_انا مش فايقة لمناقرتكم دي خالص، روحوا خدوا
لكوا جنب بعيد عني

ابتعدت عنهما وسارت بعيداً وهي تنظر بهاتفها
لتطلب رقمه، وزعت أنظارها من حولها قليلاً حتى
وجدته يقف بعيداً يتبادل السلام مع أحد المدعوين ..
تعلقت عينيها به بتمعن ودققت نظرها مع كل تفاصيله
، تناسق بنيته الرياضية وطوله الفارع .. ملابسه
التي اتخذت جميعها اللون الأسود ; بنطاله وقميصه
ذو الثلاثة أزرار المفتوحة، وسترته الرسمية اللامعة
ظلت عينيها تتابع أصغر حركاته وهو منشغل بحواره
مع الرجل، تفاعله مع الحديث وتعبيراته العفوية ..
ضحكته الجذابة والمرحة .. يده التي يمررها بين
خصلات شعره ليعيده للخلف .. ملامحه الوسيمة
وابتسامته الصافية

غلبتها ابتسامة واسعة دون أن تشعر، وعينيها ينبعث
منها حب جارف يستطيع تمييزه من يراها عن بُعد
كيلومترات .. بل وأصغر طفل سينظر في عينيها
سيشيد بوقوعها في غرامه كالحمقاء ..

اقتربت منه بضع خطوات متمهلة ثم توقفت تراقب
الوضع حتى ينتهي الحديث مع ذلك الشخص، إلى أن
لاحظته في النهاية يشير بيده للضيف بأن يتفضل
للداخل ويتخذ مقعدًا ..

فاستجاب الضيف لطلبه وأخذ طريقه إلى الداخل،
تاركًا فخر يستعد للذهاب في اتجاه آخر معاكس لموقع
جهاد، فسارعت هي بالتحرك صوبه بخطوات سريعة
ونادته بصوت مسموع بعض الشيء :

خوخة استنى !

اتسعت عينيه بمجرد سماع ذلك اللقب واستدار لها
فجأة، ليراها قادمة نحوه فأخذ هو خطوتين إليها،
وعاتبها وهو يصك على أسنانه :

_ احنا مش اتفقنا نخلي خوخة دي في السرّ؟؟

ابتسمت له بكل براءة قائلة ببساطة :

_ مالها؟؟

_ مالها ايه يا جهاد؟ انا هبقى طرطور القعدة لو حد سمعك!

قهقهت بصخب، ثم شاكسته قائلة :

_ متكرش إنك بتحبها مني

أجابها بكبرياء :

_ لا مش اوي يعني

فضحكت ونبست بيقين :

_ والله بتحبها

تطلع لها بتهكم تعبيرًا عن إنكاره لذلك .. وبعد لحظات
فقط رضخ للأمر الواقع وتبدلت نظراته إلي الاستسلام
وتتهد بملل قائلاً :

__ بغض النظر عن انها بتحسني اني قط صغير بس
ماعلينا

دخل إلى موضوع جديد :

__ انتِ جيّتي امتي؟

__ لسة دلوقتي

__ ومروان جه؟

__ اه بس سيّته ومشيت، زمانه سارح في أي حتة مع
عزة

لم يحفل بالأمر كثيرًا وانصب اهتمامه لمظهرها؛ فقد
جذبتَه ظلَّتْها أكثر من أي شيء، تسالت ابتسامته
العاشقة إلى محياه وأبدى إعجابه بجملة لطالما اعتاد
قولها بنفس الشغف :

حلو الاصفر عليك

ولطالما جعلها تبتسم نفس الابتسامة الرقيقة
خاصتها، أخفضت بصرها إلى الأرض بخجل وردت
بنعومة :

انت كمان شكك حلو

•
•

تعالى الزغاريد دون توقف حينما أمسك عز بيدها
برفق وألبسها دبلتها، فابتسمت مريم وفعلت معه
المثل وسط الكثير من الهتافات والصفير والفرحة ..

ارتدت فستاناً رقيقاً ذو لون سماوي وتركت شعرها
الأصفر حراً ينسدل على ظهرها مع تزيينه ببعض
دبابيس الشعر الصغيرة، بينما تميز عز ببنتال من
اللون الرمادي وسترة من اللون الكحلي تعطي قميصاً
أبيض اللون ..

ضحكت مريم ضحكة مفعمة بالسعادة ورفعت يدها
لتري الحضور ظهر يدها، وكأنما تريهم الإثبات
الواضح بأنه يخصها رسمياً .. أشارت لعز ليفعل
مثلها حتى يأخذ صورة بهذا الوضع، فابتسم واقترب
منها قليلاً وأظهر دبلته إلى كاميرة زياد الذي كان
أبرز المصورين للحفل ..

التقط لهما الصورة ثم ابتسم ورفع إبهامه تعبيرًا بأن
الصورة خرجت رائعة .. التفت لياسمين الواقفة
بجواره وأحاط كتفها بذراعه ليقربها إليه ورفع
الهاتف بيده الأخرى؛ ليأخذ صورة لهما، فلم تلبث
ياسمين حتى ضحكت بنقاء وأحاطت خصره بهدوء
ونظرت إلى الكاميرا .. اعتلت كلاهما ضحكة جميلة
والتقط الصورة ليحتفظ بها في ألبومات ذكرياته ...

وعلى جانب آخر كان رؤوف يقدم مباركاته لصغيريه،
فاحتضن ولده الذي يعلم جيدًا كم عانى ليصل إلى تلك
اللحظة، ومن ثم عانق مريم بلطف وسعادة حقيقية
بهما .. ثم تبعته مي التي احتضنت عز بفرحة عارمة
بأخيها، ثم التفتت لمريم ومنحتها عناقًا قويًا مليء
بالحب، في حين بادر حازم باحتضان عز بهدوء ثم
ابتسم لمريم وهنأها بصفاء ..

بنفس الوقت كان مروان يقدم مباركاته لفخر وقد
فعلت عزة المثل بابتسامه صغيرة .. شكرهما فخر
وعبر عن سعادته بحضورهما وتبادل مع مروان
بضع أحاديث سريعة قبل أن ينته الحوار بضحكات
عالية أتبعها مروان بانسحابه مع عزة قليلاً ..

بينما تقدم فخر بعد ذلك إلى العروسين مع جهاد، وقام
بمعانقة أخته ببهجة وهو يقول بسعادة نبعت من
اعماقه :

_الف مبروك يا حبيبتي يارب اشوفك مبسوطه كدا
على طول

ابتسمت بسرور وأجابت بحب :

_ربنا يخليك ليا يافيرو الله يبارك فيك

ابتعد عنها مبتسمًا بحبور، ثم توجه إلى عز وجذبه
لصدره بعنف وهو يهدده قائلاً :

_جرب تزعلها بـ نص كلمة وهتشوف سواد معايا

ضحك عز وهو يبادلله العناق :

_عيب عليك، انا عندي كام مريم؟

ابتسم فخر وربت على ظهره بهدوء :

_مبروك يا صاحبي ربنا يتمم لك على خير يارب ..

فصلت جهاد عناقها مع مريم بعدما قدمت لها تهنئات
حارة، ثم ابتسمت لعز وهنئته بلطف، قبل أن تقف
بجوار فخر وتهامسه :

_عايزاك برا ..

ترك معها المكان بأكمله وخرج إلى الشارع، تتقدم عليه بخطوة لتقوده معها دون أن ترضي فضوله وتخبره ما الأمر، توقفت بجانب إحدى السيارات وفتحتها بمفتاحها الخاص، فعلق فخر :

_ احنا هنقلب عربيات؟

ضحكت بخفة وقالت :

_ لأ دي بتاعة مروان

فتحت باب المقعد الخلفي ومالت قليلاً لتحضر منه حقيبة هدايا صغيرة، ثم اعتدلت والتفتت له :

_ انا جيت لك هدية

نظر للحقيبة التي مدتها له فبدأ عليه الاهتمام وابتسم
بهدهوء قائلاً :

_دي بمناسبة ايه؟

_بمناسبة إني بحبك عادي

سُرّ بكلمتها كثيراً وتناول منها الحقيبة على مهل وهو
يقول :

_افتحها دلوقتي؟

حركت رأسها بالموافقة مرتين، قام بفتحها وأخرج
منها محتواها؛ فكانت عبارة عن علبة نظارات
خاصة، يحيط بها شريط وردي رفيع مربوطاً بشكل
عقدة تشبه الفراشة .. ظهر عليه الذهول؛ فهو يعلم
هذه العلبة التي تخص أحد ماركات النظارات وتؤكد
أنها هي من شعارها المطبوع على العلبة، سارع بفك

تلك العقدة ليبعد الشريط عنها ويفتحها ليري بداخلها
نضارات شمسية تشبه خاصته التي كُسرت من فترة

..

فغر عينيه بدهشة قوية و ردد بعدم تصديق :
_ايه ده يا جهاد!! ، ليه كلفتي نفسك كدا!؟!

ابتسمت ببساطة :

_دي صغيرة جدا قصاد كل اللي عملته عشاني

_صغيرة ايه؟؟ دي غالية وانتِ أصلا بتجيبني معايا
حاجات للشقة، مكانش وقتها خالص

نبتت بهدوء شديد :

ممكن تفرح بيها وتبطل تفكر في حاجات عبيطة؟؟
انا لو مكنتش هقدر اجيبها كنت جبت حاجة تانية على
فكرة

بصر النظارات من جديد وهدق بها للحظات، ثم ابتسم
وسألها :

مين اللي قال لك إن نضارتي اتكسرت؟

مريم، وقولت لها تجيبهاالي من وراك عشان اجيب
زيها بالظبط

تحركت وأردفت وهي تستعد لإحضار شيئاً آخر من
السيارة :

وفي حاجة تانية

راقبها باهتمام حتى أخرجت بروازًا متوسط الحجم
مستطيل الشكل، مغلف بورق ملون يخفي محتواه ..
تركته بين يديه، فسألها ضاحكًا :
_ ده من اللي عليه صورة بيوت وورد؟

ابتسمت وردت بهدوء :
_ افتح وشوف

استجاب لها _ ولفضوله _ ، ونزع عنه الورق بتمهل
حتى أظهر نصفه، تسمرت عضلاته ولم يتابع نزع
الورق، تصلب نظره على الصورة التي تتوسط
البرواز وسريعًا تراكمت الدموع بعينيه ..

كان البرواز عبارة عن مجموعة من الصور وفي
المنتصف الصورة الأكبر، صورة قديمة له مع والدته
حينما كان في سن الست سنوات تقريباً؛ تجلس هي

على الأريكة ويقف هو من خلفها يميل على ظهرها
ويحيط كتفها الأيمن بذراعه ويخفض رأسه على
كتفها الأيسر لتجاور رأسها، فتمسك هي بيده
الصغيرة بكفها الأيمن وترفع يدها الأخرى لوجهه
تلامس وجنته بحنان .. ضحكتها بارزة أثر مشاكسة
ولدها لها وهو يقفز على ظهرها، ولم تختلف ضحكته
عنها فقد اتسعت حتى أظهرت أسنانه اللبنية الصغيرة
..

كانت صورة مليئة بالدفي والحب الصافي، جعلت قلبه
يهتز في لحظات ..

مد أنامله إلى الصورة وتحسها بهدوء، تحديداً
وجهها وابتسامتها الطيبة .. لم يشعر بدمعته التي
هربت من عينيه مع ابتسامته التي توحى بكمّ
الاشتياق الذي يكنّه لها ..

لم يشعر حتى بالوقت الذي قضاه في التحديق
بالصورة، بينما وقفت جهاد تراقبه بصمت لتترك له
وقته الذي يريد

تغير اتجاه بصره إلى باقي الصور الصغيرة المحيطة
بصورة والدته، ليرى واحدة مع كل فرد من أحبائه ..
صور مع إخوته، وأخرى مع خاله وأولاد خاله ومع
صديقه حازم ..

وبالطبع صورتين معها؛ قد اختارتهما من الصور التي
أخذها مؤخرًا بعدما ارتدت الحجاب ..

دي أجمل هدية جات لي في حياتي!

ردد عبارته وهو لا يزال يحملق في الصور، رفع
عينيه الدامعتين لها وأضاف بابتسامة سعيدة :

انا هحطها على المكتب عشان تبقى قدامي طول
الوقت

ارتسمت عليها ابتسامة واسعة، قبل أن تسمع صوته
يتساءل باهتزاز :

انتِ جبتي صورة امي منين؟

طلبت من مريم تجييلي صور ليك معاها وجابت لي
دي

انبسطت ابتسامتها أكثر وهي تقول بمداعبة :

كنت حلو اوي وانت صغير ياخوخة

ضحك بخفة وعاد يتأمل البرواز من جديد ؛لم تشبع
عينيه من النظر له بعد .. ولن تفعل ، فهذه حقاً أكثر
هدية لمست قلبه وأسعدته بشكل لا يصدق ..

لاحظ وجود فراغ في البرواز من الأسفل بوسعه
احتواء صورتين تقريبيًا، فنظر لها متسائلًا :

_ليه الحتة دي فاضية؟

ابتسمت بحماس وضمت يديها على بعضهما ببعض
الخبجل :

_عشان نحط فيها صورنا مع ولادنا

تزين محياه بضحكة واسعة تعلن عن مدى تشوّقه
لرؤية هذه الصور، اقتربت منه بتمهل، تعلقت عيونها
الواسعة بخاصته البنيّة المميزة ونبست بنبرة راجية:

_اوعى تزهدق منّي وتسيبني قبل ما نعلق الصورتين
دول.

أجابها بكل سلاسة :

_ انا معاكى لحد ما نعلّق صور أحفادنا كمان

تطلعت له بأعين لامعة وسألته بتوجّس :

_ هتفضل للآخر؟

_ انا نفسي طويل صدقيني

_ لحد فين؟

_ لحد ما انتِ اللي تقولي لي زهقت

_ عمري ما هعرف اقول كدا .. انا محتاجة لك دايمًا
يا فخر

اعتلته ابتسامة هادئة وأحني رأسه بطريقة مسرحية
كأنه يبجل ملكته، نابساً برقّة :

فخر موجود عشانك دائماً ياجهاد.

اعتلتها ابتسامة واسعة، سعيدة ومرتاحة، تحمل من
الرقّة والجمال ما يجعله يود أن يحملق بها لآخر
حياته ..

.

.

أغلق دفتره وترك قلمه فوق مكتبه ونهض بعد تدوين
بضع كلمات كتبها على ضوء المصباح الصغير :

**”ظننتُ أنّ رياح أمشير ستُحاصرني إلى الأبد
وستظلّ كلّ المسارات مسدودة ..**

حَتَّىٰ فُوجِئْتُ بِعَوَاصِفِهَا تَتَلَاثَنِي وَفُتِحَ لِي
طَرِيقًا أَنْعَمَ عَلَيَّ بِنَسَمَاتِ بَرْمُودَةَ"

يتبع..

الفصل الرابع والأربعون والأخير {الخط سطورنا معاً}

سارت مريم وسط ممرات متجر التسوق لشراء بعض الأغراض، تحمل بيدها سلة التسوق وتختار بعض المنتجات المختلفة لتضعها فيها ..

التفتت لفخر الذي أتى من خلفها ووضع في سلتها بعض التفاح الأحمر، فعلقت بسخط :

_ احنا مش لسة جايبين تفاح امبارح؟؟

أجاب وهو ينزع الورقة عن الشوكولا التي يمسكها
بيده ليأكلها :

_ خِص

رمقته بتعجب وتساءلت :

_ انت من امتى بتحب الشوكولاتة؟

كانت الشوكولا هي تلك التي تفضلها جهاد، فنطق
وهو يأكل قضة منها :

_ مورو بس

_ اشمعنا؟؟

رفع كتفيه بلامبالاة :

_عجبتني ..

ابتلع ما بقمه، ثم أردف :

_بقول لك ايه انا هستناكي في العربية عشان زهقت،
وشدي حيلك شوية انا مش فايق لك ..

تركها وسار بجوار الممرات، تخطى الكثير وهو
يطوي ورقة الشوكولا بعدما انتهى منها ووضعها في
جيبه إلى أن يجد سلة مهملات ليرميها فيها ..

ألقى نظرة خاطفة من حوله ثم تابع طريقه ولكنه
توقف فجأة وأعاد عينيه لما وقع عليه بصره ليتأكد
مما رآه، وسرعان ما تراجع بضع خطوات ليختفي
عن مرمي نظرها ..

إنها حنين!

استرق النظر عليها وهي تقف على مسافة أمتار منه،
تقف بصحبة شاب ما وتتبادل معه الحديث والضحك،
ويمسك كلاهما بمخروط مثلجات، بالإضافة لسلة
المشتريات التي يحملها "بلال" ..

حركت يدها بعشوائية فلطخت الثلجات ملابسها من
ناحية كتفها، غمغمت بصوت متذمر ثم قالت :

_قولت لك مينفعش نشترى حاجة واحنا بناكل آيس
كريم!

ضحك بلال وقال :

_استني معايا مناديل .. امسكي كدا

أعطاها مثلجاته ثم وضع يده بجيبه وأخرج مناديل
جيب من بنطاله، علّق السلة على ذراعه ليستخدم يده
في إخراج المنديل، ثم التفت لها وبادر هو بمسح أثر
المثلجات عن كتفها بهدوء وهو يقول ضاحكًا :

_ أنتِ اللي بتشوّحي وخلص، اهدي شوية

بادلته الضحك وسكتت، قبل أن يقول بعدما انتهى :

_ بس تمام كدا

أخفضت بصرها لملابسها وهي تقول :

_ أكيد مبقعة

رفعت عينيها له وأردفت بتأفف :

_ امشي بيها كدا ازاي دلوقتي؟

خلاص ابقّع التيشيرت بتاعي انا كمان ونمشي
مبقعين احنا الاتنين، ايه رأيك؟

قالها بمزاح عفوي خفيف فجعل قهقهاتها ترتفع
بعنف، تزامناً مع ظهور ابتسامه صغيرة على وجه
فخر الذي ظل يراقبهما ..

لا يدري أخرجت ابتسامته من ارتياحه برؤيتها سعيدة
ونجحت في تخطي علاقتها به، أم من هذا الذي
فاضت عينيه بحب جارف وهو يرى ضحكتها
وملامحها المرحة ..

حرّك قدميه بخطوتين للخلف منسحباً من المجال، ثم
استدار وغادر، وقد اتسعت ابتسامته براحة شديدة
عندما أيقن أنها مضت قدماً في حياتها واستطاعت
إدخال شخصاً غيره إلى حياتها ولم يغلبها التعلّق
بحبال الماضي ..

•
•
•
خرجت مريم من المتجر وهي تحمل بضع أكياس
تحمل المشتريات، اتجهت لسيارة أخيها ووضعت
الأغراض في الخلف ثم تقدمت وجلست بجواره وهي
تقول :

__ اتأخرت؟

رد وهو يقوم بمسح المقود بمنديل صغير :
__ انا استاهل اتضرب بالشبشب لو نزلت معاكى تانى
أشاحت بوجهها وهي تهمهم بملل :
__ كل ما تنزل معايا تقول كدا وبتنزل

نظرت له مجددًا وقالت :

_هتروّح؟

_لأ هوصّك وهروح لجهاد

استند بظهره للخلف وسأل دون مقدمات :

_بقول لك ايه، انتِ شوفتي حنين؟

عقدت حاجبيها بعدم فهم :

_اشوفها فين؟ .. وايه اللي فكرك بيها أصلاً؟

_شوفتها جوا

_بجد؟؟ انا مخدمتش بالي

_شوفتها بعد ما سبتك، لما كنت طالع برا

سألته بترقب :

_لوحدها ولا مع بلال؟

بدا على وجهه التعجب قائلاً :

_هيّ كان معاها واحد اه، انتِ تعرفيه؟

_ايوة قاريين فاتحة بقالهم شوية

وجّه جذعه ناحيتها قليلاً وهو يقول :

_مقولتليش يعني!

ردت بلامبالاة :

_محسيتش إنه هيفرق معاك

ثم تساءلت بفضول :

_ انت كلمتها؟

_ لأ

_ ليه؟

_ مش عايز اعمل مشكلة بينها وبينه .. ايه الفكرة
خطيبها القديم جاي يسلم عليها يعني وعلاقتهم انتهت
خلاص؟

ظهر على قسماتها الاتفاق مع حديثه، وعمّ الصمت
لحظتين قبل أن يقول بابتسامة صغيرة :

_ شكله بيحبها بجد .. عينيه كان باين منها زي
الشمس

ضحكت بخفة وقالت :

العوض بقى!

ابتسم بهدوء ونبس بخفوت :

ربنا يوفقها ويسعدها معاه ان شاء الله ..

*

*

*

سارت ناهد بثبات في ممر طويل ملئ بالغرف المتجاورة .. كل غرفة تتميز برقم معين وجميعها تتخذ نفس الأبواب ونفس المساحات .. وصلت لغرفة معينة وطرقت مرتين قبل أن تدخل ; غرفة ذات مساحة ضيقة قليلاً لا تحوي إلا سرير ومنضدة صغيرة، جدرانها بيضاء تتراكم عليها بعض

الأتربة ويقتصر منفذ الهواء على نافذة متوسطة الحجم ..

وقع بصرها على شقيقها الجالس على السرير ..
ينظر إلى النافذة شاردًا في اللاشيء، جذبت انتباهه بصوتها :

_عامر!

ليلتفت نحوها بانتباه، انعقادا حاجبيه وضافت عينيه قليلاً محاولاً تذكرها، فلم تنتظر سؤاله المتوقع وعرّفت عن نفسها وهي تهتمّ بالدخول :

_انا ناهد اختك يا عامر

بدت عليه الدهشة وهمهم :

_ناهد! ، انا بقالي كتير مشوفتكيش انتِ كنتِ فين؟؟

اعتلتها ابتسامة جانبية يائسة وباهتة، وغمغمت :
_ انا كنت لسة هنا أول امبارح!

لم تلق للأمر بالأ وبادرت بسؤاله :
_ عامل ايه؟ اخبارك ايه؟

أجاب بلامبالاة :

_ كويس

وقع بصرها على صينية الطعام التي تعطي المنضدة
الصغيرة المجاورة للسرير، وقالت :

_ ليه مكلتش؟

_ ماليش مزاج

أحضرت الصينية ووضعها أمامه على الفراش :
_ لا لازم تاكل

جلست قبالة تاركة الصينية بينهما، وأردفت :
_ أي لقمتين كدا ع السريع

رضخ لطلبها ومد يده إلى الطعام بهدوء وشرع في
تناوله، راقبته ناهد بعيون يبدو بها الحزن وبقت
صامتة لبرهة قبل أن تهمهم :

_ مريم اتخطبت امبارح يا عامر ..

أكل قطعة خيار وهو يتساءل ببساطة :
_ دي صاحبتك؟

غلبتها ضحكة خافتة بخيبة وشردت قليلاً، قبل أن
تهمهم بكلمات خافتة لم تكن واضحة بالنسبة لعامر :

_ مريم اتخطبت وولادك الاتنين بيجهّزوا بيوتهم
عشان يشوفوا حياتهم .. محدّش فكّر فيك عشان
عمرك ما فكرت انت فيهم، قسوتك عليهم نشّفت
قلوبهم ناحيتك .. مبسوط دلوقتي وانت خسران حبهم
بايدك وقاعد لوحدك !؟

لاحظت التساؤل على وجهه تعبيرًا عن طلبه لإعادة
ما قالت ؛ فلم يسمعها جيدًا من انخفاض صوتها ..
ولكنها ادّعت عدم أهمية الأمر وابتسمت بهدوء :

_ انا جيت اشوفك على طول وماشية، كنت عايزة اقعد
معاك شوية بس وقتي ضيق النهاردة .. هبقى اجي
لك تاني بكرة ان شاء الله

لم يجد ردًا يلفظه، فلم يكن سوى أنه أوماً إيجاباً
بلامبالاة وحسب ..

خرجت ناهد من الغرفة وعينيها تتبى بحضور الدموع
في أي لحظة، تضم شفتيها محاولة لمنع نفسها من
البكاء ..

ولكنها لم تستطع فعل ذلك كثيرًا واتخذت أقرب نقطة
مختفية عن الأنظار، استندت على الحائط وانفجرت
ببكاء مرير ووضعت يدها على فمها تمنع صوتها من
الخروج ..

لم تكن علاقتها به مقرّبة أو وردية وملئية بالحنان
وما شابه، ولكنه أخيها رغم كل شيء، وحاله يحزنها
حقًا

*

*

بإحدى المناطق الهادئة وسط ضوء النهار في شارع
غير حيوي لا يزوره الكثير من المارة، توقفت سيارة
فخر على جانب الطريق وجلست جهاد في مقعد
السائق واتخذ هو المقعد المجاور لها؛ حتى يتسنى
لها تعلم القيادة والتجربة..

مبدئيًا غيارات الفتيس .. P R N D ، تعرفي
الأربع حروف دول ايه؟

هكذا تحدث فخر وختم بسؤال، فصاحت جهاد :
ايوة ايوة مروان كان قايل لي عليهم استنى هقول

ردد بملل :

طب ما كان مروان علمك وخلصنا

_ اتذلت كثير والله مرضيش

ضحك بخفة ثم قال :

_ طب قولي

_ بص الـ P ده يعني هركن والـ R يعني ارجع لورا ..

والـ D يعني اطلع لقدام اسوق عادي

أوما برضا :

_ حلو .. والـ N؟

ردت ببلاهة :

_ لأ مش عارفها دي

_الـ N يعني العربية مش واخدة غيارات، لا تتحرك
قدام ولا ورا هتفضل واقفة

_اه تمام، وبعدين؟

_في حاجة الأول اسمها فرملة اليد لازم تنزليها قبل
ما تتحركي

_ودي ايه الفرق بينها وبين الفرامل العادية؟

أجابها بعملية :

_الفرامل العادية دي مؤقتة، يعني تقفي بيها وانتِ في
الطريق، لكن فرامل اليد دي بترفعيها لما تكوني
هتسيبي العربية وتقلبيها خلاص .. دي بتكلبش
العربية، بتضمن إنها متتحركش من مكانها

_اه فهمت، فين هي؟

أشار عليها حيث وقع موضعها بين مقعديهما، وقال :
_ اهي، وهي كدا نازلة ، لما ننزل ونقفل العربية
هنرفعها ..

ثم استطرد :

_ دلوقتي العربية انا سايبها على N ، حركي الفتيس
بالراحة وانقلي على D بقى

هزت رأسها بحماس واعتدلت بجلستها باستعداد
وكانها ستبني خرسانة، فغمغم فخر بعدم اطمئنان :

_ بسم الله الرحمن الرحيم

فعلت كما قال واستقرت السيارة على وضع القيادة،
لتفاجئها السيارة بتحركها للأمام بهدوء شديد،
فانتفضت بفرع :

_ ايه ده!

بينما رد بهدوء :

_ اقلي اقلي

رغم نبرته العادية إلا أنها ذعرت وكأنها تسير
بسرعة مئتين وليست بسرعة سلحفاة مشلولة،
وأسرعت تحاول الضغط على الفرامل ولكنها لم
تجدها، فنظرت أسفل قدميها صائحة بهلع :

_ الفرامل فين مش لاقياها !

صاح بها باستنكار :

_ هي تايهة؟!

ضغطت على الفرامل دون تمهّل فأوقفتها فجأة، ثم
نظرت لفخر بطرف عينيها .. وجدته يبادلها النظر
بعدم استيعاب وصمت قليلاً حتى نبس بذهول :

_بتدوّري على الفرامل!؟!

وزعت نظراتها يميناً ويساراً، قبل ان يردف هو :
_انتِ معنديش غير دوّاستين أصلا ياجهاد !

نظرت له قائلة بجهل :

_ما انا اتوترت لما لقتها بتتحرك لوحدها، انا
مدوستش على حاجة ولقيتها بتمشي

_ايوة هي كدا عادي ..

تسألنت بغباء :

_ اومال انا هعمل ايه طالما بتمشي لوحدها؟؟

رد بنفاد صبر من بلاهتها :

_ مش بتفضل كدا على طول، هي بتتحرك كدا واحدة
على خفيف وبتقف .. زي ماتقولي فيها بواقي بنزين
بتحرقهم قبل ما تديها انتِ دفعة!

استشفت نبرة الاستخفاف في حديثه، فقالت بسخط :
_ خلاص طوّل بالك عليّا، اديني فرصة تانية معلىش

همهم بملل :

_ اتفضلي

_ ادوس بنزين يعني؟

_ايوة بس خفيّ رجلك خالص، دوسة صغيرة بس
كأنك بتطبطبي، اوعي تدوسي للآخر عشان مش
عايز اموت دلوقتي بعد اذنك.

ضحكت، ثم حرّكت قدمها بتمهل ولمست دواسة
البنزين وضغطت برفق تحت نظراته القلقة، فتقدّمت
السيارة بسرعة صغيرة ثم عادت تتباطئ تدريجياً
حينما رفعت قدمها، فقال :

_كويس ماشي، بس مينفّش تدوسي وترفعي رجلك
من على البنزين كل شوية، خلّكي ثابتة

نفذت تعليماته وركزت قدمها على المدى الذي لا
يتخطى أقل سرعة، فشجعها فخر بقوله :

_عظيم، خلّكي كدا

ضحكت بحماس أكبر ونبست متهاللة :

_طب ما الموضوع طلع سهل اهو

_ايوة ده الأساسي، لسة في مهارات لازم تعرفيها ..
والركنة بالذات دي حوار لوحدھا ..

_مهارات زي ايه؟

سرد لها بهدوء :

_يعني مثلا لما يبقى في طريق رايح جاي وفي
رصيف في النص، وحبّيتي وانتِ ماشية تلقى
وترجعي، متلفيش الدركسيون قبل ما كتفك يبقى على
آخر الرصيف

تساءلت بعدم فهم :

_يعني ايه؟

_يعني لما توصلي لآخر الرصيف وكتفك أو مرايتك
اللي جنبك يبقوا على مستوى نهاية الرصيف تبدأي
تلفي ..

نبتت باستنكار :

_وانا هنزل اقيس بقى كتفي جاي مع آخر الرصيف
ولا لأ!

_هي بالنظر يا جموسة !

صاح باختناق، فضحكت وقالت :

_طب كمل، ايه تاني؟

تابع حديثه قائلاً :

_نفس الحكاية لما تبقي راكنة بين عربيتين بالطول
وعايزة تطلعي .. بتجيبني الـ R وطبعًا هتتحرك معاكي
العربية لورا .. ف المرايا لما تلاقيها وصلت عند آخر

العربية اللي جنبك، تقفي وتلفي الدركسيون يمين أو
شمال حسب طريقك

ثم أضاف بتبيه :

_ولعلمك العربية لما تحديها على الـ R ده معناه إنك
بتتعامل في بظهر العربية مش بوشها .. يعني لو لفيتي
الدركسيون يمين، ظهر العربية هو اللي هيتحرك
يمين، وبالتالي وشها هيتحرك شمال

ردت باعترض :

_ايه اللغطة دي؟

_ولا لغطة ولا حاجة، بالتطبيق هتبقى سهلة
متركز في الكلام اوي

_طب لما اعوز اركن، اركن ازاي؟

_لو هتركني بالطول وفي عربية مركونة هتدخلي
جنبها، بتشوفي المرايا الصغيرة بتاعتك متوازية مع
آخر ظهر العربية المركونة وبعدين تخشي .. لو
بالعرض بقى وهتركني العربية على مستوى الرصيف
هـ....

بتر كلماته فجأة وتراجع في حديثه قائلاً :

_بصي خليك في البنزين والفرامل بس دلوقتي وكل
حاجة هنعملها واحدة واحدة عشان مش هتفهمي
حاجة بالشرح
_انا فعلا مفهمتش

أوما بيقين :

_ما انا عارف

ضغطت على الفرامل وأوقفت السيارة بمنتصف الطريق، وهي تقول :

_بص انا زهقت خلاص، نكمل بكرة

ردد باندهاش :

_احنا لحقتنا؟!!!

_انا بقالي شوية بفكر في المورو أصلا ومش هعرف اركز، عشان مكلتهاش من امبارح

استنكرها قائلاً :

_مورو ايه دلوقتي! ، في حد يقف في نص الشارع كدا؟!؟

_ما انا اخاف اقف على جنب البس في الرصيف!

أجاب بضجر :

لأ وعلی ایه؟ انزلی خلاص، انا عارف انت مالکیش
فیها من الأول أساسًا !

*

*

*

بعد وقت قصير كان قد صف السيارة جانبًا، بعدما
اشترى لها الشوكولا وجلب هو سابقًا التفاح الذي
اشتراه بصحبة مريم، وأخذ منه واحدة مع السكين
الصغير الذي وضعه بالحسبان قبل خروجه من
المنزل وأحضره معه ..

لم يقطع سوى شريحة صغيرة فقط قبل أن يغلبه
السكون ويركز اهتمامه مع جهاد التي ظلت تثرثر
بعده أمور غير مهمة بالمرّة :

_و مروان لما كسر قلم الكحل بتاعي انت عارفه كلب
وبجح طبعًا، ف مرضيش يجيب لي غيرُه وقال لي انا
مالي .. قُمت انا عندت فيه ونزلت كسرت له مراية
العربية اليمين وقولت له انا مالي بردو .. مسكنا في
بعض بقى وقعدنا متخاصمين اسبوع بحالُه

كانت عينيه منصبة لها بانصات شديد، وكأنها تنص
عليه أخبار الاقتصاد الوطني .. ولم يكتفِ بالاستماع
فقط بل أبدى اهتمامه بسؤال :

_ومين اللي صالح الثاني؟

_هو طبعًا، جاب لي ثلاثة مورو صالحني بيهم .. بس
طَفَّحهم لي بكلمتين باردين من بتوعُه كالعادة

ختمت حديثها بضحكة واسعة، بينما شاركها فخر الضحك بهدوء وهو لا يزال يتأملها وصدقته لا تبتعد عن ملامحها للحظة ..

نظرت له وخجلت من نظراته العميقة لها وعينيه التي لا تحيد عنها، وضحكت بشيء من التوتر :
_ايه؟

تدفق حُبه من مقلتيه البنيّتين، ونبس بـ وَله وهيام وكأنه أصبح ثملاً بتأثير سحرها :

_عينيكِ بتخطفني ياچيچي

توردت وجنتيها من عبارته المفاجئة وتبسمت وهي تتحاشى النظر لعينيه، إلى أن تحدث بهدوء :

_عارفة؟ انا في الأول لما اتأكدت إني بحبك بيني وبين نفسي، كنت بحكي عنك كثير ..

ضحك ساخرًا من نفسه التي لم يتوقع أن يتغير حالها
هكذا :

_ كنت بقول كل حاجة وبتكلم في أي تفاصيل وانا
مبسوط .. حتى كنت بتكلم على شكل دعوة فرحنا
هتبقى عاملة ازاي!

ضحكت رافعة حاجبيها باندهاش :

_ انت فكرت في دعوة فرحنا من قبل ما تعترف لي
أصلاً؟؟

حرك كتفيه بقلّة حيلة وابتسم مجيبًا :

_ كنت متأكد إنني هفضل ماسك فيك لحد ما تبقي من
نصيبي ..

اتسعت ابتسامته الولهانة مردفًا :

_ كنت حابب من قلبي اشوف أسامينا جنب بعض

نطق بنبرة عاشقة ومتعالية كمن يتفوّه بإسم عائلة ملكية :

_ المهندس وأثيرة الكحل ..

غمز لها مردفًا :

_ نغمتها حلوة!

تزينت ملامحها الجميلة بضحكة أجمل وداعبته بخفوت :

_ انت مسكّر أوي ياخوخة

ضحك وأخفض بصره لتفاحته ليستكمل تقطيعها، قطع شريحة صغيرة وعزم عليها أن تأكلها فأخذتها منه

وأكلتها، بينما قطع هو شريحة أخرى وتناولها ;وسط
صمت دام لوقت طويل ..

بقت تراقبه وهو ينتزع جوانب التفاحة بحرص حتى
يشكّل منها مكعبًا، فضحكت معلّقة :

_متعرفش تأكل التفاحة من غير الطريقة دي؟

أجابها ضاحكًا بهدوء :

_اتعودت.

همهمت بضحكات خافتة وعاد الصمت يخيم من جديد
لبضع ثواني ..

_بقولك لك ايه؟

التفت لها عندما تحدثت، ونظر لها باهتمام وهي
تهتف بأعين ملتمة بحماس :

_تيجي منعملش فرح ونسافر بفلوسه تركيا؟

غلبته نفس اللمعة المتحمسة، ووافقها فوراً :

_يلا بينا !

اعتلتها ضحكة غير مصدقة لسرعة رده، وسألته :

_بجد؟

_ايوة والله، انا مبتيقش حد ولا بستحمل التجمعات

أساساً

هتفت بتلهف وابتسامة متشوقة :

_يعني هنسافر؟؟

تأمل ابتسامتها وعينيها المفعمتين بالحيوية، ونبس
بابتسامته المميزة وهدوءه المعهود :

عينا ليك ياست البنات.

انبسطت شفيتها بضحكة واسعة أظهرت صف أسنانها
وجعلت عينيها تتغلق بسعادة وهي تكاد تقفز من فرط
حماسها ..

*

*

*

مرت شهور طويلة بين انشغال كل فرد بحياته ..
فخر وجهاد يُنهيان اللمسات الأخيرة المتبقية
بشفتها، وأخيرًا تم تحديد موعد زواجهما !..

كانت هناك تضع الأغراض الخاصة بالمطبخ في المطبخ بمساعدة مريم، بينما كان هو في غرفة النوم الواسعة يرتب بعض مستلزماته في الخزانة .. قبل أن يقف ويأخذ نظرة سريعة على السرير الواسع الذي ينقصه ملاءة فقط فوق المرتبة ليصبح مثاليًا، و الدولاب والسراحة والمرآة الكبيرة ..

ترك الغرفة واتجه إلى غرفة أخرى لا يوجد بها سوى بضع مقاعد ومكتبه الذي لا يستغنى عنه بحكم عمله، توجه إلى المكتب وبدأ يحرصّ مختصاته بداخل الأدراج

شرد قليلاً وهو يتابع عمله، اعتلته ابتسامة هادئة تتم عن ارتياحه وسروره الذي يتضح بمقلتيه؛ لقد كان يتوق لرؤية هذه الشقة جاهزة، وقد ساعدته إرادته في إنجاز الأمور بوقت أقصر من المتوقع .. ولن ينكر بالطبع دور جهاد التي كانت عزمته ونشاطها

تخطاه بمراحل وكانت أكثر من تشجعه على إنهاء كل شيء في أسرع وقت ..

التفت لصوتها وصوت اخته يسألاه عما إذا انتهى ليغادروا، فأسرع بالعمل قليلاً حتى انتهى، ثم نهض وأعلن الموافقة على الذهاب ..

خرج بصحبتها إلى الخارج، و سألته جهاد إذا كان هناك أشياء متبقية له في الفيلا فأخبرها أنه لا يزال هناك القليل بعد ..

وصلت جهاد إلى باب الشقة ولم تواصل طريقها، بل توقفت واستدرات لترى ساحة الشقة بأكملها، فوقفا مثلها وتطلعا لها بتساؤل ..

لم تنظر لهما وسرحت عينيها مع أرجاء الشقة بسعادة غير عادية، وهي ترى كيف أصبح المنزل مرتباً وجاهزاً من الأثاث والستائر والسجاد ..

فكرت في إضافة مفارش على المقاعد ووضع
مزهريات وتعليق بعض البروايز الصغيرة، وبضع
تفاصيل صغيرة ستقوم بها حتمًا ولكن لا يهم وجودها
قبل الزواج الآن؛ فقط ليكتب اسمه في بطاقة هويتها
أولًا وبعد ذلك تفكر في أي فرعيات أخرى ..

*

ولم يختلف حال زياد وياسمين عنهما كثيرًا، فهما
أيضًا انخرطا في أمور شقتهما التي لا يزال ينقصها
الكثير، وقد كان آخر ما أُضيف للمنزل هو الثلاجة
والميكرويف وشاشة التلفاز؛ التي شرعا يتشجاران
على موضعها، فكانت تعترض ياسمين وتريدها في
الصالة كأبي منزل، بينما يصرّ زياد على وضعها في
الغرفة ليتمدد على السرير ويشاهده وهو أسفل
البطانية ويتناول المشروبات والأطعمة ...

*

ومن ناحية أخرى كانت مي تركض سريعاً من الحمام إلى غرفتها وهي تنادي زوجها بتلهف شديد، حتى دلفت ورائته واقفاً يتأهب للذهاب إليها، ولكن فرحتها سبقتها وجعلتها تصل له قبل أن يفعل ..

وقبل أن يسألها ما الخطب كانت هي ترفع أمام عينيه اختبار حمل يظهر عليه خطين باللون الأحمر ليعلن عن زيارة صغير آخر للدنيا بعد شهر ..!

فغر حازم عينيه بعدم تصديق حينما نظر للاختبار، ثم نظر لها واعتلته ابتسامة مذهولة وهو يحرك رأسه بتساؤل وكأنه يتأكد منها، فالتفت ضحكتها وأومات عدة مرات بسرعة تؤكد له أنه حقيقي ..

تهللت أساريره وجذبها لأحضانه بعنف نبع من حماسه وسعادته المفرطة، بينما بادلته العناق

وضحكاتھا تعلو بسرور وغبطة لا تستطيع السيطرة
عليها ...

*

بينما شرع عز في مشروع تشطيب شقته، ولكنه مع
كل غرفة يتعطل بسبب خلافه مع مريم على ألوان
الشفقة وتردها المستمر في الاختيار؛ كلما استقرت
على لون تسارع فجأة بتغيير رأيها وتختار آخر ..

هي حتى لا تخبره بلون يفهمه، بل تواصل تريد
أسماء غريبة لم يسمعها في حياته؛ مما يجعل السخط
قائماً بين الاثنين حتى يقرّرا في النهاية بعد ثرثرة لا
تنتهي ...

*

أما في جانب آخر، فلم يكتف مروان من الصراعات
الطفولية مع عزة حتي يثير حنقها ويجعلها تسبّه
وتتركه وتذهب، أو أحياناً تجلس مع والدته تشكو
إليها بروده وأسلوبه المثير للغيظ وعدم تحملها لهذه
العلاقة المعقدة، فتسارع صابرين في محاولة تهدئة
الأمر بينهما، ولكن يعيق مروان هذا بكلماته الفظة
وضحكاته المستفزة ..

وبالطبع ليس من طبع عزة الصمت، فتنهض دون
تردد لتسد له عدة لكلمات قوية تكاد تكسر ذراعه، أو
تسكب الماء على وجهه لعلمها بأن هذا الفعل يغضبه
.. ويستمر الحال بينهما هكذا كطفلين في الخامسة
من عمرهما

*

*

*

فترة طويلة مرت حتى حضر اليوم المنتظر ..
يوم من أهم أيام العائلة .. ;يوم زواج المهندس
بتحفته الفنية !

.

_زیزوو .. زیزو تعالی بسرعة
ناداه فخر وهو يهبط على درج الفيلا متعجلاً .. أتاه
زياد ووقف عند آخر السلم يتساءل :
_في ايه؟؟

وصل له فخر وخطى آخر درجة من السلم وهو يقول:

_جهد كلمتي وقالتلي ان الفستان اللي وصل لها
مش هو اللي اختارته، معلى عايزك تعدي عليها
تاخذ منها الفستان وتروح للاتيليه ترجعه وتجيب
التاني

صاح زياد بكل احتجاج وكأنه سيغادر بلاد ويعبر
محيطات :

_ نعم ياخويا!! , وانا مالي انا؟؟؟

نهره فخر بحدة :

_ اخلص خلّي عند أهلك دم، انا ورايا حاجات كثير
معنديش وقت!

كانت تجلس العمّة ناهد في الساحة منتبهة لحديثهما،
والسيدة سحر تقف بجوارها بعدما قدمت لها الشاي ..

زفر زياد بتأفف، قائلاً :

_ وهو لازم الفستان اللي هي مختاراه يعني؟ ما تلبس
ده وخلص

**_قولت لها كدا والله بس قالت لي مش عاجبها ..
معلش يا زياد هي مش هتبقى عروسة كل يوم اجبر
بخاطرها**

دخل بالحوار صوت ناهد يقول باستتكار :

_قول لها بطلي دلع يا حبيبي!

**التفت لها فخر وتطلع لها بصمت لعدة لحظات، ثم
ابتسم ببرود ونبس باستفزاز :**

**_ماتدلّع ياعمتي عادي .. هي لو مش هتدلّع على
جوزها حبيبها هتدلّع على مين؟**

طالعه بسخرية وأجابت :

متبقاش عبيط ياروح عمّك، لو عودتها تعمل لها
اللي هي عايزاه هتتنط عليك وتسوقك هي .. من
أولها كدا متطمّعهاش فيك وعرفها انّ انت الراجل
وكلمتك هي اللي بتمشي و رأيها مالوش لازمة بعد
رأيك انت

رد فخر بعقلانية ونبرة غير مكترثة بحديثها :

انا لو بتجوز عشان اخداها عند يبقى بلاها خالص،
و رجولتي مش هتحدد بكام مرة مشيت كلمتي
ولغيت رأيها ياعمتي، فكك من الأفكار الغريبة دي ..
انا متجوز شريكة مش جارية!

واصلت ناهد الجدل قائلة :

طالما الفستان مفهوش حاجة غلط صمم إنها تلبسه
بمزاجها أو غصب عنها، ليه تبعت اخوك مخصوص
يعني عشان حاجة تافهة زي دي؟؟

_عشان مش عايز ازعلها!، في فرق بين إني بخاف
على زعلها وإني اسيبها تسوقتي زي ما بتقولي ..
جهد لو أصرّيت عليها تلبس ده هتلبسه وهتسكت
على فكرة، بس انا مش عايز حاجة تعرّ مزاجها ..
حقها تلبس اللي هي عايزاها في يومها، فيها ايه؟

ردت باستهانة :

_المفروض كل اللي يهّمها إنها هتتجوزك، مش
هيفرق معاها اذا كانت هتتجوز بفيستان ولا ببجامة
حتى طالما هتكون معاك .. ده لو بتحبك يعني مش
بتحب فلوس ابوك!

أسرع ينهي الحوار بقوله :

_لا لا انا مش هدخل في النقاش ده خالص، شطبنا
ياعمتي خلاص!

التفت لأخيه الذي وقف يبذل نظره بينهما وهو يضحك
ببلاهة ; لا يعلم لماذا ولكنه لطالما ضحك في المواقف
الغير مناسبة .. ليزجره فخر بعصبية :

__ انت واقف تتفرّج؟! روح امشي!

أوقف زياد ضحكاته سريعًا وتساءل :

__ مكانه فين الكوافير اللي راحت له؟

__ لأ هي مراحتش كوافيرات، هي بتجهز في البيت

__ مودتهاش ليه كوافير يابخيل؟

__ هي اللي عايزة كدا يابارد، قالت لي مبتحبش زحمة

الكوافيرات وهترتاح في البيت مع البنات وخلص ..

ماتخلص بقي يخربيت رغيك !!

صاح بعبارته الأخيرة بانفعال، فمد زياد يده له
وأردف :

_طب هات العربية اروح بيها .. اكيد مش هخلص لك
مشوايرك واصرف مواصلات كمان

نفخ فخر بحنق وأعطاه المفاتيح، فهتف زياد بدهشة:

_ايه ده بالسهولة دي؟

رد فخر وهو يستعد للصعود للأعلى :

_ما انا عارف إنك هتطلبها، انت من امتى بتعمل
حاجة من غير مقابل ياسفيه يامراهق!

صاح زياد بعناد :

_وهاخدها بكرة كمان ياوغد يافاسق!

ليأتيه صوت فخر المرتفع من الأعلى :

_ شوف لك حياة بقي !

*

*

*

وقف عبدالله فوق السرير بثبات متخذاً وضعية الطفل
المهذب، أثناء قيام والده بتعديل ملابسه الصغيرة
وترتيب مظهره ;حيث ارتدى بنطالاً أسود اللون
وقميصاً أبيض يعتليه سترة دون أكمام (سديري) من
اللون الأسود ..

_ هي ماما مش جاية؟

تساعل بهدوء، فأجاب حازم وهو يغلق له أزرار
أكامه :

__ لأهي هتروح على هناك على طول واحنا هنحصلها

__ طب انت ملبستش ليه؟

رد حازم بعدما عدل له ياقة قميصه :

__ هلبس اهو .. تعالى الأول سرح شعرك

أردف بعبارته الأخيرة وهو يحمله ليُنزله على
الأرض، فهرول عبدالله إلى المشط وهو يقول :

__ انا هعرف انا هعرف!

التقط المشط وبدأ يتحركه بين خصلاته دون
الاستقرار على اتجاه واحد؛ مرة يميناً ومرة يساراً

ومرة للخلف، فجعله مبعثرًا أكثر، مما أضحك حازم
وجعله يأخذ منه المشط بتمهل قائلًا :

_طب استنى شوف هعمل لك ايه انا

التفت له عبدالله مجيبًا :

_بس انا بعرف!

لم يود حازم إحباطه وشجّعه بقوله :

_ايوة انت بتعرف تعمل كل حاجة انا عارف، بس انا
هعمل لك تسريحة حلوة وهظبطك واتفرج على
إبداعاتي بقى

ضحك عبدالله وأوما بالموافقة، فابتسم حازم وشرع
بتمشيط شعره بهدوء ;وتعلوه ابتسامه راضية عن

نفسه ؛ لأسلوبه مع ولده الذي لا يجعله يشعر بأصغر
شعور لقلّة ثقة بالنفس ...

*

*

*

_ اهدي شوية عشان نخلص، كفاية قلق!

تحدثت ميّ وهي تقف في ساحة غرفة جهاد تحديداً
في مواجهتها مباشرة لتضع لها الماكياج، كان حملها
قد وصل للشهر الخامس وانتفخت بطنها قليلاً على
أثره .. بينما جلست جهاد تتفقد هاتفها بين الدقيقة
والأخرى ؛ علّ فخر يهاتفها ليخبرها بأي تقدّم،
وقدمها اليمنى تتحرك بحركة انفعالية سريعة تعبر
عن توترها ..

متخافيش زيزو زمانه جاي، انا كلمته

هكذا خاطبتها ياسمين لتهديها قليلاً، فنبست جهاد
بحنق :

بقالك ساعتين بتقولي لي كدا

لتجيبها مريم :

انتِ اللي حاسة انها ساعتين عشان قاعدة تعدي
الثواني، اهدي شوية وهو جاي

تمتت مع نفسها بضيق :

انا عارفة حظي، مفيش حاجة بتكمل عدل للآخر
معايا أبدا وشكلها هتقلب نكد!

فسارعت عزة بالتحدث :

يابنتي بعد الشر متقوليش كدا، هو اليوم ده بتحصل فيه حاجات زي كدا كتير مع كل البنات، والليلة بتتسهّل وتتظبّط في الآخر متخافيش ..

انتبهن جميعًا لجرس الباب، فبادرت ياسمين بالتوجه للخارج سريعًا وتبعتها مريم إلى باب الشقة ..

فتحت ياسمين وسرعان ما صاحت في وجهه :

كل ده بتجيب فستان يامكسّح !!

فزع من صراخها وعاد خطوة للخلف، ثم قال بهدوء وهو يرمقها بارتياب :

وعليكم السلام يا حبيبتى!

أتت مريم من خلفها وسحبت منه الفستان المغلف
الذي يحمله، وهي تزجره بحنق :
_ اوعى يا اخي، ده انت يومك بـ سنة!

أخذت الفستان وتوجهت إلى الداخل فورًا، بينما علا
اعتراض زياد :
_ ايه الناس اللي مبتعرفش تقول شكرًا دي !

*

*

*

وقف مروان أمام مرآته وهو يغلق أزرار قميصه
الأبيض من أسفل لأعلى حتى ترك أول اثنين
مفتوحين، التقط كريم الشعر ووضع القليل فوق شعره
المبلل بعدما نال حمامًا دافئًا، أمسك الفرشاة وبدأ

بتمشيط شعره، قبل أن يستمع لصوت والدته التي
وقفت على باب الغرفة تراقبه بامتعاض وهي تقول
باستهزاء :

_ مستعجل أوي عشان المحروسة جهاد !

ضحك دون أن ينظر لها واستمر بتمشيط خصلاته، ثم
نطق بجملته علم أنها ستثير غيظها :

_ على فكرة هي عازماكي

صاحت بسخط شديد :

_ ليه فرحانة اوي بيها؟؟ وبعدين انت مش لازم تروح
على فكرة

نظر لها ضاحكًا :

_ مش لازم ايه يا امي دي اختي!

هممت باستنكار وسخرية :

_صلة الرحم قتلاك اوي

ردد بضجر ونبرة هادئة غير مبالية :

_صابرين يا حبيبتى ده كتب كتابها وانا وكيها لو مش
واخدة بالك!

_طب ماشي خلص كتب الكتاب وامشي على طول،
مش لازم تقعد وتأخذ عزة كمان وتعمل سهرة

_عزة معزومة زيها زي أي حد، مش واخدها
وخلص

هتفت باحتجاج :

_ليه ان شاء الله! هي بقت صاحبها كمان؟

ضحك وكنتم عنها حقيقة أن عزة مقيمة مع جهاد من
أول اليوم ؛ حتى لا تتفجر فيه، وردد بفقدان أمل :

مفیش فايدة فيكِ يا صابرين...

*

*

*

التقط سترته السوداء الفخمة وارتداها فوق قميصه
الأبيض، أظهر طرفي أكمام القميص خارج أكمام
السترة بشكل مرتب، ثم عدل من وضع "الببيون" ذو
اللون الأسود المحيط برقبته ..

شعره البني مصفف بعناية، لحيته الكثيفة مهذمة
بشكل منمق، ملبسه أنيقة بشكل جذاب ومظهره
بشكل عام يلفت الأنظار ..

توقف أمام المرأة يتأمل أناقته بنظرات تحمل بعض
الغرور والإعجاب بنفسه ..

مرحى أيها المهندس! لقد فعلتها ولا يتبقى سوى
دقائق معدودة فقط قبل أن يُذاع أمام الجميع أنها
زوجتك رسمياً ..

وضع لمستته الأخيرة بارتداء ساعة يد فخمة من
اللون الفضي، ورشّ بضع قطرات من عطره الفاخر

استمع لدقات الباب فسمح بالدخول، لتدخل سحر
وعلى وجهها ابتسامة صغيرة أصبحت أوسع عندما
رأته ورددت بسعادة :

__ ماشاء الله يابشمهندس ربنا يحميك ويحرسك يارب

التفت لها وضحك بهدوء، فاقتربت منه قليلاً ونبتت
بفرحة :

__ الف مبروك يا حبيبي يارب يتم لك بخير ويهنكوا
ببعض

تحدث بلطف وابتسامة ممتنة :

__ يارب ياست سحر، ربنا يخليك لنا انا متشكر اوي ..
وجودك معانا فرق كثير، واهتمامك بينا طول السنين
دي انا عمري ما هنساه أبدا ..

ابتسمت ببشاشة وسرور، وقبل أن تتفوه بشيء
تفاجئت باقتحام الغرفة من قبل الشباب وهم يهللون
ويغنون بصوت مرتفع دون أي مقدمات ..

حازم وعز يصفقان وزياذ يحمل طبلة أسفل ذراعه
ويدقّها بلحن متناسب مع الأغنية الشعبية التي يغنوها
_يانجف بنور ياسيد العرسان .. ياسيد العرسان،
ياقمر ومنور على الخلان .. سيدي على الخلان

اتسعت ضحكة فخر كثيرًا، بينما انسحبت سحر للخلف
ووقفت عند الباب، تاركة لهم المجال ليحاوطوه وهم
يرقصون ويكررون نفس الكلمات ..

شجعوه على مشاركتهم الرقص واندمج معهم وهو
يسمعهم يواصلون بصوت أعلى :

_حلو ومدّع من يومك .. اسم الله عليك ملوي هدومك

حلو ومدلّع من يومك .. اسم الله عليك ملوي هدومك

كانت سعادتهم بصديقهم لا توصف حرفيًا ! ، كل هذا الحماس والرقص لم يعبر سوى عن القليل وحسب من فرحتهم به .. وعيني السيدة سحر تتابعهم ببهجة عارمة وكأنهم أولادها ; لظالما لمستها علاقتهم المقرّبة ببعضهم وقوة ترابطهم واهتمام كل واحد منهم لباقي المربع حتى أكثر من نفسه ..

توقفوا عن الغناء بعد وقت قصير وختموه بعناق قوي فكان أول من وقع في أحضانه زياد ; الذي ضمه بسعادة بالغة وهو يقول :

_أول ولد لو متسمّاش على اسمي هتبقى دم يافوفًا

ضحك فخر وأجاب :

_لما يجي يبقى نتفاهم بقى

شدد زياد ذراعيه حول أخيه ونبس بفرحة حقيقية :
_مبروك يافخر، الف مبروك يارب يوفقك ويسعدك
على طول

_الله يبارك فيك يازيزو تسلم
ابتعد زياد ليتبعه حازم ويعانق فخر بهدوء :
_الف مبروك ياصاحبي، صبرت ونولت

_الله يبارك فيك يا حبيبي ربنا يخليك

ابتعد حازم وابتسم له بهدوء، قبل أن يتقدم عز
ليحتضنه بحفاوة :

_مبروك يابشمهندس الف مبروك، انتم السابقون
ونحن اللاحقون

ضحك فخر وأجاب :

عقبالك يا عِزُّو شد حيلك شوية عشان تحصلنا

تراجع عز للخلف ونظر لهم جميعاً وهو يقول بدهشة:

ايه ده، ده مفاضلش غيري فعلاً! .. لأ فاكس خلاص
انا هقعد زي ما انا، خَلِّي واحد فينا يحيي روح
السنجلة مينفesch نقع كلنا في المحيط!

نظر فخر لزياد قائلاً :

لما مريم تيجي هاتها تسمع

دخل صوت عبدالله بالحوار وهو يدخل إليهم ركضاً
ويصيح مهلاً :

العروسة جت العروسة جت!

انتبهوا له جميعًا وسرعان ما تحرّكت سحر فورًا
لاستقبالها في الأسفل، توقفت عندما ظهر الخال
رؤوف عند الباب فألقت السلام عليه بهدوء ثم ذهبت

دلف رؤوف ووقعت عينيه على فخر قبل أي شيء
وسرعان ما اعتلته ضحكة مذهولة :

ايه الشياكة والحلاوة دي يا بشمهندس؟

ابتسم فخر وتقدم بضع خطوات ناحيته، ولم يقف
رؤوف في مكانه وسار صوبه فاتحًا ذراعيه له
ليضمه لصدره بفرحة :

الف الف مبروك يا حبيبي، ربنا يتم لك على خير
ويهدي سركوا لحد ما تشوفوا ولاد ولادكوا بإذن الله

ربت فخر على ظهره ونبس بحب :
_ربنا يخليك لنا ياخالي وتربيهم انت زي ما ربينا

عاد رؤوف للخلف لينظر له ويقول مستكرًا :
_وانت دورك ايه بقى؟

رد ضاحكًا :

_هدعيلكوا

دفعه رؤوف برفق تجاه الباب بتعجل :

_طب يلا يلا انزل دلوقتي، في عروسة لازم تخش
تشوفك مستتيها، اتحرك يلا!

*

*

*

تخطت جهاد بوابة القيلا وهي تعلق يدها بذراع مروان، تخفض رأسها موجهة كل اهتمامها لخطوات أقدامها التي تأخذها بحذر؛ بسبب عدم ارتياحها مع الكعب وعدم تعودها عليه، ويدها الأخرى ترفع فستانها الطويل قليلاً حتى لا يعيقها في السير ..

ترفع عينيها لتتنظر للفتيات وهم يهللون من حولها وتضحك بسعادة وامتنان شديد ثم تعود بنظرها للأرضية مجدداً؛ خوفاً أن تتعثر وسط كل هولاء الضيوف الذين يراقبونها بالطبع؛ فهي صاحبة اليوم استمعت لمروان وهو يهامسها :
_ كفاية فرك بقى!

أجابته بتوتر وسخط :

_ خايفة اتكفي على وشي بالجزمة المنيلة دي

___ مش قد الكعب بتلبسيه ليه من الأول؟

-
-
-

وقف فخر وسط أصدقائه الذين لم يكفوا عن
مشاكسته بالكلمات والغمزات، في حين وقف هو
بينهم يضحك بيأس من حركاتهم الطفولية ..

لم يعرهم اهتمامًا بعد ذلك وانصبَّ بصره سريعًا
صوبها .. مجرد دخولها رسم حولها هالة جذابة لم
يرها إلا هو، استحوذت على كامل عقله بطلتها
الساحرة رغم بساطتها ..

وقف مشدوهاً بانبهار؛ لم تتكلف كثيرًا بل حرصت
على بساطتها ___ التي دائمًا ما تروقه وتجذبه _ ،

ارتدت فستانًا واسعًا أبيض اللون، يحدد خصرها فقط
ثم ينسدل حتى آخر قدميها بـ وسع كبير ومريح ..
حجابها بنفس اللون قد رتبته بعناية وبشكل أنيق ..
اتخذت القليل من مستحضرات التجميل لتبرز رقة
ملامحها، وبعض الأكسسوارات البسيطة ..
كانت كـ بدر لامع .. جذابة ومبهرة!

رفعت رأسها وألقت نظرات عابرة على الجميع حتى
وقع بصرها عليه فارتكزت عليه ولم تنظر لأحد آخر
.. اعتلتها ابتسامة واسعة اختلطت فيها سعادتها مع
إعجابها بمظهره .. فبادلها نفس الابتسامة وتقدم
نحوها بضع خطوات بتمهل حتى وقف قبالتها، تبادل
السلام أولاً مع مروان الذي عانقه بهدوء وقدم تهنئته
بحبور، ثم ابتعد وتراجع قليلاً ليترك لهما مساحتهما
..

وقفوا قبالة بعضهما يتبادلان ابتسامات هادئة لا تتلائم
مع دقات قلوبهما التي ترقص بجنون ..

لاحظ تطلعها لشكله وملابسه باعجاب، فقرر
مشاكستها بعبارة تعود أن يسمعها منها؛ في نفس
اللحظة التي قالتها هي بخجل :

شكلي حلو؟

ضحكا عندما نطقا معاً في صوت واحد، ثم هتفا بنفس
الرد وفي نفس الوقت مجدداً :

تُحفة!

تعالت قهقهاتهما معاً وظلت أعينهما متعلقة
ببعضهما، حتى نبس فخر بحب وحدقتيه تتلألاً
بالعشق :

شكك يهبل ياجهاد! .. كثير عليّ الجمال ده كله والله

انفرجت شفّتها بضحكة خجولة ومسرورة، فيما بقي
يطالعها بابتسامة هادئة؛ ولكنها لم تستمر طويلاً
وانقلبت فجأة إلى السخط صائحاً :

بس لعلمك انا مش هنسى إصرارك على اننا نحتفل
في القيلا عشان انا مكنتش عايز كدا وانتِ اللي
نومتي دماغي بطريقة الدلع اللئيمة بتاعتك دي
ياخذاعة!

ضحكت من تحوّل المفاجئ وطريقة حديثه
الكوميديّة، وقالت :

طالما عندنا مكان مناسب، ليه ندفع فلوس في أماكن
تانية؟؟

ياشيخة عايزين نغير، زيزو وياسمين عملوها مرّة
واحنا تاني في نفس المكان .. حاجة ملل!

ابتسمت ووكزته في معصمه بمداعبة :

عشان نشيل الفلوس لتركيا

تطلع لها بجانب عينيه باستنكار وهو يحاول إخفاء
ابتسامته بكبرياء، فضحكت ووكزته مرة أخرى
عابثة:

ياخوخة !

أفرج عن ضحكته وهو يزيح يدها بخفة :

بس ياچيچي .. وياا عشان المأذون جه من بدري
على فكرة

تلون وجهها بابتسامة لامعة جمعت بين الخجل
والحماسة والتوتر، وحركت رأسها بالإيجاب وهي
تتنهد مطولاً لتهدئ من توترها قليلاً ..

.

التف الجميع حول المنضدة المحضرة لعقد القرآن،
جلس المأذون في المنتصف على جانبه الأيمن فخر
وعلى جانبه الأيسر مروان الذي تجاوره جهاد .. وقد
جلس مروان في مواجهة فخر مباشرة ليضعا أيديهما
ببعض وتبدأ مراسم الزواج ..

على مسافة صغيرة منهم يجلس الحضور صامتين
يراقبون ويستمعون، وفي المقدمة يجلس الأقارب
والأصدقاء المقربين؛ الخال رؤوف مع حفيده، وزياد
وحازم وعز كل بجانب فتاته .. بالإضافة لعزة التي
تجاور مريم؛ وتراقب خطيبها الذي لأول مرة تراه
بهذه الجدية، ولن تنكر أنها أعجبت به كثيرًا .. ترتسم
عليها ابتسامة مُحبة وهي تسمعه يردد خلف المأذون

إعلانه عن تزويج أخته لفخر؛ الذي تلاه وبدأ هو
بالتريد خلف المأذون بدوره ..

جلست جهاد تنصت لكل كلمة يلفظها، ومع كل حرف
تسمعه ترتفع دقائق قلبها كالطبول، تصارع للسيطرة
عليها ولكنها عاجزة؛ سعادتها لا تسع الكون بأكمله!

انتهى العقد بتوقيع اسمها مع اسمه، ثم انتهت
المراسم بصوت المأذون :

"بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"

ارتفعت التصفيقات والزغاريد والتصفير من الشباب
تزامناً مع صدوح صوت إحدى الأغاني المناسبة
للأجواء ..

نهض الجميع، واحتضن مروان أخته قوياً ثم قبّل
رأسها بفرحة صادقة، ضحكت له وشكرته بحب،

ابتسم من سعادتها البادية على وجهها وتمنى لها أن
تحظى بهذا الشعور للأبد ..

التفتت جهاد لفخر الذي تحرك مبتعدًا عن الطاولة،
ورأت ضحكته التي تخفي خلفها الكثير من السعادة
والحماس ..

سارت صوبه بتمهّل .. تمهّل لم يتخذه فخر في
خطواته، وتسارعت قدميه نحوها .. اتسعت ضحكتها
ورفعت ذراعيها لتحيط رقبتة وتقع في أحضانه، التفّ
ذراعيه حول خصرها وضمها لصدره بقوة وكأنه
يبغي إخفاءها بين يديه وقلبه ..

ولم تختلف حالتها عنه كثيرًا، فقد تشددت قبضتها
حوله بقوة؛ يداً على كتفه والأخرى خلف رقبتة، كمن
يقيد طيرًا ويخشى هروبه ..

ضحكتها لا تفارقها، بل لو كانت شفيتها يمكنها
الاتساع أكثر لفعلت .. تشعر بتمسكه الشديد بها ويديه
تربطان جسدها يكاد يسجنها بين أضلعه، ومع ذلك
كانت تشعر أنها تحلق في السماء بحرية .. كان
عناقه مريحاً دافئاً وحنوناً..

اختلفت رائحتهما ببعضها، ولم يسمحا بوجود أصغر
مسافة بينهما، لأول مرة يتذوق قربها إلى هذا الحد
.... ورباه! كم كان له لذة رائعة بشكل مهلك !
يقسم أنه لو ظل بنفس هذا الوضع لساعات فسيشعر
أنها مجرد دقائق قليلة وحسب لم تُشبعه من عبيرها
ورقة عناقها ..

كل هذا العالم الضخم لم يكن ليتسع أجنحتهما من فرط
سعادتهما في تلك اللحظة ..

نظر زياد لياسمين ووكزها بمرفقه، فالتفتت له لتجده
يغمز لها ويقول :
_شهرين وهنحصّلهم

ردت ببلاهة :

_هو احنا مش كتبنا الكتاب بقالنا كثير ولا ايه؟
رد باستخفاف :

_انتِ فاهمة قصدي متعمليش عبيطة

كانت تعلم أنه يعني اجتماعهما في منزلهما، ولكنها
أشاحت بنظرها متصنّعة الجهل :
_لأ مش فاهمة ..

نظرت له بطرف عينيها بترقب فرأته ينظر لها بنفس
الطريقة ولكن بأسلوب استنكاري، فضحكت وأبعدت
بصرها عنه مجددًا ...

نظرت مي لحازم الذي مد لها طبق من الحلويات وهو
يقول :

_ خدي يا حبيبتي اتغذي ورُمِّيَ عضمك، وياريت
متتوحميش على حاجة النهاردة عشان مش قادر
والله.

ضحكت وقالت :

_ هتغذي بـ جاتوه؟

_ الواد هيجبه متخافيش

ابتسمت مستكرة :

_ اشعرفك! ما يمكن بنت

_ أي حاجة حلوة طالما من ريحتك ياميشو

فغرت فاهها بضحكة واسعة وأخذت منه الطبق
لتشرع في تناول الكعك وهي ترميه بنظرات تشع
بالحب، أمام ابتسامته الودودة ...

.....

كان فخر قد ابتعد للخلف قليلاً لينظر لها ويرى عينيها
الدامعتين من الفرحة، سمعها تهمهم بصوت
متحشرج ينبئ بأنها على وشك البكاء :

_ ده مش حلم، صح؟

ضحك بهدوء ونفى قائلاً :

__ لَأ معتقدش

__ انا مش مصدقة يافخر والله حاسة قلبي هيطلع من مكانه من الفرحة

انبسطت ابتسامته العاشقة، ورفع يدها ليقبل ظهر كفاها برقّة، ثم نظر لها ونبس بسعادة :

__ احنا بقينا سوا رسمي ياجهاد وهنعيش تحت سقف واحد، انا مبقتش عايز حاجة تاني بعد كدا ..

رمقها بعيون تفيض بعشق يضا هي مياه البحار، واحتضن كفيها بين راحتيه أكثر :

__ انتِ كنتِ حلمي الوحيد وخلص نولته.

لَوّحت ضحكها الناعمة على وجهها وتمسكت بيديه
أكثر؛ تعبيرًا عن حبها وسعادة قلبها المتراقص

مال عز على أذن مريم وهامسها قائلاً :
_عقبالنا يا قمر

ابتسمت بخجل ونظرت له نظرة خاطفة قبل أن
تتحاشى النظر له وترد بمشاكسة :

_انت وشطارتك بقى يادكتور!

_انا بقول نأجرلنا شقة نتجوز فيها لحد ما شقتنا
تجهز بدل ما نعطلّ نفسنا وخلص

اعترضت قائلة :

_ وانا فيا حيل انقل كل شوية؟

أجاب وكأنه يرشيها :

_ هجيب لك قطتين

وزعت أنظارها يمينًا ويسارًا متصنعة التفكير ثم

قالت:

_ ثلاثة!

_ هاكل قدامها كام يوم في الاسبوع؟

ردت بغطرسة :

حسب القطط اللي هتجيبهم

.

وقف مروان بجوار عزة واستمع لها تقول بإعجاب :

شكلك كان حلو وانت عامل فيها عاقل وراسي كدا

ضحك مجيبًا :

يجي مني ها؟

ردت رافعة رأسها بتكبر :

يعني .. في أمل خفيف

قهقهه بخفوت ثم قال عابثًا :

شكلك حلو النهاردة

وقبل كدا كنت وحشة؟

سارع بالإنكار :

_ لا يمكن! حد يقدر يقول كدا على زوزو؟

ضحكت باستنكار وتطلعت له بعدم اهتمام دون أن
تخفي ابتسامتها الخجولة ...

عادت إليه جهاد بعدما أحضرت شيئاً ما كانت قد
تركته مع ياسمين حتى تطلبها منها لاحقاً ..
نظر لما بين راحتيها فوجدتها نجمة ورقية تشبه الذي
يصنعها لها، واستمع لها تقول :

_ انا عرفت اعمل النجمة

طالعتها بدهشة مبتسمًا، وشجّعها بقوله :
_ شطورة يا عيون فخر! .. بتتعلمي بسرعة

تركتها بين يديه وهي تقول :
_ افتحها

_ انتِ كاتبة فيها؟؟

حركت كتفها الأيمن بحركة بسيطة وهي تقول :
_ لقيتك انت كل مرة بتكتب لي، قولت اكتب لك انا

ابتسم بفضول وفتح الورقة برفق، حتى بسطها
وظهرت أمامه العبارة الوحيدة المكتوبة :

"انت فقط من يمتلك كل مصادر الأمان أيها
المهندس"

ابتسم بسرور شديد ورفع عينيه لها متطلعًا لها
بامتنان وبهجة .. لاحظ نظراتها المترقبة نحوه
; تُخبره أنها تنتظره أن ينطق الجملة التي تحب
سماعها ..

ضحك بخفة واقتنت نبرته كل الهدوء والحب وهو
يلفظها :

"أُمتِ بهيَّة يا أثيرة الكُحل"

'تمت

تراب أمشير

شهد مدحت'